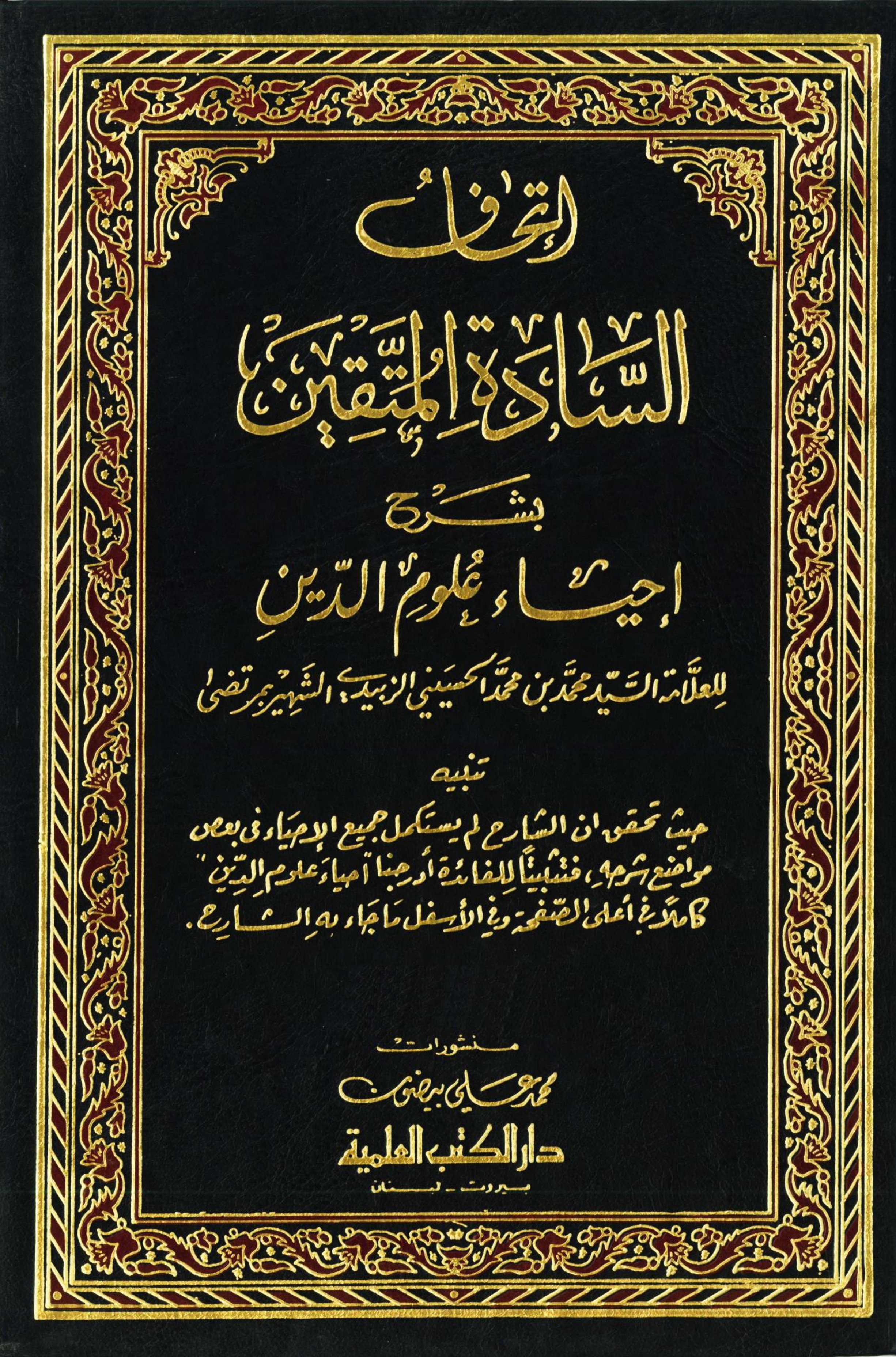


إتحاف
السادة المتقين
بشرح
إحياء علوم الدين
للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
تنبيه
حيث تحقق ان الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض
مواضع شرحه، فتثبيتاً للفائدة أدرجنا "إحياء علوم الدين"
كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح.
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

إتحاف السادة المتقين

بشرح

إحياء علوم الدين

تصنيف

العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي
الشهير بمرتضى
المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض مواضع شرحه فتنبيهاً للفائدة أدرجنا إحياء علوم الدين كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح

الجزء الأول

مقدمة الشارح ، كتاب العلم

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى أحيا بذكره قلوب عباده العارفين، وأماط عن بواطنهم حجب الخفاء فقاموا لإحياء علوم الدين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد الأوّلين والآخرين،وصفوة الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، وخلاصة الله من خلقه أجمعين، وعلى آله السادة الأكرمين، وأصحابه الغر الميامين، وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد فهذه تقريرات شريفة، وتحريرات منيفة، أمليتها على كتاب الإحيا للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى حين سئلت في إقرائه، مستعيناً بحول الله شاكراً لحسن بلائه، جانحاً فيه إلى حل عباراته، مشيراً إلى كشف الغموض عن رموزه وإشارته، مخرجاً أحاديثه على طريقة حفاظ المحدثين، مبيناً لأسانيد ما فيه من أقوال العلماء والعارفين، ولم آل جهداً في تهذيبه وترتيبه وتسهيله وتقريبه، ولم أتعرض للغاته، إلا ما احتيج اليه، ولا لبيان فائدة سوى ما عوّل عليه، وذلك لأني لو تتبعت جميع ألفاظه الشائقة، وإشاراته التي انتثلتها من أفكاره الفائقة، طال الكلام، وصعب المرام، وكلّت دون محاولته الأفهام، إذ مآخذه رحمه الله تعالى فيه بعيدة الغور استنباطاً واستكشافاً، حتى كأنه يغترف من البحر المحيط اغترافاً، وأنى لمثل العاجز القاصر عن تساجله، وحسبي أن أقف لهذا البحر عند ساحله، على أني لم أر أحداً من العلماء قديماً وحديثاً مع كثرة تداول هذا الكتاب بين أيديهم وتبركهم بقراءته في سائر الأقطار، خصوصاً في قطر اليمن المأنوس بالأخيار، اعتنى بضبط ألفاظه المشكلة، ولا فصّل بنود عقوده المجملة، وقد شرح الله صدري لشرحه بإلهام، وسعى يعبوب فكري لتحصيله باهتمام، فجاء بحمد الله جامعاً للشوارد، مكملاً للفوائد، ضابطاً لما أهمل، مفصلاً لما أجمل، مبيناً لما استشكل من اللغات، مقرباً لما استبهم من الإشارات، كافلاً لبيان ما فرق فيه من الأقوال، معيناً لأهل التدريس في سائر الأحوال، بفوائد تقر بها العين، ويقول الغائص من أين أجد مثل درره من أين، اشتمل على فقه وحديث ورقائق، وضوابط ودقائق، وتاريخ وأدب، تنسل إليه الرغبات من كل حدب، ولست أقول ذلك لأنفق البضاعة، بل لأشوّق أرباب الصناعة، وأجمع على حب هذا الكتاب أهل السنة والجماعة، وأعرف المريدين سلوك طريقه، وأشير لهم إلى كمال تحقيقه وتدقيقه، وأن صبح فضله طلع فاستغلظ فاستوى على سوقه، وناداني لسان الإنصاف غير متلبث. قل وأما بنعمة ربك فحدّث فقد روى الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رسول الله ﷺ « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » فعند ذلك قلت لا للفخر والسمعة. بل لإبانة الحق وحسن الصنعة. إن هذا المجموع شمس عوارف المعارف، وقمر لطائف الظرائف، ونجم سماء العلى والناس تلقاء حرمه بين عاكف وطائف. من شاهده قال هكذا هكذا

وإلا فلا لا ، ومن أنفق من خزائن علمه لم يخش من ذي العرش إقلالاً ، ومن تأمله منصفاً جبن عن معارضته وأنشد ، أهابك إجلالاً .

ومن لم يغترف من بحر درره ولم يعترف برفع قدره فهو المحروم نوالا .

ومن يك ذا فم مرٍّ مريض يجد مرًّا به ماء زلالا

ولكأني بمن يحسد شمس ضوئه ويجتهد أن يأتي له بنظير ، ويطاول الثريا وما أبعدها عن المتناول فيرجع إليه بصره خاسئاً وهو حسير ، وأتعب خلق الله من زاد همه ، وقصر عما تشتهي النفس وجده ، واستخرت الله تعالى في أن أسمِّيه : (إتحاف السادة المتقين . بشرح أسرار إحياء علوم الدين) وأنا مع وضعي هذا الكتاب ما أبرئ نفسي ولا كتابي من خلل وريب ، ولا أبيعه بشرط البراءة من كل عيب ، بل أعترف بكمال القصور ، وأسأل الله الصفح عما جرى به القلم بهذه السطور ، وأقول لناظر جمعي هذا لا تأخذن في نفسك على شيء وجدته فيه مغايراً للفهم فإن الفهوم قد تختلف ، ومن صنف قد استهدف ، وأعتذر لك أيها المنصف من خطأ أو زلة فالجواد قد يكبو ، والفتى قد يصبو ، ولا يعد إلا فضولات العارف ، وتدخل الزيوف على أعلى الصيارف ، ولا يخفى عليك أن التعقب على الكتب سيما الطويلة سهل بالنسبة إلى تأليفها ، ووضعها وترصيفها ، كما يشاهد في الأبنية القديمة ، والهياكل العظيمة ، حيث يعترض على بانيها من عري في فنه عن القوى والقدر ، بحيث لا يقدر على وضع حجر على حجر . هذا جوابي عما يرد على كتابي .

وقد كتب أستاذ البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني ، إلى العماد الكاتب الأصبهاني معتذراً عن كلام استدركه عليه أنه وقع لي شيء ولا أدري أوقع لك أم لا وها أنا أخبرك به وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ، فأرجو مسامحة ناظريه فهم أهلوها ، وأؤمّل جميلهم فهم أحسن الناس وجوها ، وهذا حين الشروع في المقصود ولا ينبغي أن يمل الناظر في هذا الكتاب كثرة الكلام على تخريج حديث بذكر الأسانيد ، والاستطراد المزيد ، في بعض المسائل والتراجم فإنه لذلك وضع ، وعلى أعواد هذه القواعد رفع ، وسترى فيه من الفوائد ما لا يوجد في مجموع ، ومن الزوائد ما هو فوق الفرقد مرفوع ، والله المسؤول أن يتقبله بقبول حسن ، وأن يعينني على إكماله في أقرب زمن ، على نهج يرتضيه أهل الحق بالوجه المستحسن ، وهو المعين المجيب . عليه توكلت وإليه أنيب .

بيان الكتب التي أخذ منها ونقل واستفاد :

وهذا بيان الكتب التي منها أخذت ، وعنها بلا واسطة نقلت واستفدت ، فمن ذلك في علم اللغة شرحي على القاموس الذي أحاط بجيد اللغة وحُوشِيها [1] الذي إذا رآه المنصف البعيد عن المرا ،

---

(١) قوله وحوشيها في القاموس الحوشي بالضم الغامض من الكلام اهـ .

قال: كل الصيد في جوف الفرا، فاستغنيت بمراجعته عن جملة من الكتب المؤلفة في الفن، وأوردت منه كل مستحسن، ولم أخل مع ذلك نظري في كتاب النهاية لابن الأثير، والفائق للزمخشري، والمفردات لأبي القاسم الراغب، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي، والتوقيف للمناوي، وكتاب الزينة لأبي حاتم الرازي، ومشكل القرآن لابن قتيبة، فربما استفدت منها جملاً كثيرة أوردتها مع مناسباتها في مواضعها. ومن كتب أصول الفقه التوضيح لصدر الشريعة وشرحاه التنقيح للسيد الجرجاني، والتلويح للسعد التفتازاني، والمنهاج للبيضاوي وشرحه لمحمد بن طاهر القزويني، وشفاء العليل في مسالك التعليل للمصنف. ومن كتب الحديث التي احتاج الأمر إلى مراجعته شرح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني المسمى بفتح الباري وهو البحر الذي تقف عنده الأفهام وتغترف من فيوضاته الأعلام مع إعادة النظر في كل من شروح القسطلاني وابن الملقن والكوراني والزركشي والسيوطي والسندي، وشرح الجامع الصغير للمناوي والسنن لكل من البيهقي والدارقطني وشرح السيوطي على الترمذي. ومن المسانيد للإمام أحمد وعبد بن حميد ومسدد وابن أبي شيبة والديلمي، ومن المعاجم الكبير والأوسط للطبراني، ولابن جميع الغساني. ومن الكتب التي أعتمد على تخريج أحاديث الكتاب عليها المغني عن حمل الأسفار للحافظ العراقي في مجلد، فأذكر كلامه عقيب الحديث ثم أزيد عليه حسبما فتح الله عليّ في مطالعتي لكتب الفن، وربما نقلت في بعض المواضع من تخريجه الكبير عليه، ولم أظفر منه إلا على كراريس. ومن ذلك الجامع الكبير والصغير والذيل عليه الثلاثة للسيوطي، وموضوعات ابن الجوزي، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة استدراكاً على ابن الجوزي للسيوطي مع الذيل عليه له ونوادر الأصول للحكيم أبي عبدالله محمد بن علي الترمذي، والعلل للدارقطني اثنا عشر مجلداً، والكامل لابن عدي نحو ذلك والإصلاح على المستدرك للعراقي الحافظ بخطه، واقتضاء العلم العمل وشرف أصحاب الحديث كلاهما لأبي بكر الخطيب الحافظ، وتاريخه الكبير الحافل في عشر مجلدات، والذيل عليه للبنداري في مجلد، وأيضاً لابن النجار الحنبلي في مجلدات، وتجريد الصحاح والسنن لرزين بن معاوية العبدري السرقسطي، والقول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد للحافظ ابن حجر، وتخريج أحاديث الأذكار له، وحلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، وتخريج أحاديث المنهاج الأصولي لكل من التاج السبكي وابن الملقن، والتذكرة للبدر الزركشي، والمقاصد الحسنة للحافظ السخاوي، والأمالي على مسانيد أبي حنيفة للزين قاسم بن قطلوبغا الحنفي الحافظ، واللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة لابن طولون الحنفي، وأطراف المسانيد العشرة للشهاب الأبوصيري، وجمع الفوائد لمحمد بن سليمان، وكتاب العلم لابن خيثمة زهير بن حرب النسائي إلى غير ذلك مما استفدت من معانيها وأسرارها كشرح المنلا علي على مختصر هذا الكتاب المسمى بعين العلم والذريعة إلى محاسن الشريعة للقفال الشاشي والذريعة إلى مكارم الشريعة لأبي القاسم الراغب والبحر الزاخر لأبي الطيب حمدان بن حمدويه، وجواهر القرآن للمصنف، وفضائل القرآن للقرطبي. وأما ما يتعلق بأصول الدين والاعتقاد والفقه وفروعه فسيأتي بيان مآخذ كل ذلك في مواضعه على ما يسر الله تعالى عليّ في مراجعته والكشف عن مظانه فأذكر في كتاب العقائد ما تحصل لديّ، وفي العبادات كذلك، وأما التصوف والرقائق فقد طالعت عليه كتباً كثيرة، وأجلها مقداراً الرسالة للإمام أبي

القاسم القشيري وشرحاها لأبي محمد عبد المعطي بن محمود اللخمي ولشيخ الإسلام زكريا، وقوت القلوب لأبي طالب المكي وعليهما مدار كتاب الشيخ غالباً، ومنازل السائرين لشيخ الإسلام الهروي، وعوارف المعارف للشهاب السهروردي، والتعرف لأبي نصر الكلاباذي، وتأييد الحقيقة العلية للحافظ السيوطي، ومنارات السائرين ومقامات الطائرين للشيخ نجم الدين دايه، ومفيد العلوم لأبي بكر الخوارزمي، والذهب الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز تأليف أفضل المتأخرين أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي. ومن كتب التواريخ الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي، والطبقات الكبرى لابن السبكي، وطبقات القطب الخيضري والحافظ عماد الدين بن كثير الدمشقي، وفي أسماء الرجال الكاشف للحافظ الذهبي والديوان له والمشتبه له، والكنى لابن المهندس، والتبصير للحافظ ابن حجر. وأما ما نقلت منه مسألة أو فائدة أو كلمة غريبة أو نادرة عجيبة من أجزاء ومعاجم ومسانيد ومشيخات ورسائل وأمالي ومستخرجات فشيء لا أحصيه الآن كما ستقف عليه عند رفع الستور عن وجه البيان، ولنصرف عنان الهمة عن ذكر المأخذ إلى بيان الباعث الأعظم على جمع هذا الشرح وترتيبه وتنسيقه على هذا المنوال وتهذيبه بعد إشارات صدرت من بعض العلماء وتكرار إلحاحهم عليَّ فيه فأقول: اعلم أن الباعث لي على الإقدام في شرح هذا الكتاب أمور ثلاثة:

الأول الإكثار من ذكر الصالحين وأولي الخير والدين وسياق أطراف من أحوالهم، فإن ذلك من أكبر الأسباب الباعثة على محبتهم وهي أحد أسباب الفوز لما أخبرنا به شيخنا المسند الجليل عمر ابن أحمد بن عقيل فيما شافهني فيه:

أخبرنا الإمام المحدث عبدالله بن سالم بن محمد بن عيسى، أخبرنا الشمس محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا النور علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن عبدالله، أخبرنا محمد بن عبدالرحمن الحافظ، أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الحافظ، أخبرنا الشهاب أحمد بن خليل العلائي، أخبرنا والدي، أخبرنا أبو الربيع سليمان بن حمزة، أخبرنا محمد بن عبد الواحد الحافظ، أخبرنا أحمد بن محمد بن نصر، أخبرنا الحسن بن أحمد المقري حضوراً، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر ابن خلاد، أخبرنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي، حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة؟ فقام النبي ﷺ إلى الصلاة ثم صلى ثم قال: «أين السائل عن الساعة؟» قال الرجل: أنا. قال: «ما أعددت لها» قال يا رسول الله: ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت». قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بها. رواه الترمذي من حديث إسماعيل بن جعفر عن حميد به. وقد روى عن أنس هذا الحديث خلق كثير غير حميد. منهم الزهرى، وسالم بن أبي الجعد، فالبخاري رواه من طريق سالم، ومسلم من طريق معمر وسفيان كلاهما عن الزهري. وقد روي أيضاً عن أبي موسى الأشعري، وأبي ذر الغفاري، وأبي مسعود البدري رضي الله عنهم، والحديث مشهور جداً أو

متواتر عن النبي ﷺ لكثرة طرقه، وليس هذا موضع سياقها.

الثاني من البواعث على جمع هذا الشرح رجاء الانتفاع به لمن ينظر فيه من الأمة وذلك من الأعمال الصالحة والأمور المهمة، وقد وعد النبي ﷺ فاعله بمساهمة المهتدي به من الثواب، وناهيك بذلك من عمل يتجدد للمرء بعد موته مدى الأحقاب.

أخبرنا عبد الخالف بن أبي بكر بن المزين ومحمد بن علاء الدين بن عبد الباقي، وإسماعيل بن عبدالله بن علي الحنفيون، ومحمد بن الطيب بن محمد، وآخرون سماعاً عليهم قالوا: أخبرنا أبو طاهر محمد بن إبراهيم بن حسن، أخبرنا والدي، أخبرنا القطب أحمد بن عبد النبي، أخبرنا أبو المواهب أحمد بن علي بن عبد القدوس، أخبرنا والدي، أخبرنا القطب عبد الوهاب بن أحمد، أخبرنا زكريا بن محمد، أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا أبو الخير بن أبي سعيد، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو بكر بن أحمد، أخبرنا محمد الاربلي، أخبرتنا شهدة الكاتبة، أخبرنا أحمد بن بندار، أخبرنا محمد بن بكير، أخبرنا أبو محمد بن بكير، أخبرنا أبو محمد بن ماسي، أخبرنا يوسف القاضي، حدثنا محمد بن أبي بكر، حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير، عن المنذر بن جرير عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سنَّ سنَّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن استسن سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ومثل أوزار من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» هذا حديث حسن الإسناد بل صحيح أخرجه مسلم من طرق، والإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي، وأبو عوانة، وابن حبان كلهم عن جرير وقد روي أيضاً من طريق حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وفيه قصة. وفي الباب عن أبي هريرة وأبي جحيفة ووائلة رضي الله عنهم.

الثالث منها حث النفس على سلوك هذه الأمور واتباعها والكف عن مذموم كل الأخلاق وارتداعها وإصغائها إلى ما يقربها إلى مولاها وحسن استماعها ومجاهدتها على طلب الفوز في الآخرة لعل صفقتها تكون رابحة لا خاسرة، فإن النفس أمارة بالسوء إلا أن يتداركها الله برحمته، والشيطان حريص على إهلاكها بالغواية ولا عاصم لها منه إلا الله سبحانه بلطفه وإعانته ومجاهدة النفس في أعمال الطاعات والانكفاف عن المخالفات إلى الأمور المطلوبة بالذات. قال الله تعالى ﴿والَّذينَ جَاهَدُوا فِينَا لنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت، آية ٦٩].

أخبرنا السيد المحدث سليمان بن يحيى بن عمر بن عبد القادر الحسيني الزبيدي سماعاً، والسيد القطب أبو المراحم وجيه الدين عبد الرحمن ابن السيد مصطفى العيدروسي إجازة مشافهة قالا: أخبرنا السيد الوجيه عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد العلوي الترثحي. قال الأول إجازة مكاتبة، وقال الثاني مشافهة. أخبرنا خالي السيد الوجيه عبد الرحمن بن محمد العيدروسي ح. وأخبرنا أعلى من ذلك عمر بن أحمد بن عقيل سماعاً في آخرين، أخبرنا عبد الله بن سالم وأحمد بن محمد النخلي قالوا أخبرنا المسند أحمد بن عبد اللطيف الأزهري أخبرنا البرهان إبراهيم بن إبراهيم المالكي ح قالا، أي سالم والنخلي: وأخبرنا أعلى من ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء قال: أخبرنا

سالم بن محمد بن محمد والنور علي بن يحيى قالا : أخبرنا أحمد بن محمد بن ابي بكر ، ويوسف بن زكريا ، ويوسف بن عبد الله قالوا : أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ ، أخبرنا رضوان بن محمد بن يوسف الحافظ ، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي المجد الدمشقي قدم علينا ، أخبرنا التقي سليمان بن حمزة الدمشقي : أخبرنا عبد الله بن عمر بن زيد ، حدثنا محمد بن محمد بن النحاس ، حدثنا على بن أحمد بن السدي ، حدثنا أحمد بن محمد بن الصلت ، حدثنا ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ، حدثنا أبو مصعب يعني أحمد بن أبي بكر ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » . رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث مالك به ، فهذه الأمور الثلاثة التي ذكرتها لك هي الباعثة لي على الاقدام في شرح هذا الكتاب وجلب فرائد الفوائد إليه من كل باب .

الاحوال المتعلقة بمصنف هذا الكتاب وهي مشتملة على احد وعشرين فصلاً وخاتمة

الفصل الاول

في ترجمته

قال ابن السبكي في طبقاته : هو الإمام الجليل محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي حجة الإسلام ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام ، جامع أشتات العلوم ، والمبرز في المنطوق فيها والمفهوم . جرت الأئمة قبله بشأو ولم تقع منه بالغاية ، ولا وقف عند مطلب وراءه مطلب لأصحاب النهاية والبداية ، حتى أخمد من القرناء كل خصم بلغ مبلغ السها ، وأخمد من نيران البدع كل مالا يستطيع أيدي المجالدين مسَّها . كان ضرغاما إلا أن الأسود تتضاءل بين يديه وتتوارى ، وبدراً تماماً إلا أن هذا لا يشرق نهاراً ، وبشراً من الخلق ولكنه الطود العظيم وبعض الخلق ، ولكن مثل ما بعض الحجر الدر النظيم جاء والناس إلى ردِّ فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء ، وأفقر من الجدباء إلى قطرات الماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفي بجلاد مقاله ، ويحمي حوزته ولا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله ، حتى أصبح الدين وثيق العرا ، وانكشفت غياهب الشكوك وما كانت إلاَّ حديثا يفترى . هذا مع ورع طوى عليه ضميره ، وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره وتجريد تراه به وقد توحد في بحر التوحيد وباهى .

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله ... والزاد حتى نعله ألقاها

ترك الدنيا وراء ظهره ، وأقبل على الله تعالى يعامله في سره وجهره ، وزاد المناوي في طبقاته بعد قوله في أوّل الترجمة في المنطوق منها والمفهوم ما نصه : بحر ليس للبحر ما عنده من الجواهر ، وحبر سما على السماء وأين للسماء مثل ماله من الزواهر ، وروضة علم تستقل الرياض فنشرها ان تحكى ما لديه من الازاهر . انتظمت بقدره العظيم عقود الملة الاسلامية ، واتسمت بدره النظيم ثغور الشريعة المحمدية ، فغاص من العلوم في بحار عميقة ، وروّض نفسه في دفع أهل البدع وسلوك الطريقة . وقال أبو ابراهيم الفتح بن علي البغدادي في ذيله على تاريخ بغداد : هو من لم تر العيون مثله لساناً ونطقاً ، وبياناً وخاطراً وذكاء وطبعاً . وقال ابن المقري في تحفه الارشاد إلى سبيل الرشاد

ما نصه: باسمه تنشرح الصدور وتحيا النفوس، وبرسمه تفتخر المحابروتشتهر الطروس، ولسماعه تخشع الأصوات وتخضع الرؤوس. وترجمه الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه فأطال فيها، وكذا الحافظ ابن السمعاني نحواً منه. وقال الحافظ محب الدين بن النجار الحنبلي في ذيله على تاريخ بغداد ما نصه: إمام الفقهاء على الإطلاق، ورباني الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه وعين وقته وأوانه، ومن شاع ذكره في البلاد، واشتهر فضله بين العباد، واتفقت الطوائف على تبجيله وتعظيمه وتوقيره وتكريمه، وخافه المخالفون وانقهر بحججه المناظرون، وظهر بتنقيحاته فضائح المبتدعة والمخالفين، وقام بنصر السنّة وإظهار الدين، وسارت مؤلفاته في الدنيا مسير الشمس في البهجة والجمال، وشهد له الموافق والمخالف بالتقدم والكمال.

الفصل الثاني

في بيان مولده وشيءٍ من أخبار نشأته:

قالوا: ولد بطوس سنة خمسين واربعمائة، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، فلما حضرته الوفاة أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير وقال: إن لي لتأسفاً عظيماً على تعلم الخط وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين، فأقام بهما وعلمهما الخط وأدبهما إلى ان فني ذلك النزر اليسير الذي كان خلفه لهما أبوهما، وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما: اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من أهل التجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به وأصلح ما أرى لكما أن تلجآ إلى مدرسة، فانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ففعلا ذلك، وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما، وكان الغزالي يحكي هذا ويقول: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلاَّ لله.

الفصل الثالث

في بيان مبدأ طلبه للعلم

قرأ في صباه طرفاً من الفقه ببلده على أحمد بن الراذكاني، ثم سافر إلى جرجان إلى الامام أبي نصر الاسماعيلي، وعلق عنه التعليقة ثم رجع الى طوس. قال الامام أسعد الميهني فسمعته يقول: وقطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا فتبعتهم، فالتفت إليَّ مقدمهم وقال: ارجع وإلا هلكت، فقلت له: أسالك بالذي ترجو السلامة منه ان ترد على تعليقتي فقط فما هي بشيٍ تنتفعون به، فقال لي: وما هي تعليقتك؟ فقلت: كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها فضحك، وقال: كيف تدعي انك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم، ثم أمر بعض أصحابه فسلم إليَّ المخلاة، فقال الغزالي: هذا مستنطق أنطقه الله يرشدني به في أمري، فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته، وصرت بحيث لو قطع عليّ الطريق لم أتجرد من علمي، ثم قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وأحكم كل ذلك، وفهم كلام أرباب هذه العلوم، وتصدى للرد على مبطليهم وإبطال دعاويهم، وصنف في كل فن من هذه العلوم كتباً أحسن تأليفها وأجاد وضعها وترصيفها، وكان

شديد الذكاء سديد النظر عجيب الفطرة مفرط الادراك قوي الحافظة بعيد الغور غواصاً على المعاني الدقيقة جبل علم مناظراً محجاجاً ، وكان إمام الحرمين يصف تلامذته فيقول : الغزالي بحر مغرق ، والكياء أسد مخرق ، والخوافي نار تحرق . ويقال : كان الامام يُظهر في الظاهر الافتخار به ، وعنده في الباطن منه شيء لما ظهر منه من أنيق العبارة ، ورقيق الاشارة ، وصحة السماع ، وقوة الطباع .

الفصل الرابع

في بيان ما آل اليه أمره

لما مات إمام الحرمين خرج الغزالي إلى المعسكر قاصداً الوزير نظام الملك إذ كان مجلسه مجلس أهل العلم ومحط رحالهم، فناظر الائمة العلماء في مجلسه، وقهر الخصوم وظهر كلامه عليهم. واعترفوا بفضله، فتلقاه الصاحب بالتعظيم وطار اسمه في الآفاق واشتهر في الاقطار، وولاّه تدريس مدرسته ببغداد وأمَّها بالتوجه إليها، فقدمها في سنة أربع وثمانين وأربعماية في تجمل كثير، وتلقاه الناس ونفذت كلمته حتى غلبت حشمته الامراء والملوك والوزراء، وأقام على تدريس العلم ونشره بالتعليم والفتيا والتصنيف، حتى ضربت به الامثال، وشدت إليه الرحال. إلى ان عزفت نفسه عن رذائل الدنيا، فرفض ما فيها من التقدم والجاه، وترك كل ذلك وراء ظهره وقصد بيت الله الحرام، فخرج إلى الحج في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين، واستناب أخاه في التدريس، ودخل دمشق سنة تسع وثمانين فلبث فيها يويمات يسيرة على قدم الفقر، ثم توجه الى بيت المقدس فجاور به مدة، ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع بها وكانت اقامته على ما ذكر الحافظ ابن عساكر فيما نقله عنه الذهبي ولم أجد في كلامه، وكان الغزالي يُكثر الجلوس في زاوية الشيخ نصر المقدسي بالجامع الأموي المعروفة اليوم بالغزالية نسبة اليه. قال ابن عساكر: أقام الغزالي بالشام نحواً من عشر سنين، ونقل الذهبي أنه صادف دخوله يوماً المدرسة الأمينية فوجد المدرّس يقول: قال الغزالي، فخشي الغزالي على نفسه العجب ففارق دمشق وأخذ يجول في البلاد فدخل منها الى مصر وتوجه منها الى الاسكندرية فأقام بها مدة، وقيل: انه عزم على المضي إلى السلطان يوسف بن تاشفين سلطان المغرب لما بلغه من عدله، فبلغه موته، واستمر يجول في البلدان ويتردد إلى المشاهد ويطوف على الترب والمساجد، ويأوى القفار، ويروض نفسه، ويجاهدها جهاد الأبرار، ويكلفها مشاق العبادات، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات إلى ان صار قطب الوجود والبركة العامة لكل موجود، والطريق الموصلة إلى رضا الرحمن والسبيل المنصوب إلى مركز الايمان، ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ، وتكلم على لسان أهل الحقيقة، وحدث بكتاب الاحياء. ورأيت في بعض المجامع أن سبب سياحته وزهده أنه كان يوماً يعظ الناس فدخل عليه أخوه أحمد فأنشده:

أخذت بأعضادهم إذونوا ... وخلفك الجهد إذ أسرعوا
وأصبحت تهدي ولا تهتدي ... وتسمع وعظاً ولا تسمع
فيا حجر الشحر حتى متى ... تسن الحديد ولا تقطع

فكان ذلك سبباً لتركه علائق الدنيا. وذكر عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي خطيب نيسابور في ترجمته بعد أن وصفه قال: وسلك طريق الزهد والتأله، وترك الحشمة وطرح ما نال من الدرجة والاشتغال بأسباب التقوى، وزاد الآخرة وقصد حج بيت الله الحرام، ثم دخل الشام وأقام في تلك الديار قريباً من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد، وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يسبق إليها مثل: إحياء علوم الدين، والكتب المختصرة منها: مثل الأربعين وغيرها من الرسائل التي من تأملها علم محل الرجل من فنون العلم، وأخذ في مجاهدة النفس وتغيير الأخلاق وتحسين الشمائل وتهذيب المعاش والتزيي بزي الصالحين وقصر الأمل، ووقف الأوقات على هداية الخلق ودعائهم إلى ما يعنيهم من أمر الآخرة وتبغيض الدنيا، والإستعداد للرحيل إلى الدار الباقية، والإنقياد لكل من يتوسم فيه أو يشم منه رائحة المعرفة، أو التيقظ بشيء من أنوار المشاهدة، حتى مرن على ذلك ولان، ثم عاد إلى وطنه لازماً بيته مشتغلاً بالتفكر ملازماً للوقت مقصوداً وذخراً لكل من يقصده ويدخل عليه، إلى أن أتى على ذلك مدة، وظهرت التصانيف وفشت الكتب ولم تبد في أيامه مناقضة لما كان فيه ولا اعتراض لأحد على مآثره حتى انتهت نوبة الوزارة إلى فخر الملك جمال الشهداء تغمده الله برحمته، وتزينت خراسان بحشمته ودولته. وقد سمع وتحقق بمكان الغزالي ودرجته وكمال فضله وحالته وصفاء عقيدته ونقاء سريرته فتبرك به وحضره وسمع كلامه فاستدعى منه أن لا يبقي أنفاسه وفوائده عقيمة لا استفادة منها ولا اقتباس من أنوارها، وألح عليه كل الإلحاح وتشدد في الاقتراح إلى أن أجاب إلى الخروج، وحمل إلى نيسابور وأشير عليه بالتدريس في المدرسة الميمونة النظامية، فلم يجد بداً من الأذعان للولاة، ونوى بإظهار ما اشتغل به إفادة القاصدين دون الرجوع إلى ما انخلع عنه، وكم قرع عصاه بالخلاف والوقوع فيه والسعاية به والتشنيع عليه، فما تأثر به ولا اشتغل بجواب الطاعنين، ولقد زرته مراراً وما كنت أحدس في نفسي ما عهدته في سالف الزمان عليه من الذعارة وايحاش الناس والنظر إليهم بعين الإزدراء اغتراراً بما رزق من البسطة في النطق والخاطر والعبادة وطلب الجاه والعلو في المنزلة أنه صار على الضد، وتصفى عن تلك الكدورات. وكنت أظن أنه متلفع بجلباب التكلف، فتحققت بعد التنقير أن الأمر على خلاف المظنون، وإن الرجل أفاق بعد الجنون، وحكى لنا عن كيفية أحواله من ابتداء ما ظهر له سلوك طريق التأله وغلبة الحال عليه بعد تبحره في العلوم والاستعداد الذي خصه الله به في تحصيل انواع المعارف وتمكنه من البحث والنظر حتى تبرم من الاشتغال بالعلوم الغريبة عن المعاملة، وتفكر في العاقبة وما يجدي وينفع في الآخرة فاقتدى بصحبة الفارمدي، واستفتح منه الطريقة، وامتثل ما كان يشير عليه من القيام بوظائف العبادات والإمعان في النوافل واستدامة الأذكار والجد والاجتهاد، إلى أن جاز تلك العقبات وتكلف تلك المشاق وما تحصل على ما كان يطلبه من مقصوده، ثم حكى أنه راجع العلوم، وخاض في الفنون، وعاود الاجتهاد في كتب العلوم الدقيقة، حتى انفتحت له أبوابها وبقي مدة في الوقائع وتكافؤ الأدلة، وأطراف المسائل، ثم حكى أنه فُتح عليه باب من الخوف بحيث شغله عن كل شيء وحمله على الأعراض عمّا سواه، حتى سهل ذلك وهكذا وهكذا إلى أن ارتاض كل الرياضة

وظهرت له الحقائق، وصار ما كنّا نظن به ناموساً وتخلقًا طبعاً وتحققاً وإن ذلك أثر السعادة المقدرة له من الله تعالى، ثم سألناه عن كيفية رغبته في الخروج من بيته والرجوع إلى ما دعي إليه من أمر نيسابور فقال معتذراً عنه: ما كنت أجوز في ديني أن أقف عن الدعوة ومنفعة الطالبين بالأفادة، وقد حق عليَّ أن أبوح بالحق وانطق به وادعو إليه، وكان صادقاً في ذلك، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته فاتخذ في جواره مدرسة لطلبة العلم وخانقاه للصوفية، وكان قد وزع أوقاته على وظائف الحاضرين من ختم القرآن، ومجالسة أهل القلوب، والقعود للتدريس بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة، ومما وُجد بخط الزاهد قطب الدين محمد بن الإردبيلي قال: قال حجة الإسلام: كنت في بداية أمري منكراً لأحوال الصالحين، ومقامات العارفين، حتى صحبت شيخي يوسف النساج بطوس، فلم يزل يصقلني بالمجاهدة حتى حظيت بالواردات فرأيت الله في المنام فقال لي: يا أبا حامد: قلت: أو الشيطان يكلمني؟ قال: لا. بل أنا الله المحيط بجهاتك الست، ثم قال يا أبا حامد: ذر مساطرك واصحب أقواماً جعلتهم في أرضي محل نظري وهم الذين باعوا الدارين بحبّي، فقلت: بعزتك إلا أذقتني برد حسن الظن بهم، فقال: قد فعلت والقاطع بينك وبينهم تشاغلك بحب الدنيا فاخرج منها مختاراً قبل أن تخرج منها صاغرا، فقد أفضت عليك أنواراً من جوار قدسي ففز ونل، فاستيقظت فرحاً مسروراً وجئت إلى شيخي يوسف النساج فقصصت عليه المنام فتبسم، فقال يا أبا حامد هذه ألواحنا في البداية محوناها بأرجلنا، بل إن صحبتني سيكحل بصر بصيرتك بإثمد التأييد حتى ترى العرش ومن حوله، ثم لا ترضى بذلك حتى تشاهد ما لا تدركه الأبصار، فتصفو من كدر طبيعتك، وترقى على طور عقلك، وتسمع الخطاب من الله تعالى كموسى إني أنا الله رب العالمين. ونقل القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه الأجوبة المرضية عن الشيخ الأكبر ما نصه: وكان الغزالي يقول لما أردت أن انخرط في سلك القوم وأشرب من شرابهم نظرت إلى نفسي فرأيت كثرة حجبها، ولم يكن له شيخ إذ ذاك فدخلت الخلوة واشتغلت بالرياضة والمجاهدة أربعين يوماً، فانقدح لي من العلم ما لم يكن عندي أصفى وأرق مما كنت أعرفه، فنظرت فيه فإذا فيه قوة فقهية فرجعت إلى الخلوة واشتغلت بالرياضة والمجاهدة أربعين يوماً، فانقدح لي علم آخر أرق وأصفى مما حصل عندي أولاً ففرحت به، ثم نظرت فيه فإذا فيه قوة نظرية فرجعت إلى الخلوة ثالثاً أربعين يوماً فانقدح لي علم آخر هو أرق وأصفى، فنظرت فيه فإذا فيه قوة ممزوجة بعلم علم ولم ألحق بأهل العلوم اللدنية، فعلمت أن الكتابة على المحو ليست كالكتابة على الصفاء الأول والطهارة الأولى، ولم أتميز عن النظار إلا ببعض أمور، ثم قال الشيخ الأكبر: رحم الله أبا حامد ما كان أكثر إنصافه وتحرزه من الدعوى اهـ.

الفصل الخامس

في ثناء الأكابر عليه من مشايخه وممن عاصره وممن أتى بعده

قال ابن السبكي: حُكي عن الشيخ العارف أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وكان سيد عصره ولسان وقته وبركة زمانه أنه رأى النبي ﷺ في النوم وقد باهى عليه الصلاة والسلام

موسى وعيسى عليهما السلام بالإمام الغزالي، وقال: أفي أمتكما حبر مثل هذا؟ قالا: لا. وسئل السيد العارف بالله سيد وقته أيضاً أبو العباس المرسي عن الغزالي فقال: أنا أشهد له بالصديقية العظمى، ونقل المناوي في طبقاته عن القطب اليافعي عن بعض العلماء الجامعين بين علم الظاهر والباطن أنه قال: لو كان نبي بعد النبي لكان الغزالي، وشهد له القطب سيدي محيي الدين بن عربي، وناهيك به أنه من رؤساء الطريقة وساداتهم، ونُقل عنه أنه كان يرى المناسبة ويقول بها، فرأى في بيت المقدس حمامة وغراباً لصق أحدهما بالآخر وأنس به ولم يستوحش منه فقال: اجتماعهما لمناسبة فأشار إليهما بيده فدرجا فإذا بكل منهما عرج قال: والمناسبة في مساق الأشياء صحيحة ومعرفتها من مقامات خواص أهل الطريقة وهي غامضة موجودة في كل شيء حتى بين الاسم والمسمى. قال: والقائلون بها من طريقتنا عظماء أهل المراقبة والأدب، ولا تكون إلا بعد كشف علمي ومشهد ملكوتي. ويروى عن بعضهم قال: الأقطاب ثلاثة. قطب العلوم كحجة الإسلام الغزالي، وقطب الأحوال كأبي يزيد البسطامي، وقطب المقامات كعبد القادر الجيلاني. نقلته من كتاب القصد والسداد في مناقب القطب السيد عبدالله باحداد، وفيه أيضاً من كلمات المترجم قدس سره هذا الثوب نسجه الغزالي، وقصره عبد القادر الجيلاني. أو قال الشعراني أو هما، ونحن خيطناه ونقشناه وأين من يلبسه؟ قال: ففيه إشارة إلى أن الغزالي والشعراني قد بلغا في العلوم اللدنية المبلغ الذي فاقا به الكل. وقال السبكي في جواب كتاب أبي العفيف المطري وقد سأله عن الغزالي ما نصه: وماذا يقول الإنسان وفضله واسمه قد طبق الأرض، ومن خبر كلامه عرف أنه فوق اسمه. وقال محمد بن يحيى النيسابوري تلميذ الغزالي: لا يعرف الغزالي وفضله إلا من بلغ أو كاد أن يبلغ الكمال في عقله. قال ابن السبكي: يعجبني هذا الكلام فإن الذي يحب أن يطلع على منزلة من هو أعلى منه في العقل يحتاج إلى العقل والفهم، فبالعقل يميز وبالفهم يقضي، ولما كان علم الغزالي في الغاية القصوى احتاج من يريد الإطلاع على مقداره أن يكون هو تام العقل. وأقول: لا بدّ مع تمام العقل من مداناة مرتبتة في العلم لمرتبة الآخر، وحينئذ فلا يعرف أحد ممن جاء بعد الغزالي قدر الغزالي إلا بمقدار علم الغزالي إذ لم يجيء بعده مثله، ثم المداني له إنما يعرف قدره بقدر ما عنده لا بقدر الغزالي نفسه. سمعت الشيخ الإمام الوالد يقول: لا يعرف قدر الشخص في العلم إلا من ساواه في رتبته وخالطه مع ذلك، قال: وإنما يعرف قدره بمقدار ما أوتيه هو، وكان يقول لنا: لا أحد من الأصحاب يعرف قدر الشافعي كما يعرفه المزني قال: وإنما يعرف المزني من قدر الشافعي بمقدار قوى المزني والزائد عليها من قوى الشافعي لم يدركه المزني، وكان يقول أيضاً: لايقدر أحد النبي ﷺ حق قدره إلا الله تعالى، وإنما يعرف كل واحد من مقداره بمقدار ما عنده هو. قال: فأعرف الأمة بقدره ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه أفضل الأمة. قال: وإنما يعرف أبو بكر من مقدار المصطفى ﷺ ما تصل إليه قوى أبي بكر، وثَمَّ أمور تقصر عنها قواه لم يحط بها علم ومحيط بها علم الله وهو كلام نفيس، وقد قدمنا كلام شيخه إمام الحرمين فيه، وناهيك به جلالة وقدراً أن الغزالي بحر مغرق. وقال الحافظ أبو طاهر السلفي: سمعت الفقهاء يقولون كان الجويني يعني إمام الحرمين يقول في تلامذته إذا ناظروا التحقيق للخوافي والحربيات للغزالي والبيان للكيا.

الفصل السادس

في ذكر شيء من كراماته:

يحكى أن السلطان علي بن يوسف بن تاشفين صاحب المغرب الملقب بأمير المسلمين، وكان أميراً عادلاً نزهاً فاضلاً عارفاً بمذهب مالك خيّل إليه لما دخلت مصنفات الغزالي إلى المغرب أنها مشتملة على الفلسفة المحضة وكان المذكور يكره هذه العلوم، فأمر بإحراق كتب الغزالي، وتوعد بالقتل من وجد عنده شيء منها، فاختلت حاله، وظهرت في بلاده مناكر كثيرة، وقويت عليه الجند، وعلم من نفسه العجز بحيث كان يدعو الله بأن يقيض للمسلمين سلطاناً يقوى على أمرهم، وقوي عليه عبد المؤمن بن علي ولم يزل من حين فعل بكتب الغزالي ما فعل في عكس ونكد إلى أن توفي، وقال أبو عبد الله محمد بن يحيي بن عبد المنعم العبدري المؤذن. رأيت بالاسكندرية سنة خمسمائة في إحدى عشرة من المحرم أو صفر فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها، فعبر ذلك بعض المعبرين ببدعة تحدث فيهم، فبعد أيام وصلت المراكب بإحراق كتب الإمام أبي حامد الغزالي بالمرية وذكر الإمام فخر الدين أبو بكر الشاشي أنه كان في زماننا رجل يكره الغزالي يذمه ويستغيبه في الديار المصرية، فرأى النبي ﷺ في المنام، وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما بجانبه، والغزالي جالس بين يديه وهو يقول: يا رسول الله هذا يتكلم فيّ فإذا النبي ﷺ قال: هاتوا السياط وأمر به فضُرب لأجل الغزالي، وقام هذا الرجل من النوم وأثر السياط على ظهره لم يزل، وكان يبكي ويحكيه للناس، ولهذه القصة نظيرة وقعت لابن حرزهم المغربي يأتي ذكرها عند ذكر كتاب الإحياء. وقال ابن السبكي: وحكى لي بعض الفقهاء أهل الخير بالديار المصرية أن شخصاً تكلم في الغزالي في درس الشافعية وسبَّه، فحمل هذا الحاكي من ذلك هماً مفرطاً، وبات تلك الليلة فرأى الغزالي في النوم فذكر له ما وجد من ذلك، فقال: لا تحمل هماً غداً يموت، فلما أصبح توجه إلى درس الشافعي فوجد ذلك الفقيه قد حضر طيباً في عافية، ثم خرج من الدرس فلم يصل إلى بيته إلا وقد وقع من على الدابة ودخل بيته في حال التلف وتوفي آخر ذلك النهار.

الفصل السابع

في انتقاله من دار الدنيا إلى دار الآخرة:

قالوا: ولم يزل موزعاً أوقاته على تلاوة القرآن ومجالسة أرباب القلوب وإدامة الصيام والقيام، حتى كان في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة، وفي كتاب الثبات عند المات لابن الجوزي قال أحمد أخو الغزالي: لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي وصلّى وقال: عليّ بالكفن فأخذه وقبّله ووضعه على عينيه، وقال: سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مدَّ رجليه واستقبل، فانتقل إلى رضوان الله تعالى قبل الاسفار طيب الثناء أعلى منزلة من نجم السماء لا يكرهه إلا حاسد أو زنديق، ولا يسومه بالسوء إلا من كان في قلبه ريب أو حاد عن سواء الطريق. وقال

فخر الدين بن عساكر: مضى إلى رحمة الله يوم الإثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسائة، ودُفـن بظاهر قصبة طابران والله يخصه بأنواع الكرامة في اخراه كما خصه بفنون العلم في دنياه بمنه، ولم يعقب إلا البنات، وكان له من الأسباب إرثاً وكسباً ما يقوم بكفايته ونفقة أهله وأولاده فما كان يباسط أحداً في الأمور الدنيوية وقد عُرضت عليه فما قبلها وأعرض عنها، واكتفى بالقدر الذي يصون به دينه ولا يحتاج معه إلى التعرض للسؤال والمنال من غيره. قال ابن السمعاني: وقد زرت قبره بالطابران قصبة طوس سمعت أبا جعفر عمر بن محمد بن أحمد الطوسي مذاكرة يقول: تمثل الإمام إسماعيل الحاكمي بعد وفاة الإمام أبي حامد الغزالي بهذا البيت.

عجبـت لصبري بعـده وهـو ميـت   وكنت امرأ أبكي دماً وهو غـائـب

ووجدت في كتاب بهجة الناظرين وأنس العارفين للعارف بالله محمد بن عبد العظيم الزموري ما نصه: ومما حدثنا به من أدركنا من المشيخة أن الأمام أبا حامد الغزالي لما حضرته الوفاة أوصى رجلاً من أهل الفضل والدين كان يخدمه أن يحفر قبره في موضع بيته ويستوصي أهل القرى التي كانت قريبة إلى موضعه ذلك بحضور جنازته، وأن لا يبـاشره أحـد حتى يصـل ثلاثـة نفـر من الفلاة لا يعرفون في بلاد العراق يغسله إثنان منهما، ويتقدم الثالث بالصلاة عليه بغير أمر أحد ولا مشورة، فلما توفي فعل الخديم كل ما أمره به وحضر الناس، فلما اجتمعوا لحضـور جنازته رأوا ثلاثة رجال خرجوا من الفلاة، فعمد إثنان منهم إلى غسله واختفى الثالث ولم يظهر، فلما غُسل وأدرج في أكفانه وحُملت جنازته ووُضعت على شفير قبره ظهر الرجل الثـالـث ملتفاً في كسائه في جانبيه علم أسود معمماً بعمامة صوف، وصلى عليه وصلى الناس بصلاته، ثم سلَّم وانصرف فتوارى عن الناس، وكان بعض الفضلاء من أهل العراق ممن حضر الجنازة ميزه بصفاته ولم يعرفه إلى أن سمع بعضهم بالليل هاتفاً يقول لهم: إن ذلك الرجل الذي صلَّى بالناس هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن إسحاق امغار الشريف جاء من المغرب الأقصى من عين القطر، وأن اللذين غسلاه هما صاحباه أبو شعيب أيوب بن سعيد بن دازمور وأبو عيسى وازجيح، فلما سمعوا بذلك عملوا الرحلة من العراق إلى صنهاجة أزمور بالمغرب الأقصى، فلما وصلوا إليهم واستوهبوا منهم الدعاء انصرفوا إلى العراق وأخبروا متصوفة العراق وأشاعوا كرامتهم، ثم أن جماعة منهم لما سمعوا بذلك أتو إلى زيارتهم فوجدوهم أولئك الذين ميزوا واستوهبوا منهم الدعاء وهو سياق غريب.

الفصل الثامن

في ذكر شيء مما رثي به بعد موته:

فمن ذلك قول أبي المظفر الأبيوردي قال يرثيه:

بكى على حجـة الإسلام حين ثـوى   من كـل حـي عظيم القـدر أشرفـه

فما لمن يجتـــزي في الله عبرتـــه | على أبي حـــامـــد لاح يعنفـــه
تلك الرزية تستوهـي قـوى جلـدي | والطـرف تسهـره والدمـع تنـزفـه
فما لـه خلـة في الزهـد تنكـرهـا | ومـا لـه شبـه في العلم تعـرفـه
مضى فـاعظـم مفقـود فُجعـت بـه | مـن لا نظير لـه في النـاس يخلفـه

وقال القاضي عبد الملك بن أحمد بن محمد بن المعافي:

بكيـت بعين واجـم القلـب واله | فتى لم يـوال الحـق مـن لم يـواله
وسيبـت دمعـاً طـالما قـد حبستـه | وقلـــت لجفنـي والـه ثم والـه
أبا حامـد محيي العلـوم ومـن بقـى | لشـدّ عـرا الإسلام وفـق مقـالـه

وفي بعض النسخ: ومن بقي صدا الدين والإسلام وفق صقاله

الفصل التاسع

في ذكر شيء من رسائله ومكاتباته إلى أصحابه:

قال ابن السمعاني: قرأت في كتاب كتبه الغزالي إلى أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل فقال في خلال فصوله: أما الوعظ فلا أرى نفسي أهلاً له لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعـاظ، فمـن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد الثوب كيف يستر به غيره:

ومتى يستقيم الظل والعود أعوج.

وقد أوحى الله إلى عيسى عليه السلام عظ نفسك، فإن اتعظت فعظ الناس والاَّ فاستحي مني. وقال ابن السمعاني أيضاً: سمعت أبا نصر الفضل بن الحسن بـن علي المقـري مـذاكـرة بمرو يقـول: دخلت على الإمام أبي حامد مودعاً فقال لي: احمل هذا الكتاب إلى المعين أبي القاسم البيهقي، ثم قال: وفيه شكاية على العزيز المتولي للأوقاف بطوس، وكان ابن أخي المعين فقلت له كنت بهراة عند عمه المعين، وكان العمان الطوسي جاء بمحضر في الثناء على المعين[1] وعليه خطك، وكان عمه قد طرده وهجره، فلما رأى خطك وثناءك عليه قربه ورضي عنه، فقال الإمام الغزالي: سلم الكتاب إلى المعين واقرأ عليه هذا البيت وأنشد:

ولم أر ظلماً مثـــل ظلم ينـــالنـــا | يسـاء إلينـا ثم نـؤمـر بـــالشكـــر

ذكر الرسالة التي كتبها إلى بعض أهل عصره ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعـين. أما بعد: فقد انتسج بيني وبين الشيخ الأجل معتمد الملك أمير الدولة غرس الله تأييده بواسطة القاضي الجليل الإمام مروان زاده الله توفيقاً من الوداد وحسن الإعتقاد ما يجري مجرى القرابة، ويقتضي دوام المكاتبة

---

(١) قوله على المعين لعله العزيز كذا بهامش اهـ.

والمواصلة وإني لا أصله بصلة أفضل من نصيحة توصله إلى الله وتقربه إليه زلفى، وتحله الفردوس الأعلى، فالنصيحة هي هدية العلماء وأنه لن يهدي إلى تحفة أكرم من قبوله لها واصغائه بقلب فارغ عن ظلمات الدنيا إليها وإني أحذره إذا ميزت عنده أرباب القلوب أحرار الناس أن يكون إلا في زمرة الكرام الأكياس، وقد قيل لرسول الله ﷺ: من أكرم الناس؟ فقال: «أتقاهم» فقيل: من أكيس الناس؟ فقال: «أكثرهم للموت ذكراً وأشدهم استعداداً». وقال ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة وأشد الناس غباوة وجهلاً من تهمه أمور دنياه التي تختطف عند الموت ولا يهمه أن يعرف أنه من أهل الجنة أو النار». وقد عرفه الله تعالى ذلك حيث قال: ﴿إن الأبرار لفي نعيم★ وإن الفجار لفي جحيم﴾ [الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤] وقال: ﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا★ فإن الجحيم هي المأوى﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩] وقال: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِّ إليهم أعمالهم فيها﴾ إلى قوله: ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ [هود: ١٥، ١٦] وإني أوصيه أن يصرف إلى هذا المهم همته، وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويراقب سريرته وعلانيته وقصده وهمته وأفعاله وأقواله واصداره وإيراده أهي مقصورة على ما يقربه من الله تعالى ويوصله إلى سعادة الأبد، أو هي مصروفة إلى ما يعمر دنياه ويصلحها له إصلاحاً منغصاً مشوباً بالكدورات مشحوناً بالهموم والغموم، ثم يختمها بالشقاوة والعياذ بالله، فليفتح عين بصيرته، ولتنظر نفس ما قدمت لغد وليعلم أنه لا مشفق ولا ناظر لنفسه سواه وليتدبر ما هو بصدده، فإن كان مشغولاً بعمارة ضيعة فلينظر كم من قرية أهلكها الله وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها بعد عمالها، وإن كان مقبلاً على استخراج ماء أو عمارة نهر فليفكر كم من بئر معطلة بعد عمارها، وإن كان مهتماً بتأسيس بناء فليتأمل كم من قصور مشيدة البنيان محكمة القواعد والأركان أظلمت بعد سكانها، وإن كان معتنياً بعمارة الحدائق والبساتين فليعتبر كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم الآية. وليقرأ قوله تعالى: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين★ ثم جاءهم ما كانوا يوعدون★ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧] وإن كان مشغوفاً والعياذ بالله بخدمة سلطان فليذكر ما ورد في الخبر أنه ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم، فلا يبقى أحد منهم مدَّ لهم دواة أو بري لهم قلماً، فما فوق ذلك إلا أحضروا فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم. وعلى الجملة؛ فالناس كلهم إلا من عصم الله نسوا الله فنسيهم فأعرضوا عن التزوّد للآخرة وأقبلوا على طلب أمرين الجاه والمال، فإن كان هو في طلب جاه ورئاسة فليتذكر ما ورد به الخبر أن الأمراء والرؤساء يحشرون يوم القيامة في صور الذر تحت أقدام الناس يطؤنهم بأقدامهم وليقرأ ما قال تعالى في كل متكبر جبار. وقد قال ﷺ: «يكتب الرجل جباراً وما يملك إلا أهل بيته» أي إذا طلب الرئاسة بينهم وتكبر عليهم، وقد قال عليه السلام: «ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً من حب الشرف في دين الرجل المسلم» وإن كان في طلب المال وجمعه فليتأمل قول عيسى عليه السلام: يا معشر

الحواريين مسرة في الدنيا مضرة في الآخرة بحق أقول: لا تدخل الأغنياء ملكوت السماء، وقد قال نبينا ﷺ: يحشر الأغنياء أربع فرق رجل جمع مالاً من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار، ورجل جمع مالاً من حرام وأنفقه في حلال فيقال اذهبوا به إلى النار، ورجل جمع مالاً من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار، ورجل جمع مالاً من حلال وأنفقه في حلال فيقال قفوا هذا وسلوه لعله ضيع بسبب غناه فيما فرضناه عليه، أو قصّر في الصلاة أو في وضوئها أو في ركوعها أو سجودها أو خشوعها أو ضيع شيئاً من فرض الزكاة والحج، فيقول الرجل جمعت المال من حلال وأنفقته في حلال وماضيعت شيئاً من حدود الفرائض، بل أتيت بتمامها فيقال: لعلك باهيت بمالك واختلت في شيء من ثيابك فيقول يا رب ما باهيت بمالي ولا اختلت في ثيابي فيقال لعلك فرطت فيما أمرناك من صلة الرحم وحق الجيران والمساكين، وقصرت في التقديم والتأخير والتفضيل والتعديل ويحيط به هؤلاء فيقولون ربنا أغنيته بين أظهرنا وأحوجتنا إليه فقصر في حقنا، فإن ظهر تقصير ذهب به إلى النار وإلاَّ قيل له: قف هات الآن شكر كل نعمة وكل شربة وكل أكلة وكل لذة فلا يزال يسئل ويسئل. فهذه حال الأغنياء الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله أن يطول وقوفهم في العرصات فكيف حال المفرطين المنهمكين في الحرام والشبهات، المكاثرين به المتبعين لشهواتهم الذين قيل لهم: ﴿ألهاكم التكاثر ★ حتى زرتم المقابر﴾ [التكاثر: ١، ٢] فهذه المطالب الفاسدة هي التي استولت على قلوب الخلق تسخرها للشيطان وتجعلها ضحكة له، فعليه وعلى كل مستمر في عداوة نفسه أن يتعلم علاج هذا المرض الذي حل بالقلوب، فعلاج مرض القلوب أهم من علاج مرض الأبدان، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم، وله دواءان:

أحدهما: ملازمة ذكر الموت وطول التأمل فيه مع الأعتبار بخاتمة الملوك وأرباب الدنيا كيف جمعوا كثيراً وبنوا قصوراً وفرحوا بالدنيا بطراً وغروراً، فصارت قصورهم قبوراً وأصبح جمعهم هباء منثوراً. وكان أمر الله قدراً مقدوراً أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون، فقصورهم وأملاكهم ومساكنهم صوامت ناطقة تشهد بلسان حالها على غرور عمالها، فانظر الآن في جميعهم هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ذكراً.

الدواء الثاني: تدبر كتاب الله تعالى ففيه شفاء ورحمة للعالمين، وقد أوصى رسول الله ﷺ بملازمة هذين الواعظين فقال: تركت فيكم واعظين صامتاً وناطقاً. الصامت الموت والناطق القرآن، وقد أصبح أكثر الناس أمواتاً عن كتاب الله تعالى وإن كانوا أحياء في معايشهم، وبكماً عن كتاب الله وإن كانوا يتلونه بألسنتهم، وصماً عن سماعه وإن كانوا يسمعونه بآذانهم، وعمياً عن عجائبه وإن كانوا ينظرون إليه في مصاحفهم، وأميين في أسراره ومعانيه وإن كانوا يشرحونه في تفاسيرهم، فاحذر أن تكون منهم وتدبر أمرك وأمر من لم يتدبر كيف ندم وتحسر، وانظر في أمرك وأمر من لم ينظر في أمر نفسه كيف خاب عند الموت وخسر واتعظ بآية واحدة في كتاب الله ففيه مقنع وبلاغ لكل ذي بصيرة. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا

تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ [المنافقون:٩] إلى آخرها. وإياك ثم إياك أن تشتغل بجمع المال فإن فرحك به ينسيك أمر الآخرة وينزع حلاوة الإيمان من قلبك. قال عيسى عليه السلام: لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بحلاوة إيمانكم وهذه ثمرة مجرد النظر، فكيف عاقبة الجمع والطغيان والبطر؟ وأما القاضي الجليل الإمام مروان أكثر الله في أهل العلم أمثاله فهو قرة العين، وقد جمع بين الفضيلتين العلم والتقوى، ولكن الاستتمام بالدوام ولا يتم الدوام إلا بمساعدة من جهة ومعاونة له عليه بما يزيد في رغبته، ومن أنعم الله عليه بمثل هذا الولد النجيب فينبغي أن يتخذه ذخراً للآخرة ووسيلة إلى الله تعالى، وأن يسعى في فراغ قلبه لعبادة الله تعالى، ولا يقطع عليه الطريق إلى الله تعالى، وأول الطريق إلى الله تعالى طلب الحلال والقناعة بقدر القوت من المال وسلوك سبيل التواضع والنزوع من رعونات أهل الدنيا التي هي مصائد الشيطان هذا مع الهرب من مخالطة الأمراء والسلاطين، ففي الخبر أن الفقهاء أمناء الله ما لم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا فيها فاتهموهم على دينكم، وهذه أمور قد هداه الله إليها ويسرها عليه، فينبغي أن يمده ببركة الرضا ويمده بالدعاء فدعاء الوالد أعظم ذخراً وعدة في الآخرة الأولى، وينبغي أن يقتدي به فيما يأمره من النزوع عن الدنيا، والولد وإن كان فرعاً فربما صار بمزيد العلم أصلاً، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك﴾ [مريم: ٤٣] الآية. وليجتهد أن يجبر تقصيره في القيامة بتوقيره ولده الذي هو فلذة كبده، فأعظم حسرة أهل النار في القيامة فقدهم في القيامة حميماً يشفع لهم. قال الله تعالى: ﴿فليس له اليوم ههنا حميم﴾ [الحاقة: ٣٥] أسأل الله أن يصغر في عينه الدنيا التي هي صغيرة عند الله، وأن يعظم في عينه الذي هو عظيم عنده، وأن يوفقنا وإياه لمرضاته ويحله الفردوس الأعلى من جناته بمنه وفضله وكرمه.

الفصل العاشر

في ذكر شيء من فتاويه غير ما تضمنته فتاويه المشهورة:

سُئل ما قوله فيمن يغتاب كافراً أيأثم بذلك أم لا؟ وهل يفترق الحال بين الذمي والحربي، وفيمن يغتاب مبتدعاً بغير بدعته أيحرم أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق: الغيبة المنهي عنها هي أن يذكر المغتاب بما يكرهه إذا سمعه، وإن كان صادقاً وهو في حق المسلم محذور لثلاث علل. احداها: ما فيه من الإيذاء إن سمعه أو يضيق بسببه إن لم يسمعه، والثانية: إن فيه تنقص ما هو فعل الله تعالى فإن الله عز وجل هو خالق الخلق وهو خالق صفاتهم وأفعالهم وأخلاقهم حتى ينهي بسبب هذا عن مذمة الأطعمة الرديئة وتنقصها. والثالثة: إنه يضيع الوقت بما لا يعني وهو جار في النطق بما ليس فيه غرض صحيح، والعلة الأولى تقتضي التحريم فإن إيذاء المسلم حرام، والثانية تقتضي الكراهة وهو يطرد في الأطعمة والحيوانات، والثالثة يقال أن تركه أولى وهو رتبة دون الكراهة فهم ذلك من قوله ﷺ: « من حَسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » فإذا فهم هذا في المسلم فالكافر إن كان حربياً.

فإيذاؤه ليس بحرام إذ لا عصمة له فتزول علة التحريم ويبقى أنه تنقص لما هو من خلق الله تعالى، فإن كان ذلك تعرضاً لذميم أخلاقه لا لنشأة خلقته وانضم إليه الأشعار، وقال ذلك من أثر ضلاله وكفره تنفيراً عن الكفر وتحقيراً له ببيان أنه مما ينتج الأخلاق السيئة، فهـذا لا كراهية فيه وإن لم يكن على هذا القصد ولا مع هذا الإشعار ولم تكن فيه فائدة التنبيه من تحذير وتحقير فالكراهة فيها أخف، وإنما لا تستشعر النفس فيها كراهة لأنه يسبق إليها إن مذمته مذمـة الكفر وإشارة إليه، وقد سبق أن ذلك لا بأس به وهذا بأن يكون مندوباً أشبه من أن يكون مكروهاً، وأما التعرض لبشرة خلقته فالكراهة فيها أخف من التعرض للأطعمة والبهائم لأنه مما استحق إيذاؤه ويمكن أيضاً أن يوهم أن ذلك من شؤم ضلاله وأنه عذاب له على كفـره، وأما الذمي فهو كالمسلم فيما يرجع إلى المنع من الإيذاء لأن الشرع عصم عرضهم كما عصم دمهم وأموالهم، وأما المتبدع إن كفر فهو كالحربي وإن لم يكفر فهو كالمسلم، وأما ذكره ببدعته فليس مكروهاً، وكذا ذكر أخلاقه في معرض التعليل بشؤم البدعة فلا بأس به، فأما ذكره خلقته فلا وجه له والله أعلم كتبه الغزالي.

وسئل ما يقول أدام الله علوه هل يجوز الغرس في المسجد أم لا ؟ وإن غرس فالفاكهة الحاصلة منها من يملكها، وإن غرس على أن تكون الفاكهة مباحة للمسلمين هل يجوز أم لا ؟

الجواب وبالله التوفيق: ينظر إلى الغارس، فإن غرس لنفسه منع منه مهما كان قصده الانتفاع بالمسجد، فإن فعل وحصلت الفاكهة فهي له وعليه أجرة المثل للمسجد لأنه استوفى منافعه فهو كما لو أحرق خشباً من المسجد تلزمه الغرامة، ويجوز الاكل من الفاكهة بإذن المالك ما دام حياً، فإذا مات قبل اداء الأجرة تعلق حق الأجرة بالشجرة والثمرة وصار مرهوناً فلا يجوز الأكل منه بالاذن السابق فإنه متعلق بحق المسجد وان غرس على أن يكون الغراس للمسجد وينصرف الريع إلى مصالحه، فذلك غير جائز إلا أن يكون المسجد واسعاً وتكون فيه فائدة للمصلين بالاستظلال إن لم يكن فيه ما يجمع من الطيور ما ينجس المسجد فيرخص فيه، كما في بناء السقف فإن فائدة الاستظلال من الشمس مقصودة، وما يشغله الشجرمن عرصة المسجد أقل مما تشغله الحيطان، فأما إذا غرس على أن يكون وقفاً على قوم لا تعلق لهم بالمسجد فيمنع منه كما لو غرس لنفسه، إذ لا يجوز صرف منافع المسجد إلاّ إلى مصلحة المسجد ومصلحة قيام الصلاة فيه، وإن غرس على أن يكون وقفاً على المجاورين والمصلين فيه فهذا له تعلق بالمسجد محتمل جوازه، ويمكن أن لا يجوز صرف مال المسجد إذا فضل من مصالحها إلى المجاورين وإن جاز صرفها إلى الإمام والمؤذن، فمن هذا الوجه يكاد يلتحق المجاور بسائر المسلمين، وإن أشكل الأمر ولم يدر أنه على نية قصد فالأصل بقاؤه على ملكه فيجعل كأنه غرسه لنفسه، فعلى المتولي قلعه لأنه لا سبيل إلى تركه مجاناً ولا إلى تركه للأجرة، فإن ذلك اختيار لبيع المنفعة في المستقبل بخلاف ما حصل فواته في الماضي، فـإن غـرامـة ذلـك تشبـه غـرامـة اتلاف الوقـف والمستولدة، وأما التبقية اختياراً بالأجرة فشبه إجارة المسجد وبيع الوقف والمستولدة، فينبغي أن يرد ما فضلُ من الأجرة بعد القلع إلى المالك أو وارثه، وإن كان الغارس قد مات ولم يبق له

وارث فهو متعلق أجرة المسجد فيؤخذ للمسجد بدل ما وجب من الأجرة، فإن فضل شيء أو لم تكن أجرة باقية فهو مال المصالح فإن رأى القاضي من المصلحة أن يتركه ويجعله وقفاً على المسجد فله ذلك، وإن كان في المصالح ما هو أهم من المسجد وكان للمسجد فائدة بابقائه للاستظلال وأراد بقاءه ليأخذ من فاكهته للمسجد بقدر الأجرة يصرف الفاضل إلى المصالح، فهذا قد يصادم فيه محذوران. أحدهما: قلعه مع أنه فيه فائدة للإستظلال كما في البناء، والآخر: إبقاؤه بالأجرة وكأنه إجارة والأليق بمصلحة الجوانب الرخصة في الإبقاء، إذ ليس في قلعه للمسجد فائدة وله في إبقائه فائدة، ومع هذا فلو اتسع خطة المسجد وأراد المتولي أن يزرع بعض جوانب المسجد فيتخذه مستغلاً للمسجد، أو يجعل بعض بيوته مستغلاً لم يجز، لأن ذلك اكتساب مال المسجد وليس في نفس الزرع للمصلين فائدة بخلاف الشجرة ذات الظل، فإنها تقوم في دفع حر الشمس عن المصلين مقام السقف فلأجل ذلك رخص في غرسه وإبقائه عند اتساع المسجد والله أعلم. كتبه الغزالي.

وسُئل: ما قوله دام علوه في المصلى المبني لصلاة العيد خارج البلد أله حكم المسجد في الأحكام أم لا. وإن لم يكن فما سببه ولم يبن الا للصلاة؟

الجواب وبالله التوفيق: لا يثبت له حكم المسجد في الاعتكاف ومكث الجنب وغيره من الأحكام، لأن المسجد هو الذي أعد لرواتب الصلاة وعين له حتى لا ينتفع به في غيرها وموضع صلاة العيد معد للإجتماعات ولنزول القوافل ولركوب الدواب ولعب الصبيان ولم تجر عادة من سلف بالمنع من شيء من ذلك فيه، فلو اعتقدوه مسجداً لصانوه عن هذه الأسباب ولقصد لإقامة سائر الصلوات، فصلاة العيد تطوّع وهو أيضاً لا يكثر تكرره ولا يبنى ذلك لقصد الصلاة بل للإجتماع، وتكون كالتبع في القصد والله أعلم كتبه الغزالي.

وسُئل: ما قوله دام علوه فيما أقطع رسول الله ﷺ تميماً الداري رضي الله عنه من الشام قبل أن ملكه أهل الإسلام، ما وجه صحته مع أنه جرى قبل الملك ولم يتصل به القبض ولم يحو تحديد محل الاقطاع، وهل يجوز للإمام أن ينتزع ذلك من يد أولاده، ومتى يحصل الملك للمقطع؟ يتفضل بشرح القول فيه.

الجواب وبالله التوفيق: ذلك الإقطاع صحيح، والملك حاصل لتميم الداري ومنتقل إلى أعقابه بالوراثة، ووقت حصول الملك عند تسليم الإمام المستولى عليه إليه، ووجه صحته أنه كان ﷺ مختصاً بالصفايا من المغنم حتى كان يختار من المغنم ما يريد ويرفع ملك المسلمين عنه بعد استيلائهم، وكذلك له أن يستثني نفعه من ديار الكفار عن ملك المسلمين ويعينه لبعضهم فيصير ملكاً له، ويكون سبب الملك تسليم الإمام أمر رسول الله ﷺ بالتسليم، وقد نقل أمثال ذلك من التخصيصات قبل الاستيلاء وليس ذلك لغيره من الأئمة، فإنه كان ﷺ مطلعاً بالوحي على ما سيملك في المستقبل وعلى وجه المصلحة في التخصيص والاستثناء وغيره لا يطلع عليه، وأما قول من قال لا يصح اقطاعه لأنه قبل الملك فهو كفر محض إذ يقال له هل حل لرسول الله ﷺ فعله

أو كان ظالماً بتصرفه قبل الملك ، فإن جعله ظالماً فقد كفر ، وإن قال حل له ذلك ولكن الملك لا يحصل به فيقال : وهل علم أن الملك لا يحصل به أم لا ؟ فإن قال إنـه لم يعلم فقـد جهلـه بحكـم الشرع وهذا كفر ، وإن قال علم ذلك فيقال لا يبقى لاقدامه عليه مع العلم ببطلانه إلا تطييب قلب تميم الداري بما لا حاصل له ولا طائل تحته وهو محض الخداع أو التلبيس ، ومن نسبه إلى شيء من ذلك فهو كافر ، وأما قوله : إن القبض لم يتصل به فهو باطل من وجهين :

أحدهما : أن أفعال رسول الله ﷺ حجة تتعرف بها شروط الأفعال ، فأما أن يتحكم عليها بالشرط فلا ، ففعله يبين أن ذلك ليس بشرط وهو كما لو نكح بغير ولي ولا شهود أو يبين به ان ذلك خاصيته ونكاح تسع نسوة من هذا القبيل ، بل لو أقطع مثلاً زوجة مسلم لمسلم آخر لوجب أن يقال قد أوحى إليه أنها حرمت على زوجها وحلت للآخر فإن فعله ﷺ نص في الجواز .

والثاني : ان الاقطاع ليس بتمليك في الحال حتى يشترط اتصاله بالقبض ، بل هو كما لو أقطع الإمام بعض أراضي الموات ليحييه المقطع فإنه لا يملكه إلا بالاحياء ، وفي الحال لا يملكه والقبض ليس شرطاً في صحة هذا التخصيص ، وأما ذكر الحد فليس شرطاً للصحة لاسيما في الأمور السلطانية ، وإنما يشترط للتسليم وللإمام عند التسليم أن يعوّل فيه على الاشتهار وله أن يسامح فيما يقع منه في محل الاشتباه ، فإن مبنى هذه الأمور على المساهلات بخلاف التصرفات الجزئية والله أعلم كتبه الغزالي .

وسئل : ما قوله دام علوه فيمن له ادرار من سلطان العصر اتقبل شهادته أم لا ، فإن لم تقبل فما حكم القضاة الذين لهم ادرار من السلطان أمنعزلون أم لا ؟

الجـواب وبالله التوفيق : ادرار السلطان منقسم إلى ما هو حلال كالجزية والفيء ، فأخذ ذلك لا يوجب الفسق إن كان الآخذ ممن تقتضي مصلحة بوجه من الوجوه أن يصرف إليه ، ومهما كان من مظنة المصلحة واتصل به اجتهاد السلطان فلا يفسق ، فأما الذي ليس بفقـير ولا مرتب لعمل ولا مصلحة للناس مثل كونه فقيهاً أو طبيباً أو معلماً أو غـيره ، بل هو بطال في نفسه عن هذه الأشغال غير مفتقر أيضاً إليه ، فأخذ ذلك لا رخصة فيه وآخذه فاسق لا تُقبل شهادته ، وأما الفقيه ومن يجري في مجراه فهو على الجملة من قبيل من يصرف إليه مال المصالح وإن كتب له ادرار على ملك للسلطان أحياه أو اشتراه لم يفسق بأخذه وإن لم يكن من أهل مـال المصـالـح ، فـإن ذلك ينزع وما يثبت عن ملك اشتراه السلطان في الذمة هو ملكه ، وإن كان الثمن الذي فيه لم يكن من حله فالثمن في ذمته بعد ، والثابت من الأرض ملكه وإنما اجتنابه من الورع ، وإن كتب الادرار على الخزانة وهي جامعة للخراج المأخوذ من المسلمين وهو حرام وللجزية والفيء والمواريث وهي حلال وللهدايا وهي في محل الإجتهاد أعني هدايا الملوك فإن كان الغالب على مال ذلك السلطان جهات الحل لم يفسق بأخذه ، وكذا إذا لم يكن جانب التحريم غالباً إلا أن يعلم عين ما يأخذه على الخصوص من جهة محرمة وإن كان الغالب الحرام ، ولكن احتمل أن يكون ما

يأخذه قد وقع من جملة ما يحل فهذا أصل قد عارضه غالب إذ الأصل في الأموال الحل وفي الأيدي الدلالة على الملك، وقد عارضه الغالب فهو قريب من قول الشافعي رضي الله عنه في تعارض الأصل والغالب في النجاسات كطين الشوارع وغيره، ولكن لما توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية والغالب النجاسة، ثم كانوا اذا رأوا احتمال التحريم في المأكول إلى هذا الحد يتفحصون عنه دلَّ على أن الأمر في الحل والحرمة أضيق منه في الطهارة والنجاسة، فهذا في محل الاجتهاد والرأي فيه إلى القاضي، والأولى أن لا ترد شهادته إن كان يأخذ مثل ذلك عن حاجة وان ترد شهادته إن كان يأخذه مع الاستغناء، وإذا أخذ القاضي من الادرار ما قضينا بالتفسيق فيه فيتعين على السلطان عزله، ولكن لا يحكم بانعزاله لأجل المصلحة، فإن استمرار الولاية لو اشترط فيه استمرار العصمة من موجبات الفسق مع أن الشهوات غالبة والشيطان بالمرصاد لأدى ذلك إلى أن لا يدوم قضاء قاض إلا ساعة قريبة، فنقضي باطراد الولاية ووجب العزل والاستبدال مهما ظهر ذلك للسلطان والله أعلم كتبه الغزالي.

وسُئل: ما قوله دام علوه في المنتصبين على أبواب السلاطين والوزراء من أرباب الحشمة والجاه من العلماء وغيرهم لقبض ادرارات الناس وتسويفاتهم ودفع ظلاماتهم وقضاء حقوقهم طمعاً في مال صاحب الحق إذا قضى حقه. أيحل له ذلك المال أو لا. وكيف يحل له؟ وربما لم تصدر منه إلا كلمة واحدة يشفع بها إلى السلطان فقط فهذا مقابلة الجاه والحشمة بالمال فما طريق حله له، وما معنى الرشوة المحرمة في الشرع، وان لم يحل لهم هذا أصلاً فربما أفضى ذلك إلى حرج إذ لا غنية بالناس عن ذلك، وهل يفترق الحال بين أن يتعب هذا الرجل في قبض الادرار في تكرير المراجعة والمطالبة وتكثير التقاضي والإلحاح أو لا يتعب، بل يتكلم على سبيل الشفاعة؟

الجواب وبالله التوفيق: أنه إن كان السعي الملتمس منه حراماً لم يحل أخذ المال عليه، وإن كان فرض عين عليه مثل إقامة الشهادة على من ظلمه أو ما يجري مجراه لم يحل أخذ المال، وإن كان من قبيل فرض الكفايات في دفع الظلامات أو كان مباحاً نظر: فإن كان فيه تعب بحيث لو كان الفعل معلوماً لصح الإستئجار عليه جاز أخذ المال عليه بطريق الجعالة، وإن لم يكن فيه تعب نظر. فإن لم يكن فيه ابتذال حشمة وجاه لم يحل أخذ المال فإن مقابلة ما لا يتقوّم بالمال غير جائز، وإن كان المتبادل يحتاج إليه حتى لو اشترى حبة حنطة ليجعلها في فخ طائر حيث لا يجد غيرها لم يجز، وصورة هذا أن لا يلتمس منه إلا وضع القصة بين يدي السلطان، أو أن يقول للبواب لا تغلق الباب دونه، فهذه الكلمة الخفيفة لا يجوز أخذ جعل عليها وان كان فيه تبذل من حيث الحشمة، ولكن الفعل قليل في نفسه فهذا في محل النظر، والأشبه المنع من مشارطة الجعل عليه، فإن تجويزه لا مستند له إلا تخلية الناس والتراضي في المعاوضات وبذل المال في مقابلة ما فيه عوض ولا خلاف في أنه لا يجوز مقابلة المال باسقاط حق الشفعة وخيار الرد وأمور أخر فيها اعراض، فهذا يدل على أن المال إنما يشترط في مقابلة بضع أو مال أو عمل متقوم والجاه ليس من هذا القبيل، وأما مسيس الحاجة إليه فالطريق فيه ترك المشارطة للجعل وهو العادة، ولا يمتنع على ذي الجاه أن يقبل هدية من المحتاج بطريق الهبة وإن كان يعلم إنه لم يبذله

إلا طمعاً في معونة، ولكن قوله عليه السلام: « تهادوا تحابوا ». وقوله تعالى: ﴿فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ [النساء: ٨٦] يوجب الرخصة فإن المهدي يستجلب محبة المهدى إليه وبواسطة المحبة يستحثه على بذل الجاه في مقابلته، فهذه هبة تقتضي ثواباً بقرينة الحال. والصحيح أن ذلك جائز وإن الثواب واجب في مثل هذه الصورة، فلربما يهدي الفقير إلى ذي الجاه طمعاً في أن يمكنه من أن يمشي بين يدي فرسه في معرض الغلمان ليكون له بالانتساب إليه جاه، فيحصل لذي الجاه بخدمته زيادة جاه مع المال، ولا يمكن أن يجعل ذلك معاوضة ولا يمنع التوصل إلى مثل ذلك بالهدية، بل أقول: يحل للقاضي أن يقبل الهدية وإن كانت لا تهدى إليه لو لم يكن قاضياً، ولكن إنما يجوز إذا علم أن المهدي يبغي مودته وحشمته وعنايته في أمور لا تحرم عليه ولا تجب وجوب عين بحكم القضاء، وإنما الرشوة المحرمة التي يبذلها صاحبها جعلا على حكم بالحق واجب أو ميل بالظلم محرم، ولذلك قال عمر رضي الله عنه لابن مسعود وقد ولاَّه بلداً: أجب الداعي ولا تقبل الهدية وليس بحرام، ولكني أخشى عليك القيل والقال، وإذا منعنا المشارطة بطريق الجعالة في مثل هذا فيتعدى النظر في مثل بذل الجعل على فعل لا تعب فيه، ولكنه عظيم الجدوى بسبب علم صاحبه، فرب سيف ومنواله معوج تتضاعف قيمته بدقة واحدة من بصير بمحل الدق، والأشْبَـه أن انضمام العلم إلى الفعل القليل لا يكون كانضمام الجاه، وإن أخذ الجعل على هذا يجوز فإن هذه صناعة مكتسب لكسب المال، ودون هذا ما لو علم الطبيب دواء ولم يذكره إلا بجعل فأخذ المال على مجرد التنبيه عليه من غير عمل باليد فيه نظر. وهو بين مسألة السيف ومسألة بذل الجاه في كلمة والله أعلم كتبه الغزالي. نُقلت هذه الفتاوى أجمعها من خط الإمام أبي الفضل محمد بن محمد بن الفضل بن المظفر العبدي البحراني وقال: فرغت من نسخه في تاسع محرم سنة ٥٦٤ بدمشق.

الفصل الحادي عشر

في بيان حال المنتسب إليه:

قال صاحب تحفة الإرشاد نقلاً عن الإمام النووي في دقائق الروضة: التشديد في الغزالي هو المعروف الذي ذكره ابن الأثير، وبلغنا أنه قال: منسوب إلى غزالة بتخفيف الزاي قرية من قرى طوس. قلت: وهكذا ذكره النووي أيضاً في التبيان، وقال الذهبي في العبر، وابن خلكان في التاريخ: عادة أهل خوارزم وجرجان يقولون القصارى والحبارى بالياء فيهما فنسبوه للغزل، وقالوا: الغزالي ومثل ذلك الشحامي، وأشار لذلك ابن السمعاني أيضاً وأنكر التخفيف، وقال: سألت أهل طوس عن هذه القرية فأنكروها وزيادة هذه الياء قالوا للتأكيد، وفي تقرير بعض شيوخنا للتمييز بين المنسوب إلى نفس الصنعة وبين المنسوب إلى من كان صنعته كذلك، وهذا ظاهر في الغزالي فإنه لم يكن ممن يغزل الصوف ويبيعه، وإنما هي صنعة والده وجده، ولكن في المصباح للفيومي ما يؤيد التخفيف، وأن غزالة قرية بطوس وإليها نُسب الإمام أبو حامد. قال: أخبرني بذلك الشيخ مجد الدين بن محمد بن أبي الطاهر شروان شاه بن أبي الفضائل فخراور بن

عبيدالله ابن ست المنا بنت أبي حامد الغزالي ببغداد سنة عشر وسبعمائة، وقال لي أخطأ الناس في تثقيل جدنا وإنما هو مخفف، وقال الشهاب الخفاجي في آخر شرح الشفا، ويقال أنه منسوب إلى غزالة ابنة كعب الأحبار، وهذا إن صح فلا محيد عنه، والمعتمد الآن عند المتأخرين من أئمة التاريخ والأنساب أن القول قول ابن الأثير انه بالتشديد، وسمعت شيخنا القطب السيد العيدروس نفع الله به يقول: إنه هكذا سمعه من لسان النبي ﷺ في واقعة منامية، وعليه أنشدنا شيخنا المرحوم عبد الخالق بن أبي بكر الزجاجي بزبيد لأحد شعراء اليمن وقد أجاد:

ما للعواذل في هواك ومالي	روحي فداك يا حبيب ومالي
غزال طرفك إن رنا أحيابه	وكذلك الإحياء للغزالي

الفصل الثاني عشر

في بيان من تكنى بأبي حامد من شيوخ مذهبه قبله:

أوّل من رأيت ممن تكنى به. منهم أحمد بن بشر بن عامر العامري القاضي أبو حامد المروزي توفي سنة ٣٦٢، وأحمد بن محمد بن إسماعيل بن نعيم الفقيه أبو حامد الطوسي الإسماعيلي حدث بالطابران قصبة طوس توفي سنة ٣٤٥، وأحمد بن محمد بن الحسن الحافظ أبو حامد أبي الشرقين صاحب مسلم توفي سنة ٣٢٥، وأحمد بن محمد بن شارك الفقيه أبو حامد الشاركي الهروي توفي سنة ٣٥٥، وأحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر الفقيه أبو حامد الهمداني توفي سنة ٤٩١، وأحمد بن علي بن حامد البيهقي أبو حامد توفي سنة ٤٨٣، وأحمد بن محمد بن أحمد الشيخ أبو حامد الاسفرايني شيخ طريقة العراق توفي سنة ٤٠٨، وأحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن شجاع الشجاعي السرخسي أبو حامد توفي سنة ٤٥٨، وأحمد بن محمد الشيخ أبو حامد الغزالي الكبير. قال ابن السبكي: قد وقع الخبط في أمر هذا الرجل وجهل أكثر الخلق حاله، وقد سألت عنه شيخنا الذهبي ممن هذا لما كنت أقرأ عليه طبقات الشيخ أبي إسحاق وذكره في قدماء الشيوخ فقال: هذا زيادة من الناسخ فإنا لا نعرف غزالياً غير حجة الإسلام وأخيه، ويبعد كل البعد أن يكون ثم آخر، فقلت: ثَم دليل قاطع على أنه لم يرد حجة الإسلام فقال: ما هو؟ قلت: قوله لم يحضرني تاريخ وفاته فإن هذا دليل منه على أنه لم يرد حجة الإسلام لأنه كان موجوداً بعد موت الشيخ. قال: صحيح. ثم ذكرت ذلك لوالدي فذكر نحواً مما ذكره الذهبي حتى وقفت على كتاب الأنساب لابن السمعاني في ترجمة الزاهد أبي علي الفارمدي على أنه تفقه على أبي حامد الغزالي الكبير، ثم رأيت كتاب المطوعي في شيوخ أبي علي الفارمدي ذكر أبا حامد هذا ووصفه بالتقدم. وقال؛ وله ابن اسمه أحمد وكنيته أبو حامد فاق والده في العلم، بلغني أنه قريب حجة الإسلام عم أبيه أخو جده. وحكى محمد بن محمد الجمالي ان قبر هذا معروف بمقبرة طوس وأنهم يسمونه الغزالي الكبير يستجاب عنده الدعاء، ومنهم أحمد بن محمد أبو حامد الرازكاني الطوسي أحد أشياخ المصنف.

تنبيه:

قد عرف مما تقدم أنه لا يعرف بالغزالي إلا الشيخ وعّمه الكبير، وقد وجدت أنا رجلين من أهل عصره يعرفان بذلك. أحدهما عبد الباقي بن محمد بن عبد الواحد الفقيه أبو منصور الغزالي تفقه على الكيا الهراسي، وروى عنه الحافظ أبو طاهر السلفي توفي سنة ٥١٣. والثاني علي بن معصوم بن أبي ذر أبو الحسن الغزالي من أهل المغرب شافعي المذهب ولد سنة ٤٩٦ وتوفي باسفراين سنة ٥٥٥، ثم وجدت رجلاً آخر تأخر زمانه وهو العلاء علي بن أحمد الغزالي مؤلف ميزان الاستقامة لأهل القرب والكرامة توفي سنة ٧٢١.

الفصل الثالث عشر

في شيوخه في الفقه والتصوّف والحديث:

أوّل مشايخه في الفقه كما تقدم الإمام أبو حامد أحمد بن محمد الرازكاني الطوسي، ثم أبو نصر الإسماعيلي، ثم إمام الحرمين قرأ على الأوّل بطوس وعلى الثاني بجرجان وعلى الثالث بنيسابور. وفي التصّوف الإمام الزاهد أبو علي الفضل بن محمد بن علي الفارمدي الطوسي من أعيان تلامذة أبي القاسم القشيري صاحب الرسالة توفي بطوس سنة ٤٧٧، ومن مشايخه أيضاً يوسف السجاج، وفي الحديث أبو سهل محمد بن أحمد بن عبيدالله الحفصي المروزي، والحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي، وأبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد الخواري خوار طبران، ومحمد بن يحي ابن محمد السجاعي الزوزني، والحافظ أبو الفتيان عمر بن أبي الحسن الرؤاسي الدهستاني، ونصر بن إبراهيم المقدسي على قول الذهبي، وقال غيره لم يدركه. فهؤلاء شيوخه في العلوم الثلاثة، ولم أطلع على أسماء شيوخه الذين قرأ عليهم في الكلام أو الجدل، فإن عثرت على شيء من ذلك بعد ألحقت به إن شاء الله تعالى، وأما علوم الفلسفة فلا شيخ له فيها كما صرح بذلك في كتابه المنقذ من الضلال.

الفصل الرابع عشر

في تفصيل ما سمع من هؤلاء ورواه عنهم:

قال ابن السمعاني: لما عاد إلى وطنه كانت خاتمة أمره الإقبال على طلب الحديث ومجالس أهله وقراءته ونسخه، واستدعى الحافظ أبا الفتيان عمر بن أبي الحسن الرؤاسي إلى طوس وأكرمه واغتنم أيامه وسمع منه الصحيحين، وما أظن أنه حدث بشيء وإن حدث فيسير، لأن رواية الحديث ما انتشرت عنه. وذكر الحافظ ابن عساكر أنه سمع صحيح البخاري عن أبي إسماعيل الحفصي، وقال ابن النجار في تاريخه: ولم يكن له إسناد ولا طلب شيئاً من الحديث، ولم أر له إلاّ حديثاً واحداً، وقول ابن النجار كأنه يشير إلى أوّل أمره، فإن اقباله كان إذا ذاك على تحصيل الفنون، وفي سياق الذهبي في ترجمته، ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ وتكلم

على لسان أهل الحقيقة وحدث بكتاب الاحياء، وقال عبد الغافر: وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ، ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم اللذين هما حجة الإسلام، ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام ليستفرغ في تحصيله، ولا شك أنه سمع الحديث في الأيام الماضية، واشتغل في آخر عمره بسماعها، ولم تتفق له الرواية ولا ضرر، وفيما خلفه من الكتب المصنفة في الأصول والفروع وسائر الأنواع يخلد ذكره، وتقرر عند المطالعين المستفيدين منها أنه لم يخلف مثله بعده. قال: وسمعت أنه سمع من سنن أبـي داود السجستاني عن الحاكم أبي الفتح الحاكمي الطوسي، وما عثرت على سماعه، وسمع من الأحاديث المتفرقة أيضاً إتفاقاً مع الفقهاء، فمما عثرت عليه مما سمعه من كتاب مولد النبي ﷺ من تأليف أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني رواية الشيخ أبي بكر أحمد بن محمد بن الحرث الأصبهاني، عن أبي محمـد عبـد الله بن محمد بن جعفر بن حبان، عن المصنف، وقد سمعه الغزالي من الشيخ أبي عبدالله محمد بن أحمد الحواري مع ابنيه الشيخين عبد الجبار وعبد الحميد وجماعة من الفقهاء ومن الرواية عن حجة الإسلام.

أخبرنا المسند عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبدالله بن سالم بن محمد، وأحمد بن محمد بن أحمد، والحسن بن علي بن يحيى قالوا: أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء، أخبرنا النور علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن عبدالله الأرميوني، ويوسف بن زكريا، وأحمد بن محمد بن أبي بكر قالوا: أخبرنا الحافظ محمد بن عبدالرحمن، أخبرنا محمد بن عبد الرحيم بـن محمد الحاكم، أخبرنا أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، قرأت على أبي عبدالله محمد بن أحمد الحافظ في سنة ٧٤٣. أخبرني الحافظ أبو محمد الدمياطي، عن الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، أنبأنا أبو المتضور فتح بن خلف السعدي، أخبرنا الإمام شهاب الدين أبو الفتح محمد بن محمود الطوسي، أخبرنا محيي الدين محمد بن يحيى الفقيه، أخبرنا حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، حدثنا الشيخ محمد بن يحيى بن محمد السجاعي الزوزني بزوزن في داره قراءة عليه، حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد، حدثنا أبـو القاسم أحمد بن عبدالله بن عامر الطائي بالبصرة، حدثني أبي في سنة ٢٦٠. حدثني علي بن موسى الرضي في سنة ١٦٤. حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد ابن علي، حدثني أبي علي بن الحسين، حدثني أبي الحسين بن علي، حدثني أبي علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «يظهر قوم لا خلاق لهم في الدنيا شابهم فاسق وشيخهم مارق وصبيهم عارم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بينهم مستضعف والفاسق والمنافق بينهم مشرف إن كنت غنياً وقروك وإن كنت فقيراً حقروك همازون لمازون يمشون بالنميمة ويدسون بالخديعة. أولئك فراش نار وذباب طمع، وعند ذلك يوليهم الله أمراء ظلمة ووزراء خونة ورفقاء غشمة وتوقع عند ذلك جراداً شاملاً وغلاءً متلفاً ورخصاً مجحفاً ويتتابع البلاء كما يتتابع الخرز من الخيط إذا انقطع». قال ابن السبكي: هذا حديث ضعيف واه.

قلت: ذكر ابن النجار في تاريخه عن الدارقطني، عن أبي حاتم البستي في كتابه، قال علي بن

موسى الرضي: يروي عن أبيه العجائب، وكان يهيج ويخطىء، وقال الذهبي في الديوان علي بن موسى له عجائب عن أبيه عن جدّه، وقال في الذيل مثل هذه المقالة عن ابن طاهر، ثم قال: قلت الشأن في صحة الإسناد إليه رحمة الله عليه.

ومن مرويات الغزالي من نسخة المولد بالسند إليه قال: أخبرنا أبو عبدالله الحواري، أخبرنا أبو بكر الأصبهاني، أخبرنا أبو محمد بن حبان، أخبرنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي؟ حدّثنا عبد العزيز بن أبي ثابت، حدّثنا الزبير بن موسى، عن أبي الحويرث قال: سمعت عبد الملك بن مروان قال: قيل لغياث بن أشيم الكناني أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال: رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسن منه. ولد رسول الله ﷺ عام الفيل هكذا نقله عبد الغافر. قال: وتمام الكتاب في جزأين مسموع له.

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير في طبقاته: قرأت على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزني قلت: أخبرنا الشمس أبو عبدالله محمد بن عبدالرحيم المقدسي قراءة عليه، أنبأنا أبو المظفر عبد الرحيم بن السمعاني إذناً، أخبرنا السيد أبو القاسم عبدالله بن محمد بن الحسين الحسني الكوفي قراءة عليه، أخبرنا أبو علي الفضل بن محمد الفارمدي، أخبرنا الإمام أبو حامد أحمد بن محمد الغزالي الفقيه، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد القطان، حدثنا أبو سعيد إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز الخلال الجرجاني، حدثنا أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة، حدثنا محمد بن أبي الليث العسقلاني، حدّثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن سليمان بن مهران، عن زيد بن وهب، عن ابن مسعود رضي الله عنه، حدّثنا نبي الله ﷺ وهو الصادق المصدوق. هكذا وقع في روايتنا وهو حديث متفق على صحته. رواه الستة من طرق متعددة من حديث سليمان بن مهران الأعمش، عن زيد بن وهب، عن ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة» ثم ساق الحديث.

قلت: ولي مؤاخذتان على الحافظ ابن كثير. الأولى: هذا الحديث من رواية أبي حامد الغزالي الكبير وهو عم أبي حامد صاحب الترجمة، فكيف يورده في عداد مرويات حجة الإسلام، ومن الدليل على ذلك ان هذا اسمه أحمد وحجة الإسلام اسمه محمد، وثانياً فإن أبا علي الفارمدي شيخ حجة الإسلام لا تلميذه. والثانية: أورد في السند محمد بن أبي الليث العسقلاني وهو غلط صوابه محمد بن أبي السري، والحديث المذكور خرّجه الحافظ ابن حجر في جزء مستقل، ثم قال ابن كثير: وبالإسناد المتقدّم إلى الغزالي حدّثنا أحمد بن محمد بن عمر الخفاف، حدّثنا أبو العباس السراج، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، حدّثنا أبو الوليد، حدّثنا أبو عوانة، عن هلال الوزان، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» الحديث. قال شيخنا المزي: كذا وقع في سماعنا ليس بين أبي حامد وبين الخفاف أحد وهو خطأ قد سقط منه شيء.

قلت: وهذا كذلك من رواية عم حجة الإسلام وهو يروي عن الخفاف بلا واسطة ولم

يسقط من الإسناد شيء، وإنما يكون ذلك إذا ادعى أنه من رواية حجة الإسلام وليس كذلك.

الفصل الخامس عشر

في ذكر شيء من كلماته المنثورة البديعة مما نقلتها من طبقات المناوي وغيرها:

قال رحمه الله: الدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى، وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلتين. وقال رحمه الله: ربما وجد بعضهم في نفسه أنساً وتقريباً في عبادته ومجلسه، فظن أن يغفر بها لجميع من حضره فضلاً عنه، ولو أنه تعالى عامله بما يستحقه على سوء أدبه في ذلك لأهلكه. وقال رحمه الله: إنما تفرق كل سالك بالمنزل الذي يبلغه في سلوكه وما خلفه من المنازل، وأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علماً، بل قد يصدق به إيماناً بالغيب. وقال رحمه الله: أنوار العلوم لم تحجب من القلوب لبخل، ومنع من جهة المنعم تعالى عن ذلك بل لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب، فإنها كالأواني ما دامت مملوءة بالماء لا يدخلها الهواء والقلب المشغول بغير الله لا تدخله المعرفة بجلاله. وقال رحمه الله: أشرف أنواع العلم العلم بالله عز وجل وصفاته وأفعاله، وفيه كمال الإنسان، وفي كماله سعادته وصلاحه بجوار حضرة الجلال والكمال. وقال رحمه الله: جلاء القلوب والأبصار يحصل بالذكر، ولا يتمكن منه إلا الذين اتقوا، فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر. وقال رحمه الله: من أرتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى له الملك والملكوت في قلبه، فيرى جنة عرضها السموات والأرض. وقال رحمه الله: عالم الملكوت هو الأسرار المشاهدة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بإدراك البصر، وجملة عالم الملك والملكوت تسمى الحضرة الربوبية لأنها محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود سوى الله وأفعاله ، مملكتهُ وعبيد من أفعاله. وقال رحمه الله: مدار الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكية اشراق نور المعرفة. وقال رحمه الله: الإيمان ثلاث مراتب. الأولى إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض، والثانية إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال، والثالثة إيمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين. وقال رحمه الله: ظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن ظن صادر عن عمي في عين البصيرة نعوذ بالله منه، والعلوم العقلية دنيوية وأخروية، فالدنيوية كالطب والحساب والنجوم والحرف والصنائع، والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله وصفاته وأفعاله، وهما علمان متناقضان. أعني من صرف عنايته إلى أحدهما حتى يعمق قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر. وقال رحمه الله: مهما سمعت أمراً غريباً من أمور الدين جحده أهل الكياسة من سائر العلوم فلا ينفرنك جحودهم عن قبولها إذ محال أن يظفر سالك طريق الشرق بما في الغرب. وقال رحمه الله: تهب رياح الألطاف فتكشف الحجب عن أعين القلوب فيتجلى لها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ. وقال رحمه الله: ميل أهل التصوّف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية ولذلك لم يحرصوا على

دراسة العلم وتحصيل ما صنف المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة، وقال رحمه الله ليس الورع في الجبهة حتى تقطب، ولا في الخد حتى يصفر، ولا في الظهر حتى ينحني، ولا في الرقبة حتى تطأطىء، ولا في الذيل حتى يضم إنما الورع في القلوب أما من تلقاه ببشر فيلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه، فلا أكثر الله في المسلمين من مثله. وقال رحمه الله: قلب المؤمن لا يموت، وعلمه عند الموت لا ينمحي، وصفاؤه لا يتكدر، وإليه أشار الحسن بقوله: التراب لا يأكل محل الإيمان أما ما حصله من نفس العلم أو ما حصله من الصفاء والاستعداد بقبوله. وقال رحمه الله: العلم الباطن سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبابه، وقال رحمه الله: القرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم. وقال رحمه الله: العلم اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب ما نوى[1] من خارج. وقال رحمه الله: إذا حضر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل، وقال: أعظم أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان، وذلك فرض عين على كل جسد، وقد أهمله الخلق واستقلوا بعلوم تجر إليهم الوسواس، وتسلط عليهم الشيطان. وقال رحمه الله: مهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتآنسون فاعلم أنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، فهم خاسرون. وقال رحمه الله: كل من ادّعى مذهب إمام ولا يسير سيرته فذلك الإمام خصمه يقول له: كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان، وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا للهذيان، فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله، ثم ادعيت مذهبي كاذباً، فهذا مدخل من مداخل الشيطان أهلك به أكثر العالم. وقال رحمه الله: أشد الناس حماقة أقواهم اعتقاداً في فضل نفسه، وأثبت الناس عقلاً أشدهم اتهاماً لنفسه. وقال رحمه الله: العامي إذا زنى أو سرق خير له من أن يتكلم في العلم، فإنه من تكلم فيه من غير اتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري، كمن ركب في البحر ولا يعرف السباحة. وقال رحمه الله: أورع الناس وأتقاهم وأعملهم من لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعضهم بعين الرضا وبعضهم بعين السخط.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة.

وقال رحمه الله: مهما رأيت إنساناً سيء الظن بالله طالباً للعيوب، فاعلم أنه خبيث في الباطن، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق. وقال رحمه الله: حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارته بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة، وإلا فيكون الذكر حديث نفس ولا سلطان له على القلب ولا يدفع الشيطان. وقال رحمه الله: الروح أمر رباني ومعنى كونه ربانياً أنه من أسرار علوم من المكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره الرسول ﷺ. وقال رحمه الله: الشهوة إذا غلبت على القلب ولم تتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويدائه، وأما القلوب الخالية من الصفات المذمومة فيطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر، وإذا عاد للذكر خنس. وقال رحمه الله: كما أنك تدعو ولا يستجاب لك لفقد شرط الدعاء فكذا تذكر الله ولا يهرب الشيطان لفقد شروط الذكر. وقال رحمه الله: الشياطين جنود مجندة ولكل نوع من المعاصي

---

(١) هكذا في الأصل.

شيطان يخصه ويدعو إليه. وقال رحمه الله: الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا يرى المعنى القبيح إلا في الصورة القبيحة، فيرى الشيطان في صورة نحو الكلب والضفدع والخنزير، والملك في صورة جميلة، فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق، ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث، والشاة على إنسان سليم الباطن، وكذا كل أنواع التعبير. وقال رحمه الله: خالص الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشيء لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة، فيقتصر من أكله ونكاحه ولباسه ومسكنه على قدر الحاجة والضرورة، فإنه لو تمتع بشيء منه ألفه، وإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا ولا يتمنى الرجوع إليها إلا من لا حظ له في الآخرة. وقال رحمه الله: النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات. وقال رحمه الله: المستقل بنفسه من غير شيخ كشجرة تنبت بنفسها، فإنها تجف عن قرب، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر. وقال رحمه الله: النوم يقسي القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبباً لمكاشفة أسرار الغيب. وقال رحمه الله: لا بد للسالك من ضبط الحواس إلا من قدر الضرورة وليس ذلك إلا بالخلوة في مكان مظلم، فإن لم يكن فيلف رأسه في الجيب أو يتدثر بكساء أو إزار مثل هذه الحالة ليسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية. أما ترى أن نداء المصطفى ﷺ بلغه وهو بهذه الصفة فقيل: ﴿يأيها المدثر﴾ ﴿يأيها المزمل﴾. وقال رحمه الله: البطن والفرج باب من أبواب النار، وأصله الشبع، والذل والإنكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع، ومن غلق باباً من أبواب النار فقد فتح باباً من أبواب الجنة لتقابلهما، فالقرب من أحدهما بعد عن الآخر. وقال رحمه الله: السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن تملكه نفسه. وقال رحمه الله: الشبع يمنع العبادة واشراق القلب والفكر وينغص العيش، والجوع يدفع ذلك كله لأن قلة الأكل تصحح البدن وبكثرته تحصل فضلة الإخلاط في المعدة والعروق. وقال رحمه الله: حدّ المراء كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه والمجادلة قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه. وقال رحمه الله: من عوّد نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك عنده ألذ من كل نعيم، فلذة هذا في عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أثمار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة هذا حالهم وهم في الدنيا فما الظن بهم عند انكشاف الغطاء في العقبى. وقال رحمه الله: إن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله فأنت معذور، فالعين لا تشتاق إلى لذة الوقاع، والصبي لا يشتاق للملك، والشوق بعد الذوق، ومن لم يذق لم يعرف، ومن لم يعرف لم يشتق، ومن لم يشتق لم يطلب، ومن لم يطلب لم يدرك، ومن لم يدرك بقي من المحرومين في أسفل سافلين. وقال رحمه الله: من فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب حبه لهم مهما أحب ذلك. وقال رحمه الله: الحسد ليس مظلمة يجب الإستحلال منها، بل معصية بينك وبين الله وإنما يجب الإستحلال مما يجب على الجوارح. وقال رحمه الله: دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من أحوال قلبك فالطرف الداني منها يسمى دنيا وهي كلها قبل الموت، والمتأخر يسمى آخرة وهي ما بعده، وكل ما لك فيه حظ وشهوة عاجلة قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك. وقال رحمه الله: لا يبقى مع

العبد عند الموت إلاَّ ثلاث صفات. صفاء القلب أعني طهارته من أدناس الدنيا وأنسه بذكر الله وحبه لله، وطهارة القلب لا تحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا، والأنس لا يحصل إلا بكثرة الذكر، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة، ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر. وقال رحمه الله: ليس الموت عدماً وإنما هو الفراق لمحاب الفه للقدوم. وقال رحمه الله: معنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الإستقلال، والمنفرد بالوجود هو الله إذ لا موجود معه سواه فإن ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به. وقال رحمه الله: من لم يطلع على مكائد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عبادته تعب ضائع تفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة. وقال رحمه الله: الكبر دليل الأمن والأمن مهلك، والتواضع دليل الخوف وهو مسعد. وقال رحمه الله: من أدوية الكبر أن يجتمع مع أقرانه في المحافل ويقدمهم ويجلس تحتهم، وللشيطان هنا مكيدة وهو أن يقعد في صف النعال أو يجعل بينه وبين أقرانه بعض الأرذال، فيظن أنه متواضع وهو عين التكبر لإيهامه أنه ترك مكانه بالإستحقاق، فيكون تكبراً بإظهار التواضع، بل يقدم أقرانه ويجلس تحتهم ولا ينحط إلى صف النعال. وقال رحمه الله: أساس السعادات كلها العقل والكياسة والذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله في أصل الفطرة، فإذا ماتت ببلادة أو حماقة فتدارك له. وقال رحمه الله: كن من شياطين الجن في الأمان، واحذر شياطين الإنس، فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الأغواء والأضلال. وقال رحمه الله: ما من أحد إلا وهو راض عن الله في كمال عقله، وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلاً أفرحهم بكمال عقله. وقال رحمه الله: علماء الآخرة يعرفون بسيماهم من السكينة والذلة والتواضع، أما التمشدق والإستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق، فمن آثار البطر والغفلة، وذلك من دأب أبناء الدنيا. وقال رحمه الله: من شرط من له حاجة أن لا يفطر ذلك النهار حتى تقضى ولو عند الغروب. قال بعضهم: وقد جربناه فصح لأن الإنسان إذا شبع فدعاؤه كسهم يخرج من غير وتر مشدود. وقال رحمه الله: من الذنوب ما يورث سوء الخاتمة وهو ادعاء الرجل الولاية مع فقدها منه. وقال رحمه الله: ليس كل أحد له قلب. وقد سئل عن تفسير هذا القول القطب السيد عبدالله باحداد شيخ بعض شيوخنا فأجاب بما فيه غاية التحقيق تركته لطوله وهو مذكور في آخر كتاب القصد والسداد، وله رحمه الله دعاء عجيب الشأن جربه أهل العرفان عند حلول الفاقة وهو هذا: اللهم يا غني يا حميد يا مبدىء يا معيد يا رحيم يا ودود أغنيني بجلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك. قال: من ذكره بعد صلاة الجمعة وداوم عليه أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب، ورؤي رحمه الله في النوم فسئل عن حاله فقال: لولا هذا العلم الغريب لكنا على خير كثير. قال ابن عربي: فتأوله علماء الرسوم على ما كان عليه من علم هذا الطريق قصد إبليس بهذا الطريق الذي زينه لهم أن يعرضوا عن هذا العلم فيحرموا هذه الدرجات. أتراه أمر بأن يطلب الحجاب عن الله تعالى.

الفصل السادس عشر

في بيان شيء من الشعر المنسوب له وما أنشده لنفسه:

قال ابن السبكي: أخبرنا الحافظ أبو العباس الأشعري إذناً خاصاً عن أبي الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر، عن أبي المظفر عبد الرحيم، أخبرنا والدي الحافظ أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور. أنشدنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس الخليلي املاءً بنوقان في الجامع أنشدنا الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله:

أرفـد ببـال امـرىء يمسي على ثقـة ... إن الذي خلـق الأرزاق يـرزقـه
فالعرض منـه مصـون لا يـدنسـه ... والوجه منه جـديـد ليس يخلقـه
إن القنـاعـة مـن يحلـل بسـاحتهـا ... لم يلـق في دهـره شيئـاً يـؤرقـه

قال: وكتب إلى أحمد بن أبي طالب المسند، عن الحافظ أبي عبدالله محمد بن محمود، عن أبي عبدالله محمد بن أحمد بـن سليمان الزهري، أنشدني أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك العبدري، أنشدني أبو بكر بن العربي، أنشدني أبو حامد الغزالي لنفسه رحمة الله عليه:

سقمـــى في الحـب عـافيتي ... ووجـودي في الهـوى عـدمـي
وعـذاب تـرتضـون بـه ... في فمـي أحلى مـن النعـم
مـا لضر في محبتكـم ... عنـدنـا والله مـن ألم

ومِمَّا ينسب للإمام الغزالي أنه قال في أيام سياحته:

قـد كنـت عبـداً والهوى مـالكـي ... فصرت حـراً والهوى خـادمـي
وصرت بـالـوحـدة مستـأنسـاً ... مـن شر أصنـاف بني آدم
مـا في اختـلاط النـاس خير ولا ... ذو الجهـل بـالأشيـاء كـالعـالم
يـا لائمـي في تـرككـم جـاهلاً ... عـذري منقـوش على الخاتـم

وكان نقش خاتمه: «وما وجدنا لأكثرهم من عهد، وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين»، وبالسند إلى الحافظ أبي عبدالله قال: قرأت على أبي القاسم بن أسعد البزار، عن يوسف بـن أحمد الحافـظ، أنشدنا محمد بن أبي عبدالله الجوهري قال: أنشدنا لأبي حامد الغزالي رحمه الله:

فقهـاؤنـا كـذبـالـة النبـراس ... هـي في الحريـق وضـوءهـا للنـاس
حبرٌ دميم تحت رائـق منظـر ... كـالفضـة البيضـاء فـوق نحاس

وقال ابن السبكي أيضاً: أخبرنا علي بن الفضل الحافظ، أنشدني أبو محمد عبدالله بن يوسف الأيدي أنشدني أمية بـن أبي الصلت، أنشدني أبو محمد التكريتي، أنشدني أبو حامد الغزالي لنفسه:

حلت عقـارب صـدغـه في خـده ... قمـراً يجل بها عـن التشبيـه

ولقـد عهـدنـاه يحل ببرجهـا ومن العجائـب كيـف حلـت فيـه

وذكر ابن السمعاني في الذيل، والعماد في الخريدة له:

حلت عقارب صدغه في خده وحظيت منه بلثم خدٍّ أزهر
إني اعتزلت فلا تلوموا إنه أضحى يقابلني بوجه أشعر

قلت: ولشيخنا السيد القطب عبد الرحمن بن السيد مصطفى العيدروس أمتع الله به في هذا المعنى بيت واحد وهو مما سمعناه من لفظه وكتبته عنه بالطائف وقد أجاد:

وقيل لم اعتزلت فقلت لما يقابلني بوجه أشعري

ومما أنشده الغزالي ببغداد في أثناء درس الاحياء، ورواه عنه أبو سعيد النوقاني الآتي ذكره في الرواية عنه:

وحبب أوطار الرجال إليهم مآرب قضاها الفؤاد هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنّوا لذلكا

قال: فبكى وأبكى الحاضرين، ورآه بعضهم في البرية عليه مرقعة وبيده ركوة وعكاز بعد أن كان رآه يحضر في مجلسه ثلاثمائة مدرس ومائة من أمراء بغداد، فقال: يا إمام أليس تدريس العلم أولى؟ فنظر إليه شزراً وقال: لما بزغ بدر السعادة في فلك الإرادة جنحت شمس الأفول إلى مغرب الوصول وأنشد:

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت إلى مصحوب أوّل منزل
فنادت بي الأشواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

ومما ينسب إليه هذه الأبيات في أسرار الفاتحة رحمة الله عليه:

إذا ما كنت ملتمساً لرزق ونيل القصد من عبدٍ وحرٍّ
وتظفر بالذي ترجو سريعاً وتأمن من مخالفة وغدرِ
ففاتحة الكتاب فإن فيها لما أملت سراً أي سرٍّ
فالزم ذكرها عقبي مساءً وفي صبح وفي ظهر وعصرِ
وتمسي مقرئاً في كل ليل إلى التسعين تتبعها بعشرِ
تنل ما شئت من عز وجاه وعظم مهابة وعلو قدرِ
وستر لا تغيره الليالي بحادثة من النقصان تجري
وتوقير وأفراح دواما وتأمن من مخاوف كل شرٍّ
ومن عري وجوع وانقطاع ومن بطش لذي نهي وأمرِ

الفصل السابع عشر

في بيان بعض ما اعترض عليه والجواب عنه:

قال الفخر ابن عساكر: ومما كان يعترض به عليه وقوع خلل من جهة النحو يقع في أثناء كلامه وروجع فيه فانصف من نفسه واعترف بأنه ما مارس ذلك الفن، واكتفى بما يحتاج إليه من كلامه مع أنه كان يؤلف الخطب ويشرح الكتب بالعبارات الرائقة التي تعجز الأدباء والفصحاء عن أمثالها، وأذن للذين يطالعون كتبه فيعثرون على خلل فيها من جهة اللفظ أن يصلحوه ويعذروه، فما كان قصده إلاَّ المعاني وتحقيقها دون الألفاظ وتلفيقها ومما نقم عليه مما ذكر من الألفاظ المستبشعة بالفارسية في كتابه «كيمياء السعادة والعلوم»، وشرح بعض الصور والمسائل بحيث لا يوافق مراسم الشرع وظواهر ما عليه قواعد الإسلام، وكان الأولى والحق أحق ما يقال ترك ذلك التصنيف والأعراض عن الشرح به، فإن العوام ربما لا يحكمون أصول القواعد بالبراهين والحجج، فإذا سمعوا شيئاً من ذلك تخيلوا منه ما هو المضر بعقائدهم، وينسبون ذلك إلى مذاهب الأوائل على أن المنصف اللبيب إذا رجع إلى نفسه علم أن أكثر ما ذكره مما رمز إليه إشارات الشرع، وإن لم يبح ويوجد أمثاله في كلام مشايخ الطريقة مرموزة ومصرحاً بها متفرقة، وليس لفظ منه إلا وكما يشعر أحد وجوهه بكلام موهم، فإنه يشعر سائر وجوهه بما يوافق عقائد أهل الملة فلا يجب إذاً حمله إلا على ما يوافق، ولا ينبغي أن يتعلق به في الرد عليه متعلق أن أمكنه أن يبين له وجهاً في الصحة يوافق الأصول على أن هذا القدر يحتاج إلى من يظهره ويقوم به، وكان الأولى أن يترك الإفصاح بذلك والله أعلم. هذا ما يتعلق بالطعن عليه مجملاً في سائر كتبه، وكذلك أنكر عليه ابن الصلاح على قوله في أوّل المستصفى هذه مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بمعلومة أصلاً، وقد نحا منحاه ابن القيم في مفتاح دار السعادة، وأقام النكير عليه وعلى من يقول بعلم المنطق مما سيأتي بعضه في الباب الثاني، وقد أجاب عنه التقي السبكي وأوسع فيه مما نقله عنه ولده التاج في الطبقات فراجعه، وأما ما يتعلق بكتابه الاحياء فسيأتي كلام المنكرين عليه، والجواب عنه عند ذكر هذا الكتاب في مصنفاته.

الفصل الثامن عشر

في بيان كونه مجدداً للقرن الخامس:

ولنذكر أوّلاً الحديث الذي استنبط منه العلماء التجديد. روى أبو داود في الملاحم، والحاكم في الفتن وصححه والبيهقي في كتاب المعرفة له كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها». قال العراقي وغيره: سنده صحيح أي يقيض لها على رأس كل مائة من الهجرة أو غيرها رجلاً كان أو أكثر من يبين السنَّة من البدعة، ويكثر العلم وينصر أهله ويذل أهل البدعة. قالوا: ولا يكون إلا عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، فكان في المائة الأولى عمر بن عبد العزيز والثانية الشافعي،

والثالثة الأشعري أو ابن سريج، والرابعة الأسفرايني أو الصعلوكي أو الباقلاني، والخامسة حجة الإسلام الغزالي. وقال ابن السبكي يتعين عندي تقديم ابن سريج في الثالثة على الأشعري، فإن الأشعري وإن كان أيضاً شافعي المذهب إلا أنه رجل متكلم كان قيامه للذب عن أصول العقائد دون فروعها. وكان ابن سريج فقيهاً وقيامه للذب عن فروع هذا المذهب، فكان أولى بهذه المرتبة. لاسيما ووفاة الأشعري تأخرت عن رأس القرن إلى بعد العشرين، وقد صح أن هذا الحديث ذكر في مجلس ابن سريج فقام شيخ من أهل العلم فقال: أبشر أيها القاضي بأن الله بعث على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وعلى الثانية الشافعي، وبعثك على رأس الثلاثمائة ثم أنشأ يقول:

إثنان قد مضيا فبورك فيهما	عمر الخليفة ثم خلف السؤدد
الشافعي الألمعي محمد	ارث النبوة وابن عم محمد
أرجو أبا العباس أنك ثالث	من بعدهم سقيا لتربة أحمد

فصاح ابن سريج فيما يحكى وبكى وقال: لقد نعى إليَّ نفسي. وقيل: إنه مات في تلك السنة. قال: وأما الرابعة فقد قيل إن الشيخ أبا حامد الأسفرايني هو المبعوث فيها، وقيل بل الأستاذ سهل الصعلوكي، وقد كان ممن لا يدفع عن هذا المقام بوجه يتضح لمشاركة الشيخ أبي حامد في الفقه وقرب الوفاة من رأس المائة بخلاف الأشعري مع ابن سريج. قال: والخامس الغزالي. وقد قال في قصيدة نظمها في أسمائهم. والخامس الحبر الإمام محمد ★ وهو حجة الإسلام دون تردد، وكذلك ذكره الحافظ جلال الدين الأسيوطي في أرجوزة له فقال:

والخامس الحبر هو الغزالي	وعده ما فيه من جدال

وقال فيها:

والشرط في ذلك أن تمضي المائة	وهو على حياته بين الفئة
يشار بالعلم إلى مقامه	وينصر السنَّة في كلامه
وأن يكون جامعاً لكل فن	وإن يعم علمه أهل الزمن
وإن يكون في حديث قد روي	من أهل بيت المصطفى وقد قوي
وكونه فرداً هو المشهور	قد نطق الحديث والجمهور

ونقل العراقي عن البعض أنه جعل في الرابعة أبا إسحاق الشيرازي، والخامسة أبا طاهر السلفي، ولا مانع من الجمع فقد يكون المجدد أكثر من واحد. قال الذهبي: من هنا للجمع لا للمفرد فتقول مثلاً على رأس الثلاثمائة ابن سريج في الفقه، والأشعري في الأصول، والنسائي في الحديث. وقال في جامع الأصول: قد تكلموا في تأويل هذا الحديث فكل أشار إلى العالم الذي هو في مذهبه وحمل الحديث عليه، والأولى العموم فإن من يقع على الواحد والجمع ولا يختص أيضاً بالفقهاء، فإن انتفاع الأمة أيضاً يكون بأولي الأمر وأهل الحديث والقراء والوعاظ، لكن المبعوث ينبغي أن يكون مشاراً إليه في كل من هذه الفنون، ففي رأس الأولى من أولي الأمر

عمر بن عبد العزيز، ومن الفقهاء محمد الباقر، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبدالله، والحسن، وابن سيرين. ومن القراء ابن كثير، ومن المحدثين الزهري، وفي رأس الثانية من أولي الأمر المأمون، ومن الفقهاء الشافعي، واللؤلؤي من الحنفية وأشهب من المالكية، وعلي بن موسى الرضي من الإمامية، والحضرمي من القراء، وابن معين من المحدثين، والكرخي من الزهاد. وفي الثالثة من أولي الأمر المقتدر، ومن الفقهاء ابن سريج، ومن الحنفية الطحاوي، ومن المتكلمين الأشعري، ومن المحدثين النسائي. وفي الرابعة من أولي الأمر القادر بالله، ومن الفقهاء الأسفرايني، ومن الحنفية الخوارزمي، ومن المالكية عبد الوهاب، ومن الحنابلة الحسين الفراء، ومن المتكلمين الباقلاني وابن فورك، ومن المحدثين الحاكم، ومن الزهاد الدينوري. وهكذا يقال في بقية القرون وفي كلام النووي ما يشير إلى ذلك، وأيده الحافظ ابن حجر في الفتح، وقال: كل من اتصف بشيء من تلك الأوصاف عند رأس المائة هو المراد تعدد أم لا. والبحث في هذا المقام يستدعي لذكر مهمات، ولكن اقتصرنا على المقصود منه.

الفصل التاسع عشر

في ذكر مصنفاته التي سارت بها الركبان:

قال المناوي: نقل النووي في بستانه عن شيخه التغليسي قال نقلاً عن بعضهم: أنه أحصيت كتب الغزالي التي صنفها ووزعت على عمره فخصّ كل يوم أربعة كراريس.

قلت: وهذا من قبيل نشر الزمان لهم، وهو من أعظم الكرامات، وقد وقع كذلك لغير واحد من الأئمة كابن جرير الطبري، وابن شاهين، وابن النقيب، والنووي، والسبكي، والسيوطي وغيرهم. ثم إن الإمام الغزالي رحمه الله تعالى له تصانيف في غالب الفنون حتى في علوم الحرف، وأسرار الروحانيات، وخواص الأعداد، ولطائف الأسماء الإلهية، وفي السيمياء وغيرها على ما سيأتي بيانها قريباً إن شاء الله تعالى، فمن أشرف مصنفاته وأشهرها ذكراً وأعظمها قدراً هذا الكتاب المسمى باحياء علوم الدين، فنشرح حاله ونتكلم على ما يتعلق به وبغيره على ترتيب حروف المعجم لأجل سهولة الكشف والمعرفة فاقتضى تقديم هذا الكتاب في الذكر لوجوه. الأوّل: أن اسمه مبدوء بالألف. الثاني: شرفه على غيره لما فيه من علوم الآخرة، والثالث: شهرته في الآفاق، وسيرورته مسير الشمس في الاختراق، حتى قيل أنه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء لأغنى عما ذهب، وهو مرتب على أربعة أقسام. ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات في كل منها عشرة كتب، فالجملة أربعون نقل في لطائف المنن. عن القطب أبي الحسن الشاذلي أنه قال: كتاب الاحياء يورثك العلم، وكتاب القوت يورثك النور. وقال ابن السبكي: وهو من الكتب التي ينبغي للمسلمين الاعتناء بها واشاعتها ليهتدي بها كثير من الخلق وقلّ ما ينظر فيه ناظر إلاّ وتيقظ له في الحال. وقال أيضاً: ولو لم يكن للناس في الكتب التي صنفها أهل العلم إلا الإحياء لكفاهم، وأنا لا أعرف له نظيراً في الكتب التي صنفها الفقهاء الجامعون في تصانيفهم بين النقل والنظر والفكر والأثر. ونقل المناوي عن لواقح الأنوار

للشعراني قالوا: ولما أفتى القاضي عياض بإحراق كتاب الإحياء بلغه ذلك فدعا عليه فمات وقت الدعوة في حمام فجأة، وقيل: بل أمر المهدي بقتله بعد أن ادعى عليه أهل بلده، وزعموا أنه يهودي، لأنه كان لا يخرج يوم السبت لكونه كان يصنف كتاب الشفاء، وعندي في قوله فمات وقت الدعوة توقف، فإن وفاة القاضي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة. وقيل في رمضان سنة ٥٤٤، فتأمل ذلك. وروى الإمام اليافعي، عن ابن الميلق، عن ياقوت العرشي، عن أبي العباس المرسي، عن القطب الشاذلي أن الشيخ ابن حرزهم خرج على أصحابه يوماً ومعه كتاب فقال: أتعرفونه؟ قال هذا الإحياء، وكان الشيخ المذكور يطعن في الغزالي وينهى عن قراءة الإحياء فكشف لهم عن جسمه فاذا هو مضروب بالسياط، وقال: أتاني الغزالي في النوم ودعاني إلى رسول الله ﷺ، فلما وقفنا بين يديه قال يا رسول الله: هذا يزعم أني أقول عليك ما لم تقل، فأمر بضربي فضربت، وأخبر القطب محيي الدين بن عربي عن نفسه أنه كان يقرأ كتاب الإحياء تجاه الكعبة، وقال المولى أبو الخير: أول ما دخل الإحياء المغرب أنكر عليه بعض المغاربة أشياء فصنف الإملاء في الرد عن الأحياء، ثم رأى ذلك المصنف رؤيا ظهرت فيها كرامة الشيخ وصدق نيته فتاب عن ذلك، وقال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم: بضاعة الغزالي في الحديث مزجاة، وقال أبو الفرج بن الجوزي: قد جمعت أغلاط في الإحياء كتاب وسميته (أعلام الأحياء باغلاط الإحياء) وأشرت إلى بعض ذلك في كتاب تلبيس اللبس، وقال سبطه أبو المظفر: وضعه على مذاهب الصوفية وترك فيه قانون الفقه فأنكروا عليه ما فيه من الأحاديث التي لم تصح. قال المولى أبو الخير، وأما الأحاديث التي لم تصح فلا ينكر عليه في إيرادها لجوازه في الترغيب والترهيب. قال صاحب كشف الظنون: وليس ذلك على إطلاقه بل بشرط أن لا يكون موضوعاً.

قلت: والأمر كذلك: فإن الأحاديث التي ذكرها المصنف ما بين متفق عليه من صحيح وحسن بأقسامها، وفيه الضعيف والشاذ والمنكر والموضوع على قلة كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.

ذكر طعن أبي عبدالله المازري وأبي الوليدالطرطوشي وغيرهما فيه والجواب عن ذلك:

أما المازري فقال مجيباً لمن سأله عن حاله وحال كتابه الأحياء ما نصه: هذا الرجل يعني الغزالي وإن لم أكن قرأت كتابه، فقد رأيت تلامذته وأصحابه فكل منهم يحكي لي نوعاً من حاله وطريقته، فاتلوح بها من سيرته ومذهبه فأقام لي مقام العيان، فأنا أقتصر على ذكر حال الرجل وحال كتابه وذكر جمل من مذاهب الموحدين والفلاسفة والمتصوفة وأصحاب الإشارات، فإن كتابه متردد بين هذه الطوائف لا يعدوها، ثم اتبع ذلك بذكر حمل أهل مذهب على أهل مذهب آخر ثم أبين عن طرق الغرور. فأكشف عمّا دفن من خيال الباطل ليحذر من الوقوع في حبال صائده، ثم أثنى على الغزالي بالفقه، وقال: هو بالفقه أعرف منه بأصوله، وأما علم الكلام الذي هو أصول الدين فإنه صنف فيه أيضاً وليس بالمستبحر فيه، ولقد فطنت لسبب عدم استبحاره فيه، وذلك انه

قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في فن الأصول، فأكسبته قراءة الفلسفة جرأة على المعاني وتسهيلاً للهجوم على الحقائق، لأن الفلسفة تمر مع خواطرها وليس لها حكم شرع يزعها، ولا يخاف من مخالفة أئمة يتبعها، وعرفني بعض أصحابه أنه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا وهي إحدى وخمسون رسالة، ومصنفها فيلسوف قد خاض في علم الشرع والنقل فمزج ما بين العلمين، وذكر الفلسفة وحسنها في قلوب أهل الشرع بآيات يتلوها عندها وأحاديث يذكرها، ثم كان في هذا الزمان المتأخر رجل من الفلاسفة يعرف بابن سينا ملأ الدنيا تأليفاً في علم الفلسفة وهو فيها إمام كبير، وقد أدَّاه قوّته في الفلسفة إلى ان حاول رد أصول العقائد إلى علم الفلسفة وتلطف جهده حتى تم له ما لم يتم لغيره. وقد رأيت جُملاً من دواوينه، ورأيت هذا الغزالي يعوّل عليه في أكثر ما يشير إليه من الفلسفة، ثم قال: وأما مذاهب الصوفية فلست أدري على من عوّل فيها، ثم أشار إلى انه عوّل على أبي حيان التوحيدي، ثم ذكر توهية أكثر ما في الإحياء من الأحاديث وقال: عادة المتورعين أن لا يقولوا قال مالك قال الشافعي فيما لم يثبت عندهم، ثم أشار إلى أنه يستحسن أشياء مبناها على ما لا حقيقة له مثل قوله في قص الأظفار أن تبدأ بالسبابة، لأن لها الفضل على بقية الأصابع لكونها المسبحة إلى آخر ما ذكره من الكيفية، وذكر فيه أثراً. وقال: من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن الباري قديم مات مسلماً إجماعاً. قال: ومن تساهل في حكاية هذا الإجماع الذي الاقرب أن يكون الإجماع فيه بعكس ما قال، فحقيق أن لا يوثق بما نقل، وقد رأيت له أنه ذكر أن في علومه هذه ما لا يسوغ أن يودع في كتاب، فليت شعري أحق هو أم باطل، فإن كان باطلاً فصدق، وإن كان حقاً وهو مراده بلا شك فَلِمَ لا يودع في الكتب ألغموضة ودقته، فإن كان هو فهمه فما المانع أن يفهمه غيره؟ هذا ملخص كلام المازري.

وسبقه إلى قريب منه من المالكية الإمام أبو الوليد الطرطوشي نزيل الإسكندرية، فذكر في رسالة إلى ابن مظفر، فأما ما ذكرت من أمر الغزالي فرأيت الرجل وكلمته فرأيته من أهل العلم قد نهضت به فضائله، واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول عمره، وكان على ذلك طول زمانه، ثم بدا له عن طريق العلماء، فدخل في غمار العمال ثم تصوّف فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، فلقد كان ينسلخ من الدين، فلما عمل الإحياء عمد يتكلم في علوم الأحوال ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها ولا خبير بمعرفتها فسقط على أم رأسه وشحن كتابه بالموضوعات.

قال ابن السبكي عقب هذا الكلام: وأنا أتكلم على كلامهما ثم أذكر كلام غيرهما وأتعقبه أيضاً واجتهد أن لا أتعدى طور الإنصاف، وأسأل الله الامداد بذلك والإسعاف فما أحد منهم معاصراً لنا قريباً ولا بيننا إلا وصلة العلم ودعوة الخلق إلى جناب الحق. فأقول: أما المازري فقبل الخوض معه في الكلام أقدم لك مقدمة وهي أن هذا الرجل كان من أذكى المغاربة قريحة، وأحدّهم ذهناً بحيث اجترأ على شرح البرهان لإمام الحرمين وهو لغز الأمة الذي لا يحوم نحو حماه ولا يدنو حول أثره إلاَّ غوّاص على المعاني ثاقب الذهن، فبرز في العلم وكان مصمماً على

مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري جليلها ودقيقها لا يتعداها خطوة ويبدع من خالفه ولو في النزر اليسير، وهو مع ذلك مالكي المذهب شديد الميل إلى مذهبه كثير المناضلة عنه، وهذان الامامان أعني إمام الحرمين وتلميذه الغزالي وصلا من التحقيق وسعة الدائرة في العلم إلى المبلغ الذي يعلم كل منصف بأنه ما انتهى إليه أحد بعدهما، وربما خالفا أبا الحسن في مسائل من علم الكلام والقوم. أعني الأشاعرة لا سيما المغاربة منهم يستصعبون هذا الصنع ولا يرون مخالفة أبي الحسن في نقير ولا قطمير، وربما ضعفا مذهب مالك في كثير من المسائل كما فعلا في مسألة المصالح المرسلة، وعند ذكر الترجيح بين المذاهب، فهذان أمران يغص المازري منهما، وينضم إلى ذلك أن الطرق شتى مختلفة، وقلما رأيت سالك طريق إلا ويستقبح الطريق التي لم يسلكها، ولم يفتح عليه من قبلها، ويضع عند ذلك من أهلها لا ينجو من ذلك إلا القليل من أهل المعرفة والتمكن، ولقد وجدت هذا واعتبرته حتى في مشايخ الطريقة، ولا يخفى ان طريقة الغزالي التصوّف والتعمق في الحقائق ومحبة إشارات القوم، وطريقة المازري الجمود على العبارات الظاهرة والوقوف معها، والكل حسن ولله الحمد إلاَّ ان اختلاف الطريقين يوجب تباين المزاحين وبعد ما بين القلبين، لاسيما وقد انضم إليه ما ذكرناه من المخالفة في المذهب. وتوهم المازري إنه يضع من مذهبه وأنه يخالف شيخ السنّة الأشعري حتى رأيته أعني المازري قال في شرح البرهان في مسألة خالف فيها إمام الحرمين أبا الحسن الأشعري ليست من القواعد المعتبرة، وإلاَّ المسائل المهمة من خطأ شيخ السنّة أبا الحسن الأشعري فهو المخطىء، وأطال في هذا وقال في الكلام على ماهية العقل في أوائل البرهان، وقد حكَى أن الأشعري يقول: العقل العلم وأن الإمام رضي مقالة الحرث المحاسبي أنه غريزة بعد أن كان في الشامل أنكرها أنه إنما رضيها لكونه في آخر عمره قرع باب قوم آخرين يعني يشير إلى الفلاسفة، فليت شعري ما في هذه المقالة مما يدل على ذلك، وأعجب من هذا أنه أعني المازري في آخر كلامه اعترف بأن الإمام لا ينحو نحوهم، وأخذ يجل من قدره وله من هذا الجنس كثير فهذه أمور توجب التنافر بينهم، وتحمل المنصف على أن لا يسمع كلام المازري فيهما إلا بعد حجة ظاهرة، ولا تحسب أن نفعل ذلك ازراء بالمازري وحطاً من قدره. لا والله بل تبييناً لطريق الوهم عليه وهو في الحقيقة بيان لعذره، فإن المرء إذا ظن بشخص سوءاً قلما أمعن النظر بعد ذلك في كلامه، بل يصير بأدنى لمحة يحمل أمره على السوء ويكون مخطئاً في ذلك إلا من وفق الله ممن بريء من الأغراض ولم يظن إلاَّ الخير وتوقف عند سماع كل كلمة، وذلك مقام لم يصل إليه إلا الآحاد من الخلق، وليس المازري بالنسبة إلى هذين الإمامين من هذا القبيل، وقد رأيت ما فعله في حق الإمام في مسألة الاسترسال وكيف وهم على الإمام وفهم عنه ما لا تفهمه العوام وفوق نحوه سهم الملام، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن ما ادّعاه أنه عرف مذهبه بحيث قام له مقام العيان كلام عجيب، فإنا لا نجيز أن نحكم على عقيدة أحد بهذا الحكم، فإن ذلك لا يطلع عليه إلا الله، ولن تنتهي إليها القرائن والأخبار أبداً وقد وقفنا نحن على غالب كلام الغزالي وتأملنا كتب أصحابه الذين شاهدوه وتناقلوا أخباره وهم به أعرف من المازري، ثم لم ننته إلى أكثر من غلبة الظن بأنه رجل أشعري العقيدة خاض في كلام

الصوفية، وأما قوله: وذكر جلاً من مذاهب الموحدين والفلاسفة والمتصوّفة وأصحاب الإشارات، فأقول: إن عنى بالموحدين الذين يوحدون الله فالمسلمون أوّل داخل فيهم، ثم عطف الصوفية عليهم يوهم أنهم ليسوا مسلمين وحاش لله، وإن عنى بهم أهل التوكل على الله فهم من خير فرق الصوفية الذين هم من خير المسلمين فما وجه عطف الصوفية عليهم بعد ذلك؟ وان أراد أهل الوحدة المطلقة المنسوب كثير منهم إلى الإتحاد والحلول فمعاذ الله ليس الرجل في هذا الصوب، وهو مصرح بتكفير هذه الفئة وليس في كتابه شيء من معتقداتهم، وأما قوله: أنه ليس بالمتبحر في علم الكلام فأنا أوافقه على ذلك، لكن أقول ان قدمه فيه راسخ، ولكن لا بالنسبة إلى قدمه في بقية علومه هذا ظني. وأما قوله: إنه اشتغل بالفلسفة قبل استبحاره في فن الأصول فليس الأمر كذلك، بل لم ينظر في الفلسفة إلا بعدما استبحر في فن الأصول، وقد أشار هو أعني الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال وصرَّح بأنه توغل في علم الكلام قبل الفلسفة، ثم قول المازري قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في علم الأصول بعد قوله أنه لم يكن بالمستبحر في الأصول كلام يناقض أوّله آخره، وأما دعواه أنه تجرأ على المعاني فليست له جراءة إلا حيث دلَّه الشرع، ومدعي خلاف ذلك لا يعرف الغزالي ولا يدري مع من يتحدّث، ومن الجهل بحاله دعوى إنه اعتمد على كتب أبي حيان التوحيدي، والأمر بخلاف ذلك ولم يكن عمدته في الإحياء بعد معارفه وعلومه وتحقيقاته التي جمع بها شمل الكتاب ونظم بها محاسنه الأعلى كتاب «قوت القلوب» لأبي طالب المكي، وكتاب «الرسالة» للاستاذ أبي القاسم القشيري المجمع على جلالتها وجلالة مصنفيها، وأما ابن سينا فالغزالي يكفره، فكيف يقال إنه يقتدي به ولقد صرح في كتابه «المنقذ من الضلال» أنه لا شيخ له في الفلسفة وأنه أطلعه الله على هذه العلوم بمجرد المطالعة في أقل من سنتين ببغداد مع اشتغاله بالإفادة والتدريس. وقوله: لا أدري على من عوّل في التصوّف. قلت: عوّل على كتاب «القوت والرسالة» مع ما ضم إليه من كلام مشايخه أبي علي الفارمدي وأمثاله، ومع ما زاده من قبل نفسه بفكره ونظره وما فتح به عليه، وهو عندي أغلب ما في الكتاب وليس في الكتاب للفلاسفة مدخل ولم يصنفه إلا بعدما ازدرى علومهم ونهى عن النظر في كتبهم، وقد أشار إلى ذلك في غير موضع من الإحياء، ثم في كتاب «المنقذ من الضلال»، فهذا رجل ينادي على كافة الفلاسفة بالكفر وله في الرد عليهم الكتب الفائقة وفي الذب عن حريم الإسلام الكلمات الرائقة، ثم يقال أنه بنى كتابه على مقالتهم، فيالله وللمسلمين نعوذ بالله من تعصب يحمل على الوقيعة في أئمة الدين، وأما ما عاب به الاحياء من توهيه بعض الأحاديث، فالغزالي معترف بأنه لم تكن له في الحديث يد باسطة، وعامةما في الإحياء من الأخبار والآثار مبدد في كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء ولم يستبد الرجل بحديث واحد، وقد اعتنى بتخريج أحاديث الإحياء بعض أصحابنا فلم يشذ عنه إلاَّ اليسير، وأما ما ذكره في قص الأظفار فالأثر المشار إليه عن علي كرم الله وجهه غير أنه لم يثبت، وليس في ذلك كبير أمر ولا يخالفه شرع، وقد سمعت جماعة من الفقراء يذكرون أنهم جربوه فوجدوه لا يخطىء من داومه أمن من وجع العين. وأما قول المازري: عادة المتورعين أن لا يقولوا قال مالك الخ فقلما قال الغزالي قال رسول الله ﷺ على

سبيل الجزم، وإنما يقول عن، وبتقدير الجزم فلو لم يغلب على ظنه لم يقله، وغايته إنه ليس الأمر على ما ظن، وأما مسألة من مات ولم يعلم قدم الباري ففرق بين انتفاء اعتقاده بالقدم واعتقاده أن لا قدم، والثاني هو الذي أجمعوا على تكفير من اعتقده، فمن استحضر بذهنه صفة القدم ونفاها عن الباري أو حسبهـا منفية أو شك في انتفائها كان كافراً، وأما الساذج من مسألة القـدم الخالي الجلف المؤمن بالله على الجملة، فهو الذي ادعى الغزالي الإجماع على أنه مؤمن على الجملة ناج من حيث مطلق الايمان الجملي، ومن البلية العظمى أن يقال عن مثل الغزالي أنه غير موثوق به في نقله، فما أدري ما أقول ولا بأي وجه يلقى الله تعالى من يعتقد ذلك في هذا الإمام، وأما تقسيم المازري في العلم الذي أشار حجة الإسلام أنه لا يودع في كتاب، فوددت لو لم يذكره فإنه شبه عليه، وهذا المازري كان رجلاً فاضلاً ذكياً، وما كنت أحسبه يقع في مثل هذا، أو خفي عليه أن للعلوم دقائق نهى العلماء عن الافصاح بهاخشية على ضعفاء الخلق، وأمور أخر لا تحيط بها العبارات ولا يعرفها إلا أهل الذوق، وأمور أخر لم يأذن الله في اظهارها، وماذا يقول المازري فيما خرّجه البخاري في صحيحه من حديث الطفيل سمعت علياً رضي الله عنه يقول: حدّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله، وكم مسألة نص العلماء على عدم الافصاح بها خشية على إفهام من لا يفهمها، وربما وقع السكوت عن بعض العلم خشية من الوقوع في محذور وأمثلته تكثر.

وأما كلام الطرطوشي فمن الدعاوي العارية عن الدلالة، ولا أدري كيف استجاز في دينه أن ينسب هذا الحبر إلى أنه دخل في وساوس الشيطان ولا من أين اطلع على ذلك، وأما قوله: شابهاً بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج، فلا أدري أي رموز في هذا الكتاب غير إشارات القوم التي لا ينكرها عارف، وليس للحلاج رموز يعرف بها، وأما قوله: كاد ينسلخ من الدين فيا لها كلمة وقاه الله شرها، وأما دعواه أنه غير أنيس بعلوم الصوفية، فمن الكلام البارد فإنه لا يرتاب ذو نظر بأن الغزالي كان ذا قدم راسخ في التصوّف وليت شعري إن لم يكن الغزالي يدري التصـوّف فمن يدريه، وأما دعواه إنه سقط على أم رأسه فوقعة في العلماء بغير دليل، فإنه لم يذكر لنا بماذا سقط كفاه الله وإيانا غائلة التعصب، وأما الموضوعات في كتابه فليت شعري أهو واضعها حتى ينكرها عليه ان هذا إلا تعصب بارد وتشنيع بما لا يرتضيه ناقد، وممن تكلم عليه أيضاً وبسط لسانه فيه ابن الصلاح قال التقي السبكي في جواب كتبه للعفيف المطري المقيم بالمدينة المنوّرة ما نصه: ماذا يقول الإنسان في الغزالي وفضله واسمه قد طبق الأرض، ومن خبر كلامه عرف أنه فوق اسمه، وأما ما ذكره ابن الصلاح من عند نفسه ومن كلام يوسف الدمشقي والمازري فما أشبه هؤلاء الجماعة رحمهم الله إلا بقوم متعبدين سليمة قلوبهم قد ركنوا إلى الهوينا رأوا فارساً عظيماً من المسلمين قد رأى عدوّا عظيماً لأهل الإسلام، فحمل عليهم وانغمس في صفوفهم وما زال في غمرتهم حتى فلّ شوكتهم وكسرهم وفرق جموعهم شـذر مذر، وفلق هام كثير منهم، فأصابه يسير من دمائهم وعاد سالماً فرأوه وهو يغسل الدم عنه، ثم دخل معهم في صلاتهم وعبادتهم فتوهموا ابقاء أثر دم عليه فأنكروا عليه. هذا حال الغزالي وحالهم، والكل ان شاء الله مجتمعون

في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأما المازري فمعذور لأنه مغربي، وكانت المغاربة لما وقع بهم كتاب الإحياء لم يفهموه فحرفوه، فمن تلك الحالة تكلم المازري، ثم ان المغاربة بعد ذلك أقبلوا عليه ومـدحوه بقصائد منها قصيدة أوّلها:

أبا حامد أنت المخصص بالحمد ... وأنت الذي علمتنا سنن الرشد
وضعت لنا الاحياء يحي نفوسنا ... وينقذنا من ربقة المارد المردي

وهي طويلة وإن كنت لا أرضى بقوله أنت المخصص بالحمد ويتأوّل لقائله أنه أراد من بين أقرانه أو من بين من يتكلم فيه، وأين نحن ومن فوقنا ومن فوقهم من فهم كلام الغزالي، والوقوف على مرتبته في العلم والدين والتأله، ولا ينكر فضل الشيخ ابن الصلاح وفقهه وحديثه ودينه وقصده الخير، ولكن لكل عمل رجال، ولا ينكر علو رتبة المازري ولكن كل حال لا يعرفه من لم يذقه أو يشرف عليه، وكل أحد إنما يتكيف بما نشأ عليه ووصل إليه، ثم قال: وإن كان في الأحياء أشياء يسيرة تنتقد لا ترفع محاسن أكثره التي لا توجد في كتاب غيره، وكم من منقبة للغزالي وقد أطال في الكلام فراجعه في طبقات ولده فإنه نفيس في الباب. وفي الجزء التاسع عشر من تذكرة الحافظ جلال الدين السيوطي قال: ومما وقع للعلماء من ضرب المثل لأهل عصرهم بالآيات ما وقع لحجة الإسلام الغزالي في كتابه الانتصار لما في الإحياء من الأسرار حين أنكر عليه علماء عصره مواضع منه ألف الكتاب المذكور لجواب ما أنكروه فقال في أوّله ما نصه: سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقرب لك مقامات الولاية تحل معاليها في بعض ما وقع في الإملاء الملقب بالإحياء مما أشكل على من حجب فهمه وقصر علمه ولم يفز بشيء من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه، وأظهرت التحزن لما شاش به شركاء الطعام، وأمثال الأنعام، وإجماع العوام، وسفهاء الأحلام، وذعار أهل الإسلام، حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ونسبوا ممليه إلى ضلال وإضلال، ونبذوا قراءة ومنتحليه بزيغ في الشريعة واختلال، فإلى الله انصرافهم ومآبهم، وعليه في العرض الأكبر إيقافهم وحسابهم فستكتب شهادتهم ويُسألون ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ [الشعراء: ٢٢٧] بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفكٌ قديم﴾ [الأحقاف: ١١] ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء: ٨٣] ولكن الظالمون في شقاق بعيد، ولا عجب فقد ثوى أدلاء الطريق، وذهب أرباب التحقيق، فلم يبق في الغالب إلا أهل الزور والفسوق متشبثين بدعاوى كاذبة، متصفين بحكايات موضوعة، متزينين بصفات منمقة، متظاهرين بظواهر بالعلم فاسدة ومتقاطعين بحجج غير صادقة. كل ذلك لطلب دنيا أو محبة ثناء أو مغالبة نظراء. قد ذهبت المواصلة بينهم بالبر، وتألفوا جميعاً على الفعل المنكر، وعدمت النصائح منهم في الأمر، وتصافوا بأسرهم على الخديعة والمكران إن نصحتهم العلماء أغروا بهم، وإن صمت عنهم العقلاء أزروا عليهم أولئك الجهال في علمهم الفقراء في طولهم البخلاء عن الله عز وجل بأنفسهم لا يفلحون، ولا ينجح تابعهم، ولذلك لا تظهر عليهم موارثة الصدق، ولا تسطع حولهم أنوار الولاية، ولا

تتحقق لديهم إعلام المعرفة، ولا يستر عوراتهم لباس الخشية، لأنهم لم ينالوا أحوال النقباء، ومراتب النجباء، وخصوصية البدلاء، وكرامات الاوتاد وفوائد القطب. وفي هذه أسباب السعادة، وتتمة الطهارة. ولو عرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق، وعلموا علة أهل الباطن وداء أهل الغضب ودواء أهل القوّة، ولكن ليس هذا من بضائعهم. حجبوا عن الحقيقة بأربعة بالجهل والإصرار ومحبة الدنيا وإظهار الدعوى، فالجهل أورثهم السخف، والإصرار أورثهم التهاون، ومحبة الدنيا أورثتهم طول الغفلة، وإظهار الدعوى أورثهم الكبر والإعجاب والرياء، والله من ورائهم محيط وهو على كل شيء شهيد، فلا يغرنك أعاذنا الله وإياك من أحوالهم شأنهم، ولا يذهلنك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمردهم وطغيانهم، ولا يغوينك بما زيّن لهم من سوء أعمالهم شيطانهم، فكان قد جمع الخلائق في صعيد، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وتلا: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] فيا له موقفاً قد أذهل ذوي العقول من القال والقيل ومتابعة الأباطيل، فأعرض عن الجاهلين ولا تطع كل أفاك أثيم، فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية. ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة، فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ [القصص: ٨٨] إلى هنا كلام الغزالي.

تنبيه:

وقد أنكر على الإمام الغزالي في مواضع من الإحياء منها ما هو قول منسوب إليه، ومنها ما نقله عن غيره من العارفين وأثبته وسكت عليه، فمن ذلك قوله فيه ليس في الامكان أبدع مما كان قالوا هذا يفهم منه العجز في الجناب الإلهي، وهو كفر صريح، وقد أجاب عنه القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية بثلاثة أجوبة. الأوّل: نقلاً عن القطب ابن عربي؟ والثاني نقلاً عن عبد الكريم الجيلي، والثالث نقلاً عن الشيخ محمد المغربي شيخ الجلال السيوطي، وكل من الأجوبة الثلاثة قد أوردها شيخ مشايخنا سيدي أحمد ابن مبارك السجلماسي في كتابه (الذهب الابريز) وبسط الكلام عليه، ورأيت ذلك بعينه في تأليف الشعراني المذكور بخط أحد تلامذته. قال أحمد بن مبارك، وقلت لبعض الفقهاء ما قولك في قول أبي حامد ليس في الإمكان أبدع مما كان؟ فقال: قد تكلم عليه الشعراني وغيره، فقلت: إنما أسألك عما عندك فيه فقال لي: وأي شيء عندي فيه، فقلت: ويحك إنها عقيدة أرأيت لو قال القائل هل يقدر ربنا جل جلاله على إيجاد أفضل من هذا الخلق، فقال: أقول له ان مقدورات الله لا تتناهى فيقدر على إيجاد أفضل من هذا الخلق بألف درجة، وأقل من هذا الأفضل، وهكذا إلى ما لا نهاية له، فقلت: وقوله ليس في الإمكان أبدع مما كان ينافي ذلك، فتفطن عند ذلك للعبارة المنسوبة لأبي حامد رحمه الله تعالى، وهكذا وقع لي مع كثير من الفقهاء، فإذا سألتهم عن عبارة أبي حامد استشعروا جلالة قدره فتوقفوا، فإذا بدلت العبارة وعبرت بما سبق في سؤالنا للعامة جزموا بعموم القدرة وعدم نهاية المقدورات. قال: وقد اختلف العلماء في هذه المقالة المنسوبة إلى أبي حامد على ثلاث طرائق.

فطائفة أنكرتها وردّتها، وطائفة أوّلتها، وطائفة كذبت النسبة إلى أبي حامد ونزهت مقامه عنها، والأولى هم المحققون من أهل عصره ومن بعدهم إلى هلم جرا. منهم أبو بكر بن العربي تلميذه فيما نقله أبو عبدالله القرطبي في شرح أسماء الله الحسنى ما نصه: قال شيخنا أبو حامد الغزالي قولاً عظيماً انتقده عليه أهل العراق وهو بشهادة الله موضع انتقاد قال: ليس في القدرة أبدع من هذا العالم في الإتقان والحكمة، ولو كان في القدرة أبدع منه وادخره لكان ذلك منافياً للجود، وأخذ ابن العربي في الرد عليه إلى أن قال: ونحن وإن كنا قطرة في بحره فإنا لا نردّ عليه إلا بقوله، ثم قال: فسبحان من أكمل بشيخنا هذا فواضل الخلائق، ثم صرف به عن هذه الواضحة في الطرائق، وممن سلك هذا المسلك ناصر الدين بن المنير الإسكندري، وصنف في ذلك رسالة سماها الضياء المتلالي في تعقب الإحياء للغزالي، وقال: المسألة المذكورة لا تتمشى إلا على قواعد الفلاسفة والمعتزلة، وفي مناقضة هذه الرسالة ألف السيد السمهودي رسالة عظيمة نحو سبعة كراريس، وممن نقل عنه إنكاره الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام، والإمام بدر الدين الزركشي، وقال: هذا من الكلمات العقم التي لا ينبغي اطلاق مثلها في حق الصانع، والكمال بن أبي شريف، والبرهان البقاعي، وألف رسالة في المسألة سمّاها تهديم الأركان وغيرهم.

والطائفة الثانية وهم المنتصرون لأبي حامد والمؤوّلون لكلامه على وجه صحيح في ظنهم، فأوّل ذلك الإمام أبو حامد نفسه، فإنه سئل في زمانه عن هذه المسألة فأجاب بما هو مسطور في الأجوبة المسكتة، ومنهم محيي الدين بن عربي، وعبد الكريم الجيلي، ومحمد المغربي نقل عنهم الشعراني كما سبقت الإشارة إليه، ومنهم الإمام جلال الدين أبو البقاء محمد البكري الشافعي، والبدر الزركشي أيضاً، والشيخ سيدي أحمد زروق في شرح قواعد العقائد للمصنف، والبرهان ابن أبي شريف أخو الكمال المتقدم في الطائفة الأولى، والشيخ أبو المواهب التونسي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والحافظ جلال الدين السيوطي، وألف رسالة ناقض بها على البرهان البقاعي سماها تشييد الأركان.

قلت: وقد سئل عن هذه المسألة كل من مشايخنا القطب نجم الدين أبي المكارم محمد بن سالم الحفني الشافعي نفعنا الله به، والسيد القطب أبي المراحم عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس نفعنا الله به، فأجابا بتأويل كلامه على أحسن المظنات.

والطائفة الثالثة: وهم الذاهبون إلى عدم نسبة المقالة إلى أبي حامد، وأنها مدسوسة في كتبه ومستندهم في ذلك أنهم عرضوها على كلامه في كتبه فوجدوها مع كلامه على طرفي النقيض والعاقل لا يعتقد النقيض فضلاً عن أبي حامد، وعباراته التي هي مناقضة لتلك المقالة في مواضع من كتابه الإحياء، وفي المنقذ من الضلال، وفي المستصفى مما تصدى لجمعها جميعاً البرهان البقاعي في رسالته المذكورة هذا خلاصة ما أشار إليه سيدي أحمد بن مبارك السجلماسي، ولم نطوّل بنصوص الأجوبة، وما نوقضت به لما فيه من الأسهاب المخل في هذه المقدمة أمام الكتاب، وعسى أن نلم بتفصيل كلامهم إن شاء الله تعالى في كتاب التوكل والله على ما يشاء قدير. وقال القطب

الشعراني في كتابه الأجوبة المرضية: ومما أنكروه على الغزالي قوله يباح للصوفية تمزيق ثيابهم عند غلبة الحال إن قطعت قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات، كما يجوز تمزيق الثوب ليرقع به قميص آخر قال المنكر: ولقد عجبت من هذا الرجل يعني الغزالي كيف استلبه حب مذهب الصوفية حتى ذهل عن أصول الفقه ومذهب الشافعي، واختار بدع الصوفية على مذاهب الأئمة. والجواب أنه لا ينبغي الإنكار عليه بموافقة الصوفية في هذه المسألة، فإن ذلك غرض صحيح في معاملة أرباب القلوب، فإن الصوفي لولا رأى صلاح قلبه وحضور قلبه مع الله تعالى بذلك ما مزق ثوبه، بل كان هو ينكر على من فعل ذلك. وبالجملة فلو كان جميع أموال الدنيا وأمتعتها بيد الفقير، ورأى حضور قلبه مع الله تعالى لحظة [لرضي] بإتلافها كلها وبحرقها أو رميها في بحر لكان له ذلك بطريق الاجتهاد، ولا لوم إلاَّ على من يمزق ثيابه ويتلف ماله إسرافاً وسفهاً ولكل مقام رجال وأنشدوا:

لو ذاق عاذلي صبابتي صبا معي لكنه ما ذاقها

فاعلم ذلك والزم الأدب مع حجة الإسلام في دولتي الظاهر والباطن. قال: ومما أنكروا عليه قوله في الإحياء المقصود بالرياضة تفريغ القلب، وليس ذلك إلا بالخلوة والجلوس في مكان مظلم، فإن لم يكن مظلماً لف رأسه في جيبه أو تدثر بكساء أو رداء، فإنه في مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق تعالى ويشاهد جلال الربوبية. قال المنكر: انظروا إلى هذه الترهات العجيبة وكيف صدرت من فقيه، ومن أين له أن الذي يسمعه إذ ذاك هو نداء الحق تعالى، أو أن الذي يشاهده جلال الربوبية، وما يؤمنه أن يكون ما يجده هو من الوساوس والخيالات الفاسدة، وهذا هو الغالب ممن يستعمل التقلل في المطعم، فإنه يغلب عليه الماليخوليا. والجواب: أن ما قاله الغزالي تبعا لغيره صحيح، لكن له شروط عند أهل الطريق من بلوغه في الورع الغاية القصوى ومداومة مراقبة الله مع الأنفاس وعدم شغل قلبه بنعيم الدنيا والآخرة، وهناك يخرج العبد من مواطن التلبيس من النفس والشيطان وتصير روحه ملكية، فيشاهد جلال الربوبية كما تشاهده الملائكة وكل من دخل الخلوة على مصطلح أهل الله عرف ما أقول، ومن لم يدخل فهو معذور في إنكاره لعدم وجدانه ما ذكره الغزالي في نفسه، ومما أنكروا عليه أيضاً تقريره في الإحياء قول أبي سليمان الداراني إذا طلب الرجل الحديث، أو سافر في طلب المعاش، أو تزوّج فقد ركن إلى الدنيا. قال المنكر: هذه الثلاثة أشياء مخالفة لقواعد الشريعة، وكيف لا يطلب الحديث وقد ورد وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر رضي الله عنه لأن أموت من سعي رجلي اطلب كفاف وجهي أحب إليّ من أن أموت غازياً في سبيل الله، وكيف لا يطلب التزويج وصاحب الشرع ﷺ يقول تناكحوا تناسلوا فما أدري هذه الأوضاع من الصوفية إلا على خلاف الشرع. والجواب: أن مثل الإمام الغزالي لا يجهل مثل هذه الأمور بدليل مدحها في مواضع أخر من كتاب الإحياء، وإنما مراده أن الدخول في هذه الأمور من لازمه غالباً دخول الآفات التي تحبطها، فإن من طلب الحديث لزمته الرئاسة وصار مقدماً عند الناس في التعظيم والإكرام على من لم يطلبه، وقل من يتخلص من الميل أو المحبة لمثل ذلك. وأما

التجارة والبيع والشراء مع الخلاص من الميل إلى الدنيا، فلا يكون إلا ممن كمل سلوكه، ودخل حضرة الله، وعرف المواقع كلها، فكلام أبي سليمان جرى على الغالب فلا لوم على الغزالي في تقريره إياه، وأما كون التزويج من جملة الميل إلى الدنيا فهو ظاهر لأنه في الغالب يطلب للاستمتاع، وذلك لا يحصل إلا بالوقوع في الآفات التي كان عنها بمعزل أيام عزوبته لاسيما إن كان متجرداً عن القيام في الأسباب التي تجلب له أمر معاشه، فإنه يتلف بالكلية ويلزمه الرياء لكل من أحسسن إليه بلقمة أو خرقة أو غيرهما، فأبغض الخلق إليه من يذمه عنده خوفاً أن يتغير اعتقاد فيه فيقطع عنه بره فكأن عبادة هذا كلها لأجـل الذي أحسن إليه. وفي الحديث: «خيركم بعد المائتين الخفيف الحاذ» أي الذي لا زوجة له ولا ولد. وفي الحديث أيضاً: «سيأتي على أمتي زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وولده» فذكر الحديث إلى أن قال: «وذلك أنهم يعيرونه بضيق المعيشة إلى أن يورده موارد الهلاك» وقد استشـار شخـص سيـدي عليـاً الخواص في التزويج فقال له: شاور غيري، فقال لـه فقيه ما منعك أن تشير عليه بفعل السنة، فقال له الشيخ: أنت ما حفظت إلا كونه سنة. أما تنظر الآفات المترتبة عليه من هلاك الدين وأكل الحرام والشبهات، فاعلم ذلك. ومما أنكروه عليه تقريره قول الجنيد إذا كان الأولاد عقوبة شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام؟ قال ابن القيم: هذا غلط من الجنيد ومن أقره على ذلك، فإن الجماع سنة أو مباح وكلاهما لا عقوبة على فاعله جرياً على قواعد الشريعة. والجواب: أن مراد الجنيد العقوبة التي تحصل بلازم ذلك لا بعينه. قال الله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ [التغابن: ١٥] وقال تعالى: ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ [التغابن: ١٤] ولا يحذر الله تعالى إلا ما فيه رائحة الأثم، ومن مصطلح القوم أن يؤاخذوا المريد على فعل المباح ويعاقبوه عليه من حيث كونه يوقف عن الترقي ولكل مقام رجال، ومما أنكروه عليه أيضاً تقريره قول أبي حمزة البغدادي إني لأستحي من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان، وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعي زاداً تزودت به. قال المنكر: ومن العجب اعتذاره عن أبي حمزة بقوله كلام أبي حمزة صحيح، لكن محتاج إلى شرطين:

أحدهما: أن تكون للإنسان قدرة من نفسه بحيث يمكنه الصبر عن الطعام أسبوعاً ونحوه.

الثاني: أن يمكنه التقوت بالحشيش ولا تخلو البادية من أن يلقاه الذي معه طعام بعد أسبوع، أو ينتهي إلى محلة أو حشيش يجدبه ما يقوته.

قال ابن القيم: أقبح ما في هذا القول صدوره من فقيه، فإنه قد لا يلقى أحداً وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش وقد يلقاه من لا يطعمه وقد يموت فلا يدفنه أحد. والجواب أما كلام أبي حمزة فهو في نهاية الإخلاص، وكذلك ما شرطه الغزالي وهو صحيح يتمشى على قواعد الفقه. وأما ما ذكره ابن القيم فلا ينهض حجة واضحة على أبي حمزة والغزالي، لأنه لو حمل أيضاً الزاد يجوز أن يقع له ما يقع لمن لم يحمله من الأحوال التي ذكرها، لكن لا يخفي أن حمل الزاد سنة، ومن فعل السنة كان تحت نظر الله تعالى بالأمداد واللطف، لأنه فعل ما كلفه بخلاف من لم يحمل زاداً، فإنه موكول إلى نفسه، ولو كان ممن صحت تجربته للحق تعالى، فان

الحق جل وعلا لا تقييد عليه يفعل ما يشاء إلا أن قيد على نفسه بشيء فللعبد طلبه منه عبودية، وقد قال رجل للحسن البصري: إني أريد أن أجلس في مسجد وأترك السبب لاعتقادي إن الله لا يضيعني، فقال له الحسن البصري: إن كنت على يقين السيد إبراهيم الخليل عليه السلام فافعل وإلا فالزم الحرفة والله أعلم.

ومما أنكروه عليه أيضاً تقريره ما حكاه عن بعضهم أنه بات عند السباع في برية ليمتحن توكله على الله تعالى هل صح أم لا. قال المنكر: كيف يجوز للغزالي أن يسكت على ما فعله هذا الرجل مع تعرضه لأسباب الهلاك ببياته عند السباع، لا سيما إن كانت جيعانة، وقد قال تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] والجواب: إن ذلك في حق أرباب الأحوال الذين يغلب حالهم حال السبع ويركبونه ويعركون اذنه وينقاد لهم، بل يخاف هو منهم، وهذا مقام يبلغه المريد أوائل دخوله في الطريق، فيمسح الله من قلبه الخوف من شيء من المخلوقات جملة واحدة، وقد وقع ذلك لجملة من الأولياء، وفوق هذا المقام مقام أرفع من هذا وهو الخوف من كل شيء يؤذي والتباعد عنه، ولو علمنا أن الحق تعالى قدر علينا ما يؤذينا فنتحفظ من الأذى حسب طاقتنا، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ويثاب على ذلك الحذر، لا سيما إن كان مشهد أحدنا إن انفسنا وديعة عند الله تعالى، وقد أمرنا بمدافعة الأقدار عنها والله أعلم.

وما أنكروه عليه أيضاً تقرير ما حكاه عن أبي الحسن الدينوري أنه حج إثنتي عشرة حجة وهو حاف مكشوف الرأس. قال ابن القيم: هذا من أعظم الجهل لما في ذلك من الأذى للرأس والرجلين ولا تسلم الأرض من الشوك والوعر، وكان هؤلاء الصوفية ابتكروا من عند أنفسهم شريعة سموها بالتصوّف وتركوا شريعة محمد ﷺ بجانب، فنعوذ بالله من تلبيس إبليس، فإن مثل هذه الحكايات تفسد عقائد العوام ويظنون أن فعله من الصواب. والجواب: لا ينبغي المبادرة بالإنكار على من أتلف جسمه في مرضاة الله تعالى وتعظيم حرماته، وربما كان من خرج للحج حافياً مكشوف الرأس وقع في ذنب عظيم عنده، وظن أن الحق تعالى قد سخط عليه بسببه، فخرج بتلك الهيئة يطلب التنصل من ذنوبه على وجه الذل والإنكسار، وقد وقع لسفيان الثوري أنه حج من البصرة حافياً فتلقاه الفضيل بن عياض، وابن أدهم، وابن عيينة من خارج مكة فقالوا له: يا أبا عبدالله أما كان من الرفق بذاتك أن تركب ولو حماراً؟ فقال: أما يرضى العبد الآبق من سيده أن يأتي مصالحته إلا راكباً؟ فبكى الفضيل والجماعة فانظر ذلك واقتد به والله أعلم.

ومما أنكروا عليه أيضاً ما أجاب به من سأله عن رجل يدخل البادية بلا زاد من قوله هذا من فعل رجال الله. قيل له: فإن مات قال الدية على العاقلة. قال المنكر: هذه فتوى جاهل بقواعد الشريعة إذ لا خلاف بين فقهاء الإسلام أنه لا يجوز لأحد دخول البادية بغير زاد، وإن كان فعل ذلك ومات بالجوع فهو عاص مستحق للعقوبة في الآخرة. والجواب: يحتمل أن يكون مراد الغزالي من رجال الله أرباب الأحوال الذين غلبت عليهم أحوالهم لا العارفين من مشايخ الطريق بقرينة ما مر في الجواب قبله، فلا لوم على الغزالي إلا لو جعل ذلك شائعاً في حق كل الناس.

ومما أنكروا عليه أيضاً تقريره عن أبي الخير الأقطع التيناتي قوله: إني عقدت مع الله عهداً أن لا آكل شيئاً من الشهوات، فمددت يدي إلى ثمرة في شجرة فقطعتها، فبينا أنا أمضغها إذ ذكرت العهد فرميت بها من فمي فدار بي فرسان، وقالوا: قم وأخرجوني إلى ساحل بحر إسكندرية، وإذا أمير وحوله خيل وجند، فقالوا: أنت من اللصوص، وإذا معهم جماعة من لصوص السودان فسألوهم عني فقالوا لا نعرفه، فكذبهم الأمير وشرع يقدم يداً ويقطعها إلى أن وصل إليّ، وقال لي: تقدم ومد يدك فمددتها فقطعت إلى آخرها. قال: قال المنكر فانظروا إلى هذا الجهل العظيم ما فعل بصاحبه ولو أن عند التيناتي رائحة علم لعلم أن ما فعله حرام عليه وليس لأبليس عون على الزهاد والعباد أكثر من الجهل، وما أظن غالب ما يقع لهؤلاء إلا من الماليخوليات. والجواب لا ينبغي الإنكار على أبي الخير ولا على الغزالي فإنهما مجتهدان في ذلك، فرأيا أن نقض العهد عند الأكابر أعظم من سرقة ربع دينار، وأيضاً فإن مشهد الأكابر حضرة التقدير الإلهي، فهم مع الذي قدر القطع لا مع الجلاد الذي يقطع اليد مثلاً، فكلام الغزالي في حق الأكابر وقول المنكر في حق الأصاغر، فإنه كان يكفي عقوبة أحدهم أن يتوب ويستغفر من نقض العهد، وليس له أن يمكن الجلاد من قطع يده ما أمكن، لأن ذلك لم يأمر به الشرع والله أعلم.

ومما أنكروا عليه أيضاً قوله: إن الإشتغال بعلم الظاهر بطالة. قال ابن القيم: هذا جهل مفرط منه، وأصل ذم الصوفية العلم إنهم رأوا طريق الإشتغال به لا يوصلهم إلى الرئاسة إلا بعد طول زمان بخلاف طريقتهم المبتدعة من لبسهم الزي وصلاتهم بالليل وصيامهم بالنهار وتقصير الثياب والأكمام. والجواب لا ينكر عليه ذلك، فإن مراده الإشتغال به على طريق الجدال بطالة بالنسبة إلى طريق العلماء العاملين، لا أن مراده بطالة من كل وجه وكيف يظن به أن يريد ما فهمه المنكر وهو يعلم أن علم الشريعة هو أساس علم الحقيقة إذ الشريعة لها تقويم صور العبادات الظاهرة، والحقيقة لها تقويم صور العبادات الباطنة بحيث تستحق أن يقبلها الله تفضلاً منه، وقد بلغنا أن الغزالي ما قال ذلك إلا في حق نفسه لما دخل طريق القوم ورأى كمالها وآدابها فقال: ضيعنا عمرنا في البطالة والله أعلم.

ومما أنكروا عليه أيضاً قوله: أعلم أن ميل قلوب أهل التصوّف إنما هو إلى تحصيل العلوم اللدنية دون العلوم النقلية، ولذلك لم يحضوا على دراسة العلم ولا تحصيل ما صنفه المصنفون وإنما حضوا على الإشتغال بالله تعالى وحده والإشتغال بذكر الله فقط. إلى آخر ما قال: وعد المنكرون ذلك من جملة ما غلط فيه الغزالي وقالوا قد حث الشارع على طلب العلم، فكيف يمدح من لم يحض على تحصيله من الصوفية وقالوا عزيز هذا الكلام أن يصدر من متشرع فإنه لا يخفي قبحه وهو كالطي لبساط الشريعة حقيقة، ثم على هذا المذهب فقد فاتت الفضائل علماء الأمصار كلهم، فإنهم لم يسلكوا طريق الصوفية على هذا النحو الذي ذكره الغزالي، وإذا ترك الإنسان الإشتغال بعلم الشريعة خلت النفس بوساوسها وخيالاتها ولم يبق عندها من العلم ما يطرد ذلك فيلعب بها إبليس أي ملعب. والجواب أن مراد الغزالي فيما حكاه عنهم إنما هو بعد إحكام الفقير

علم الشريعة. فإنه حكى إجماع القوم على أنه لا ينبغي لأحد أن يدخل طريق القوم إلا بعد تضلعه من علوم الشريعة بحيث يصير يقطع علماء الشريعة بالحجج في مجلس المناظرة، فلا ينبغي حمل مثل كلامه على أن مراده مدح الاشتغال بأحوال طريق القوم من غير تقدم عملهم للشريعة، فإن ذلك أبعد من البعيد، فالغزالي في وادٍ والمنكر في واد والله أعلم.

ومما أنكروه عليه أيضاً: في تفسير قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام﴾ إن الأصنام هو الذهب والفضة وعبادتها حبها والأغترار بها. قال ابن القيم: وهذا تفسير لم يقل به أحد من المفسرين. والجواب لا ينبغي أن ينكر عليه بسبب ذلك، فقد ورد في الحديث: «تعس عبد الدينار والدرهم وعبد الخميصة» فسمى محب هذه الأمور عبداً لها مع أنها لا تعقل ولا تدري من يحبها ولا من يبغضها، فكانت كالأصنام والعبادة في اللغة الميل للشيء والطاعة له. قال تعالى: ﴿يا بني آدم لا تعبدوا الشيطان﴾ [يس: ٦٠] أي لا تطيعوه في وسوسته لكم بالسوء فلما كنى الحق تعالى عن طاعة إبليس بالعبادة له استعارة مجازية، كذلك صح للغزالي استعارة العبادة للذهب والفضة الذي هو عبارة عن شدة محبتها ومقاتلة الناس لأجلها بجامع أن القلب يشتغل بها عن الله تعالى، كما يشتغل عباد الأصنام بها عن الله تعالى والله أعلم.

ومما أنكروه عليه تقريره في الإحياء قول سهل التستري أن للربوبية سراً لو ظهر لبطلت النبّوة، وأن للنبّوة سراً لو ظهر لبطل العلم، وأن للعلماء بالله سراً لو ظهر لبطلت الأحكام والشرائع. قال ابن القيم: انظروا إلى هذا التخليط القبيح ودعواه أن باطن الشريعة يخالف ظاهرها وذلك من الهذيان، والجواب لا ينكر على سهل ولا على الغزالي لأن ما ذكراه إنما هو على سبيل الفرض والتقدير. أي أن الله تعالى في عباده وشرائعه أسراراً اختص بها دون خلقه لشدة حجابهم، ولو رفع ذلك الحجاب لتساوى علمهم وعلم سيدهم ولا قائل بذلك، ومن أراد أن يشم رائحة ما ذكرناه فلينظر إلى حضرة ربه سبحانه قبل خلقه الخلق سجداً أحداً فراداً لا ثاني معه يشهد أبداً، ثم يستصحب هذا المشهد وهو نازل في المراتب من غير تخلل غفلة أو حجاب، وأكثر من هذا لا يقال، وإذا لم يكن إلا واحد لا خلق معه ذهبت الرسالة والرسول لعدم وجود من تتوجه عليهم الأحكام، فكان بقاء الرسالة وأحكامها بعدم كشف أسرار الربوبية فافهمه والله أعلم.

وما أنكروا عليه أيضاً قوله: ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فقيل له: لو سألت الله تعالى أن يردّه عليك، فقال: اعتراضي عليه أشد من ذهاب ولدي. قال ابن القيم: لقد طال تعجبي من أبي حامد هذا كيف يحكي هذه الحكايات على وجه الإستحسان لها والرضا عن أصحابها، ويعد الدعاء والسؤال لله تعالى اعتراضاً. لقد طوى هذا بساط الشريعة طياً إذ الدعاء مشروع بالإجماع. والجواب أن مراد الغزالي إن ذلك فيه معنى الإعتراض لا أنه اعتراض، وأيضاحه أن الإعتراض يرجع إلى تمني غير ما سبق في علم الله عز وجل، وقد سبق في علمه تعالى ضياع ولد هذا الصوفي

فرضي بقضاء ربه، ولم يطلب رجوع ولده ليتساوى وجود ولده وعدمه عنده في أي مكان كان، ولا فرق بين كونه في داره أو أقصى الأرض، لأنه عبد لله تعالى لا عبد لولده فافهمه.

ومما أنكروا عليه أيضاً قوله في الإحياء: كان بعض الشيوخ في بدايته يكسل عن قيام الليل فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتصير نفسه تجيبه إلى قيام الليل اختياراً، وكذلك عالج بعضهم حب المال فباع جميع أمتعته ورمى ثمنها في البحر خوفاً من أن يقع في حب تزكية الناس له ووصفه بالجود أو الرياء في فعلها المذكور، ولذلك كان بعضهم يستأجر من يشتمه على رؤوس الأشهاد ليعوّد نفسه الحلم، وكان آخر يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الموج ليعود نفسه الشجاعة، وكان بعضهم إذا خاف لنوم يقف على رأس حائط عال حتى لا يأخذه النوم. قال المنكر: أعجب من جميع هؤلاء عندي أبو حامد كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها، ولكن كيف ينكرها وقد أتى بها في معرض التعليم ولم يزنها بميزان الشريعة، وقبل أن يورد هذه الحكايات قال: ينبغي للشيخ أن ينظر حال المبتدىء فإن رأى معه مالاً حاضراً زائداً عن حاجته أخذه فصرفه في الخير، وفرغ قلب المريد منه حتى لا يلتفت إليه، وإن رأى الكبر قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للحرفة والسؤال بالإلحاح ويكلفه المواظبة على ذلك، وإن رأى الغالب عليه البطالة استخدمه في تعهد الأخلية وتنظيفها من القذر وملازمة المطبخ وكنس القاذورات ومواضع الدخان، وإن رأى شره حب الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم، وإن رآه عزباً ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأساً. قال ابن القيم: وإني لأتعجب من أبي حامد هذا كيف يأمر بهذه الأمور التي تخالف ظاهر الشريعة، وكيف يحل لأحد أن يقوم على رأسه طول الليل، وكيف يحل رمي المال في البحر، وكيف يحل سب المسلم بلا سبب، وهل يجوز لمسلم أن يستأجر من يشتمه، وهل يجوز لأحد أن يقوم على رأس جدار عال ويعرض نفسه للوقوع بالنوم فتنكسر رقبته فيموت، فما أرخص ما باع أبو حامد الفقه بالتصوّف الذي يراه. والجواب: أن أهل الطريق في جميع ذلك مجتهدون لا سيما في ترجيح الأعمال بعضها على بعض، فكلما أدى اجتهادهم إلى أنه أرضى الله تعالى أو فيه تقريب للطريق على المريدين قدموه على أنه يحتمل أن الشيخ كان ممن أقدره الله تعالى على جمع ذلك المال الذي أمر مريده برميه في البحر، وكذلك يحتمل أن الشيخ ما أمره بالوقوف على رأسه أو على رأس جدار إلا بعد أن علم قدرته على ذلك ولو بادمان سابق والله أعلم.

ومما أنكروا عليه أيضاً حكايته عن أبي تراب النخشبي أنه قال لمريد له: لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله عز وجل سبعين مرة. قال ابن القيم: هذا الكلام فوق الجنون بدرجات. والجواب لا ينكر تقريره أبا تراب على مقالته لأن مراده أن ذلك المريد يجهل مقام الأدب والمعرفة لله تعالى، فهو لا ينتفع برؤيته، ولا يصح أن يمنحه الحق تعالى بشيء من الآداب بخلاف رؤية أبي يزيد، فإنها تعلمه طريق الأدب مع الله تعالى ومع خلقه، فكانت أنفع له من رؤية ربه وهو لا يعرف أنه هو وهذا شأن أكثر الناس اليوم، فلا يصح لهم الأخذ عن الله

تعالى لكثرة حجبهم التي بينهم وبينه، فهذا معنى قول أبي تراب وليس مراده أن رؤية أبي يزيد أفضل من رؤية الله تعالى لمن يعرفه فافهمه والله أعلم.

ومما أنكروا عليه أيضاً في حكايته عن ابن الكريتي شيخ الجنيد أنه قال: نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فشتَّ قلبي ونفر مني فدخلت الحمام وسرقت ثياباً فاخرة ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت، فجعلت أمشي قليلاً قليلاً فلحقوني وأخذوا مني الثياب وصفعوني وسموني لص الحمام فسكنت نفسي. قال الغزالي: فهكذا كانوا يروضون نفوسهم حتى يخلصهم الله تعالى من فتنة النظر إلى الخلق ومراعاتهم لهم، ثم أهل النظر إلى النفس وأرباب الأحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم بذلك، ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا في الحمام، قال ابن القيم: سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الإحياء، فليته لم يحك فيه مثل هذه الأمور التي لا يحل لأحد السكوت عليها، والعجب أنه يحكي هذه الأمور ويستحسنها ويسمى أصحابها أرباب الأحوال وأي حالة أقبح من حال من خالف الشريعة ورأى المصلحة في النهي عن اتباعها، وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي، ثم كيف يجوز التصرف في مال الغير بغير إذنه، فإن في نص الإمام أحمد والشافعي أن من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده، ثم أين أرباب الأحوال أولاً حتى يعمل العبد على وفاقهم من الرياضة. كلا والله أنها شريعة لو رام مثل أبي بكر رضي الله عنه أن يخرج عنها لما وجد لذلك مساغاً، ولو أنه خالفها وعمل برأيه لكان عمله مردوداً عليه إذ الحقّ تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان على وفق الشريعة المطهرة. قال: وتعجبي من هذا الفقيه الذي استلب التصوف علمه وعقله أكثر من تعجبي من هذا المستلب للثياب من الحمام، فياليت أبا حامد بقي مع قواعد الفقه، واستغنى عن هذه الهذيانات. والجواب عن هذا كله كما سبق قريباً أن القوم مجتهدون في أحكام الطريق، فكلما رأوه أصلح لقلوبهم عملوا به، وذلك من باب تعارض المفسدتين، فيجب ارتكاب الأخف منهما. وأما ما يترتب على ذلك الفعل شرعاً فقد جربوا حمايتهم من وقوع العقوبة لهم بسببه بل تعرفهم الناس بعد ذلك، ويقبلون أيديهم فاعلم ذلك.

قلت: وقد نقل الغزالي مثل هذه الحكاية التي جرت في الحمام لابن الكريتي عن إبراهيم الخواص، وأنكر عليه ابن القيم كإنكاره من الأول، وتعجب من أبي حامد وقال: فياليته لم يتصوف. والجواب واحد وإن للفقير أن يداوي قلبه ببعض المحرمات ليدفع عنه محرماً آخر هو أشد منه قياساً على مداواة الأجسام والأمراض إنما تداوى باضداد عللها وأين هلاك الأبدان من هلاك القلوب.

ومما أنكروا عليه أيضاً في تقريره الشبلي على رمي ما كان معه من الدنانير في الدجلة، وقال: ما أعزك عبد إلا أذله الله تعالى. وقال ابن القيم: وأنا أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبي من هؤلاء الجهلة بالشريعة كيف يحكي ذلك عنهم على وجه المدح لهم لا على وجه الإنكار، وأي

رائحة بقية من الفقه عند أبي حامد حتى يكتب عنه شيء من العلم، فإن الفقهاء كلهم يقولون أن رمي المال في البحر لا يجوز، والجواب قد تقدم مراراً أن أهل الطريق مجتهدون في أحوالها، وأن من قواعد أهل الشريعة ارتكاب أخف الضررين إذا تعارض معنا مفسدتان، وقد تعارض هنا أمران. أحدهما: مفسدة الدين فقدموه على المفسد للدنيا فافهم والله أعلم.

ومما أنكروا عليه أيضاً ما حكاه عن شقيق البلخي إنه رأى مع شخص رغيفاً ليفطر عليه من صومه فهجره وقال: تمسك رغيفاً إلى الليل. قال ابن القيم: انظروا إلى هذا الجهل العظيم بالشريعة كيف يفعل محرماً لأجل أمر مباح، وكيف يجوز هجر المسلم بغير سبب مسوّغ لذلك، والذي عندي أن هؤلاء لما قل علمهم بالشرع صدرت منهم هذه الأقوال والأفعال المخالفة للشريعة، وقد كان يحي بن يحي يقول عندي ان مخالفة الصوفية من جملة طاعة الله عز وجل، ولكن اصطلح الذئب والغنم، وقد أنكر الفقهاء بمصر على ذي النون، وأخرجوه من إخميم إلى الجزيرة إلى بغداد، وكذلك أنكروا على أبي يزيد البسطامي؟ وعلى أبي سليمان الداراني، وأحمد بن أبي الحواري، وسهل التستري وغيرهم. كل ذلك لما كانوا يقعون فيه من مخالفة ظاهر الشرع، قال: وكانت الزنادقة في العصر الأوّل يكتمون حالهم ولم يتجاسروا على اظهار ما عندهم حتى جاءت الصوفية، فرفضوا الشريعة جهراً وتستروا بمسمى الحقيقة، وصاروا يقولون هذا شريعة وهذا حقيقة وهذا من أقبح الأمور لأن الشريعة قد وضعها الحق تعالى لمصالح العباد في الدارين، فما الحقيقة بعد ذلك إلا القاء الشيطان في النفس، وقد تمادى هؤلاء الجهلة في غيهم حتى صار أحدهم يقول: حدثني قلبي عن ربي؟ وفي ذلك تصريح بالاستغناء عن بعثة الرسل وهو كفر وهي حكمة مدسوسة في الشريعة تحتها هذه الزندقة، ولكن قد صار الخوارج عن الشريعة كثيراً بالسكوت على هؤلاء الجهال الذين سموا نفوسهم صوفية وأطال في ذلك. والجواب: أما هجر شقيق لمن أمسك الرغيف إلى آخر النهار فهو جائز ليخرجه من ورطة الحرص وطول الأمل والوقوع في رائحة الإتهام للحق جل وعلا في أنه يضيعه ويميته جوعاً إذا لم يمسك الرغيف، ولو أنه قوي يقينه لكان تركه إمساك الرغيف وطلبه وقت الحاجة إليه فقط، واستراح من الوقوع في الحرص والشك في أن الله تعالى يضيعه، فإن ذلك الرغيف لا يخلو إما أن يكون مقسوماً له فلا يقدر أحد أن يأكله فهو ولو رماه في السوق يعود إليه، وإما أن لا يكون مقسوماً له فأي فائدة في إمساكه، فإنه إذا أمسكه إلى وقت الفطر لا يقدر على أكله بل يأكل غيره فتأمل، ثم ان العلة في تحريم الهجر إنما هو الأذى للمسلم بغير طريق شرعي كائن يكون لحظ نفس، وأما هجر الشيخ للمريد ليقبح في عينه المباح الذي يجره إلى حرام فلا منع منه لأنه بطيب نفس من الشيخ والمريد، وقد كان تابعه على امتثال أمره والرضا بما يفعله معه من العقوبات على أعماله الرديئة فافهم.

وأما قول ابن القيم: إن مخالفة الصوفية من طاعة الله فهو في غاية القبح، فإن حقيقة الصوفي أنه عالم عمل بعلمه على وجه الإخلاص، فكيف يكون مخالفة مثل هذا في أفعاله وأقواله من طاعة الله تعالى والاطلاق في محل التفصيل خطأ، وكان الواجب عليه أن يقول أن مخالفة من انتسب إلى

الصوفية وليس هو منهم طاعة وقربة إلى الله تعالى ليخرج أئمة الطريق، وأما إنكاره على أهل الحقيقة وقوله: أن الشريعة كانت كافية عن الحقيقة فهو كلام صدر بلا تأمل، **فقد** قدمنا أن الحقيقة غاية مرتبة الشريعة، وذلك أن الناس في مرتبة الشريعة على مرتبتين. **أحداهما:** من عمل بالشريعة تقليداً من غير أن يصل إلى مقام اليقين. **والثانية:** من عمل بها بعد وصوله إلى مقام اليقين فليست الحقيقة بأمر زائد على الشريعة، لأن الحقيقة هي الإخبار بالأمور على ما هي عليه في نفسها وهذا هو حقيقة الشريعة، فإن الشارع لا يخبر إلا بالواقع فغاية أمر التصوّف الوصول بالرياضات والمجاهدات إلى مقام العلم واليقين، وأما قوله: إن من قال حدثني قلبي عن ربي يكفر فليس بمسلم لقائله على الاطلاق، إنما يكون كفراً لو قال أعطاني الله أمراً يخالف الشريعة وصار يتدين به، وأما إذا أطلعه الله من طريق الإلهام والتحديث الذي هو مقام سيدنا عمر رضي الله عنه على أسرار الشريعة ودقائقها وعلى زيادة آداب في العمل بها فلا منع من ذلك، وما بلغنا أن أحداً من الأولياء ادعى أنه خرج من التقليد للشارع، أو خرج عن دائرة علمه ﷺ أبداً، بل كلهم مجمعون على أن جميع علومهم من باطن شرعه ﷺ، ولا يجوز لأحد منهم العمل بما فهمه منها إلا بعد عرضه على الكتاب والسنّة وموافقته لها فاعلمه، والله يغفر لابن القيم ما ظنه بالصوفية فإنه ذب على الشريعة بحسب فهمه.

ومما أنكروا عليه قوله: لا وجه لتحريم سماع الأصوات المطربة مع الضرب بالقضيب والتصفيق، فإن آحاد هذه الأمور حلال، فكذلك إذا اجتمعت تكون مباحة ولا دليل على تحريم السماع من نص ولا قياس، وإذا كان الصوت موزوناً فلا تحريم. قال ابن القيم: لقد نزل أبو حامد بهذا الاحتجاج عن رتبة الفهم الصحيح، وإني لأتعجب من انسلاخه عن الفقه إلى مثل هذه الهذيانات. والجواب: أن الغزالي رحمه الله كان مجتهداً في مثل ذلك فلا لوم عليه من قوله بإباحة اجتماع هذه الأمور. قال ابن القيم: وقد بلغنا عن الغزالي ما هو أقبح من القول بإباحة الغناء مع الآلة المطربة وهو قوله: من أحب الله تعالى وعشقه واشتاق إلى لقائه فالسماع في حقه مؤكد لعشقه. قال؛ وهذا خطأ لا يجوز اطلاق العشق على الله تعالى لأنه يقتضي مماسة العاشق لله تعالى، وذلك محال ثم أي توكيد لعشقه في نحو قول المغني:

ذهبيّ اللون تحسب من وجنتيه النار تنقدح

وما وجه المناسبة بين الماء والطين، وبين خالق السموات والأرضين، حتى يعشق تعالى الله عن قول هؤلاء الملحدين علواً كبيراً، قال: ثم العجب من الصوفية باباحة مثل ذلك مع دعواهم إنهم أعرف بالله تعالى من غيرهم. هذا من أدل دليل على جهلهم بالله تعالى. قال؛ وكثيراً ما يقولون عن بعض الناس سلموا له حاله وليس لنا أحد من الخلق يسلم له ما يفعل إلا الشارع ﷺ لا غير لعصمته بخلاف غير المعصوم. والجواب: أنه لا إنكار على الغزالي وغيره في تسمية محبة الله عشقاً لأنه لم يرد لنا نهي عن ذلك، وأيضاً؛ فإن العشق أوائل مقدمات المحبة، فلو سمينا العاشق لله تعالى محباً له كان كذباً، فالعاشق يطلب القرب من حضرة محبوبه لا الإتصال به، لأنه يعلم أن

ذلك محال فلا اعتراض على الغزالي ولا لوم عليه في قوله بأخذ الإشارات من الإشعار وغيرها، فإن كل ما في الوجود دليل على الله تعالى، فلا فرق بين أن يأخذ تلك الإشارات المحركة للوجد من نفسه أو من غيره كله على حد سواء، وتقدم أن القوم يتكلمون غالباً بلسان السكر والشوق لا بلسان الصحو والعلم، وأن جميع ما تجده في كلامهم لا ينبغي لنا إنكاره إلا إذا وجدنا أحدهم صاحياً من سكر الحال، فهذا ما تيسر بيانه مما أنكر على أبي حامد الغزالي في كتابه الإحياء، وهم أي المنكرون من طوائف شتى ما بين مغاربة ومشارقة ومالكية وشافعية وحنابلة، فمن الأولى ابن العربي والمازري والطرطوشي والقاضي عياض وابن المنير، ومن الثانية ابن الصلاح ويوسف الدمشقي والبدر الزركشي والبرهان البقاعي، ومن الثالثة ابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم وآخرون، وقد أوردنا اعتراضاتهم وبينا وجه الجوابات والاعتذار عن الغزالي حسبما نقلناه عن الإثبات المتقنين، وأما المحبون لطريقته والمهتدون بهديه فكثيرون وجلالة قدره وفخامة كتابه أشهر من الشمس في رابعة النهار، وما أحاط بمقام كتابه إلا من أفاض الله على قلبه الأنوار إذ كتابه متكفل ببيان العلوم الشرعية التي هي علم العقل، وعلم الأحوال، وعلم الأسرار، وما فيه من علم الأحوال فلا سبيل إلى معرفته إلا بالذوق، ولا يقدر عاقل على ذوقه ولا وجدانه، ولا أن يقيم على معرفته دليلاً وهو متوسط بين علم العقل وعلم الأسرار وهو إلى علم الأسرار أقرب منه إلى علم العقل النظري، ولا يكاد يلتذ به إذا جاء من غير نبي إلا أصحاب الاذواق السليمة، وعلامة هذا الذوق كونه خارجاً عن موازين العقول عكس العلم المكتسب إذ العلم المكتسب من شأنه أن يكون داخلاً في ميزان العقول، ولذلك لا تتسارع الناس إلى إنكاره وعلم الأذواق لما كان خارجاً عن موازين العقول تسارعت الناس إلى إنكاره ورده، وهذا القدر كاف في بيان المقصود، والله أعلم.

عود وانعطاف إلى بيان ما يتعلق بكتاب الإحياء

بيان من خدم الإحياء:

لم أر من شرح هذا الكتاب ولا تعرض أحد لإيضاح سياقه المستطاب إلا ما كان من المصنف نفسه لما بلغه إنكار بعض المنكرين على مواضع منه كتب في الرد عليهم كتاباً صغيراً سماه: الأملاء على الإحياء، وسيأتي ذكره في تعداد مصنفاته، وإنما خرج أحاديثه الإمام الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي رحمه الله تعالى في كتابين. أحدهما كبير الحجم في مجلدات وهو الذي صنفه في سنة ٧٥١، وقد تعذر الوقوف فيه على بعض أحاديثه، ثم ظفر بكثير مما عزب عنه إلى سنة ٧٦٠، ثم اختصره في مجلد وسماه: «المغني عن حمل الأسفار» اقتصر فيه على ذكر طريق الحديث وصحابيه ومخرجه وبيان صحته وضعف مخرجه، وحيث كرر المصنف الحديث اكتفى بذكره في أول مرة، وربما أعاده لغرض من الأغراض، ثم أتى تلميذه الحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني فاستدرك عليه ما فاته في مجلد، وصنف الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي كتاباً سماه «تحفة الأحياء فيما فات من تخريج أحاديث الإحياء»، ولابن السبكي

كلام على بعض أحاديثه المتكلم فيها سرده على ترتيب الأبواب في آخر ترجمته من طبقاته الكبرى.

بيان من اختصر كتاب الإحياء:

أول من اختصره أخو المصنف، وهو أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي توفي بقزوين سنة ٥٢٠، وسماه: لباب الإحياء، ثم اختصره أحمد بن موسى الموصلي المتوفي سنة ٦٢٢، ثم محمد بن سعيد اليمني، ويحيى بن أبي الخير اليمنى، ومحمد بن عمر بن عثمان البلخي، وسماه: (عين العلم) وعبد الوهاب بن علي الخطيب المراغي وسماه: (لباب الإحياء) ألفه في بيت المقدس وهو عندي، والشمس محمد بن علي بن جعفر العجلوني المشهور بالبلالي وهو شيخ خانقاه سعيد السعداء بمصر توفي سنة ٨٢٠. قال الحافظ السخاوي: وهو أحسن المختصرات، والجلال السيوطي الحافظ وآخرون.

عود و انعطاف إلى ذكر بقية مصنفاته:

حرف الألف: «الإملاء على مشكل الإحياء» أجاب فيه عن بعض ما اعترض عليه في كتابه، ويسمى أيضاً «الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المبهتة» وهو مؤلف لطيف عندي، ومنها الأربعين وهو قسم من كتابه المسمى «بجواهر القرآن»، وقد أجاز أن يكتب مفرداً فكتبوه وجعلوه مستقلاً وهو عندي، ومنها كتاب «الأسماء الحسنى»، ومنها «الاقتصاد في الاعتقاد»، ومنها «الجام العوام عن علم الكلام»، ومنها أسرار معاملات الدين، ومنها أسرار الأنوار الإلهية بالآيات المتلوة، وهو مرتب على ثلاثة فصول، ومنها أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار، ومنها أسرار اتباع السنّة، ومنها أسرار الحروف والكلمات، ومنها أيها الولد وهي فارسية عربها بعض العلماء وسماه بهذا الاسم مشهور.

حرف الباء: بداية الهداية وهو مختصر في الموعظة ذكر فيه ما لا بد منه للعامة من المكلفين من العادات والعبادات، ومنها البسيط في فروع المذهب وهو كالمختصر لنهاية المطلب لشيخه إمام الحرمين الذي قال فيه ابن خلكان ما صنف في الإسلام مثله، ومنها بيان القولين للشافعي، ومنها بيان فضائح الإباحية، ومنها بدائع الصنيع.

حرف التاء: تنبيه الغافلين، ومنها تلبيس إبليس، ومنها تهافت الفلاسفة صدره بأربع مقدمات ردّ فيها على الفلاسفة، ثم ذكر بعدها المسائل التي تناقض مذهبهم فيها وهي عشرون مسألة. وذكر في خاتمته ما يقطع القول بكفرهم من ثلاثة وجوه، وقد صنف في الرد عليه أحد علماء الأندلس القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد [مصنفاً] قال فيه في آخره: لا شك ان هذا الرجل أخطأ على الشريعة، كما أخطأ على الحكمة، ولولا ضرورة طلب الحق ما تكلمت في ذلك، ثم تكلم فيما بعد في المحاكمة بينهما من علماء الروم مصطفى بن يوسف البرموني المعروف بخواجه زاده، والمولى علاء الدين علي الطرسوسي، وعلى الأول منهما تعليقة لابن كمال باشا، ومنها التعليقة في فروع المذهب كتبها بجرجان عن الإسماعيلي، ومنها تحصين المآخذ، ومنها تحصين

الأدلة، ومنها تفسير القرآن العظيم، ومنها التفرقة بين الإيمان والزندقة ذكره عياض في آخر الشفاء.

حرف الجيم: جواهر القرآن ذكر فيه أنه ينقسم إلى علوم وأعمال ظاهرة وباطنة والباطنة إلى تزكية وتحلية فهي أربعة أقسام، وكل قسم يرجع إلى عشرة أصول، فيشتمل على زبدة القرآن وهو عندي.

حرف الحاء: حجة الحق، ومنها حقيقة الروح، ومنها حقيقة القولين.

حرف الخاء: خلاصة الرسائل إلى علم المسائل في فروع المذهب أحد الكتب المشهورة ذكر فيه أنه اختصره من مختصر المزني وزاد عليه.

حرف الراء: رسالة الأقطاب، ومنها رسالة الطير، ومنها الرد على من طعن، ومنها الرسالة القدسية بأدلتها البرهانية في علم الكلام كتبها لأهل القدس، وقد شرحها المصنف.

حرف السين: السر المصون وهو مؤلف صغير رتب فيه الآيات القرآنية على أسلوب غريب يذكر بعد كل جملة منها أعداؤنا لن يصلوا إلينا بالنفس ولا بالواسطة لا قدرة لهم على إيصال السوء إلينا بحال من الأحوال.

حرف الشين: شرح دائرة علي بن أبي طالب المسماة نخبة الأسماء وهو مشهور بين أيدي الناس، ومنها شفاء الغليل في بيان مسألة التعليل رتبه على مقدمة وخمسة أركان وهو عندي المقدمة في بيان معاني القياس والعلة والدلالة. الركن الأوّل في إثبات علة الأصل. الثاني في العلة. الثالث في الحكم. الرابع في القياس. الخامس في الفرع الملحق بالأصل.

حرف العين: عقيدة المصباح، ومنها عجائب صنع الله، ومنها عنقود المختصر وهو تلخيص المقتصر من المزني لأبي محمد الجويني.

حرف الغين: غاية الغور في مسائل الدور ألفها في المسألة السريجية على عدم وقوع الطلاق ثم رجع وأفتى بوقوعه، ومنها غور الدور في المسألة المذكورة وهو المختصر الأخير ألفه ببغداد في سنة ٤٨٤.

حرف الفاء: الفتاوى مشتملة على مائة وتسعين مسألة غير مرتب. فاتحة العلوم، وهو مشتمل على فصلين. فضائح الإباحية الفكرة والعبرة فواتح السور، والفرق بين الصالح وغير الصالح ذكره في كتابه نصيحة الملوك.

حرف القاف: القانون الكلي، ومنها قانون الرسول، ومنها القربة إلى الله عز وجل، ومنها القسطاس المستقيم مختصر جعله ميزاناً لادراك حقيقة المعرفة. قواعد العقائد وهو في علم الكلام شرحه السيد ركن الدين الاسترابادي، والعلامة محمد أمين بن صدر الدين الشرواني. القول الجميل في الرد على من غير الإنجيل.

حرف الكاف: كيمياء السعادة والعلوم بالفارسية، وهو كتاب كبير يقال أنه ترجم فيه كتابه الإحياء، وقد رأيته بمكة وقد تكلم عليه في مواضع منه تقدمت الإشارة إليه، وكتاب آخر صغير بالعربية نحو أربعة كراريس سماه كذلك وهو عندي، ومنها كشف علوم الآخرة، ومنها كنز العدة.

حرف اللام: اللباب المنتخل في الجدل.

حرف الميم: المستصفى في أصول الفقه مؤلف ضخم رتبه على مقدمة وأربعة اقطار وخاتمة، فالمقدمة فيها التوطئة والتمهيد والقطر الأوّل في الأحكام المشتملة على لباب المقصود، الثاني في الأدلة الحكمية، الثالث في ذكر الاشتهار والمناسبة، الرابع في الاستمرارات، والخاتمة في الإيقاعات، وذكر في أوّله إنه صنفه قبل الإحياء، واختصره أبو العباس أحمد بن محمد الاشبيلي المتوفي سنة ٦٥١، وشرحه الفاضل أبو علي الحسن بن عبد العزيز الفهري المتوفي سنة ٧٧٦، وعليه تعليقة لسليمان بن داود الغرناطي المتوفي سنة ٨٣٢، ومنها المنخول في الأصول. قال ابن السبكي: ألفه في حياة أستاذه إمام الحرمين. قلت: والذي يقتضي سياق عبارة المستصفى في أوله إنه متأخر عن الأحياء وكيمياء السعادة وجواهر القرآن، لأنه بعد ما ذكر هذه الكتب الثلاثة قال: ثم ساقني التقدير الإلهي إلى التصدر للتدريس فكتب من تقريري في علم أصول الفقه فحصلوا تصنيفاً على طريق لم يقع مثله في تهذيب الأصول، فلما أكملوه عرضوه عليَّ ولم أخيب سعيهم وسميته المنخول، وللشيخ شمس الائمة الكردي الحنفي في الرد عليه مصنف لطيف وهو عندي، ومنها المآخذ في الخلافيات بين الحنفية والشافعية، ومنها المبادىء والغايات في أسرار الحرف المكنونات، ومنها المجالس الغزالية. ذكر ابن السبكي انه لما عقد مجلس الوعظ ببغداد ازدحم الناس عليه، فكان يدوّن مجالس وعظه من وراء الناس الشيخ صاعد بن فارس المعروف بابن اللبان، فبلغت مائة وثلاثة وثمانين مجلساً، ثم قرأها بعد ذلك عليه فأجازه بها بعد أن صححها فبيضها في مجلدين ضخمين، ومنها مقاصد الفلاسفة عرف فيه مقاصدهم، وحكى من معلوماتهم. ومنها «المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال» بث فيه غاية العلوم وأسرارها، والمذاهب وأغوارها ورد فيه على الحكماء الفلاسفة ونسبهم إلى الكفر والضلال، وهو عندي. ومنها معيار النظر، ومنها معيار العلم في المنطق. ومنها محل النظر. ومنها مشكاة الأنوار في لطائف الأخيار في الموعظة حصر مقصوده في ثمانية وأربعين باباً. قال في أوله انكشف لارباب القلوب أن لا وصول إلى السعادة للإنسان إلا بإخلاص العلم والعمل للرحمن [فسنح] في خاطري أن أجمع كتاباً جامعاً لجمع أشياء من آيات القرآن العظيم وسنن الرسول عليه الصلاة والسلام وكلمات الأولياء ونكت المشايخ رحمهم الله تعالى وحكم أهل العرفان، وأخذت من كل ما يشوق القلب إليه سبحانه وطاعته ويقطع لذة النفس عن الدنيا وشهواتها ويرغبها في الآخرة ودرجاتها إلى آخر ما قال وهو عندي، ومنها المستظهري في الرد على الباطنية، ومنها ميزان العمل، ومنها مواهم الباطنية، قال ابن السبكي: وهو غير المستظهري في الرد عليهم، ومنها المنهج الأعلى، ومنها معراج السالكين وهو مختصر أورد فيه المواعظ والتذكير، ومنها المكنون في الأصول، ومنها مسلم

السلاطين، ومنها مفصل الخلاف في أصول القياس، ومنها منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين. قيل: هو آخر تآليفه رتبه على سبع عقبات، وقال في أوّله: صنفنا في قطع طريق الآخرة وما يحتاج إليه من علم، وعمل كتباً كإحياء العلوم والقربة إلى الله عز وجل فلم يحسنوها، فأيما كلام أفصح من كلام رب العالمين، فقد قالوا أساطير الأوّلين، واقتضت الحال النظر إلى كافة خلق الله بعين الرحمة وترك المارات فابتهلت إلى الله سبحانه أن يوفقني لتأليف كتاب يقع عليه الإجماع، ويحصل بقراءته الانتفاع، فأجابني وأطلعني بفضله وكرمه على أسرار ذلك، وألهمني ترتيباً عجيباً لم أذكره في التي تقدمت، وقد شرحه شمس الدين البلاطنسي شرحين كبيراً وصغيراً، ثم اختصر المنهاج في جزء سماه بغية الطالبين.

قلت: ولم يذكره ابن السبكي في تعداد مصنفاته، ورأيت في كتاب المسامرة للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدس سره ما نصه إن الشيخ أبا الحسن علي بن خليل السبتي كان عالماً بالحقيقة عارفاً مخمول الذكر رأيته بسبتة وتباحثت معه، ورأيت له تصانيف منها منهاج العابدين الذي يعزى لأبي حامد الغزالي وليس له وهو غريب يستفاد.

حرف النون: نصيحة الملوك فارسي نقله بعضهم إلى العربية وسماه التبر المسبوك.

حرف الواو: الوجيز في الفروع أخذه من البسيط والوسيط له وزاد فيه أموراً، وهو كتاب جليل عمدة في المذهب شرحه الفخر الرازي، وأبو الثناء محمود بن أبي بكر الأرموي، والعماد أبو حامد محمد بن يونس الأربلي، وأبو الفتوح العجلي، وأبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي، وسماه العزيز على الوجيز، وقد تورع بعضهم فسماه فتح العزيز، وقد اختصر النووي من شرح الرافعي كتاباً سماه الروضة، وقد خدم الوجيز علماء كثيرون يقال ان له نحو سبعين شرحاً، وقد قيل: لو كان الغزالي نبياً لكان معجزته الوجيز، وأما من خرّج أحاديثه فابن الملقن في سبع مجلدات سماه البدر المنير، ثم اختصره في أربع مجلدات سماه الخلاصة، ثم لخصه وسماه المنتقى في جزء وهو عندي، ولخصه أيضاً الحافظ ابن حجر، ومنهم البدر بن جماعة، والبدر الزركشي، والشهاب البوصيري والجلال السيوطي وآخرون. ومنها الوسيط في فروع الفقه وهو ملخص من بسيطه مع زيادات وهو أحد الكتب الخمس المتداولة شرحه تلميذه محمد بن يحي النيسابوري سماه المحيط في ستة عشر مجلداً، وشرحه نجم الدين أحمد بن علي بن الرفعة في ستين مجلداً وسماه المطلب، وشرحه النجم القمولي وسماه البحر المحيط، وشرحه الظهير جعفر بن يحي التزينتي، ومحمد بن عبد الحاكم، والعز عمر بن أحمد المدلجي، وأبو الفتوح العجلي، وإبراهيم بن عبدالله بن أبي الدم، وابن الصلاح على الربع الأوّل في ضربين، والكمال أحمد بن عبدالله الجلي الشهير بابن الأستاذ في أربع مجلدات، ويحي بن أبي الخير اليمني، وعليه حواش للعماد عبدالرحمن بن علي المصري القاضي، وخرج أحاديث الوسيط السراج ابن الملقن سماه تذكرة الأخيار بما في الوسيط من الاخبار في مختصر، واختصره النور ابراهيم بن هبة الله الأسنوي وشرح فرائضه فقط إبراهيم بن إسحاق المناوي، وقد مدح كتبه الأربعة أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن يوسف الطرابلسي فقال:

هـــذب المذهـــب حبر أحســـن الله خلاصـــه
ببسيـــط ووسيـــط ووجيـــز وخلاصـــه

حرف الياء: ياقوت التأويل في تفسير التنزيل أربعون مجلداً.

تنبيه:

اعلم إنه قد عُزيَ إلى الشيخ أبي حامد الغزالي كتب، وقد صرح أهل التحقيق أنها ليست له، من جملتها السر المكتوم في أسرار النجوم، ونسب هذا الكتاب إلى الإمام الفخر، فأنكر كونه له أيضاً، لكن أصحاب الروحانيين وأهل التصحيح ينقلون منه أشياء كثيرة بقولهم. قال الفخر الرازي في كتابه السر المكتوم في أسرار النجوم: كذا وكذا. قال صاحب تحفة الارشاد هو موضوع عليه، ومنها كتاب تحسين الظنون وله فيه:

لا تظنـــوا الموت مـــوتـــاً أنـــه لحيـــاة وهـــي غـــايـــات المنـــى
أحسنـــوا الظـــن بـــرب راحـــم تشكـــروا السعـــي وتـــأتـــوا أمنـــا
مـــــا أرى نفسي إلا أنتم واعتقـــادي إنكـــم أنتم أنـــا

وقد صرح الشيخ الأكبر أنه موضوع، ومنها كتاب النفخ والتسوية، فإنه كذلك موضوع عليه، ومنها المضنون به على غير أهله. قال ابن السبكي: ذكر ابن الصلاح إنه منسوب إليه. وقال: معاذ الله أن يكون له، وبين سبب كونه مختلقاً موضوعاً عليه والأمر كما قال، وقد اشتمل على التصريح بقدم العالم ونفي علم القديم بالجزئيات، وكل واحد من هذه يكفر الغزالي قائلها هو وأهل السنة أجمعون، فكيف يتصوّر أنه يقولها وهو عندي، وفي المسامرة أنه من تأليف علي بن خليل السبتي، وكذلك صرح صاحب تحفة الارشاد بأنه موضوع عليه، وقد صنف أبو بكر محمد بن عبدالله المالقي كتاباً في رده توفي سنة ٧٥٠.

الفصل العشرون

في بيان من تلمذ عليه وتفقه به وصحبه وروى عنه وفي أثناء ذلك نورد بعض أسانيدنا إلى المصنف:

فمنهم القاضي أبو نصر أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الخمقري منسوب إلى خمس قرى التي تعرف بسيخ ريه، ولد سنة ٤٦٦، وتفقه بطوس على أبي حامد الغزالي، وسمع الحديث من آخرين، توفي سنة ٥٥٤. ومنهم الإمام أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد بن برهان بفتح الموحدة الأصولي كان حنبلياً، ثم انتقل وتفقه على الشاشي، وأبي حامد الغزالي، والكيا، وكان يـدرس في النظامية في أنواع العلوم، وكان يدرس لهم في الإحياء في نصف الليل، وقد سمع الحديث من ابن البطر، وأبي عبدالله النعالي، وسمع البخاري قراءة على أبي طالب الزينبي، ولد سنة ٤٧٦، وتوفي سنة ٥١٨. ومنهم أبو منصور محمد بن إسماعيل بن الحسين بن القاسم العطاري الطوسي لواعظ الملقب بحفدة توفي سنة ٤٨٦، وتفقه بطوس على أبي حامد الغزالي، وبمرو على أبي بكر

السمعاني، وسمع من البغوي كتبه، وأبي الفتيان الدهستاني الحافظ توفي بمرو سنة ٥٧٣. ومنهم السديد أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد النوقاني تفقه على أبي حامد الغزالي، وقتل في مشهد علي بن موسى الرضي في سنة ٥٥٤ في واقعة النفر.

ومنهم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت المصمودي الملقب بالمهدي صاحب دعوة سلطان المسلمين عبد المؤمن بن علي ملك المغرب. دخل المشرق، فتفقه على أبي حامد الغزالي والكيا وأخباره طويلة ذكرها الاخباريون: ومنهم أبو حامد محمد بن عبد الملك بن محمد الجوزقاني الاسفرايني تفقه على أبي حامد الغزالي ببغداد، وسمع ابن أبي عبدالله الحميدي الحافظ. لقيه ابن السمعاني باسفراين. ومنهم أبو عبدالله محمد بن علي بن عبدالله العراقي البغدادي تفقه على أبي حامد الغزالي، والكيا، والشاشي، وبقي بعد الأربعين وخمسمائة، ومنهم أبو سعيد محمد بن علي الجاواني الكردي حدث بكتاب الجام العوام للغزالي عنه، وقرأ المقامات الحريرية على مؤلفها. ومنهم الإمام أبو سعيد محمد بن يحيى بن منصور النيسابوري ولد سنة ٤٧٦، وهو من أشهر تلامذة أبي حامد الغزالي تفقه عليه، وشرح كتابه البسيط، وسمع الحديث من أبي حامد بن عبدوس، ونصر الله الخشناني، وعليه تفقه الموفق الخوشاني المدفون تحت رجلي الإمام الشافعي بمصر استشهد في رمضان سنة ٥٤٨ في واقعة الفنز ومنهم أبو طاهر إبراهيم بن المطهر الشيباني حضر دروس إمام الحرمين بنيسابور، ثم صحب الغزالي وسافر معه إلى العراق والحجاز والشام، ثم عاد إلى وطنه بجرجان، وأخذ في التدريس والوعظ قتل شهيداً سنة ٥١٣. ومنهم أبو الفتح نصر بن محمد بن إبراهيم الأذربيجاني المراغي الصوفي حكى عن أبي حامد الغزالي وغيره، حكى عنه أبو سعد بن السمعاني قال: سمعت أبا الفتوح نصر بن محمد بن إبراهيم المراغي املاء بأصل طبرستان يقول: اجتمع الائمة أبو حامد الغزالي، وإسماعيل الحاكمي، وإبراهيم الشباكي، وأبو الحسن البصري، وجماعة كثيرة من أكابر الغرباء في مهد عيسى عليه السلام ببيت المقدس. وأنشد فقال هذين البيتين:

فديتك لولا الحب كنت فديتني ... ولكن بسحر المقلتين سبيتني
أتيتك لما ضاق صدري من الهوى ... ولو كنت تدري كيف شوقي أتيتني

فتواجد أبو الحسن البصري وجداً أثر في الحاضرين، ودمعت العيون، ومزقت الجيوب. وتوفي محمد الكازروني من بين الجماعة في الوجد. قال المراغي: وكنت معهم حاضراً وشاهدت ذلك. ومنهم الإمام أبو عبدالله الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين الجهني الموصلي تفقه على الغزالي وسمع من طراد الزينبي وابن البطر. توفي سنة ٥٥٢، ومنهم خلف بن أحمد النيسابوري ممن تفقه على الغزالي وله عنه تعليقة ذكره ابن الصلاح في مشكل الوسيط، وقال: بلغني انه توفي قبل الغزالي، ومنهم أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد الأنصاري البلنسي المحدث أحد السياحين. تفقه ببغداد على الغزالي، وسمع بها من طراد، وابن البطر، روى عنه السمعاني، وابن الجوزي، وابنته فاطمة بنت سعد توفي سنة ٥٤١، ومنهم أبو عبدالله شافع بن عبد الرشيد

ابن القاسم الجيلي تفقه على الكيا والغزالي وسمع الحديث بالبصرة. روى عنه ابن السمعاني توفي سنة ٥٤١. ومنهم أبو عامر دغش بن علي بن أبي العباس النعيمي الموفقي خرج إلى طوس وأقام عند أبي حامد الغزالي مدة، وأخذ عنه توفي سنة ٥٤٢. ومنهم الأستاذ أبو طالب عبد الكريم بن علي بن أبي طالب الرازي، تفقه على الغزالي ببغداد، والكيا، ومحمد بن ثابت الخجندي. روى عنه أبو النضر الفامي مؤرخ هراة، وكان أبو طالب يحفظ الإحياء سرداً على القلب توفي بمرو الروذ سنة ٥٢٨. ومنهم الإمام أبو منصور سعيد بن محمد بن عمر بن منصور الرزاز ولد سنة ٤٦٢، وتفقه على الشاشي، والغزالي، والمتولي، والطبري، والكيا، ودرس بالنظامية توفي سنة ٥٠٣، وولده سعيد وحفيده سعيد بن محمد وحفيد حفيده سعيد بن محمد بن سعيد كلهم حدثوا ذكرتهم في شرح القاموس. ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن حموية الجويني الصوفي، صحب الإمام الغزالي بطوس، وتفقه عليه، وروى الحديث عن عبد الغفار الشيروي، ومنهم أبو محمد صالح بن محمد بن عبدالله بن حرازم لقبه بالقوس وصحبه، واتفقت له معه غريبة حكاها الشهاب أحمد بن عبدالله بن القاضي السجلماسي في كتابه الأصليت. ومنهم أبو الحسن علي بن المطهر بن مكي بن مقلاص الدينوري من كبار تلامذة الغزالي في الفقه، وسمع الحديث من ابن البطر وطبقته، روى عنه ابن عساكر. توفي سنة ٥٣٣. ومنهم مروان بن علي بن سلامة بن مروان بن عبدالله الطنزي من قرية بديار بكر، ورد بغداد وتفقه بها على الغزالي والشاشي. روى عنه ابن عساكر. توفي بعد سنة ٥٤٠. ومنهم أبو الحسن علي بن مسلم بن محمد بن علي السلمي جمال الإسلام. لازم الغزالي مدة مقامه بدمشق، وأخذ عنه. يحكى أن الغزالي قال بعد خروجه من الشام: خلفت بالشام شاباً إن عاش كان له شأن يعني جمال الإسلام هذا، فكان كما تفرس فيه.

وممن روى عنه الحافظ أبو القاسم بن عساكر، والحافظ السلفي، وبركات الخشوعي، والقاسم ابن عساكر آخرهم وفاة القاضي عبد الصمد الحرستاني توفي سنة ٤٣٣. وقعت لنا رواية الكتاب من طريقه [أخبرنا بها] غير واحد من الشيوخ، كالسيد ابن المعمر بن عبد الحي بن الحسن بن زين العابدين، ومحمد بن محمد الحسنيان إجازة منهما شفاهاً، عن محمد بن عبد الباقي بن يوسف، ومحمد ابن القاسم بن إسماعيل قال الأول: أخبرنا أبو الحسن علي بن علي الأزهري، أخبرنا أحمد بن خليل، أخبرنا محمد بن أحمد بن علي. وقال الثاني: وهو أعلى: أخبرنا عمي موسى بن إسماعيل، أخبرنا عبد الوهاب بن أحمد قالا: أخبرنا قاضي القضاة أبو يحيى الأنصاري، أخبرنا الحافظان أبو الفضل بن حجر، وأبو النعيم العقبي قال: أخبرنا الحافظان الزين العراقي، والنور علي بن سليمان الهيتمي، قالا: أخبرنا مسند الشام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي، أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر حضوراً في الرابعة، أخبرنا أبو طاهر بركات ابن إبراهيم الخشوعي قال: أخبرنا جمال الإسلام علي بن المسلم بن محمد بن علي السلمي قال: أخبرنا مؤلفه فذكره.

وممن روى عنه كتاب الإحياء عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن يوسف البغدادي، وقعت لنا روايته من طريقه. أخبرنا السيد المسند عمر بن أحمد بن عقيل الحسنى إذناً خاصاً،

أخبرني خالي محدث الحجاز عبدالله بن سالم بن محمد بن عيسى البصري، أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء قراءة عليه، وأنا أسمع من أوّله إلى كتاب العلم، ومن أوّل بداية الهداية إلى القسم الأوّل في الطاعات وإجازة لسائرهما وسائر تصانيفه عن سليمان بن عبد الدائم البابلي عن النجم محمد بن أحمد، عن الأمين محمد بن أحمد بن عيسى بن النجار البدراني، عن الشيخ جلال الدين بن الملقن، عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد التنوخي، عن التقي سليمان بن حمزة، عن عمر ابن كرم الدينوري، عن عبد الخالق بن أحمد عن مؤلفها.

وممن روى عنه كتاب الإحياء محمد بن ثابت بن الحسن بن علي الخجندي من ولد المهلب بن أبي صفرة، وقد روى عنه الحافظ أبو سعد بن السمعاني، وعبد الكريم بن أبي طالب الرازي، ومن أحفاده محمد بن عبد اللطيف بن محمد كان رئيس أصبهان، وتوفي سنة ٥٥٢، وولده عبد اللطيف سمع من أبي الوقت توفي سنة ٥٦٥، وولده محمد انتهت إليه الرئاسة بأصبهان توفي سنة ٥٧٢، وقعت لنا روايته من طريقه. أخبرنا الشيخ المحدث الصوفي رضي الدين عبد الخالق بن أبي بكر بن الزين المزجاجي الحنفي الزبيدي، والسيد العارف الصوفي عبدالله بن أحمد بن دامل الحسيني. قال الأول: أخبرنا السيد المحدث عماد الدين يحيى بن عمر بن عبد القادر الحسيني، أخبرنا أبو الأسرار الحسن بن علي بن يحيى الحنفي المكي، أخبرنا البرهان إبراهيم بن محمد الميموني، أخبرنا الشمس محمد بن أحمد بن حمزة الرملي ح.

وقال شيخنا الثاني وهو أعلى، أخبرنا عبد الخالق بن الزين المزجاجي الحنفي نزيل صنعاء، أخبرنا أبو الوفاء أحمد بن محمد بن العجيل المعمر، أخبرنا يحيى بن مكرم الطبري إجازة قالا: أخبرنا شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري زاد الطبري فقال: والحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي قالا: أخبرنا الحافظان الشهاب أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وأبو النعيم رضوان بن محمد بن يوسف العقبي مشافهة. قالا: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن أبي المجلد الدمشقي قدم علينا، حدثنا التقي سليمان بن حمزة الحاكم، حدثنا محمد بن عماد الحراني في كتابه، حدثنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني الحافظ في كتابه، حدثنا محمد بن ثابت، أخبرنا مؤلفه، وبالسند إلى الحافظ السخاوي وشيخ الإسلام قالا: أخبرنا أبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن الفرات الحنفي، أخبرنا التاج أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، أخبرنا الشمس أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ، أخبرنا مؤرخ هراة أبو النضر الفامي، أخبرنا عبد الكريم بن أبي طالب الرازي، أخبرنا محمد بن ثابت، وأعلى من ذلك رواه الرازي عن مؤلفه، وكتب إلى فخر الديار الشامية أبو عبدالله محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، أنبأنا أبو المواهب محمد بن عبد الباقي، وأبو التقي عمر بن أبي تغلب الشيباني، وعبد الغني بن إسماعيل النابلسي، والمعمر بن عبد الرحمن بن محيي الدين السليمي قالوا: أخبرنا أبو التقي عبد الباقي بن عبد الباقي السعلي، وهو ولد الأول أخبرنا الشمس محمد بن يوسف الميداني، عن الشهاب أحمد ابن بدر الطيبي، عن الكمال محمد بن حمزة الحسيني عن أبي حفص الحنبلي، عن سليمان بن حمزة

بسنده المتقدم قال شيخنا: ونروي أكثر الاحياء سماعاً عن الشيخ إسماعيل العجلوني، عن أبي المواهب، عن والده بسنده المذكور.

وممن روي عنه كتاب الاحياء أبو الفتوح أسعد بن أحمد الأسفرايني وقعت لنا روايته من طريقه. أخبرنا شيخنا العلامة شمس الدين محمد بن علاء الدين المزجاجي الحنفي الزبيدي، وشيخنا سيدي عبد الخالق قالا: أخبرنا علاء الدين بن عبد الباقي المزجاجي، وهو والد الأوّل عن أخيه عبدالله بن عبد الباقي، عن عبد الهادي بن عبد الجبار بن موسى بن جنيد القرشي، عن البرهان إبراهيم بن أبي القاسم بن جعمان الزبيدي، أخبرنا الشريف طاهر بن الحسين الأهدل، أخبرنا الوجيه عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الربيع الشيبانيالزبيدي، أخبرنا الشهاب أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، أخبرنا النفيس سليمان بن إبراهيم العلوي، أخبرنا موفق الدين علي بن أبي بكر بن شداد المقري، أخبرنا الشهاب أحمد بن أبي الخير الشماخي السعدي، أخبرنا العز الفاروثي، أخبرنا أبو الفضل الموفق البوشنجي ، أخبرنا أبو الفتوح الأسفرايني، أخبرنا مؤلفه إجازة مناولة.

وممن روى عنه كتاب الاحياء أبو عبدالله محمد اللبني المالكي تفقه على الغزالي، وروى الحديث. روى عنهولده الفقيه أبو محمد عبد المولىأحد مشايخ ابن الجواني النسابة بمصر وقعت لنا روايته، وكذا بداية الهداية له من طريقه، وبالسند إلى الحافظ البابلي أخبرنا أبو محمد عبد الرؤوف ابن محمد المناوي، أخبرنا الشمس محمد بن عبد الرحمن العلقمي، أخبرنا الحافظ السيوطي، أخبرتني أم الفضل هاجر بنت الشرف محمد القدسية إجازة، أخبرنا أبو الفرج القري سماعاً في الخامسة، أخبرنا أبو الحسن علي بن قريش، أخبرنا الكمال أبو الحسن علي بن شجاع الضرير، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبد المولى اللبني، أخبرنا أبي عن المؤلف.

وممن روى عنه كتاب الاحياء القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي وقعت لنا رواية من طريقه. أخبرنا شيخنا السيد عمر بن أحمد بن عقيل، وشيخنا الفقيه المحدث أبو العباس أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الخالدي، والعلامة المعمر بركة الوجود أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف المجيري، والأستاذ الأجل عبدالله بن محمد بن عامر الشافعيون إذناً منهم لي خاصاً قالوا: أخبرنا محدث الحجاز عبدالله بن سالم بن محمد، والشهاب أحمد بن محمد بن أحمد المكي ح.

وأخبرنا الإمام الصوفي العارف عبدالله بن إبراهيم بن حسن الحسيني النسفي، أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد المكي ح.

وأخبرنا الإمام أبو المعالي الحسن بن علي بن أحمد بن عبدالله القاهري، أخبرنا المحدث أبو العز محمد بن أحمد بن أحمد القاهري قالوا: وهم ثلاثة. أخبرنا أبو عبدالله محمد بن محمد بن سليمان السوسي، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الأجهوري، والشهاب أحمد بن محمد الخفاجي كلاهما عن الشمس محمد بن أحمد الرملي، والسراج عمر بن الجاي، والبدر الكرخي قالوا: أخبرنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ح.

وأخبرنا ذو الفنون محمد بن الطيب بن محمد الفاسي، وإسماعيل بن عبدالله بن علي في آخرين قالوا: أخبرنا محمد بن إبراهيم بن حسن، أخبرنا والدي، أخبرنا القطب صفي الدين أحمد بن محمد القشاشي، أخبرنا أبو المواهب أحمد بن علي بن عبد القدّوس، أخبرنا والدي، أخبرنا القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني أخبرنا شيخ الإسلام، أخبرنا الحافظ أبو الفضل بن حجر ح. زاد ابن سليمان.

وأخبرنا أبو عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري، أخبرنا أبو عثمان سعيد بن أحمد التلمساني، عن أبي زيد عبد الرحمن بن علي بن أحمد العاصمي، عن البرهان القلقشندي، أخبرنا الحافظ بن حجر، عن أبي حيان محمد بن حيان، عن جده أبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، عن الحسن بن أبي الأحوص الفهري، عن أحمد بن محمد الخزرجي، عن القاضي أبي بكر بن العربي عن مؤلفه.

وممن روى عنه كتاب الاحياء والبداية أبو العباس أحمد بن محمد المنـداي وقعت لنا روايتها من طريقه، وبالسند إلى الحافظ السخاوي. أخبرنا المسند محمد بن مقبل الحلبي، أخبرنا محمد بن علي الحراوي، أخبرنا الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الضمياطي، أخبرنا المسند المعمر أبو الحسن علي بن محمد البغدادي الشهير بابن المغير، أخبرنا أبو العباس المنداي، عن مصنفه.

وممن روى عنه كتابه الاحياء إجازة الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي نزيل الإسكندرية وقعت لنا روايته من طريقه، وبالسند إلى النور الأجهوري قال: أخبرنا البدر محمد ابن يحيى القرافي، أخبرنا الحافظ جلال الدين السيوطي، أنبأني أبو الفرج محمد بن أبي بكر المراغي، عن أبيه ح. وبالسند المتقدم إلى ابن الفرات، عن التاج عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ح. وبالسند إلى الحافظ بن حجر، وأبي النعيم العقبي قال: أخبرنا البرهان إبراهيم بن عبد الواحد التنوخي قالوا وهم ثلاثة. أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب الصالحي، عن جعفر بن علي الهمداني، أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي، أنبأنا الإمام أبو حامد الغزالي إجازة مراسلة.

وممن روى عنه كتابه الاحياء أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد الخليل النوقاني وقعت لنا روايته من طريقه وبالسند المتقدّم إلى ابن السمعاني قال: سمعت أبا سعيد النوقاني بمرو يقول: حضرت درس الإمام أبي حامد الغزالي لكتاب إحياء علوم الدين، وذكر الإنشاد الذي قدمناه آنفاً.

الفصل الحادي والعشرون

في الاعتذار عن المصنف في إيثاره الرخصة والسعة في النقل:

وهو خاتمة الفصول في الإعتذار عن المصنف في إيثاره الرخصة والسعة في النقل والرواية في كتابه. هذا من الأخبار عن النبي ﷺ، ثم الآثار عن الأصحاب، وعن التابعين وتابعيهم، ثم عمـن بعدهم من متقدّمي السلف فإنه قد يتفق له في سياقه مخالفة الألفاظ والتقديم والتأخير والزيادة

والنقص مع موافقة المعنى، ولم يعتبر رحمه الله تعالى في بعض المواضع ألفاظ الأخبار والآثار. إذ لم يكن تحرير الألفاظ عنده واجباً إذا أتى بالمعنى بعد علمه بتصريف الكلام وبتفاوت وجوه المعاني واجتنابه، لما يكون به تحريف أو إحالة بين لفظتين، وقد رخص في سوق الحديث بالمعنى دون سياقه على اللفظ جماعة منهم: علي، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو الدرداء، وواثلة بن الأسقع، وأبو هريرة رضي الله عنهم، ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم: إمام الأئمة الحسن البصري، ثم الشعبي، وعمرو بن دينار، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، وعكرمة. نقل ذلك عنهم في كتب سيرهم باخبار مختلفة الألفاظ. وقال ابن سيرين: كنت أسمع الحديث من عشرة المعنى واحد والألفاظ مختلفة، وكذلك اختلفت ألفاظ الصحابة في رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، فمنهم من يرويه تاماً، ومنهم من يأتي بالمعنى، ومنهم من يورده مختصراً وبعضهم يغاير بين اللفظين ويراه واسعاً إذا لم يخالف المعنى، وكلهم لا يتعمد الكذب وجميعم يقصد الصدق، ومعنى ما سمع فلذلك وسعهم، وكانوا يقولون: إنما الكذب على من تعمده. وقد روي عن عمران ابن مسلم قال، قال رجل للحسن يا أبا سعيد: إنك تحدث بالحديث أنت أحسن له سياقاً وأجود تحبيراً وأفصح به لساناً منه اذا حدثنا به، فقال: إذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك، وقد قال النضر بن شميل: كان هشيم لحاناً فكسوت لكم حديثه كسوة حسنة يعني بالإعراب، وكان النضر نحوياً، وكان سفيان يقول: إذا رأيتم الرجل يشدد في ألفاظ الحديث في المجلس فاعلم أنه يقول اعرفوني. قال: وجعل رجل يسأل يحي بن سعيد القطان عن حرف في الحديث على لفظه فقال له يحي: يا هذا ليس في الدنيا أجل من كتاب الله تعالى قد رخص للقراءة فيه بالكلمة على سبعة أحرف فلا تشدد، وفي شرح التقريب للحافظ السيوطي في النوع السادس والعشرين في الفرع الرابع منه ما نصه مع بعض اختصار: إن لم يكن الراوي عالماً بالألفاظ خبيراً بما يحيل معانيها لم تجزله الرواية لما سمعه بالمعنى بلا خلاف، بل يتعين اللفظ الذي سمعه، فإن كان عالماً بذلك فقالت طائفة من أهل الحديث والفقه والأصول: لا يجوز إلا بلفظه، وإليه ذهب ابن سيرين، وثعلب، وأبو بكر الرازي من الحنفية، وروي عن ابن عمر. وقال جمهور السلف والخلف من الطوائف منهم الأئمة الأربعة: يجوز بالمعنى في جميع ذلك إذا قطع بإداء المعنى لأن ذلك هو الذي يشهد به أحوال الصحابة والسلف ويدل عليه روايتهم اللفظة الواحدة بألفاظ مختلفة، وقد ورد في المسألة حديث مرفوع رواه ابن منده في معرفة الصحابة، والطبراني في الكبير من حديث عبدالله ابن سليمان بن أكثم الليثي قال: قلت يا رسول الله: إني إذا سمعت منك الحديث لا أستطيع أن أرويه كما أسمع منك يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً فقال: إذا لم تحلوا حراماً ولـم تحـرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس، فذكر ذلك للحسن فقال: لولا هذا ما حدثنا. وقد استدل الشافعي لذلك بحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف، وروى البيهقي عن مكحول قال: دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع فقلنا له: حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه وهم ولا تزيد ولا نسيان فقال: هل قرأ أحد منكم من القرآن شيئاً؟ فقلنا: نعم وما نحن له بحافظين جداً إنا لنزيد الواو والألف وننقص. قال؛ فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا تألونه حفظاً

وإنكم تزعمون إنكم تزيدون وتنقصون، فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ﷺ عسى أن لا يكون سمعنا لها منه إلا مرة واحدة. حسبكم إذا حدثناكم بالحديث على المعنى، وأسند أيضاً في المدخل عن جابر بن عبدالله قال: قال حذيفة: إنا قوم عرب نورد الحديث فنقدم ونؤخر، وأسند أيضاً عن شعيب بن الحجاب قال: دخلت أنا وعبدان على الحسن فقلنا يا أبا سعيد: الرجل يحدث بالحديث فيزيد فيه أو ينقص منه. قال: إنما الكذب من تعمد ذلك، وأسند أيضاً عن جرير بن حازم قال: سمعت الحسن يحدث بأحاديث الأصل واحد والكلام مختلف، وأسند عن ابن عون قال: كان الحسن وإبراهيم والشعبي يأتون بالحديث على المعاني، وأسند عن أويس قال: سألنا الزهري عن التقديم والتأخير في الحديث فقال: هذا يجوز في القرآن فكيف به في الحديث؟ وإذا أصيب معنى الحديث فلم يحل به حراماً ولم يحرم به حلالاً فلا بأس، ونقل ذلك سفيان عن عمرو بن دينار وأسند عن وكيع قال: إن لم يكن المعنى واسعاً فقد هلك الناس اهـ. ما تعلق الغرض به.

وقوله في أول سياقه منهم الأئمة الأربعة. أي أئمة المذاهب، والمشهور عن إمامنا الأعظم أبي حنيفة رحمه الله تعالى عند الأصحاب أنه لا يجوز نقل الحديث إلا باللفظ دون المعنى. قالوا: وبهذا الإعتبار قلت روايته للحديث، وروينا عن الإمام أبي جعفر الطحاوي أنه قال: حدثنا سليمان بن شعيب، حدثنا أبي قال: أملى علينا أبو يوسف قال: قال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا ينبغي للرجل أن يحدث من الحديث إلا بما حفظه من يوم سمعه إلى يوم يحدث به، وهكذا ذكره الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام من تاريخه، عن أبي يوسف عنه فافهمه، فإن اطلاقه في العبارة ربما يوهم خلاف ما ذكرناه، وإليه ذهب القاضي عياض من المالكية حيث قال فيما نقله السيوطي في شرح الكتاب المذكور ينبغي سدّ باب الرواية بالمعنى لئلا يتسلط من لا يحسن ممن يظن أنه يحسن كما وقع للرواة كثيراً قديماً وحديثاً، وعلى الجواز الأولى إيراد الحديث بلفظه دون التصرف فيه، ثم ان المصنف قد روى في كتابه هذا مراسيل ومقاطيع، ومنها ما في سنده مقال، وربما كان المقطوع والمرسل أصح من بعض المسند إذ رواه الأئمة وجازهم رسم ذلك في الورع لمعان. أحدها: يقول أنا لسنا على يقين من باطلها، والثاني: يقول أن معنا حجة بذلك وهو رواية أصحاب الحديث له وهم قد سمعوه، فإن أخطأوا الحقيقة عند الله تعالى فذلك ساقط عنهم، والثالث: يقول أن الأخبار الضعاف غير مخالفة للكتاب والسنة فلا يلزمنا ردها بل فيها ما يدل عليها، والرابع: يقول أنا متعبدون بحسن الظن منهيون عن كثير من الظن، والخامس: يقول أنه لا يتوصل إلى حقيقة ذلك إلا من طريق المعاينة ولا سبيل إليها فاضطررنا إلى التقليد والتصديق لحسن الظن بالنقلة مع ما تسكن إليه قلوبنا وتلين له أبشارنا، ونرى أنه حق كما جاء في الخبر، ويقول أيضاً: أنه ينبغي أن نعتقد في سلفنا المؤمنين أنهم خير منا، ثم يقول نحن لا نكذب على رسول الله ﷺ ولا على التابعين، فكيف يظن بهم أن يكذبوا وهم فوقنا على أنه قد جاءت أحاديث ضعاف بأسانيد صحاح، فكذلك يصلح أن ترد أحاديث صحاح بسند ضعيف لاحتمال أن يكون قد روي من وجه صحيح إذ لم نحط بجملة العلم أو لأن بعض ما تضعف به رواة

الحديث وتعطل به أحاديثهم لا يكون تعليلاً ولا جرحاً عند الفقهاء ولا عند العلماء بالله تعالى مثل أن يكون الراوي مجهولاً لإيثـاره الخمول، وقد ندب إليه أو لقلة الإتباع له إذ لم يقسم لهم الأثرة عنه أو ينفرد بلفظ أو حديث حفظه، أو خص به دون غيره من الثقات، أو يكون غير سائق للحديث على لفظه، أو لا يكون معنياً بدرسه وحفظه، أو يسمع منه كلام لا يجرحه عند الفقهاء علله به بعض المجرحين من الرواة وأن بعض من يضعفه أصحاب الحديث هو من علماء الآخرة ومن أهل المعرفة بالله تعالى، وله في الرواية والحديث مذهب غير طريقة بعض أصحاب الحديث فيعمل في روايته بمذهبه فلا يكون أصحاب الحديث حجة عليه، بل هو حجة عليهم إذ ليس هو عند أصحابه من العلماء دون أصحاب الحديث فمن ضعفه إذ رأى غير مذهبه وقد يتكلم بعض الحفاظ كابن الجوزي وأضرابه بالاقدام والجرأة فيجاوز الحد في الجرح ويتعدى في اللفظ ويكون المتكلم فيه أفضل منه، وعند العلماء بالله تعالى أعلى درجة فيعود الجرح على الجارح وأن بعض من يضعفه أهل الحديث يقويه بعضهم وبعض من يجرحه ويذمه واحد يعد له ويمدحه آخر، فصار مختلفاً فيه فلم يرد حديثه بقول واحد دون من فوقه أو مثله. وقال بعض العلماء: الحديث وإن كان شهادة فقد وسع فيه بحسن الظن كما جوّز فيه قبول شاهد واحد أي للضرورة كشهادة القابلة ونحوها ويروى بمعناه عن الإمام أحمد، والحديث إذا لم ينافه كتاب أو سنة وإن لم يشهدا له أو لم يخرج تأويله عن إجماع الأمة فإنه يوجب القبول والعمل لقوله ﷺ كيف وقد قيل، والحديث الضعيف عن الإمام أحمد آثر من الرأي والقياس، وقال محمد بن حزم: جميع الحنفية مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من القياس والرأي نقله الذهبي، والحديث إذا تداوله عصران، أو رواه القرون الثلاثة، أو دار في العصر الواحد ولم ينكره علماؤه، أو كان مشهوراً لا ينكره الطبقة من المسلمين احتمل ووقع به حجة، وإن كان في سنده قول إلا ما خالف الكتاب والسنة الصحيحة أو اجماع الأمة. أو ظهر كذب ناقليه بشهادة الصادقين من الأئمة. وذكر رجل عند الزهري حديثاً قال: ما سمعنا بهذا، فقال: أكل حديث رسول الله ﷺ سمعت قال: لا. قال: فثلثاه. قال: لا. قال: فنصفه فسكت، فقال: عد هذا من النصف الذي لم تسمعه. نقله صاحب القوت وهو في الحليـة لأبي نعيم في ترجمة الزهري، وأخرج ابن عساكر في التاريخ في ترجمة أبي سهيل نافع بن مالك عم مالك بن أنس من رواية أبي أسامة عن جرير بن حازم، عن الزبير بن سعيد الهاشمي عنه قال، قلـت للزهري: أما بلغك أن رسول الله ﷺ قال: من طلب شيئاً من هذا العلم الذي يراد به وجه الله ليطلب به شيئاً من عرض الدنيا دخل النار؟ فقال الزهري: لا ما بلغني هذا من رسول الله ﷺ، فقلت له: وكل حديث رسول الله ﷺ بلغك؟ قال: لا. قلت: فنصفه؟ قال: عـسى. قلت: فهذا من النصف الذي لم يبلغك. وقال وكيع بن الجراح: ما ينبغي لأحد أن يقول هذا الحديث باطل لأن الحديث أكثر من ذلك، وقال أبو داوود، قال أبو زرعة الرازي: قبض رسول الله ﷺ عن عشرين ألف عين نظرته كل واحـد قد روى عنه ولو حديثاً ولو كلمة[1] رواية، فحديث رسول الله ﷺ أكثر

---

(١) هكذا في الأصل.

من ذلك. قال أحمد بن حنبل: كان يزيد بن هارون يكتب عن الرجل ويعلم أنه ضعيف، وكان له ذكاء وعلم بالحديث. وقال إسحاق بن راهويه، قيل لأحمد: هذه الفوائد التي فيها المناكير ترى أن يكتب الجيد منها. فقال: المنكر أبداً منكر. قيل: فالضعفاء قال يحتاج إليهم في وقت كأنه لم ير بالكتابة عنهم بأساً. وقال أبو بكر المروزي عنه: أن الحديث عن الضعفاء قد يحتاج إليه، ومما يدلك على مذهبه في التوسعة أنه أخرج حديثه كله في المسند المأثور عنه ولم يعتبر الصحيح منه، وفيه أحاديث يعلم النقاد أنها ضعيفة وهو أعلم بضعفها منهم، ثم أدخلها في مسنده لأنه أراد تخريج المسند ولم يقصد صحيح السند فاستجاز رواتها. وقد أخرج ابن الجوزي بعضاً منها في الموضوعات وافقه على بعضها الحافظ العراقي في جزء لطيف، ورد عليهما تلميذه الحافظ بن حجر، فاوسع الكلام على تلك الأحاديث التي طعن عليها ابن الجوزي في جزء سماه (القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد) كلاهما عندي، وكان الإمام أحمد قد قطع أن يحدث الناس في سنة ثمان وعشرين وتوفي سنة إحدى وأربعين، فلم يسمع أحد منه في هذه المدة إلا ابن منيع جزأ واحداً بشفاعة جده أحمد بن منيع ويروى عنه. قال: كان عبد الرحمن ينكر الحديث، ثم يخرج إلينا بعد في وقت فيقول: هو صحيح قد وجدته. قال: وأما وكيع فلم يكن ينكر، ولكن كان يقول إن سئل عنه لا أحفظ، ويروى عن ابن أخت عبد الرحمن بن مهدي قال: كان خالي قد خط عليّ أحاديث ثم صحح عليها بعد ذلك وقرأتها عليه فقلت: قد كنت خططت عليها. فقال: نعم ثم تفكرت إني إذا ضعفتها أسقطت عدالة ناقلها فإن جاثاني بين يدي الله تعالى وقال لي أسقطت عدالتي رأيتني سمعت كلامي لم يكن لي حجة. كان هذا مذهب الورعين من السلف. وقال بعضهم في تضعيف الرواة أن خلصت نيتك يعني أن أردت الله تعالى والدين بذلك لم يكن لك ولا عليك، فهذا الذي ذكرت لك هو أصل في معرفة الحديث وهو علم لأهله وطريق هم سالكوه، وما قصدت بذلك الإزراء ولا التنقيص لمقام أصحاب الحديث. كلا والله بل إني محب لهم ومعتقد حسن طريقتهم، وإنما أوسعت في الكلام ليظهر بذلك علو نظر الإمام أبي حامد وإن أكثر ما قيل فيه من جهة إيراده الأحاديث الضعيفة في كتابه غير متجه اذ مقصده جيل لا يتعدى عن حسن الظن بهؤلاء الذين رووها في كتبهم. ونقل هو عن تلك المصنفات والله تعالى يجعل ما كتبته خالصاً لوجهه الكريم ومقرباً إلى جنات النعيم آمين آمين آمين.

خاتمة الفصول في بيان الجرح والتعديل:

ومعرفة هذه المسألة مهمة. قال ابن السبكي في الطبقات في ترجمة أبي جعفر أحمد بن صالح من الطبقة الأولى من أصحاب الشافعي ما نصه: ننبهك هنا على قاعدة عظيمة في الجرح والتعديل ضرورية نافعة لا تراها في شيء من كتب الأصول.

قلت: وقد انتقيت من كلامه في هذه المسألة ما يدل على المقصود منه. قال: فإنك إذا سمعت أن الجرح مقدم على التعديل، ورأيت الجرح والتعديل في الإنسان وكنت غراً بالأمور وقدماً مقتصراً على منقول الأصول حسبت أن العمل على جرحه، فإياك ثم إياك والحذر كل

الحذر من هذا الحسبان، بل الصواب أن من ثبتت امامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه وندرجارحـوه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره، فلا يلتفت إلى الجرح فيه ويعمل فيه بالعدالة، وإلا لو فتحنا هذا الباب وأخذنا بتقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون، وقد أشار لذلك ابن عبد البر في كتاب العلم، واستدل أن السلف تكلم بعضهم في بعض بكلام منه ما حمل عليه التعصب والحسد، ومنه ما دعا إليه التأويل واختلاف الإجتهاد كما لا يلزم المقول فيه ما قال القائل فيه، وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلاً واجتهاداً. قال، ومما نقم به على يحيى بن معين وعيب به كلامه في الشافعي، وهو لا يعرف الشافعي، ولا يعرف ما قاله الشافعي، ومن جهل شيئاً عاداه، وكلام ابن أبي ذئب، وإبراهيم بن سعد، وعبد العزيز بن أبي سلمة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ومحمد بن إسحاق، وابن أبي يحيى، وابن أبي الزناد في مالك بن أنس وعابوا عليه أشياء، وقد برأه الله عز وجل عما قالوا. قال: وما مثل من تكلم في مالك والشافعي ونظائرهما إلا كما قال الأعشى:

كناطح صخرة يوماً ليفلقها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

أو كما قال الحسن بن حميد:

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه ... أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول:

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً ... وللناس قال بالظنون وقيل

وقيل لابن المبارك فلان يتكلم في أبي حنيفة فأنشد:

حسدوك لما رأوك فضلك اللـ ... ـه بما فضلت به النجباء

وقيل لأبي عاصم النبيل فلان يتكلم في أبي حنيفة فقال هو كما قال نصيب:

سلمت وهل حي من الناس سالم

وقال أبو الأسود الديلي

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم

هذا كله كلام ابن عبد البر، وفصل الخطاب فيه أن الجارح لا يقبل منه الجرح، وإن فسره في حق من غلبت طاعته على معاصيه، ومادحوه على ذاميه، ومزكوه على جارحيه إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل إن ذلك من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية كما يكون بين النظراء، فلا يلتفت إلى كلام ابن أبي ذئب في مالك، وابن معين في الشافعي، والنسائي في أحمد بن صالح، لأن هؤلاء مشهورون صار الجارح لهم كالآتي بخبر غريب لو صح لتوفرت الدواعي على نقله، فكان القاطع قائماً على كذبه فيما قاله.

ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح، فربما

خالف الجارح المجروح في العقيدة فجرحه لذلك، وقد وقع هذا لكثير من الائمة جرحوا بناء على معتقدهم وهم المخطئون، والمجروح مصيب وإلى هذا أشار ابن دقيق العيد في الإقتراح وقال: اعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس المحدثون والحكام اهـ. ثم قال: ومن شهد على آخر وهو مخالف له في العقيدة أوجبت مخالفته له ريبة عند الحاكم المتبصر لا يجدها إذا كانت الشهادة صادرة من غير تخالف في العقيدة، ثم المشهود به يختلف باختلاف الأغراض والأحوال، فربما وضح غرض الشاهد على المشهود عليه ايضاحاً لا يخفى على أحد، وذلك لقربه من نص معتقده، أو ما أشبه ذلك، وربما دق وغمض بحيث لا يدركه إلا الفطن من الحكام، ورب شاهد من أهل السنة ساذج قد مقت المبتدع مقتاً زائداً على ما يطلبه الله منه وأساء الظن به إساءة أوجبت له تصديق ما يبلغه عنه، فبلغه عنه شيء فغلب على ظنه صدقه كما قدمناه فشهد به، فسبيل الحاكم التوقف في مثل هذا إلى أن يتبين له الحال فيه، وسبيل الشاهد الورع ولو كان من أصلب أهل السنة أن يعرض على نفسه ما نقل له عن هذا المبتدع وقد صدقه وعزم على أن يشهد عليه به ويعرض على نفسه مثل هذا الخبر بعينه. إن لو كان عن شخص من أهل عقيدته هل كان يصدقه، وبتقدير إن لو كان يصدقه فهل كان يبادر إلى الشهادة عليه به، وبتقدير أنه كان يبادر فليوازن ما بين المبادرتين فإن وجدهما سواء فدونه، وإلاَّ فليعلم أن حظ النفس داخله، وأزيد من ذلك أن الشيطان استولى عليه فخيل له أن هذه قربة وقيام في نصر الحق وليعلم من هذه سبيله أنه أتى من جهل وقلة دين. هذا قولنا في سني يجرح مبتدعاً فما الظن بمبتدع يجرح سنياً؟ وفي المبتدعة زيادة لا توجد في غيرهم وهو أنهم يرون الكذب لنصرتهم، والشهادة على من يخالفهم في العقيدة بما يسوءه في نفسه وماله بالكذب تأييداً لاعتقادهم، ويزداد حنقهم وتقريرهم إلى الله بالكذب عليه بمقدار زيادته في النيل منهم، فهؤلاء لا يحل لمسلم أن يعتبر كلامهم، ثم قال: ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح أيضاً حال الجارح في الخبرة بمدلولات الألفاظ، ولا سيما العرفية التي تختلف باختلاف عرف الناس، ويكون في بعض الأزمنة مدحاً، وفي بعضها ذماً. وهذا أمر شديد لا يدركه إلا فقيه بالعلم ويعتبر أيضاً حاله في العلم بالأحكام الشرعية، فرب جاهل ظن الحلال حراماً فيجرح به، ومن هنا أوجب الفقهاء التفسير ليتضح الحال. قال صاحب البحر: حكي أن رجلاً جرح رجلاً وقال: أنه طين سطحه بطين استخرج من حوض السبيل.

ومما ينبغي أيضاً تفقده الخلاف الواقع بين كثير من الصوفيه وأصحاب الحديث، فقد أوجب كلام بعضهم في بعض كما تكلم بعضهم في حق الحرث المحاسبي وغيره، وهذا في الحقيقة داخل في قسم مخالفة العقائد، والطامة الكبرى إنما هي في العقائد المثيرة للتعصب والهوى. نعم وفي المنافسات الدنيوية على حطام الدنيا، وهذا في المتأخرين أكثر منه في المتقدمين، وأمر العقائد سواء في الفريقين، ثم قال لا شك ان من تكلم في إمام استقر في الأذهان عظمته، وتناقلت الرواة ممادحه، فقد جرَّ الملام إلى نفسه، ولكنا لا نقضى أيضاً على من عرفت عدالته إذا جرح من لم يقبل منه جرحه إياه بالفسق، بل نجوز أموراً أحدها: أن يكون واهماً ومن ذا الذي لا يهم،

والثاني أن يكون مؤولاً قد جرح بشيء ظنه جارحاً ولا يراه المجروح كذلك كاختلاف المجتهدين، والثالث: أن يكون نقله إليه من يراه هو صادقاً ونحن نراه كاذباً، وهذا لاختلافنا في الجرح والتعديل، فرب مجروح عند عالم معدل عند غيره فيقع الأختلاف في الإحتجاج حسب الإختلاف في تزكيته، فلم يتعين أن يكون الحامل للجارح على الجرح مجرد التعصب والهوى حتى نجرحه بالجرح، ومعنا أصلان نستصحبهما إلى أن نتيقن خلافهما. أصل عدالة الإمام المجروح الذي قد استقرت عظمته، وأصل عدالة الجارح الذي ثبتت، فلا يلتفت إلى جرحه ولا نجرحه بجرحه، ثم قال: وقولهم إن الجرح مقدم إنما يعنون به حالة تعارض الجرح والتعديل، فإذا تعارضا عند التجريح قدمنا الجرح لما فيه من زيادة العلم، وتعارضهما هو استواء الظن عندهما لأن هذا شأن المتعارضين، أما إذا لم يقع استواء الظن عندهما فلا تعارض بل العمل بأقوى الظنين من جرح أو تعديل، وفيما نحن فيه لم يتعارضا لأن غلبة الظن بالعدالة قائمة، وهذا كما أن عدد الجارح إذا كان أكثر قدم الجرح إجماعاً لأنه لا تعارض والحالة هذه، ولا يقول هنا أحد بتقديم التعديل لا من قال بتقديمه عند التعارض ولا غيره، فظهر بهذا أنه ليس كل جرح مقدماً، ثم قال: ولنختم هذه القاعدة بفائدتين عظيمتين.

أحداهما: أن قولهم لا يقبل الجرح إلا مفسراً إنما هو أيضاً في جرح من ثبتت عدالة صاحبه واستقرت، فإذا أراد رافع رفعها بالجرح قيل له ائت ببرهان على هذا أو مبهم لم يعرف حاله، ولكن ابتدأه جارحان ومزكيان فيقال إذ ذاك للجارحين فسرا ما رميتماه به، أما من ثبت أنه مجروح فيقبل قول من أطلق جرحه لجريانه على الأصل المقرر عندنا، ولا نطالبه بالتفسير إذ لا حاجة إلى طلبه.

والفائدة الثانية: أنا لا نطلب التفسير من كل أحد، بل إنما نطلبه حيث يحتمل الحال شكاً إما للاختلاف في الإجتهاد أو لتهمة في الجارح، أو نحو ذلك مما لا يوجب سقوط قول الجارح ولا ينتهي إلى الإعتبار به على الإطلاق، بل يكون بين بين أما إذا انتفت الظنون واندفعت التهم، وكان الجارح حبراً من أحبار الأمة مبرأ عن مظان التهمة، أو كان المجروح مشهوراً بالضعف متروكاً بين النقاد فلا يتلعثم عند جرحه ولا يحوج الجارح إلى تفسير بل طلب التفسير منه والحالة هذه طلب لغيبة لا حاجة إليها. هذا خلاصة ما ذكره فافهمه. فهذا ما تيسر لنا جمعه من أحواله ومشايخه ومن صحبه وروى عنه أو تفقه عليه وما يتعلق بكتابه وما اعترض عليه فيه، والجواب عنه على قدر الامكان مع الإختصار الزائد، وعسى إن وقفت على زيادة على ما ذكرت ألحقتها به، وقد عن لنا أن نرخي العنان إلى المقصود الأعظم. الذي هو شرح أسرار كتابه المعظم والله أسأل أن يوفقني لاتمامه على نهج يرتضيه أهل الحق، ويستحسنه من كشف له على الجمع والفرق، وإن يرزقه القبول كأصله، وأن يوقعه موضع الرضا عند أهله، إنه بالإجابة جدير وعلى ما يشاء قدير، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته وسلم.

تنبيه:

أعلم أن مختار السيد الجرجاني أن أسماء الكتب والتراجم موضوعة للألفاظ باعتبار دلالتها على المعاني والنقوش، لأن النقوش غير متيسرة لكل أحد ولا في كل وقت، فلا يناسب أن تكون مدلولاً ولا جزء مدلول، ككتب العلم المحمولة لأهلها إلى قيام الساعة، ولم تكن للمعاني لأن الغالب فيها أن إدراكها متوقف على إدراك دوالها التي هي الألفاظ، فلا تناسب أن تكون مدلولاً ولا جزء مدلول، فتعين أن تكون الألفاظ، وإنما قيل باعتبار دلالتها على المعاني، لأن الألفاظ وحدها غير مقصودة بالذات. كذا في تقرير شيخنا المرحوم الشيخ عطية الأجهوري في بعض مؤلفاته، وتقرير شيخنا السيد محمد البليدي في أثناء درس البيضاوي تغمدهما الله برحمته.

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال المصنف رحمه الله تعالى بعد قوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم أحمد الله تعالى﴾.

اعلم أنهم ذكروا أن من الواجب على كل مصنف كتاب ثلاثة أشياء، وهي البسملة، والحمدلة، والصلاة، ومن الطرق الجائزة أربعة أشياء، وهي مدح الفن، وذكر الباعث، وتسمية الكتاب، وبيان كيفية الكتاب من التبويب والتفصيل، فهي سبعة أشياء.

أما البسملة والحمدلة، فإن كتاب الله مفتوح بهما ولقوله ﷺ: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله وببسم الله الرحمن الرحيم أقطع». رواه الحافظ عبد القادر بن محمد الرهاوي في أربعينه، وقوله عليه السلام: «كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم». رواه أبو داوود والنسائي. وفي رواية ابن ماجه: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع». ورواه ابن حبان وأبو عوانة في صحيحيهما. وقال ابن الصلاح: هذا حديث حسن بل صحيح.

وأما الصلاة؛ فلأن ذكره ﷺ مقرون بذكره تعالى، ولهذا قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤] لا أذكر إلا ذكرت، ومعنى البسملة أي باستعانة المعبود بالحق الواجب الوجود المطلق المبدع للعالم. أصنف هذا الكتاب إجمالاً، وأؤلف بين كل باب وباب تفصيلاً، وفي تأخير المتعلق إيماء لافادة الاختصاص، وإشعار باستحقاق تقديم ذكر إسمه الخاص، والابتداء بالبسملة حقيقي وبالحمدلة اضافي، وكل حقيقي إضافي ولا عكس، فبينهما عموم وخصوص مطلق، إذ الحقيقي ما لم يسبق بشيء أصلاً، والإضافي ما تقدم أمام المقصود سبق بشيء أم لا، ثم الحمد لغوي وعرفي، فالأوّل هو الوصف بفضيلة على فضيلة على جهة التعظيم باللسان فقط، والثاني فعل يشعر بتعظيم المنعم لكونه منعماً هبه فعل اللسان أو الأركان أو الجنان، فهو ينقسم إلى قولي وفعلي وحالي، فالقولي حمد اللسان وثناؤه على الحق بما أثنى به على نفسه على لسان أنبيائه ورسله، والفعلي الاتيان بالأعمال البدنية ابتغاء لوجه الله، والحالي ما يكون بحسب الروح والقلب، كاعتقاد الاتصاف بالكمالات العلمية والعملية والتخلق بالأخلاق الإلهية، والشكر اللغوي فعل ينبىء عن تعظيم المنعم بسبب الانعام، سواء كان ذكراً أو اعتقاداً أو محبة بالجنان أو عملاً وخدمة بالأركان، والعرفي صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما لما خلق له، وآثر الجملة الانشائية على الخبرية لكونها لدلالتها على الحدوث والتجدد تقتضي الأثوبة والحسنات المنظور إليها في الأعمال. قال ابن الهمام في بعض رسائله: لو كان الحمد خبراً محضاً لما لاق وحسن تكراره في مجلس واحد، لأن من كرر خبراً واحداً في مجلس عد أحمق ناقص الغريزة، وقد علم من السنّة الشريفة الترغيب في تكرير الحمد والتكبير وغيرهما من الكلمات الصالحات، فيناسب ذلك كله الإنشاء لا الاخبار إذ في الإنشاء تجديد ومغايرات للكلمات يقتضي بحسبها تعدد الأثوبة والحسنات، ولهذا نقل الشرع كثيراً من الكلمات اللغوية كالصلاة والزكاة وغير ذلك إلى

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله

أولاً حمداً كثيراً متوالياً، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمداً لحامدين وأصلي وأسلم على رسله. ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين، وأستخيره تعالى.

معان أخر غير ما وضعت له في اللغة، فإن الصلاة مثلاً وضعت للدعاء فقط، وقد وضعها الشارع للأفعال المخصوصة مما يدل عليه التجديدات العملية الشرعية، فيكون الحمد كذلك، فكان من باب الانشاء، فمن قال خبر قصر نظره على اللغة، ومن قال إنشاء نظر إلى الشرع فكان لفظياً اهـ. وجملة تعالى فعلية معترضة. (أوّلاً) هو نقيض الآخر وأصله أوأل على وزن افعل مهموز الأوسط قلبت الهمزة واواً وأدغم. يدل على ذلك قولهم: هذا أول منك والجمع الأوائل والأوالي أيضاً على القلب، وقال قوم: أصله وول على فوعل، فقلبت الواو الأولى همزة، وإنما لم يجمع على أواول لاستثقالهم اجتماع الواوين بينهما ألف الجمع وانتصاب أوّلاً وكذا ثانياً وثالثاً ورابعاً على الظرفية، وأما التنوين في أوّلاً مع أنه أفعل التفضيل بدليل الأولى والأوائل كالفضلى والأفاضل، فلأنه هنا ظرف بمعنى قبل وهو حينئذ منصرف لا وصفية له أصلاً، وهذا معنى ما قال الجوهري في الصحاح: إذا جعلته صفة لم تصرفه تقول: لقيته عام أول، وإذا لم تجعله صفة صرفته تقول: لقيته عاماً أوّلاً، ومعناه في الأوّل أول من هذا العام، وفي الثاني قبل هذا العام. أشار لذلك السعد في أوائل التلويح، وقد نظر فيه بعضهم فقال: يصير صفة أيضاً، وإنما معناه على الثاني أوّل هذا العام على أن يكون منصوباً على الظرفية بدلاً منه، فتكون الملاقاة في جزء أول من هذا العام بخلاف المعنى الأول. **(حمداً كثيراً متوالياً)** أي متتابعاً في كل آن ليس بين كل من افراده ما ليس منه. **(وإن كان يتضاءل)** أي يتصاغر من ضئل. كفرح إذا لصق بالأرض من حقارة. وفي الحديث: « إن العرش على منكب اسرافيل، وإنه ليتضاءل من خشية الله حتى يصير مثل الوصع »[(١)] أي يتصاغر ويدق تواضعاً. قاله ابن الأثير (دون حق جلاله) أي ما يليق من عظمته وكبريائه. **(حمد الحامدين)** ولو بلغوا إلى أقصى مراتب الحمد. **(وأصلي وأسلم على رسوله)** لما كان أجل النعم الواصلة إلى العبد هو دين الإسلام، وبه التوصل إلى النعيم الدائم في دار السلام، وذلك بتوسط رسله عليهم الصلاة والسلام، وجب ارداف الصلاة والسلام عليهم بعد الحمد والصلاة من الله لعباده تزكية لهم وبركته عليهم، ومن الملائكة استغفار، ومن الناس الدعاء، وأصل الرسل الانبعاث على تؤدة ومنه ناقة رسلة. أي سهلة الانقياد، وإبل مراسيل، ويصدر منه تارة الرفق، وتارة الانبعاث، ومنه اشتق الرسول والجمع رسل بضمتين، ويطلق الرسول تارة على المتحمل بالرسالة، وتارة على القول المتحمل، وتارة يطابق ما يراد به، وتارة يفرد، وإن أريد به غير الواحد وقد يراد بالرسل الملائكة. وفي الاصطلاح إنسان بعثه الله لتبليغ الأحكام. **(ثانياً)** منصوب

---

(١) قوله الوصع طائر أصغر من العصفور قال في المختار.

ثالثاً فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في احياء علوم الدين، وأنتدب لقطع تعجبك

على الظرفية كما تقدم. **(صلاة تستغرق)** أي تعم، فالسين ليست للطلب، **(مع)** للمصاحبة، واختلف في كونه إسماً أو حرف خفض، وقيل إن مع المتحركة تكون اسماً وحرفاً وساكنة العين حرف لا غير وأنشد سيبويه:

وريشي منكـــم وهـــواي معكـــم   وإن كـــانـــت زيـــارتكـــم لمامـــا

وحكى الكسائي عن ربيعة أنهم يسكنون العين في مع، فيقولون: معْكم ومعْنا، فإذا جاء الألف واللام أو ألف الوصل اختلفوا فيها، فبعضهم يفتح العين، وبعضهم يكسرها فيقولون: مع القوم ومع ابنك، وبعضهم يقول مع القوم ومع ابنك. قال: وكلام عامة العرب بفتح العين مع ألف الوصل، وأما من سكن فقال: معكم كسر عند ألف الوصل لأنه أخرجه مخرج الأدوات مثل: هل وبل وقد وكم، فقال: مع القوم. كقولك كم القوم، وقد ينوّن فيقال جاءوا معاً نقله الأزهـري في التهذيب. وقال الراغب والسمين: مع تقتضي الاجتماع أما في المكان نحوهما معاً في الدار، أو في الزمان نحو: ولدا معاً، أو في المعنى كالمتضايفين نحو الأخ مع الأخ كأن أحدهما صار أخاً للآخر في حال ما صار الآخر أخاه، وأما في الشرف والرتبة نحوهما معاً في العلو، وتقتضي معنى النصرة فإن المضاف إليه لفظ مع هو المنصور نحو قوله تعالى: ﴿إن الله معنا﴾ [التوبة: ٤٠] و﴿إن معي ربي سيهدين﴾ [الشعراء: ٦٢] ونظائر ذلك اهـ.

والمراد هنا معية الشرف والرتبة ولا يلزم منه التساوي في سائر وجوه الشرف كما لا يخفى على المتأمل (سيد البشر) هو نبينا محمد ﷺ ثبتت سيادته على البشر بنص الكتاب، وبقوله ﷺ فيما رواه البخاري في صحيحه: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» وعبر عن عالم الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر، بخلاف الحيوان الذي عليه نحو صوف ووبر. **(سائر المرسلين)** جميعهم أو باقيهم على اختلاف مشهور في اشتقاقه، ثم إني رأيت سياق هذه العبارة التي أتي بها المصنف في جملة الحمد والصلاة في أول الجزء الرابع من تجريد الصحاح لأبي الحسن رزين بن معاوية العبدري فقال ما نصه: أحمد الله حمداً يتضاءل دون بلوغ مداه حمد الحامدين، وأصلي على سيدنا محمد نبيه ورسوله وخيرته من خلقه صلاة تعم مع سيد البشر جميع الملائكة والنبيين والمرسلين، صلاة الله عليه وسلم وعليهم أجمعين، وعلى آله وأصحابه، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين اهـ. فلعل ذلك من وقع الحافر على الحافر، وتوارد الخاطر على الخاطر، **(واستخيره سبحانه)** أي أطلب منه الخيرة، فالسين والتاء للطلب وهو أصل هذا الباب إلاَّ ما شذ كاستخرج واستحجر واستحلاه، فإنه في الأول بمعنى خرج. وفي الثاني بمعنى الصيرورة، وفي الثالث بمعنى الوجدان، وأتي بصيغة المضارع اتباعاً للجملتين السابقتين ليكن على نسق واحد، وكذا الحكم فيما بعدها مع الإشارة إلى شدة الاستحضار في الذهن، ثم الاستخارة مطلوبة شرعاً، وقد ورد فيها أحاديث سيأتي بيانها والضمير راجع لله تعالى. **(ثالثاً)** منصوب على الظرفية كما تقدم. **(فيما انبعث)** أي تحرك وانتشط **(له عزمي)** هو عقد القلب على امضاء الأمر **(من تحرير)** أي تأليف **(كتاب في إحياء علوم الدين)**

رابعاً أيها العاذل المتغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين، فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوّقني عهدة

فيه أربع إضافات، وفيه براعة الاستهلال (وانتدب) أي أسارع يقال انتدب له إذا أجابه بسرعة، ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه: انتدب الله لمن خرج في سبيله إلخ، أي سارع بثوابه وحسن جزائه، أو أجابه إلى غفرانه، أو أوجب تفضلاً أن ينجز له ذلك. نقله ابن الاثير. (لقطع تعجبك رابعاً أيها العاذل) أي اللائم وقد عذله إذا لامه والاسم العذل بالتحريك. وقال ابن الأعرابي: العذل الاحراق فكان اللائم يحرق بعذله قلب المعذول **(المتغالي في العذل)** أي المتجاوز عن الحد **(من بين زمرة)** طائفة **(الجاحدين)** المنكرين للحق **(المسرف)** المبعد في مجاوزة الحد **(في التقريع)** التعنيف والتوبيخ والعذل، وقيل: هو الإيجاع باللوم، وقيل: هو النصح بين الملأ **(و)** على المعنى الأخير يكون عطف **(الإنكار)** عليه من باب عطف العام على الخاص **(من بين طبقات المنكرين الغافلين)** ثم من قوله: أحمد الله إلى هنا خمس سجعات. الأولى متعلقة بالله تعالى، والثانية متعلقة بالنبي ﷺ، والثلاثة بعدهما متعلقات بنفسه. الأولى منها في الابتهال إلى الله تعالى وطلب الخيرة منه وحسن المعونة والاثنتان في تبكيت الخصم المعاند، وكل واحدة من الثلاثة الأول أشرف مما بعدها، وأشار لذلك بالترتيب والسجع توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد. وفي الجمهرة هو موالاة الكلام على رويّ واحد، كقولهم في صفة سجستان: ماؤها وشل ولصها بطل وتمرها دقل إن كثر الجيش بها جاعوا وإن قلوا ضاعوا نقله الليث، وهو على أقسام مطرف ومرصع ومتواز، فالمطرف ما اتفقت فاصلتاه في حرف السجع لا في الوزن كالرمم والأمم، والمرصع ما وافق جميع ما في الفقرة الثانية أو أكثره بالأولى، والمتوازي ما روعي في الكلمتين الوزن وحرف السجع كالقلم والنسم، فتأمل. وهنا على المصنف مؤاخذتان.

الأولى: أفرد الصلاة عن السلام وهو مكروه في مذهبه صرح به غير واحد منهم الإمام النووي. والجواب: أن المصنف ممن لا يوافقهم على كراهة الأفراد مطلقاً على أن بعضهم حمل الكراهة هنا على خلاف الأولى لعدم النهي المخصوص، وأجاب بعضهم فقال: إنه أراد بالصلاة ما يشمل السلام أيضاً، كأن يراد مطلق الاكرام فيكون من عموم المجاز أو الجمع بين الحقيقة والمجاز، وهذا قد رده بعض المحققين فقال: هذا لا يظهر إلا إذا لم تكن الصلاة والسلام من الألفاظ المتعبد بها بخصوصها، أما إذا كان منها وهو الأظهر فلا، وعبارة النووي في الإذكار إذا صليت على النبي ﷺ فاجمع بين الصلاة والسلام ولا تقتصر على أحدهما، فلا تقل صلى الله عليه ولا عليه السلام فقط اهـ. والصحيح ما ذكره ابن الجزري في مفتاح الحصن أن الجمع بين الصلاة والسلام هو الأولى، ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة، وقد جرى عليه جماعة من السلف والخلف. منهم: الإمام مسلم في أوّل صحيحه وهلم جرا، حتى الإمام ولي الله الشاطبي في قصيدتيه الرائية واللامية. وأما قول النووي، وقد نص العلماء على كراهة الاقتصار على الصلاة من غير السلام فليس كذلك، فإني لا أعلم أحداً نص على ذلك من العلماء ولا من غيرهم اهـ.

الكلام وقلادة النطق: ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق، مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل، والتشغيب على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ومال ميلاً

الثانية: لم يذكر الصلاة على الآل والأصحاب، وقد قال ابن القيم: المختار الذي عليه المحققون أن الصلاة والسلام على الأنبياء والملائكة وآل النبي وأزواجه وذريته وأهل الطاعة على سبيل الاجمال جائز، ويكره في غير الأنبياء لشخص مفرد مفرداً بحيث يصير شعاراً ولا سيما إذا ترك في حق مثله أو أفضل منه، فلو اتفق وقوع ذلك في بعض الأحايين من غير أن يتخذ شعاراً لم يكن به بأس عند عامة أهل العلم. والجواب، أنه أراد من الرسل المعنى الأعم فدخل فيه الملائكة وسائر الأنبياء وجميع أتباعهم من العلماء والأصفياء، فدخل آله ﷺ وأصحابه فيهم دخولاً أوّلياً فتأمل ذلك. **(فلقد حل عن لساني عقدة)** اسم لما يعقده العاقد بين الطرفين المفترقين بحيث يشق حلها. **(الصمت)** السكوت، وقيل: طوله. ومنهم من فرق بينهما كما سيأتي في محله وضم الصاد لغة فيه. **(وطوّقني عهدة الكلام)** أي جعله طوقاً في عنقي **(وقلاده النطق)**: القلادة بالكسر إسم لما يشتمل على الشيء ويحيط به، وتطويقها تعليقها شبه الطوق، ومن أشهر الأمثال: حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق **(ما أنت عليه مثابر)** أي مواظب مداوم وحريص ملازم له **(من العمى)** المراد هنا ضد البصيرة وهو الجهل، **(عن جلية الحق)** أي واضحه ومكشوفه **(مع اللجاج)** هو التمادي **(في)** الفساد في الفعل المزجور عنه الذي هو **(نصرة الباطل)** هو بالإثبات له عند التنفير عنه، لأنه نقيض الحق، والحق هو الثابت، ويقال ذلك بالاعتبار إلى المقال والفعال **(وتحسين الجهل)** أي تزيينه، والجهل التقدم في الأمور المنبهمة بغير علم، ذكره الحراني، وهو على قسمين بسيط ومركب، فالبسيط هو عدم العلم عما من شأنه أن يعلم، والمركب اعتقاد جازم غير مطابق للواقع. وقال الراغب والسمين: الجهل ثلاثة:

الأوّل: خلو النفس من العلم هذا أصله، وقد جعله بعضهم معنى مقتضياً للأفعال الخارجة عن النظام كما جعل العلم معنى مقتضياً للأفعال الجارية على النظام.

الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل هبه اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أم فاسداً، كتارك الصلاة عمداً والجهل يذكر تارة للذم وهو الأكثر وتارة لاله نحو: يحسبهم الجاهل أغنياء أي من لا يعرف حالهم. ونقل المناوي عن العضد أن الجهل البسيط أصحابه كالأنعام لفقدهم ما به يمتاز الإنسان عنها، بل هم أضل لتوجهها نحو كمالاتها، ويعالج بملازمة العلماء ليظهر له نقصه عند مماراتهم، والجهل المركب إن قبل العلاج فبملازمة الرياضات ليطعم لذة اليقين، ثم التنبيه على كل مقدمة مقدمة بالتدريج، **(والتشغيب)** هو تهييج الشر والفتنة والخصام، **(على من آثر)** أي اختار **(النزوع)** بالعين المهملة هو الانتهاء عن الأمر والكف عنه، وما وجد في بعض النسخ بالغين المعجمة خطأ لفساد المعنى، **(قليلاً عن مراسم الخلق)** جمع الرسم على خلاف القياس. **(ومال ميلاً يسيراً)** أي قليلاً **(عن ملازمة الرسم)** الظاهري **(إلى العمل)** الذي يوصله إلى علوم

يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعاً في نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب، وتداركاً لبعض ما فرط من إضاعة العمر يأساً من تمام التلافي والجبر وانحيازاً عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه» ولعمري أنه لا سبب لإصرارك على النكير إلا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل بأن

الآخرة. (**بمقتضى العلم**) الذي أوتيه وانكشف له عنه الغطاء (**طمعاً في نيل**) ادراك (**ما تعبده الله تعالى به**) أي ألزمه له عبادة (**من تزكية النفس**) أي تنميتها وتطهيرها من رعوناتها، (**وإصلاح القلب**) بتخليته عما سوى الحق، (**وتداركاً**) أي تلافياً (**لبعض ما فرط**) أي سبق (**من إضاعة العمر**) فيما لا يجدي نفعاً (**يأساً**) وهو قطع الرجاء (**من تمام التلافي**) أي التدارك، (**والجبر**) وفي بعض النسخ في الحيرة وفي بعضها والحير بلفظ الجمع، (**وانحيازاً**) أي انضماماً (**عن غمار**) بكسر الغين المعجمة جمع غُمرة بالفتح هو مزدحم الناس (**من قال فيهم**) أي في حقهم (**صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه**) فيما رواه البيهقي في شعب الإيمان، والطبراني في الصغير، وابن عدي في الكامل بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه: (**أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه**). أي بأن لم يعمل به لأن عصيانه عن علم فهو أعظم جرماً وأقبح إثماً من عصاه من غير علم، ولهذا كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار لكونهم جحدوا بعد العلم بالحق قاله المناوي. وقيل: معناه لم يوفق للعمل به، ومن جملة عمله نفعه غيره إن احتاج إلى علمه، ثم ان لفظ الحديث عند المذكورين فيما رأيته لم ينفعه علمه، وقد ضعف هذا الحديث المنذري وغيره. وقال الخطيب في كتاب اقتضاء العلم العمل قال سهل بن مزاحم: الأمر أضيق على العالم من التسعير، مع أن الجاهل لا يعذر بجهالته، لكن العالم أشد عذاباً إذا ترك ما علم فلم يعمل به.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق أبي كبشه السلولي قال: سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول: إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالماً لا ينتفع بعلمه، وفيه أيضاً من طريق ابراهيم بن الأشعث، حدثنا سفيان قال: كان يقال أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة. رجل كان له عمل فجاء غيره يوم القيامة بأفضل عملاً منه، ورجل كان له مال فلم يتصدق منه فورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلم غيره فانتفع به، وسيأتي للمصنف عن أبي الدرداء: ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات، ثم إن من قوله: فلقد حل عن لساني إلى قوله جلية الحق سجعتان متوازيتان، ومن بعده استرسال في الكلام من غير تقييد على روي. (**ولعمري**) أقسم بعيشه وبقائه وحياته ودوامه، والعمر بالضم لغة فيه، ولكن خص القسم بالمفتوحة. (**أنه لا سبب لإصرارك**) أي: تماديك ولزومك (**على النكير**) مصدر بمعنى الانكار، (**إلا الداء الذي عم الجم الغفير**) يقال: جاءوا جماً غفيراً وجم الغفير بالإضافة وجاء الغفير والجماء الغفير وجاء غفيراً ممدود

الأمر إدّ والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سدّ، وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير ردّ وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكدّ: فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وقد شغر منهم الزمان ولم يبقَ إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل

في الكل، وجم الغفيرة وجاء الغفيرة الثلاثة ذكرها الصاغاني، والجماء الغفيرة وجاء غفيرة وبجماء الغفير والغفيرة إذا جاءوا جميعاً شريفهم ووضيعهم، ولم يحك سيبويه إلا الجماء الغفير قال: وهو من الأحوال التي دخلها الألف واللام وهو نادر، وقال: الغفير وصف لازم للجماء بمعنى ذلك لا تقول الجماء وتسكت، فهو عنده اسم موضوع موضع المصدر وجعله غيره مصدراً، وأجاز ابن الأنباري فيه الرفع على تقديرهم، وقال الكسائي: العرب تنصب الجماء الغفير في التمام وترفعه في النقصان، **(بل شمل الجماهير)** جمع جمهور بالضم على ما هو المعروف. وما حكى ابن التلمساني في شرح الشفاء، وتبعه شيخ مشايخنا سيدي محمد الزرقاني من أن الفتح لغة فيه، فقد ردّه الشهاب واستغربه ومعناه جل الناس **(من القصور)** أي التأخر **(عن ملاحظة ذروة هذا الأمر)** بكسر الذال المعجمة أي رأسه وملاكه **(و)** من **(الجهل بأن الأمر إدّ)** بالكسر أي عظيم أو فظيع أو منكر **(والخطب)** هو العظيم من الأمور **(جد)** ضد الهزل. أي: فينبغي أن يجتهد له.

وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق إسماعيل بن أمية قال: كان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم حتى يخضر جسده ويصفر، فكان علقمة يقول: لم تعذب هذا الجسد؟ فكان الاسود يقول: إن الأمر جد فجدّوا. **(والآخرة مقبلة)** لا محيد عنها. **(والدنيا مدبرة)** لا محالة، **(والأجل)** المضروب **(قريب)** جداً، **(والسفر)** إلى الآخرة **(بعيد)** لكثرة عقباتها، **(والزاد)** المحمول لأجله **(طفيف)** أي: يسير من الطفافة اسم لما لا يعتد به، وفي نسخة ضعيف بالضاد المعجمة أي قليل، **(والخطر عظيم والطريق سد)** أي مسدود، **(وما سوى الخالص لوجه الله)** سبحانه **(من العلم والعمل عند الناقد البصير ردّ)** أي: مردود أي لا يقبل من العلوم والأعمال عند الله تعالى إلا ما شابها الاخلاص وحسن اليقين، **(وسلوك طريق الآخرة)** باستعمال علومها **(مع كثرة الغوائل)** أي: المهالك جمع غائلة **(من غير دليل)** هو العلم النافع، **(ولا رفيق)** هو العمل الصالح **(متعب ومكد)** عطف تفسير لمتعب، **(فأدلة الطريق)** جمع دليل أي أدلة طرق الحق **(هم العلماء)** بالله خاصة **(الذين هم)** فيما رواه ابن النجار في تاريخه، عن أنس رضي الله عنه رفعه **(ورثة الأنبياء)**. وسيأتي الكلام عليه، **(وقد شغر)** كنصر أي خلا من شغرت الأرض شغوراً إذ خلت من الناس ولم يبق بها أحد يحميها ويضبطها فهي شاغرة **(عنهم الزمان)** بموتهم، **(ولم يبق إلا المترسمون)** المتشبهون برسومهم، **(وقد استحوذ)** أي ساق مستولياً **(على أكثرهم الشيطان)** من حذا الإبل يحذوها إذا ساقها سوقاً عنيفاً. قال النحويون: استحوذ خرج على أصله، فمن قال حاذ يحوذ لم يقل إلا استحاذ،

واحد بعاجل حظه مشغوفاً، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً حتى ظل علم الدين مندرساً، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً، ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهارش الطغام، أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام، أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام، إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام.

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه:

ومن قال أحوذ فاخرجه على الأصل قال استحوذ، **(واستغواهم)** أي أضلهم **(الطغيان)** وهو مجاوزة الحد في كل شيء وغلب في تزايد العصيان قال السمين. **(وأصبح كل واحد)** منهم **(بعاجل حظه)** الدنيوي **(مشغوفاً)** أي أصاب حبه شغاف قلبه وهو وسطه قاله أبو علي الفارسي، أو باطنه قاله الحسن، **(فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً)** هذا غاية النكير والاستقباح لما هم عليه، فإن كانت الرؤية اعتقادية فالأمر أعظم **(حتى ظل)** أي صار **(علم الدين)** هو بالتحريك ما وضع علامة للإهتداء به **(مندرساً)** قد عفت آثاره، **(ومنار الهدى)** هو كالعلم يهتدى به. قال امرؤ القيس:

على لاحبٍ لا يهتدى لمناره   إذا ساقه العود النباطي جرجرا

(في أقطار الأرض) أطرافها **(منطمساً)** قد خفيت أنواره، **(ولقد خيلوا)** أي أوهموا وأدخلوا في مخيلاتهم **(إلى الخلق أن لا علم)** من حيث هو هو **(إلا فتوى حكومة)** هو ما يكتب في أجوبة المسائل في الواقعات والنوازل من الحلال والحرام والإباحة والمنع والجمع الفتاوى بكسر الواو وفتحها **(تستعين به القضاة)** والحكام **(على فصل الخصام)** أي المخاصمة **(عند تهارش)** هو الإفساد بين الناس وتحريش بعضهم على بعض. **(الطغام)** بالفتح والغين معجمة هم الأغبياء والرذال، **(أو جدل)** هو القياس المؤلف من المشهورات أو المسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإفهام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان. **(يتدرع)** أي يتلبس **(به طالب المباهاة)** أي المفاخرة **(إلى الغلبة)** في إلزام الخصم، **(والإفحام)** أي الإسكات، **(أو سجع)** أي كلام مقفى **(مزخرف)** أي مزين **(يتوصل به الواعظ إلى استدراج)** أي: خديعة **(العوام)**. روي عن أبي الهيثم يقال امتنع فلان عن كذا وكذا حتى أتاه فلان فاستدرجه أي خدعه حتى حمله على ان درج في ذلك. **(إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة)** من الخصال **(مصيدة للحرام)** هي كمعيشة ما يصاد به، وهو من بنات الياء المعتلة، والجمع المصايد بلا همز كمعايش، **(وشبكة)** محركة شركة الصياد التي يصيد بها في البر، ومنهم من خصه بمصيدة الماء **(للحطام)** هو المال الرذل والخبيث والحرام ودقاق التبر.

(فأما علم طريق الآخرة) الذي هو النافع للعبد، **(وما درج)** سلك **(عليه السلف**

فقهاً وحكمة وعلماً وضياء ونوراً وهداية ورشداً، فقد أصبح من بين الخلق مطوياً صار نسياً منسياً.

ولما كان هذا ثلماً في الدين ملماً وخطباً مدلهماً، رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب

الصالح) وهم من سلفك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل. ومنه قول طفيل الغنوي يرثي قومه:

مضــوا سلفــاً قصر السبيــل عليهــم   وصرف المنـايـا بـالــرجــال تقلــب

أراد أنهم تقدمونا، والمراد هنا الصدر الأوّل من التابعين وأتباعهم والجمع الأسلاف **(مما سماه الله سبحانه)** وتعالى **(في كتابه)** العزيز **(فقهاً)** في قوله: ﴿لعلهم يفقهون﴾ [الأنعام: ٦٥] **(وحكمه)** في قوله: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] **(وعلما)** في قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ [آل عمران: ٧] **(وضياء)** في قوله: ﴿وضياءً وذكراً للمتقين﴾ [الأنبياء: ٤٨] **(ونوراً)** في قوله: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [المائدة: ١٥]. وقوله: ﴿فهو على نور من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] **(وهداية)** في قوله: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ [البقرة: ١٢٠] **(ورشداً)** في قوله: ﴿لعلهم يرشدون﴾ [البقرة: ١٨٦].

أما الفقه، فهو أخص من مطلق العلم، والحكمة معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا هو الذي وصف به لقمان، ثم الحكمة الإلهية هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها، والحكمة المنطوق بها هي علوم الشريعة والطريقة، والمسكوت عنها هي أسرار الحقيقة التي إذا اطلع عليها علماء الرسوم والعوام تضرهم أو تهلكهم، والعلم معرفة الشيء على ما هو عليه، والضياء أخص من النور، والنور هو الضوء المنتشر وهو ضربان. دنيوي وأخروي، ثم الدنيوي ضربان معقول بعين البصيرة كنور العقل، ومحسوس بعين البصر كنور الشمس والقمر، وتخصيص الشمس بالضوء والقمر بالنور من حيث أن الضوء نور قوي، والهداية سلوك طريق توصل إلى المطلوب، ويراد بها تارة الرشد وتارة البيان وتارة الدعاء وتارة الدلالة، والرشد يستعمل استعمال الهداية وقد يراد به الاستقامة، وسيأتي زيادة إيضاح لكل ما ذكرناه في الباب الرابع. **(فقد أصبح من بين الخلق مطوياً)** ذكره لعدم ميلهم إلى تحصيله، **(وصار نسياً منسياً)** أي شيئاً تافهاً لا يؤبه له مما حقه أن ينسى ويترك لقلة مبالاتهم به، والنسي فعل بمعنى مفعول والمنسي مبالغة فيه لم يكفه أن وصف تلك الأحوال بكونها تافهة حتى بالغ بوصفها لأن النسي يقال لما لا اعتداد به، وان لم ينس.

(ولما كان هذا) الذي ذكرت **(ثلماً)** أي خللاً **(في الدين ملماً)** أي مقارباً داخلاً **(وخطباً)** أي أمراً عظيماً **(مدلهماً)** أي مظلماً كثيفاً شبه الخطب بالليل في إبهامه، ثم أثبت له ما يناسبه من الاظلام وكثافة السواد، **(ورأيت الاشتغال بتحرير)** وفي بعض النسخ بتجريد

حتماً مهماً إحياء لعلوم الدين، وكشفا عن مناهج الأئمة المتقدمين، وأيضاحاً لمناهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين.

وقد أسسته على أربعة أرباع وهي ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات. وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أوّلاً عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسوله ﷺ الأعيان بطلبه، إذ قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قال ﷺ: «نعوذ بالله

(**هذا الكتاب**) يعني الاحياء (**حتماً**) واجباً (**مهماً**) يهتم له ويعتنى بشأنه (**إحياء لعلوم الدين وكشف المناهج**) أي سبل (**الائمة المتقدمين**)، وفي بعض النسخ المتقين (**وأيضاحاً لمناهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين**)، وهم اتباع الأنبياء عليهم السلام.

(**وقد أسسته**) أي الكتاب (**على أربعة أرباع**) جمع ربع بضمتين أو بضم فسكون شبه الكتاب بقصر من جهة أن الملتجىء إليه من غوائل عدوّ الدين وعذاب النار، فأضاف المشبه به إلى المشبه، كما في لجين الماء، والكتاب على كثرة ما فيه من الأحكام الشرعية يرجع إلى أربعة هي اركان ذلك القصر فذكرها في أثناء الكلام على الترتيب فقال: (**وهي ربع العبادات**) وقدمه على الذي يليه لشرفها، (**وربع العادات**) لأنه إذا تحقق بالعبادات وأسرارها لم يستغن عما تعوّده مما هو لازم له من حيث قوام المعاش، فناسب ذكر هذا الربع بعد ربع العبادات، والعادة ما استمر الناس عليه وعادوا إليه مرة بعد أخرى (**و**) إذا اشتغل بها ربما استولى على هواه الأغفال عن رعونات النفس وآفاتها، فناسب ذكر (**ربع المهلكات**) لما فيه من ذكر الآفات التي تهلك صاحبها وتلقيه في هوّة النار، (**و**) إذا تحقق ذلك وتجنب عن تلك المسميات التي في وسمها ناسب ذكر (**ربع المنجيات**) لما فيه من ذكر أوصاف المخلصين التي من تحلى بها أنجى نفسه من العتاب والعقاب، فتقديم ربع المهلكات على المنجيات من باب تقديم التخلي على التحلي، فإن من لم يتخل عن رعوناته كيف يتحلى بحلية أهل الصدق والصفاء، ثم أن تأسيس المصنف كتابه على هذه الأرباع من باب الحصر الاستقرائي. إذ الحصر هو إيراد الشيء على عدد معين، والاستقراء هو الحكم على كلي لوجوده في أكثر جزئياته، ولعدده الأربعة سر غريب سار في غالب الممكنات، (**وصدرت الجملة بكتاب العلم**) في فضله وفضل تعليمه وتعلمه، (**لأنه**) في الحقيقة (**غاية المهم**) أي غاية ما يقصده الإنسان ويهتم له وينتهي إليه (**لأكشف**) بذكري ذلك (**أوّلاً عن العلم الذي تعبد الله**) عز وجل (**على لسان رسوله ﷺ الأعيان**) الأشخاص من أمته (**بطلبه إذ قال**) فيما روي من طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)، وسيأتي ما يتعلق به قريباً (**وأميز فيه العلم النافع**) الذي ينفع صاحبه في الآخرة يصحبه معه (**من الضار**) الذي يضر بصاحبه فيكون سبباً لهلاكه (**إذ قال ﷺ**) فيما رواه ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن: (**نعوذ بالله من علم لا**

من علم لا ينفع » وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب ، وانخداعهم بلامع السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب *

(واشتمل ربع العبادات على عشرة كتب)* كتاب العلم ، وكتاب قواعد العقائد ، وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ، وكتاب أسرار الزكاة ، وكتاب أسرار

ينفع) ، وفي بعض النسخ « تعوّذوا » كما عند ابن ماجه من طريق جابر أيضاً ، وقد يذكره المصنف أيضاً في الباب الثالث ، ونذكر هناك ما يتعلق به ، **(واحقق ميل أهل العصر)** من المشتغلين برسوم العلم **(عن شاكلة الصواب)** أي : ناحيته ووجهته وطريقته **(وانخداعهم بلامع السراب)** هو ما لمع في المفازة كالماء سمي به لانسرابه في رأي العين ، ويراد به ما لا حقيقة له . وفي نسخة ببلاقع السراب **(واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب)** شبه العلوم التي يشتغلون بها بالقشر الذي لا ينتفع به الآكل ، وإنما جعل غطاءً وحفظاً لما في باطنه وعلوم الآخرة للباب ، لأنها خلاصة المعارف ونقاوة الأسرار .

(واشتمل ربع العبادات على عشرة كتب) .

الأوّل : (كتاب العلم) قدمه في البيان لشرفه .

الثاني : (كتاب قواعد العقائد) لأن المعلوم إما أن لا يفتقر إلى عمل ظاهر أو يفتقر ، فالأوّل الاعتقاديات فلذا ذكر قواعدها بعد العلم ، والذي يفتقر يأتي ذكره بعد ذلك .

الثالث : (كتاب أسرار الطهارة) لأنه بها يدخل في حضرة الملك وهي من مقدمات الصلاة .

الرابع : (كتاب أسرار الصلاة) لأنها معراج أهل الله والديوان العظيم الذي يحصل للسالك فيه الشهود ، ولأنها من آكد العبادات وأعظمها وألزمها حتى انها لا تسقط بحال عن المكلف ولا بالعجز عن الإيماء ولو بجفون العين على رأي .

الخامس : (كتاب أسرار الزكاة) لأنها أخت الصلاة وقرينتها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

السادس : (كتاب أسرار الصيام) لما فيه من المشقة الزائدة على النفس والزكاة مالية ، والمال شقيق النفس والروح فناسب ذكره بعدها .

السابع : (كتاب أسرار الحج) لأن العبادة على قسمين : سرية وجهرية ، والصوم عبادة سرية لا يطلع على كنهها من العبد إلا مولاه ، والحج عبادة جهرية يطلع على حقيقتها ولا محالة ، فقدم السر على الجهر على أنه لو قدم الحج على الصوم لكان له أيضاً وجه ، لما أن الحج جعل سبباً للصوم كحج المتمتع والقارن بشرط عدم القدرة على الهدي ، والسبب مقدّم على المسبب وقوعاً إلا إنه راعى موافقة الفقهاء في وضعهم كذلك في كتب الفروع الفقهية ، ثم وجدت مناسبة أخرى

الصيام، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرآن، وكتاب الاذكار والدعوات، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات* (وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب أيضاً)* كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوَّة (٦١).

لتقديم الصوم على الحج هي أنه لما كان الحج مشتملاً على صفات جليلة عظيمة من الخروج عن الديار ومفارقة الأهل، والتجرد عن ثياب الأحياء، وكشف الرأس، والدوران حول البيت كأنه خائف ولهان، وكذا السعي بين المروتين مشابه بحال الهارب المستغيث إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة المختلفة الحقائق التي لا يهتدى لمعرفتها إلا الفحول من العلماء بخلاف الصوم، فإنه أمر واحد لا يخفى على العاقل والأمر الواحد مقدم على الأمور الكثيرة. وأيضاً؛ فإن رمضان قبل ذي الحجة الواقع فيه الحج، فينبغي أن يقدم الصوم وضعاً كما في كتب القوم، وأيضاً فإن الصوم أعظم اهتماماً من الحج بواسطة أن الصوم يتكرر على المكلف بتكرر الزمان فلا يسقط عنه بالكلية كما في الصلاة، والمتكرر يهتم به للتعليم والتعلم.

الثامن: (كتاب آداب تلاوة القرآن) لشرفه وتضمنه تلك العبادات المذكورة فتفهمه حق التفهيم.

التاسع: (كتاب الأذكار والدعوات) لكونها مأخوذة من القرآن غالباً.

العاشر: (كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات) لأنها من آخر وظائف المتعبدين.

(وأما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب أيضاً) رتب هذا الربع أيضاً كذلك بترتيب لائق فقدم **(كتاب آداب الأكل)** لكونه مهماً إذ به غذاء الأجسام وبقاؤها، ثم **(كتاب آداب النكاح)** لما تنبعث الشهوات عقب الأكل، ثم **(كتاب أحكام الكسب)** لاحتياجه إليه حينئذ لا محالة، ثم **(كتاب الحلال والحرام)** إذ يلزم معرفتها للمكتسب، ثم **(كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق)** لافتقار الكسب إلى مخالطتهم، ثم **(كتاب العزلة)** لأنها ضد الصحبة فناسب ذكرها بعدها، ثم **(كتاب آداب السفر)** لما فيه من البعد الظاهري عن الأوطان وفراق الأهل والخلان، ثم **(كتاب السماع والوجد)** لما فيه من التنشيط للأرواح والإعانة على التجريد للمسافرين إلى حضرة الله تعالى، ثم **(كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)** لما فيه من إبقاء سلسلة الانتظام ومنع التعدي في الحقوق، ثم **(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة)** لأنها غاية كل كمال ونهاية الوصول لأهل الظاهر في الحال والمآل وهو آخر درجات السالكين.

(وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب أيضاً) رتبه كذلك على أبدع أسلوب

*** (وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب أيضاً) * كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفات الشهوتين: شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد، وكتاب ذم الدنيا، وكتاب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء، وكتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغرور. * (وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب أيضاً) * كتاب التوبة، وكتاب الصبر والشكر، وكتاب الخوف والرجاء، وكتاب الفقر والزهد، وكتاب التوحيد والتوكل، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، وكتاب النية والصدق والاخلاص، وكتاب المراقبة والمحاسبة، وكتاب التفكر، وكتاب ذكر الموت.**

فقدم **(كتاب شرح عجائب القلب)** لأن بصلاحه صلاح كل الجسد وعجائبه في الحقيقة لا انقضاء لها، ثم **(كتاب رياضة النفس)** لتعلقها بالقلب شديداً، ولأن في رياضتها تمام التصفية من الكدورات، ثم **(كتاب آفات الشهوتين)** لانتشائهما عن النفس وهما: **(شهوة البطن وشهوة الفرج)**، ثم **(كتاب آفات اللسان)** لأنه ممر شهوة البطن خاصة، ثم **(كتاب آفات الغضب والحقد والحسد)** لأنها تنشأ غالباً عن حدة اللسان فيبوح بها، ثم **(كتاب ذم الدنيا)** لأنها السبب الأعظم لصدور تلك الآفات، ثم **(كتاب ذم المال والبخل)** لأن المال أعظم متاع الدنيا والبخل من لوازمه، ثم **(كتاب ذم الجاه والرياء)** لأن الجاه منشؤه المال، والرياء يقع لتحصيله، ثم **(كتاب ذم الكبر والعجب)** لأنها من لوازم الجاه والمال وما أشبه ذلك، ثم **(كتاب ذم الغرور)** لكونه ينشأ من الكبر والعجب غالباً وهو آخر درجات المتقين.

(وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب أيضاً) رتبه كذلك على ترتيب عجيب ووضع غريب فقدم: **(كتاب التوبة)** لأنها أشرف أعمال العبد، وأقرب إلى الوصول، وأول فتح للباب، ثم **(كتاب الصبر والشكر)** إذ هما نتيجتها وهما من علاماتها الدالة على صحتها، ثم **(كتاب الخوف والرجاء)** لأنها ينشآن عن الصبر والشكر، ثم **(كتاب الفقر والزهد)** لأنهما رأس مال الخائفين، ثم **(كتاب التوحيد والتوكل)** لأن من شأن الفقير الزاهد التجرد عما سوى الله فناسبه التوحيد والتوكل على الله، ثم **(كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا)** لأن الموحد المتوكل لا يصل إلى مطلوبه إلا إذا كان الحب دليله والشوق سائقه والرضا أمامه، ثم **(كتاب النية والصدق والإخلاص)** لتوقف كل ما ذكر على النية مع الصدق في ذلك واخلاصه وامحاضه، ثم **(كتاب المراقبة والمحاسبة)** إذ هما من نتائج الإخلاص والصدق، ثم **(كتاب التفكر)** لكونه ثمرة المراقبة والمحاسبة، ثم **(كتاب ذكر الموت)** وهو آخر درجات المخلصين.

(فاما ربعُ العبادات فاذكر فيه من خفايا آدابها) التي لم يطلع عليها غالب العلماء

فأما ربع العبادات فاذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه، بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه، وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهيات. وأما ربع العادات، فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني عنها متدين.

وأما ربع المهلكات، فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه واذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ثم أذكر سببه الذي منه يتولد، ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف، ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقروناً بشواهد الآيات والأخبار والآثار.

(**ودقائق سننها**) التي خفيت على أكثرهم، (**وأسرار معانيها**) التي استنبطها العارفون (**ما يضطر**) أي يحتاج ضرورة (**العالم العامل إليه، بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه**) لكونه من اللوازم الضرورية في حقه، (**وأكثر ذلك**) مما ذكرته (**مما أهمل في فن الفقهيات**) ولم يتعرض له أصلاً.

(**وأما ربع العادات، فاذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها**) معطوف على أسرار جمع غور وهو ما خفي من الأمور (**ودقائق سننها**) المستنبطة (**وخفايا الورع**) بأقسامه الأربعة (**في مجاريها**) أي تلك المعاملات (**وهي مما لا يستغني متدين**) وفي نسخة متدبر (**عنها**) إذ بها كماله.

(**وأما ربع المهلكات فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته**) أي إزالته (**وتزكية النفس**) أي تطهيرها (**عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده**) أي وصفه المحيط بمعناه. سمي الحد حد لكونه مانعاً لفاعله عن معاودة مثله ولغيره عن سلوك منهجه (**وحقيقته**) هو اسم لما أريد به ما وضع له، (**ثم أذكر سببه**) هو ما ظهر الحكم لأجله هبه شرطاً أو دليلاً أو علة (**الذي منه يتولد**) وينشأ (**ثم**) أذكر (**الآفات التي عليها تترتب ثم**) أذكر (**العلامات التي بها تتعرف ثم**) اذكر (**طرق المعالجة التي بها**) أي باستعمالها (**منها**) أي من تلك الآفات (**يتخلص**) فذكر في كل خلق من تلك الأخلاق ستة أشياء: الحد والحقيقة والسبب الباعث لتولد الآفات ثم ما يتركب عليه من الآفات، ثم العلامات، ثم طرق المعالجة. وهكذا شأن الطبيب الماهر إذا أراد تخليص مريض من علة يعرفه أوّلاً حد العلة وحقيقتها، ثم يذكر له سببها الذي تولدت منه، ثم عوارضها، ثم يستدرج إلى ذكر علاماتها، فإذا تأمل المريض ذلك كشف له الحجاب وطالبته النفس بما يزيلها فيردد عليه طريق المعالجة فيتلقاها المريض بقلب سليم، وينجو من تلك العلة سريعاً (**كل ذلك مقروناً بشواهد الآيات**) جمع آية تطلق على جملة من القرآن سورة كانت أو فصولاً أو فصلاً من

وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين، وأذكر في كل خصلة حدّها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب، وثمرتها التي منها تستفاد، وعلامتها التي بها تتعرف، وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل، ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتباً، ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور. **الأوّل:** حل ما عقدوه وكشف ما أجلوه، **الثاني:** ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه. **الثالث:** ايجاز ما طوّلوه وضبط ما قرروه. **الرابع:** حذف ما كرروه وإثبات ما

سورة، ويقال: لكل كلام منه منفصل بفصل لفظي آية وعليه اعتبار آيات السورة التي تعد بها السورة عند الجمهور (والأخبار) جمع خبر وهو الحديث المنقول فهو مرادف للحديث عند الجمهور (**والآثار**) جمع أثر هو من اصطلاح الفقهاء فإنهم يستعملونه في كلام السلف والحديث في خبر الرسول ﷺ، وفي ذلك بحث طويل محله كتب أصول الحديث.

(**وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود**) ورد بمدحه القرآن (**و**) كل (**خصلة**) حسنة (**مرغوب فيها**) مطلوب تحصيلها (**من**) جملة (**خصال المقربين**) عند الله في حظائر القدس (**والصديقين**) تخصيص بعد تعميم (**التي بها يتقرب العبد**) في سلوكه (**من رب العالمين، وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب، وثمرتها التي منها تستفاد، وعلامتها التي بها تعرف، وفضيلتها التي لأجلها يرغب فيها**) ذكر في هذا الربع في كل خصلة ستة أشياء: الحد، والحقيقة، والسبب، والثمرة، والعلامة، والفضيلة وهي نظير الستة التي ذكرت في ربع المهلكات، فقابل الثلاثة الأول بالثلاثة إلاَّ أن هناك سبب تولد وهنا سبب اجتلاب، ولا يخفى ما بين التولد والاجتلاب من الفرق وقابل استفادة الثمرة بترك الآفة والعلامة بالعلامة والفضيلة بالمعالجة، لأن تلك طرق التخلي، وهذه أحوال التحلي، ولكل مقام مقال (**مع ما ورد فيها من شواهد الشرع**) الكتاب، والسَّنة، وأقوال الصحابة ومن بعدهم (**والعقل**) الأدلة العقلية وما قالته الحكماء الآولون، (**ولقد صنف الناس**) ممن تقدم (**في**) تحقيق (**بعض هذه المعاني**) التي ذكرت (**كتباً**) كقوت القلوب، والرعاية، ومنازل السائرين، والرسالة، والتعرف وغيرها، (**ولكن يتميز هذا الكتاب عنها**) عن تلك الكتب (**بخمسة أمور: الأوّل: حل ما عقدوه**) في كتبهم (**وكشف ما**) ستروه وتفصيل ما (**أجلوه. الثاني: ترتيب ما بددوه**) أي فرقوه في مواضع شتى (**ونظم ما فرقوه**) أي جمعه، والجملة الثانية في كل تفسير للأولى (**الثالث: ايجاز ما طوّلوه وضبط ما قرروه**) والمراد بضبط المقرر تفسيره وبيانه بحيث ينكشف على مطالعه، وأما الإيجاز فهو أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة (**الرابع: حذف ما كرروه**) أي أعادوه مراراً والتكرار يشبه العموم من حيث التعدد، ويفارقه بأن العموم يتعدد فيه الحكم بتعدد افراد الشرط، والتكرار يتعدد فيه الحكم بتعدد الصفة المتعلقة

حرروه. **الخامس:** تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الافهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً إذ الكل وإن توارد على منهج واحد فلا مستنكر أن ينفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه، أو لا يغفل عن التنبه له، ولكن يسهو عن إيراده في الكتب أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف، فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاوياً لمجامع هذه العلوم، وإنما حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران.

(أحدهما) وهو الباعث الأصلي أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري، لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة، وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط، وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف

بالافراد (**الخامس: تحقيق أمور غامضة**) خفية المدرك (**اعتاصت**) ضد انقادت (**على الافهام**) أي عسر كشفها عليها، ومن ثم (**لم يتعرض لها في الكتب أصلاً**) لصعوبتها، ولهذه الأمور الخمسة التي ذكرها فوائد لا تخفى عند المنصفين، أما الأول؛ فلأن الكلام إذا كان معقوداً لا تظهر ثمرة نفعه. وأما الثاني؛ فلأن المفرق في مواضع يشتت أذهان المتأملين. وأما الثالث؛ فمن التطويل كلت الهمم. وأما الرابع؛ فلأن المكرر من حيث هو مكرر مما يمل منه ذهن السامع. وأما الخامس؛ فلأن الأمور الخفية الصعبة التي تشتبه على الافهام وتلتبس على الأذهان، فان التعرض لها والإهتمام بكشفها أكثر فائدة وأجل عائدة (**إذ الكل**) من العلماء (**وإن تواردوا**) أي أتوا على سبيل المواردة واحداً بعد واحد، وأصل الورود ورود الإبل على الماء ثم استعير (**على منهج**) أي طريق (**واحد فلا مستنكر**) أي لا إنكار ولا بدع (**أن ينفرد كل واحد من السالكين**) ويتميز عن غيره (**بالتنبه لامر يخصه**) فيكشف عنه (**ويغفل عنه رفقاؤه**) والله يختص برحمته من يشاء (**أو لا يغفل عن التنبه له، ولكن يسهو عن إيراده في الكتب**) وهو معذور، ففي الحديث: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». (**أو لا يسهو ولكن يصرفه**) يمنعه (**عن كشف الغطاء عنه صارف**) أي مانع كعجز العامة عن فهمه أو صدور ملام إليه، أو شبهه، فقد ورد: لا تطرحوا الدر في أفواه الكلاب، وقال أبو هريرة: وأما الآخر لو بثثته لقطعتم بلعومي هذا (**فهذه**) الأمور التي ذكرت (**خواص هذا الكتاب**) أي انه اشتمل على علوم خفية المجلى يكشف الغطاء عنها مما أغفلها كثير من المصنفين أو لم يفسروها (**مع كونه حاوياً**) جامعاً (**لمجامع هذه العلوم**) الظاهرية والباطنية (**وإنما حملني على تأسيس**) هذا (**الكتاب**) ووضعه (**على أربعة أرباع أمران**) أكيدان.

(**أحدهما: وهو الباعث الأصلي أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري**) الذي لا يحتاج إلى إقامة برهان (**لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعني المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط**) وهو المعبر عنه بعلم الباطن، وسيأتي

العمل به، والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين، وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه. وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال، علماً منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال - والعلماء ورثة الأنبياء - فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء في كتمانه، ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر، أعني العلم بأعمال الجوارح، وإلى علم باطن أعني العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عبادة وإما عادة، والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم، فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن. والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عبادة وعادة، والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب واخلاق النفس إنقسم إلى مذموم ومحمود، فكان المجموع أربعة أقسام، ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام.

تفصيله. (**وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به**) أي من المأمورات والمنهيات، (**والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة**) أي لا جواز (**في إيداعها**) أي وضعها في (**الكتب**) لفقد الرواية تصريحاً وإنما تروى أحياناً تلويحاً (**وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين، وعلم المعاملة طريق إليه**) أي ودليل عليه (**ولكن لم يتكلم الأنبياء عليهم السلام مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه أما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال**) لأنه من الأمور الوجدانية، فإن العاقل يكفيه الإشارة، والغافل لا يفيده صريح العبارة (**علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الإحتمال**) أي عن احتمال ما يلقى إليهم لصعوبتها (**والعلماء ورثة الأنبياء**) وهو حديث أبي الدرداء، وسيأتي الكلام عليه (**فما لهم**) أي للعلماء (**سبيل إلى العدول**) والتجاوز (**عن نهج**) أي طريق (**التأسي**) اتخاذه اسوة (**والاقتداء**) عطف تفسير (**في كتمانه**) إلا بالتلويح، (**ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر، أعني العلم بأعمال الجوارح، وإلى علم باطن أعني العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عبادة أو عادة، والوارد على القلوب التي هي بحكم الإحتجاب عن الحواس**) الظاهرية (**من عالم الملكوت**) هو عالم الغيب المختص بأرواح النفوس (**إما محمود وإما مذموم، فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن، والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عبادة وعادة، والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفوس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ**) أي لا يخرج (**نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام**) فالحصر استقرائي.

(الباعث الثاني) أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات، وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيي بزي المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفاً في استدراج القلوب، ولهذا تلطف بعضَ من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعاً في الجداول والرقوم، وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذباً لهم إلى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد، فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد، فأين منه الطب الذي يعالج به

(الباعث الثاني): في تأسيس هذا الكتاب على الترتيب المذكور **(أني رأيت الرغبة في طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله عز وجل للتدرع به)** أي التلبس **(إلى المباهاة)** أي المفاخرة **(والإستظهار)** أي الإستقرار **(بجاهه ومنزلته في المنافسات)** وهي مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره **(وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيي بزي المحبوب محبوب)** أي المتشبه، والزي بالكسر البزة الحسنة والآلات المجتمعة **(فلم أبعد)** في المرمى **(أن يكون تصوير)** هذا **(الكتاب)** أي تنزيله بهذه الصورة الموجودة **(بصورة)** تنزيل كتب **(الفقه تلطفاً)** أي أخذاً باللطافة **(في استدراج القلوب)** أي خديعتها والدخول إليها درجة درجة، **(ولهذا تلطف بعض من رام)** أي طلب من الحكماء **(استمالة قلوب الرؤساء)** أي الأمراء **(إلى)** علم **(الطب)** لما رأى عدم اشتغالهم به ونزوع أنفسهم إلى علم النجوم **(فوضعه على هيئة تقويم النجوم)** التي يألفونها **(موضوعاً في الجداول)** جمع جدول، وهي الخطوط المتعارضة بعضها على بعض **(والرقوم)** جمع رقم والمراد به الحساب الهندي، **(وسماه تقويم الصحة)** وكأنه عني به كتاب المختار لأبي الحسن بن عبدون المتطبب، فإنه سماه كذلك، وعلى نهجه بنى ابن جزلة، وابن البيطار كتابيهما **(ليكون انسهم بذلك الجنس)** وميلهم له **(جاذباً)** مشوقاً **(لهم إلى المطالعة)** فيه **(والتلطف في اجتذاب القلوب)** وصرفها **(إلى العلم الذي يفيد)** ويكسب **(حياة الأبد)** في الدنيا والآخرة **(أهم)** وأعني **(من التلطف في اجتذابها إلى)** علم **(الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد)** فقط ولا ينظر إلى ما دون ذلك، **(فثمرة هذا العلم)** الذي هو علم الآخرة **(طب القلوب)** لمعرفة عجائبها وما يطرأ عليها **(والأرواح)** بتزكيتها وتنميتها **(المتوصل به إلى)** حد **(حياة)** حقيقة **(تدوم)** وتستمر **(أبد الآباد فأين منه)** علم **(الطب الذي يعالج به الأجساد)** الظاهرية بمعرفة الأمزجة وتراكيب الأدوية **(وهي)** أي الأجساد **(معرضة**

الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآماد ؟ فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد ، إنه كريم جوّاد .

بالضرورة للفساد) أي يعرضها الفساد والهرم بالموت ثم إن شرف الطب بحسب موضعه وشرف العلم بالله بحسبه وبحسب ثمرته والجامع بين الشرفين يهتم لتحصيله أكثر مما فيه شرف واحد **(في أقرب الآماد)** جمع أمد الغاية . قال الراغب : الأمد والأبد متقاربان ، لكن الأبد عبارة عن مدة الزمان التي لا حد لها ولا تتقيد ، والأمد مدة لها حدّ مجهول إذا أطلق ، وقد ينحصر فيقال أمد كذا كما يقال زمن كذا . **(ونسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد إنه هو الكريم الجواد)** وبه تم شرح خطبة الكتاب والحمد لمولانا الوهاب .

كتاب العلم وفيه سبعة أبواب

(الباب الأوّل) : في فضل العلم والتعليم والتعلم.

(الباب الثاني) : في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا .

كتاب العلم وفيه سبعة أبواب

ومناسبة هذه الأبواب لمن تأملها بفكره الثاقب ظاهرة، فقدم بيان فضل العلم والتعلم والتعليم اهتماماً بشأنه، ثم بين في الباب الثاني ما يفرض من ذلك على العين وعلى الكفاية، وبين فيه ما هو من علوم الدنيا وما هو من علوم الآخرة، ثم ذكر في الثالث بيان علوم الدين وإخراج ما ليس منها خلاف ما توهمه العامة، ثم ما ينشأ من تلك العلوم المناظرة وآفاتها والجدل والخلاف، ثم ذكر في الرابع ما يقطع به تلك الآفات بمعرفة الآداب، ثم بين في السادس الآفات التي تعرض للعلم تارة وللعلماء أخرى والعلامات الفارقة بين العالمين، ثم لما كان تحصيل ذلك كله وبيان التمييز بين تلك المقامات والعلامات متوقفاً على موهبة عقل من الله تعالى فناسب ذكره في الباب السابع.

الباب الأول: في فضل العلم والتعليم والتعليم وشواهده من العقل والنقل

أورد فيه رحمه الله تعالى من شواهد القرآن ثلاث عشرة آية تدل على فضل العلم والعلماء ومن الأخبار ثمانية وعشرين حديثاً ما بين صحاح وحسان وضعاف وليس فيها ما حكم عليه بالوضع، فالحديث الأول صحيح متفق عليه، والثاني صحيح أو حسن، والثالث والتاسع متفق عليه، والثاني عشر حسن أو صحيح، والسابع عشر حسن أو صحيح، والتاسع عشر حسن، وما عداها ضعاف كما سيأتي بيان ذلك. ثم اختلف في أن تصور ماهية العلم المطلق هل هو ضرروي أو نظري يعسر تعريفه، أو نظري غير عسير التعريف، والأول مذهب الإمام الرازي، والثاني رأي إمام الحرمين وتلميذه المصنف، والثالث هو الراجح ولهم عليه تعريفات.

الأول: اعتقاد الشيء على ما هو به وهو مدخول بالتقليد المطابق للواقع فزيد فيه قيد عن ضرورة أو دليل، لكن لا يمنع الاعتقاد الراجح المطابق وهو الظن الحاصل عن ضرورة أو دليل.

الثاني: معرفة المعلوم على ما هو به وهو مدخول أيضاً لخروج علم الله تعالى إذ لا يسمى معرفة، ولذكر المعلوم وهو مشتق من العلم فيكون دوراً ولان معنى ما هو به هو معنى المعرفة فيكون زائداً.

(الباب الثالث) : فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره.

(الباب الرابع) : في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل.

(الباب الخامس) : في آداب المعلم والمتعلم.

(الباب السادس) : في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة.

(الباب السابع) : في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار.

الثالث: هو الذي يوجب كون من قام به عالماً وهو مدخول أيضاً لذكر العالم في تعريف العلم وهو دور.

الرابع: هو إدراك المعلوم على ما هو به وهو مدخول أيضاً لما فيه من الدور والحشو كما مر، ولأن الإدراك مجاز عن العلم.

الخامس: هو ما يصح لمن قام به اتقان الفعل وفيه أنه تدخل القدرة ويخرج علمنا إذ لا مدخل له في صحة الإتقان فإن أفعالنا ليست بإيجادنا.

السادس: تبيين المعلوم على ما هو به وفيه الزيادة المذكورة والدور مع أن التبيين مشعر بالظهور بعد الخفاء فيخرج منه علم الله تعالى.

السابع: إثبات المعلوم على ما هو به وفيه الزيادة والدور، وأيضاً الإثبات قد يطلق على العلم تجوزاً فيلزم تعريف الشيء بنفسه.

الثامن: الثقة بان المعلوم على ما هو به وفيه الزيادة والدور مع أنه يلزم منه كون الباري واثقاً بما هو عالم به، وذلك مما يمتنع اطلاقه عليه شرعاً.

التاسع: اعتقاد جازم مطابق لموجب إما ضرورة أو دليل فيه، وفيه إنه يخرج عنه التصور لعدم اندراجه في الإعتقاد مع أنه علم، ويخرج علم الله تعالى أيضاً لأن الإعتقاد لا يطلق عليه، ولأنه ليس بضرورة أو دليل، وهذا التعريف للفخر الرازي عرفه به بعد تنزيله كونه ضرورياً.

العاشر: حصول صورة الشيء في العقل. قال ابن صدر الدين: هو أصح الحدود عند المحققين من الحكماء وبعض المتكلمين، ولكن فيه أنه يتناول الظن والجهل المركب والتقليد والشك والوهم.

الحادي عشر: تمثيل ماهية المدرك في نفس المدرك وفيه ما في العاشر، وهذان التعريفان للحكماء مبنيان على الوجود الذهني والعلم عندهم عبارة عنه، فالأول يتناول إدراك الكليات والجزئيات، والثاني ظاهره يفيد الإختصاص بالكليات.

....

الثاني عشر: هو صفة توجب لمحلها تمييزاً بين المعاني لا يحتمل النقيض وهو الحد المختار عند المتكلمين، إلا أنه يخرج عنه العلوم العادية كعلمنا مثلاً بأن الجبل الذي رأيناه فيما مضى لم ينقلب الآن ذهباً، فإنها تحتمل النقيض لجواز خرق العادة، وأجيب عنه في محله، وقد يزاد فيه قيد بين المعاني الكلية، وهذا مع الغنى عنه يخرج العلم بالجزئيات وهو المختار عندمن يقول العلم صفة ذات تعلق بالمعلوم.

الثالث عشر: تمييز معنى عند النفس تمييزاً لا يحتمل النقيض وهو الحد المختار عندمن يقول من المتكلمين أن العلم نفس التعلق المخصوص بين العالم والمعلوم.

الرابع عشر: هو صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هي به. قال السيد الشريف: وهو أحسن ما قيل في الكشف عن ماهية العلم ومعناه أنه صفة ينكشف بها لمن قامت به ما من شأنه أن يذكر انكشافاً تاماً لا اشتباه فيه.

الخامس عشر: حصول معنى في النفس حصولاً لا يتطرق عليه في النفس احتمال كونه على غير الوجه الذي حصل فيه وهو للآمدي. قال: ونعني بحصول المعنى في النفس تمييزه في النفس عما سواه، ويدخل فيه العلم بالإثبات والنفي والمفرد والمركب، ويخرج عنه الإعتقادات إذ لا يبعد في النفس احتمال كون المعتقد والمظنون على غير الوجه الذي حصل فيها فهذه تعاريف العلم، ثم اختلفوا في أن العلم بالشيء هل يستلزم وجوده في الذهن كما هو مذهب الفلاسفة وبعض المتكلمين أو هو تعلق بين العالم والمعلوم في الذهن كما ذهب إليه جمهور المتكلمين، ثم انه على الأول لا نزاع في أنا إذا علمنا شيئاً فقد تحقق أمور ثلاثة: صورة حاصلة في الذهن، وارتسام تلك الصورة فيه، وانفعال النفس عنها بالقبول، واختلف في أن العلم هل هو من مقولة الكيف أو الانفعال أو الاضافة، والأصح أنه من مقولة الكيف على ما بين في محله ولهم في تقسيم العلم آراء مختلفة، فقال بعض أئمة الإشتقاق: العلم ضربان إدراك ذات، والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه، فالأول يتعدى لواحد قال تعالى: ﴿لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ [التوبة: ١٠١] والثاني يتعدى لإثنين قال تعالى: ﴿فإن علمتموهن مؤمنات﴾ وقال آخرون: العلم من وجه آخر نوعان عملي ونظري، فالنظري ما إذا علم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم، والعملي ما لا يتم إلا بأن يعمل كالعلم بالعبادات ومن وجه آخر نوعان: عقلي وسمعي، وقد يتجوز به عن الظن كما يستعار الظن للعلم، ثم أن لفظ العلم كما يطلق على ما ذكر يطلق على ما يرادفه وهو أسماء العلوم المدونة، كالنحو والفقه فيطلق كاسماء العلوم تارة على المسائل المخصوصة كما يقال: فلان يعلم النحو، وتارة على التصديقات بتلك المسائل عن دليلها، وتارة على الملكة الحاصلة من تكرر تلك التصديقات. أي: ملكة استحضارها، وقد تطلق الملكة على التهيؤ التام، وهو أن يكون عنده ما يكفيه لاستعلام ما يراد، والتحقيق أن المعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك، ولهذا المعنى متعلق هو المعلوم وله تابع في الحصول يكون وسيلة إليه في

(الباب الأوّل) : في فضل العلم والتعليم وشواهده من النقل والعقل.

البقاء هو الملكة، فاطلق لفظ العلم على كل منها إما حقيقة عرفية أو اصطلاحية أو مجاز مشهور، وقد يطلق على مجموع المسائل والمبادىء التصورية والمبادىء التصديقية والموضوعات، وقد تطلق أسماء العلوم على مفهوم كلي إجمالي يفصل في تعريفه، فإن فصل نفسه كان حداً رسمياً، وإن بين لازمه كان رسماً اسمياً، وأما حده الحقيقي فإنما هو بتصوّر مسائله أو بتصور التصديقات المتعلقة بها فإن حقيقة كل علم مسائل ذلك العلم، أو التصديقات بها، وأما المبادىء وآنية الموضوعات فإنما عدت جزأ منها لشدة احتياجها إليها، ثم إن الظاهر أن العلم المصدر به هنا هو الجامع بين علمي المكاشفة والمعاملة، بل المستجمع بين علمي الشريعة والحقيقة المؤدي إلى مرتبة الطريقة، وأما التعليم والأعلام فهما واحد إلا أن الإستعمال خص الإعلام باخبار سريع، والتعليم بما يكون فيه تكرير وتكثير يحصل منه أثر في نفس المتعلم. وقال بعضهم: التعليم تنبيه النفس لتصوير المعاني، والتعلم تنبه النفس لتصور ذلك وربما استعمل في معنى الإعلام إذا كان فيه تكثر نحو قوله تعالى: ﴿أتعلمون الله بدينكم﴾ [الحجرات: ١٦] وقوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: ٣١] فتعليمه الأسماء هو أن جعل له قوة بها نطق ووضع أسماء الأشياء، وذلك بالقائه في روعه، وكتعليمه الحيوانات كل واحد فعلاً يتعاطاه وصوتاً يتحراه قاله السمين.

وقدأجمع العلماء على فضل التعليم والتعلم من أفواه الشيوخ إلا من كان من علي بن رضوان الطبيب المصري، فإنه صنف كتاباً في إثبات أن التعلم من الكتب أوفق من المعلمين، وكان رئيس الأطباء للحاكم بمصر، ولم يكن له معلم في صناعة الطب ينسب إليه وهو كلام لا يعبأ به ولا يلتفت إليه. قرأت في الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي إن ابن بطلان وغيره من أهل عصره ومن بعدهم قد ردوا عليه هذا القول وبينوه وشرحوه، وذكروا له العلل التي من أجلها صار التعلم من أفواه الرجال أفضل من التعلم من الصحف إذا كان قبولها واحداً.

الأولى: منها وصول المعاني من النسيب إلى النسيب خلاف وصولها من غير النسيب، والنسيب الناطق افهم للتعليم وهو المعلم وغير النسيب له جاد وهو الكتاب.

الثانية: النفس العلامة علامة بالعقل وصدور العقل عنها يقال له التعليم والتعليم والتعلم من المضاف، وكل ما هو للشيء بالطبع أخص مما ليس هو بالطبع والنفس المتعلمة علامة بالقوة، وقبول العلم فيها يقال له تعلم والمضافان معاً بالطبع، فالتعليم من المعلم أخص بالمتعلم من الكتاب.

الثالثة: المتعلم إذا استعجم عليه ما يفهمه المعلم من لفظه نقله إلى لفظ آخر، والكتاب لا ينقل من لفظ إلى لفظ، فالفهم من المعلم أصلح للمتعلم من الكتاب، وكل ما هو بهذه الصفة فهو في إيصال العلم أصلح للمتعلم.

الرابعة: موضوعه اللفظ واللفظ على ثلاثة أضرب قريب من العقل وهو الذي صاغه العقل مثالاً لما عنده من المعاني، ومتوسط وهو المتلفظ به بالصوت وهو مثال العقل وبعيد وهو المثبت في الكتاب، وهو مثال ما خرج باللفظ، فالكتاب مثال مثال مثال المعاني التي في العقل، والمثال لا

* **(فضيلة العلم)** * شواهدها من القرآن قوله عز وجل: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ والملائِكَةُ وأولُو العِلمِ قائِماً بالقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلّث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفـاً وفضلاً وإجلالاً ونبلاً.

يقوم مقام المثل، فالمثال الأول هو اللفظ، والثاني هو الكتاب، فالفهم من لفظ المعلم أسهل من لفظ الكتاب.

الخامسة: وصول اللفظ الدال على المعنى إلى العقل يكون من جهة حاسة غريبة من اللفظ وهو البصر، لأن الحاسة النسيبة للـفظ هي السمع لأنه تصويت، والشيء الواصل من النسيب وهو اللفظ أقرب من وصوله من الغريب وهو الكتابة، فالفهم من المعلم باللفظ أسهل من الفهم من الكتابة بالخط.

السادسة: يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم وهي معدومة عند المعلم، وهي التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ والغلط بروغان البصر، وقلة الخبرة بالإعراب أو عدم وجوده مع الخبرة بالإعراب، أو فساد الموجود منه واصلاح الكتاب وكتابة ما لا يقرأ. وقراءة ما لا يكتب، ومذهب صاحب الكتاب وسقم النسخ ورداءة النقل وادماج القارىء مواضع المقاطع وخلط مبادىء التعليم، وذكر ألفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة، وألفاظ يونـانيـة لم يخرجهـا الناقل من اللغة كالثوروس، فهذه كلها معوّقة عن العلم، وقد استراح المتعلم من تكلفها عند قراءته على المعلم، وإذا كان الأمر على هذه الصورة، فالقراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه وهو ما أردنـا بيانه. قال: وأنا آتيك ببيان شائع أظنه مصدقاً لما عندك وهو ما قاله المفسدون في الإعتياض عن السالبة البسيطة بالموجبة المعدولة، فإنهم مجمعون على أن هذا الفصل لو لم يسمعه من ارسطو تلميذاه نامسطيوس وأوذيموس لما فهم قط اهـ كلام ابن بطلان.

قال الصفدي: ولهذا قال العلماء لا تأخذ العلم من صحفي ولا من مصحفي يعني لا تقرأ القرآن على من قرأ من المصحف ولا الحديث وغيره على من أخذ ذلك من الصحف، وحسبك بما جرى لحماد لما قرأ في الصحف وما صحفه، وقدوقع لابن حزم، وابن الجوزي أوهـام وتصحيف معروفة عند أهلها، فناهيك بهذين الإثنين. وهذا الرئيس أبو علي ابن سينا وهو لما استبد بنفسه في الأدوية المفردة اتكالاً على ذهنه لما سلم من سوء الفهم لم يسلم من التصحيف وهو أثبت ابنطافلن وهو بتقديم الباء على النون، ومعناه ذو خمس أوراق في حرف النون اهـ وهو كلام حسن ينبغي الإهتمام بمعرفته.

فضيلة العلم:

الكلام في فضل العلم شواهده من القرآن قوله عز وجل: ﴿شهد الله أنه لا إنه إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط﴾ [آل عمران: ١٨] يحتمل أن يراد بذلك الأعلام أي أعلم الله، وإن يراد البيان أي بيّن وأن يراد الحكم أي حكم بذلك. وقال بعضهم: أن شهد هنا قد

وقال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذِينَ أوتُوا العِلْم دَرَجَاتٍ﴾

استعمل في معان مختلفة، فإما أن يكون من باب الإشتراك أو الحقيقة والمجاز وكلاهما مقول به، والإستدلال على ذلك في غير هذا، فشهادة الله بذلك اعلامه وبيانه وحكمه وشهادة الملائكة ومن معهم إقرارهم بذلك، وقد بينها بعضهم بعبارة أخرى، فقال: شهادة الله بوحدانيته هي إيجاد ما يدل على وحدانيته في العالم وفي نفوسنا. قال بعض الحكماء: إن الله تعالى ما شهد لنفسه كأن شهادته أن نطق خلقه بالشهادة له، وأما شهادة الملائكة بذلك فهي إظهارهم افعالاً يؤمرون بها، وأما شهادة أولى العلم فهي اطلاعهم على تلك الحكم وإقرارهم بذلك، وإنما خص أولي العلم لأنهم هم المعتبرون وشهادتهم هي المعتبرة، وأما الجهال فمبعدون عنها، وعلى ذلك نبه بقوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] وهؤلاء هم المعنيون بقوله والصديقين والشهداء والصالحين. **(فانظر كيف بدأ سبحانه بنفسه)** فقال: ﴿شهد الله﴾ **(وثنى بالملائكة)** أي ذكرهم ثانياً. **(وثلث بأهل العلم)** فقال: وأولوا العلم. **(وناهيك بهذا شرفاً وإجلالاً ونبلاً)** أي لكفايته كأنه ينهاك عن طلب غيره استشهدهم على أجل مشهود عليه وهو توحيده. قال ابن القيم: وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه. أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر، والثاني: اقتران شهادتهم بشهادته، والثالث، اقترانها بشهادة ملائكته، والرابع: أن هذا من تزكيتهم وتعديلهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول، والخامس، أنه وصفهم بكونهم أولي العلم، وهذا يدل على اختصاصهم به، وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم. والسادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهد، ثم بخيار خلقه وهم الملائكة والعلماء من عباده، ويكفي بهذا فضلاً وشرفاً. والسابع: أنه استشهد بهم على أجلّ مشهود به وأعظمه، وهو شهادة أن لا إله إلا هو، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم، والثامن: أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده. والتاسع: أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة من ملائكته ومنهم ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر غير شهادته، وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته، فكأنه سبحانه شهد على نفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة فكان هو الشاهد بها لنفسه إقامة وانطاقاً وتعليماً وهم الشاهدون بها له اقراراً واعترافاً وتصديقاً وإيماناً. والعاشر: أنه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة، فإذا أدوها، فقد أدوا الحق المشهود به، فثبت الحق المشهود به، فوجب على الخلق الإقرار به، وكان في ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وكل من ناله هدى بشهادتهم وأقر بهذا الحق بسبب شهادتهم وأقر لهذا فلهم الأجر مثل أجره، وهذا فضل عظيم لا يدرك قدره إلا الله، وكذلك كل من شهد بها عن شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره أيضاً، فهذه عشرة أوجه في هذه الآية، ولحظ إلى ذلك الشيخ الأكبر قدس سره فقال.

سائلي عن عقيدتي أحسن الله ظنه ... علم الله أنها شهد الله أنه

(وقال الله تعالى): ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسحِ الله

[المجادلة : ١١] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام . وقال عز وجل : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [الزمر : ٩] ، وقال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٨] .

لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا ﴾ ﴿ **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)** ﴾ ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ [المجادلة : ١١] تنبيه على تفاوت منازل العلوم ، وتفاوت أربابها ورفعة درجات أهل العلم والإيمان ، وقد أخبر الله سبحانه في كتابه برفعة الدرجات في أربعة مواضع . أحدها : هذا : والثاني قوله تعالى : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ﴾ [الأنفال : ٤] والثالث : قوله ﴿ درجات منه ومغفرة ورحمة ﴾ [النساء : ٩٦] والرابع : قوله ﴿ فأولئك لهم الدرجات العلى ﴾ [طه : ٧٥] فهذه أربعة مواضع في ثلاثة : منها الرفعة بالدرجات لأهل الإيمان الذي هو العلم النافع والعمل الصالح ، والرابع الرفعة بالجهاد فعادت رفعة الدرجات كلها إلى العلم والجهاد اللذين بهما قوام الدين **(قال)** عبدالله **(بن عباس رضي الله عنهما)** في تفسير هذه الآية **(للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة درجة)** ولفظ القوت . وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ يرفع الله الذين ﴾ الآية قال : درجات العلماء فوق درجات الذين امنوا بسبعمائة درجة **(ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام)** اهـ والدرجة : هي نحو المنزلة ، لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الإمتداد على البسيطة ، كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة وهي المراد هنا . وروي للأنبياء على العلماء فضل درجة ، وللعلماء على الشهداء فضل درجتين **(وقال تعالى ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾)** . [الزمر : ٩] قال البيضاوي : نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم ، وقيل : تقرير للاول على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون اهـ .

قال الشهاب في حاشيته قوله وقيل تقرير للأول عطف على ما قبله بحسب المعنى إذ التقدير : والذين يعلمون والذين لا يعلمون هم القانتون وغيرهم ، فيتحدان بحسب المعنى أو المراد بالثاني غير الأول ، وإنما ذكر على طريق التشبيه كأنه قيل لا يستوي القانت وغيره كما لا يستوي العالم والجاهل ، فيكون ذكره على سبيل التمثيل ففيه تأكيد من وجه آخر . **(وقال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾)** [فاطر : ٢٨] إن الله عزيز غفور الخشية أشد الخوف ، وقيل خوف يشوبه تعظيم المخوف منه ، وأكثر ما يكون ذلك من علم ما يخشى منه ، ولذلك خص العلماء في هذه الآية أي : إنما يخافه من عباده العلماء الذين علموا قدرته وسلطانه ، فمن كان أعلم كان أخشى لله ، وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية : أي من علم سلطانه وقدرته وهم العلماء ، وقال الزمخشري : المراد العلماء الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فعظموه وقدروه وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً .

على قدر علم المرء يعظم خوفه ... فلا عالم إلا من الله خائف

وقال تعالى: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ [الرعد: ٤٣].
وقال تعالى: ﴿قال الذي عِنْدَه علمٌ مِن الكتاب أنا آتيك به﴾ [النمل: ٤٠] تنبيهاً على انه اقتدر

وآمن مكر الله بالله جاهل وخائف مكر الله بالله عارف

قال النعماني في شرح البخاري: لأن من يفعل ما يريد من غير مبالاة يجب ان يخاف منه. قال الله تعالى: ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ [الأنبياء: ٢٣] اهـ.

ويروى عن ابن مسعود: رأس الحكمة مخافة الله أي لأنها تمنع النفس عن المخالفات، وعنه أيضاً: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً، وورد أيضاً إنما أخشاكم لله وأتقاكم أنا، وقرئ إنما يخشى الله برفع الجلالة ونصب العلماء، وهي قراءة عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة الإمام ولا عبرة بقول الحلبي، وفي حفظي عن بعض العلماء أنه أبو حنيفة الدينوري صاحب كتاب النبات، فإن صاحب كتاب النبات ليست عنه قراءة مشهورة ولا غيرها ولم يشتهر بها، ثم إن وجه هذه القراءة أن الخشية فيها تكون استعارة، والمعنى إنما يجلهم ويعظمهم، ومن لوازم الخشية التعظيم فيكون هذا من قبيل الملزوم وإرادة اللازم، قال العيني: وفي أيام اشتغالي على الإمام العلامة شرف الدين أبي الروح عيسى السرماوي حضر رجل في الدرس فقال: خشية الله مقصورة على العلماء بقضية الكلام، وقد ذكر الله في آية أخرى أن الجنة لمن يخشى الله وهو قوله تعالى: ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾ [البينة: ٨] فيلزم من ذلك أن لا تكون الجنة إلا للعلماء خاصة، فسكت جميع من حضر من المتعلمين، فأجاب الشيخ: إن المراد من العلماء الموحدون، وأن الجنة ليست إلا للموحدين الذين يخشون الله تعالى. وفي القوت قال المهدي لسفيان بن الحسين لما دخل عليه وكان أحد العلماء: أعالم أنت؟ فسكت فأعاد عليه فسكت، فقيل: ألا تجيب أمير المؤمنين، فقال: سألتني عن مسألة لا جواب لها إن قلت لست بعالم وقد قرأت كتاب الله كنت كاذباً، وإن قلت إني عالم كنت جاهلاً إذ روى أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس في قول الله عز وجل: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ قال: من لم يخش الله عز وجل فليس بعالم (وقال الله تعالى: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾) أي لا يفوت علمه شيء. قال البيضاوي: كفى بمعنى أقام من الحجج على صحة نبوّتك عن الاستشهاد بغيره. وقال السمين: في كفى قولان: أحدهما: اسم فعل، والثاني: وهو الصحيح أنها فعل وفي فاعلها قولان، أحدهما: وهو الصحيح أنه المجرور بالباء والباء زائدة، وفي فاعل مضارعه نحو: أو لم يكف بربك باطراد. وقال أبو البقاء: زيدت لتدل على معنى الأمر إذ التقدير اكتف بالله، والثاني: مضمر. والتقدير كفى الاكتفاء وبالله على هذا في موضع نصب لأنه مفعول به في المعنى، وهذا رأي ابن السراج، وردّ هذا بأن أعمال المصدر المحذوف لا يجوز عند البصريين إلا ضرورة. وقال الزجاج: الباء دخلت مؤكدة للمعنى أي اكتفوا بالله في شهادته، وقوله: شهيداً في نصبه وجهان. أحدهما: وهو الصحيح أنه تمييز يدل على ذلك صلاحية دخول من عليه، والثاني: أنه حال وتمام هذا البحث في حاشية عبد القادر عمر البغدادي على شرح بانت سعاد لابن هشام ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾

بقوّة العلم. وقال عز وجل: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ [القصص: ٨٠] بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم. وقال تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿ولَوْ رَدُّوه إلى الرَّسُول وإلى أولي الأمْر مِنْهُم لَعلمهُ الَّذِينَ يَسْتَنبطُونَه مِنْهُم﴾ [النساء: ٨٣] ردّ حكمه في الوقائع إلى استنباطهم، وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله، وقيل في قوله تعالى: ﴿يا بني آدم قَدْ أنزلْنا عليكم لباساً يواري سوآتِكُم﴾ يعني العلم (وريشاً) يعني اليقين ﴿ولباس التقوى﴾ [الأعراف: ٢٦] يعني الحياء. وقال عز وجل: ﴿ولقد جِئْنَاهم بكتاب فَصَّلناه عَلَى

[الرعد: ٤٣] هو العلم الخاص الخفي على البشر الذي يرونه ما لم يعرفوه منكراً بدليل ما رآه موسى عليه السلام من الخضر لما تبعه فأنكره بظاهر شريعته حتى عرفه. وقال تعالى: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ وهو وزير سيدنا سليمان عليه السلام واسمه آصف بن برخيا بن اشموئل (**أنا آتيك به**) أي بالعرش (تنبيهاً على أنه اقتدر عليه) أي على إتيان العرش في طرفة عين (**بقوّة**) ذلك (**العلم**) الذي بيناه. وقال الله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ أتاهم الله العلم والحكمة ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ أي جزاؤه بالعمل الصالح في الآخرة خير من هذه الزخارف (**بين**) في هذه الآية (**أن عظيم قدر الآخرة**) وما فيها من الثواب والعقاب لا (**يعلم**) إلا (**بالعلم وقال تعالى: وتلك الأمثال**) المضروبة (**نضربها**) نبينها (**للناس وما يعقلها**) أي تلك الأمثال وحسنها وفائدتها (**إلا العالمون**) [العنكبوت: ٤٣] بكسر اللام، أي المتدبرون، فأخبر الله تعالى عن أمثاله التي يضربها لعباده، يدلهم على صحة ما أخبر به أن أهل العلم هم المنتفعون بها المختصون بعلمها، وفي القرآن بضعة وأربعون مثلاً، وكان بعض السلف إذا مر بمثل لا يعرفه يبكي. ويقول: لست من العالمين. (**وقال تعالى: ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم**) هم العلماء بما أنزل على الأنبياء (**لعلمه الذين يستنبطونه**) أي يستخرجونه (**منهم**) [النساء: ٤٣] فانظر كيف (**رد حكمه في الوقائع**) والنوازل (**إلى استنباطهم**) أي العلماء (**وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء**) عليهم السلام في ذكرهم بعد الرسول (**في كشف حكم الله**) عز وجل. (**وقيل في قوله تعالى: يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري**) يستر (**سوآتكم يعني العلم**) عبر به عنه بضرب من المجاز، لأنه يغطي عن قبيح الجهل، وأصل اللباس ما يلبس ويستتر به وقد يعبر عنه أيضاً بالعمل الصالح وبستر العورة، وهذا بطريق التلميح فإنه يدل على أن جل المقصد من اللباس إنما هو ستر العورة وما زاد فتحسن وتزين إلا ما كان لدفع حر أو برد (**وريشاً يعني اليقين**) مستعار من ريش الطائر، وقال أبو المنذر القاري: الريش الزينة، وقال غيره هو الجمال. (**ولباس التقوى أي الحياء**) نقله ابن القطاع، أو الإيمان نقله السدي. وقال تعالى: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم﴾ هدى ورحمة (**وقال تعالى، فلنقصن عليهم بعلم، وقال تعالى: بل هو آيات بينات**

عِلْمٍ ﴾ [الأعراف : ٥٢] . وقال تعالى : ﴿ فلنَقُصّنّ عليهم بعلم ﴾ [الأعراف : ٧] . وقال عز وجل : ﴿ بل هو آيات بيِّنات في صُدُورِ الّذين أوتُوا العلم ﴾ [العنكبوت : ٤٩] . وقال تعالى : ﴿ خلق الإنسان٭ علّمه البَيَان ﴾ [الرحمن : ٣ ، ٤] وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان .

(الأخبار) : قال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدّين .ويلهمه رشده » .

في صدور الذين أوتوا العلم . وقال تعالى: خلق الانسان علمه البيان) . سمى الكلام بياناً ، لأنه يكشف المقصود ، وهو أعم من النطق لأن النطق مختص باللسان ، وفي الكشاف البيان المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير . **(وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان)** وتعداد نعمه عليه ، وفي كتاب الله عز وجل آيات دالة على فضل العلم سوى التي ذكرها المصنف منها قوله تعالى : ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أُنزل إليك من ربك هو الحق﴾ [سبأ : ٦] وقوله تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [الأنبياء : ٧] وقوله تعالى ﴿ فالذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ [الأنعام : ١١٤] وقوله تعالى : ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم] الآية [الإسراء : ١٠٧] وقوله تعالى : ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ [العنكبوت : ٤٩] وقوله تعالى : ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [طه : ١١٤] وكفى بهذا شرفاً للعلم إذ أمر نبيه أن يسأله المزيد منه . وقوله تعالى : ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ [يونس : ٥٨] فسر فضل الله بالايمان ، ورحمته بالقرآن هما العلم النافع والعمل الصالح . وقوله تعالى : ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [النساء : ١١٣] وقوله تعالى : ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ [البقرة : ١٥١] وقوله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ الآية [البقرة : ٣١] وفيها شرف العلم من وجوه كثيرة . وقوله تعالى : ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة : ٢٦٩] قال ابن قتيبة : الحكمة إصابة الحق والعمل به . وقوله تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك﴾ الآية [العلق : ١] وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على فضل العلم ، وفي هذا القدر كفاية والله تعالى أعلم .

(الأخبار) جمع خبر ، وقد تقدّم الفرق بينه وبين الأثر .

الأول : (قال الرسول ﷺ) كذا في النسخ ، ونقل التاج السبكي عن بعض الشافعية كراهة ذلك ، وإنما يقول قال رسول الله ﷺ ، فإنه أدل على التعظيم **(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)** متفق عليه من حديث معاوية قاله العراقي .

قلت : وكذا أخرجه الإمام أحمد من طريقه ، والترمذي وأحمد أيضاً عن ابن عباس ، وابن ماجه عن أبي هريرة . قال الحافظ بن حجر ، وقد أخرجه أبو يعلى من حديث معاوية من وجه آخر ضعيف زاد في آخره ومن لم يفقهه في الدين لم يبال الله به . قال العراقي : وأما قوله ويلهمه رشده فعند الطبراني في الكبير اهـ .

....

قلت: ورواه مع هذه الزيادة أيضاً أبو نعيم في الحلية، عن ابن مسعود وسنده حسن، وفي الصحيحين ومسند أحمد بعد قوله في الدين زيادة إنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل، قال بعض الشراح إن لم تقل بعموم من فالأمر واضح إذ هو في قوة بعض من أريد له الخير، وإن قلنا بعمومها يصير المعنى كل من يراد به الخير وهو مشكل بمن مات قبل البلوغ مؤمناً ونحوه، فإنه قد أريد به الخير وليس بفقيه ويجاب بأنه عام مخصوص كما هو أكثر العمومات، أو المراد من يرد الله به خيراً خاصاً على حذف الصفة اهـ.

قال شيخ مشايخنا أبو الحسن السندي في حاشية البخاري: الوجه حمل الخير على العظيم على أن التنكير للتعظيم فلا إشكال على أنه يمكن حمل الخير على الإطلاق واعتبار تنزيل من لم يتفقه في الدين منزلة العدم بنسبته إلى الفقيه في الدين، فيكون الكلام مبنياً على المبالغة. كان من لم يعط الفقه في الدين ما أريد به الخير، وما ذكر من الوجوه لا يناسب المقصود ويمكن حمل من على المكلفين، لأن كلام الشارع غالباً يتعلق ببيان أحوالهم، فلا يرد من مات قبل البلوغ أو أسلم ومات قبل مجيء وقت الصلاة مثلاً أي قبل تقرر التكليف والله أعلم اهـ.

وقال القسطلاني: قوله يفقهه أي يجعله فقيهاً في الدين والفقه لغة الفهم والحمل عليه هنا أولى من الاصطلاحي ليعم فهم كل علم من علوم الدين، ومن في الحديث موصولة تضمنت معنى الشرط وخير نكرة في سياق الشرط فتصير كالنكرة في سياق النفي أي جميع الخيرات اهـ. وفيه أمران

الأول: ما ذكره في أن من موصولة وأنها تضمنت معنى الشرط وهو صريح في أنها عوملت معاملته في الجزم بها، وكلام المغني صريح في خلافه حيث قال: من على أربعة أوجه شرطية واستفهامية وموصولة ونكرة موصوفة، ثم قال: تقول من يكرمني أكرمه، فيحتمل من الأوجه الأربعة، فإن قدرتها شرطية جزمت الفعلين، أو موصولة أو موصوفة رفعتها، أو استفهامية رفعت الأول وجزمت الثاني لأنه جواب بغير الفاء اهـ. والحديث محتمل الموصول والموصوف والنكرة الموصوفة أيضاً فتأمل.

والثاني: أن النكرة في سياق النفي أو الشرط لا تعم بهذا الوجه. أي: بأن يراد بها جميع الأفراد مرة واحدة وإنما تعم بمعنى من يرد الله به خيراً أي خير كان، كما يقال: جاءني رجل أو أحد من الرجال، وأيضاً من يرد الله به جميع الخيرات يفقهه في الدين، يفيد أن حيازة جميع الخيرات لا تتم بلا فقه في الدين، فإنه أمر ظاهر، ولا يفيد أن الفقه في الدين لبيان كيفية إعطاء جميع الخيرات الذي يتضمنه الشرط، والجزاء قد يقصد به ذلك فتأمل. قال ابن القيم: وهذا إذا أريد بالفقه العلم المستلزم للعمل، وأما إن أريد به مجرد العلم فلا يدل على أن من فقه في الدين أراد به خيراً، فإن الفقه حينئذ يكون شرطاً لإرادة الخير، وعلى الأول يكون موجباً.

وقال ﷺ: « العلماء ورثة الأنبياء » ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوّة ولا شرف فوق شرف الوارثة لتلك الرتبة. وقال ﷺ: « يستغفر للعالم ما في السموات والأرض » وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له.

الثاني: (وقال ﷺ « العلماء ورثة الأنبياء ») أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء قاله العراقي. وقال السخاوي في المقاصد: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وآخرون عن أبي الدرداء به مرفوعاً بزيادة: « إن العلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم » وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما، وحسنه حمزة الكناني وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها، ولذا قال شيخنا: له طرق يعرف بها أن للحديث أصلاً اهـ.

ثم قال السخاوي، ولفظ الترجمة عند الديلمي من حديث محمد بن مطرف، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب بزيادة « يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا » وكذا ورد لفظ الترجمة بلا سند عن أنس بزيادة « وإنما العالم من عمل بعلمه » اهـ.

قلت: وبمثل زيادة الديلمي عن البراء أورده ابن النجار في تاريخه عن أنس، وقال البدر الزركشي في اللآلئ المنثورة: هو بعض حديث أخرجه أصحاب السنن، وأحمد في مسنده، والطبراني في معجمه، وابن حبان في صحيحه اهـ.

وفي كتاب الضعفاء للدارقطني من حديث جابر بن عبدالله رفعه: أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء. قال فيه الضحاك بن ضمرة ولا يجوز الاحتجاج به. وقد رُوي العلماء ورثة الأنبياء بأسانيد صحيحة، رواه أبو عمر من حديث الوليد بن مسلم، عن خالد بن يزيد عن عثمان بن أيمن، عن أبي الدرداء اهـ.

وأخرج الخطيب في تاريخه من حديث نافع عن ابن عمر رفعه: حملة العلم في الدنيا خلف الأنبياء، وفي الآخرة من الشهداء. قال: حديث منكر لم نكتبه إلا بهذا السند وهو غير ثابت، وإنما سمي العلماء ورثة الأنبياء لقوله تعالى: ﴿أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ الآية [فاطر: ٣٢] اهـ.

قال الحافظ في الفتح أورده البخاري في صحيحه ولم يفصح بكونه حديثاً، فلهذا لا يعد في تعاليقه، لكن إيراده في الترجمة يشعر بأن له أصلاً وشاهده في القرآن قوله تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ الآية. وله شواهد يتقوى بها، ومثله للعيني وزاد للعلل التي ذكرناها، يعني ما نذكره في أول حديث فضل التعليم، وخالفهما الكرماني في شرحه فقال: أورده البخاري تعليقاً لأنه ليس على شرطه فتأمل. **(ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة)**.

وقال ﷺ: «إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك» وقد نبه بهذا على ثمراته في الدنيا، ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى. وقال

الثالث: (وقال ﷺ: «يستغفر للعالم ما في السموات والأرض» وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له). قال العراقي: هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم.

قلت: هذه الزيادة بمعناها أيضاً في حديث البراء بن عازب كما عند الديلمي، وأنس بن مالك كما عند ابن النجار، وقد سبق قريباً وسيأتي له بمعناها من حديث الترمذي، عن أبي امامة في الحديث الثاني عشر، وأخرج ابن عبد البر في العلم من طريق أنس، وأن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر. يعني أن العالم لما كان سبباً في حصول العلم الذي به نجاه النفوس من أنواع المهلكات، وكان سعيه مقصوراً على هذا وكانت نجاة العباد على يديه جوزي من جنس عمله وجعل من في السموات والأرض ساعياً في نجاته من أسباب الهلاك باستغفارهم، وقوله من في السموات والأرض عام في الحيوانات ناطقها وبهيمها طيرها وغيره.

الرابع: (وقال ﷺ: «إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك. وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا، ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى). قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية، وابن عبد البر في بيان العلم، وعبد الغني الأزدي في أدب المحدث من حديث أنس بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: أورده الجلال في ذيله، وعزاه فيه إلى أبي نعيم، وفي الصغير إليه، وإلى ابن عدي وكلاهما من طريق أنس بلفظ الحكمة تزيد الشريف شرفاً والباقي سواء. قال المناوي: هو من حديث عمر بن حمزة، عن صالح، عن الحسن، عن أنس. وقال أبو نعيم: غريب تفرّد به عن صالح، وقال العسكري: ليس هذا من المرفوع، بل من كلام الحسن وأنس اهـ.

وأخرج الدينوري في المجالسة قال: حدثنا عبد الرحمن بن فراس، حدثنا محمد بن الحرث المروزي، حدثنا العلاء بن عمرو الحنفي، حدثنا ابن أبي زائدة، عن أبي خلدة، عن أبي العالية قال: كنت آتي ابن عباس وقريش حوله فيأخذ بيدي فيجلسني معه على السرير فتغامزت فيّ قريش ففطن لهم ابن عباس فقال: هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً ويجلس المملوك على الأسرّة اهـ.

وهذا عطاء بن أبي رباح أحد الموالي لما دخل على هشام بن عبد الملك كان عليه قميص دنس وجبة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة على حمار اكافه خشب، فلما رآه قال: مرحباً مرحباً ههنا ههنا فرفعه حتى مست ركبته ركبته وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا. وقال ابراهيم الحربي: كان عطاء عبداً [أسوداً] كان أنفه باقلات قال، وجاء سليمان بن عبد الملك إليه هو وابناه فجلسوا اليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل عليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حول

ﷺ: «خصلتان لا يكونان في منافق: حسن سمت وفقه في الدين» ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان، فإنه ما أراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خيّر من الدنيا، وهذه المعرفة إذا صدقت

قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما فقاما فقال يا بني: لا تنيا في طلب العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود. وقال أبو العالية: كنت آتي ابن عباس وهو على سريره وحوله قريش، فيأخذ بيدي فيجلسني معه على السرير فتغامز فيّ قريش ففطن لهم ابن عباس فقال: كذا هذا العلم يزيد الشريف شرفاً ويجلس المملوك على الأسرة. وكان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عنقه داخل في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زجان فقالت أمه: يا بني لا تكون في مجلس إلا كنت المضحوك المسخور به، فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك فولي قضاء مكة عشرين سنة، وكان الخصم إذا جلس بين يديه يرعد حتى يقوم.

الخامس: (وقال ﷺ: خصلتان لا يكونان) وفي رواية لا يجتمعان **(في منافق حسن سمت)** قال ابن الأثير: أي حسن الهيئة والمنظر في الدين، وفي الفائق حسن السمت أخذ التهجد ولزوم المحجة، ثم قيل: لكل طريقة ينتحيها الانسان في تحري الخير والتزيي في زي الخير سمت **(وفقه في دين)** وفي بعض الروايات في الدين، وفي أخرى ولا فقه في الدين. قال السيوطي: حسن عطفه على ما قبله وهو مثبت لأنه في سياق النفي. قال التوربشتي: حقيقة الفقه في الدين ما وقع في القلب ثم ظهر على اللسان، فأفاد العلم وأورث التقوى والخشية، وأما ما يتدارسه المغرورون فإنه بمعزل عن ذلك وإليه أشار المصنف بقوله **(ولا تشكن في)** هذا **(الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان)** من علماء الدنيا، فإنهم يبطنون من الحب والميل للدنيا والرئاسة والجاه خلاف ما يظهرون من الزهد وشعار الورع، **(فإنه ما أراد الفقه الذي ظننته)** بل ما ذكرناه. قال ابن القيم: وهذه شهادة بأن من اجتمع فيه حسن السمت والفقه في الدين من أخص علامات الايمان، ولن يجمعها الله في منافق فإن النفاق ينافيها وينافيانه. وقال السيوطي: ليس المراد أن واحدة منها قد تحصل في المنافق دون الأخرى، بل هو تحريض للمؤمن على اتصافه بها معاً والاجتناب عن ضدها، فإن المنافق من يكون عارياً عنها وهذا من باب التغليظ اهـ.

قال العراقي: أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة، وقال: حديث غريب اهـ.

قلت: قال الترمذي: حدثنا أبو كريب، حدثنا خلف بن أيوب، عن عوف، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فذكره، ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عوف إلا من هذا الشيخ خلف بن أيوب العامري، ولم أر أحداً يروي عنه غير أبي كريب محمد بن العلاء، ولا أدري كيف هو اهـ. ولذلك قال غير واحد: إن إسناده ضعيف، وأخرجه ابن المبارك في الزهد من رواية محمد بن حمزة بن عبدالله بن سلام مرسلاً ولفظه لا يكونان كما في سياق المصنف. **(وسيأتي بيان معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن تكون الآخرة عنده خيراً من الدنيا، وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت تبرأ بها من النفاق والرياء)**.

وغلبت عليه برىء بها من النفاق والرياء. وقال ﷺ: «أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن أحتيج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه». وقال ﷺ: «الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم». وقال ﷺ: «أقرب الناس من درجة النبوّة أهل العلم والجهاد. أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد

السادس: (وقال ﷺ: الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم).
أخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور، عن أبي الدرداء بإسناد ضعيف قاله العراقي.

قلت: هو في كتاب القوت لأبي طالب، عن وهب بن منبه قال: وقد أسنده حمزة الخراساني، عن الثوري فرفعه إلى عبـيد الله، عن النبي ﷺ. قال: وقد رويناه أيضاً مسنداً اهـ.

وأورده الراغب في الذريعة من غير إسناد، وكذا عبدالرحمن بن عبد السلام الصفوري في كتابه نزهة المجالس عن وهب هكذا. إلا أنه ذكر بدل الجملة الثالثة «ورأس ماله الفقه». قلت: وحمزة الخراساني الذي روى عن الثوري إن كان هو حمزة بن بهرام، فقد قال الذهبي في ذيل الديوان أنه مجهول لا يعرف، ثم رأيت الشهاب الأبوصيري أورد في كتابه إتحاف المهرة عن مسدد في مسنده، حدثنا يحي عن سفيان، حدثنا عبد العزيز بن ربيع، سمعت وهب بن منبه يقول: «الإيمان عريان ولباسه التقوى».

السابع: (وقال ﷺ: «أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتيج إليه نفع وإن استغني عنه أغنى نفسه»). أخرجه البيهقي في شعب الإيمان موقوفاً على أبي الدرداء بإسناد ضعيف، ولـم أره مرفوعاً قاله العراقي. وفي القوت: إنما العالم عندهم الغني بعلمه لا بعلم غيره، وكان الفقيه فيهم هو الفقيه بفقه علم وقلبه لا يحدث سواه، كما جاء في الأثر: أي الناس أغنى؟ قال: العالم الغني بعلمه إن احتيج إليه نفع وإلا اكتفى عن الناس بعلمه، لأن كل عالم بعلم غيره فإنما صار عالماً بمجموعه فمجموعه هم العلماء، وكل فاضل بوصف سواه فموصوفه هم الفضلاء، فإذا تركهم وانفرد سكت، فلم يرجع إلى علم لنفسه يختص به، فصار في الحقيقة موصوفاً بالجهل واصفاً لطريق أهل الفضل موسوماً بعلم السمع والنقل ولا حال له ولا مقام اهـ. وفي معناه ما أخرجه الخطيب في تاريخه، عن عبدالله بن عمـر، أفضل المؤمنين إيماناً الذي إذا سئل أعطى وإذا لم يعط استغنى وسنده ضعيف أيضاً، وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية محمد بن قدامة قال: وسمعت سفيان بن عيينة يقول، قال لقمان: خير الناس الحي العي قيل العي من المـالقـال. الذي إذا احتيج اليه نفع وإذا استغنى عنه قنع. قيل: فمن شر الناس؟ قال: من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً.

الثامن: (وقال ﷺ: أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما

فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل ». وقال ﷺ : « لموت قبيلة أيسر من موت عالم ».

وقال عليه الصلاة والسلام: « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا »، وقال ﷺ : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء

جاءت به الرسل) . أخرجه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف قاله العراقي، وأورده صاحب القوت فقال: وقد روينا عن عبدالرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل رفعه فذكره. ويروى: أن أقرب الناس، ثم قال: ألا تراه كيف جعل العلم دالاً على الله تعالى كالجهاد؟ أخرجه ابن القيم هكذا، فجعله من قول إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة.

التاسع: (وقال ﷺ : لموت قبيلة أيسر من موت عالم) . أخرجه الطبراني، وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء، وأصل الحديث عند أبي داود قاله العراقي.

قلت: الذي رواه الطبراني عن أبي الدرداء ورفعه: موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد، وموت قبيلة أيسر من موت عالم وهو نجم طمس، أورده السخاوي في المقاصد وله شواهد. منها: ما أورده الزبير بن بكار في الوقفيات، عن محمد بن سلام الجمحي، عن علي بن أبي طالب من قوله: إذا مات العالم أثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة وهو معضل، وأخرج أبو بكر بن لال في فوائده من حديث جابر مرفوعاً: موت العالم ثلمة في الاسلام لا تسد ما اختلف الليل والنهار. وأخرج الديلي عن ابن عمر: ما قبض الله عالماً إلا كان ثغرة في الاسلام لا تسد، وللبيهقي من حديث معروف بن خربوذ عن أبي جعفر أنه قال: موت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابداً، وأخرج الحاكم من حديث عطاء، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ننقصها من أطرافها﴾ [الرعد: ٤١] قال بموت علمائها وفقهائها اهـ.

قلت: وأخرج أبو يعلي في مسنده من طريق عثمان بن أعين، عن أبي الدرداء بمثل ما قدمناه عن الطبراني وفيه زيادة، ولكن في الإسناد رجل لم يسم.

العاشر: (وقال عليه الصلاة والسلام: الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) متفق عليه من حديث أبي هريرة قاله العراقي.

قلت زاد مسلم: « والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ». وأخرجه العسكري من حديث قيس بن الربيع، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رفعه: « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ». قال السخاوي في المقاصد: ولأبي هريرة في المرفوع حديث آخر لفظه « الناس معادن في الخير والشر خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا » أخرجه الطيالسي، وابن منيع، والحرث بن أبي أسامة، وغيرهم كالبيهقي من حديث ابن عون، عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة وأصله في الصحيح، وللديلمي عن ابن عباس مرفوعاً « الناس معادن والعرق دساس » اهـ.

بدم الشهداء »، وقال ﷺ: « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنّة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة ». وقال ﷺ: « من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيهاً عالماً ».

وأخرجه البيهقي أيضاً عن ابن عباس وفيه: وأدب السوء كعرق السوء، وفقهوا بكسر **القاف وبضمها يقال**: فقه كعلم زنة ومعنى وككرم صار فقيهاً، وسيأتي الزيادة لبيانه في أوّل الباب السادس.

الحادي عشر: (وقال ﷺ يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء) أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف قاله العراقي.

قلت: وأخرجه الشيرازي في الألقاب من طريق أنس بزيادة فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء، وأخرجه الذهبي في فضل العلم عن عمران بن حصين، وابن الجوزي في العلل عن النعمان ابن بشير، والديلمي عن ابن عمر. قال ابن الجوزي حديث لا يصح، وهرون بن عنتر أحد رجاله. قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به يروي المناكير، ويعقوب القمي ضعيف، وفي الميزان متنه موضوع. وهذا الحديث مما احتج به على فضل العالم على الشهيد. وقال ابن الزملكاني: والإنصاف أن ما ورد للشهيد من الخصائص وصح فيه من رفع العذاب وغفران النقائص لم يرد مثله للعالم لمجرد علمه، ولا يمكن أحداً أن يقطع به في حكمه، وقد يكون لمن هو أعلى درجة ما هو أفضل من ذلك، وينبغي أن يتعين حال العالم وثمرة علمه وما زاد عليه، وحال الشهيد وثمرة شهادته وما أحدث عليه فيقع التفضيل بحسب الأعمال والفوائد، فكم من شاهد أو عالم هوّن أهوالاً وفرج شدائد ، وعلى هذا فيتجه أن الشهيد الواحد أفضل من جماعة من العلماء، والعالم الواحد أفضل من كثير من الشهداء كل بحسب حاله. وما ترتب على علومه وأعماله. وسيأتي الكلام على هذا الحديث قريباً.

الثاني عشر: (وقال عليه الصلاة والسلام: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة). أخرجه ابن عبد البر في العلم من حديث ابن عمر وضعفه قاله العراقي.

قلت: وأخرج ابن النجار في تاريخه، عن أبي سعيد الخدري: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من سنتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي وهو شاهد قوي لحديث ابن عمر، إلا أن إسناده ضعيف كذلك، والمراد بالحفظ النقل إليهم بطريق التخريج والإسناد صحاحاً كن أو حساناً قيل أو ضعافاً يعمل بها في فضائل الأعمال، وخص الأربعين لأنها أقل عدد له ربع عشر صحيح وحفظ الحديث مطلقاً فرض كفاية نقله المناوي، وأخرج ابن عدي في الكامل، عن ابن عباس، من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة، وهو أيضاً شاهد لما في الباب وسنده ضعيف كذلك.

....

الثالث عشر: (وقال عليه السلام: من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة فقيهاً عالماً). أخرجه ابن عبد البر من رواية بقية، عن المعلّى، عن السدي، عن أنس وضعفه قاله العراقي.

قلت: وأخرجه ابن عدي في الكامل من هذا الطريق أيضاً. وقال السخاوي في المقاصد: أخرج أبو نعيم في الحلية، عن ابن مسعود، وابن عباس: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعث يوم القيامة فقيهاً. قال: وفي الباب عن أنس ومعاذ وأبي هريرة وآخرين أخرجها ابن الجوزي في العلل المتناهية. قال النووي طرقه كلها ضعيفة وليس بثابت، وكذا قال شيخنا جمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة. قال البيهقي في الشعب عقيب حديث أبي الدرداء منها هذا متن مشهور بين الناس وليس له إسناد صحيح اهـ.

وقرأت في كتاب الأربعين البلدانية للحافظ أبي طاهر السلفي ما نصه: فإن نفراً من العلماء لما رأوا ورووا قول أطهر منسل وأظهر مرسل من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً من طرق وثقوا بها وعولوا عليها وعرفوا صحتها وركنوا إليها، حتى خرج كل منهم لنفسه أربعين حديثاً، حتى قال إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي: اجتمع عندي من الأربعينيات ما ينيف على السبعين، وقد استفتيت شيخنا الإمام أبا الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا ببغداد سنة خمس وتسعين وأربعمائة أو قبلها أو بعدها بقليل لكلام جرى بين الفقهاء في المدرسة النظامية التي هو مدّرسها اقتضى الاستفتاء ويجد المستفتي فيه الشفاء: ما يقول الإمام وفقه الله تعالى في رجل وصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء، هل يدخل كتبة الحديث في هذه الوصية أم لا؟ فكتب بخطه تحت السؤال نعم كيف لا، وقد قال النبي ﷺ: « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً » الحديث.

فقد أخبرنا أبو عبدالله الثقفي، ثم ساق سنده من طريق أبي بكر الآجري؛ حدثنا محمد بن مخلد العطار، حدثنا أبو محمد جعفر بن محمد الخندقي وكان له حفظ، حدثنا محمد بن إبراهيم السائح، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء ». ثم ساق حديثاً آخر من طريق ابن أبي الدنيا، حدثنا الفضل بن غانم، حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله فقيهاً وكنت له يوم القيامة شافعاً وشهيداً » قال: هذا ما رواه معاذ وأبو الدرداء.

وقد رواه أبو هريرة بلفظ هو أرجى للراوي من هذا اللفظ، وللحصول على الأجر قبل الحفظ، ثم ساقه من طريق أبي صالح، حدثنا إسحاق بن نجيح، حدثنا عطاء، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « من روى عني أربعين حديثاً جاء في زمرة العلماء يوم القيامة » قال: ومن

....

أحسن ما يذكر هنا وأغربه ما كتب إلي أبو الفتيان الدهستاني الحافظ من خراسان، ثم ساقه من طريق محمد بن أيوب الهنائي، حدثنا حميد بن أبي حميد، عن عبدالرحمن بن دلهم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ على أمتي حديثاً واحداً كان له أجر أحد وسبعين نبياً صديقاً». قال أبو الفتيان كتب عندي هذا الحديث الحافظ أبو بكر البغدادي الخطيب بصور، وقد روى هذا الحديث غير النسائي، عن حميد فقال: أجر اثنين وسبعين، ثم ساقه من طريق محمد ابن موسى، حدثنا حميد ولفظه: من حفظ على أمتي حديثاً واحداً من أمر دينهم أعطاه الله عز وجل أجر اثنين وسبعين صديقاً، ثم ساق من طريق الثوري، عن ليث، عن طاوس، عن ابن عباس رفعه: من أدى إلى أمتي حديثاً واحداً يقيم به سنّة ويرد به بدعة فله الجنة انتهى كلام السلفي.

وهذا الحديث الأخير قد أخرجه أبو نعيم في الحلية، وفي سنده كذاب، وقرأت في آخر كتاب الأربعين المتباينة الاسناد للحافظ ابن حجر، وقد ذكر كلام السلفي من أوّله، وساق الحديث من طريق أبي الدرداء الذي ذكرناه، وقال: هذا حديث مشهور له طرق كثيرة وهو غريب من هذا الوجه تفرّد به عبد الملك بن هارون. أخرجه ابن حبان في كتاب الضعفاء له من طريق عبد الملك هذا، واتهمه به وقال: لا يحل كتب حديثه إلا للاعتبار وضعفه غيره، وباقي رجاله ثقات، ولم يخرج هذا المتن أحد من الأئمة في الأمهات المشهورة لا المخرجة على الأبواب، ولا المرتبة على المسانيد إلا ان أبا يعلى رواه في مسنده عن عمرو بن الحصين العقيلي، عن محمد بن عبدالله بن علاثة، عن خصيف عن مجاهد، عن أبي هريرة. وخصيف وابن علاثة صدوقان ليس فيهما مقال والآفة فيه من عمرو بن الحصين، فقد كذبه أحمد وابن معين وغيرهما. ورواه الحسن ابن سفيان في أربعيه، عن علي بن حجر، عن إسحاق بن نجيح، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس به. ورجاله ثقات إلا إسحاق فقد اتهمه بالوضع ابن معين وابن أبي شيبة والفلاس وغيرهم، ولكن تابعه عليه عن ابن جريج جماعة منهم حميد بن مدرك، وخالد بن يزيد العمري، وأبو البحتري وهب بن وهب القاضي. وروي عن بقية بن الوليد ومعمر أيضاً. فأما رواية حميد بن مدرك فاخرجها الحافظ أبو بكر بن الجوزي في أربعيه وحميد مجهول، وأما رواية خالد بن يزيد فرواها ابن عدي في الكامل في ترجمته وضعفه واتهمه جماعة، وأما رواية أبي البحتري فرواها ابن عدي أيضاً في الكامل في ترجمته بابدال ابن عباس بأبي هريرة، وأبو البحتري أجمعوا على تكذيبه، وأما رواية بقية بن الوليد فرواها مظفر بن الياس السعدي في أربعيه من طريقه وبقية صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء، فإن كان محفوظاً عنه فكأنه سمعه من إنسان ضعيف عن ابن جريج فاسقط الضعيف ودلسه، وأما رواية معمر فرويناها في الأربعين للإمام أبي المعالي إسماعيل بن الحسن الحسيني قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد الغزي المعروف بابن بشت، عن عبد المؤمن بن خلف النسفي الحافظ، عن إسحاق بن ابراهيم، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن جريج وابن بشت تكلموا في صحة سماعه عن عبد المؤمن بن خلف. وذكر

....

الحافظ أبو صالح المؤذن إنه سقط اسم شيخه الذي حدثه عن عبد المؤمن بن خلف على كاتب الطبقة.

قلت: الذي عندي في هذا أنه دخل عليه إسناد في إسناد وإلاَّ فمعمر غير معروف بالرواية عن ابن جريج، وعبد الرزاق معروف بالرواية عنهما جميعاً، وللحديث طرق غيره هذه.

منها: ما أخرجه الجوزي من طريق زيد بن الحريش، عن عبدالله بن خراش، عن عمه العوّام بن حوشب، عن إبراهيم التيمي، عن أنس بن مالك به. وعبدالله بن خراش وزيد بن الحريش ذكرهما ابن حبان في كتاب الثقات وقال في كل منهما ربما أخطأ.

قلت: أخطأ ابن حبان في توثيق عبد الله بن خراش، فقد اتفق الأئمة على تضعيفه واتهمه بعضهم.

ومنها: ما رواه أبو ذر الهروي في كتاب الجامع له، عن شافع بن محمد بن أبي عوانة، عن يعقوب بن إسحاق العسقلاني، عن حميد بن زنجويه، عن يحي بن عبيدالله بن بكير، عن مالك، عن نافع عن ابن عمر. قال ابن عبد البر: من روى هذا عن مالك فقد أخطأ عليه وأضاف ما ليس من روايته إليه. **قلت:** ليس في رواته من ينظر في حاله إلا يعقوب بن إسحاق فقد ذكر مسلمة عن القاسم أنه لقيه والناس يختلفون فيه، فبعضهم يوثقه، وبعضهم يضعفه، والظاهر أنه دخل عليه حديث في حديث.

ومنها: ما أخرجه الحافظ أبو بكر الآجري في كتاب الأربعين له، عن محمد بن مخلد، عن جعفر بن محمد الخندقي، عن محمد بن إبراهيم السائح، عن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن أبيه، عن عطاء، عن ابن عباس، عن معاذ بن جبل، وليس في رواته من ينظر في حاله إلا السائح فإنه غير معروف، وعندي أن هذه الطريق أجود طرق هذا المتن مع ضعفها.

وروي أيضاً من طرق ضعيفة عن علي بن أبي طالب، وسلمان، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخدري، وأبي أمامة الباهلي، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبدالله، وثويرة. ولا يصح منها شيء. قال أبو علي سعيد بن السكن الحافظ: ليس يروى هذا الحديث عن النبي ﷺ من طريق يثبت. وقال الدارقطني: لا يثبت من طرقه شيء. وقال البيهقي: أسانيده كلها ضعيفة. وقال ابن عساكر أسانيده كلها فيها مقال ليس للصحيح فيها مجال. وقال عبد القادر الرهاوي: طرقه كلها ضعاف إذ لا يخلو طريق منها أن يكون فيها مجهول التصرف أو معروف مضعف. وقال الحافظان رشيد الله بن العطار وزكي الدين المنذري نحو ذلك، فاتفاق هؤلاء الائمة على تضعيفه أولى من إشارة السلفي إلى صحته. قال المنذري لعل السلفي كان يرى أن مطلق الأحاديث الضعيفة إذا انضم بعضها إلى بعض أجدى قوة.

قلت: لكن تلك القوة لا تخرج هذا الحديث من رتبة الضعف، فالضعف يتفاوت، فإذا

وقال ﷺ: « مَن تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب ».

كثرت طرق حديث رجحت على حديث فرد فيكون الضعيف الذي ضعفه ناشيء عن سوء حفظ رواته إذا كثرت رواته ارتقى الى مرتبة الحسن، والذي ضعفه ناشيء عن تهمة أو جهالة إذا كثرت طرقه ارتقى عن مرتبة المردود، والمنكر الذي لا يجوز العمل به بحال إلى رتبة الضعيف الذي يجوز العمل به في فضائل الأعمال، وعلى ذلك يحمل ما قاله الإمام النووي في خطبة كتاب الأربعين له. وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال وقال: بعد أن ذكر هذا الحديث اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وان كثرت طرقه اهـ سياق الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وقوله.

قلت: الذي عندي في هذا أنه دخل عليه إسناد في إسناد وإلاَّ فمعمر غير معروف بالرواية الخ وهو كما قال، فقد أخرجه على الصواب أبو إسماعيل الهروي الأنصاري من طريق علي بن الحسين، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أبي غالب عن أبي أمامة كما ستأتي الإشارة إليه، وقوله: إلا السائح فإنه غير معروف.

قلت: فقد ذكره ابن قطلوبغا في أمالي المسانيد فقال فيه. قال ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة. وقال الدارقطني: كذاب. وقال أبو نعيم: روى موضوعات، وقوله: وروى أيضاً من طرق ضعيفة عن علي بن أبي طالب الخ.

قلت: أما حديث علي فقد أخرجه الإمام أبو سعد إسماعيل بن أبي صالح الحافظ، والإمام أبو بكر البيهقي بسندهما إلى أبي القاسم عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي، حدثنا أبي، حدثنا علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً ». قال البيهقي: هذا الإسناد من علي بن موسى الخ كالشمس غير أن هذا الطائي لم يثبت عند أهل العلم بالحديث في عدالته ما يوجب قبول خبره، وقد يكون ثقة على حسن الظن والله أعلم.

قلت: وقد رأيت في تاريخ ابن النجار في ترجمة علي بن موسى ذكر أحمد بن عامر ابن سليمان الطائي في جملة الرواة عنه، وساق من طريق ولده أبي القاسم عبدالله بن أحمد عن أبيه هذا قصة، وقد روى عن أبي القاسم هارون الضبي.

وأما حديث أبي أمامة فقد أخرجه أبو إسماعيل الهروي من طريق عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أبي غالب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً فيما ينوبهم وينفعهم في أمر دينهم حشره الله في يوم القيامة فقيهاً ».

الرابع عشر: (وقال عليه الصلاة والسلام: من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب)، أخرجه الخطيب في التاريخ من حديث عبدالله

....

ابن جزء الزبيدي بإسناد ضعيف قاله العراقي. وقال الحافظ ابن حجر: وفي مسند أبي حنيفة عن أبي حنيفة عن عبدالله بن جزء ولا يصح اهـ.

قلت: أخرجه ابن خسرو في مسنده من طرق. الاولى: فيها مكرم بن أحمد، عن محمد بن سماعة، عن بشر بن الوليد، عن أبي يوسف، عن أبي حنيفة. والثانية: فيها أحمد بن محمد بن الصلت، عن محمد بن أبي شجاع، عن أبي يوسف. والثالثة: فيها أحمد بن محمد الحماني، عن محمد ابن سماعة، وأخرجه ابن المقري في مسنده، وابن عبد البر في العلم من رواية أبي علي عبيدالله بن جعفر الرازي، عن أبيه عن محمد بن سماعة، عن أبي يوسف، وأخرجه الحاكم في تاريخه من طريق إسماعيل بن محمد الضرير، عن أحمد بن الصلت، ثم اتفقوا على أبي يوسف قال: سمعت أبا حنيفة يقول: حججت مع أبي سنة ست وتسعين ولي ستة عشر سنة، فلما دخلت المسجد الحرام رأيت حلقة عظيمة فقلت لأبي: حلقة من هذه؟ قال: حلقة عبدالله بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ فتقدمت فسمعته يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تفقه» الحديث. قال ابن قطلوبغا في أماليه: هكذا رأيت الطريق الأولى عند كل هؤلاء المصنفين، وعندي هو أنه مكرم عن أحمد بن محمد عن ابن سماعة، وأحمد بن محمد هذا هو ابن الصلت ويعرف أيضاً بالحماني وبابن المغلس كذاب. وقال ابن عدي: ما رأيت في الكذابين أقل حياء منه. وقال ابن حبان، والدارقطني: كان يضع الحديث، ثم قال: وأما المسند الذي ساقه ابن المقري هكذا رأيته في أصل شيخنا من مسنده، وبين جعفر ومحمد بن سماعة أحمد بن الصلت جاء مصرحاً في رواية الخطيب، ثم نقل عن الذهبي في الميزان، هذا كذاب، فابن جزء مات بمصر ولأبي حنيفة ست سنين. وقال الحافظ ابن حجر في اللسان: وقد وقع لنا هذا الحديث من وجه آخر، ثم ساق سنده قال: وهو باطل أيضاً، وأورده ابن الجوزي في الواهيات، وابن النجار في تاريخه، والسيوطي في موضوعاته. ونقل الكلام في ابن الصلت الذي قدمناه. قال ابن قطلوبغا: وفي مناقب أبي حنيفة للجعابي أن ابن جزء مات سنة ثمان وتسعين على خلاف ما ذكره ابن يونس. قال: وأخرج أبو العباس المرهبي في فضل العلم من حديث زياد الصدائي رفعه: من طلب العلم تكفل الله برزقه.

قلت: رويناه في الجزء الثاني من معجم أبي علي الحداد من طريق يونس بن عطاء، عن سفيان الثوري، عن أبيه، عن زياد الصدائي، وقال ابن خسرو بعد ذكر الحديث المتقدم، وأنشد أبو حنيفة من قوله:

من طلب العلم للمعاد فاز بفضل من الرشاد
وبالخسران من أتاه لنيل فضل من العبادِ

قلت: وأخرج البيهقي في الشعب، عن ابن مسعود رفعه: من جعل الهم هماً واحداً هم آخرته كفاه الله عز وجل ما همه من أمر دنياه، وأخرجه الرافعي من طريق أبي يوسف، عن أبي حنيفة. نبه عليه السيوطي في الجامع الكبير، وهو عادل شاهد لحديث ابن جزء والله أعلم.

وقال ﷺ : « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم ». وقال ﷺ : « العالم أمين الله سبحانه في الأرض »، وقال ﷺ : « صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس إذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء »، وقال عليه

الخامس عشر: (وقال ﷺ : أوحى الله عز وجل إلى نبيه إبراهيم يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم) ذكره ابن عبد البر تعليقاً، ولم أظفر له بإسناد قاله العراقي.

قلت: العالم والعليم في وصفه تعالى هو الذي لا يخفى عليه شيء، إلا أن في العليم مبالغة، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [يوسف: ٧٦] إذ فسر بعضهم أن المراد بالعليم هنا هو الله تعالى، وإن كان لفظه منكراً إذ الموصوف بالعليم في الحقيقة هو الله تعالى، وهناك في الآية وجه آخر ذكره الراغب والسمين.

السادس عشر: (وقال عليه الصلاة والسلام: العالم أمين الله سبحانه في الأرض). أخرجه ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف قاله العراقي.

قلت: رواه من رواية عيسى بن إبراهيم الهاشمي، حدثنا الحكم بن عبدالله، حدثنا عبادة بن نسي، عن عبدالرحمن بن علم، عن معاذ مرفوعاً. وعيسى بن إبراهيم منكر الحديث. قاله البخاري والنسائي، وأورده الجلال في جامعه هكذا، والفارقي في شرح عين العلم أيضاً. ومن شواهده ما أخرجه القضاعي، وابن عساكر، عن أنس: العلماء أمناء الله على خلقه، وأخرج الحسن بن سفيان، والعقيلي عن أنس أيضاً: العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا، وأخرج الديلمي في مسند الفردوس، عن عثمان بن عفان: العلماء أمناء أمتي، وأخرج العسكري، عن علي: الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا ويتبعوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم، والأمين في اللغة هو الثقة المرضى عند الله والناس.

السابع عشر: (وقال عليه الصلاة والسلام: صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء) أخرجه ابن عبد البر، وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف قاله العراقي.

قلت: روياه من رواية محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس، ولفظ أبي نعيم في الحلية: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمراء، وأخرجه الديلمي أيضاً في الفردوس، عن ابن عباس بهذا اللفظ، ومحمد بن زياد هذا كذبه الإمام أحمد والفلاس وفي هذا المعنى قال ابن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك   وأحبار سوء ورهبانها

الثامن عشر: (وقال عليه الصلاة والسلام: إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني

السلام: « **إذا أتي عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم** ».

وقال ﷺ في تفضيل العلم على العبادة والشهادة: « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ». فانظر كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوّة، وكيف

إلى الله عز وجل فلا بورك لي في ذلك اليوم) . أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، وابن عبد البر في العلم من رواية الحكم بن عبدالله، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة بسند ضعيف قاله العراقي.

قلت: وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل من هذا الوجه، ولكن لفظهم كلهم: **فلا بـورك لي** في طلوع شمس ذلك اليوم كذا نص الجلال في جامعه، وقال العراقي: الحكم بن عبدالله الديلي متروك كذاب، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وحكي عن الصوري قال: هذا حديث منكر لا أصل له عن الزهري، ولا يصح عن رسول الله ﷺ، ولا أعلم أحداً حدث به غير الحكم اهـ.

قال المناوي: وهو معلول من طرقه كلها، بل فيه موضوع قال وقوله: علماً أي طائفة من العلم والتنكير للتفخيم، وقوله: فلا بورك الخ دعاء أو خبر، وذلك لأنه كان دائم الترقي في كل لمحة، فالعلم كالعدالة ومقصوده تبعيد نفسه من ذلك، وبيان أن عدم الازدياد ما وقع قط ولا يقع أبداً لما ذكر. قال بعض العارفين: وأراد بالعلم هنا علم التوحيد لا الأحكام فإن الأحكام زيادة تكاليف على الأمة، وقد بعث ﷺ رحمة للعالمين، وقال بعضهم: أراد بذلك أن العارف دائم التطلع إلى مواهب الحق فلا يقنع بما هو فيه، وقد يكون دائم الطلب قارعاً باب النفحات راجياً حصول المزيد ومواهبه تعالى لا تحصى ولا نهاية لها، وهي متعلقة بكلماته التي ينفد البحر دون نفادها وتنفد الرمال دون اعدادها اهـ.

قلـت: ويشهد لهذا الحديث ما أخرجه الديلمي في الفردوس عن علي مرفوعاً بسند ضعيف: من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شراً فهو ملعون، ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان.

التاسع عشر: (وقال عليه الصلاة والسلام: فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي) . أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن صحيح قاله العراقي.

قلـت الذي عزاه الجلال في جامعه للترمذي لفظه: كفضلي على أدناكم، ومثله للدارمي، لكن عزاه كالترمذي أيضاً لأبي الدرداء، وعند الجلال في رواية الترمذي في الأوّل زيادة ان الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والارضين حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلوّن على معلم الناس الخير، ومن شواهده ما أخرجه الحرث بن أبي أسامة، عن أبي سعيد الخدري: « فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي وهكذا أخرجه ابن عبد البر أيضاً وفيه زيد العمى مختلف فيه، ورواه

....

أبو طاهر السلفي من رواية مسلمة بن رجاء ، حدثنا جميل الدمشقي ، عن القاسم ، عن أبي هريرة لفظه : كفضلي عليكم . والمعروف رواية سلمة ، عن رجاء ، عن الوليد ، عن جميل ، عن القاسم ، عن أبي أمامة كما عند الترمذي ، وأخرج الخطيب في تاريخه ، عن أنس : فضل العالم على غيره كفضل النبي على أمته ، وأخرج البزار في مسنده والطبراني في الأوسط ، عن حذيفة بن اليمان بإسناد حسن ، والحاكم عن سعد بن أبي وقاص : « فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة وخير دينكم الورع » رواه الترمذي في العلل عن حذيفة ، ثم ذكر انه سأل عنه البخاري فلم يجده محفوظاً ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال : لا يصح . قال المناوي : في تفسير الحديث الذي صدره الشيخ ما نصه : أي نسبة شرف العالم إلى نسبة شرف العابد كنسبة شرف الرسول إلى أدنى شرف الصحابة ، فإن المخاطبين بقوله : أدناكم الصحب وقد شبهوا بالنجوم في حديث آخر ، وهذا التشبيه ينبه على أنه لا بد للعالم من العبادة ، وللعابد من العلم ، لان تشبيهها بالمصطفى وبالعلم يستدعي المشاركة فيما فضلوا به من العلم والعمل ، كيف لا ، والعلم مقدمة للعمل وصحة العمل متوقفة عليه ذكره الطيبي . وقال الذهبي : إنما كان العلم أفضل لأن العالم إذا لم يكن عابداً فعلمه وبال عليه ، وأما العابد بغير فقه فمع نقصه هو أفضل بكثير من فقيه بلا تعبد كفقيه همته في الشغل بالرئاسة اهـ . ولتفضيل العلم على العبادة بحيث سيأتي في كلام المصنف ونشرحه هناك ، وقال السيوطي عن ابن الزملكاني في كتابه (**تحقيق الأولى في أهل الرفيق الأعلى**) اعلم أن التفضيل تارة يكون بين الصفتين وتارة يكون بين المتصفين ، ثم التفضيل بين المتصفين قد يراد به الأكثر منهما ثواباً وقد يراد به الاقرب إلى الله تعالى ، وفي كلام كثير من العلماء الإشارة إلى أن الفضيلة تكون بكثرة الثواب ، وهذا يحتاج إلى تفصيل ، لأنه ان أريد بكثرة الثواب ما يعطيه الله للعبد في الآخرة من درجات الجنة ولذاتها ونعيمها الجسماني ، فللمنع في ذلك مجال وإن أريد به مقامات القرب ولذة المشاهدة والمعارف الإلهية التي تحصل عند كشف الغطاء ، فهو من القول الآخر والأقرب أن يقال أن الثوابين متلازمان ، فمن كان أرفع في أحدهما فهو أرفع في الآخر ، وفي ذلك نظر للمتأمل ، ثم قال : والإنصاف أن المفاضلة تارة تكون بكثرة الثواب ، وتارة بحسب مقاماتها ، وتارة بحسب الوصفين بالنظر إليهما ، وتارة بحسب ثمرتها ، وقد تكون بأمر عرضي ، وأما المفاضلة بين الذاتين فقد تكون لأمر يرجع إلى الجنسين ، وقد تكون لأمر يرجع إلى التفضيل بالأوصاف ، ثم قال : واعلم أن فضيلة العمل على العمل ، أو الوصف على الوصف ، أو الشخص على الشخص من الأمور الدقيقة التي لا يسع الإنسان الكلام فيها من قبل نفسه ، ولا ينبغي لأحد أن يحكم بتفضيل شخص على شخص ، ولا نوع على نوع إلا بتوقيف ممن له التفضيل ، أو بدليل يستدل به من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، أو اجماع الأمة ، ثم قال : والدرجات تتفاوت تارة بحسب تفاوت الأعمال ، وتارة بحسب رتب الأعمال ، وتارة بحسب خصوصية عمل خاص ووقت خاص ، فإذا حاولنا الكلام في تفضيل مرتبة على مرتبة ، أو عمل على عمل ، فلا بدّ من ملاحظة ذلك فيما لم يكن فيه نص بتفضيل ، فيحتاج إلى الاجتهاد في جهات الترجيح ، وأما ما ورد النص

حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة؟ وقال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» وقال ﷺ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم

بكونه أفضل من شيء آخر من غير معارض، فلا معدل على المنصوص عليه، ولا حاكم سوى شريعة الله المأخوذة عن رسول الله ﷺ اهـ وهو نفيس فاعرفه. **(فانظر كيف جعل العلم مقاروناً لدرجة النبوّة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم، وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة).**

العشرون: (وقال عليه الصلاة والسلام: فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب). أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم قاله العراقي، وقال السخاوي في المقاصد: روي عن أبي الدرداء مرفوعاً عند أصحاب السنن الأربعة، وعن عبدالله بن عمر. وفي الترغيب للاصبهاني بهذا اللفظ، وعن عبدالرحمن بن عوف نحوه أخرجه أبو يعلى اهـ.

قلت: وفي مسند أبي يعلى أيضاً من رواية عثمان بن أعين، عن أبي الدرداء ولفظه: «للعالم من الفضل على العابد وفيه على أصغر كوكب في السماء». وأخرجه أبو نعيم في الحلية، عن معاذ كذا في الجامع للجلال، وهو من رواية عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن معاذ، وكذا أحمد في مسنده، والدارمي، وفيه زيادة «وإن العلماء ورثة الأنبياء» وبه تعلم قصور الجلال حيث اقتصر على عزوه لأبي نعيم فقط. قال البيضاوي: العبادة كمال ونور ملازم ذات العابد لا يتخطاه، فشابه نور الكواكب والعلم كمال يوجب للعالم في نفسه شرفاً وفضلاً ويتعدى منه إلى غيره فيستضيء بنوره ويكمل بواسطته، لكنه كمال ليس للعالم في ذاته، بل نور يتلقاه من المصطفى ﷺ، فلذلك شبه بالقمر. قال الطيبي: ولا تظنن أن العالم المفضل عار عن العمل، ولا العابد عن العلم، بل ان علم ذلك غالب على عمله، وعمل هذا غالب على علمه، ولذلك جعل العلماء ورثة الأنبياء الذين فازوا بالحسنيين العلم والعَمل، وحازوا الفضيلتين الكمال والتكميل، وإذا عرفت ذلك ظهر لك سر قول المصنف فيما قبل، وقال ابن الملقن فيه: إن نور العلم يزيد على نور العبادة كما مثله بالقمر بالنسبة لسائر الكواكب اهـ. ثم إن المراد في هذه الاخبار بالعالم من صرف نفسه للتعليم والإرشاد والتصنيف، وبالعابد من انقطع للعبادة تاركاً ذلك وان كان عالماً فتأمل.

الحادي والعشرون: (وقال ﷺ: يشفع يوم القيامة ثلاثة. الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء) أخرجه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان بإسناد ضعيف قاله العراقي.

قلت: أخرجه من طريق عنبسة بن عبدالرحمن القرشي، عن علاق بن أبي مسلم، عن أبان، عن عثمان وقد رمز لحسنه وهو عليه رد، فقد أعله ابن عدي والعقيلي بعنبسة، ونقلا عن البخاري انهم تركوه، ومن ثم جزم العراقي بضعف الخبر قاله المناوي.

الشهداء » فأعظم بمرتبة هي تلو النبوّة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة. وقال ﷺ : « ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه ».

قلت: عنبسة هذا هو ابن عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص الأموي روى عنه إسحاق بن أبي إسرائيل، وعبد الواحد بن غياث وجمع، وهو من رجال الترمذي والنسائي وابن ماجه، قال الذهبي في الديوان: متروك متهم، وعلاق ضعفه الازدي ولم يرو عنه غير عنبسة، وبه تعلم أن قول العزيزي شارح الجامع انه حسن محل تأمل، وأورده صاحب القوت من غير عزو وليس فيه لفظ ثلاثة، ثم قال بعد ذلك: فقدم العلماء على الشهداء لأن العالم إمام أمة فله مثل أجور أمته والشهيد عمله لنفسه اهـ.

قال القرطبي: فأعظم منزلة هي بين النبوّة والشهادة بشهادة المصطفى ﷺ، ولما كان العلماء يحسنون إلى الناس بعلمهم الذي أفنوا فيه نفائس أوقاتهم أكرمهم الله تعالى بولاية مقام الإحسان إليهم في الآخرة بالشفاعة فيهم جزاء وفاقاً، وقد أخذ بقضية هذا الخبر جمع، فصرحوا بأن العلم أفضل من القتل في سبيل الله، لأن المجاهد وكل عامل إنما يتلقى عمله من العالم فهو أصله وأسه، وعكس آخرون، وقد رويت أحاديث من الجانبين وفيها ما يدل للفريقين. وقال ابن الزملكاني: وعندي أنه يجب التفصيل في التفضيل، وإن حمل على بعض الأحوال أو بعض الأشخاص كل بدليل (**فأعظم بمرتبة هي تتلو النبوّة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة**).

الثاني والعشرون: (وقال ﷺ ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه). أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو بكر الآجري في فضل العلم، وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، وعند الترمذي، وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف. « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » قاله العراقي.

قلت: كل جملة من الثلاثة حديث مستقل.

أما الأولى: منها فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان من رواية عيسى بن زياد الدورقي، حدثنا مسلمة بن ثقب، عن نافع، عن ابن عمر رفعه « ما عبدالله بشيء أفضل من فقه في دين » وقال تفرد به عيسى بن زياد بهذا الإسناد. قال، وروي من وجه آخر ضعيف، والمحفوظ هذا اللفظ من قول الزهري، وفي بعض رواياته: ما عبد الله بأفضل، وأما قول الزهري فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية هشام بن يوسف، حدثنا معمر، عن الزهري قال: « ما عبد الله بشيء أفضل من العلم ».

وأما الثانية: فقد أخرجه الترمذي، وابن ماجه، عن ابن عباس كما قاله العراقي، ولفظ ابن

....

ماجه: فقيه واحد من غير لام. ولفظ الترمذي: فقيه أشد من غير ذكر واحد، أما الترمذي فأخرجه في كتاب العلم، وابن ماجه في كتاب السنة من سننها، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. أي: من رواية الوليد بن مسلم، عن روح بن جناح، عن مجاهد، عن ابن عباس. وأورده ابن الجوزي في العلل وقال: لا يصح والمتهم به روح بن جناح. قال أبو حاتم: يروي عن الثقات ما لم يسمعه من ليس متبحراً في صناعة الحديث شهد له بالوضع اهـ.

وأورد الحديثين معاً جماعة وهم الثلاثة الذين ذكرهم العراقي آنفاً، والبيهقي في الشعب، والدارقطني في السنن، والقضاعي في مسند الشهاب، وأحمد بن منيع في مسنده كلهم من حديث يزيد بن عياض، عن صفوان بن سليم، عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة مرفوعاً. ويزيد بن عياض قال فيه النسائي: متروك، وقال ابن معين: لا يكتب حديثه، وقال الشيخان: منكر الحديث وقال مالك: هو أكذب من ابن سمعان، وقال العدني في مسنده: حدثنا يوسف بن خالد البصري، عن مسلم بن قضب، عن نافع عن ابن عمر رفعه: «ما عبد الله بشيء أفضل من تفقه في دين» وفي المقاصد قال الطبراني: لم يروه عن صفوان إلا يزيد وسنده ضعيف، وللعسكري من حديث الوليد بن مسلم، حدثنا راشد بن جناح، عن مجاهد، عن ابن عباس رفعه «الفقيه الواحد أشد على إبليس من ألف عابد» ورواه الترمذي وقال: غريب، وابن ماجه والبيهقي ثلاثتهم من جهة الوليد بن مسلم، فقال عن روح بن جناح بدل راشد ولفظه: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» وسنده ضعيف، لكن يتأكد أحدهما بالآخر، وفي الفردوس للديلمي بلا سند عن ابن مسعود رفعه: «لعالم واحد أشد على إبليس من عشرين عابداً. وفي الباب عن ابن عمرو عند الحكيم الترمذي في التاسع عشر، عن أبي هريرة رفعه «لكل شيء دعامة ودعامة الانسان الفقه في الدين والفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد» رواه البيهقي وقال: تفرد به أبو الربيع السمان، عن أبي الزناد، عن الأعرج عنه به سرفوعاً اهـ.

وروى الخطيب في تاريخه من طريق الأعرج، عن أبي هريرة ولفظه: «إن لكل شيء دعامة ودعامة هذا الدين الفقه» وأخرج أحمد بن منيع في مسنده من طريق زياد بن عياض، عن صفوان بن سليم، عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة رفعه: «لكل شيء عماد وعماد الدين الفقه» وأخرج أبو نعيم في الحلية من هذه الطريق ولفظه: «ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين» قال وقال أبو هريرة: «لئن أتفقه ساعة أحب إلي من أن أحيي ليلة حتى أصبح أصليها، ولفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء دعامة ودعامة الدين الفقه».

قال المناوي في شرح الحديث الأول: ما عبد الله بأفضل من فقه في دين أي لأن أداء العبادات يتوقف على معرفة الفقه، إذ الجاهل لا يدري كيف يتقي لا في جانب الأمر ولا في جانب النهي، وبذلك يظهر فضل الفقه وتميزه عن سائر العلوم بكونه أهمها وإن كان غيره أشرف، والمراد بالفقه المتوقف عليه ذلك ما لا رخصة للمكلف في تركه دون ما لا يقع إلا

وقال ﷺ : « خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ».

نادراً أو نحو ذلك، وذهب بعض الصوفية إلى أن المراد بالفقه هنا المعنى اللغوي فقال: هو الفهم وانكشاف الأمور، والفهم هو العارض الذي يعترض في القلب من النور، فإذا عرض انفتح بصر القلب فرأى صورة الشيء في صدره حسناً كان أو قبيحاً، فالانفتاح هو الفقه والعارض هو الفهم، فإذا فهم سر معاملات الله هانت عليه الكلف وعبد الله بانشراح وانبساط، وذلك أفضل العبادات بلا ريب.

وقال في شرح الحديث الثاني: فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد أي لأن الشيطان كلما فتح باباً على الناس من الهوى بيَّن الفقيه العارف مكائده، فيسد ذلك الباب ويرده خاسئاً، والعابد ربما اشتغل بالعبادة وهو في حبائل الشيطان ولا يدري، وقال الذهبي: هذا الحديث لو صح نص في الفقيه الذي تبصر في العلم، ورقي إلى درجة الاجتهاد، وعمل بعلمه لا كفقيه اشتغل بمحض الدنيا.

الثالث والعشرون: (وقال ﷺ خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه). أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف، والشطر الأول عند أحمد من حديث محجن بن الأدرع بإسناد جيد، والشطر الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف قاله العراقي.

قلت: أما حديث محجن فقد أخرجه أبو داود والطيالسي في مسنده فقال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن رجاء، عن محجن قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي حتى انتهينا إلى سدة المسجد، فإذا رجل يركع ويسجد ويركع ويسجد فقال لي: « من هذا »؟ فقلت: هذا فلان وجعلت أطريه وأقول له هذا هذا، قال رسول الله ﷺ: « لا تسمعه فتهلكه »، ثم انطلق بي حتى بلغ باب حجرة إحدى نسائه، ثم أرسل يده من بين يدي قال: فقال رسول الله ﷺ « خير دينكم أيسره » قالها ثلاثاً.

وأخرجه مسدد في مسنده فقال: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا يونس، عن زياد بن مخراق، عن رجل من أسلم قال: كان منا ثلاثة صحبوا النبي ﷺ بريدة ومحجن ومسكبة فقال محجن لبريدة: ألا تصلي كما يصلي مسكبة؟ قال: لا لقد رأيتني؟ أقبلت مع رسول الله ﷺ من أُحد نتماشى يدي في يده فرأى رجلاً يصلي فقال « أتراه جداً أتراه صادقاً » فذهبت أثني عليه. قال: فلما دنونا نزع يده من يدي وقال « ويحك اسكت لا تسمعه فتهلكه إن خير دينكم أيسره ».

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده فقال: حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا شعبة، عن جعفر بن اياس، عن عبدالله بن شقيق، عن رجاء بن أبي رجاء قال: دخل بريدة المسجد ومحجن على باب المسجد فقال بريدة وكان فيه مزاح: يا محجن ألا تصلي كما يصلي مسكبة؟ فقال: نزل النبي ﷺ من أُحد وهو آخذ بيدي، فدخل المسجد فإذا رجل يصلي فقال لي « من هذا » فأثنيت عليه خيراً فقال « اسكت لا تسمعه فتهلكه »، ثم أتى على باب حجرة امرأة من نسائه فقبض يده من يدي ثم قال « إن خير دينكم أيسره إن خير دينكم أيسره » مرتين.

وقد علم مما سقناه أن الحديث يروى من طريق بريدة أيضاً، وقد أخرجه أيضاً من طريق محجن البخاري في الأدب، والطبراني في الكبير، ويروى من طريق عمران بن الحصين. أخرجه الطبراني في الكبير وقال: تفرد به اسماعيل بن يزيد، ومن طريق أنس بن مالك أخرجه الطبراني في الأوسط، وابن عدي في الكامل، والضياء المقدسي في المختارة، فاقتصار العراقي على محجن ومن مخرجيه على أحمد قصور ظاهر، وقول العراقي بإسناد جيد صحيح، فإن رجاله من الطرق التي سقناها ثقات ليس فيهم متهم أو متروك، غير أن في سياق سند مسدد رجلاً من أسلم لم يسم.

ومن شواهده ما أخرجه أحمد بن منيع في مسنده من طريق غاضرة بن عروة الفقيمي عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يا أيها الناس إن دين الله في يسر يا أيها الناس إن دين الله في يسر » وقد رواه الإمام أحمد أيضاً من هذا الطريق، وغاضرة بن عروة، ويقال ابن عمرو الفقيمي ذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن المديني: مجهول.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة من طريق داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس سئل رسول الله ﷺ : أي الأديان أحب عند الله؟ قال « الحنيفية السمحة ». وقد أخرجه أحمد بن حنبل، وعبد بن حميد في مسنديها بهذا الطريق، والسند فيه مقال ،وقول العراقي أخرجه ابن عبد البر عن أنس، فقد وافقه على إخراجه ذلك أبو الشيخ في الثواب، والديلمي في الفردوس كلهم من رواية عبد الرحيم بن مطرف، حدثنا أبو عبد الله العذري، عن يونس، عن الزهري، عن أنس ولفظهم: وخير بدل وأفضل، وأبو عبد الله العذري لا يُدرى من هو.

وأما الشطر الثاني: فقد أخرجه الطبراني في الصغير بزيادة « وأفضل الدين الورع » وله شاهد جيد من حديث سعد بن أبي وقاص أخرجه الحاكم في التاريخ، ومن حديث حذيفة أخرجه الطبراني في الأوسط « فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة وخير دينكم الورع » وقد تقدم هذا والكلام عليه، وأخرج الطبراني في الكبير والصغير من رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن الشعبي، عن ابن عمر رفعه « أفضل العبادة الفقه » وأخرج الطبراني أيضاً من رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن عوف رفعه: « يسير الفقه خير من كثير العبادة وأفضل أعمالكم الفقه » وفي إسناده خارجة بن مصعب وهو ضعيف جداً.

الرابع والعشرون: (وقال ﷺ : فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة) قال العراقي: أخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد الرحمن بن عوف اهـ.

قلت: وأخرجه ابن عبد البر من حديث ابن عباس بسند ضعيف، اخرجه من رواية يحي بن بكير، حدثنا يحي بن صالح الأيلي، عن إسماعيل بن أمية عن عبد بن عمير، عن ابن عباس رفعه بلفظ المصنف وزيادة « لفظ المؤمن » إشارة إلى أن الكلام في عالم كامل الإيمان عامل بعلمه، وفي

« إنكم أصبحتم في زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه، العمل فيه خير من العلم. وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل ».

عابد كامل الإيمان عارف بالفروض العينية، وإلاَّ فهو غير عابد، وقول العراقي أخرجه ابن عدي، قد أشار إليه السخاوي في المقاصد، وأغفله الجلال أخرجه في الكامل، ثم البيهقي من طريقه، وابن السني، وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين كلهم من رواية عمرو بن الحصين، حدثنا ابن علانة، حدثنا خصيف، عن مجاهد، عن أبي هريرة، وفي آخره « الله أعلم ما بين كل درجتين » وأما قوله: ولأبي يعلى نحوه أي في المعنى فقط دون اللفظ كما هو مقتضى قولهم نحوه، وحديثه هذا أي الذي أخرجه أبو يعلى في مسنده قال: حدثنا موسى بن محمد بن حبان، حدثني محمد بن عمرو بن عبدالله، سمعت الخليل بن مرة يحدث عن ميسرة، عن الزهري، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن النبي ﷺ: « فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » قال الهيثمي في سياق حديث أبي يعلى الخليل بن مرة. قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدي: هو ممن يكتب حديثه وليس بمتروك.

قلت: هو من رجال الترمذي روى عنه الليث بن سعد جاء تضعيفه عن ابن معين، وفي الكاشف الخليل بن مرة الضبعي نزيل الرقة، عن أبي صالح وعكرمة، وعنه ابن وهب ووكيع، قال أبو حاتم: ليس بقوي كان أحد الصالحين توفى سنة ١١٦ هـ.

وأخرج أبو القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب من رواية خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن أظنه ابن رافع عن عبدالله بن عمرو، قال النبي ﷺ فذكره، وفي آخره زيادة « بين كل درجتين حضر الفرس سبعون عاماً » وسيأتي ذكره قريباً.

الخامس والعشرون: (وقال ﷺ: إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل قرّاؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه، العمل فيه خير من العلم، وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه والعلم فيه خير من العمل) . قال العراقي: أخرجه الطبراني من حديث حرام بن حكيم عن عمه، وقيل: عن أبيه وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن عبد البر في كتاب العلم، وأبو نعيم في كتاب رياضة المتعلمين كلهم من رواية صدقة بن عبدالله، عن زيد بن واقد عن حرام بن حكيم، عن عمه، عن رسول الله ﷺ فذكره ابن عبد البر بلفظ المصنف، وفي رواية الآخرين تقديم وتأخير، وصدقة بن عبد الله السمين ضعيف، وحرام بفتح الحاء والراء مختلف فيه، وعمه عبدالله بن سعد هكذا ورد مسمى منسوباً في رواية أبي نعيم.

وفي كتاب العلم لابن خيثمة، حدثنا جرير عن عبدالله بن يزيد، عن سميل بن زياد، عن عبدالله بن مسعود قال: إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه وإن بعدكم زمان كثير خطباؤه

وقال ﷺ: « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة ».

العلماء فيه قليل، قال القاري في شرح عين العلم: المعنى إظهار العمل خير من إظهار العلم لتقتدي الناس، فلا ينافيه ما سبق من الأحاديث الدالة على أفضلية العلم مطلقاً اهـ.

وفي مسند الإمام أحمد من رواية حجاج بن الأسود، سمعت أبا الصديق يحدث ثابتاً، عن رجل، عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال: « إنكم في زمان علماؤه كثير وخطباؤه قليل من ترك فيه عشر ما يعلم هوى » أو قال هلك ». وسيأتي على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه من تمسك فيه بعشر ما يعلم نجا » وللحديث المذكور شواهد منها عند الترمذي من حديث أبي هريرة: « إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما أمر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم عشر ما امر به نجا » وعند الطبراني في الأوسط، والحاكم في التاريخ عن أبي هريرة أيضاً: « سيأتي زمان تكثر فيه القـراء وتقل الفقهاء ويقبض العلم ويكثر الهرج، ثم يأتي بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال من أمتي لا يجاوز تراقيهم، ثم يأتي بعد ذلك زمان يجادل المشرك بالله المؤمن في مثل ما يقول ». وأخرج أبو القاسم اللالكائي في سننه من طريق علقمة عن عبدالله قال: كيف أنتم إذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير إذا ترك فيها شيء؟ قيل: ترك السنة. قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ذلك إذا ذهب علماؤكم وكثرت جهالكم وكثرت قراؤكم، وقلّت فقهاؤكم.

السادس والعشرون: (وقال ﷺ: بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة). كذا وقع في الروايات سبعين، والتقدير مقدار سبعين، وفي نسخة العراقي سبعون بالواو، قال العراقي: خرّجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث عبدالله بن عمرو غير أنه قال: سبعون درجة بسند ضعيف، وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه أبو القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب من رواية خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن أظنه ابن رافع، عن عبدالله بن عمرو قال؛ قال رسول الله ﷺ: فذكره ولفظه: « فضل العالم على العابد سبعون درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعون عاماً ». وذلك لأن الشيطان يضع البدعة للناس فيتبصر بها العالم فينهي عنها، والعابد مقبل على عبادة ربه لا يتوجه إليها ولا يعرفها، وخارجة ضعيف، وقد تقدم ذلك في الحديث الرابع والعشرين، وقال السخاوي في المقاصد، ولأبي يعلى وابن عدي من رواية عبدالله بن محرز، عن الزهري، عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا اللفظ: قال وقد ذكـر ابن عبد البر في العلم ان ابن عون رواه عن ابن سيرين عن أبي هريرة فينظر من خرّجه اهـ.

ولفظ العراقي ذكره ابن عبد البر في العلم من غير أن يوصله بالإسناد، وقال: ومن حديث

وقال عليه السلام لما قيل له يا رسول الله: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: « العلم بالله عز وجل » فقيل: أيّ العلم تريد؟ قال ﷺ: « العلم بالله سبحانه » فقيل له: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم. فقال ﷺ: « إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله ». وقال ﷺ: « يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم

ابن عون، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: فذكره إلا أنه قال درجة موضع سنة، ثم قال: ومن دون ابن عون لا يحتج به اهـ.

وتقدم حديث عبد الرحمن بن عوف الذي أخرجه أبو يعلى الموصلي ولفظه: فضل العالم على العابد سبعين درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وقول العراقي رواه صاحب مسند الفردوس يعني به الديلمي، وإسناده ضعيف أشار إلى أنه رواه من طريق بقية، عن عبدالله بن محرز، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رفعه، وسياقه كسياق حديث عبدالله بن عمرو المتقدم، وعبدالله بن محرز قاضي الرقة ضعيف جداً، وقد عنعن الحديث بقية وهو مدلس، والظاهر أنه لم يسمعه من عبدالله، وإنما سمعه من غياث بن ابراهيم أحد الوضاعين فقد روى عنه بقية، وقد روى أبو نعيم هذا الحديث مقتصراً على أوله من رواية غياث بن ابراهيم، عن عبدالله بن محرز، وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية سليمان الشاذكوني، حدثنا ابن يمان، عن محمد بن عجلان، عن الزهري قال: فضل العالم على المجتهد مائة درجة ما بين كل درجة خمسمائة سنة حضر الفرس الجواد المضمر، وبهذا وبما تقدم يسقط قول ملا علي في شرح عين العلم، وأما ما في الاحياء مائة درجة لا أصل له، والحضر بالضم وسكون الضاد نوع من أنواع سير الفرس، وهو فوق الهملجة، والمضمر هو الجواد المهيأ للحضر والركض.

السابع والعشرون: (وقال ﷺ: لما قيل له يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ فقال: العلم بالله عز وجل، فقيل أي العلم تريد؟ فقال: العلم بالله، فقيل له: تسأل عن العمل وتجيب عن العلم، فقال: إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله) قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف اهـ.

قلت: هو من رواية الحسين ابن حميد، حدثنا محمد بن روح بن عمران القشيري، حدثنا مؤمل بن عبد الرحمن، عن عباد بن عبد الصمد، عن أنس بتكرار أي الأعمال أفضل مرتين وفيه أسألك بدل نسألك وتخبرني بدل تجيب، والباقي سواء، وعباد منكر الحديث، ومؤمل ضعيف، ومحمد بن روح منكر الحديث، والحسين بن حميد المصري تكلم فيه أيضاً، وأخرجه الحاكم والترمذي في الأصل السادس والستين بعد المائتين من نوادر الأصول فقال: حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا المؤمل بن عبد الرحمن، حدثنا عباد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ قال: « العلم بالله ثم أتاه، فسأله فقال مثل ذلك فقال يا رسول الله: أنا أسألك عن العمل. قال: إن العلم ينفعك معه قليل العمل

يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم ».

وكثيره وإن الجهل لا ينفعك معه قليله ولا كثيره » وقوله: إن قليل العمل ينفع مع العلم أي فإنه يصححه، وكثير العمل لا ينفع مع الجهل لأن المتعبد من غير علم كالحمار في الطاحون، وقد أخرجه الديلمي في الفردوس، عن أنس أيضاً، ومن شواهده ما أخرجه أبو الشيخ عن عبادة: العلم خير من العمل وملاك الدين الورع والعالم من يعمل. وأخرج ابن عبد البر، عن أبي هريرة: العلم خير من العبادة وملاك الدين الورع، وأخرج ابن أبي شيبة؟ والحكيم عن الحسن مرسلاً والخطيب عنه عن جابر: العلم علمان فعلم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم في اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم، وسيأتي في الباب الخامس.

الثامن والعشرون: (وقال ﷺ: يبعث الله يوم القيامة العباد ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إني لم أضع علمي بينكم إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم). أخرجه الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف قاله العراقي.

قلت: وأخرجه أيضاً يعقوب بن سفيان في تاريخه قاله الحافظ بن حجر ولفظ الطبراني في الكبير، عن أبي موسى: يبعث الله العباد يوم القيامة، ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء إني لم أضع فيكم علمي إلا وأنا أريد أن لا أعذبكم إذهبوا فقد غفرت لكم.

قلت: أخرجه الطبراني في الكبير والصغير من رواية عمرو بن أبي سلمة التنيسي، وأبو الشيخ في الثواب، وابن عبد البر في العلم من رواية منبه بن عثمان كلاهما عن صدقة بن عبدالله، عن طلحة بن زيد، عن موسى بن عبيدة، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي موسى رفعه. وصدقة وطلحة وموسى ضعفاء، وأضعفهم طلحة. وفي ترجمته أخرج ابن عدي هذا الحديث، ويروى أيضاً من حديث أبي أمامة أو واثلة هكذا بالشك رواه ابن عدي في ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الجمحي، عن مكحول عنه مرفوعاً بلفظ: « إذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فقال إني لم أستودع علمي فيكم وأنا أريد أن أعذبكم أدخلوا الجنة » ويروى أيضاً من حديث ثعلبة بن الحكم أخرجه الطبراني من رواية سماك بن حرب عنه رفعه يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده: إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي.

ومن شواهده ما أخرجه ابن عدي في الكامل، والبيهقي بسند ضعيف، عن جابر رفعه: « يبعث الله العالم والعابد فيقال للعابد أدخل الجنة، ويقال للعالم أثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت من أدبهم » وذكر أبو الطيب في البحر الزاخر حكى أن اسماعيل بن ابي رجاء قال: رأيت محمد بن الحسن الشيباني في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، ثم قال: لو أردت أن أعذبك ما جعلت هذا العلم في جوفك، وإنما ختم المصنف بهذا الحديث تفاؤلاً بقوله: فقد غفرت

(وأما الآثار) : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل : يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق.

لكم إشارة الى أن مآل العالم بالله العامل لله الغفران، وهذا ختام حسن نسأل الله حسن الخاتمة. والوارد في فضل العلم والعلماء أحاديث كثيرة، ولو تتبعنا ذكرها لطال علينا الكتاب، ولكن اقتصرنا على تبيين ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى، والله أعلم.

(وأما الآثار) : جمع أثر تقدّم تعريفه، وكذا الفرق بينه وبين الخبر في أول الكتاب أورد فيها رحمه الله تعالى أقوال بعض الصحابة كعلي، وابن عباس، وابن مسعود، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم، وبعض التابعين كأبي الأسود، والحسن، والأحنف، والزهري، ومن بعدهم كابن المبارك، والشافعي، والزبير بن أبي بكر رحمهم الله تعالى، ومن بعدهم من أهل الصلاح كفتح الموصلي وغيره من الحكماء. **(قال)** أبو الحسن أمير المؤمنين **(علي بن أبي طالب رضي الله عنه)** لتلميذه **(يا كميل)** بالتصغير هو كميل بن زياد النخعي من مشاهير أصحاب علي رضي الله عنه، وكان من أعيان الزهاد، وللسادات الصوفية سند في لبس الخرقة إليه، أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عاصم بن حميد الحناط، حدثنا ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالي، عن عبد الرحمن بن جندب، عن كميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس، ثم قال: يا كميل بن زياد: القلوب أوعية فخيرها أوعاها فساق الحديث بطوله، وفيه: **(العلم خير من المال)** أشار إلى فضل العلم، ثم ذكر سببه فقال: **(العلم يحرسك وأنت تحرس المال)** قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة في شرح هذا الحديث: يعني أن العلم يحفظ صاحبه ويحميه من موارد الهلكة ومواقع العطب، فإن الإنسان لا يلقي نفسه في عطب وعقله معه، ولا يعرضها للهلاك إلا إذا كان جاهلاً بذلك لا علم له به، فهو كمن أكل طعاماً مسموماً، فالعالم بالسم وضرره يحرسه علمه ويمتنع به من أكله، والجاهل به يقتله جهله، فهذا مثل حراسة العلم للعالم، وكذا الطبيب الحاذق يمتنع بعلمه عن كثير ما يجلب له الأمراض، وكذا العالم بمخاوف طريق سلكه يأخذ حذره منها فيحرسه علمه من الهلاك، وهكذا العالم بالله وبأمره وبعدوّه ومكائده يحرسه علمه من وساوس الشيطان وخطراته فعلمه يحرسه منه، وكلما جاء ليأخذه صاح به حرس العلم والإيمان فيرجع خائباً، فهذا السبب الذي من العبد والله وراء حراسته، فمتى وكله الى نفسه طرفة عين تخطفه عدوّه وهذا هو التوفيق اهـ. **(والعلم حاكم والمال محكوم عليه)**، وهذا هو الوجه الثاني لفضل العلم، والمراد بالعلم هنا علم الباطن، ففي القوت علم الظاهر حكم وعلم الباطن حاكم، والحكم موقوف حتى يجيء الحاكم يحكم فيه، وهذه الجملة في الحديث ليست في سياق الحلية، ولا في كتاب ابن القيم موجودة في سياق القوت، ثم قال رضي الله عنه: **(والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق)**. هكذا نص القوت، وفي الحلية العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة. قال ابن القيم في كتابه المذكور: العالم كلما بذل

....

علمه للناس وأنفق منه تفجرت ينابيعه وازداد كثرة وقوة ويقيناً وظهوراً، فيكسب بتعليمه حفظ ما علمه ويحصل له علم ما لم يكن عنده، وربما تكون المسألة في نفسه غير مكشوفة، فإذا تكلم بها وعلمها اتضحت له وأضاءت وانفتح له منها علوم أخر، ثم قال: ولزكاء العلم طريقان، أحدهما: تعليمه، والثاني العمل به، فإن العمل به أيضاً ينميه ويكثره، وقوله: والمال تنقصه النفقة لا ينافي قوله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال» فإن المال إذا تصدقت منه وأنفقت ذهب ذلك القدر وخلفه غيره، وأما العلم فكالمقتبس من النار لو اقتبس منها العالم لم يذهب منها شيء بل يزيد، ثم قال: وفضل العلم على المال يعرف بوجوه سوى الأوجه الثلاثة التي ذكرها أمير المؤمنين.

أحدها: إن العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث الملوك والأغنياء.

الثاني: إن صاحب المال إذا مات فارقه ماله والعلم يدخل مع صاحبه قبره.

الثالث: إن المال يحصل للمؤمن والكافر والبر والفاجر، والعلم النافع لا يحصل إلا للمؤمن.

الرابع: إن العالم يحتاج إليه الملوك فمن دونهم وصاحب المال إنما يحتاج إليه أهل العدم والفاقة.

الخامس: النفس تشرف وتزكو بجمع العلم وتحصيله، وذلك من كمالها وشرفها، والمال لا يزكيها ولا يكملها ولا يزيدها صفة كمال، بل النفس تنقص وتشح وتبخل بجمعه والحرص عليه فحرصها على العلم عين كمالها وحرصها على المال عين نقصها.

السادس: المال يدعوها إلى الطغيان، والفخر والعلم يدعوها إلى التواضع.

السابع: إن غنى العلم أجل من غنى المال، فإن المال لو ذهب في ليلة أصبح صاحبه فقيراً معدماً، وغنى العلم لا يخشى عليه الفقر بل هو في زيادة أبداً فهو الغنى العالي حقيقة كما قيل:

غنيت بلا مال عن الناس كلهم فإن الغنى العالي عن الشيء لا به

الثامن: ان المال يستعبد صاحبه ومحبه فيجعله عبداً، والعلم يستعبده لربه فهو لا يدعوه إلا إلى عبودية الله وحده.

التاسع: إن حب العلم وطلبه أصل كل طاعة، وحب المال وطلبه أصل كل سيئة.

العاشر: قيمة الغني ماله، وقيمة العالم علمه فهذا متقوّم بماله، فإذا عدم ماله عدمت قيمته، والعالم لا تزول قيمته بل هي في تضاعيف دائماً.

الحادي عشر: إن جوهر المال من جنس جوهر البدن، وجوهر العلم من جنس جوهر الروح، والفرق بينهما كالفرق بين الروح والجسد.

الثاني عشر: إن العالم إذا عرض عليه بحظه من العلم الدنيا بما فيها لم يرضها عوضاً عن علمه، والغني العاقل إذا رأى شرف العالم وكماله به يودّ لو أن له علمه بغناه أجمع.

....

الثالث عشر: إن العالم يدعو الناس إلى الله بعلمه وحاله وجامع المال يدعوهم إلى الدنيا بحاله وقاله.

الرابع عشر: إن غنى المال قد يكون سبب هلاك صاحبه، فإنه معشوق النفوس، فإذا رأت من يستأثر بمعشوقها عليها سعت في هلاكه، وأما غني العلم فسبب حياة الرجل وحياة غيره والناس إذا رأوا من يستأثر عليهم به أحبوه وخدموه.

الخامس عشر: إن اللذة الحاصلة من غنى المال إن التذ صاحبه بنفس جمعه فوهمية، وأما بإنفاقه في شهواته فبهيمية، وأما لذة العلم فعقلية وفرق بينهما.

السادس عشر: إن المال إنما يمدح صاحبه بتخليه عنه، والعلم إنما يمدح بتحليه به.

السابع عشر: إن طلب الكمال بفناء المال كالجامع بين الضدين، وبيانه أن القدرة صفة كمال، وصفة الكمال محبوبة بالذات والاستغناء عن الغير أيضاً صفة كمال محبوبة بالذات، فإذا مال الرجل بطبعه إلى السخاء فهذا كمال مطلوب للعقلاء محبوب للنفوس، وإذا التفت إلى أن ذلك يقتضي خروج المال من يده، وذلك يوجب نقصه واحتياجه إلى الغير وزوال قدرته نفرت نفسه عن فعل المكرمات وظن ان إمساكه في المال كماله، فلأجل ميل الطبع إلى المدح يحب الجود، ولأجل فوت القدرة بسبب إخراجه يحب إبقاء ماله فبقي القلب في مقام المعارضة بينهما، فمنهم من يترجح عنده جانب البذل، ومنهم من يؤثر الإمساك، ومنهم من بلغ به الجهل إلى الجمع بين الوجهين فيعد بالجود رجاء المدح، وعند حضوره لا يفي فيقع في أنواع الفضائح، وإذا تأملت أحوال الأغنياء تراهم يشكون ويبكون، وأما غني العلم فلا يعرض له شيء من ذلك وتعب جمعه أقل من تعب جمع المال.

الثامن عشر: إن اللذة الحاصلة من المال إنما هي حال تجدده فقط، وأما حال دوامه فإما أن تذهب أو تنقص لمحاولته تحصيل الزيادة دائماً، فهو في فقر مستمر لبقاء حرصه بخلاف غنى العلم، فإن لذته في حال بقائه مثلها في حال يجدده بل أزيد.

التاسع عشر: إن غنى المال يستدعي الإحسان إلى الناس، فصاحبه إن سد على نفسه هذا الباب مقتوه فيتألم قلبه، وأن فتحه فلا بد من الميل إلى بعض وإمساك عن بعض، وهذا يفتح عليه باب العداوة والمذلة من المحروم والمرحوم، فالمحروم يقول كيف جاد على غيري، والمرحوم دائماً يستشرف لنظيره على الدوام، وهذا قد يتعذر غالباً فيفضي إلى ما ذكرنا، ولذا قيل: اتّقِ شر من أحسنت إليه، وصاحب العلم يمكنه بذله للكل من غير نقص فيه.

العشرون: إن غني المال يبغض الموت للتمتع بماله، وأما العلم فإنه يحبب للعبد لقاء ربه ويزهده في هذه الدنيا.

الحادي والعشرون: إن الأغنياء يموتون فيموت ذكرهم، والعلماء بخلاف ذلك كما قال علي

وقال علي أيضاً رضي الله عنه: « العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه، وقال رضي الله عنه نظماً:

مـا الفخـر إلا لأهـل العلم انهم ... على الهدى لمن استهـدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنـه ... والجاهلـون لأهـل العلم أعـداء
ففـز بعلم تعش حيـاً بـه أبـداً ... الناس موتى وأهـل العلم أحيـاء

رضي الله عنه: **(مات خزان المال)** أي جماعه. **(وهم أحياء)** فهم أحياء كأموات، **(والعلماء باقون ما بقي الدهر)** أي بذكرهم الحسن على الألسنة وعلمهم الفائض في القلوب خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة فهم **(أعيانهم)** أي ذواتهم **(مفقودة)** بالموت الظاهر، **(وأمثالهم)** أي علومهم وعوارفهم **(في القلوب)** أي في قلوب العلماء **(موجودة)** أبداً فهم كأحياء الناس بعد موتهم. وهذا الحديث يأتي بطوله في آخر الباب السادس من هذا الكتاب ونلم إن شاء الله تعالى بشرحه ما عدا هذه الكلمات بتوفيق من الله عز وجل. **(وقال علي رضي الله عنه: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه)**. هذا القول أخرجه الخطيب في تاريخه ولفظه: فإن المؤمن العالم لأعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله تعالى، فإذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة. والثلمة؛ بالضم الخلل في حائط، والخلف محركة من يخلف غيره في الأعمال الصالحة وبسكون اللام بالعكس، ومن شواهده ما تقدّم في الحديث الثامن عن جابر مرفوعاً: « موت العالم ثلمة في الإسلام لا تسد ما اختلف الليل والنهار ». وعن ابن عمر: « ما قبض الله عالماً إلا كان ثغرة في الإسلام لا تسد ». وقوله: إلا خلف منه استثناء حسن لا يخفى موقعه. **(وقال أيضاً نظماً)**. قال صاحب القاموس في تركيب ودق نقلاً عن أبي عثمان المازني أنه لم يصح عندنا أن علياً رضي الله عنه تكلم بشيء من الشعر غير هذين البيتين:

تلكـم قـريش تمنـاني لتقتلني ... فلا وربـك لا بـروا ولا ظفـروا
فـإن هلكـت فـرهـن ذمتي لهم ... بـذات ودقين لا يعفـو لها أثـرُ

ونقل الصغاني عن المازني ذلك أيضاً، ونقله المرزباني في تاريخ النحاة عن يونس ما صح عندنا، ولا بلغنا أنه قال شعراً إلا هذين البيتين، وصوبه الزمخشري. قال شيخنا في حاشيته: ولعل سند ذلك قوي عندهم، وإلاَّ فقد روي عنه شعر كثير مما شاع وذاع، ولا سيما وقد قال الشعبي: كان أبو بكر شاعراً، وكان عمر شاعراً، وكان علي أشعر الثلاثة. أنظر تمامه في شرحي على القاموس، وقد وجدت قبل هذه الأبيات بيتين وهما قوله:

النـاس مـن جهـة التمثـال اكفـاء ... أبـوهـم آدم والأم حـوّاءُ
وإن يكـن لهم في أصلهـم شرف ... يفـاخـرون بـه فـالطين والماءُ
(ما الفخـر إلا لأهـل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهـدى أدلاءُ)

وقال أبو الأسود: ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك.

(ووزن كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء)
(ففز بعلم ولا تجهل مواضعه فالناس موتى وأهل العلم أحياء)

وقد أورد الشهاب أحمد بن إدريس بن الصلت القرافي المالكي هذه الأبيات في أوّل كتابه الذخيرة، ولم يذكر البيت الأخير، وقوله: ووزن كل امرىء هو من جلة حكمه المأثورة قيمة كل امرىء ما يحسنه، وفي القوت: وقد روينا عن علي كرّم الله وجهه فذكر البيتين، ثم قال: فمن كان عالماً بعلم معلومه الله تعالى فمن أفضل منه وأي قيمة تعرف له إذ كل علم قيمته معلومة ووزن كل عالم علمه اهـ.

وقوله: الجاهلون مأخوذ من الحديث المشهور من جهل شيئاً عاداه، وقوله: فالناس موتى هو مأخوذ من الحديث الناس هلكى إلا الصالحون. وقد أخرج الخطيب في كتاب الاقتضاء مثل ذلك عن سهل التستري كما سيأتي، وفي الرسالة القشيرية سمعت محمد بن الحسن يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول، قال أبو زيد البسطامي: كنت اثنتي عشرة سنة حداد نفسي، وخمس سنين مرآة قلبي، وسنة أنظر فيما بينهما، فعملت في قطعه اثنتي عشرة سنة، ثم نظرت فإذا في باطني زنار فعملت في قطعه خمس سنين انظر كيف أقطع، فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات. قال النووي: قوله فرأيتهم موتى في غاية من النفاسة والحسن، وقل أن يوجد في غير كلام النبي ﷺ كلام يحصل معناه.

(وقال أبو الأسود): ظالم بن عمرو أو عمرو بن ظالم الديلي معلم الحسنين أوّل من ابتكر علم النحو، وتولى قضاء البصرة. روى عنه ابنه حرب أخرج حديثه الأربعة توفي سنة ١٦٩. **(ليس شيء)** في الدنيا **(أعز)** مقاماً ورتبة **(من العلم)**، وذلك لأن **(الملوك حكام على الناس)** بسياستهم الظاهرة، **(والعلماء حكام على الملوك)** يعلمونهم بقوانين السياسة الشرعية وقد نظم ذلك بعضهم فقال:

إن الأكابر يحكمون على الورى وعلى الأكابر تحكم العلماء

واعلم أن العلم حاكم على ما سواه، ولا يحكم عليه شيء فكل شيء اختلف وجوده وعدمه وصحته وفساده ومنفعته ومضرته ورجحانه ونقصانه وكماله ونقصه ومدحه وذمه ومرتبته في الخير وجودته ورداءته وقربه وبعده إلى سائر جهات المعلومات، فإن العلم حاكم على ذلك كله، فإذا حكم العلم انقطع النزاع ووجب الاتباع وهو الحاكم على الممالك والسياسات والأموال والأقلام، فملك لا يتأيد بعلم لا يقوم، وسيف بلا علم مخراق لاعب، وقلم بلا علم حركة عابث والعلم مسلط. حاكم على ذلك كله، ولا يحكم شيء من ذلك على العلم، وسيأتي من قول علي رضي الله عنه: العلم حاكم والمال محكوم عليه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خيِّر سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه.

وسئل ابن المبارك من الناس؟ فقال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد. قيل: فمن السفلة؟ قال: الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم، فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوّة شخصه، فإن الجمل أقوى منه ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه

(وقال) ترجمان القرآن عبدالله **(ابن عباس رضي الله عنهما)** فيما روي عنه بإسناد حسن **(خير سليمان بن داود)** بن إيشا **(صلى الله عليه)** وعلى نبينا وسلم **(بين العلم والمال والملك فاختار العلم)** دونهما، لأنه نظر إلى العلم فرآه باقياً إلى الأبد، ورأى المال والملك عارضين زائلين فاختار الباقي على الفاني **(فأعطي العلم)** كما اختار **(و)** أعطي **(المال والملك معه)** زيادة على ما اختار، وذلك لحسن نظره وإخلاصه ﷺ، ولذلك أثنى الله عليه في كتابه فقال: ﴿وورث سليمان داود﴾ [النمل: ١٦] واتفق المفسرون على أن هذه الوراثة هي النبوّة والعلم، وهذا هو المناسب لجلالة مقام الأنبياء.

(وسئل) أبو عبدالرحمن عبدالله **(بن المبارك)** بن واضح الحنظلي مولاهم المروزي شيخ خراسان. روي عن سليمان التيمي، وعاصم الأحول، والربيع بن أنس، وعنه ابن مهدي، وابن معين، وابن عرفة وأبوه تركي مولى تاجر وأمه خوارزمية ولد سنة ١١٦ وتوفي بهيت سنة ١٨١. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد، حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا الفضل بن محمد البيهقي: سمعت سعيد بن داود يقول: سألت ابن المبارك **(عن الناس)** أي الكمل منهم، ورواية الحلية: من الناس؟ **(فقال: العلماء)** أي بالله **(فقيل من الملوك)** ورواية الحلية قلت: فمن الملوك؟ **(فقال: الزهاد)** زاد في الحلية فمن الغوغاء. قال خزيمة وأصحابه **(فمن السفلة)** ورواية الحلية قلت فمن السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم، ثم قال أبو نعيم: حدثنا أبو محمد بن حبان، حدثنا ابراهيم بن محمد بن علي، حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا عابس بن عبدالله قال: قيل لعبدالله بن المبارك: من أئمة الناس؟ قال سفيان وذووه فقيل: من سفلة الناس؟ **(فقال: من يأكل بدينه)**. ورواية الكتاب الذي يأكل بدينه، وما رواه الشيخ هو نص أبي طالب في القوت إلا أنه زاد فقال: وقال مرة الذين يتلبسون ويتطيلسون ويتعرضون للشهادات والسفلة بكسر السين المهملة[1]. وفتح الفاء الأرذال. **(ولم يجعل غير العالم من الناس)** لما روي عن ابن مسعود مرفوعاً: الناس رجلان عالم ومتعلم ولا خير فيما سواهما. **(ولأن الخاصية التي بها يتميز الناس عن)** سائر **(البهائم هو العلم)** والبيان خاصة **(والإنسان إنسان بما هو شريف لأجله)** أي العلم **(وليس ذلك)** الشرف **(بقوّة شخصه)** فيما يرى **(فإن الجمل)** الذي

---

(١) لعله مسكون الفاء كما في القاموس اهـ مصححة.

ولا بشجاعته، فإن السبع أشجع منه ولا بأكله، فإن الثور أوسع بطناً منه ولا ليجامع فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه، بل لم يخلق إلا للعلم. وقال بعض العلماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء فاته من أدرك العلم. وقال عليه الصلاة والسلام: «من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي خيراً منه فقد حقر ما عظم الله تعالى» وقال فتح الموصلي رحمه الله: أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت؟ قالوا: بلى. قال: كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت،

ضرب به المثل في عجيب خلقه (**أقوى منه ولا**) شرفه (**بعظمه**) أي كبر جثته، (**فإن الفيل أعظم منه**) جثة (**ولا بشجاعته**) وقوته (**فإن الأسد**) وفي نسخة السبع (**أشجع منه**) وأقوى (**ولا**) شرفه (**ليأكل**) كثيراً (**فإن الثور أوسع منه بطناً**) وأكثر أكلاً وكذلك الفيل أيضاً (**ولا**) شرفه (**ليجامع**) النساء (**فإن أخس العصافير**) وهي الدورية (**أقوى على السفاد منه**) وهي جماع الطيور خاصة (**بل لم يخلق إلا للعلم**) بالله ومعرفته وتوحيده لقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] **فبهذه الخاصية** الخاصة يتميز عن غيره من البهائم، فإذا عدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه وبين سائر الدواب وهي الحيوانية المحضة فلا يبقى فيه فضل عليهم، بل قد يبقى شراً منهم، كما قال تعالى في هذا الصنف من الناس ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ [الأنفال: ٢٢] فهؤلاء هم الجهال الذين لم يحصل لهم حقيقة الإنسانية التي يتميز بها صاحبها عن سائر الحيوان. (**وقال بعض العلماء**) وفي نسخة الحكماء: (**ليت شعري**) أي علمي (**أي شيء**) وفي نسخة خير (**أدرك من فاته العلم**) لأن العلم هو مصدر الخيور كلها، فمن فاته لم يدرك شيئاً من الخير، وكان المراد هنا بالعلم التفقه في الدين، وإليه يشير الحديث: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده» كما سبق. (**وقال**) أبو محمد (**فتح**) بن سعيد (**الموصلي**) أحد الصوفية والزهاد صاحب الجد والاجتهاد من أقران بشر الحافي والسري السقطي، وكان كبير الشأن في الورع والمعاملات، وسأل رجل المعافى بن عمران: هل كان لفتح الموصلي كبير محل؟ فقال: كفاك بعلمه تركه للدنيا. ترجم له الشعراني زاد المناوي أنه توفي سنة ١٣٠. (**أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت؟ قالوا: نعم**). وعند ابن القيم قالوا: بلى، وذلك لأن حكمة الله تعالى اقتضت بملاءمة الأدوية للأمراض بحسب طبائعها، فإذا منع منه ذلك الدواء الملائم لمرضه، فإنه يكون سبباً لازدياد المرض وازهاق الروح، وأما الطعام والشراب فمن اللوازم للمريض وغيره، ولكن معاهدته بهما أكثر اقتضاء، فإن الصحيح ربما يصبر عنهما بالرياضة مثلاً (**قال: كذلك القلب**) فإنه كالمريض ودواؤه العلم والحكمة والمعارف الإلهية (**إذا منع عنه**) ذلك الدواء الذي هو (**الحكمة والعلم ثلاثة أيام**) فإنه (**يموت**) والذي في طبقات الشعراني في ترجمته، وكان يقول: القلب إذا

ولقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام، ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم، ولكنه لا يشعر به إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال، وإن كان واقعاً؛ فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسر تحسراً عظيماً ثم لا ينفعه، وذلك كإحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف، فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء، فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، وقال

منع الذكر مات كما أن الإنسان إذا منع من الطعام والشراب يموت ولو على طول ويزول عنه إحساسه، (**ولقد صدق**) رحمه الله تعالى (**فإن غذاء القلب**) وشرابه ودواءه (**العلم والحكمة**) والمعارف الإلهية (**وبهما حياته**) وتوقده وذكاؤه (**كما أن غذاء الجسد**) وتقويته (**الطعام**) والشراب، (**ومن فقد العلم**) بالله والحكمة (**فقلبه مريض**) بأمراض الجهل (**وموته لازم**) لعدم وصول ما يلائمه، (**ولكن لا يشعر به**) أي لا يدرك موت قلبه (**إذ شغل الدنيا وحبها**) والميل إلى ملاهيها وملاذها قد (**أبطل**) عنه (**إحساسه**) بذلك وادراكه لهذا السر العظيم.

وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى مالك بن دينار قال: إن العبد إذا سقم لم ينجح فيه لا طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم تنجح فيه الموعظة، (**كما أن غلبة الخوف**) من شيء إذا انتهى إلى غاية (**فقد تبطل احساس ألم الجراح في الحال وإن كان واقعاً**)، ومنهم من يشتغل بالحرب فيقع عضو من أعضائه فلا يدري منه ويمضي في محاربته ولا يحس به إلا إذا رجع عن شغله، وهذا مشاهد، وكذلك المحب والمفكر قد يبطل إحساسهم بألم الجراحات، فإذا صحوا وعادوا إلى حالة الاعتدال أدركوا آلامها، وكذلك العبد (**فإذا حط الموت عنه اعباء الدنيا**) أي أحمالها الثقيلة وشواغلها (**أحس**) حينئذ (**بهلاكه**) وموت قلبه (**وتحسر تحسراً لا ينفعه**) إذ ذاك ولذا يتمنى أن يعود إلى الدنيا، (**وذلك كإحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره**) فإنه ما دام في سكره لا يحس بشيء من الآلام، فإذا أمن أو أفاق أحس (**بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف، ونعوذ بالله من فضيحة يوم كشف الغطاء**) إذ لا ينفع فيه الندم ولا التحسر وفي ذلك قيل:

فحتام لا تصحو وقد قرب المدى ... وحتام لا ينجاب من قلبك السّكرُ
بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا ... وتذكر قولي حين لا ينفع الذكرُ

فإذا كشف الغطاء، وبرح الخفاء، وبليت السرائر، وبدت الضمائر، وبعث ما في القبور، وحصل ما في الصدور، فحينئذ يكون الجهل ظلمة على الجاهلين، والعلم حسرة على البطالين، (**فإن**) كما روي من قول علي رضي الله عنه على ما حققه السخاوي في المقاصد (**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**) أي أحسوا بما كانوا فيه، وقد عزا الشيخ هذا القول إلى النبيّ ﷺ في آخر الكتاب، وتبعه على ذلك عبد الوهاب بن محمود المراغي مختصر الكتاب ولم يعرج عليه العراقي،

الحسن رحمه الله: يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء.
وقال ابن مسعود رضي الله عنه: عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته،

وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى **(وقال)** أبو سعيد **(الحسن)** بن يسار البصري مولى زيد بن ثابت، وقيل: مولى حمل بن قطبة، وأبوه يسار من سبي ميسان أعتقته بنت النضر. ولد الحسن زمن عمر، وسمع عثمان، وشهد الدار ابن إحدى عشرة سنة. وروى عن عمران بن حصين، وأبي موسى، وابن عباس، وجندب، وعنه ابن عون ويونس. كان كبير الشأن، رفيع الذكر، رأساً في العلم مات في رجب سنة ١١٠ **(يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء)** قد روي ذلك مرفوعاً، عن أبي الدرداء كما تقدم ذكره في الحديث العاشر. وأخرجه الشيرازي في الألقاب من حديث أنس مرفوعاً، فلعل الحسن سمعه من أنس، وقد اختلف في تفضيل مداد العلماء على دم الشهداء وعكسه، فذكر لكل قول وجوه من التراجيح والأدلة، ونفس هذا النزاع دليل على تفضيل العلم ومرتبته، فإن الحاكم في هذه المسألة هو العلم فيه وإليه، وعنده يقع التحاكم والتخاصم والمفضل منهما من حكم له بالفضل.

فإن قيل: فكيف يقبل حكمه لنفسه؟ قيل: وهذا أيضاً دليل على تفضيله وعلوّ مرتبته وشرفه، فإن الحاكم إنما لم يسغ أن يحكم لنفسه لأجل مظنة التهمة. وأما العلم فلا يلحقه تهمة في حكمه لنفسه، فإذا حكم حكم بما تشهد العقول والنظر بصحته وتتلقاه بالقبول ويستحيل حكمه لتهمة، فإنه إذا حكم بها انعزل عن مرتبته وانحط عن درجته، فهو الشاهد المزكي العدل والحاكم الذي لا يجور ولا يعزل.

فإن قيل: فماذا حكمه في هذه المسألة التي ذكرتموها؟ قيل: الذي يفصل النزاع ويعيد المسألة إلى مواقع الاجماع.

الكـلام في أنواع مراتب الكمال وذكر الأفضل منها، والنظر في أي هذين الأمرين أولى به وأقرب إليه؛ فهذه الأصول الثلاثة تبين الصواب ويقع بها فصل الخطاب، فأما مراتب الكمال فأربع: النبوّة والصديقية والشهادة والولاية، كما هي في الآية هكذا على هذا الترتيب، فأعلى هذه النبوّة والرسالة، ويليها الصديقية فالصديقون أئمة اتباع الرسل ودرجتهم أعلى بعد النبوّة، فإن جرى قلم العالم بالصديقية وسال مداده بها كان أفضل من دم الشهيد الذي لم يلحقه في رتبة الصديقية، وإن سال دم الشهيد وقطر عليها كان أفضل من دم العالم الذي قصر عنها فأفضلها صديقها، فإن استويا في الصديقية استويا في المرتبة والله أعلم. والصديقية في كمال الإيمان بما جاء به الرسول علمـاً وتصديقاً وقياماً به، فهي راجعة إلى نفس العلم، فكل من كان أعلم بما جاء به الرسول ﷺ وأكمل تصديقاً له كان أتم صديقية، والصديقية شجرة أصولها العلم وفروعها التصديق وثمرتها العمل، فهذه كلمات جامعة في مسألة العالم والشهيد وأيها أفضل والله أعلم.

(وقال) أبو عبد الرحمن عبد الله **(ابن مسعود)** الهذلي حليف بني زهرة أحد السابقين الأوّلين من الصحابة. روى عنه علقمة، والأسود، وزر بن حبيش توفي سنة اثنين وثلاثين من

فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماً علماً يرون من كرامتهم، فإن أحداً لم يولد عالماً، وإنما العلم بالتعلم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليّ من إحيائها، كذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأحمد بن حنبل رحمه الله. وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿ربنا آتِنا في الدنيا

الهجرة. (**عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه بهلاك رواته**). وفي رواية ورفعه هلاك العلماء، (**فوالذي نفسي بيده ليودّن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وإن أحداً لم يولد عالماً**) من بطن أمه، (**وإنما العلم بالتعلم**) هكذا أورده بتمامه ابن القيم وغيره.

وأخرج اللالكائي في السنّة من رواية أيوب عن أبي قلابة، عن ابن مسعود قال: عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله، أو قال أصحابه، قال: وعليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقد أو يفتقر إلى ما عنده. الحديث. وعند البيهقي في المدخل من طريق علي بن الأقمر، والعسكري من حديث أبي الزعراء كلاهما عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال: إن الرجل لا يولد عالماً وإنما العلم بالتعلم. وفي كتاب العلم من صحيح البخاري. من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم، قال الحافظ في مقدمة الفتح رواه ابن أبي عاصم في كتاب العلم من حديث معاوية هاتين الجملتين اهـ أي مرفوعاً.

وقال في الفتح، ورواه الطبراني كذلك من طريقه بلفظ: يا أيها الناس تعلموا إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين واسناده حسن. قال القسطلاني: ورواه أبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي الدراء مرفوعاً: إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه اهـ.

قلت: وأخرجه الطبراني في الأوسط، والخطيب عن أبي الدرداء بزيادة: ومن يتّق الشر يوقه. ثلاث من كنّ فيه لم ينل الدرجات العلى، ولا أقول لكم الجنة من تكهن أو استقسم أورده من سفره تطير.

(**وقال ابن عباس تذاكر العلم**) أي مذاكرته مع نفسه ليرسخ في ذهنه أو مع غيره بقصد الفائدة له أو لصاخبه أولهما (**بعض ليلة أحب إليّ من احيائها**) كلها بالصلاة ونحوها لتعدي النفع في المذاكرة. قال ابن القيم: وفي مسائل اسحاق بن منصور قلت لأحمد بن حنبل: قوله تذاكر العلم بعض ليلة إلخ، أي علم أراد؟ قال: هو العلم الذي ينتفع به الناس في أمر دينهم. قلت: في الوضوء والصلاة والصوم والحج والطلاق ونحوها؟ قال: نعم. وقال لي إسحاق بن راهويه هو كما قال أحمد اهـ. (**وكذا روي عن أبي هريرة رضي الله عنه**) لأن أجلس ساعة فأتفقه في ديني أحب إليّ من أن أُحيي ليلة إلى الصباح. وهذا قد أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية يزيد بن عياض، عن صفوان بن سليم، عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة كما مرّ في الحديث الحادي والعشرين، (**وأحمد بن حنبل**) واسحاق بن راهويه وغيرهم من العلماء، فإنهم

حسنةً وفي الآخرة حسنة﴾ [البقرة : ٢٠١] إن الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة ، وفي الآخرة هي الجنة . وقيل لبعض الحكماء : أي الأشياء تقتني ؟ قال : الأشياء التي إذا غرقت سفينتك سبحت معك ، يعني العلم . وقيل : أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت ، وقال بعضهم : من اتخذ الحكمة لجاماً اتخذه الناس إماماً ، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار .

نبهوا على ذلك في أقاويلهم، فمن ذلك ما أورده صاحب القوت، عن وهب بن منبه: مجلس يتنازع فيه العلم أحب إليَّ من قدره صلاة، لعل أحدهم يسمع الكلمة فينتفع بها السنة أو ما بقي من عمره. **(وقال الحسن)** البصري **(في)** تفسير **(قوله تعالى: ربنا آتِنا في الدنيا حسنة)** قال: **(هي العلم والعبادة)** أي العمل بما علم **(وفي الآخرة حسنة)** قال: **(هي الجنة)** قال الراغب، والسمين: الحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادها وهما من الألفاظ المشتركة تفسر في كل موضع ما يليق به، والحسنة إن كانت اسماً يستعمل في الأعيان والأحداث، فلو صارت وصفاً فالمتعارف أنها في الاحداث اهـ. وإنما سمي العلم المقرون بالعبادة حسنة لأنه يبهج صاحبه ويرغب فيه ومن ذلك يفسرها بالجنة أيضاً. وقال غير الحسن: المراد بالحسنة في الموضعين النعمة والخصب. **(قيل لبعض العلماء: أي الأشياء تقتني)** أي تحفظ وتدخر وتضن بها. **(قال: الأشياء الذي إذا غرقت سفينتك)** في البحر **(سبحت معك)** أي عامت وسلمت من الغرق **(يعني العلم)** وكونه محفوظاً في الصدور والأذهان، ومن كان علمه من كتابه ربما غرق مع السفينة، ومن هنا قالوا: العلم ما دخل معك في الحمام.

ويحكى عن بعض العلماء أنه ركب مع تجار في المركب فانكسرت بهم السفينة، فأصبحوا بعد عز الغنى في ذل الفقر، ووصل العالم إلى البلد فأكرم وقصد بأنواع التحف والكرامات، فلما أرادوا الرجوع إلى بلدهم قالوا: هل لك إلى قومك كتاب أو حاجة؟ قال: نعم تقولون لهم إذا اتخذتم مالاً فاتخذوا مالاً لا يغرق إذا انكسرت السفينة. **(وقيل: أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت)** أي: ذكر السفينة كناية عن جسمه، والموت كناية عن الغرق في البحر، فإذا عرض به عارض الموت بقي علمه حياً إلى يوم القيامة. **(و)** ذكر ابن الأثير في النهاية أن الحكمة مأخوذة من الحكمة محركة وهي الحديدة التي في فم الدابة المركوبة بها يحكم راكبها أمرها، ومن هنا قال بعضهم: **(من اتخذ الحكمة لجاماً اتخذه الناس إماماً)** نقله النعماني في شرح البخاري، وفي طبقات ابن السبكي في ترجمة أبي الحسن الأشعري دخل رجل على الجبائي فقال له: هل يجوز أن يسمى الله تعالى عاقلاً؟ فقال الجبائي: لا لأن العقل مشتق من العقال وهو المانع، والمنع في حق الله محال فامتنع الاطلاق. قال الشيخ أبو الحسن: فقلت له فعلى قياسك لا يسمى الله تعالى حكيماً لأن هذا الوصف مشتق من حكمة اللجام وهي الحديدة المانعة للدابة عن الخروج ويشهد لذلك قول حسان:

فنحكم بالقوافي من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء

أي نمنع بالقوافي من هجانا، فإذا كان اللفظ مشتقاً من المنع، والمنع على الله محال لزمك أن

وقال الشافعي رحمة الله عليه: من شرف العلم ان كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح، ومن رفع عنه حزن. وقال عمر رضي الله عنه: يا أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه رداء يحبه، فمن طلب باباً من العلم رداه الله عز وجل بردائه، فإن أذنب ذنباً استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك، وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت. وقال الأحنف رحمه الله: كاد العلماء أن يكونوا أرباباً وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره. وقال سالم بن أبي الجعد: اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني، فقلت: بأي شيء احترف؟ فاحترفت بالعلم، فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائراً فلم آذن

تمنع اطلاق حكيم عليه سبحانه وتعالى. قال: فلم يجد جواباً. **(ومن عرف بالحكمة)** في القول والعمل **(لاحظته العيون بالوقار)** أي الهيبة والتعظيم. **(وقال الشافعي)** فيما روى عنه بإسناد حسن **(من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح)** لاتصافه بما يتميز به عن غيره، **(ومن دفع عنه)** بجهل أو نسيان **(حزن. وقال)** أمير المؤمنين **(عمر)** ابن الخطاب العدوي القرشي **(رضي الله عنه)** فيما رواه الإسماعيلي والذهبي في مناقبه: **(أيا الناس عليكم بالعلم)** أي الإشتغال بطلبه **(فإن لله سبحانه رداء يحبه)** الرداء كالكساء مما يتردى به الإنسان **(فمن طلب باباً من)** أبواب **(العلم)** بإخلاص نيته **(رداه الله عز وجل بردائه)** ذلك أي كساه به **(فإن أذنب ذنباً استعتبه)** أي طلب رجوعه إليه واستقالته. ومنه الحديث ولك العتبى حتى ترضى **(وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت)** هذا من شرف العلم وبركته. هكذا في سائر النسخ، والذي في المفتاح لابن القيم استعتبه لئلا يسلبه رداءه حتى يموت به. قال: واستعتاب الله عبده أن يطلب منه أن يعتبه أي يزيل عتبه عليه بالتوبة والإستغفار والأنابة، فإذا أناب إليه رفع عنه عتبه فيكون قد أعتب ربه. أي: أزال عتبه عنه، والرب تعالى قد استعتبه أي طلب منه أن يعتبه. **(وقال)** أبو بحر **(الأحنف)** ابن قيس بن معاوية التميمي الغبري من العلماء الإجلاء. قيل: اسمه صخر، والأحنف لقب له. وقيل: اسمه الضحاك وبه جزم الحافظ ابن حجر ولد في عهده ﷺ ولم يدركه. **(كاد العلماء أن يكونوا أرباباً)** أي ملوكاً وسادات لكثرة ما يخضع لهم وينقاد إلى أوامرهم، كقولهم: كاد العروس أن يكون سلطاناً **(وكل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل مصيره)** أي مرجعه ومآله. **(وقال سالم ابن أبي الجعد)** الأشجعي. مولاهم الكوفي من كبار التابعين روى عن عمر وعائشة وهو مرسل، وله حديث واحد في الصحيحين عن أنس، وروى أيضاً عن ابن عمر، وابن عباس، وعنه الأعمش، وابن منصور توفي سنة مائة وهو ثقة. **(اشتراني مولاي)** من بني أشجع **(بثلاثمائة درهم وأعتقني فقلت)** في نفسي **(بأي حرفة أحترف)** أشتغل. **(فاحترفت بالعلم)** واشتغلت به في تحصيله **(فما تمت لي سنة)** واحدة **(حتى أتاني أمير المدينة)** أي حافظها ومالكها. وفي نسخة أمير بالراء **(زائراً)** فاستأذن في الدخول عليّ **(فلم آذن له)**. وهذا الهدهد مع حقارته أجاب سيدنا سليمان عليه السلام مع علو رتبته بصولة العلم بقوله: ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ [النمل: ٢٢] غير

له. وقال الزبير بن أبي بكر: كتب إليَّ أبي بالعراق عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالاً. وحكى ذلك في وصايا لقمان لابنه قال: يا بُني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء. وقال بعض الحكماء: إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء أوالطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره. وقال الزهري رحمه الله: العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال.

مكترث بتهديده (**وقال**) أبو عبدالله (**الزبير بن أبي بكر**) ويعرف ببكار الزبيري قاضي مكة ولد سنة ١٧٢. سمع عن ابن عيينة وأبي ضمرة، وعنه ابن ماجه والمحاملي صدوق اخباري علامة توفي سنة ٢٥٦ (**كتب إلى أبي**) هو أبو بكر بن عبد الله بن الزبير روى عن جديه الزبير وأسماء وعنه عثمان بن أبي حكيم، وابن أبي خيرة أخرج حديثه ابن ماجه (**بالعراق**) أي حالة كونه به (**عليك بالعلم فإنك ان كنت فقيراً كان**) العلم (**لك مالاً**) أي تحصل به المال، (**وإن استغنيت**) وكنت عالماً (**كان لك جمالاً**) وزينة وبهجة، فإن العلم للعلماء كالحلي للناهد، وقد روى مثل ذلك في فضل حسن الخط وليس اسناده بمستقيم. (**وحكى ذلك في وصايا لقمان لابنه**) وهو الذي أثنى الله تعالى عليه في كتابه اختلف في نبوته. قيل: كان حكيماً، وقيل كان رجلاً صالحاً وكان خياطاً أو نجاراً أو راعياً وقيل، حبشياً، وقيل: نوبياً كل ذلك نقله الزجاج (**وقال**) أيضاً: كما في الموطأ قال لقمان لابنه: (**يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك**) إشارة إلى شدة القرب وعدم الحياء في التعلم، فإنه إذا تأخر عن مجالسهم ولم يقربهم لم يستفد، وانظر إلى حديث جبريل عليه السلام وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، وهكذا شأن المتعلمين (**فإن الله يُحيي القلوب بنور الحكمة**) بعد أن ماتت بظلمات الجهل (**كما يحي الأرض**) الجدبة (**بوابل المطر**) فشبه القلب بالأرض الجدبة التي لا نبات بها بجامع عدم الإنتفاع، وشبه الحكمة بالمطر الغزير بجامع الإنتفاع، والارض إنما تحتاج إلى المطر في بعض الأوقات، فإذا تتابع عليها احتاجت إلى انقطاعه، وأما العلم فيحتاج إليه القلب بعدد الانفاس ولا يزيده كثرته إلا صلاحاً ونفعاً. (**وقال بعض الحكماء: إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء**) شاهده ما أخرجه ابن النجار عن أنس، ويستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة، وقد تقدم شرحه في الحديث الثاني، والسر في ذلك لأن العلماء هم الذين يعلمون الناس أحكام الصيد والذبائح والإحسان في الذبح والقتل وما يحل من الصيدوما لا يحل ونهي الجهلة العوام عن قتل ما لا يؤذي وعن صيد ما لا ينتفع به واشباه ذلك، وهناك وجه آخر سيأتي قريباً (**ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره**) شاهده كلام علي رضي الله عنه في أول هذا الباب: العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة. (**وقال**) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله ابن عبدالله بن شهاب (**الزهري**) : روى عن ابن عمر، وسهل، وابن المسيب، وحديثه عن أبي

★ (فضيلة التعلم) ★

(أما الآيات) فقوله تعالى: ﴿ فلولا نَفَرَ مِنْ كلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّينِ ﴾

هريرة في الترمذي، وعن رافع بن خديج في النسائي، وعنه يونس ومعمر ومالك. توفي سنة ١٢٤ في رمضان. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح، حدثنا السري بن عاصم، حدثنا سفيان قال: سمعت الزهري يقول: **(العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال)**. ونص الحلية: العلم ذكر لا يحبه إلا الذكور من الرجال أي أقوياء الرجال.

وأخرجه الخطيب في كتابه أشرفية أصحاب الحديث من طريق محمد بن يونس قال: حدثنا محمد بن عبيدالله العتبي، حدثنا سعيد الخصاف عن الزهري فساقه وزاد: ولا يزهد فيه إلا إناثها والباقي سواء، ومعنى قوله ذكر أي عظيم. ومنه الحديث: القرآن ذكر فذكروه أي عظموه، ويعبر بالذكر أيضاً عن القوي الجلد. وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا عبدالله ابن أبي داود، حدثنا سليمان بن سعيد، حدثنا سعيد بن عامر، عن أبي بكر الهذلي قال، قال الزهري: يا هذلي أيعجبك الحديث؟ قلت: نعم. قال: إنما يعجبه مذكر الرجال ويكرهه مؤنثوهم. وأخرجه الخطيب في كتاب شرف أهل الحديث من طريق بكر بن سلام أبي الهيثم حدثني أبو بكر الهذلي فساقه، وفيه: أما أنه يعجب ذكور الرجال والباقي سواء، وأنشد للعباس بن محمد الخراساني تغمده الله برحمته:

لا يطلب العلم إلا باذل ذكر   وليس يبغضه إلا المخانيث

ورويناه أيضاً في كتاب المجالسة للدينوري قال: حدثنا عبدالله بن مسلم بن قتيبة، حدثنا الرقاش، عن أبي يعقوب الخطابي، عن عمه قال، قال الزهري: الحديث ذكر يحبه ذكور الرجال ويكرهه مؤنثوهم، ورأيت في حواشي الزركشي على علوم ابن الصلاح إن بعض الناس ضبط في قول الزهري ذكر بالكسر وهو خطأ

في فضيلة التعلم:

استدل فيها بآيتين من كتاب الله عز وجل فقال:

(أما الآيات): فإنها في كتاب الله تعالى كثيرة مما يدل على فضيلته، ولكن وقع الإقتصار منها على آيتين لاشتمالها على المقصود الأعظم.

الأولى: (قوله تعالى) ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة (ليتفقهوا في الدين) ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ [التوبة: ١٢٢] أي ليتعلموا الفقه في الدين ندب الله تعالى المؤمنين إلى التفقه في الدين وهو تعلمه وانذار قومهم إذا رجعوا إليهم وهو التعليم، وسيأتي الكلام على هذه الآية في فضيلة التعليم، فإن الشيخ رحمه الله لما رأى الآية متضمنة على الفضيلتين أوردها في موضعين استدلالاً على مطلوبه.

[التوبة : ١٢٢] ، وقوله عز وجل : ﴿ فاسئلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣] (وأما الأخبار) فقوله ﷺ : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طـريقـاً إلى

والثانية: (قوله تعالى) (فاسئلوا أهل الذكر) أي تعلموا منهم ولا يكون التعليم إلا بالسؤال **(إن كنتم لا تعملون)**. والمراد بأهل الذكر أهل العلم من كل أمة وقيل: أهل القرآن، وقيل: أهل الكتب القديمة. أي ممن آمن منهم قاله السمين، ثم إن التعلم هو تنبيه النفس لتصور المعاني، كما أن التعليم تنبيهها لتصويرها وقد تقدم بيان ذلك.

(وأما الأخبار) الدالة على فضيلة التعلم فهي كثيرة اقتصر منها الشيخ رضي الله عنه على عشرة أحاديث ما بين صحاح وحسان وضعاف وموضوعة على قول فالأول حسن أو صحيح، والثاني صحيح، والثامن موضوع، والباقي ضعاف كما سيأتي بيان ذلك تفصيلاً.

أما الحديث الأول: **(فقوله عليه)** الصلاة **و(السلام: « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة »)** قال العراقي ورد من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة. أما حديث أبي الدرداء فرواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه في أثناء حديث، وقد تقدم في الحديث الثاني من هذا الباب وهذا لفظ الترمذي إلا أنه قال: يبتغي به بدل يطلب فيه، وتقدم لفظ أبي داود، وقال ابن ماجه: يلتمس بدل يطلب، وقال سهل الله له. وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم وابن ماجه من رواية أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رفعه بلفظه إلا أن مسلماً قال: سهل الله له، وقال ابن ماجه به، وقال أيضاً يلتمس بدل يطلب اهـ.

قلت: وعزا الجلال في ذيله على الجامع إلى الإمام أحمد والأربعة وابن حبان كلهم عن أبي الدرداء بلفظ: يطلب فيها علماً سهل الله له طريقاً من طرق الجنة. ونص الترمذي في جامعه، حدثنا محمود بن خداش، عن محمد بن يزيد الواسطي، عن عاصم بن رجاء أبي حيوة، عن قيس ابن كثير، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » ثم ساق جملاً مضى ذكر بعضها في أحاديث فضل العلم ويأتي بعضها، ثم قال: كذا حدثنا محمود، وإنما يروى هذا الحديث، عن عاصم، عن داود بن جميل، عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء، وهذا أصح من حديث محمود، ولا يعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم. وفي العلل للدارقطني رواه الأوزاعي عن كثير بن قيس، عن يزيد بن سمرة وغيره من أهل العلم عن كثير بن قيس قال: وعاصم بن رجاء ومن فوقه إلى أبي الدرداء ضعفاء. وقال البزار: داود بن جميل، وكثير بن قيس لا يعلمان في غير هذا الحديث، ولا نعلم روى عن كثير غير داود والوليد بن مرة، ولا نعلم روى عن داود غير عاصم. قال ابن القطان: اضطرب فيه عاصم، فعنه في ذلك ثلاثة أقوال: **أحدها :** قول عبدالله بن داود، عن عاصم، عن واقد، عن كثير بن قيس. **والثاني:** قول أبي نعيم، عن عاصم، عمن حدثه، عن كثير. **والثالث:** قول محمد بن يزيد الواسطي، عن عاصم، عن كثير ولم يذكر بينهما أحداً، والمتحصل من علة هذا الخبر هو

الجنة ». وقال ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ». وقال

الجهل بحال راويين من رواته، والإضطراب فيه ممن لم تثبت عدالته اهـ. وقد مرّ عند الترمذي في رواية محمود بن خداش، عن محمد بن يزيد فسماه قيس بن كثير فصار اضطراباً رابعاً، والخامس قال في التهذيب داود بن جميل، وقال بعضهم: الوليد بن جميل، وفي جامع العلم لابن عبد البر من رواية ابن عياش عن عاصم بن جميل بن قيس، ثم قال: قال حمزة بن محمد: كذا قال ابن عياش في هذا الخبر جميل بن قيس، وقال محمد بن يزيد وغيره عن عاصم عن كثير بن قيس قال: والقلب إلى ما قاله محمد بن يزيد أميل، وهذا اضطراب سادس وسابع وثامن ذكره ابن قانع في المعجم، وزعم أن كثير بن قيس صحابي وإنه هو الراوي عن النبي ﷺ، وتبعه ابن الأثير على هذا، وقول ابن القطان لا يعرف كثير في غير هذا الحديث يرده قول ابن عبد البر. روي عن أبي الدرداء وعبدالله بن عمر ومع ذلك، فقد قال ابن عبد البر، قال حمزة وهو حديث حسن غريب، والتزم الحاكم صحته، وكذا ابن حبان رواه عن محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا عبد الأعلى ابن حماد، حدثنا عبدالله بن داود فذكره بطوله. وقال الترمذي بعد إخراجه للجملة الأولى من الحديث، عن أبي هريرة حسن. قال القسطلاني: وإنما لم يقل صحيح لتدليس الأعمش، لكن في رواية مسلم عن الأعمش، حدثنا أبو صالح فانتفت تهمة تدليسه اهـ. وقال الحاكم في المستدرك: فهو صحيح على شرطهما رواه عن الأعمش جماعة منهم زائدة وأبو معاوية وابن نهى اهـ. وأورده البخاري في أول صحيحه ولفظه: « سهل الله له طريقاً إلى الجنة » والباقي مثل سياق مسلم، والحديث محفوظ وله أصل، وقد تظاهر الشرع والعقل على أن الجزاء من جنس العمل فكلما سلك طريقاً يطلب فيه حياة قلبه ونجاته من الهلاك سلك الله به طريقاً يحصل له ذلك. وروى ابن عدي من حديث محمد بن عبد الملك الأنصاري، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة مرفوعاً: « أوحي إليَّ أنه من سلك مسلكاً يطلب العلم سهلت له طريقاً إلى الجنة ». قال العيني وابن حجر. وإنما لم يفصح البخاري بكونها تعليقاً للعلل التي ذكرت، وقال المناوي في شرح الحديث طريقاً أي حسية أو معنوية وعلماً نكره ليعم كل علم شرعي وآلته، ومعنى تسهيل الطريق في الدنيا أن يوفقه للعمل الصالح، وفي الآخرة بأن يسلك به طريقاً لا صعوبة فيها ولا هول إلى أن يدخله الجنة سالماً.

الحديث الثاني: **(وقال ﷺ : إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب)** وفي نسخة: « بما يصنع » الأجنحة جمع جناح بالفتح وهو للطائر بمنزلة اليد للإنسان ووضع أجنحتها عبارة عن حضورها مجلسه وتوقيره وتعظيمه أو إعانته على بلوغ مقاصده، أو قيامهم في كيد أعدائه وكفايته شرهم، أو عن تواضعها ودعائها له. يقال للرجل المتواضع خافض الجناح. قال السيد السمهودي: والأقرب كونه بمعنى ما ينظم هذه المعاني كلها كما يرشد إليه الجمع بين ألفاظ الروايات وروى النووي في بستانه بسنده إلى زكريا الساجي: كنا نمشي في أزقة البصرة إلى بعض المحدثين فأسرعنا المشي ومعنا رجل فاجر فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا

....

تكسروها كالمستهزىء فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط، وروى محمد بن طاهر المقدسي بسنده إلى الإمام أبي داود قال: كان في أصحاب الحديث خليع سمع بحديث أن الملائكة لتضع الخ فجعل في نعله مسامير حديد وقال: أريد أن أطأ أجنحة الملائكة فأصابته الأكلة في رجله. وفي رواية فشلت يداه ورجلاه وسائر أعضائه. قال العراقي أخرجه أحمد، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال، وهذا اللفظ لأحمد. وفي رواية له: ما من خارج يخرج من بيته إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع وهو لفظ ابن ماجه، وقال الحاكم: يضع. وأخرجه الثلاثة وابن حبان من حديث أبي الدرداء وقالوا: رضا لطالب العلم ليس فيه بما يضع، وأخرجه الذهبي في كتاب العلم من رواية زياد بن ميمون عن أنس بمثله اهـ.

قلت: أما حديث أنس فقد أخرجه ابن عساكر، والطيالسي، والبزار، والديلمي ولفظهم: « طالب العلم تبسط له الملائكة أجنحتها رضا بما يطلب ». وأما حديث أبي الدرداء فقد أخرجه الإمام أحمد أيضاً، وابن ماجه. وأما حديث صفوان فأخرجه الطيالسي أيضاً ولفظه « بما يطلب » كما للمصنف.

وقرأت في إصلاح المستدرك للحافظ العراقي بخطه، وقد ساق هذا الحديث من طريق الإمام أحمد، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا عمر، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش أتيت صفوان بن عسال المرادي فقال: ما جاء بك؟ قال: فقلت جئت لأطلب العلم قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من خارج يخرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع » ثم قال: وأخرجه الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الرزاق مثله، وهو حديث صحيح أخرجه ابن ماجه، عن محمد بن يحيى، عن عبد الرزاق مقتصراً على المرفوع منه دون سؤال صفوان لزر عما جاء به وجوابه. ورواه ابن حبان في صحيحه في ثلاثة أنواع، عن ابن خزيمة، عن محمد بن يحيى. ومحمد بن رافع، عن عبد الرزاق. وقال في نوع منها وأخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة بخبر غريب، ورواه الحاكم عن محمد بن يعقوب الأصم عن محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، عن ابن وهب، عن معاوية بن صالح، عن عبد الوهاب بن بخت، عن زر، عن صفوان قوله: غير مرفوع وزاد في آخره « حتى يرجع » وقال: هذا إسناد صحيح، فإن عبد الوهاب ابن بخت من ثقات المصريين وإثباتهم، وقد احتجا به ولم يخرجا هذا الحديث قال: ومدار هذا الحديث على عاصم عن زر، وله عن زر شهود ثقات غير عاصم منهم المنهال بن عمرو وقد اتفقا عليه، ثم رواه من رواية عارم، عن الصعق بن حزن، عن علي بن الحكم، عن المنهال بن عمرو، عن زر بن حبيش قال: جاء رجل من مراد يقال له صفوان بن عسال إلى رسول الله ﷺ فذكره مرفوعاً، لكنه مرسل كما سيذكره بعد، ثم قال الحاكم، وقد خالفه شيبان بن فروخ فقال: حدثنا الصعق بن حزن، حدثنا علي بن الحكم البناني، عن المنهال بن عمرو، عن زر بن حبيش، عن عبدالله بن مسعود قال: حديث صفوان بن عسال المرادي قال: أتيت رسول الله

ﷺ : « لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة » . وقال ﷺ :

ﷺ وهو في قبة من أدم أحمر فقلت يا رسول الله: إني جئت أطلب العلم، فقال: « مرحباً بطالب العلم إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضها بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب » . قال: هذا حديث رجاله محتج بهم في الصحيح، إلا أن ذكر ابن مسعود فيه نوع من المزيد في متصل الأسانيد، وقال: وقد صرح زر بسماعه له من صفوان، ويحتمل أنه سمعه من ابن مسعود عن صفوان، ثم سمعه من صفوان، ثم قال الحاكم: وقد أوقف هذا الحديث جماعة منهم أبو خباب الكلبي، عن طلحة بن مصرف، عن زر، ثم رواه من رواية الحسن بن صالح عن أبي خباب موقوفاً على صفوان، والذي أسنده أحفظ والزيادة منهم مقبولة، وهذا حديث صحيح، وقد أورد العراقي على الحاكم في هذا السياق ثمان مؤاخذات تركتها خوف الإطالة، والله أعلم.

الحديث الثالث: **(وقال ﷺ : « لأن تغدو فتتعلم باباً من العلم)** أي نوعاً منه، وفي بعض الروايات باباً من الخير **(خير من أن تصلي مائة ركعة »)** . وفي بعض النسخ مائتا ركعة. قال العراقي: رواه ابن عبد البر من رواية علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ : فذكره. وابن جدعان ضعيف، والحديث عند ابن ماجه من هذا الوجه إلا أنه قال: ألف ركعة وزاد فيه عمل به أو لم يعمل به وزاد في أوله: « لئن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة » وإسناد ابن ماجه منقطع فإنه عنده من رواية عبدالله بن غالب العباداني، عن عبدالله بن زياد البحراني هكذا معنعناً، وفي رواية ابن عبد البر عبدالله بن غالب العباداني قال: حدثنا خلف بن أعين، عن عبدالله بن زياد فزاد فيه رجلاً اهـ.

قلت: قال ابن القيم: أخرجه ابن عبد البر، عن معاذ مرفوعاً ولا يثبت رفعه. هكذا قاله عن معاذ ولعله سهو من قلم الناسخ.

وأما حديث ابن ماجه الطويل، فأخرجه الحاكم أيضاً في تاريخه، ويأتي بطوله في الحديث التاسع إن شاء الله تعالى. وروى الطبراني في الأوسط من رواية ابن جدعان، عن ابن المسيب، عن أبي ذر مرفوعاً « باب من العلم يتعلمه أحدكم خير له من مائة ركعة يصليها تطوعاً » .

وروى المخلص في فوائده، عن ابن صاعد، حدثنا القاسم بن الفضل، حدثنا حجاج بن نصير، حدثنا هلال بن عبد الرحمن، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أبي هريرة وأبي ذر أنهما قالا: « باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً، وباب من العلم نتعلمه عمل به أو لم يعمل أحب إلينا من مائة ركعة تطوّعاً » وقالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: « إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً » ورواه ابن أبي داود، عن شاذان، عن حجاج به. وروى الخطيب عن أبي هريرة قال: « لإن أعلم باباً من العلم في أمر أو نهي أحب إلي من سبعين غزوة في سبيل الله » .

« باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها ». وقال ﷺ: « اطلبوا العلم ولو بالصين »، وقال ﷺ: « طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ».

والحديث الرابع: **(وقال ﷺ: « باب من العلم يتعلمه الرجل خير اه من الدنيا وما فيها »)**. قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً، وهو معروف هكذا من قول الحسن البصري رويناه في أمالي أبي عبد الله بن منده، ورواه ابن عبد البر في العلم وابن حبان في روضة العقلاء موقوفاً عن الحسن اهـ. ويروى عن الحسن: لأن أتعلم باباً من العلم فأعلمه مسلماً أحب إليّ من أن يكون لي الدنيا كلها في سبيل الله.

الحديث الخامس[1]: **(وقال ﷺ: « طلب العلم فريضة على كل مسلم »)** أخرجه ابن عدي والبيهقي، عن أنس، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود، وفي الأوسط عن ابن عباس وفيه أيضاً وكذا البيهقي عن أبي سعيد، وتمام في فوائده عن ابن عمر، والخطيب في تاريخه عن علي.

قلت أما حديث أنس فأخرجه الخطيب في رحلته من رواية طريق بن سليمان، وأبو علي الحداد في معجم شيوخه من رواية هشام بن الصلت عن مسلم، وابن خسرو في مسنده من رواية أحمد بن الصلت، عن بشر بن الوليد، عن أبي يوسف، عن أبي حنيفة، وابن عدي في الكامل من رواية معاذ بن رفاعة، عن عبد الوهاب بن بخت، وابن ماجه في سننه من رواية محمد بن سيرين خمستهم عن أنس. وروينا في الكامل من رواية أحمد بن عبد الملك، عن نافع، عن ابن عمر، وعن محمد بن المنكدر، عن جابر، وفي مشيخة أبي علي بن شاذان من طريق حماد، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، وفي معجم شيوخ الحداد من رواية الشعبي، عن ابن عباس. قال البيهقي في الشعب: متنه مشهور واسناده ضعيف. وقد روي من أوجه كلها ضعيفة. وقال النووي في فتاويه: وهو حديث ضعيف، وإن كان معناه صحيحاً. وقال البزار: أسانيده واهية. وقال ابن القطان: لم يصح فيه شيء وأحسن ما فيه ضعيف وسكت عنه مغلطاي. وقال البدر الزركشي: روي عن عدة من الصحابة، وفي كل طرقه مقال، وأجودها طريق قتادة وثابت عن أنس، وطريق مجاهد عن ابن عمر، وقد أخرجه ابن ماجه في سننه عن كثير بن شنظير، عن ابن سيرين عن أنس وفيه زيادة: وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب. وكثير بن شنظير مختلف فيه فالحديث حسن. قال ابن عبد البر: روي من وجوه كلها معلولة، ثم روي عن إسحاق بن راهويه ما معناه أن في أسانيده مقالاً، ولكن معناه صحيح عندهم. وقال البزار: أحسن طرقه ما رواه إبراهيم بن سلام، عن حماد عن إبراهيم، عن أنس قال: ولا نعلم اسناد إبراهيم عن أنس سواه، وإبراهيم بن سلام لا نعلم روى عنه إلا أبو عاصم. وأخرج ابن الجوزي في منهاج العابدين من رواية أبي بكر بن أبي داود، حدثنا جعفر بن مسافر، حدثنا يحي بن حسان، عن سليمان بن قدم، عن ثابت، عن أنس فذكره، ثم قال ابن أبي داود، سمعت أبي يقول: ليس في طرقه أصح

---

(١) هذا الحديث ورد بعد الحديث السادس في الأصل.

....

من هذا. وقال السخاوي في المقاصد: أخرجه ابن ماجه، وابن عبد البر في بيان العلم له من حديث حفص بن سليمان، عن كثير بن شنظير، عن ابن سيرين، عن أنس مرفوعاً بتلك الزيادة. وحفص ضعيف جداً بل اتهمه بعضهم بالكذب والوضع، ولكن له شاهد عند ابن شاهين في الإفراد، ورويناه في ثاني الشهونيات من حديث موسى بن داود، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة عن أنس به. وقال ابن شاهين أنه غريب. قال السخاوي: ورجاله ثقات، بل يروى عن نحو عشرين تابعياً عن أنس كإبراهيم النخعي، وثابت، وإسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، وله عنه طرق، وحميد، والزبير بن خريت، وزياد بن ميمون بن عمار أو ابن عمار، وسلام الطويل، وطريق بن سليمان بن عاتكة، وقتادة، والمثنى بن دينار، والزهري، ومسلم الأعور كلهم عن أنس. ولفظ حميد: « طلب الفقه حتم واجب على كل مسلم » ولزياد: « والله يحب اغاثة اللهفان » ولأبي عاتكة في أوله « اطلبوا العلم ولو بالصين » وفي كل منها مقال، ولذا قال ابن عبد البر فساق ما أوردناه آنفاً ثم نقل عن البزار ما قدمنا ذكره، ثم قال: وهو عند البيهقي في الشعب، وابن عبد البر في العلم، وتمام في فوائده من طريق عبد القدوس بن حبيب الوحاظي، عن حماد، ثم ساق طريق ابن أبي داود الذي قدمناه قال: وكذا رواه ابن عبد البر من جهة جعفر، بل وفي الباب عن أبي دحابر، وحذيفة والحسين بن علي، وسهان وسمرة، وابن عباس، وابن عمر وابن مسعود، وعلي، ومعاوية بن حيوة، ونبيط بن شريط، وأبي أيوب، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وعائشة بنت قدامة وآخرين. وقال أبو علي الحافظ: أنه لم يصح عن النبي ﷺ، ثم ساق كلام ابن الجوزي في العلل، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: لا يثبت عندنا في هذا الباب شيء ثم نقل كلام ابن راهويه، وكلام القطان، وكلام البيهقي ثم قال: ومثل به ابن الصلاح للمشهور الذي ليس بصحيح، وتبع في ذلك أيضاً الحاكم، ولكن قال العراقي: قد صحح بعض الائمة طرقه اهـ كلام السخاوي.

وقال المزني: هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن، وقال السيوطي في التعليقة المنيفة: وعندي أنه بلغ رتبة الصحيح لأني رأيت له نحو خمسين طريقاً، وقد جمعتها في جزء، ونقل المناوي عنه قال: جمعت له خمسين طريقاً وحكمت بصحته لغيره، ولم أصحح حديثاً لم أسبق لتصحيحه سواه اهـ.

قلت: إن أراد السيوطي بأنه لكثرة طرقه ارتقى من الضعف إلى الصحة، فهذا منظور فيه لأن كثرة الطرق لا ترقي الحديث إذا كان فيها مقال، كما صرح به الحافظ وغيره، وتقدم ذلك في حديث: من حفظ على أمتي، وإن كان اعتمد على طريق قتادة وثابت، فالأمر سهل. قال السخاوي وقد ألحق بعض المصنفين في آخره ومسلمة وليس لها ذكر في شيء من طرقه وإن كانت صحيحة المعنى، والله أعلم.

الحديث السادس: (وقال ﷺ: « اطلبوا العلم ولو بالصين ») قال العراقي: أخرجه ابن

وقال عليه الصلاة والسلام: «العلم خزائن مفاتيحها السؤال، ألا فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل والعالم والمستمع والمحب لهم». وقال ﷺ: «لا ينبغي للجاهل أن

عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب والمدخل، وابن عبد البر في العلم من رواية أبي عاتكة عن أنس، وأبو عاتكة منكر الحديث. وقال البيهقي: هذا الحديث مشهور وأسانيده ضعيفة وأخرجه ابن عبد البر أيضاً من رواية الزهري، عن أنس وفي اسناده يعقوب بن إسحاق العسقلاني فقد كذبه البيهقي.

قلت: رواه من طريق عبيد بن محمد، عن ابن عيينة، عن الزهري قاله السخاوي اهـ.

وأخرجه ابن عدي أيضاً من رواية الفضل بن موسى، عن محمد بـن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رفعه، ثم قال: هذا من وضع الجويباري لابن كرام باطل بهذا الإسناد اهـ.

قلت: وحديث أنس أيضاً أخرجه الخطيب في الرحلة، والديلمي في مسند الفردوس، وزادا كالبيهقي وابن عبد البر بآخره: «فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم». وقال الحافظ في اللسان: وقد روي من طريق النخعي، سمعت أنساً وهو باطل أيضاً، فإن النخعي لم يسمع من أنس اهـ.

وقد روي هذا الحديث، عن أبي عاتكة ستة. محمد بن غالب التمتام، وجعفر بن هاشم، والحسن بن علي بن عباد، وأبو بكر الأعين، والعباس بن طالب، والحسن بن عطية. وقد خرج الخطيب هذا الحديث في رحلته من طرق هؤلاء، وكذا البيهقي، والديلمي، وابن عدي، والعقيلي وتمام، وقد ألفت في تخريجه والحديث الذي قبله جزأ لطيفاً أوردت فيه ما تيسر لي من الأسانيد.

الحديث السابع: (وقال ﷺ: «العلم خزائن) جمع خزينة **(ومفاتحها)** جمع مفتح ومفتاح كمنبر ومصباح. وفي بعض النسخ مفاتيحها بزيادة التحتية، وفي بعض الروايات ومفتاحها **(السؤال)**. قال الماوردي: حكي أن بعض الحكماء رأى شيخاً يحب النظر في العلم ويستحي من السؤال فقال: يا هذا تستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنت في أوّله. **(ألا فاسألوا)** وفي بعض النسخ فسلوا، وفي بعض الروايات هنا بزيادة يرحمكم الله **(فإنه يؤجر فيه أربعة)** من الأنفس **(السائل والعالم)**. وفي بعض الروايات والمعلم بدل العالم **(والمستمع والمحب لهم»)**. وفي بعض النسخ والمجيب لهم، والمراد بالسؤال سؤال تفهم لا تعنيت فذلك منهي عنه. قال العراقي: أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية داود بن سليمان الغازي، عن علي بن موسى، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال، قال رسول الله ﷺ: فذكره، ورواه الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقه من طريق الطبراني، عن عبدالله بن أحمد بن عامر، عن أبيه، عن علي بن موسى قال في الميزان: ما ينفك عن وضعه أو وضع أبيه، وأيضاً فداود الغازي كذبه ابن معين وله نسخة موضوعة عن أهل البيت، وهذا الحديث معروف من قول الزهري رواه عبد الغني بن سعيد في كتاب آداب الحديث والمحدث اهـ.

قلـت: وأخرجه العسكري في الأمثال بمثل رواية الحلية، وأورده صاحب القوت فقال: وفي

يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه». وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: «حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة»، فقيل: يا رسول الله: ومن قراءة القرآن؟ فقال ﷺ: وهل ينفع القرآن إلا بالعلم.

الخبر الذي رويناه من طريق أهل البيت وساقه وزاد في الميزان ان تلك النسخة الموضوعة رواها عن داود الغازي علي بن محمد بن مهرويه القزويني العدوي فيها هذا الحديث اهـ.

وأما عبدالله بن محمد بن عامر الطائي فقد ذكره ابن النجار في تاريخه في ترجمة علي الرضا، وذكر له جملة أحاديث رواها عنه بواسطة أبيه، وأما قوله: وهذا الحديث معروف من قول الزهري فقد أخرج أبو نعيم في الحلية من رواية ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال: «العلم خزائن وتفتحها المسائل». وأخرج أيضاً من رواية قتيبة بن سعيد، حدثنا رشدين بن سعد، عن ابن شهاب قال: مثله. وأخرج من رواية محمد بن إسحاق عن الزهري قال: كان يصطاد العلم بالمسألة كما يصطاد الوحش.

الحديث الثامن: (وقال ﷺ: « لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه ») هكذا أورده صاحب القوت فقال: وكذلك روينا عن رسول الله ﷺ: « لا ينبغي للجاهل أن يستقر على جهله ولا ينبغي للعالم أن يسكت عن علمه » وقد قال الله تعالى: ﴿فاسْألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [النحل: ٤٣] وقال العراقي رواه ابن السني وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين، وأبو بكر بن مردويه في تفسيره، وأبو الشيخ في كتاب الثواب من رواية محمد بن أبي حميد، عن ابن المنكدر، عن جابر بن عبدالله، عن رسول الله ﷺ فذكره. وقدم ذكر العالم وفي آخره: « فإن الله قال: فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ». ومحمد بن أبي حميد منكر الحديث قاله البخاري وغيره اهـ.

قلت: هو حماد بن أبي حميد إبراهيم الزرقي الأنصاري أبو إبراهيم المدني من رجال الترمذي وابن ماجه ضعيف، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط من هذا الطريق وسياقه كسياق الجماعة.

الحديث التاسع: (وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه) جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه رفعه: **(« حضور مجلس عالم افضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة، فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن؟ فقال: وهل ينفع القرآن إلا بالعلم »)** قال العراقي: هذا الحديث موضوع، وإنما أعرفه من حديث عمر لا من حديث أبي ذر كما ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، فقال: روى محمد بن علي بن عمر المذكر قال: حدثنا إسحاق بن الجعد، حدثنا أحمد بن عبدالله الهروي، حدثنا إسحاق بن نجيح، حدثنا هشام بن حسان، حدثنا محمد بن سيرين، حدثنا عبيدة السلماني، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وأنا شاهد فقال يا رسول الله: إذا حضرت جنازة وحضر مجلس

وقال عليه الصلاة والسلام: «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة».

عالم أيها أحب إليك أن أشهده؟ فقال: «إن كان للجنازة من يتبعها ويدفنها فإن حضور مجلس عالم أفضل من حضور ألف جنازة تشيعها، ومن حضور ألف مريض تعوده، ومن قيام ألف ليلة للصلاة، ومن ألف يوم تصومه، ومن ألف درهم تتصدق بها، ومن ألف حجة سوى الفرض، ومن ألف غزوة سوى الواجب تغزوها في سبيل الله بنفسك ومالك». الحديث. وفيه فقال رجل: قراءة؟ فقال: «ويحك وما قراءة القرآن بغير علم وما الحج بغير علم وما الجمعة بغير علم. أما علمت أن السنة تقضي على القرآن، والقرآن لا يقضي على السُّنَّة» قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، أما المذكر فقال أبو بكر الخطيب هو متروك، وأما الهروي فهو الجوبياري وهو الذي وضعه، وإسحاق بن نجيح قال أحمد أكذب الناس اهـ.

قلت: ونص ابن الجوزي بعد قوله: بنفسك ومالك. وأين تقع هذه المشاهد من مشهد عالم أما علمت ان الله يطاع بالعلم ويعبد بالعلم وخير الدنيا والآخرة في العلم وشر الدنيا والآخرة في الجهل، فقال رجل: الخ. وقد أقره على كونه موضوعاً الحافظ ابن حجر في اللسان، وقال: هذا من طامات الجوبياري، وتبعه الحافظ السيوطي في اللآلي المصنوعة، وقد وجدت لحديث أبي ذر طريقاً أخرى أخرجه ابن ماجة كما في الذيل للسيوطي، والحاكم في تاريخه كما في الجامع الكبير له في مسند أبي ذر ولفظه يا أبا ذر: «لأن تغدو في أن تتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، وان تغدو فتتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلي ألف ركعة تطوعاً» فيحتمل أن الشيخ أشار إلى هذا والله أعلم.

وأخرج الخطيب، وابن النجار في تاريخيهما، عن ابن عباس مرفوعاً: «من تعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به كان أفضل من صلاة ألف ركعة، فإن هو عمل به أو علمه كان له ثوابه وثواب من يعمل به إلى يوم القيامة».

الحديث العاشر: (وقال ﷺ: «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء درجة واحدة») قال العراقي: رواه أبو نعيم في فضل العالم العفيف، والهروي في ذم الكلام من رواية عمرو بن أبي كثير، عن أبي العلاء، عن الحسين بن علي رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من جاءه الموت» فذكره. وزاد فيه «فمات على ذلك» وفي رواية الهروي عمرو بن كثير. وهكذا رواه الدارمي في مسنده، إلا أنه قال عن الحسن ولم ينسبه، وأطلقه ابن السني في رياضة المتعلمين، وابن عبد البر في العلم وقال بعد ذلك: إنه من مراسيل الحسن فجعله للحسن البصري وهذا هو الظاهر، فقد ذكر ابن حبان أبا العلاء هذا في أتباع التابعين من الثقات وقال: إنه يروى عن الحسن، وإنه روى عنه ابن عيينة، وقد اختلف فيه على عمرو بن أبي كثير فقصره بعضهم على الحسن، وزاد بعضهم بعد الحسن ابن عباس وهو حديث مضطرب اهـ.

(وأما الآثار) فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ذللت طالباً فعززت مطلوباً،

قلت: ورواه يونس بن عبد الأعلى، عن ابن أبي فديك قال: حدثني عمرو بن كثير، عن أبي العلاء، عن الحسن مرسلاً هكذا. قال عمرو بن كثير: وأخرجه ابن عساكر عن الحسن مرسلاً، وأخرجه ابن النجار، عن الحسن، عن أنس إلاَّ أنهما قالا: يحيي به الإسلام لم تكن بينه وبين الانبياء إلا درجة في الجنة.

قال العراقي: ويروى أيضاً عن ابن عباس رواه ابن السني وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين من رواية عمرو بن كثير، عن أبي العلاء، عن الحسن، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاءه أجله وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام لم تفضله النبيون إلا بدرجة واحدة». وعمرو بن كثير لا أدري من هو، وقد اختلف عليه فيه كما تقدم. ورواه الازدي في الضعفاء، وأبو نعيم في كتاب فضل العالم العفيف، وابن عبد البر في العلم من رواية محمد بن الجعد، عن الزهري، وعلي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس، ومحمد بن الجعد ضعفه الازدي اهـ.

قلت: ومحمد بن كثير ذكره الذهبي في ذيل الديوان وقال: يروي عن أبي الزناد مجهول.

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن ابن عباس: «من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقي الله لم يكن بينه وبين النبيين الادرجة النبوّة». وأخرجه الخطيب من رواية سعيد بن المسيب، عن ابن عباس: «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام لم يفضله النبيون.

وقال العراقي: ويروى من حديث أبي الدرداء، رواه أبو نعيم في كتاب فضل العالم العفيف، من رواية عبدالله بن زياد، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي الدرداء قال، قال رسول الله ﷺ: «من طلب باباً من العلم ليحيي به الإسلام كان بينه وبين الانبياء درجة واحدة في الجنة» وابن جدعان مشهور بالضعف، وعبدالله بن زياد البحراني قال فيه الذهبي لا أدري من هو اهـ.

قلت: وقد أخرجه كذلك ابن النجار في تاريخه.

وقال العراقي: ويروى من حديث أنس. رواه سليم الرازي في الترغيب والترهيب ولفظه: «من طلب يعني العلم حتى يأتيه الموت لم يكن بينه وبين الأنبياء الادرجة واحدة» وإسناده ضعيف اهـ.

قلت تقدم ان ابن النجار أخرجه من رواية الحسين عن أنس، وقال ابن عبد البر: ومنهم من رواه، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، وعن أبي ذر، ومنهم من يرسله عن سعيد، وذكر أبو نعيم أنه يروى من حديث معاوية بن حيدة أيضاً ولم يوصل إسناده، والحديث مضطرب الإسناد جداً اهـ.

(وأما الآثار قال) عبدالله **(ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالباً)** أي صرت ذليلاً في

وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله: ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجهاً، وإذا تكلم فأعرب الناس لساناً، وإذا أفتى فأكثر الناس علماً.

حال الطلب للعلم، كأنه يقول: أهنت نفسي واخترت المشقة في طلب العلم (**فعززت مطلوباً**) أي فصرت عزيزاً في حال كوني مطلوباً، ويدل لذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرك من رواية يزيد ابن هارون، والطبراني من رواية وهب بن جرير كلاهما عن جرير بن حازم وهو والد الأخير قال: سمعت يعلى بن حكيم يحدث، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل: هلم فلنتعلم من أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كثير، فقال: العجب والله لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من ترى من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فتركت ذلك وأقبلت على المسألة وتتبع أصحاب رسول الله ﷺ، فإن كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله ﷺ فأجده قائلاً، فأتوسد ردائي على باب داره تسفي الرياح على وجهي حتى يخرج إليّ، فإذا رآني قال: يا ابن عم رسول الله ﷺ مالك؟ قلت: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ فأحببت أن أسمعه منك، فيقول: هلا أرسلت إليّ فآتيك. فأقول: أنا كنت أحق أن آتيك، وكان ذلك الرجل يراني، فذهب أصحاب رسول الله ﷺ، وقد احتاج الناس إليّ فيقول أنت كنت أعلم مني (**ولذلك قال**) أبو بكر عبدالله بن عبدالله (**ابن أبي مليكة رحمه الله**). وأبو مليكة اسمه زهير بن عبدالله بن جدعان التيمي. كان أبو بكر مؤذن ابن الزبير وقاضيه سمع عائشة وابن عباس وعنه أيوب والليث قال: بعثني ابن الزبير على قضاء الطائف، فكنت أسأل ابن عباس توفي سنة ثمانية عشر ومائة. (**ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجهاً**) وكان جميل الصورة كأبيه (**فإذا تكلم فأعرب الناس**) أي أفصحهم وأظهرهم (**لساناً**) وبياناً (**وإذا أفتى فأكثر الناس علماً**).

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية يونس بن بكير، حدثنا أبو حمزة الثمالي، عن أبي صالح قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا يذهب. قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال: ضع لي وضوءاً قال؛ فتوضأ وجلس وقال: اخرج فقل لهم من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل، فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلاَّ أخبرهم عنه وزادهم، ثم قال إخوانكم فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل. قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم، ثم قال إخوانكم فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، فقلت لهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم، ثم قال: إخوانكم فخرجوا ثم قال: اخرج فقل لهم من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل، فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم، ثم قال:

وقال ابن المبارك رحمه الله: عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة، وقال بعض الحكماء: إني لا أرحم رجالاً كرحمتي لأحد رجلين، رجل يطلب العلم ولا يفهم، ورجل يفهم العلم ولا يطلبه. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لأن أتعلم مسألة أحب إليَّ من قيام ليلة. وقال أيضاً: العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم. وقال أيضاً: كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك.

إخوانكم فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم. قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً له، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس. **(وقال ابن المبارك رحمه الله)** تقدمت ترجمته **(عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة)** بضم الراء واحد المكارم. أي لأن المكارم كلها في طلب العلم فإنه العز الباقي وما عداه يزول. **(وقال بعض الحكماء)** وفي بعض النسخ العلماء **(إني لا أرحم رجلاً كرحمتي لأحد رجلين: رجل يطلب العلم ولا يفهم)** أي لا يتمكن من الفهم لأسراره وحقائقه، فهو أبداً في تعب حقيق أن يرحم **(ورجل يفهم)** أي أعطي ذهناً وقاداً وفكرة قابلة للفهم **(ولا يطلب)** إما كبراً أو حياء أو غير ذلك، فهو يضع نفسه حري أن يرحم وقريب من هذين من طلب وفهم ولم يجد من يعلمه. **(وقال أبو الدرداء رضي الله عنه)** عويمر بن عامر الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ أسلم عقب بدر، وفرض له عمر فألحقه بالبدريين لجلالته مات سنة اثنين وثلاثين **(لأن أتعلم مسألة)** أي في الدين أي مسائل العلم **(أحب إليَّ من قيام ليلة)**. وأخرج الخطيب بسنده إليه قال: مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة. وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية قيس بن عمار الرهيني، عن سالم بن أبي الجعد، عن معداد، عن أبي الدرداء قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. **(وقال)** أبو الدرداء **(أيضاً العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم)** الهمج محركة ذباب صغير كالبعوض يقع على وجوه الدواب، ويقال للرعاع همج على التشبيه، وهذا قد روي مرفوعاً من حديثه، أخرجه الطبراني في الكبير، والديلمي في مسند الفردوس بسند فيه معاوية بن يحي الصدفي، إلاَّ انه ليس فيه همج، وقوله: شريكان في الخير أي لاشتراكهما في نشر العلم ونشره أعظم أنواع البر وبه قوام الدنيا والدين، وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية زائدة، عن منصور، عن سالم بن الجعد، عن أبي الدرداء قال: فإني أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون، فإن معلم الخير والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في سائر الناس بعدهما. وأخرج أبو خيثمة في كتاب العلم، عن جرير، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد فساقه إلاّ أنه قال: وليس في الناس خير بعده. وأخرج أبو نعيم من رواية يحي بن إسحاق، حدثنا فرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء قال: الناس ثلاثة عالم أو متعلم والثالث همج لا خير فيه. وأخرج أيضاً من رواية شعبة، عن عمرو بن مرة، عن سالم بن أبي الجعد قال: قال أبو الدرداء: تعلموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في سائر الناس

وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو، وقال عمر رضي الله عنه: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله

بعدهما. وأخرج أيضاً من رواية يزيد بن هارون، أخبرنا جويبر عن الضحاك قال: قال أبو الدرداء: يا أهل دمشق أنتم الاخوان في الدين والجيران في الدار والأنصار على الاعداء الحديث وفيه: ألا فتعلموا وعلموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في الناس بعدهما. وأخرج أيضاً من رواية الحجاج بن دينار، عن معاوية بن قرة، عن أبيه، عن أبي الدرداء قال: تعلموا قبل أن يرفع العلم إن رفع العلم ذهاب العلماء إن العالم والمتعلم في الأجر سواء وإنما الناس رجلان عالم ومتعلم ولا خير فيما بين ذلك. **(وقال)** أبو الدرداء **(أيضاً كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن رابعاً فتهلك)** . وفي بعض الروايات متبعاً بدل متعلماً. وقد روي مثل ذلك عن ابن مسعود أيضاً .وأخرج البيهقي والطبراني في الأوسط، والبزار في مسنده من رواية عطاء بن مسلم الخفاف، عن خالد الحذاء عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رفعه: اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن خامساً فتهلك، ثم قال البيهقي: تفرد به عطاء، عن خالد، وإنما يروى عن ابن مسعود وأبي الدرداء من قولهما، قال عطاء، قال لي مسعر زدتنا خامسة لم تكن عندنا. قال ابن عبد البر: الخامسة معاداة العلماء وبغضهم، ومن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب، وفيه الهلاك. قال الهيثمي: ورجال الحديث موثقون، وتبعه السمهودي. قال المناوي: وهو غير مسلم، فقد قال أبو زرعة العراقي الحافظ في المجلس الثالث والأربعين بعد الخمسمائة من إملائه هذا حديث فيه ضعف، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، وعطاء بن مسلم مختلف فيه. وقال عبيد عن أبي داود إنه ضعيف، وقال غيره: إنه ليس بشيء اهـ.

وأخرج أبو خيثمة في كتاب العلم وهو أول حديث الكتاب فقال: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن عثمان بن سلمة، عن أبي عبيدة قال: قال عبدالله: اغد عالماً أو متعلماً ولا تغد بين ذلك. وقال: حدثنا إسحاق بن سليمان سمعت حنظلة يحدث عن عون عن عبدالله قال: قلت لعمر بن عبد العزيز يقال إن استطعت أن تكون عالماً فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلماً، فإن لم تكن متعلماً فأحبهم، فإن لم تحبهم فلا تبغضهم، فقال عمر: سبحان الله لقد جعل الله له مخرجاً. **(ولنعم المجلس مجلس تذكر فيه الحكمة)** أي يتذاكر بها فيه، والمراد بها العلوم الشرعية (وتنشر فيه الرحمة) أي ما يكون سبباً لنيل الرحمة، وهذه الجملة بتمامها سقطت من بعض النسخ. **(وقال عطاء)** هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم المكي أحد الأعلام. روى عن عائشة، وأبي هريرة وخلف، وعنه الاوزاعي، وابن جريج، وأبو حنيفة، والليث. مات سنة خمسة عشر ومائتين عن ثمان وثمانين **(مجلس ذكر)** أعم من أن يكون مجلس علم أو اجتمعوا يذكرون الله **(يكفّر سبعين مجلساً من مجالس اللهو)**. المراد به التكثير لا خصوص العدد، وقد ورد في كفارة المجالس أحاديث. **(وقال عمر)** بن الخطاب رضي الله عنه: **(موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار)** أي في عبادة الله تعالى **(أهون من موت**

وحرامه. وقال الشافعي رضي الله عنه: طلب العلم أفضل من النافلة.

وقال ابن عبد الحكم رحمه الله: كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي فقال: يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النيّة. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: مَن رأى أن الغدوّ إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله.

عاقل بصير) أي كامل العقل تامه متبصر **(بحلال الله وحرامه)** أي بمعرفة ما أحل الله مما حرمه، وذلك لأن العابد نفعه من عبادته قاصر على نفسه، وأما العالم فإنه يفيد غيره فيكون سبباً لبقاء هذا الدين، والمراد بالعابد مع الجهل، أو الذي اشتغل بالعبادة مع علمه وترك التعليم. ويروى عنه: موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه. ووجهه أن هذا العالم يهدم على إبليس ما يبنيه بعلمه وارشاده، والعابد علمه مقصور على نفسه. **(وقال)** محمد بن إدريس **(الشافعي)** رحمه الله تعالى فيما أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث من رواية الأصم قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي يقول: **(طلب العلم أفضل من صلاة النافلة)**. وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول: ما تقرب إلى الله عز وجل بعد أداء الفرائض بأفضل من طلب العلم. **(وقال)** الفقيه أبو محمد عبدالله **(ابن عبد الحكم)** بن أعين ابن الليث مولى امرأة من موالي عثمان بن عفان، وهو من الطبقة الصغرى من أصحاب مالك من أهل مصر، أخذ عن مالك وروى عنه الأكابر، وإليه انتهت الرئاسة والجاه بمصر، وعليه نزل الإمام الشافعي فأكرمه وعنده مات. مات سنة ٢١٤ عن ستين سنة، وأما ابنه محمد فقال ابن يونس كان مفتي مصر روى عن ابن وهب وطائفة، وعنه النسائي، وابن خزيمة، والأصم وآخرون. مات سنة ثمان وستين ومائتين. **(كنت عند مالك)** ابن أنس الإمام بالمدينة **(أقرأ عليه العلم فدخل)** وقت **(الظهر فجمعت الكتب)** وقمت **(لأصلي)** أي النافلة كما يدل له السياق، **(فقال)** مالك: **(يا هذا ما الذي قمت إليه)** من النافلة **(بأفضل مما كنت فيه)** من الاشتغال بالعلم **(إذا صحت النية)** بأن يكون تعلمه للعمل به لله تعالى، فنبه مالك بقوله هذا على فضل طلب العلم وشرط فيه صحة النية، وهذه القصة نسبها ابن القيم إلى ابن وهب ولفظه: وقال ابن وهب: كنت عند مالك فحانت صلاة الظهر أو العصر، وأنا أقرأ وأنظر في العلم بين يديه، فجمعت كتبي وقمت لأركع فقال لي مالك: ما هذا؟ فقلت: أقوم إلى الصلاة. فقال: إن هذا لعجب ما الذي قمت إليه أفضل من الذي كنت فيه إذا صحت النية، وبمثل هذا روي عن سفيان. أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث من رواية وكيع قال: سمعت سفيان يقول: لا نعلم شيئاً من الأعمال أفضل من طلب العلم والحديث لمن حسنت فيه نيته. **(وقال أبو الدرداء)** رضي الله عنه **(من رأى أن الغدو)** أي الذهاب أوّل النهار وزاد في رواية: والرواح **(إلى)** طلب **(العلم)** وتحصيله **(ليس بجهاد)** أي حقيقة أو قائماً مقامه **(فقد نقص في عقله ورأيه)**، بل هو المجاهد الأكبر لأن المجاهد يقاتل قوماً مخصوصين في قطر

(فضيلة التعليم)

(أما الآيـات) فقوله عز وجل : ﴿ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة : ١٢٢] والمراد هو التعليم والارشاد . وقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للنّاس ولا يكتمونه ﴾ [آل عمران : ١٨٧] وهو إيجاب للتعليم . وقوله تعالى :

مخصوص، والعالم حجة الله على المعارض في سائر الأقطار وبيده سلاح العلم يقاتل به، فقد أخرج الديلمي، وأبو نعيم، عن عمار بن ياسر، وأنس بن مالك رفعاه: « طلب العلم كالغادي والرائح في سبيل الله عز وجل ». وأخرج الديلمي أيضاً عن أنس: « طالب العلم أفضل عندالله من المجاهد في سبيل الله ». ومثله قول كعب الأحبار: طالب العلم كالغادي الرائح في سبيل الله عز وجل.

فضيلة التعليم:

تقدم تعريفه والاختلاف فيه، وإنما قدّم التعلم عليه لكونه أهم ما أورد فيها ست آيات فقال: **(أما الآيات فقوله تعالى)** ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ [التوبة : ١٢٢] قال **(والمراد)** من الإنذار **(هو التعليم والإرشاد)** قال ابن عرفة: الإنذار هو الإعلام بالشيء الذي يحذر منه وكل منذر معلم ولا عكس اهـ. فحينئذ تفسيره بالتعليم هو المطابق كما انه يأتي بمعنى الاعلام أيضاً كما تقدم، وأما بالإرشاد فهو تفسير باللازم كما لا يخفى، ثم إن الإنذار يتعدى باثنين لنفسه كقوله تعالى: ﴿ إنا أنذرناكم عذاباً قريباً ﴾ [النبأ : ٤٠]ويجوز في ثاني مفعوليه الحذف اقتصاراً لا اختصاراً كما هنا، ونحو: كلوا واشربوا. وهذه الآية ندب الله تعالى بها المؤمنين إلى التفقه في الدين وهو تعلمه،وقد تقدم ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم وهو التعليم، وقد اختلف في الآية. فقيل: المعنى أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقه والتعلـم، بل ينبغي أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة تتفقه تلك الطائفة، ثم ترجع تعلم القاعدين فيكون النفير على هذا نفير تعلم، والطائفة يقال على الواحد فما زاد. قالوا: فهو دليل على قبول خبر الواحد، وعلى هذا حملها الشافعي وجماعة. وقالت طائفة أخرى المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا إلى الجهاد كلهم، بل ينبغي أن ينفر منهم طائفة للجهاد وفرقة تقعد تتفقه في الدين، فإذا جاءت الطائفة التي نفرت فقهتها القاعدة وعلمتها ما أنزل من الدين والحلال والحرام، وعلى هذا فيكون قوله: ليتفقهوا ولينذروا للفرقة التي نفرت منها طائفة، وهذا قول الأكثرين، وعلى هذا فالنفير نفير جهاد على أصله، فإنه حيث استعمل إنما يفهم منه الجهاد وعلى القولين فهو ترغيب في التفقه في الدين وتعلمه وتعليمه، فإن ذلك يعدل الجهاد، بل ربما يكون أفضل منه كما تقدم. **(وقوله)** تعالى: ﴿وإذ أخذ اللهُ ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ أي أعطوه **(ليبيننه للناس)** أي ليظهرنه بالاعلام والتعليم ﴿ولا يكتمونه﴾ [آل عمران: ١٨٧] قال: **(وهو ايجاب للتعليم)** ويسمى هذا بيان الاختبار، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾[النحل:٤٤]

﴿ وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [البقرة: ١٤٦] وهو تحريم للكتمان، كما قال تعالى في الشهادة: ﴿ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ [البقرة: ٢٨٣] علماً. وقال تعالى: ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ﴾ [فصلت: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [النحل: ١٢٥].

(وقال تعالى: وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يَعلمون) قال: (وهو تحريم للكتمان كما قال في الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه). وحقيقة الكتم ستر الشيء وتغطيته وغلب في الحديث.

وأخرج الطبراني بإسناد لا بأس به عن ابن عباس رفعه: « من كتم علماً يعلمه ألجم بلجام من نار » قال هي الشهادة تكون عند الرجل يدعى إليها أو لا يدعى وهو يعلمها فلا يرشد صاحبها إليها فهذا هو العلم. وأخرج أيضاً من حديث سعيد بن الدخاس « من علم شيئاً فلا يكتمه ». **(وقال تعالى: ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً)** [فصلت: ٣٣] وقال: إنني من المسلمين. قال الحسن: هو المؤمن أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته، فهذا حبيب الله. هذا ولي الله فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد. **(وقال تعالى)**: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة ﴾ [النحل: ١٢٥] الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن. اعلم أن المنتفع بآيات الله من الناس نوعان.

أحدهما: ذو القلب الواعي الذكي الذي يكتفي بهدايته بأدنى تنبيه فهذا لا يحتاج إلا إلى وصول الهدى إليه لكمال استعداده وصحة فطرته، فإذا جاء الهدى سارع قلبه إلى قبوله كأنه مكتوب فيه، وهذه حال أكمل الخلق استجابة لدعوة الرسل كما هي حال الصديق رضي الله عنه.

والنوع الثاني: من ليس له هذا الاستعداد والقبول، فإذا ورد عليه الهدى أصغى إليه سمعه وأحضر قلبه وعلم صحته وحسنه بنظره واستدلاله، وهذه طريقة أكثر المستجيبين، والأولون هم الذين يدعون بالحكمة وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة، فهؤلاء نوعا المستجيبين، وأما المعارضون الدافعون للحق فنوعان: نوع يدعون بالمجادلة بالتي هي أحسن، فإن استجابوا وإلا فالمجالدة، فهؤلاء لا بدَّ لهم من جدال أو جلاد، ومن تأمل دعوة القرآن وجدها شاملة لهؤلاء الأقسام كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك ﴾ الآية. وأما أهل الجلاد فهم الذين أمر الله تعالى بقتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وأما من فسر قوله تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ﴾ إنها القياس البرهاني والموعظة الحسنة القياس الخطابي وجادلهم بالتي هي أحسن القياس الجدلي، فهذا ليس من تفسير الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة التفسير، بل هو تحريف لكلام الله تعالى وحمل له على اصطلاح المنطقية، وهذا من جنس تفاسير القرامطة والباطنية والمعتزلة، والقرآن بريء من ذلك كله منزه عن هذه الهذايانات **(وقال)** تعالى: ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ [البقرة: ١٢٩] الحكمة في معارف الشرع اسم للعلوم المدركة بالعقل، وقد أفرد ذكرها في عامة القرآن عن الكتاب فجعل الكتاب إسماً لما لا يدرك إلا من جهة النبوة

وقال تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [البقرة: ١٢٩]. (وأما الأخبار قال النبي ﷺ: « ما آتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين

والحكمة لما يدرك من جهة العقل وجعلا منزلين وأن إنزالهما من الله تعالى، وقد يكونان مختلفين وجمع بينهما في الذكر لحاجة كل واحد منهما إلى الآخر، فقد قيل: لولا الكتاب لأصبح العقل حائراً، ولولا العقل لم ينتفع بالكتاب، وقيل: الكتاب بمنزلة اليد والحكمة بمنزلة الميزان ولا تعرف المقادير إلا بهما، ولذلك عبر عن الحكمة بالميزان في قوله تعالى: ﴿الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾ [الشورى: ١٧] ولا يبلغ الحكمة إلا أحد رجلين إما مهذب في فهمه موفق في فعله ساعده معلم ناصح وكفاية وعمر، وأما إلهي يصطفيه الله فتفتح عليه أبواب الحكمة بفيض إلهي، ويلقي إليه مقاليد جوده فيبلغه ذروة السعادة: ﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [الجمعة: ٤] **(أما الأخبار قال النبي ﷺ: « ما آتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين أن يبينه للناس ولا يكتمه »)** قال العراقي: يروى عن أبي هريرة، وابن مسعود.

أما حديث أبي هريرة فرويناه في جزء ابن نظيف، وفي فوائد الخلعي من طريقه من رواية موسى بن محمد، عن زيد بن مسور، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة رفعه وفيه: « أن لا يكتم » وموسى بن محمد البلقاوي كذبه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما. ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية من طريقه، وأعله به، وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية عبد الملك بن عطية، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن ابي هريرة وعبد الملك بن عطية. قال فيه الأزدي: ليس حديثه بالقائم.

وأما حديث ابن مسعود فرواه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من رواية عبدالله بن صالح، عن محمد بن عبدالله الموصلي، عن الأعمش، عن ابراهيم، عن علقمة، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليس من عالم إلا وقد أخذ الله عليه ميثاقه يوم أخذ ميثاق النبيين » وعبدالله بن صالح مختلف في الاحتجاج به اهـ.

قلت: أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه العراقي في جزء له ألفه في الذب عن مسند الإمام أحمد، وساق سنده إلى محمد بن الفضل بن نظيف، أخبرنا أحمد بن الحسين الرازي، أخبرنا بكر بن سهل الدمياطي، حدثنا موسى بن محمد فذكره، ثم قال موسى بن محمد هو البلقاوي متهم لكن له شاهد بإسناد صالح من حديث ابن مسعود رويناه في كتاب: فضل العالم العفيف لأبي نعيم، وقال تلميذه الحافظ ابن حجر في القول المسدد بعد أن نقل كلام شيخه هذا احتجاجه بهذا الحديث واعترافه بأن موسى البلقاوي متهم أي أن الحفاظ اتهموه بالكذب لا يصح، لأنه إذاً لذلك لا يحتج بحديثه، وقد أخرج أبو نعيم في الحلية هذا الحديث من وجه آخر عن أبي هريرة، وفيه، من لا يعرف، وهو من رواية محمد بن عبدة القاضي وكان يدعى سماع ما لم يسمع وهو مشهور اهـ كلام الحافظ.

إن يبينه للناس ولا يكتمه ») وقال ﷺ لما بعث معـاذاً رضي الله عنـه ، إلى اليمـن « لأن يهديَ الله بـــك رجلاً واحـــداً خير لـــك مـــن الدنيـــا

وقد أورد الديلمي في الفردوس هذا الحديث عن أبي هريرة وساقه ، ثم قال : وفي الباب عن ابن عباس ، وعلي بن أبي طالب ولفظ الأخير ، ما أخذ الله ميثاق الجاهل أن يتعلم حتى أخذ ميثاق العالم أن يعلمه . (**وقال ﷺ ، لما بعث معاذاً إلى اليمن « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها »**) وفي نسخة « خير لك من حمر النعم » . قال العراقي : رواه أحمد في مسنده قال : حدثنا حيوة بن شريح ، حدثني بقية ، حدثني ضبارة بن عبدالله ، عن دريد بن نافع ، عن معاذ بن نافع ، عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له : « يا معاذ لأن يهدي الله على يديك رجلاً من أهل الشرك خير لك من أن تكون لك حمر النعم » . وإسناده منقطع لأن دريد بن نافع لم يسمع من أحد من الصحابة ، إنما أرسل عنهم اهـ .

قلت : حمر النعم خيارها وأفضلها عند أهلها وفيه دليل على فضل العلم وجليل منزلة أهله ، حيث إذا اهتدى رجل واحد بالعلم خير له من تلك ، فما الظن بمن يهتدي على يديه كل يوم طوائف من الناس .

قال العراقي : وفي الباب عن سهل بن سعد رواه البخاري ومسلم والنسائي من رواية أبي حازم ، عن سهل بن سعد في قصته بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب إلى خيبر . وفي آخره « فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم » اهـ .

قلت : ولفظ البخاري في الصحيح حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن ، عن أبي حازم ، أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه » فذكر الحديث في طلبه علياً وإعطائه الراية ، وفيه فقال علي يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . فقال « اقعد على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر اللعم » .

وأخرج الطبراني والترمذي الحكيم عن أبي رافع قال : بعث رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن فعقد له لواءاً ، فلما مضى قال : يا أبا رافع الحقه ولا تدعه من خلفه وليقف ولا يلتفت حتى أجيئـه فأتاه فأوصاه بما شاء ، وقال : « لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » . قال البيهقي : فيه يزيد بن أبي زياد مولى ابن عباس ذكره المزي في الرواية عن أبي رافع وابن حبان في الثقات .

وأخرج أبو داود ، عن سهل بن سعيد بلفظ : « والله لأن يهدي بهداك رجل خير لك من حمر النعم » . (**وقال ﷺ : « من علم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السموات »**) لم يخرجه العراقي . وفي بعض النسخ وقال عيسى عليه السلام ، وهكذا أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي في كتاب العلم ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن بشير بن منصور ، عن ثور ، عن

وما فيها ». وقال ﷺ : « من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقاً ». وقال عيسى ﷺ : « من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السموات.

وقال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا ، فيقول الله عز وجل: أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة ، وهذا

عبد العزيز بن ظبيان قال، قال المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماء.

وأخرج ابن الجوزي في كتاب ترجمة سفيان الثوري بسنده الى شعيب بن حرب عن سفيان قال: « من علم وعمل وعلم دعي عظيماً في ملكوت السماء » اهـ.

وقال الترمذي: سمعت أبا عمار الحسين بن حريث الخزاعي قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: عالم عامل معلم يدعى كبيراً في ملكوت السماء.

قلت: وقد روي مرفوعاً من حديث ابن عمر ، أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ولفظه: « من تعلم لله وعمل لله كتب في ملكوت السموات والأرض عظيماً ». **(وقال ﷺ : « من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صديقاً »)** قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبدالله الحاكم قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا جعفر بن سهل المذكور ، حدثنا محمد بن مروان الأميدي، حدثنا الجارود بن يزيد ، حدثنا محمد ابن علاثة القاضي، حدثنا عبدة بن أبي أمامة، عن الأسود بن يزيد ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ : « من تعلم باباً من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبياً ». كذا قال نبياً وهو منكر ، وجعفر ابن سهل والجارود بن سهل كذابان، ومحمد بن عبدالله بن علاثة القاضي مختلف في الاحتجاج به اهـ.

قلت: وفي الفردوس للديلمي عن أنس: « من تعلم باباً من العلم وعمل به حشره الله يوم القيامة مع المتقدمين الأخيار الأبرار الأتقياء وله في الجنة سبعون قهرماناً ».

قال العراقي: وللطبراني في المعجم الكبير من رواية يوسف بن عطية قال: حدثنا مرزوق أبو عبدالله الحمصي، عن مكحول، عن أبي إمامة رفعه « أيما ناشئ نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر أعطاه الله يوم القيامة ثواب إثنين وسبعين صديقاً ». ويوسف بن عطية الصفار منكر الحديث، ورواه الطبراني في مسند الشاميين من رواية أبي سنان الشامي، عن مكحول مقتصراً على ذكر العبادة. وقال: أجر تسعة وتسعين صديقاً، وأبو سنان هو الغسملي مختلف فيه. **(وقال ﷺ : « إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى: أنتم عندي كبعض ملائكتي**

إنما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم لا العلم اللازم الذي لا يتعدى » . وقال ﷺ : « إن الله عز وجل لا ينزع العلم انتزاعاً من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء ، فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبقَ إلا رؤساء جهالاً إن سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون » . وقال ﷺ : « من علّـم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نار » .

اشفعوا وتشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة ») قال العراقي : رواه المرهبي في العلم ، عن رواية محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة يجمع الله العلماء والغزاة والمرابطين وأهل الصوم والصلاة والزكاة والحج فيقول للمرابطين والغزاة وأصناف الخير ادخلوا الجنة فيصيح العلماء صيحة واحدة ، فيقولون يا ربنا بفضل علمنا جاهدوا ورابطوا وصاموا وصلوا وزكّوا وحجّوا ، فيقول الله عز وجل: لستم عندي في عداد أولئك أنتم عندي في عداد الملائكة قفوا حتى تشفعوا لمن أحببتم ثم تدخلوا الجنة » . ومحمد ابن السائب الكلبي ضعيف جداً .

ورواه ابن السني مختصراً في رياضة المتعلمين من رواية حبيب بن أبي حبيب ، حدثنا شبل بن عباد ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبدالله رفعه : « يبعث العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم أثبت تشفع للناس كما أحسنت أدبهم » . وحبيب بن أبي حبيب هو كاتب مالك كذبه ابن معين وغيره ، وقد رواه ابن عبد البر في العلم فقال فيه حبيب بن ابراهيم قال: حدثنا شبل بن العلاء ، عن محمد بن المنكدر ، والصواب ما تقدم من أنه شبل بن عباد وهو القارئ المكي . وقد أخرج له البخاري ، وحبيب بن ابراهيم هو كاتب مالك واسم أبيه ابراهيم على أحد الأقوال وقيل : مرزوق ، وقيل زريق اهـ .

قلت : وحديث جابر هذا قد أخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل والبيهقي وضعفه .

قال العراقي : وروى الأصبهاني في الترغيب والترهيب من طريق ابن أبي عاصم ، حدثنا الحلواني ، حدثنا حازم بن خزيمة ، عن عثمان بن عمر القرشي ، عن مكحول ، عن أبي أمامة رفعه : « يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد أدخل الجنة ، ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس » وحازم بن خزيمة هو أبو خزيمة البخاري ، قال السليماني فيه نظر .

قلت : ورواه ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس بلفظ « إذا كان يوم القيامة يؤتى بالعابد والفقيه فيقال للعابد ادخل الجنة ، ويقال للفقيه اشفع تشفع » ويروى أيضاً : إذا كان يوم القيامة يقول الله للعابد ادخل الجنة فإنما كانت منفعتك لنفسك ، ويقال للعالم اشفع تشفع فإنما كانت منفعتك للناس انتهى . **(وقال ﷺ : « إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالاً إن يُسألوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون ») .** قال العراقي :

....

أخرجه الستة خلا أبا داود من رواية عروة عن عبدالله بن عمرو بن العاص رفعه ولفظهم: « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » لفظ مسلم، وقال البخاري: من العباد بدل من الناس وقال: حتى إذا لم يبق، وفي رواية له: « إن الله لا ينتزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون ». وفي لفظ لمسلم: « إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً ولكن يقبض العلماء فينتزع العلم معهم ويبقى في الناس رؤساء جهالاً يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون ». وفي رواية لعبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة: « إن الله لا ينتزع العلم من الناس بعد أن يعطيهم إياه، ولكن يذهب بالعلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم فيضلوا ويضلوا ». رواه النسائي اهـ.

قلت: ورواه الإمام أحمد في مسنده وسياقه كسياق البخاري، وزاد الترمذي حسن صحيح، وأخرجه الخلفي في فوائده وزاد في آخره عن سواء السبيل، وأخرجه ابن عساكر برواية يحيى بن يحيى بن عبد الرحمن، عن عباد بن عباد، ومن طريق هشام بن عمار، عن عبدالله بن الحرث الجمحي كلاهما عن هشام بن عروة عن أبيه، وقال الحافظ ابن حجر: قد اشتهر هذا الحديث من رواية هشام فوقع لنا من رواية أكثر من سبعين نفساً عنه اهـ.

قلت: منها ما أخرجه البخاري في العلم، عن أبي أويس، عن مالك، عن هشام. ورواه مسلم في القدر عن قتيبة، عن جرير، وعن أبي الربيع الزهراني، عن حماد بن زيد، وعن يحيى بن يحيى، عن عباد بن عباد وابي معاوية، وعن أبي بكر بن أبي شيبة، وزهر بن حرب كلاهما عن وكيع، وعن أبي كريب عن أبي عبدالله بن إدريس وأبي أسامة وعبدالله بن نمير وعبدة بن سليمان، وعن ابن أبي عمر، عن سفيان بن عيينة، وعن محمد بن حاتم، عن يحيى بن سعيد، وعن أبي بكر بن نافع عن عمر بن علي المديني، وعن عبد بن حميد، عن يزيد بن هرون، عن شعبة الثلاثة عشر كلهم عن هشام.

ويروى أيضاً من حديث عائشة وأبي هريرة وأبي سعيد، فحديث عائشة عند البزار من رواية يونس عن الزهري عن عروة عنها، وقال: تفرد به يونس. وأما حديث أبي هريرة فعند الطبراني في الأوسط من رواية العلاء بن سليمان الرقي عن الزهري عن أبي سلمة عنه. وقال تفرد به العلاء. وأما حديث أبي سعيد، فرواه الطبراني فيه أيضاً من رواية عمرو بن الحرث، عن دراج، عن أبي الهيثم عنه. وقال: تفرد به الحجاج بن رشدين، عن أبيه، عن عمرو بن الحرث. وقد جمع في طرق هذا الحديث الحافظ أبو بكر الخطيب جزءاً حافلاً. **(وقال ﷺ: « من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار »)**. يروى هذا عن أبي هريرة، وعبدالله بن عمرو، وأبي سعيد، وأنس بن مالك، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وطلق بن علي، وجابر، ولا يصح منها

....

إلا حديث أبي هريرة، وعبدالله بن عمرو، وابن عباس، ولم أره بلفظ المصنف إلا في تاريخ ابن النجار عن ابن عمرو إلا أن فيه ثم كتمه.

أما حديث أبي هريرة قال العراقي: رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه من رواية علي بن الحكم عن عطاء بن أبي رباح عنه رفعه ولفظه: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة» لفظ أبي داود. وقال الترمذي: «من سئل عن علم علمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» وقال: حديث حسن. وقال ابن ماجه: «ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجماً بلجام من نار». وقال ابن حبان: «من كتم علماً يلجم بلجام من نار يوم القيامة». ورواه الحاكم في المستدرك من رواية القاسم بن محمد بن حماد، عن أحمد بن عبدالله بن يونس، عن محمد بن ثور، عن ابن جريج قال: جاء الأعمش إلى عطاء فسأله عن حديث فحدثه فقلنا له تحدث هذا وهو عراقي فقال: لأني سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال: «من سُئل عن علم فكتمه جيء به يوم القيامة ملجماً بلجام من نار» وقال: هذا حديث حسن صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قال العراقي: لا يصح من هذا الطريق لضعف القاسم بن محمد بن حماد الدلال الكوفي، قال الدارقطني: حدثنا عنه وهو ضعيف فلهذا لم أخرجه من هذا الوجه. قال الدارقطني في الجزء السابع من الأفراد. وإنما يعرف هذا من حديث علي بن الحكم، عن عطاء، عن أبي هريرة، ثم قال الحاكم: ذاكرت شيخنا أبا علي بهذا الباب ثم سألته هل يصح شيء من هذه الأسانيد عن عطاء؟ فقال: لا. قلت: لم؟ قال: لأن عطاء لم يسمعه من أبي هريرة، ثم رواه له أبو علي عن محمد ابن أحمد بن سعيد الواسطي، عن أزهر بن مروان، عن عبد الوارث بن سعيد، عن علي بن الحكم، عن عطاء، عن رجل، عن أبي هريرة. قال الحاكم: فقلت له قد أخطأ فيه أزهر بن مروان أو شيخكم وغير مستبدع منهما الوهم، ثم رواه الحاكم من رواية مسلم بن ابراهيم عن عبد الوارث، عن علي بن الحكم، عن رجل، عن عطاء، عن أبي هريرة قال: فاستحسنه أبو علي واعترف لي به. قال الحاكم، ثم لما جمعت الباب وجدت جماعة ذكروا فيه سماع عطاء من أبي هريرة اهـ.

وقال العراقي في إصلاح المستدرك، وقد رواه أبو داود الطيالسي فقال: حدثنا عمارة بن زاذان، حدثنا علي بن الحكم، عن عطاء، عن أبي هريرة رفعه: «من حفظ علماً فسُئل عنه فكتمه جيء به يوم القيامة ملجماً بلجام من نار» وقال: هذا حديث حسن أخرجه الترمذي، عن أحمد ابن بديل اليامي، عن عبدالله بن نمير وابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أسود بن عامر كلاهما عن عمارة بن زاذان. وقد تابع عمارة عليه حماد بن سلمة أخرجه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عنه، وأخرجه ابن حبان في النوع التاسع والمائة من القسم الثالث عن عبدالله بن محمد الأزدي عن إسحاق بن ابراهيم، عن النضر بن شميل عنه، وتابع علي بن الحكم على روايته سليمان التيمي وابن جريج. قال العراقي: قد أعله أبو الحسن القطان في كتاب بيان الوهم والإيهام برواية

....

عبد الوارث وإدخاله رجلاً بين علي بن الحكم وعطاء. قال: وقد قيل إنه حجاج بن ارطأة.

قلت: قد صح عن علي بـن الحكم أنه قال في هذا الحديث: حدثنا عطاء وهي رواية ابن ماجه، فاتصل إسناده، ثم وجدته عن جماعة صرحوا بالاتصال في الموضعين رويناه في الجزء السادس والعشرين من فوائد تمام من رواية معاوية بن عبد الكريم والعلاء بن خالد الدارمي وسعيد بن راشد قالوا: حدثنا عطاء قال: سمعت أبا هريرة. قال ابن القطان، واعلم أن له إسناداً صحيحاً، ثم ذكره من طريق قاسم بن أصبغ من رواية معتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء عن أبي هريرة، قال ابن القطان: هؤلاء كلهم ثقات. قال العراقي: وله طريق آخر صحيح من رواية ابن سيرين عن أبي هريرة أورده ابن ماجه، وقال الحافظ ابن حجر في القول المسدد: والحديث وإن لم يكن في نهاية الصحة لكنه صالح للحجة وهو على كل حال أولى من حديث البلقاوي، يعني الذي تقدم ذكره.

وأما حديث ابن عمرو فقال العراقي: رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك، فابن حبان من طريق أبي الطاهر بن السرح، والحاكم من رواية ابن عبد الحكم كلاهما عن ابن وهب، عن عبدالله بن عياش، عن أبيه، عن أبي عبد الرحمن الجيلي، عن عبدالله بن عمرو رفعه ولفظه. « من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ». قال الحاكم: هذا إسناد صحيح لا غبار عليه من حديث المصريين على شرط الشيخين وليس له علة. قال العراقي في إصلاح المستدرك: أما على شرط الشيخين فلا وقد عله ابن الجوزي في العلل المتناهية بأن فيه عبدالله بن وهب النسوب، قال ابن حبان: دجال يضع الحديث. قال العراقي: وهذا تخليط من ابن الجوزي، وإنما هو عبدالله بن وهب الإمام صاحب الإمام مالك والاسناد مصريون فلا التفات إلى كلام ابن الجوزي، ولو أعله بعبد الله بن عياش لكان له وجه، فقد ضعفه أبو داود والنسائي وهو قريب من ابن لهيعة. وأخرج له مسلم حديثاً واحداً ووثقه ابن حبان.

قلت: وحديث ابن عمرو هذا قد أخرجه الطبراني أيضاً في الكبير.

وأما حديث أبي سعيد الخدري فقال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية محمد بن داب، عن صفوان بن سليم، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبيه رفعه ولفظه: « من كتم علماً مما ينفع الله به من أمر الناس في الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ». ومحمد بن داب كذبه أبو زرعة اهـ.

قلت: وفي بعض نسخ السنن مما ينفع الله به الناس من أمر الدين.

وأما حدبث أنس قال العراقي: رواه ابن ماجه أيضاً من رواية يوسف بن ابراهيم قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من سُئل عن علم فكتمه » الحديث. ويوسف هذا ضعفه أبو حاتم والبخاري اهـ.

وقال ﷺ : « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها

قلت: وأخرج ابن عدي، عن أنس: « من كتم علماً عنده وأخذ عليه أجرة لقي الله يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ».

وأما حديث ابن مسعود، فرواه الطبراني بإسنادين ضعيفين قاله العراقي.

قلت: ولفظه « من كتم علماً عن أهله ألجم يوم القيامة لجاماً من نار » هذا لفظ أبي داود، وعند ابن عدي في الكامل، والسجزي في الإبانة، والخطيب في التاريخ: « من كتم علماً ينتفع به ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ».

وأما حديث ابن عباس فرواه الطبراني أيضاً بإسناد لا بأس به، وأبو يعلى بإسناد جيد قاله العراقي.

قلت: ولفظه « من كتم علماً ينتفع به يعلمه »، الحديث. وفي آخره زيادة ذكرناها في أول الفصل عند ذكر الآيات، وأخرج ابن عساكر، والخطيب، والطبراني أيضاً بلفظ: « من سئل عن علم نافع فكتمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ».

وأما حديث ابن عمر، فقال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل من رواية حسان بن سياه، عن الحسن بن ذكوان، عن نافع، عن ابن عمر وقال: هذا الحديث عن نافع لا أعلم يروى إلا من هذا الوجه، وحسان بـن سياه له أحاديث عامتها لا يتابعه غيره عليها والضعف بين على رواياته وحديثه اهـ.

قلت: وأخرجه كذلك الطبراني في الأوسط، والدارقطني في الأفراد بلفظ حديث أبي هريرة.

وأما حديث طلق بن علي، فقال العراقي: رواه ابن عدي أيضاً، والطبراني من رواية أيوب بن عتبة عن قيس بن طلق، عن أبيه. قال ابن عدي: وهذا الحديث بهذا الإسناد غريب جداً وأيوب ضعيف قاله ابن معين والبخاري اهـ.

قلت: وأخرجه الخطيب أيضاً من هذا الطريق.

وأما حديث جابر، فأخرجه السجزي في الإبانة، والخطيب في التاريخ بلفظ: « من كتم علماً نافعاً عنده » الخ. وهذا قد أغفله العراقي كما أغفل في مخرجي حديث أبي هريرة الإمام أحمد والبيهقي. **(وقال ﷺ : « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم فتعلمه إياها تعدل عبادة سنة) .** قال العراقي: رواه ابن عدي في العلم من حديث ابن عباس بهذا اللفظ ولم يذكر إسناده، وقد أسنده الطبراني فقال: حدثنا حجاج بن عمران السدوسي كاتب بكار القاضي، حدثنا عمرو بن الحصين العقيلي، حدثنا ابراهيم بن عبد الملك السلمي، عن قتادة، عن عروة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رفعه: « نعم العطية كلمة حق تسمعها ثم تحملها الى أخ لك مسلم فتعلمها إياه » وعمرو ابن الحصين تركه أبو

إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة ». وقال ﷺ : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه أو معلماً أو متعلماً ». وقال ﷺ : « إن الله سبحانه

حاتم وغيره، **(وقال ﷺ : الدنيا ملعونة)** أي مطرودة مبعودة من الله تعالى فإنه لم ينظر إليها منذ خلقها **(ملعون ما فيها)** ما شغل عن الله تعالى وأبعد عنه إلا ما قرب إليه، فإنه محبوب محمود كما أشار إليه قوله. **(إلا ذكر الله وما والاه)** أي ما أحبه الله من الدنيا وهو العمل الصالح والموالاة المحبة بين اثنين وقد تكون من واحد، وهو المراد هنا **(أو معلم أو متعلم)**. قال ابن القيم: لما كانت الدنيا حقيرة عند الله لا تساوي لديه جناح بعوضة، كانت وما فيها في غاية البعد منه، وهذا هو حقيقة اللعنة وهو سبحانه إنما خلقها مزرعة للآخرة ومعبراً إليها يتزود منها عباده إليها فلم يكن يقرب منها إلا ما كان متضمناً لإقامة ذكره ومقتضياً إلى محابه وهو الذي به يعرف ويعبد ويذكر ويثني عليه ويمجد، ولهذا خلقها وخلق أهلها وهو المطلوب، وما كان طريقاً إليه من العلم والتعلم فهو المستثنى من اللعنة، واللعنة واقعة على ما عداه إذ هو بعيد عن الله وعن محابه وعن دينه فهو متعلق العقاب، والله سبحانه إنما يحب من عباده ذكره وعبادته ومعرفته ومحبته ولوازم ذلك وما أفضى إليه، وما عداه فهو مبغوض له مذموم عنده.

وقال أبو العباس القرطبي: لا يفهم من هذا الحديث إباحة لعن الدنيا مطلقاً لما روي من حديث أبي موسى الأشعري رفعه: « لا تسبوا الدنيا ».

قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه من رواية عطاء بـن قرة قال: سمعت عبدالله بن حمزة قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الدنيا » فذكره. وقال: وعالم أو متعلم لفظ الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، وقال ابن ماجه: للدنيا وقال: أو عالماً أو متعلماً اهـ.

قلت: وأخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من طريق وهيب، عن عطاء بن قرة السلولي، عن عبدالله بن حمزة، ومن طريق ابراهيم الأسلمي، عن رجل، عن عطاء بن قرة، عن عبدالله بن ضمرة، عن أبي هريرة ولم يذكر قتيبة يعني شيخه في الإسناد الأول عن أبي هريرة وسياقه كسياق المصنف إلا أنه ليس فيه وما والاه، قال المناوي: وعالماً ومتعلماً بنصبهما عطف على ذكر الله، ووقع للترمذي وعالم ومتعلم لا لكونهما مرفوعين لأن الاستثناء من موجب، بل إن طريقة كثير من المحدثين إسقاط الألف اهـ وفيه تأمل.

قال العراقي: وفي الباب عن ابن مسعود ذكره الدارقطني في العلل فقال: رواه أبو المطرف مغيرة بن مطرف، عن عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن عبدة بن أبي أمامة، عن شقيق، عن عبدالله رفعه: « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا عالم أو متعلم » وذكر الله. وقال: هذا إسناد مقلوب، وإنما رواه ابن ثوبان، عن عطاء، عن ابن ضمرة، عن أبي هريرة وهو الصحيح، **(وقال ﷺ : « إن الله وملائكته وأهل سماواته وأرضه حتى النملة في حجرها وحتى الحوت**

وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة في حجرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير ».

وقال ﷺ : « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه ». وقال ﷺ : « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة »

في البحر ليصلون على معلم الناس الخير ») قال العراقي: أخرجه الترمذي من رواية القاسم، عن أبي أمامة رفعه فذكره، ولم يقل في البحر. وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح وهو بعض الحديث التاسع عشر، وقد تقدم، وقد فصله الطبراني منه فجعلهما حديثين وقال فيه: وحتى الحوت في البحر كما ذكره المصنف إلا أنه لم يقل وأهل السموات والأرض. ويروى عن أبي هريرة أيضاً، وقد تقدم في الحديث التاسع عشر.

قلت: وحديث أبي هريرة أخرجه الطبراني في الكبير أيضاً والضياء في المختارة، وسياقه كسياق حديث أبي أمامة. **(وقال ﷺ : « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه »)** قال العراقي: رواه ابن عبد البر مع اختلاف مرسلاً من حديث محمد بن المنكدر، عن النبي ﷺ قال: « من أفضل الفوائد حديث حسن يسمعه الرجل فيحدث به أخاه » وهو مرسل حسن الإسناد. قال ابن عيينة: لم يدرك أحداً أجدر من أين يقبل الناس منه، إذا قال: قال رسول الله ﷺ من ابن المنكدر.

وروى أبو نعيم من رواية إسماعيل بن عياش، عن عمارة، عن غزية، عن عبيدالله بن أبي جعفر عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: « ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة تزيده هدى أو ترده عن ردى ». ورويناه من طريق أبي يعلى الموصلي من هذا الوجه وهو منقطع، فإن عبيدالله بن أبي جعفر المصري لم يسمع من عبدالله بن عمرو شيئاً، إنما روى عن التابعين اهـ.

قلت: وأخرجه البيهقي في الشعب وتعقبه بأن في اسناده إرسالاً بين عبيدالله وعبدالله، وأورده الديلمي في الفردوس بهذا اللفظ، والضياء في المختارة ولفظه: « ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية» وفيه « يزيده الله بها هدى أو يرده بها عن ردى». وقال الذهبي في الديوان عبيدالله بن أبي جعفر. قال أحمد: ليس بالقوي. قال المناوي: وفي إسناده أيضاً إسماعيل بن عياش، قالوا: ليس بالقوي، وعمارة بن غزية ضعفه ابن حزم لكنه خولف. وفي معنى الحديث قيل: كلمة لك من أخيك خير لك من مال لأن الحكمة تنجيك والمال يطغيك. **(وقال ﷺ : « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها »)** . وفي بعض النسخ كلمة من الحكمة وسقطت الجملة الأخيرة من أكثر النسخ، قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن محمد بن علي بن الأشعث، حدثنا شريح بن عبد الكريم التميمي، حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن

وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه، والثاني يعلِّمون الناس فقال: « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلماً ثم عدل إليهم وجلس معهم ».

علي بن أبي طالب، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن محمد بن أبي عائشة، عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه فذكره دون قوله، فيعمل بها ويعلمها. وابن الأشعث هذا من الشيعة رماه ابن عدي والدارقطني بالوضع.

ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق مرسلاً فقال: أخبرنا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ. وعبدالرحمن بن زيد ضعفه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم اهـ.

قلت: وروى الديلمي أيضاً عن أبي هريرة: كلمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير من عتق رقبة. (**وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله**) وفي بعض النسخ إلى الله، (**ويرغبون إليه، والثاني يعلمون الناس فقال: « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الناس، وإنما بُعثت معلماً ثم عدل إليهم وجلس معهم »**) هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد إلا أن فيه « والآخر يتفقهون في الدين ويعلمون الناس » فوقف بينهما.

وقال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية داود بن الزبرقان، عن بكر بن خنيس عن عبدالرحمن زياد بن أنعم، عن عبدالله بن يزيد، عن عبدالله بن عمرو قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين أحدهما كذا يقرأون القرآن ويذكرون الله والآخر، كذا يتعلمون ويعلمون فقال النبي ﷺ: « كل على خير هؤلاء يقرأون القرآن ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وإنما بعثت معلماً »، وجلس معهم ومداره على عبدالرحمن بن زياد وقد وثقه يحيى بن سعيد. وقال البخاري: مقارب الحديث، وضعفه جماعة، وابن الزبرقان وبكر بن خنيس ضعيفان، وقد تابع بكر بن خنبس عليه زهير بن معاوية، وعبدالله بن وهب، وعبدالله بن المبارك، إلا أنهم قالوا عنه عن عبدالرحمن بن رافع بدل عبدالله بن يزيد، وقولهم أولى بالصواب من رواية بكر بن خنيس، فأما رواية زهير فأخرجها الطبراني ولفظه: إن رسول الله ﷺ دخل المسجد فرأى مجلسين أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمون فقال رسول الله ﷺ: « كلا المجلسين على خير أحدهما أفضل من الآخر. أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل وإنما بعثت معلماً وهؤلاء أفضل ». فأتاهم حتى جلس إليهم. وأما رواية عبدالله بن وهب فرواها ابن السني في رياضة المتعلمين، وابن عبدالبر في العلم بنحو لفظ الطبراني. وأما رواية ابن المبارك فرواها أبو نعيم في

وقال ﷺ : « مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ » اهـ.

رياضة المتعلمين نحوه وعبدالرحمن بن رافع هذا قال البخاري في حديثه مناكير، وذكره ابن حبان في الثقات إلا أنه قال: لا يحتج بخبره إذا كان من رواية ابن أنعم عنه اهـ.

وقال صاحب القوت بعد ما أورد الحديث، ويحكى عن بعض السلف قال: دخلت المسجد ذات يوم فإذا بحلقتين إحداهما يقصون ويدعون والأخرى يتكلمون في العلم وفقه الأعمال قال: فملت إلى حلقة الدعاء فجلست إليهم فحملتني عيناي فنمت فهتف بي هاتف جلست إلى هؤلاء وتركت مجلس العلم. أما لو جلست إليهم لوجدت جبريل عليه السلام عندهم. **(وقال ﷺ : « مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله بها الناس شربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ »)** هكذا في النسخ. وفي نسخة بعد قوله: فانبتت الكلأ والعشب وتصيب أرضاً أخرى إنما هي أجاذب أمسكت الماء ولم تنبت الكلأ، فجمل الناس عنها الماء إلى غيرها فزرعوا عليها وسقوا وأسقوا، وكانت منها بقعة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. ونسخة العراقي بعد قوله؛ والعشب الكثير وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. **(فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) .**
قال العراقي: رواه البخاري ومسلم من رواية بريد بن عبدالله بن أبي بردة، عن جده أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ ، واللفظ للبخاري إلا أنه قال: من الهدى والعلم. وقال في الرواية المشهورة نقية بدل بقعة ولم يقل في الثانية بقعة. وقال: وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان وذكر بقية الحديث اهـ.

قلت: البخاري في أوّل صحيحه، ومسلم في فضائله ﷺ ، والنسائي في العلم، والرامهرمزي، والعسكري في الأمثال كلهم من رواية أبي أسامة حماد بن أسامة عن بريد. ولفظ البخاري: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة أخرى منها إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ».

فالأول ذكره مثلاً للمنتفع بعلمه، والثاني ذكره مثلاً للنافع، والثالث للمحروم منها.

شرح هذا الحديث قوله: مثل هو بالتحريك قوله من الهدى والعلم بالجر عطف على الهدى من عطف المدلول على الدليل، لأن الهدى هو الدلالة الموصلة للمقصود، والعلم هو المدلول وهو صفة توجب تميزاً لا يحتمل النقيض، والمراد به هنا الأدلة الشرعية قاله القسطلاني، ولا يخفى أن جعل العلم مراداً به الأدلة الشرعية فيه مسامحة لظهور أن الأدلة ليست مدلولاً للدلالة، وعليه فالمراد مدلول الأدلة الشرعية وهو الأحكام الشرعية كوجوب الصلاة مثلاً فتدبر قوله، نقية: من النقاء بالنون والقاف أي طيبة، قوله: قبلت الماء بكسر الموحدة من القبول. وقال إسحاق بن راهويه: قيلت الماء بالتحتية المشددة والمعنى شربت القيل وهو شرب نصف النهار، وجزم الأصيلي بأنه تصحيف. وذكر العشب بعد الكلأ من باب ذكر الخاص بعد العام إذ الكلأ النبات يابساً ورطباً والعشب الرطب منه. وفي رواية الحميدي والخطابي ثغبة بالمثلثة مفتوحة وغين معجمة ساكنة وهو مستنقع الماء في الجبال والأودية. ورده عياض وحكم بتصحيفه وقلبه للتمثيل قال: لأنه إنما جعل هذا المثل لما ينبت والثغاب لا ينبت.

وفي كتاب مسلم طائفة طيبة قبلت الماء قوله أجادب جمع جدب محركة على غير قياس وصوّبه الأصيلي وقيل بالذال المعجمة، وهكذا ضبطه المازري ووهمه عياض. وفي رواية أبي ذر آخاذات بالكسر جمع آخاذة وهي الأرض التي تمسك الماء كالغدير، وعند الاسماعيلي أحارب بحاء مهملة وراء وآخره موحدة، وفي المصابيح ويروى: أجارد أي جرداء بارية لا يسترها النبات، قوله: ورعوا وفي رواية وزرعوا. قوله: وأصاب منها طائفة أخرى، وللأصيلي وكريمة وأصابت ووقع كذلك عند النسائي. (**فالأول ذكره مثلاً للمنتفع بعلمه، والثاني للنافع، والثالث للمحروم منها**).

أي، الأول: هو العالم العامل المعلم وهو كالأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها.

الثاني: الجامع للعلم المستغرق زمانه المعلم غيره، لكنه لم يعمل بنوافله أو لم ينفقه فيما جمع، فهو كالأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به. وقوله في الحديث: ومثل من لم يرفع بذلك رأساً هو كناية عن تكبره وعدم التفاته، وهو من دخل في الدين ولم يسمع العلم أو سمعه ولم يعمل به ولم يعلمه فهو كالأرض السبخة التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها، وأشار بقوله: ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به إلى من لم يدخل في الدين أصلاً بل بلغه فكفر به، وهو كالأرض الصماء الملساء المستوية التي يمر عليها الماء فلا تنتفع به، وهذا هو المشار إليه بالقول الثالث في كلام المصنف.

وقال الدماميني في المصابيح: وتشبيه الهدى والعلم بالغيث الكريم المذكور تشبيه مفرد بمركب إذ الهدى مفرد، وكذا العلم والمشبه به غيث كثير أصاب أرضاً منها ما قبلت الماء فأنبتت، ومنها

....

ما أمسكت خاصة، ومنها ما لم تنبت ولم تمسك مركب من عدة أمور كما تراه وشبه من انتفع بالعلم ونفع به بأرض قبلت الماء وأنبتت وهو تمثيل، لأن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من قبول المحل لما يرد عليه من الخير مع ظهور أماراته وانتشارها على وجه عام الثمرة متعدي النفع ولا يخفى أن هذه الهيئة منتزعة من أمور متعددة، ويجوز أن يشبه انتفاعه بقبول الأرض الماء ونفعه المتعدي بإنباتها الكلأ، والأول أدخل وأجزل، ثم قال: قد وقع في الحديث أنه شبه من انتفع بالعلم في خاصة نفسه ولم ينفع به أحداً بأرض أمسكت الماء ولم تنبت شيئاً أو شبه انتفاعه المجرد بإمساك الأرض للماء مع عدم انباتها، وشبه من عدم فضيلتي النفع والانتفاع جميعاً بأرض لم تمسك ماء أصلاً، وشبه فوات ذلك له بعدم إمساكها الماء. وهذه الحالات الثلاث مستوفية لأقسام الناس ففيه من البديع التقسيم.

فإن قلت: ليس في الحديث تعرض للقسم الثاني فإنه قال فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم وهذا القسم الأول، ثم قال: ومثل من لم يرفع رأساً إلخ هذا هو القسم الثالث، فأين الثاني؟ فالجواب: ذكر من الأقسام أعلاها وأدناها وطوى ذكر ما بينهما لفهمه من أقسام المشبه به المذكورة أولاً أو أن قوله: ونفعه معطوف على الموصول الأول أي: فذلك مثل من فقه في دين الله ومثل من نفعه، فتكون الأقسام الثلاثة مذكورة فمن فقه في دين الله هو الثاني، ومن نفعه الله من ذلك فعلم وعلم هو الأول، ومن لم يرفع بذلك رأساً هو الثالث. ففيه لف ونشر غير مرتب، هذا كلام الدماميني.

وقال ابن القيم: شبّه ﷺ العلم والهدى الذي جاء به بالغيث لما يحصل بكل واحد منهما من الحياة والمنافع والأغذية والأدوية وسائر مصالح العباد، فإنها بالعلم والمطر. وشبه القلوب بالأراضي التي يقع عليها المطر لأنها المحل الذي يمسك الماء فينبت سائر أنواع النبات النافع، كما ان القلوب تعي العلم فتثمر وتزكو وتظهر بركته وثمرته، ثم قسّم الناس إلى ثلاثة أقسام بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه وفهم معانيه واستنباط أحكامه واستخراج حكمه وفوائده.

أحدها: أهل الحفظ والفهم الذين حفظوه وعقلوه وفهموا معانيه واستنبطوا وجوه الأحكام والحكم والفوائد منه، فهؤلاء بمنزلة الأرض التي قبلت الماء، وهذا بمنزلة الحفظ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وهذا هو الفهم فيه، والمعرفة والاستنباط فهو بمنزلة الكلأ والعشب بالماء، فهذا مثل الحفاظ الفقهاء أهل الرواية والدراية.

القسم الثاني: أهل الحفظ الذين رزقوا حفظه ونقله وضبطه ولم يرزقوا تفقهاً في معانيه ولا استنباطاً واستخراجاً لوجوه الحكم والفوائد منه، فهم بمنزلة من يقرأ القرآن ويحفظه ويراعي حروفه وإعرابه ولم يرزق فيه فهماً خاصاً عن الله تعالى، والناس متفاوتون في الفهم عن الله تعالى ورسوله أعظم تفاوت، فرب شخص يفهم من النص حكماً أو حكمين، ويفهم منه الآخر مائة أو مائتين، فهؤلاء بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس فانتفعوا به، هذا يشرب منه، وهذا

وقال ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به ». الحديث .

يسقي، وهذا يزرع. فهؤلاء القسمان هم السعداء والأولون أرفع درجة وأعلى قدراً و﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾.

القسم الثالث: الذين لا نصيب لهم منه لا حفظاً ولا فهماً ولا رواية ولا دراية، بل هم بمنزلة الأرض التي هي قيعان لا تنبت ولا تمسك الماء وهؤلاء هم الأشقياء، والقسمان الأولان اشتركا في العلم والتعليم كل بحسب ما قبله ووصل إليه، فهذا يعلم ألفاظ القرآن ويحفظها، وهذا يفهم معانيه وأحكامه وعلومه، والقسم الثالث لا علم ولا تعليم، فهم الذين لم يرفعوا بهدى الله رأساً ولم يقبلوه، وهؤلاء شر من الأنعام وهم وقود النار، فقد أشمل هذا الحديث الشريف على التنبيه على شرف العلم وعظم موقعه وشقاء من ليس بأهله، وذكر أقسام بني آدم بالنسبة فيه إلى شقيهم وسعيدهم، وتقسيم سعيدهم إلى سابق مقرب وصاحب يمين مقتصد، وفيه دلالة على أن حاجة العباد إلى العلم كحاجتهم إلى المطر بل أعظم، وانهم إذا فقدوا العلم فهم بمنزلة الأرض التي فقدت الغيث. قال الإمام أحمد: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الانفاس. **(وقال ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له »)**. قال العراقي: رواه مسلم، وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح، والنسائي من رواية العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: إذا مات الإنسان وفيه تقديم صدقة جارية والباقي سواء اهـ.

قلت: خرّجه مسلم في الوصايا والبخاري في الأدب المفرد، ورواه الدارمي، عن موسى بن إسماعيل، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن ولفظه: انقطع من عمله، وباقي سياقه كسياق المصنف إلا أنه قال تجري له بدل جارية. قال العراقي: وفي الباب عن جابر وأبي قتادة وأبي امامة وأنس، فحديث أنس رواه أبو نعيم في رياضة المتعلمين من رواية القاسم بن عبدالله، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رفعه: ثلاثة يدركون الميت رجل علم سنة هدى وعمل بها الحديث، وحديث أبي قتادة رواه ابن ماجه من رواية زيد بن أبي أنيسة، عن زيد بن أسلم، عن عبدالله ابن أبي قتادة، عن أبيه رفعه: خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة تجري يبلغه أجرها فعمل يعمل به من بعده. واسناده جيد، وزاد بين الزيدين في رواية فليح بن سليمان اهـ.

قلت: وأخرجه أيضاً هكذا ابن خزيمة في صحيحه، وابن حبان، والطبراني في الكبير، والضياء في المختارة ولفظهم: خير ما يخلف الإنسان بعده.

قال العراقي: وحديث أبي أمامة رواه أحمد من رواية ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران عمن حدثه، عن أبي امامة رفعه: « أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت مرابط في سبيل الله ومن علم علماً فأجره يجري عليه ما عمل به » الحديث.

وقال ﷺ : « الدال على الخير كفاعله ». وقال ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين رجل

قلت: تمامه: ومن تصدق بصدقة فاجرها يجري ما وجدت، ورجل ترك ولداً صالحاً فهو يدعو له. وقد أخرجه كذلك الطبراني في الكبير، والبزار في مسنده، وأعله الهيثمي وغيره بابن لهيعة، ورجل لم يسم ولكن صححه المنذري. قال العراقي: وحديث أنس رواه أبو نعيم في الحلية من رواية محمد بن عبيدالله المزرمي، عن قتادة، عن أنس رفعه: سبع يجري أجره للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علماً أو كرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورَّث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته. قال أبو نعيم هذا حديث غريب من حديث قتادة تفرّد به أبو نعيم راويه عن المزرمي والمزرمي ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه البزار في مسنده، وسمويه في فوائده، والديلمي في الفردوس، والبيهقي وقال كالمنذري: اسناده ضعيف وتبعهما الذهبي في كتاب الموت والهيثمي، وقد خالفهم السيوطي فرمز لصحته وفيه نظر، ولا تعارض بين الحديث الذي ساقه المصنف، وبين حديث أبي أمامة أربعة إلخ، لأن أعمال الثلاث متجددة وعمل المرابط ينمو له، وفرق بين إيجاد المعدوم وتكثير الموجود، وكذا لا مخالفة بينه وبين حديث أنس هذا فقد قال فيه إلا من صدقة جارية وهي تجمع ما ذكر من الزيادة أشار له البيهقي، وروى الإمام أبو حنيفة، عن حماد بن ابراهيم قال: ثلاثة يؤجر فيهن الميت بعد موته ولد له يدعو له بعد موته فهو مؤجر بدعائه، ورجل علم علماً يعمل به ويعلمه الناس فهو يؤجر على ما عمل وعلم، ورجل ترك أرضاً صدقة. هكذا أورده محمد بن الحسن في الآثار. قال ابن قطلوبغا في أماليه وهذا في حكم المرفوع اهـ.

قلت: والمراد بالولد الفرع المسلم هبه ذكراً كان أو أنثى، أو ولد ولد كذلك وإن سفل. وجاء تقييده في الحديث الأول بالصالح، وقوله: يدعو له أي بالرحمة والمغفرة، فإن دعاءه أرجى للإجابة وأسرع قبولاً من دعاء الأجنبي، وقال الحافظ: صلاح الدين العلائي في مقدمة الأربعين له لا تعارض بين هذا الحديث وبين ما روي: « من استن خيراً فاستن به فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً » الحديث بطوله لأنه إما أن يجعل حديث من استن عاماً في كل الأمور، وحديث إذا مات الإنسان أخص منه فيحمل العام على الخاص ويقتصر على هذه الثلاثة أشياء، أو يكون قوله إذا مات إلخ منبهاً بها على ما عداها مما هو في معناها من كل ما يدوم النفع به للغير فلا تعارض بينهما بل يبقى قوله: من استن معمولاً بعمومه، والظاهر والله أعلم ان هذا أظهر الاحتمالين بدليل قوله من استن إلخ فقد أخبر بتجدد الإوزار لهـذا الميـت لما يعمل بعده من السيئات التي سنّها نعوذ بالله من ذلك وهو زائد على الثلاث التي في الحديث الآخر، لأن تلك من أعمال البر وهذه الجملة الثانية لا معارض لها وعلى كل تقدير، فالعلم وتعليم الخير من جملة الأعمال الصالحة يبقى للمرء أجرها بعد موته بحسب تجدد العاملين به. **(وقال ﷺ : « الدال على الخير كفاعله »)** قال العراقي: أخرجه الترمذي من رواية شبيب بن بشر، عن أنس بلفظ: إن الدال، وقال حديث غريب، قال العراقي ورجاله ثقات اهـ.

آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس، ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على

قلت: وفي الحديث قصة قال أنس: جاء النبي ﷺ رجل يستحمله فلم يجد ما يحمله فدلّه على آخر فحمله، فأتى النبي ﷺ فأخبره فذكر. قال العراقي: ورواه أحمد في مسنده من رواية سليمان بن بريدة عن أبيه بلفظ حديث أنس بإسناد ضعيف، ورواه ابن عدي في الكامل في ترجمة سليمان الشاذ كوني، ورواه مسلم، وأبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح من رواية ابن عمرو الشيباني، واسمه سعد بن إياس، عن أبي مسعود البدري رفعه ولفظه: «من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله». وفي الباب عن سهل بن سعد وابن مسعود اهـ.

قلت: وقد أخرجه كذلك الإمام أحمد وابن حبان وفيه القصة التي تقدمت. وقال السخاوي في المقاصد: أخرجه العسكري، وابن جميع، ومن طريقه المنذري من حديث طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس رفعه: «كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان». ومثله بل بطوله للدارقطني في المستجاد من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده به مرفوعاً. وللعسكري من حديث إسحاق الأزرق، عن أبي حنيفة، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه مرفوعاً لفظ الترجمة. وكذا هو عند البزار عن أنس، ولابن عبد البر، عن أبي الدرداء في قوله: الدال على الخير وفاعله شريكان اهـ.

قلت: أخرجه أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر العدل في مسند أبي حنيفة من طريق صالح بن أحمد بن حنبل، وأخرجه ابن خسرو في مسنده من طريق عبدالله بن أحمد قالا: حدثنا أبي، حدثنا إسحاق بن يوسف، أنبأنا أبو فلان كذا قال أي لم يسمه على عمد وسماه غيره فقال: يعني أبا حنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه بلفظ الترجمة. وفي بعض رواياته قال له: اذهب فإن الدال إلخ. وأخرجه القضاعي أيضاً من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق، عن أبي حنيفة به. وأخرج ابن خسرو في مسنده من رواية أبي حنيفة عن أنس بزيادة: والله يحب إغاثة اللهفان من طريق تدور على أحمد بن محمد بن الصلت، ورواه العيني في شرحه على معاني الآثار للطحاوي بسنده، وللحديث شاهد آخر مما أخرجه ابن عطاف في معجمه، وابن النجار عن علي مرفوعاً. «دليل الخير كفاعله». قال الراغب: والدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، وقال الزمخشري: دللته على الطريق أهديته إليه ومن المجاز الدال على الخير كفاعله ودله على الصراط المستقيم اهـ. ويدخل في ذلك دخولاً أوّلياً أولوياً من يعلم الناس العلم الشرعي ويتحملون عنه. **(وقال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس، ورجل آتاه الله مالاً وسلّطه الله على هلكته في الحق فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار»)**. قال العراقي: رواه البخاري ومسلم والنسائي في الكبرى، وابن ماجه من رواية قيس بن أبي حازم قال: سمعت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول، قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها». وفي رواية البخاري الحكمة اهـ.

....

قلت: أخرجاه من طريق الزهري، سمعت قيس ابن أبي حازم، ومن هذا الطريق أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، وابن حبان، وأخرجه البخاري في الاعتصام فقال: ألا في اثنين بغير تاء. وفي رواية ابن ماجه رجل بالنصب على لغة ربيعة، فإنهم يرسمون المنصوب بالنون بغير ألف كما يقفون عليه كذلك. وقال العراقي في الباب، عن ابن عمر، وأبي هريرة، وأبي سعيد، ويزيد بن الأخس.

قلت: بقي ان البخاري رواه في صحيحه في مواضع في التوحيد، وفي الاغتباط بالحكمة، وفي الزكاة، وفي الأحكام، وفي الاعتصام، وفي فضائل القرآن. ففي التوحيد عن علي بن عبدالله، عن سفيان، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه مختصراً، وساقه مسلم تاماً عن زهير بن حرب، عن سفيان. وأخرجه البخاري في فضائل القرآن تاماً من طريق الزهري عن سالم. وكذا الترمذي، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه ولفظهم: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» لفظ مسلم. وفي رواية له: إلا على اثنين. وهكذا قال البخاري: وقد آتاه الله الكتاب. وقال مسلم: هذا الكتاب، والباقي سواء، ومن طريق شعبة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، ومن طريق الأعمش سمعت ذكوان عن أبي هريرة. وفي الزكاة عن محمد بن المثنى، عن يحي القطان. وفي الأحكام وفي الاعتصام، عن شهاب بن عباد، عن ابراهيم بن حميد الرودسي، وأخرجه مسلم في الصلاة، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن محمد بن عبدالله بن نمير، عن أبيه ومحمد بن بشر. وأخرجه النسائي في العلم، عن إسحاق بن إبراهيم بن جرير، ووكيع عن سويد بن نصر، عن عبدالله بن المبارك خمستهم عن إسماعيل بن أبي خالد عنه به. وأخرجه ابن ماجه في الزهد، عن محمد بن عبدالله بن نمير به.

وأما حديث أبي سعيد الخدري، فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف من رواية الأعمش، عن أبي صالح عنه ولفظه: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار» فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي به فلان فعملت مثل ما يعمل. «ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق» فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، وأخرجه كذلك أبو يعلى في مسنده، والضياء في المختارة. وأخرج أبو نصر في الصلاة، عن عبدالله بن عمرو رفعه: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقرأه في الليل والنهار، ورجل أعطاه الله مالاً فأنفقه في سبيل الله».

وأخرجه أبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة بلفظ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فصرفه في سبيل الخير، ورجل آتاه الله علماً فعلمه وعمل به».

شرح الحديث لا لنفي الجنس؛ وحسد اسمه مبني معه على الفتح، وخبره محذوف أي لا حسد جائز أو صالح أو نحو ذلك. والحسد تمنى الرجل أن تتحوّل إليه نعمة الآخر أو فضيلته

هلكته في الخير ». وقال ﷺ: « على خلفائي رحمة الله. قيل: ومن خلفاؤك. قال: الذين يحبون سنتي ويعلمونها عباد الله ».

ويسلبها وهو مذموم، والغبطة أن يتمنى مثل ماله من غير أن يفتقر وهو مباح إن كان من أمر الدنيا، ومحمود إن كان من أمور الطاعات، والأول محرم إجماعاً قاله النووي، وأراد بالحسد هنا الغبطة مجازاً من إطلاق إسم المسبب على السبب. وقوله: إلا في اثنين أي في شيئين أو خصلتين، وفيه قول بأنه تخصيص لإباحة نوع من الحسد. وإخراج له من جملة ما حظر منه، فالمعنى لا حسد محمود إلا في هذا أو استثناء منقطع بمعنى لكن، وقوله: رجل بالرفع أي خصلة رجل، فلما حذف المضاف اكتسى المضاف إليه إعرابه والنصب على اضمار. أعني: وهي رواية ابن ماجه وفيه وجه آخر تقدم بيانه، وبالجر على أنه بدل من اثنين، وأما على رواية اثنتين بالتاء فهو بدل أيضاً على تقدير حذف المضاف أي خصلة رجل، وقوله: رجل لا مفهوم له، وإلا فالأنثى تشترك معه. قوله: فسلط بالبناء للمفعول هي رواية أبي ذر، وعند الباقين فسلطه وعبر بالتسليط لدلالته على قهر النفس المجبولة على الشح. وفي هذه الجملة مبالغتان. **إحداهما**: التسليط لأنه يدل على قهر النفس، والأخرى لفظ الهلكة. والهلكة محركة الهلاك، فإنه يدل على أنه لا يبقى من المال شيئاً، ولما أوهم اللفظان التبذير وهو صرف المال فيما لا يعني ذكر قوله في الحق دفعاً لما يتوهم من ذلك، والحكمة المراد منها القرآن، وفيه إشارة إلى الكمال العلمي، وقوله: يقضي بها إشارة إلى الكمال العملي وبها التكميل والله وأعلم.

(وقال ﷺ: « على خلفائي رحمة الله. قيل: ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يحبون سنتي ويعلمونها عباد الله »). قال العراقي: رواه ابن عبد البر في العلم، والهروي في ذم الكلام من رواية عمرو بن أبي كثير. وقال الهروي: عمرو بن كثير، عن أبي العلاء، عن الحسن. زاد الهروي بن علي. قال: قال رسول الله ﷺ: « رحمة الله على خلفائي » مرتين ولم يكررها الهروي فجعله الهروي متصلاً. وقال ابن عبد البر: إنه من مرسلات الحسن، فجعله البصري وهو الصواب، وعمرو لا أدري من هو. وقد تقدم الكلام عليه في آخر الحديث الثامن والثلاثين.

وفي الباب عن علي بن أبي طالب رواه الطبراني في الأوسط، وابن السني، وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين، وأبو نعيم أيضاً في فضل العالم العفيف، والرامهرمزي في المحدث الفاضل، والهروي في ذم الكلام من رواية ابن عباس قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « اللهم ارحم خلفائي. قلنا يا رسول الله: من خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس » وفي إسناده أبو الطاهر أحمد بن عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وهو كذاب كما قاله الدارقطني. وقد رواه ابن عساكر في أماليه من طريق آخر، وفيه عبد السلام بن عبيد نسبه ابن حبان إلى سرقة الحديث، واحتج به أبو عوانة في صحيحه ولا يغتر برواية أبي المظفر هناد بن إبراهيم النسفي لهذا الحديث

(وأما الآثار) فقد قال عمر رضي الله عنه: من حدَّث حديثاً فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معلم الناس الخير يستغفر

من طريق ابن دِاسة، عن أبي داود عن عبيد بن هشام الحلبي، فإن هذا لم يروه أبو داود هنا، والنسفي كان راوية للموضوعات كما قال صاحب الميزان انتهى.

قلت: أما حديث علي فقد أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث، والضياء المقدسي في مناقب أصحاب الحديث كلاهما من رواية أحمد بن عيسى العلوي، حدثنا ابن أبي فديك، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس قال: سمعت علياً يقول: خرج النبي ﷺ فساقه. وأخرجه الضياء من رواية أبي القاسم عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي، حدثني أبي، حدثني أبو الحسن علي بن موسى الرضى، عن آبائه عن علي بلفظ: «اللهم ارحم خلفائي» ثلاثاً والباقي سواء. وأخرج الخطيب، والضياء أيضاً من رواية سعيد بن عباس بن الخليل، حدثنا عبد السلام بن عبيد، حدثنا ابن أبي فديك فذكره. وفي بعض طرق العلوي عند الخطيب، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس: قال الخطيب: والأول أشبه بالصواب. وقال الطبراني في الأوسط بعد ما أخرجه تفرد به أحمد بن عيسى العلوي. وفي الميزان هذا الحديث باطل وأحمد كذاب، واستدل بهذا الحديث على جواز إطلاق لفظ الخلفاء على أصحاب الحديث. ومثل ذلك ما مر في حديث علي رضي الله عنه أولئك خلفاء الله في أرضه ودعاته إلى دينه. وفي قوله تعالى: ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ [النمل: ٦٢]. وقال سهل التستري: من أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء فهم خلفاء الرسل في أممهم وورثوهم في علمهم، فمجالسهم مجالس خلافة النبوة، وهو أحد الوجهين في الإطلاق، ومنعه آخرون وأولوا ما في الحديث والقرآن.

وأما إحياء السنة: فقد أخرج الترمذي من رواية علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أنس رفعه: «من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة» وفي الحديث قصة. وروى الدارمي من رواية مروان بن معاوية، عن كثير بن عبدالله، عن أبيه، عن جده رفعه: قال لبلال بن الحرث «اعلم يا بلال، من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء». وكثير بن عبدالله مختلف فيه. والله أعلم.

(**وأما الآثار**): ذكر فيه من قول عمر وابن عباس رضي الله عنهم، ومن قول عطاء والحسن وعكرمة، وهؤلاء من التابعين، ثم من قول يحي بن معاذ وبعض الحكماء، وأورد فيه قول معاذ بن جبل موقوفاً عليه، وقد روي مرفوعاً أيضاً كما سيأتي بيانه. (**قال عمر**) ابن الخطاب رضي الله عنه (**من حدث بحديث**) أي لما فيه من الأحكام الشرعية (**فعمل به**) إمتثالاً للأمر وتشوقاً لحصول الأجر (**فله**) أي للمحدث (**مثل أجر ذلك العمل**) وشاهده حديث بلال بن الحرث المتقدم قريباً. (**وقال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى**

له كل شيء حتى الحوت في البحر ، وقال بعض العلماء : العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل ، ورُوِيَ أن سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان ، فقال : اكروا لي لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم ، وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به . وقال عطاء رضي الله عنه دخلت على

الحوت في البحر) وهذا قد مر في أثناء حديث أبي أمامة فيما رواه الترمذي : إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير . وفي حديث أبي الدرداء وصلت عليه ملائكة السماء وحيتان البحر ، ويروى أيضاً : إن العالم يستغفر له من في السموات والأرض وحتى الحيتان في الماء ، وذلك لأنه لما كان معلم الخير سبباً في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع الهلكات ، وكان سعيه مقصوراً على هذا ، وكانت نجاة العباد على يديه جوزي من جنس عمله ، وجعل من في السموات والأرض ساعياً في نجاته من أسباب الهلكات باستغفارهم له . وقد قيل : إن قوله كل شيء عام في الحيوانات ناطقها وبهيمها طيرها وغيره ، ويؤكده قوله حتى الحوت في البحر ، والسر فيه أن العالم أشفق الناس على الحيوان وأقومهم ببيان ما خلق له ، فالعالم معرف لذلك فاستحق أن تستغفر له البهائم ، ذكر الأجهوري في شرح مختصر البخاري ما نصه . إنما خص الحوت بالذكر لكونه لا لسان له وما لا لسان له ربما يتوهم عدم استغفاره لمعلم الخير بخلاف غيره من الحيوان ، فإنه وإن صغر له لسان اهـ .

(وقال بعض العلماء : العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه) أي هو الواسطة في وصول الخلق وإرشادهم ودلالتهم على الحق **(فلينظر كيف يدخل)** أي فعليه بأمحاض النية واستعمال الخشية ليكون تعليمه على طبق المعرفة من غير كتمان ولا نجس ونحو ذلك ، أو لينظر كيف تكون منزلته عند الله وليشكر على هذه النعمة التي أوتيها من بين العباد . إذ صار من خلفاء الأنبياء ووارث مقامهم للخاص والعام . **(وقد روي أن سفيان)** ابن سعد **(الثوري)** ستأتي ترجمته فيما بعد **(قدم عسقلان)** وهي مدينة من أعمال فلسطين على البحر كانوا يرابطون بها . وهذا قد أخرجه ابن الجوزي في ترجمته من رواية داود بن الجراح قال : قدم الثوري عسقلان **(فمكث)** ثلاثاً **(لا يسأله إنسان)** عن شيء **(فقال : اكتروا لي)** ونص ابن الجوزي اكتر لي خطاب لداود بن الجراح **(لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم)** أي لقلة سائليه عنه ، **(وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء للعلم به)** فإن مذاكرة العلم ومساءلته حياة له وإبقاء . ويروى عن حمزة قال : كان سفيان ربما حدث بعسقلان ، فربما إذا حدث الحديث قال للرجل هذا خير لك من ولايتك صور وعسقلان .

(وقال عطاء) : هو عطاء بن أبي رباح **(دخلت على)** **أبي محمد (سعيد بن المسيب)** ابن حزن المخزومي القرشي أحد الأعلام وسيد التابعين ثقة حجة رفيع الذكر روى عن عمر وعثمان وسعد ، وعنه الزهري وقتادة ويحيى بن سعيد توفي سنة أربع وتسعين عن ست وسبعين . **(وهو**

سعيد بن المسيب وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: ليس أحد يسألني عن شيء. وقال بعضهم: العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره.

يبكي فقلت له: ما يبكيك؟ فقال:) يبكيني أنه **(ليس أحد يسألني عن شيء)** فحزنه على فوات فضيلة التعليم والإرشاد ولولا خطر مقامه وعظيم منزلته لما بكى على فواته. **(وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل واحد منهم مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره)** السرج: بضمتين جمع سراج هو والمصباح شيء واحد، والأزمنة جمع زمان هو والعصر شيء واحد. قال صاحب المصباح: السراج بالكسر المصباح وجمعه سرج ككتاب وكتب، والمسرجة بالفتح التي فيها الفتيلة والدهن، وبالكسر التي يوضع فيها المسرجة، والجمع مسارج وأسرج السراج أوقد، ثم قال: والمصباح معروف والجمع مصابيح، ثم قال: والزمان مدة قابلة للقسمة، ولهذا يطلق على الوقت القليل والكثير، والجمع أزمنة والعصر الدهر والجمع عصور وأعصر، فإذا عرفت ذلك فأعلم أن مغايرة التعبير مع اتحاد المعنى تفنن، وهذا الذي ذكره عن البعض قد جاء مصداقه في الحديث الذي أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، عن أنس رفعه بسند فيه القاسم ابن إبراهيم الملطي، قال الدارقطني: كذاب اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة، والحديث وإن كان أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وجزم به السيوطي وغيره، فالمعنى صحيح أن يستضاء بهم من ظلمات الجهل كما ينجلي ظلام الليل بالسراج المنير بالليل ويهتدى به فيه فمن اقتدى بهم اهتدى بنورهم، وشبه العالم بالسراج لأنه تقتبس منه الأنوار بسهولة وتبقى فروعه بعده، وكذا العالم ولأن البيت إذا كان فيه سراج لم يتجاسر اللص على دخوله مخافة أن يفتضح، وكذا العلماء إذا كانوا بين الناس اهتدوا بهم إلى طلب الحق وازاحة ظلمة الجهل والبدعة، ولأنه إذا كان في البيت سراج موضوع في كوة مسدودة بزجاج أضاء داخل البيت وخارجه، وكذا سراج العلم يضيء في القلب وخارج القلب حتى يشرق نوره على الأذنين والعينين واللسان، فتظهر فنون الطاعات من هذه الأعضاء، ولأن البيت الذي فيه السراج صاحبه متأنس مسرور، فإذا طفىء استوحش، فكذلك العلماء ما داموا في الناس فهم مستأنسون مسرورون، فإذا ماتوا صار الناس في غم وحزن.

فإن قلت: ما الحكمة في التشبيه بخصوص السراج، وما المناسبة التامة بينهما؟

قلت، المصباح تضره الرياح والعلم يضره الوسواس، والشبهات والسراج لا يبقى بغير دهن، والعلم لا يبقى بغير توفيق، ولا بد للسراج من حافظ يتعهده، ولا بد لمصباح العلم من متعهد وهو فضل الله وهدايته، ولأن السراج يحتاج إلى سبعة أشياء. زناد وحجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن، والعبد إذا طلب إيقاد سراج العلم لا بد من قدح زناد الفكر على حجر التضرع، وإحراق النفس بمنعها من شهواتها، وكبريت الأنابة، ومسرجة الصبر، وفتيلة الشكر، ودهن الرضا. وقد ورد أيضاً تشبيه العلماء بالنجوم والكواكب وبالقمر تقدم ذلك في حديث أبي الدرداء الطويل، فلا يرد لمَ لم يشبههم بالقمرين والنجوم مع أنها أنور وأرفع في المشارق

وقال الحسن رحمه الله: لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أي انهم بالتعليم يخرجون الناس من حدّ البهيمية إلى حد الإنسانية. وقال عكرمة: إن لهذا العلم ثمناً. قيل: وما هو؟ قال: إن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه.

وقال يحيى بن معاذ: العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة، وقيل: أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره. وقيل: علّم

والمغارب. (**وقال الحسن**) البصري: (**لولا العلماء**) بالله وبأحكام الله (**لصار الناس**) في جاهلية جهلاء (**مثل البهائم**) والأنعام لا يهتدون سبيلاً (**لأنهم**) أي الناس. وفي نسخة أي أنهم (**بالتعليم**) لأمور الدين (**يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية**) وتحقيق المقام أن الإنسان وإن كان هو بكونه إنساناً أفضل موجود فذلك إذ يراعي ما به صار إنساناً وهو العلم والعمل المحكم، فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضل، وهذا لا سبيل إليه إلا بالتعلم. وأما هو من حيث ما يتغذى وينسل فنبات، ومن حيث ما يحس ويتحرك فحيوان، ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة في جدار، وإنما فضيلته بالنطق وقواه ومقتضاه، ولهذا قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة، وهذه المراتب لا تحصل له إلا بالتعليم، وبه يتميز من الحيوانية ويخرج منها إلى حد الإنسانية، فالعلماء هم الذين يعلمون الناس بما يصيرون به إنساناً. (**وقال عكرمة**) أبو عبدالله المفسر مولى بن عباس، روى عن مولاه، وعائشة، وأبي هريرة، وطائفة. وعنه أيوب وخالد الحذاء وخلف روى له مسلم مقروناً مات بعد المائة (**إن لهذا العلم**) أراد به العلم بالله وأوامره وأحكامه (**ثمناً**) أي قيمة وقدراً (**قيل: وما ذلك**) الثمن. قال: (**أن تضعه**) في موضعه (**فيمن يحسن حمله**) بأن يكون مراده بذلك العمل به والنفع لغيره بإيصاله إليه لا لقصد المباهاة وغير ذلك (**ولا تضيعه**) بعدم العمل به أو بوضعه فيمن لا يحسن حمله، فواضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير بالدر واليواقيت، وسيأتي ذلك. وفي قول النسابة البكري إن للعلم آفة ونكداً وهجنة فآفته نسيانه ونكده الكذب فيه، وهجنته نشره عند غير أهله. (**وقال يحيى بن معاذ**) الرازي أحد أعيان الصوفية المشاهير: (**العلماء أرحم**) أي أكثر رحمة وشفقة وحنواً (**بأمة محمد**) ﷺ (**ومن آبائهم وأمهاتهم قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم**) بمقتضى الشفقة المجبولين عليها (**من نار الدنيا**) أي: من الوقوع فيها (**وهم يحفظونهم**) بمقتضى الرحمة التامة والهداية العامة (**من نار الآخرة**) أي يعلمونهم بما يكون سبباً لنجاتهم منها، وللعلماء في الأرحمية بهم وجوه أخر كتغذيتهم إياهم بالحكمة التي بها قوام الروح، والأبوان يغذيانهم بما فيه قوام الجسد، والعلماء يحلونهم بالحياء والسكينة والوقار، والأبوان يستراتهم بلبس الظاهر والعلماء بلباس الباطن. (**وقيل: أول العلم الصمت، ثم الإستماع، ثم الحفظ، ثم العمل ثم نشره**). هذا القول روي عن

....

كل من السفيانين، فأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة ابن عيينة قال: حدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، سمعت بشر بن محمد الجرشي يقول: سمعت ابن عيينة يقول: أول العلم الإستماع ثم الانصات ثم الحفظ ثم العمل ثم النثر. وأخرج ابن الجوزي في ترجمة سفيان الثوري فقال: ويروى عن سفيان بطرق أنه قال: أول العلم الصمت، والثاني الإستماع له وحفظه، والثالث العمل به، والرابع نشره وتعليمه اهـ.

فللعلم مراتب خمس في قول ابن عيينة، وأربعة على قول الثوري، وفصل الخطاب في ذلك أن للعلم ست مراتب. أولها: حسن السؤال، الثانية: حسن الإنصات والإستماع. الثالثة: حسن الفهم. الرابعة: الحفظ. الخامسة: التعليم. السادسة: وهي ثمرته هي العمل به ومراعاة حدوده، فمن الناس من يحرمه لعدم حسن سؤاله. أما انه لا يسأل بحال أو يسأل عن شيء وغيره أهم إليه منه كمن يسأل عن فصوله التي لا يضر جهله بها ويدع ما لا غنى له عن معرفته: وهذه حال كثير من الجهال المتعاطين. ومن الناس من يحرمه لسوء إنصاته فيكون الكلام والمعاداة عنده آثر من حسن الإستماع. وهذه آفة كائنة في أكثر النفوس الطالبة للعلم وهي تمنعهم علماً كثيراً ولو كان حسن الفهم. ذكر ابن عبد البر عن بعض السلف أنه قال: من كان حسن الفهم رديء الإستماع لم يقم خيره بشره. وذكر عبدالله بن أحمد في كتاب العلل له قال: كان عبدالله بن الزبير يحب مماراة ابن عباس، فكان يخزن علمه عنه، وكان عبيدالله بن عبدالله يلطف له في السؤال فيعره بالعلم عراء. وقال ابن جريج: لم أستخرج العلم الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به. وقال بعض السلف: إذا جالست العالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وقد قال تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ق: ٣٧] فتأمل ما تحت هذه الألفاظ من كنوز العلم، وكيف تفتح مراعاتها للعبد أبواب العلم والهدى، وكيف ينغلق باب العلم عنه من إهمالها وعدم مراعاتها، فإنه سبحانه ذكر أن آياته المسموعة والمرئية المشهودة إنما تكون تذكرة لمن كان له قلب، فإن من عدم القلب الواعي عن الله لم ينتفع بكل آية تمر عليه ولو مرت به كل آية، فإذا كان له قلب كان بمنزلة البصير إذا مرت به المرئيات فهو يراها، ولكن صاحب القلب لا ينتفع بقلبه إلا بأمرين. **أحدهما:** أن يحضره ويشهده لما يلقي إليه، فإذا كان غائباً عنه مسافراً في الأماني والشهوات والخيالات لا ينتفع به، فإذا أحضره وأشهده لم ينتفع إلا بأن يلقي سمعه ويصغي بكليته إلى ما يوعظ به ويرشد إليه وهنا ثلاثة أمور. **أحدها:** سلامة القلب وصحته وقبوله. **الثاني:** إحضاره وجمعه ومنعه من الشرود والتفرق. **الثالث:** إلقاء السمع وإصغاؤه والإقبال على الذكر فذكر الله تعالى الأمور الثلاثة في هذه الآية. وفي الكشاف لمن كان له قلب واع لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له، والقاء السمع الإصغاء وهو شهيد أي حاضر بفطنته، لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب اهـ.

والمقصود بيان حرمان العلم من هذه الوجوه الستة. **أحدها:** ترك السؤال. **الثاني:** سوء

علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم ما تجهل، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت. وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم. ورأيته أيضاً مرفوعاً: تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من

الأنصات وعدم القاء السمع. **الثالث:** سوء الفهم. **الرابع:** عدم الحفظ. **الخامس:**عدم نشره وتعليمه، فإن من خزن علمه ولم ينشره ولم يعلمه ابتلاه الله بنسيانه وذهابه منه جزاء من جنس عمله. **السادس:** من عدم العمل به، فإن العمل به يوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه، فإذا أهمل العمل به نسيه. قال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به، فالعمل به من أعظم أسباب حفظه وثباته. والله أعلم.

(**وقيل: علم علمك من يجهل**) أي ليكن تعليمك للجاهلين (**وتعلم ممن يعلم**) أي وتعلمك من العالمين. أي: إذا رأيت من دونك فافده بما عندك ولا تكتم عليه، وإذا رأيت من فوقك في العلم فاستفد منه بما ليس عندك، (**فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت**) بتعلمك من العالم، (**وحفظت**) أي أثبت واستوثقت (**ما علمت**) بإفادتك للغير، والمدارسة توجب الرسوخ في الذهن والثبات في الفكرة. (**وقال معاذ بن جبل**): ابن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي ابن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي. أبو عبد الرحمن المدني الصحابي رضي الله عنه. قال ابن الكلبي، عن أبيه: لم يبق من بني أدي بن سعد أحد وعدادهم في بني سلمة بن سعد، وكان آخر من بقي منهم عبد الرحمن بن معاذ بن جبل مات في الشام بالطاعون، فانقرضوا. قال ابن عبد البر: وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مسعود، وهو أعلم هذه الأمة بالحلال والحرام. مات في طاعون عمواس وهو ابن ثلاث وثلاثين. (**في التعليم والتعلم**) أي في فضلها موقوفاً عليه وهو الأشبه بالصواب، كما ذهب إليه أبو طالب المكي، وأبو نعيم في الحلية، والخطيب، وابن القيم وغيرهم.

(**ورأيته أيضاً مرفوعاً**) إلى رسول الله ﷺ. كذا رواه أبو نعيم في المعجم ولا يثبت، وحسبه أن يصل إلى معاذ. ورواه ابن عبد البر في العلم من رواية موسى بن محمد بن عطاء القرشي، حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمي، عن أبيه، عن الحسن بن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. هذا سند المرفوع، وأما سند الموقوف فقال أبو طالب المكي في الفصل الحادي والثلاثين من القوت: وروينا في فضل العلم بالله تعالى من رواية رجاء بن حيوة، عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل قال: فذكره. وأورده أبو نعيم في الحلية في ترجمة معاذ فلم يذكر بين رجاء ومعاذ عبد الرحمن فقال: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إبراهيم بن يحيى، حدثنا يعقوب الدورقي، حدثنا محمد ابن موسى المروزي أبو عبدالله قال: قرأت هذا الحديث على هشام بن مخلد وكان ثقة فقال: سمعته من ابن عصمة، عن رجل سماه عن رجاء بن حيوة، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (**تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية**) هكذا في سائر الروايات، وفي

لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة والدليل على الدين، والمصير على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء، والقريب عند الغرباء، ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه

القوت حسنة وهو إن لم يكن تصحيفاً فالمعنى صحيح **(وطلبه عبادة)** ويروى عنه من وجه آخر: عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة **(ومدارسته)**. وفي الحلية ومذاكرته. وهكذا عند ابن عبد البر **(تسبيح)** أي مذاكرته مع الإخوان بقصد النفع يقوم مقام التسبيح في حصول الأجور **(والبحث عنه)** في الغدو والرواح في تفحص أسراره وحكمه **(جهاد)** لما فيه من بذل قوة البدن والحواس والمال، **(وتعليمه لمن لا يعلمه)** هكذا عند الجماعة وعند ابن القيم لمن لا يحسنه **(صدقة)** جارية إلى يوم القيامة، **(وبذلـه)** أي صرفه **(لأهله)** ممن يحسن حمله **(قربة)** أي: سبب للقرب إلى الله تعالى. وعند ابن القيم بعد هذه الجملة: به يعرف الله ويعبد، وبه يوحد، وبه يعرف الحلال والحرام وتوصل الأرحام. وفي الحلية وكذا عند ابن عبد البر بعد قوله قربة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل أهل الجنة، ثم اتفقوا فقالوا: وهو الأنيس في الوحدة هكذا في النسخ، ومثله عند ابن القيم، وفي نسخة العراقي وهو الأنس في الوحدة، وفي الحلية والأنس في الوحشة أي يؤنس صاحبه في وحدته. أي: في المقبر أو حال توحده عن الناس وتوحشه منهم. **(والرفيق في الغربة)** كذا في النسخ وسقطت من بعض النسخ. وفي الحلية والصاحب في الغربة أي معين له في أسفاره **(والصاحب في الخلوة)**. ونص الحلية، وابن عبد البر والمحدث في الخلوة أي مغن له عن إتخاذ أصحاب التسلية. **(والدليل على السراء والضراء)**. كذا في النسخ، وعند ابن القيم والمعين على الضراء، وزاد في الحلية بعدها والسلاح على الأعداء، وكذا عند ابن عبد البر أيضاً **(والوزير عند الإخلاء)**. كذا في النسخ، وعند ابن عبد البر والزين بدل الوزير ومثله في الحلية. **(والقريب عند الغرباء)** كذا نص القوت وابن القيم، وليست هذه الجملة في الحلية ولا عند ابن عبد البر **(ومنار سبيل الجنة)** كذا هذه الجملة هنا في رواية الخطيب وابن القيم، وتقدمت بعد قوله قربة عند ابن عبد البر وأبي نعيم إلا أنهما قالا: ومنار سبيل أهل الجنة **(يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير)**. وفي الحلية: ويجعلهم بالواو **(قادة هداة)** كذا في القوت وليس في الحلية هداة **(يقتدى بهم)** . وعند الخطيب: قادة وسادة يقتدى بهم، وفي بعض النسخ يهتدى بهم **(أدلة في الخير)** وفي بعض النسخ على الخير **(تقتص)** أي تتبع **(آثارهم وترمق)** أي تنظر **(أفعالهم)** ونص الحلية بعد قوله: قادة وأئمة تقتبس آثارهم ويقتدى بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، ومثله عند ابن عبد البر إلا أنه قال: تقتص بدل تقتبس، **(وترغب الملائكة في خلتهم)** أي مصادقتهم **(وبأجنحتها تمسحهم)** تبركاً بهم أو تحف عليهم بأجنحتها حفظاً وصيانة **(كل رطب ويابس)** وفي بعض النسخ بزيادة واو العطف

والسماء ونجومها، لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوّة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر. فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحّد وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام، وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق.

(**لهم يستغفر**). وفي بعض النسخ يستغفر لهم، وعند ابن عبد البر يستغفر لهم كل رطب ويابس، وكذا في الحلية. وعند الخطيب حتى حيتان البحر، وفي الحلية حتى الحيتان في البحر، وعند ابن عبد البر بعد قوله: ويابس وحيتان البحر (**وهوامه**) جمع هامة ماله سم يقتل كالحية، وقد تطلق على ما يؤذي والضمير عائد إلى البحر (**وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها**). وهذه الجملة الأخيرة ليست في الحلية ولا عند ابن عبد البر، (**لأن العلم حياة القلب من العمى**) وفي الحلية من الجهل، وعند ابن عبد البر حياة القلوب من الجهل، وعند ابن القيم: والعلم حياة القلوب من العمى (**ونور الأبصار**). وعند ابن القيم ونور للأبصار، وفي الحلية ومصباح الأبصار، وعند ابن عبد البر ومصابيح الأبصار (**من الظلم**). وفي الحلية: من الظلمة (**وقوة الإبدان**) وعند ابن القيم: للإبدان (**من الضعف**) وسقطت هذه الجملة الأخيرة من الحلية وعند ابن عبد البر. (**يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى**)، وعند ابن عبد البر، وأبي نعيم الأخيار بدل الأبرار. وفي آخره في الدنيا والآخرة إلا أن أبا نعيم قال: يبلغ بالعلم، وقال: الدرجات العليا (**التفكر. فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام**)، وعند ابن عبد البر يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام (**به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد**) وفي بعض النسخ يؤجر (**وبه يتورع وبه توصل الأرحام**) هذه الجمل سقطت من الحلية، وهي عند الخطيب وابن القيم في أول الحديث كما أشرنا إليه، والذي في الحلية، وكذا عند ابن عبد البر بعد قوله بالقيام، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام. وتحقيق هذا المحل إن كل ما سوى الله يفتقر إلى العلم لا قوام له بدونه، فإن الوجود وجودان. وجود الخلق ووجود الأمر والخلق والأمر مصدرهما علم الرب وحكمته، فكل ما ضمه الوجود من خلقه وأمره صادر عن علمه وحكمته، فما قامت السموات والأرض وما بينهما إلا بالعلم ولا بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا بالعلم ولا عبدالله وحده وحمده وأثنى عليه ومجد إلا بالعلم ولا عرف الحلال من الحرام إلا بالعلم ولا عرف فضل الإسلام على غيره إلا بالعلم (**هو إمام والعمل تابعه**) وعند الخطيب للعمل والعمل تابعه وعند ابن عبد البر وأبي نعيم وهو إمام العمل والعمل تابعه (**يلهمه السعداء**) أي من سبقت له السعادة الأزلية ألهم بالعلم (**ويحرمه الأشقياء**). أي: ليس لهم نصيب منه. هكذا رواه أبو نعيم في الحلية، وأبو طالب المكي في القوت، والخطيب وابن القيم وغيرهم موقوفاً. ورواه أبو نعيم في المعجم، وابن عبد البر كما تقدم مرفوعاً وقال في آخره: وهو

(الشواهد العقلية)

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته، وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال، فلقد ضلّ عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيداً حكيم أم لا، وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها. والفضيلة مأخوذة من الفضل وهي الزيادة؛ فإذا تشارك شيئان في

حديث حسن، ولكن ليس له إسناد قوي. وقد رويناه من طرق شتى موقوفاً، ثم رواه من رواية أبي عصمة نوح بن أبي مريم، عن رجاء بن حيوة، عن معاذ موقوفاً.

قال العراقي: قوله حسن أراد به الحسن المعنوي لا الحسن المصطلح عليه بين أهل الحديث، فإن موسى بن محمد البلقاوي كذبه أبو زرعة وأبو حاتم، ونسبه العقيلي وابن حبان إلى وضع الحديث، وعبد الرحمن بن زيد متروك. وأبوه مختلف فيه، والحسن لم يدرك معاذاً، وأبو عصمة المذكور في الموقوف ضعيف أيضاً. كان يقال له نوح الجامع قال ابن حبان جمع كل شيء إلا الصدق، ورجاء ابن حيوة أيضاً لم يسمع من معاذ، وروى الموقوف سليم الرازي في الترغيب والترهيب من طريق آخر وفيه كنانة بن جبلة ضعيف جداً.

قلت: ولكن صرّح أبو طالب أن رجاء بن حيوة سمعه من عبد الرحمن بن غنم عن معاذ، فهذا أشبه والله أعلم.

وقال العراقي في تخريجه الصغير: أخرجه بطوله أبو الشيخ في كتاب الثواب له، وقال في تخريجه الكبير، وفي الباب عن أنس وأبي هريرة وعبدالله بن أبي أوفى، فحديث أنس رواه المرهبي في العلم من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رفعه، والرقاشي ضعيف، وحديث أبي هريرة رواه الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقة مع اختلاف بإسناد ضعيف من رواية العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة. وحديث ابن أبي أوفى رواه المظفر بن الحسين الغزنوي في كتاب فضائل القرآن وقال: تعلموا القرآن بدل العلم وزاد فيه زيادات منكرة وهو منكر جداً.

الشواهد العقلية:

لما فرغ من بيان الشواهد النقلية في فضيلة العلم والتعلم والتعليم شرع في بيان الشواهد العقلية، والشاهد هو المعلوم المستدل به قبل العلم بالمستدل عليه، سواء علم ضرورة أو استدلالاً، والمراد بالشواهد هنا الجزئيات التي يؤتى بها لإثبات القواعد، (اعلم أن المطلوب من سياق هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته) أي خطره وعزة قدره **(وما لم تفهم الفضيلة بنفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن يعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال)**، فلا بد من معرفتها باشتقاقها وحدودها أولاً. **(ولقد ضلّ عن الطريق)** أي طريق الرشد **(من طمع أن يعرف أن زيداً)** مثلاً **(حكيم أم لا، وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها)** وإطلاقاتها، وحيث كان الأمر كذلك **(فالفضيلة)** فعيلة **(مأخوذة من الفضل)** ودائرة الأخذ أوسع من

أمر واختص أحدهما بمزية يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء، كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوّة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة، فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل أنه أفضل، لأن تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى وليست من الكمال في شيء، والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه؛ فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن

دائرة الاشتقاق، ولذا لم يقل مشتقة (**وهو**) أي الفضل لغة (**الزيادة**) زاد الراغب في مفرداته على الاقتصاد، وهو اسم لما يتوصل به إلى السعادة ويضادها الرذيلة. وقال ابن السيد في الفرق: الفضل إذا كان يراد به الزيادة ففيه ثلاث لغات كنصر وعلم وكرم، وأما الفضل الذي هو بمعنى الشرف فليس فيه إلا لغة واحدة وهي فضل يفضل كقعد يقعد، وتمام البحث في شرحنا على القاموس (**فإذا تشارك شيئان في أمر**) من الأمور (**واختص أحدهما بمزية**) فعيلة من مزي، وهي فضيلة يمتاز بها عن غيره. قالوا: ولا ينبني منه فعل. (**يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء**) والبلوغ إلى أقصى مراتبه، (**كما يقال الفرس أفضل من الحمار**) يقال ذلك (**بمعنى أنه يشاركه**) أي: الفرس (**في قوة الحمل**) أي: ينهض بالحمل الثقيل، فكل منهما مشاركان في هذا الوصف (**ويزيد عليه الفرس**) بأوصاف أخرى (**بقوة الكر**) أي قوة إقدامه في الكر أي الحمل على عدوه، فإنه ينقض عليه كالبازي (**والفر**) أي نهضته للفرار إذا لم يمكن صاحبه المقاتلة (**وشدّة العدو**) أي الجري مع سهولة في الحالتين، كما قالوا: إن سبق لحق وإن سبق لم يلحق (**وحسن الصورة**) مع ما فيه من الأوصاف قال الدميري في حياة الحيوان: الفرس أشبه بالإنسان لما فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة والزهو والخيلاء، ومن شرفه أن لا يأكل بقية علف غيره ويرى المنامات كبني آدم ويوصف بحدة البصر وربما يعيش إلى تسعين سنة اهـ.

(**فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة**) وتغولي ثمنه (**لم يقل أنه أفضل**) من الفرس (**لأن تلك زيادة في الجسم وهو نقصان من المعنى وليس من الكمال في شيء، والحيوان مطلوب بمعناه وصفاته**) التي منها حمل الأثقال والصبر والإبلاغ (**لا لجسمه**)، إعلم أن الفضل إذا استعمل لزيادة حسن أحد الشيئين على الآخر ثلاثة أضرب. فضل من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات، وفضل من حيث النوع كفضل الانسان على غيره من الحيوان، وفضل من حيث الذات كفضل رجل على آخر، فالأولان جوهران لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه، وأن يستفيد الفضل كالفرس والحمار لا يمكنه اكتساب فضيلة الانسان، والثالث قد يكون عرضاً يمكن اكتسابه، ومن هذا النحو التفضيل المذكور في قوله تعالى ﴿والله فضَّل بعضكم على بعض﴾ [النحل: ٧١] أي في المكنة والجاه والمال والقوة، (**وإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة**) على الاطلاق، بل أصل كل الفضائل الداخلية، (**وإن أخذته**

العلم فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الأوصاف، كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الحيوانات، بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الاطلاق، والعلم فضيلة في ذاته على الاطلاق من غير إضافة؛ فإنه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء، بل الكيس من الخيل خير من البليد. فهي فضيلة على الاطلاق من غير إضافة. واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب

بالإضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو) أي الركض والجري **(فضيلة في الفرس وليس فضيلة على الاطلاق، والعلم فضيلة في ذاته على الاطلاق من غير إضافة)** ونسبة إلى شيء آخر، **(فإنه وصف لكمال الله تعالى وبه شرف الملائكة والأنبياء)**. إذ لم يبعث الرسل ولا أنزلت الكتب إلا بالعلم، بل ما قامت السموات والأرض وما بينهما إلا بالعلم، فكلما ضمه الوجود من خلقه وأمره صادر عن علمه وحكمته، واختلف هنا في مسألة وهي هل العلم صفة فعلية أو انفعالية؟ فقالت طائفة: هو صفة فعلية لأنه شرط أو جزء سبب في وجود المفعول، فإن الفعل الاختياري يسند عن حياة الفاعل وعلمه وقدرته وإرادته ولا يتصور وجوده بدون هذه الصفات، وقالت طائفة: هو انفعالي فإنه تابع للمعلوم يتعلق به على ما هو عليه، فإن العلم درك المعلوم على ما هو به، فإدراكه تابع له فيكون متقدماً عليه، والصواب أن العلم قسمان، فعلي وهو علم الفاعل المختار بما يريد ان يفعله فإنه موقوف على إرادته الموقوفة على تصور المراد والعلم به، فهذا علم قبل الفعل متقدم عليه مؤثر فيه، وعلم انفعالي: وهو العلم التابع للمعلوم الذي لا تأثير له فيه كعلمنا بوجود الأنبياء والملوك وسائر الموجودات، فإن هذا العلم لا يؤثر فيه المعلوم ولا هو شرط فيه، فكل من الطائفتين نظرت جزئياً وحكمت كلياً، وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس، وكلا القسمين صفة كمال ونقصه من أعظم النقص، **(بل الكيس)** فيعل من الكياسة **(من الفرس خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير إضافة)**. إعلم أن الله سبحانه خلق الموجودات، وجعل لكل شيء منها كمالاً يختص به هو غاية شرفه، فإذا عدم كماله انتقل إلى الرتبة التي دونه واستعمل فيها فكان استعماله فيها كمال أمثاله، فإذا عدم تلك أيضاً نقل إلى ما دونها ولا تعطل، وهكذا أبداً حتى إذا عدم كل فضيلة صار كالشوك والحطب الذي لا يصلح إلا للوقود، فالفرس إذا كانت فيه فروسيته التامة أعد لمراكب الملوك وأكرم إكرام مثله، فإذا نزل عنها قليلاً أعد لمن دون الملك، فإذا زاد تقصيره أعد لآحاد الأجناد، فإن تقاصر عنها جملة استعمل استعمال الحمار إما حول المدار وإما لنقل الزبل ونحوه، فإن عدم ذلك استعمل استعمال الأغنام للذبح والإعدام، كما يقال في المثل: أن فرسين التقيا أحدهما تحت الملك والآخر تحت الردايا، فقال فرس الملك: أما أنت صاحبي وكنت أنا وأنت في مكان واحد، فما الذي نزل بك إلى هذه المرتبة؟ فقال: ما ذاك إلا أنك هملجت قليلاً وتكسعت أنا.

(واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه) المعبر عنه بالخير **(ينقسم)** من وجه **(إلى ما يطلب لغيره)** أي تأثيره لغيره **(وإلى ما يطلب لذاته)** لكون تأثيره لذاته، **(وإلى ما يطلب**

لغيره، وإلى ما يطلب لذاته، وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعاً فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره، والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فإنهما حجران لا منفعة لهما، ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسّر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة. والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى. والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن، فإن سلامة الرجل مثلاً مطلوبة من حيث أنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمشي بها والتوصل إلى المآرب والحاجات، وبهذا الاعتبار إذا

لذاته) تارة **(ولغيره)** تارة لكون تأثيره كذلك **(و)** القسم الثاني وهو **(ما يطلب لذاته أفضل وأشرف مما يطلب لغيره)** إذ المؤثر لذاته أشرف من المؤثر لغيره، **(والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير)** جمع دينار ودرهم **(فإنهما)** نظرا إلى جرمها **(حجران)** لتكوينهما من المعادن **(لا منفعة فيهما)** فإنهما لا يشبعان ولا يرويان، **(ولولا أن الله تعالى يسر)** أي سهّل **(قضاء الحاجة)** الضرورية **(بهما)** وارتفعت الضرورات التي تدفع بهما **(لكانت)** هي **(والحصباء بمثابة)** أي بمنزلة **(واحدة)** فهي خواتيم الله في الأرض خلقت لاستدفاع الضرورات بها، فتأثيرها ليس لذاتها.

وأخرج أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا سليمان، حدثنا علي بن المبارك، حدثنا زيد بن المبارك، حدثنا مرداس بن صافنه أبو عبيدة، حدثنا أبو رفيق قال: سألت وهب بن منبه عن الدنانير والدراهم، فقال: الدنانير والدراهم خواتيم رب العالمين في الأرض لمعايش بني آدم لا تؤكل ولا تشرب، فأين ذهبت بخاتم رب العالمين قضيت حاجتك.

وأخرج الطبراني في الأوسط من رواية ابن عيينة، وابن أبي فديك كلاهما عن محمد بن عمرو، عن أبي لبيبة، عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً «بالدنانير والدراهم خواتيم الله في أرضه من جاء بخاتم ربه قضيت حاجته». وأخرج في الأوسط أيضاً والصغير عن المقدام بن معد يكرب مرفوعاً: «يأتي على الناس زمان لا ينفع فيه إلا الدينار والدرهم». **(وأما الذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر إلى وجه الله تعالى)** وهو أعلى أنواع نعم الله الموهوبة والمكتسبة وأشرفها وإياها قصد بقوله تعالى: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة﴾ الآية [١٠٨ من سورة هود]، وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصرف وهو أربعة أشياء. بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغناء بلا فقر، ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا باكتساب الفضائل النفيسة واستعمالها كما قال تعالى: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ الآية [١٩: الاسراء] **(وأما الذي يطلب لذاته)** تارة **(ولغيره)** تارة **(فكسلامة البدن)** صحة الجسد، **(فإن سلامة الرجل)** بكسر الراء **(مثلاً مطلوبة من حيث أنها سلامة عن الألم ومطلوبة للمشي بها والتوصل إلى المآرب والحاجات)** بذلك المشي أي أن الرجل وإن أريد للمشي، فالإنسان يريد أن يكون صحيح الرجل وإن استغنى عن المشي، **(وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته**

نظرت إلى العلم رأيته لذيذاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته، ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلاَّ به، وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذاً أفضل الأعمال، وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرته وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين

لذيذاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته) فيكون أشرف بهذا الاعتبار **(ووجدته وسيلة)** موصلة **(إلى دار الآخرة وسعادتها)**، والمراد بسعادة الآخرة حسن الحياة فيها وهي الأربع التي تقدم ذكرها، وقد يقال لما يتوصل به إلى هذه السعادات الأربع أيضاً سعادة كالعالم، فإنه يسمى سعادة بهذا الاعتبار وخيراً مطلقاً **(وذريعة)** أي وسيلة **(إلى القرب من الله تعالى)** في دار كرامته **(ولا يتوصل إلا به)** أي بالعلم، **(وأعظم الأشياء رتبة)** وأكبرها وأشرفها **(في حق الآدمي)** المنسوب إلى جده آدم عليه السلام أي في حق الانسان **(السعادة الأبدية)** وهي السعادة المطلوبة التي تقدم ذكرها. **(وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها)** أي إلى الوصول بها **(ولن يصل إلى ذلك إلا بـ)**ـاكتساب الفضائل النفيسة واستعمالها وأصول ذلك أربعة أشياء العقل وكماله **(العلم)** والعفة وكمالها الورع والشجاعة، وكمالها المجاهدة والعدالة وكمالها الإنصاف **(و)** هذه الثلاثة هي **(العمل)** ويعبر عنها بالدين أيضاً، ويكمل ذلك بالفضائل البدنية وهي أربعة أشياء، الصحة والقوة والجمال وطول العمر، وبالفضائل المطيفة بالانسان وهي أربعة أشياء. المال والأهل والعز وكرم العشيرة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتوفيق الله عز وجل، وذلك بأربعة أشياء، هدايته ورشده وتسديده وتأييده، فجميع ذلك خمسة أنواع وهي عشرون ضرباً ليس للإنسان مدخل في اكتسابها إلا مما هو نفسي فقط، **(ولا يتوصل إلى العمل أيضاً إلا بالعلم بكيفية العمل)** فصار العمل متوقفاً على العلم ايضاً بهذا الاعتبار، **(فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذاً أفضل الأعمال)**، واعلم أن السعادة الحقيقية هي الخيرات الأخروية وما عداها فتسميته بذلك، إما لكونه معاوناً في بلوغ ذلك، أو نافعاً فيه، فكل ما أعان على خير سعادة والأشياء التي هي نافعة ومعينة في بلوغ السعادة الأخروية متفاوتة الأحوال، فمنها ما هو نافع في جميع الأحوال، وعلى كل وجه، ومنها ما هو نافع في حال دون حال، وعلى وجه دون وجه، وربما يكون ضره أكثر من نفعه، فحق الإنسان أن يعرفها بحقائقها حتى لا يقع الخطأ عليه في اختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس. **(وكيف لا، وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرته)** ونتيجته، **(وقد عرفت أن ثمرة العلم)** عظيمة شريفة هي **(القرب من الله تعالى)**. وفي نسخة من رب العالمين أي في دار كرامته مع المشاهدة بالنظر **(والالتحاق بأفق الملائكة)**، ويشير إليه ما تقدم في الحديث أنتم كبعض ملائكتي اشفعوا

والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى، هذا في الآخرة. وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى أن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتمييز الإنسان بكمال مجاوز لدرجتها، هذه فضيلة العلم مطلقاً ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها. وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه، فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلباً للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل، وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، فإن الدنيا مزرعة

فيشفعون (**ومقارنة الملأ الأعلى**) مع الملائكة حول العرش (**هذا في الآخرة، وأما في الدنيا فالعز**) والسعادة (**والوقار**) وهو الحلم والرزانة (**ونفوذ الحكم**) أي إجراؤه (**على الملوك**) فضلاً عن غيرهم. وقد تقدم أن العلم حاكم وما عداه محكوم عليه ولا يقطع النزاع إلا العلم، وقد شوهد من أحوال السلف من العلماء العارفين كأبي حازم وسفيان والفضيل، ومن بعدهم كالعز بن عبد السلام وأضرابه مع ملوك زمانهم ما هو أشهر من أن يذكر، (**ولزوم الاحترام**) والتعظيم (**في**) أصل (**الطباع**) مركوزاً ذلك فيها (**حتى أن أغبياء**) جمع غبي (**الترك**) بالضم قوم معروفون. غباوتهم في أصل جبلتهم لا توصف (**وأجلاف العرب**) الذين لا يشهدون المدن والحضر، ويتبعون مساقط الغيث وأذناب الأنعام، كما أن الترك لمجاورتهم الجبال الشواهق وبُعدهم عن المدن صاروا أغبياء، كذلك العرب بذلك صاروا أجلافاً لكنهم مع ذلك (**يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير**) والتعظيم (**لشيوخهم**) وكبارهم (**لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة**)، ولو لم يستفيدوا من الكتب والشيوخ بالتلقين فتراهم يصغون إلى كلامهم ويعملون بما يأمرونهم في القضايا والحوادث، (**بل البهيمة بطبعها**) مع حيوانيتها (**توقر الإنسان**) وتحتشمه بعض الاحتشام وتنزجر عنه بعض الانزجار (**لشعورها**) وعلمها بتمييز الانسان عن غيره (**بكمال مجاور لدرجتها**). وهذا الكلام بعينه يأتي للمصنف في باب العقل. والعقل والعلم من واد واحد لإطلاق كل واحد منهما على الآخر مع فرق سيذكر فيما بعد، وأيضاً فإن العلم ثمرة العقل فما جاز على العقل جاز على العلم. (**وهذه فضيلة العلم مطلقاً ثم تختلف العلوم**) بانقسامها إلى ما يحمد ويذم (**كما سيأتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها**) في درجاتها، (**أما فضيلة التعليم والتعلم**) بالشواهد العقلية (**فظاهرة مما ذكرناه، فإن العلم إذا كان أفضل الأمور**) وأشرفها (**كان تعلمه**) والسعي في تحصيله (**طلباً للأفضل، وكان تعليمه إفادة للأفضل**) وبذلاً للأشرف، (**وبيانه أن مقاصد الخلق**) سائرها (**مجموعة في الدين والدنيا**) منوطة بهما معاً، (**ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، فإن الدنيا مزرعة الآخرة**) سيأتي للمصنف أنه حديث، وقال السخاوي: لم أقف عليه مع إيراد

الآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلاً لا لمن يتخذها مستقراً ووطناً، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين. وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام:

أحدها: أصول لا قوام للعالم دونها، وهي أربعة: الزراعة، وهي للمطعم. والحياكة، وهي للملبس. والبناء، وهو للمسكن. والسياسة، وهي للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها.

الثاني: ما هي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها: كالحدادة، فإنها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها كالحلاجة والغزل فإنها تخدم الحياكة باعداد عملها.

الغزالي له في الاحياء، وفي الفردوس بلا سند عن ابن عمر مرفوعاً. «الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها». **(وهي الآلة الموصلة إلى الله تعالى لمن اتخذها آلة)** يتوصل بها فلا يتناول منها إلا بقدر الحاجة الضرورية له (و) اتخذها **(منزلاً)** ينزل فيه ثم يسافر **(ولم يتخذها مستقراً ووطناً)** يطمئن إليه بكليته فكل ما فيها من الأموال والأولاد والزينة عوار كما قال الشاعر:

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بدّ يوماً أن تردّ الودائعُ

(وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعتهم) الحرف جمع حرفة، وهي الاكتساب إسم من احترف لعياله، والصناعة بالكسر إسم من صنعه صنعاً **(تنحصر في ثلاثة أقسام)**.

أحدها: أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة. أولها: **(الزراعة)** أي الحراثة **(وهي للمطعم)** بالنظر إلى المآل **(والحياكة)** أي النساجة **(وهي للملبس)** تستر به العورة، **(والبناء)** أي بناء البيوت والمنازل **(وهي للمسكن)** يأوي إليه، **(والسياسة)** بالكسر وهي رعاية الأمور **(وهي للتأليف)** بين الناس **(والاجتماع)** في الكلمة **(والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها)** بحيث لا يختل نظامها.

القسم **(الثاني: ما هي مهيئة)** أي مرشحة **(لكل واحد ،من هذه الصناعات وخادمة لها، كالحدادة)** بالكسر **(فإنها تخدم الزراعة)** وهي الضرب الأول من القسم الأول، بل **(وجملة من الصناعات بإعداد آلاتها)** مما تحتاج إليها ويتوقف وجوده على وجودها **(وكالحلاجة)** بالكسر **(والغزل)** أي غزل الكتان والقطن، **(فإنها تخدم الحياكة بإعداد محلها)** فإن القطن إذا لم يحلج، والكتان إذا لم يغزل لم ينتفع الحائك بها.

الثالث: ما هي متممة للأصول ومزينة، كالطحن والخبز للزراعة، وكالقصارة والخياطة للحياكة؛ وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملته، فإنها ثلاثة أضرب أيضاً: إما أصول كالقلب والكبد والدماغ، وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة، وإما مكملة لها ومزينة كالاظفار والأصابع والحاجبين، وأشرف هذه الصناعات أصولها، وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات، ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع، والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على أربع مراتب:

الأولى: وهي العليا: سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً في ظاهرهم وباطنهم.

(**القسم الثالث: ما هي متممة للأصول**) الأربعة التي ذكرت (**ومزينة لها كالطحانة**) بالكسر، وفي نسخة كالطحن (**والخبز للزراعة**) فإنه إذا حصد الزرع لولا أنه يطحن فيخبز لا يتم الأكل (**وكالقصارة والخياطة للحياكة**) فإن الحائك إذا تم من نسج ثوب، فلا بد من قصار يقصره فيخرج ما فيه من الأوساخ، ثم لا بد من خياط يفصله حتى يتم به اللبس، (**و**) مثل (**ذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص**) إلى الشخص سواء (**بعينه فإنها**) على (**ثلاثة أضرب إما أصول**) وهي ثلاثة (**كالقلب والكبد والدماغ**) وتسمى الأعضاء الرئيسة، (**وإما خادمة لها**) ومرشحة لها (**كالمعدة**) بفتح فكسر (**والعروق والشرايين**) جمع شريان عرق يخبر عن الكبد، (**والأعصاب**) وهي أطناب المفاصل، (**والأوردة**) جمع وريد عرق يخبر عن القلب، فهذه كلها مرشحة لتلك الأصول، (**وإما مكملة لها ومزينة لها كالأظفار والأصابع والحاجبين**)، ففي كل ذلك تكميل وتزيين ومنافع جليلة يأتي بيان ذلك كله في محله، (**وأشرف هذه الصناعات أصولها**) التي لا قوام للعالم دونها، (**وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح**) وهي القسم الرابع من الأصول، (**ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها**) أي بخدمتها (**ما لا يستدعيه سائر الصناعات**) المذكورة، (**ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع**) ويفضلهم. (**والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على أربعة مراتب**).

(**الأولى**): (**وهي العليا سياسة الأنبياء**) عليهم السلام (**وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم**) لما أن الله سبحانه قد أطلعهم على بواطنهم كما أطلعهم على ظواهرهم، فهم يرشدونهم إلى الطريق المستقيم وهم أفضل السواس.

والثانية: الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم.

والثالثة: العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء، وحكمهم على باطن الخاصة فقط، ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع والشرع.

والرابعة: الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط؛ فأشرف هذه الصناعات

(والثانية): سياسة ولاة الأمور **(الخلفاء)** ممن استكملت فيه شروط الإمامة من قريش، كالخلفاء الأربعة ومن بعدهم من بني أمية، وبني العباس **(والملوك)** هم نواب الخلفاء كآل سلجوق بالروم، وآل رسول باليمن **(والسلاطين)** هم الذين يملكون البلاد بقهر وسطوة وغلبة، وهم بهذا الترتيب. وقد فرق ابن السبكي في الطبقات بين الملك والسلطان فقال: السلطان يطلق على من ملك العراقين، والملك من ملك دون ذلك أو نحو هذا **(وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً، لكن على ظاهرهم لا على باطنهم)**، ولو قال: على ظاهر الخاصة والعامة لا باطنهم كان أخصر.

(والثالثة): سياسة **(العلماء بالله وبدينه)** وهم الحكماء **(الذين هم ورثة الأنبياء)** ورثوا عنهم العلم والحكمة وهم الجامعون بين الحقيقة والشريعة **(وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة إلى الاستفادة منهم)** لعدم المناسبة بينهما، لأن ما بين الحكيم والعامي من تنافي طبعهما وتنافر شكلهما من التفاوت قريب لما بين الماء والنار والليل والنهار، وقد قيل لسلمة بن كهيل: ما لعلي رضي الله عنه وفقه العامة، وله في كل خبر ضرس قاطع؟ فقال: لأن ضوء علومهم قصر عن نوره والناس إلى اشكالهم أميل. **(ولا تنتهي قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالإلزام والمنع)** والدفع والرفع.

(الرابعة): سياسة الفقهاء **(والوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط)**، وليست لهم قوة الى التصرف في ظواهرهم وصلاح العالم ونظامه بمراعاة هذه السياسات لتخدم العامة الخاصة وتسوس الخاصة العامة، ثم إن السياسة في حد ذاتها على قسمين: سياسة الانسان نفسه وبدنه وما يختص به، والثانية سياسته غيره من ذويه وبلده، ولا يصلح لسياسة غيره من لا يصلح لسياسة نفسه لأن السائس يجري على المسوس مجرى ذي الظل من الظل، ومن المحال أن يستقيم الظل وذو الظل أعوج، ويستحيل أن يهتدي المسوس مع كون السائس ضالاً، والناس ضربان، خاص وعام، فالخاص من يتخصص من البلد بما ينخرم بافتقاده إحدى السياستين البدنية، والعام من لا ينخرم بافتقاده شيء منها. وهذا إذا اعتبرنا أمور الدنيا، وهم من وجه آخر ثلاثة. خاصة وعامة وأوساطهم المسمون في كلام العرب بالسوقة، فالخاص هو الذي يسوس ولا يساس، والعام الذي يساس ولا يسوس، والوسط الذي يسوسه من فوقه وهو يسوس من دونه، **(وأشرف هذه**

الأربع بعد النبوّة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم، وإنما قلنا ان هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور: إما بالالتفات إلى الغريزة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقيلة على اللغوية؛ إذ تدرك الحكمة بالعقل، واللغة بالسمع، والعقل أشرف من السمع، وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة، وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة؛ إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة، وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء، والعقل أشرف صفات الإنسان كما سيأتي بيانه، إذ به تقبل أمانة الله، وبه يتوصل إلى جوار الله

السياسات الأربعة بعد النبوة) والرسالة وما يليها من الصديقية **(إفادة العلم)** النافع **(وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة)** الرديئة **(المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة)**، وهو مقام شريف لا يعلوه مقام إلا النبوة والرسالة والصديقية، وأصحاب هذا المقام هم الجامعون بين علمي الشريعة والحقيقة، فإن إفادة العلم ترجع الى العلوم الظاهرة وتهذيب النفوس والإرشاد بعلماء الحقيقة المتصرفين في بواطن مريدهم، **(وهي المراد بالتعليم)**، ثم بين ذلك بقوله: **(وإنما قلنا: أن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات، لأن شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور. إما بالالتفات إلى الغريزة التي بها يتوصل إلى معرفتها)** أي بحسب النسبة الى القوة المبرزة لها **(كفضل العلوم)** الحكمية **(العقلية على)** العلوم **(اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل)**. أي: هي متعلقة بالقوة العقلية **(و)** تدرك **(اللغة بالسمع)** أي متعلقة بالقوة الحسية، **(والعقل أشرف من السمع، وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة)**، فإن الزراعة نفعها عام بخلاف الصياغة، **(وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف)** أي بحسب شرف الموضوع المعمول فيه **(كفضل الصياغة)** وشرفها **(على الدباغة إذ محل أحدهما الذهب)** ولا يخفى شرفه، **(ومحل الآخر جلد الميتة)** فهي ثلاثة وجوه استبان بها شرف الصناعة واستعمل الالتفات في الوجه الأول، والنظر في الثاني، والملاحظة في الثالث تفنناً في العبارة **(وليس يخفى)** على العاقل **(أن العلوم الدينية)** وهي الشرعية المعبر عنها بالحكمة **(وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء)** وهي القوة المفكرة **(و)** هي أشرف قوة كما أن **(العقل أشرف صفات الانسان)** وأجلها **(كما سيأتي بيانه)** في الباب السابع. **(إذ به تقبل أمانة الله تعالى وبه يوصل إلى جوار الله تعالى)** وذلك أبلغ نفع، **(وأما عموم النفع فلا تستريب)**[1] أي لا

---

(١) ونسخة فلا تستريب بصيغة المتكلم **(فإن نفعه وثمرته سعادة)**.

سبحانه. وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة. وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم، وأشرف موجود على الأرض جنس الإنس وأشرف جزء من جواهر الإنسان قلبه، والمعلم مشتغل بتكميله وتخليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل، فتعليم العلم من وجه: عبادة الله تعالى، ومن وجه خلافة الله تعالى، وهو من أجل خلافة؛ فإن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته، فهو كالخازن لأنفس خزائنه؛ ثم هو مأذون له

تشك (**فيه سعادة الآخرة**) وهي الأشياء الأربعة المذكورة آنفاً وذلك أبلغ كذلك، (**وأما شرف المحل**) وموضوعه الذي يعمل فيه (**فكيف يخفى والمعلم منصرف في قلوب البشر ونفوسهم، وأشرف موجود على وجه الأرض جنس الإنس، وأشرف جزء من جوهر الانسان قلبه**) الصنوبري وهو مهبط ملائكة الرحمة فهو أشرف موضوع (**والمعلم مشتغل بتكميله وتخليته**) كذا بالخاء المعجمة وهو مناسب لقوله (**وتطهيره**) عن الأوصاف الذميمة وفي بعض النسخ بالجيم وهو التصفية (**وسياقته إلى القرب من الله تعالى**) بتعليمه إياه بما يكون سبباً لذلك، (**فتعليم العلم من وجه عبادة الله تعالى**) لكونه ذكر الله تعالى، (**ومن وجه خلافة الله تعالى وهو أجل خلافة**) وهل يجوز أن يقال فلان خليفة الله في أرضه أم لا ؟ قولان. واحتج المجيزون بقوله تعالى: ﴿للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] وبقوله تعالى: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف﴾ [الأنعام: ١٦٥] وبقوله تعالى: ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ [النمل: ٦٢] وبقول علي رضي الله عنه: أولئك خلفاء الله في أرضه ودعاته إلى دينه، واحتج الآخرون بأن الخليفة إنما يكون ممن يغيب ويخلفه غيره، والله تعالى شاهد غير غائب قريب غير بعيد، فمحال أن يخلفه غيره، بل هو سبحانه الذي يخلف عبده المؤمن فيكون خليفته، قالوا: ولهذا أنكر الصديق على من قال يا خليفة الله، قال: لست بخليفة الله، ولكن خليفة رسول الله وحسبي ذلك، وأجابوا عن تلك الآيات، والحق أنه إن أريد بالإضافة إلى الله تعالى أنه خليفة عنه، فالصواب قول الطائفة المانعة منها، وإن أريد بالإضافة أن الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله، فهذا لا يمتنع فيه الإضافة وحقيقتها خليفة الله الذي جعله خلفاً عن غيره، وبهذا يخرج الجواب عن قول علي رضي الله عنه أولئك خلفاء الله في أرضه.

فإن قيل: هذا لا مدح فيه، لأن هذا الاستخلاف عام في الأمة، وخلافة الله التي ذكرنا في قول علي رضي الله عنه خاصة لخواص الخلق.

فالجواب: أن الاختصاص المذكور أفاد اختصاص الإضافة، فالإضافة هنا للشرف والتخصيص كما في نظائره، (**فإن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته**). وهذه مسألة اختلف فيها فالمنقول عن الأشعري أخص أوصاف الباري القدرة، وقال المعتزلة: أنه القدم ورد بأنه سلبي، فكيف يكون نفسياً، فكيف يكون أخص أوصافه، ومنهم من

في الانفاق منه على كل محتاج إليه، فأي رتبة أجـل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تقريبهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى جنة المأوى. جعلنا الله منهم بكرمه؛ وصلى الله على كل عبد مصطفى.

زعم أنه حال توجب له كونه حياً عالماً قادراً مريداً ولا إفصاح لي في هذه المقالة عن هذه الحال، واحتج الفخر لقول الأشعري بجواب سيدنا موسى عليه السلام قال: رب السموات والأرض ومابينهما. وردّ ابن التلمساني عليه وقال: معنى كلام الأشعري أن القدرة خاصة لله سبحانه وليس للعبد قدرة خلافاً للمعتزلة، وليس معنى كلام الأشعري أن القدرة أخص الأوصاف كما فهمه عنه، فأخص الأوصاف مجهول، كما أن الأصح أن الذات العلية غير معروفة للبشر حتى في الآخرة، والخلاف في حال لأن الكل متفقون على أن الكنه لا يعرف، وعلى أنه معروف بالعلم والحياة إلى آخرها، واختار في شرح الكبرى أنه غير معروف كما أن الذات غير معروفة، والذي اختاره الشريف زكريا في شرح الأسرار العقلية: أن الأخص غير موجود بالكلية، واحتج على نفيه باستحالة اشتراك القديم مع الحادث في حقيقة ما، وزاد أحمد المنجور في حاشية الكبرى ولاقتضائه التركيب في حقيقة الباري جل وعز من جنس وفصل. إذ الأخص هو الذاتي المميز للحقيقة عما يشاركها في الجنس، ولا خفاء في بطلان هذا لأنه لا جنس للباري تعالى ولا تركيب فيه. كذا في تذكرة المجدولي. (**فهو كالخازن لأنفس خزائنه**) وأجلها، (**ثم هو مأذون في الإنفاق**) والصرف منه (**على كل محتاج إليه**)، وكلما كان إنفاقه على ما يجب وكما يجب أكثر كان جاهه عند مستخلفه أكثر وأوفر. (**فأية رتبة أجل**) وأعظم (**من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه**) في إيصالهم إليه وإرشادهم له. (**وفي تقريبهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى الجنة المأوى**). وقد أورد هذا البحث بطوله مع اختلاف يسير أبو القاسم الراغب في الذريعة، والله أعلم.

الباب الثاني

في العلم المحمود والمذموم وأقسامها وأحكامها :

وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية ، وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة .

(بيان العلم الذي هو فرض عين)

قال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وقال أيضاً ﷺ : « اطلبوا العلم ولو بالصين » واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم ، فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ، ولا نطيل بنقل التفصيل ، ولكن حاصله أن كل

الباب الثاني

(في) بيان (العلم المحمود والمذموم وأقسامها وأحكامها) :

وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الفقه والكلام من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة) على علم الدنيا .

(**بيان العلم**) وفي نسخة في العلم (**الذي هو فرض عين**) على كل مكلف (**قال** ﷺ : **« طلب العلم فريضة على كل مسلم »**) تقدم الكلام عليه في الباب الأول مفصلاً . قال السخاوي : ويوجد في بعض الكتب زيادة ومسلمة وليس لها أصل في الرواية . (**وقال** ﷺ : **« اطلبوا العلم ولو بالصين »**) . وهذا أيضاً قد تقدم الكلام عليه مفصلاً في الباب الأول ، وذكرنا أن بعض الروايات هما حديث واحد ولفظه : اطلبوا العلم ولو بالصين ، فإن طلب العلم فريضة . وهكذا أورده صاحب القوت ووضع عليه الباب والمصنف تابع له في سياقه في غالب ما أورده في هذا الباب ، والحديث وإن كان اسناده ضعيفاً ، فالمعنى صحيح ، فإن الإيمان فرض على كل أحد ، وهو ماهية مركبة من علم وعمل فلا يتصور وجود الإيمان إلا بالعلم والعمل ، ثم شرائع الإسلام واجبة على كل مسلم ولا يمكن اداؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها ، والله أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً فطلب العلم فريضة على كل مسلم ، وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على العباد كلهم إلا بالعلم ، وهل ينال العلم إلا بطلبه . (**واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه أكثر من عشرين فرقة**) أي صاروا أحزاباً ، وقال ابن

فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده، فقال المتكلمون: هو علم الكلام، إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته، وقال الفقهاء: هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل، وعنوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة، وقال المفسرون والمحدثون: هو علم الكتاب والسنّة،

عبد البر في بيان العلم: للفظ العلم إطلاقات متباينة، ويترتب على ذلك اختلاف الحد والحكم كلفظ العالم والعلماء، ومن هنا اختلفوا في فهم هذا الحديث وتجاذبوا معناه اهـ.

(ولا نطوّل الكلام بنقل التفصيل في ذلك ولكن حاصله) ومجمله: **(أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده)** وفي تحصيله، **(فقال المتكلمون: هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله سبحانه وصفاته)**، وعزاه صاحب القوت إلى بعض السلف ونصه؛ وقال بعض السلف: إنما معناه طلب علم ما لا يسع جهله من علم التوحيد وأصول الأمر والنهي، والفرق بين الحلال والحرام. إذ لا غاية لسائر العلوم بعد ذلك وكلها يقع عليها إسم علم من حيث هي معلومات اهـ.

وإلى هذا أشار البيهقي في المدخل فقال: أراد والله أعلم العلم العام الذي لا يسع العاقل البالغ جهله اهـ.

قال صاحب القوت: ثم اختلف القائلون بأنه علم التوحيد في كيفية الطلب وماهية الإضافة، فمنهم من قال من طريق الاستدلال والاعتبار، ومنهم من قال من طريق البحث والنظر، ومنهم من قال من طريق التوقيف والاثر، وقالت طائفة من هؤلاء: إنما أراد طلب علم الشبهات المشكلات إذا سمعها العبد وابتلي بها، وقد كان يسعه ترك الطلب إذا كان غافلاً عنها على أصل التسليم ومعتقد جميع المسلمين لا يقع في وهمه ولا يحيك في صدره شيء من الشبهات فيسعه ترك البحث، فإذا وقع في سمعه شيء من ذلك ووقر في قلبه ولم يكن عنده تعليل ذلك وقطعه ومعرفة تميز حقه من باطله لم يحل له أن يسكت عليه، لئلا يعتقد باطلاً أو ينفي حقاً، فافترض عليه طلب علم ذلك من العلماء به، فيستكشفه حتى يكون على اليقين من أمره فيعتقد من ذلك الحق وينفي الباطل، ولا يقعد عن الطلب ليكون مقيماً على شبهة فيتبع الهوى أو يكون شاكاً في الدين فيعدل عن طريق المؤمنين أو يعتقد بدعة فيخرج بذلك من السنة، ومذهب الجماعة وهو لا يعلم، ولهذا المعنى كان الصديق يقول: اللهم أرِنا الحق حقاً فنتبعه وأرنا الباطل باطلاً فنجتنبه، وهذا مذهب أبي ثور ابراهيم بن خالد الكلبي، وداود بن علي، والحسين الكرابيسي، والحرث بن أسد المحاسبي ومن تبعهم من المتكلمين اهـ.

(وقال الفقهاء: هو علم الفقه إذ به يعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به) أي أرادوا بذلك **(ما يحتاج إليه الآحاد)** من المسلمين **(دون الوقائع النادرة)** الغريبة، وهذا القول مشتمل على ثلاثة أقوال من حيث التفصيل، فأما معرفة

إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها. وقال المتصوفة: المراد به هذا العلم، فقال بعضهم: هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل. وقال بعضهم: هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان. وقال بعضهم: هو علم الباطن، وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك، وصرفوا اللفظ عن عمومه.

العبادات وهي أحكام الطهارة والصلاة والحج والزكاة وتوابعها وشروطها فهو قول مستقل لعامة الفقهاء، وذكر البيهقي في المدخل عن عبد الملك بن حبيب أنه سمع عبد الملك بن الماجشون قال: سمعت مالكاً، وسئل عن طلب العلم أواجب؟ قال: أما معرفة شرائعه وسننه وفقهه الظاهر فواجب، وغير ذلك من ضعف عنه فلا شيء عليه اهـ.

وإن أريد بمعرفة الحلال والحرام ما يحل ويحرم في عباداته فهو داخل في القول الأول، وإلا فهو قول مستقل لبعض صوفية الفقهاء كما سيأتي بيانه، وأما معرفة ما يحل ويحرم من المعاملات فهو قول فقهاء الكوفة خاصة. قال صاحب القوت، وقال بعض فقهاء الكوفة: معناه طلب علم البيع والشراء والنكاح والطلاق، وإذا أراد الدخول فيه افترض عليه مع دخوله في ذلك طلب علمه لقول عمر رضي الله عنه: لا يتجر في سوقنا هذا إلا من تفقه وإلا أكل الربا شاء أم أبى، وكما قيل: تفقه ثم اتجر، ومال إلى هذا سفيان الثوري وأبو حنيفة وأصحابها. (**وقال المفسرون والمحدثون: هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها**) هما قولان، فالمفسرون قالوا هو علم الكتاب، وقال المحدثون: هو علم السنة ولما كانت العلة متحدة جمعهما في قول واحد. (**وقال المتصوّفة: المراد به هذا العلم**) أي علم التصوف، ثم اختلفوا على أقوال (**فقال بعضهم: هو علم العبد بحاله وقوامه من الله تعالى**) يعني حال العبد من مقامه الذي أقيم فيه بأن يعلم أحدهم حاله بينه وبين الله تعالى في دنياه وآخرته، فيقوم بأحكام الله في ذلك، وهذا القول عزاه صاحب القوت إلى سهل التستري (**وقال بعضهم: هو العلم بالإخلاص و**) معرفة (**آفات النفوس**) ووساوسها، ومعرفة مكائد العدو وخدعه ومكره وغروره، وما يصلح الأعمال ويفسدها فريضة كله من حيث كان الاخلاص بالأعمال فريضة، ومن حيث علم بعداوة إبليس ثم أمر بمعاداته، وهذا القول ذهب إليه عبد الرحيم بن يحيى الآرموي الشهير بالأسود من الشاميين ومن تابعه. وقال بعض البصريين في معناه: طلب علم القلوب ومعرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأنها رسل الله تعالى إلى العبد ووساوس العدو والنفس، فيستحب إليه تنقيذها منه، ومنها ابتلاء من الله للعبد واختبار تقتضيه مجاهدة نفسه في نفيها، ولأنها أول النية التي أول كل عمل وعنها تظهر الأفعال وعلى قدرها تضاعف الأعمال فيحتاج إلى (**تمييز لمة الملك من لمة الشيطان**) وخاطر الروح ووسوسة النفس من علم اليقين وقوادح العقل، ليميز بذلك الأحكام. وهذا عند هؤلاء فريضة، وهو مذهب مالك بن دينار، وفرقد السنجي، وعبد الواحد بن زيد وأتباعهم من نساك البصرة، وقد كان أستاذهم الحسن البصري يتكلم في ذلك وعنه حملوا علم القلوب. (**وقال بعضهم هو**) طلب (**علم الباطن**) فريضة على أهله. قالوا (**وذلك يجب على أقوام**

....

مخصوصين) من أهل القلوب، فمن استعمل به واقتضي منه دون غيره من عوام المسلمين **(هم أهل ذلك)** العلم، ولأنه جاء في لفظ الحديث: تعلموا اليقين فمعناه اطلبوا علم اليقين، وعلم اليقين لا يوجد إلا عند الموقنين وهو من أعمال الموقنين المخصوصين في قلوب العارفين وهو العلم النافع الذي هو حال العبد عند الله تعالى ومقامه من الله تعالى كما شهد به الخبر الآخر من قوله ﷺ العلم علمان. فذكر وعلم باطن في القلب وهو العلم النافع، فهذا تفسير ما أجمل في غيره. وقال جندب: كنا مع رسول الله ﷺ فتعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً، وسيأتي قوم يتعلمون القرآن قبل الإيمان بمعنى تعلمنا علم الإيمان، وهذا مذهب بعض نساك البصرة. **(وهؤلاء صرفوا اللفظ عن عمومه)** حيث خصوه بما ذكر، وقد ظهر من سياق المصنف ذكر خمسة أقوال: **الأول:** قول المتكلمين. **والثاني:** قول الفقهاء. **والثالث:** قول المفسرين والمحدثين. **والرابع:** قول الصوفية، ثم فصله إلى قولين، فصاروا خمسة سوى القول الأخير الذي نقله عن أبي طالب المكي، وسيأتي بيانه، وسنذكر لك تلك الأقوال بأحوالها بمجموعها على التفصيل الغريب، ثم نتبعها بما ذكره أبو طالب ولم يذكره المصنف، ثم ما ذكر غيره من العلماء فنقول:

اختلف العلماء في تفسير هذا الحديث وفهم معناه على أقوال شتى، فمن متكلم يحمله على علم الكلام ويحتج لذلك بأنه العلم المتقدم رتبة لأنه علم التوحيد الذي هو المبنى، والقائلون بهذا اختلفوا في كيفية الطلب كما تقدم، ويندرج في هذا القول قول آخر وهو مستقل عما قبله إلا أن قائله من المتكلمين هو طلب علم الشبهات والمشكلات من علم التوحيد، وقد تقدم أنه مذهب أبي ثور، وداود الظاهري، والكرابيسي، والمحاسبي ومن فقيه يحمله على علم الفقه مطلقاً. قال ابن عبد البر: وذلك هو المتبادر من إطلاق العلم في علم الشرع وتندرج فيه ثلاثة أقوال: فمن قائل هو علم العبادات بشروطها وفرائضها وسننها، وقد تقدمت الإشارة إليه من قول مالك. ومن قائل هو معرفة الحلال من الحرام، واستدل عليه بحديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة بعد فريضة، وبحديث أنس طلب الحلال واجب على كل مسلم، وبحديث ابن عباس، وابن عمر طلب الحلال جهاد. ويروى أن من الذنوب ما لا يكفرها إلا الهم في طلب الحلال، وعند البيهقي في السنن، والديلمي في المسند: طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة. أي: لأن طلب كسب الحلال أصل الورع وأساس التقوى. وروى النووي في بستانه عن خلف بن تميم قال: رأيت ابراهيم بن أدهم بالشام فقلت: ما أقدمك؟ قال: لم أقدم لجهاد ولا لرباط، ولكن لأشبع من خبز حلال. وهذا قول عباد أهل الشام، وإليه مال يوسف بن أسباط، وحبيب بن حرب، ووهيب بن الورد، وابراهيم بن أدهم وآخرون. ومن قائل هو علم المعاملات وهو قول أهل الكوفة كسفيان الثوري، وأبي حنيفة وأتباعهما، ومن مفسر يحمله على علم التفسير، ومن محدث يحمله على علم الحديث. وقد ذكرت علة كل من ذلك، ومن نحوي يحمله على علم العربية ويقول: الشريعة إنما تتلقى من الكتاب والسنة، وقد قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ [ابراهيم

....

عليه السلام: ٤]. فلا بدّ من اتقان علم البيان ذكره ابن عبد البر، ومن طبيب يحمله على علم الطب الذي يعرف به الصحة والمرض ويقول: العلم علمان، علم الابدان وعلم الأديان. وعلم الابدان مقدم على علم الأديان ذكره بعضهم وفيه نظر، وإيراده في فروض الكفايات أشبه كما سيأتي، ومن صوفي يقول: هو علم التصوف خاصة، وتندرج في هذا القول خمسة أقوال. **الأول:** هو علم حال العبد من مقامه وهو قول سهل التستري. **والثاني:** هو طلب علم المعرفة وقيام العبد بحكم ساعته وهو قول بعض العراقيين. **والثالث:** هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وهو قول عبد الرحيم الأسود ومن تابعه من الشاميين. نقله أبو طالب في القوت، والسهروردي في عوارف المعارف. **والرابع:** طلب علم القلوب ومعرفة الخواطر وهو قول مالك بن دينار، وفرقد السنجي، وعبد الواحد بن زيد وأتباعهم نقله صاحب القوت، والسهروردي. **والخامس:** هو علم الباطن نقله صاحب القوت عن نساك البصرة. وقال السهروردي في العوارف: هو ما يزداد به العبد يقيناً، وهو الذي يكتسب بصحبة الأولياء فهم وارثو المصطفى ﷺ. فهذه الأقوال الخمسة مندرجة في علم التصوف، وقال بعض المتقدمين من علماء خراسان هو أن يكون الرجل في منزله، فيريد أن يعمل شيئاً من أمر الدين أو يخطر على قلبه مسألة لله تعالى فيها حكم وتعبد، وعلى العبد في ذلك اعتقاد أو عمل فلا يسعه أن يسكت على ذلك، ولا يجوز أن يعمل فيه برأيه ولا يحكم بهواه، فعليه أن يلبس نعليه ويخرج فيسأل عن أعلم أهل بلده فيسأله عن ذلك عند النازلة، فهذا فريضة. وحكي هذا عن ابن المبارك وبعض أصحاب الحديث قاله أبو طالب.

وروى البيهقي في المدخل بسنده إلى ابن المبارك انه سئل عن تفسير هذا الحديث فقال: ليس هو الذي يظنون إنما طلب العلم فريضة أن يقع الرجل في شيء من أمر دينه فيسأل عنه حتى يعلمه. وروى ابن عبد البر في كتابه بيان العلم عن ابن المبارك بمثل ما تقدم. وقال بعضهم: أراد به علم ما يطرأ للإنسان خاصة ذكره البيهقي في المدخل وهو قريب من قول ابن المبارك، ويروى عن أحمد بن محمد بن رشدين قال: سمعت أحمد بن صالح، وسئل عن هذا الحديث فقال: معناه عندي إذا قام به قوم سقط عن الباقين مثل الجهاد، ويقرب منه قول سفيان بن عيينة فيما رواه عنه أبو الفتح نصر بن المغيرة قال: طلب العلم والجهاد فريضة على جماعتهم ويجزىء فيه بعضهم عن بعض، وتلا هذه الآية: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ الآية. [١٢٢ : من سورة التوبة]. ويقرب منها أيضاً قول من يقول: إنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم من فيه الكفاية. ذكر هذه الأقوال الثلاثة البيهقي في المدخل.

وأما الإمام مالك رحمه الله؛ فقد اختلف عنه في تفسير هذا الحديث على ثلاثة أقوال:

الأول: نقله ابن وهب قال: سئل مالك عن طلب العلم أهو فريضة على الناس؟ فقال: لا ولكن يطلب منه المرء ما ينتفع به في دينه.

....

الثاني: رواه محمد بن معاوية الحضرمي قال: سئل مالك وأنا أسمع عن الحديث الذي يذكر فيه طلب العلم فريضة على كل مسلم. فقال: ما أحسن طلب العلم فأما فريضته فلا.

الثالث: قول ابن الماجشون قال: سمعت مالكاً سئل عن طلب العلم أواجب هو؟ فقال: أما معرفة شرائعه وسننه وفقهه الظاهر فواجب، وهذا قد قدمنا ذكره، ويقرب من هذا الأخير قول إسحاق بن راهويه فيما رواه عنه إسحاق بن منصور الكوسج قال: طلب العلم واجب، ولم يصح فيه الخبر إلا أن معناه انه يلزمه طلب علم ما يحتاج إليه من وضوئه وصلاته وزكاته إن كان له مال، وكذلك الحج وغيره، ومنهم من قال: إن المراد به تعلم علم مكارم الأخلاق أي: اسعوا إلى تحصيله حتى لو لم يبقَ إلا أهل الصين لوجب السفر إليهم، وليس في مكارم الأخلاق شيء يعادل الشفقة على المخلوقات على ما يليق بكل نوع، وهذا القول ذكره العلاء علي بن محمد الشيرازي في كتابه (سلم السلوك للرعايا والملوك)، فتحصل مما ذكرناه نحو عشرين قولاً أو أزيد غير القول الأخير الذي نقله المصنف عن أبي طالب المكي، فسيأتي بيانه وشرحه.

قال المناوي: كل فرقة أقامت الأدلة على علمها وكل لكل معارض وبعض لبعض مناقض، وأجود ما قيل قول القاضي: هو العلم الذي مالنا مندوحة عن تعلمه كمعرفة الصانع ونبوّة رسله وكيفية الصلاة ونحوها، فإن تعلمه فرض عين اهـ.

وقال المصنف في كتابه المنهاج العلم المفروض في الجملة ثلاثة. علم التوحيد، وعلم السر وهو ما يتعلق بالقلب، وعلم الشريعة، والذي يتعين فرضه من علم التوحيد ما يعرف به أصول الدين، وهو أن تعلم أن لك إلهاً قادراً حياً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً لا شريك له، متصفاً بصفات الكمال، منزهاً عن دلالات الحدوث، منفرداً بالقدرة، وأن محمداً رسوله الصادق فيما جاء به، ومن علم السر معرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل لك الإخلاص والنية وسلامة العمل، ومن علم الشريعة كل ما وجب عليك معرفته لتؤديه وما فوق ذلك من العلوم فرض كفاية اهـ.

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: العلم الذي هو فرض عين لا يسع مسلماً جهله أنواع.

النوع الأول: علم أصول الايمان الخمسة الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فإن من لم يؤمن بهذه الخمسة لم يدخل في باب الايمان ولا يستحق اسم المؤمن. قال الله تعالى: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [البقرة: ١٧٧]. وقال: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ [النساء: ١٣٦]، ولما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإيمان. قال: «تؤمن بالله وملائكته واليوم الآخر وكتبه ورسله». قال: صدقت. فالإيمان بهذه الأصول فرع معرفتها والعلم بها.

النوع الثاني: علم شرائع الإسلام واللازم منها ما يخص العبد من فعلها، كعلم الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وتوابعها وشروطها ومبطلاتها.

....

النوع الثالث: علم المحرمات الخمس التي اتفقت عليها الرسل والشرائع والكتب الإلهية، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [الأعراف: ٣٣]، فهذه محرمات على كل أحد في كل حال على لسان كل رسول لا تباح قط، ولهذا أتي فيها بإنما المفيدة للحصر مطلقاً وغيرها محرم في وقت مباح في غيره كالميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه، فهذه ليست محرمة على الإطلاق والدوام، فلم تدخل في التحريم المحصور المطلق.

النوع الرابع: علم أحكام المعاشرة والمعاملة التي تحصل بينه وبين الناس خصوصاً وعموماً، والواجب في هذا النوع يختلف باختلاف أحوال الناس ومنازلهم، فليس الواجب على الإمام مع رعيته كالواجب على الرجل مع أهله وجيرته، وليس الواجب على من نصب نفسه لأنواع التجارات من تعلم أحكام البياعات كالواجب على من لا يبيع ولا يشتري إلا ما تدعو الحاجة إليه، وتفصيل هذه الجملة لا ينضبط بحد لاختلاف الناس في أسباب العلم الواجب، وذلك يرجع إلى ثلاثة أصول، اعتقاد وفعل وترك، فالواجب في الاعتقاد مطابقته للحق في نفسه، والواجب في العمل معرفة موافقة حركات العبد الظاهرة والباطنة الاختيارية للشرع أمر أو إباحة، والواجب في الترك معرفة موافقة الكف والسكون لمرضاة الله تعالى، وأن المطلوب منه ابقاء هذا الفعل على عدمه المستعمل فلا يتحرك في طلبه أو كف النفس عن فعله على الطريقتين، وقد دخل في هذه الجملة علم حركات القلوب والابدان اهـ. وهو نفيس.

وفي منية السالكين وبغية العارفين قد اختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة، ولا يسع الإنسان جهله وكثرت أقاويلهم في ذلك، وأقربها إلى المقصود من قال هو علم الأوامر والنواهي والمأمور ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه، والمأمورات والمنهيات منها ما هو لازم مستمر للعبد بحكم الإسلام، ومنها ما يتوجه الأمر فيه والنهي عنه عند وجود الحادثة، فما هو لازم مستمر لزومه متوجه بحكم الإسلام علمه واجب من ضرورة الإسلام، وما يتجدد بالحوادث ويتوجه الأمر والنهي عنه علمه عند تجدده فرض لا يسع مسلماً على الاطلاق أن يجهله، وينحصر ذلك في ثلاثة أنواع من العلوم. علم بالأوامر الشرعية، وعلم بالنواهي الشرعية، وعلم بالمباحات الدنياوية ومدارك الحواس الضرورية والضرورة العقلية، وتفصيل ذلك مستقصى في كتب الفقه والأصول، ولكن ننبهك بلمعة يسيرة تقف بالإشارة منها على مجمله وتفصيله. أما علم الأوامر فهو علم الفرائض والسنن والفضائل، وأما علم النهي فهو علم الحلال والحرام والكراهة والتنزيه، وأما علم المباحات فهو العلم بالدنيا وأهلها وكيفية آداب المخالطة واكتساب المعيشة، وهذه الأقسام الثلاثة تعلم من طريق الشرع والسمع، وأما مدارك الحواس والعلوم الضرورية، فقد اشترك فيها الحيوان العاقل فلا يحتاج إلى اكتساب، وإنما المراد هنا الكلام على الشرعية، فقد عمّ العلم الظواهر كلها، فلا يجوز لأحد أن يعمل عملاً إلا يعلم بعلم الأمر الظاهر وهو موجود كله

وقال أبو طالب المكي: هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام، وهو

مضبوط في كتب الفقه كالعلم بالاستنجاء والطهارة والصلاة وما يتعلق بها واختلاف أنواعها، والزكاة وأنواعها ومصارفها وعلى من تجب، والصوم والجهاد والحج وأنواعها، وغير ذلك من الأحكام المأمور بها. وأما علم النهي، فالعلم بالمحرمات كلها على اختلاف أنواعها كالعلم بما يفسد الطهارة والصلاة والصوم والحج وغير ذلك، وكالعلم بالأطعمة والأشربة المحرمة وأبواب الربا وغير ذلك، وكالعلم بالمكروه كله وذلك كله موجود في كتب الفقه. وأما علم المباح وأمور الدنيا فكالعلم بالصيد وآداب الأكل والشرب والجماع والمخالطة ومعرفة الدنيا وأسبابها. وهذا كله موجود في الكتب محرراً، فإذا أراد العبد أن لا يتحرك بحركة إلا بعلم وجد ذلك في العلم، لأن العلم واسع جداً مثال ذلك. إذا أراد أن يسبح أو يمشي في السوق فيقول: هل للسباحة والمشي في السوق أصل في العلم أم لا؟ فيجد ذلك منصوصاً عليه، وكذا المزح واللعب وغير ذلك، لكن مع سعة العلم قد ترك العمل به وأوثر العمل بالجهل، فعليك بالعلم في جميع الحركات والسكنات وهو العصمة في مواطن المهلكات، وليكن سبيلك في العلوم اختيار أشرفها منزلة والميل إلى أنفعها ثمرة للدين والدنيا، فتجعل نظرك في نيل ذلك الفرع من العلم مما لا بد لك منه ولا غنى لك عنه وتجعله مما ترضى أن ينسب إليك وتنسب إليه، وتنزل غيرها من العلوم في نفسك على قدر مراتبها ومواقع أقدارها من دينك ومنفعة نفسك في دنياك وآخرتك الأوكد فالأوكد والأنفع فالأنفع وبالله التوفيق.

(وقال) الإمام **(أبو طالب)** محمد بن علي بن عطية الحارثي **(المكي)** في كتابه قوت القلوب إلى لقاء المحبوب ترجمه الخطيب في التاريخ والذهبي في الميزان، فقال الزاهد الواعظ صاحب القوت: حدث عن علي بن أحمد المصيص والمفيد وكان مجتهداً في العبادة، حدث عنه ابن عبد العزيز الأزجي وغيره، وقال الخطيب: كان من أهل الجبل ونشأ بمكة ووعظ ببغداد مات سنة ست وثمانين وثلاثمائة اهـ.

قلت: وأخذ عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم، وأبي سعيد بن الأعرابي، وأبي عثمان المغربي، وعنه ولده عمر بن أبي طالب، وفي كتاب لطائف المنن نقلاً عن الشاذلي أن كتاب الاحياء يورث العلم، وكتاب القوت يورث النور، وكان يقول: عليكم بالقوت فإنه قوت وتلقاه كل الصوفية بقبول، وأثنوا عليه كسيدي عبد الجليل القصري صاحب شعب الإيمان، وابن العريف، وكان يسميه السهروردي ديوان الإسلام، وأثنى على مؤلفه في عوارفه، وابن عباد في رسائله قال رحمه الله في كتابه المذكور بعد أن أورد الأقوال التي ذكرناها ما نصه: فهذه أقوال العلماء في معنى هذا الخبر حكينا ذلك عن علمائنا بمذاهبهم على معنى مذهب كل طائفة واحتججنا لكل قول، فالألفاظ لنا والمعنى لهم، وهذا كله حسن ومحتمل، وهؤلاء كلهم وإن اختلفوا في تفسير الحديث بألفاظ فإنهم متقاربون في المعنى، إلا أهل الظاهر منهم فإنهم حملوه على ما يعلمون، وأهل الباطن تأولوه على علمهم. ولعمري إن الظاهر والباطن علمان لا يستغني

قوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس. شهادة أن لا إله إلا الله» إلى آخر الحديث، لأن

أحدهما عن صاحبه، بمنزلة الإسلام والإيمان مرتبط كل واحد منهما بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك أحدهما عن صاحبه، وهؤلاء المختلفون في الأقوال مجمعون على أنه ﷺ لم يرد بذلك طلب علم الأقضية والفتاوى، ولا علم اختلاف المذاهب ولا كتب الحديث مما لا يتعين فرضه، وإن كان الله تعالى لا يخلي من ذلك من يقيمه بحفظه والذي عندنا في حقيقة هذا الخبر والله أعلم ان قوله ﷺ طلب العلم فريضة (**هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي**) ذكرت فيه (**مباني الإسلام وهو قوله ﷺ: بني الإسلام على خمس**) هكذا في النسخ وهي الرواية المشهورة. وفي نسخة على خمسة وهي رواية لمسلم، والتقدير خمسة أشياء أو أركان أو أصول. وفي رواية عبد الرزاق على خمس دعائم. ولنذكر أولاً تخريج هذا الحديث ثم نلم ببقية كلام الإمام أبي طالب.

قال العراقي: رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي من رواية عكرمة بن خالد، عن ابن عمر رفعه: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأخرجه مسلم أيضاً من رواية عاصم بن زيد بن محمد بن عمر، عن أبيه، عن ابن عمر. ورواه الترمذي من رواية حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر وقال: حسن صحيح اهـ.

قلت: رواه البخاري في أول صحيحه فقال: حدثنا عبيدالله بن موسى، أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان، عن عكرمة بن أبي خالد، عن ابن عمر. ورواه في التفسير وقال فيه: وزاد عثمان بن وهب، أخبرني فلان، وحيوة بن شريح، عن بكر بن عمر، وعن بكير بن عبدالله الأشج، عن نافع، عن ابن عمر. وأخرجه مسلم في الإيمان، عن محمد بن عبدالله بن نمير، عن أبيه، عن حنظلة؛ وعن ابن معاذ. عن أبيه، عن عاصم بن محمد، عن أبيه، عن جده. وعن ابن نمير، عن أبي خالد الأحمر، عن سعد بن طارق، عن سعد بن عمير، عن ابن عمر. وعن سهل بن عثمان، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن سعد بن طارق به، فوقع لمسلم من جميع طرقه خماسياً، وللبخاري رباعياً، وزاد مسلم في روايته عن حنظلة قال: سمعت عكرمة بن خالد يحدث طاوساً أن رجلاً قال لعبدالله بن عمر: الا تنفروا. فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ فذكر الحديث. وقال البيهقي: اسم الرجل السائل حكيم كذا في شرح العيني على البخاري.

قلت: وفي المخلصيات من رواية يزيد بن بشر السكسكي عن سني والد عبادة كنت عند ابن عمر فسأله رجل من أهل العراق فذكره. ويزيد بن بشير مجهول، ورواه كذلك الإمام أحمد في مسنده، وممن روى عن حبيب بن أبي ثابت سعيد ابن الجمس ومسعر بن كدام، وهو في المخلصيات من رواية محمد بن ميمون الحناط، عن سفيان بن عيينة عنهما. وأخرجه المدني في مسنده عن سفيان عن سعير وحده عنه وهو في الغيلانيات من رواية حماد بن شعيب الحماني، عن حبيب بن أبي ثابت. وأخرجه أبو نعيم من رواية حجاج بن منهال، حدثنا همام ابن يحيى، عن

الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب. والذي ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنذكره: وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة. والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة: اعتقاد، وفعل، وترك؛ فإذا بلغ

محمد بن حجادة، عن طلحة بن مصرف، عن ابن عمر وفيه زيادة، وليس لطلحة عن ابن عمر شيء في الكتب الستة.

قال العراقي: ويروي عن جرير أيضاً رواه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما، والطبراني في الكبير من رواية عامر عن جرير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس» فذكرها ولم يقل أن محمداً رسول الله اهـ.

قلت: والمعنى واحد لأن الشهادة هي قولنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما عرفت، **(لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب)** ونص القوت ثم ان العمل لا يصح إلا بعلمه، فأوّل العمل العلم به فصار علم العمل فرضاً من حيث افترض العمل، فلما لم يكن على المسلمين فرض من الأعمال إلا هذه الخمس صار طلب علم هذه الخمس فرضاً لأنه فرض الفرض اهـ.

(والذي ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يستريب) أي لا يشك **(فيه)** هو **(ما نذكره)**، ونورده الآن وهذا الذي يذكره المصنف هو خلاصة ما ذكره أبو طالب في كتابه مع زيادة ايضاح وبيان لتقريره، كما يظهر لمن تأمل في كلاميهما: **(وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة)** أي علم المعاملة القلبية والقالبية. واعلم أن الفرض بعد التوحيد نوعان. **أحدهما:** ما يكون فرضاً على العبد بحكم الإسلام وهو علم المعاملة القلبية واصلاح الباطن لازدياد الانوار النفسية وازالة الاخلاق الردية واثبات الشمائل المرضية. **وثانيهما:** ما هو فرض عليه عند تجدد الحادثة كدخول وقت الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها. وأما العبد إذا أسلم في وقت لم تجب عليه فيه هذه الأشياء فليس عليه أن يعلمها بفرض ادراك لأنه لم يدرك وقتها، وإنما يكون الفرض عليه حينئذ علم المعاملة القلبية، فلو وجد برهة بعد الإسلام وفراغاً ولم يشتغل في تحصيل علم المعاملة القلبية كان تاركاً للفرض مسؤولاً عنه يوم القيامة، وإن لم يتجدد له من تلك الفروض الظاهرة شيء كالصلاة ونحوها، فتأمل، فإنه إجمال سيفصله المصنف فيما بعد. **(والمعاملة التي كلف العبد العاقل بها ثلاثة، اعتقاد)** هو عقد القلب على الشيء واثباته في نفسه، وسيأتي ذكره في الباب السادس، **(وفعل)** قال الراغب، الفعل التأثير من جهة مؤثر وهو عام لما كان بإيجاده أو بغيره، ولما كان بعلم أو بغيره وبقصد أو بغيره ولما كان الإنسان والحيوان

الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً، فأول واجب عليه تعلم كلمتي

والعمل والصنع أخص منه. **(وترك)** هو رفض الشيء قصداً واختياراً أو قهراً واضطراراً، وهذا التقسيم فيه تصريح أن الترك غير الفعل كما صرح به غير واحد. وقال ابن السبكي في الطبقات: لقد وقفت على ثلاثة أدلة تدل على أن الكف فعل لم أر أحداً عثر عليها. **أحدها:** قوله تعالى: ﴿وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ [الفرقان: ٣٠] وتقريره أن الاتخاذ افتعال من الأخذ وهو التناول، والمهجور: المتروك. فصار المعنى تناولوه متروكاً وفعلوا تركه، وهذا واضح على جعل اتخذ في الآية متعدياً إلى مفعولين. **والثاني:** حديث أبي جحيفة أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال فسكتوا فلم يجبه أحد قال: «حفظ اللسان». **والثالث:** قول قائل من الأنصار، والنبي ﷺ يعمل بنفسه في بناء مسجده لقد قعدنا والنبي يعمل لذاك هو العمل المضلل اهـ.

(فإذا بلغ الرجل) فيه المجاز بالأول وفي معناه المرأة وسيأتي الاختلاف فيه. **(العاقل)** لأن المجنون لا تتوجه عليه الاحكام حتى يبرأ، لما روى ابن ماجه من حديث عائشة مرفوعاً: «رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق» **(بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً)** قال التقي السبكي في ابراز الحكم: أجمع العلماء على أن الاحتلام يحصل به البلوغ في حق الرجل، ومن الدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا﴾ [النور: ٥٩] والمراد بالاحتلام خروج المني سواء كان في اليقظة أم في النوم بحلم أو غير حلم، ولما كان في الغالب لا يحصل إلا في النوم بحلم أطلق عليه الحلم والاحتلام، ويكون الخروج بغير حلم مدلولاً عليه باللفظ إن اختلف اللفظ على الاقسام الثلاثة لوجود المعنى في جميعها أو لا يكون مدلولاً عليه، ولكن الحكم ثابت فيه إجماعاً لمشاركة في المعنى لما دل اللفظ عليه، ولو وجد الاحتلام من غير خروج مني فلا حكم له، ثم قالوا: إن وقت امكان خروج المني باستكمال تسع سنين ولا عبرة بما ينفصل قبل ذلك وقبل مضي الإمكان بستة أشهر من السنة العاشرة وقبل تمام العاشرة، ثم قال: واختلف أصحابنا في بلوغ النساء بالاحتلام، والصحيح انه بلوغ في حقهن كالرجال، وفيه أنه لا يوجب البلوغ فيهن لأنه نادر فيهن ساقط العبرة، وأما البلوغ بالسن فعن أبي حنيفة أن بلوغ الغلام بثمان عشرة سنة وفي الجارية عنه روايتان. إحداهما كذلك والثانية لسبع عشرة. وقال الشافعي: إن البلوغ فيهما بخمس عشرة، واختلف أصحابه في ضبطها، فالمذهب المشهور أن المعتبر تمام السنة الخامسة عشر. وفي وجه مشهور من طريق المراوزة أنه بالطعن فيها. وفي وجه غريب أنه بمضي ستة أشهر منها، واستندوا فيه إلى حديثين.

أحدهما: عن ابن عمر قال عرضت على النبي ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، وعرضت يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني متفق عليه. قال نافع: فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز في خلافته فقال: إن هذا لحد بين الصغير والكبير، وقيل: إن عمر

....

ابن عبد العزيز أمر بذلك بعد، وكان يجعل من دون خمس عشرة في الذرية وكتب إلى عماله إن افرضوا لابن خمس عشرة، وما كان سوى ذلك فالحقوه بالعيال والمخالفون اعتذروا عن هذا الحديث بأن الإجازة في القتال منوطة باطاقته والقدرة عليه، وأن إجازة النبي ﷺ لابن عمر في الخمس عشرة لأنه رآه مطيقاً للقتال ولم يكن مطيقاً له قبلها، لا لأنه أراد الحكم على البلوغ وعدمه، ولعمري ان هذا العذر يلوح، ولكن يرده ان جماعة مع ابن عمر اتفق لهم ذلك وأسنانهم متساوية، وكان فيمن رد من يتشوّق للقتال ويظهر من نفسه الجلادة والقوة، وذكر ابن عمر السن في المقامين دليل على أنه فهم ان ذلك منوط بالسن، ويعضد ذلك تفهم عمر بن عبد العزيز ومن وافقه، والأمر فيه محتمل، وأمر عمر بن عبد العزيز بجعل من دون خمس عشرة في الذرية ظاهر لما قدمناه، وكذلك سحب حكم عدم البلوغ على ما قبل تمامها فلا بلوغ قبل استكمال خمس عشرة سنة بغير الاحتلام، وإنما النظر في البلوغ بتمامها والإجازة في القتال لا تدل على البلوغ لأن الصبي القادر على القتال يجوز له الحضور وإن لم يجب عليه. وقد ذكر الرافعي في هذا الحديث زيادة وهي قول ابن عمر في المدة الأولى ولم يرني بلغت، وفي الخندق ورآني قد بلغت. وهذه الزيادة إن صحت كافية في الاستدلال على إمكان أن يجعلها الخصم على بلوغ القتال، ولكن الظاهر خلافه، وبعض هذه الزيادة رواه البيهقي وهو قول ابن عمر في يوم أحد ولم يرني بلغت، ورواه ابن جرير، عن عبيدالله عن نافع، عن ابن عمر. وفي رواية جماعة عن عبدالله فاستصغرني.

وأما الحديث الثاني: فرواه الدارقطني على ما نقله إمام الحرمين أن النبي ﷺ قال: «إذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وما عليه وأقيمت عليه الحدود». وهذا الحديث نص على المقصود، فإن الذي دلت عليه السير أن ابن عمر يوم الخندق كان في ست عشرة سنة، لكن لم يحسب تلك الزيادة فقال: وأنا ابن خمس عشرة لأنه كان أكملها وزاد عليها، فإجازة النبي ﷺ له يحتمل أن تكون لقدرته على القتال مع صباه، ويحتمل أن تكون لاستكماله خمس عشرة، ويحتمل أن تكون لبلوغه قبل ذلك أو بعده. وأما هذا الحديث فنص في اعتبار كمال خمس عشرة سنة، وصريح في أنه يكتب ماله وما عليه وتقام عليه الحدود وهذا معنى التكليف، فإن صح هذا الحديث فلا ريبة في هذا الحكم، والاّ فنقول في اعتبار أبي حنيفة أيضاً لسبع عشرة أو ثمان عشرة لا دليل عليه وبقاء الصبا أبداً لا صائر إليه، وربما لا يحتلم شخص. وقد دل القرآن على بلوغ النكاح وهو السن الذي تتوق فيه نفسه إلى الجماع ويقدر عليه وهو مختلف باختلاف الأشخاص، والغالب وجوده في ابن خمس عشرة وما قاربها، وقد شهد له حديث ابن عمر والحديث الآخر فهو أولى بالاعتبار واقامته مظنة، فلذلك نختار موافقة الشافعي في الحكم بالبلوغ باستكمال خمس عشرة ظاهراً لا قطعاً، أما إذا استكمل سبع عشرة أو ثمان عشرة فيحكم بالبلوغ باتفاق منا ومن الحنفية، ومخالفة مالك بعيدة لأنه لا غاية بعدها. ثم قال: واختلف العلماء في إنبات العانة هل يقتضي الحكم بالبلوغ؛ فمن العلماء من أنكر ذلك وهو أبو حنيفة رحمه الله تعالى، ومنهم من قال

الشهادة وفهم معناهما وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليس يجب عليه أن

به في حق المسلمين والكفار وهو أحد وجهين لأصحابنا بناء على أنه بلوغ حقيقة كسائر أسباب البلوغ، أو أنه علامة يحتاج إليها عند الإشكال فيها وهو مذهب مالك، ومنهم من قال في حق الكفار خاصة وهو الصحيح عند أصحابنا بناء على أنه ليس ببلوغ، ولكنه دليل على البلوغ وأمارة لأنه يستعجل بالمعالجة، ولأن تواريخ المواليد في المسلمين يسهل الكشف عنها بخلاف الكفّار، فإنه لا اعتماد على قولهم، فجعل علامة في حق الكفار خاصة ثم قال: وإذا اعتبرنا البلوغ بخمس عشرة سنة فهو تحديد لأن كل عدد نص الشارع عليه فهو تحديد، وإنما يختلف فيما ليس مقدراً من جهة الشارع هذا كله نص التقي السبكي نقلته برمته لما فيه من الفوائد.

قلت: وما ذكره عن أبي حنيفة في بلوغ الغلام ثمان عشرة سنة هو الرواية المشهورة عنه، وقد ذكر صاحب الدرر وغيره عنه رواية أخرى تسع عشرة سنة. وقال بعضهم: المراد من ذلك أن يطعن في التاسع عشر فلا اختلاف بين الروايتين، وحاصل ما ذكره أصحابنا في متونهم وأجمعوا عليه أن بلوغ الغلام بإحدى ثلاث. الاحتلام والإحبال والإنزال، لأنها أمارات البلوغ، وإلاَّ فحتى يتم ثمان عشرة سنة، وبلوغ الجارية بالحيض والاحتلام والحبل، وإلاَّ فحتى يتم لها ثمان عشرة سنة، ويروى عن أبي حنيفة أيضاً بلوغها بخمس عشرة سنة وهو قول الصاحبين وعليه الفتوى. قالوا: وأدنى المدة في حق الغلام اثنتا عشرة سنة وفي حقها تسع سنين، فإن راهقا الحلم وأقرا بالبلوغ صدقا بالإجماع. (**فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما**) ولو إجمالاً (**وهو قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله**) صار لفظ الشهادة علماً عليه لقول القائل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والشهادة تطلق على معان كثيرة كما تقدم، ولكن المناسب هنا هو الاخبار بمعرفة الشيء عن شهادة وعيان لا تخمين وحسبان، ومعنى الشهادة في أشهد أن لا إله إلاَّ الله تصديق بالجنان واقرار باللسان وهو مجاز لغوي وحقيقة شرعية شبه الاقرار والتصديق في البيان والكشف، فأطلق على ذلك الشهادة كما أطلق الأسد على الرجل الشجاع، فتكون استعارة، ثم أشهد هنا إن كان إخباراً عما مضى، ففائدته أن يكون التصديق والإقرار نصب عين الجنان، وورد اللسان بحيث يشغل المؤمن بهما ظاهره وباطنه، وإن كان انشاءً ففائدته النجاة واستحقاق الإحسان والاعلام بالإيمان حققه الكافيجي، وقال ابن السبكي في الطبقات: واعلم أن جميع ماسقناه في قول لا إله إلا الله المراد به في أكثر الأحاديث صيغة الشهادتين، وقد صارا كالشيء الواحد لأن الاعتبار باحدهما متوقف على الآخر، ومن ثم قال القاضي أبو الطيب الطبري وجماعة في تلقين الميت: يلقن الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقد جاء مصرحاً في بعض ألفاظ الحديث، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر: « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا » الحديث. وفي رواية أخرى عندهما لأبي هريرة كذلك، وفي رواية أخرى للبخاري والثلاثة من حديث أنس رفعه: « حتى يقولوا وفيه فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » الحديث وكذلك حديث: « بني الإسلام على

يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة، بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزماً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس، وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان، « إذا اكتفى رسول الله ﷺ من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل ». فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان

خمس » فجعل الشهادتين شيئاً واحداً وهو الأمر الذي بُني عليه الإسلام وإلاّ فلو كانا شيئين لكان الإسلام مبنياً على ست لا خمس. **(وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر)** قد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو أعم من القياس لأن كل قياس نظر ولا عكس، وعند الأصوليين هو الفكر المؤدي إلى علم أو ظن **(والبحث)** هو إثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بين شيئين بطريق الاستدلال **(وتحرير الأدلة)** والتحقيق فيها، **(بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزماً)** أي حتماً يقال: حكم جزم لا ينقض ولا يرد **(من غير اختلاج ريب)** أي شك **(واضطراب نفس)**، والاختلاج هو الأضطراب، **(وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث وبرهان)** أي يتبع غيره فيما يقوله معتقداً فيه من غير نظر وتأمل وبحث في الدليل، كأنه يجعل قول غيره قلادة في عنقه، والبرهان ما يفصل الحق من الباطل، ويميز الصحيح من الفاسد بالبيان الذي فيه **(إذا اكتفي رسول الله ﷺ من أجلاف العرب)** وجفاتهم الذين لم يتزيوا بزي الحضر في رفقهم ولين أخلاقهم **(بالتصديق والاقرار)** فقط **(من غير تعليم دليل)**.

قال العراقي: هو مشهور في كتب السير، وفي الصحيح: فمن ذلك حديث أنس المتفق عليه في قصة ضمام بن ثعلبة وفيه: فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم ان الله أرسلك. قال: صدق. الحديث، وفي آخره فقال الرجل: آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد ابن بكر.

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي أيوب أن اعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال يا رسول الله، أو يا محمد: أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار وفيه: فقال « تعبد الله ولا تشرك به شيئاً » الحديث زاد مسلم فقال: « ان تمسك بما أمر به دخل الجنة ».

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي هريرة أن اعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: « تعبد الله ولا تشرك به شيئاً » الحديث وفيه فقال: « من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا ». والأحاديث في هذا كثيرة مشهورة اهـ.

وقال صاحب القوت: فإذا بطلت هذه الوجوه يعني التي ذكرها في حديث: اطلبوا العلم الخ. صح أن المراد به علم ما بني الإسلام عليه، فافترض على المسلمين علمه فريضة بدليل قوله ﷺ

العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما ، وليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت ، بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير عاص له ، وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص بل يتصوّر الانفكاك عنها ، وتلك العوارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في

للاعرابي حين سأله ما افترض الله عليّ. وفي لفظ آخر أخبرنا بالذي أرسلك الله إلينا فاخبره بالشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت فقال: هل عليَّ غيرها فقال: لا . إلاَّ أن تتطوّع، فقال: والله لا أزيد عليه شيئاً ولا أنقص منه شيئاً فقال: « أفلح. ودخل الجنة إن صدق ». فكان علم هذه الخمس الفريضة من حيث هي كمال معلوم وفريضة إذ لا عمل إلا بعلم اهـ.

قـلت: وحديث ضمام في أوّل كتاب البخاري رواه عن عبدالله بن يوسف التنيسي. ورواه أبو داود ، والنسائي، وابن ماجه جميعاً عن عيسى بن حملة بن عتبة كلاهما عن الليث بن سعد عن سعيد المقبري، عن شريك بن عبدالله بن نمير ، عن أنس. وأخرجه الترمذي، عن محمد بن إسماعيل الترمذي ، عن علي بن عبد الحميد . والنسائي عن محمد بن محمد ، عن ابن عامر العقدي ، وعبد بن حميد عن أبي النضر هاشم بن القاسم. وأبو عوانة في صحيحه من رواية موسى بن إسماعيل خمستهم عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت ، عن أنس، وفي رواياتهم اختلاف في اللفظ، وأكمل الروايات لهذا الحديث حديث ابن عباس وهو بطوله في الخلعيات من رواية محمد بن إسحاق. وحدثني محمد بن الوليد ، عن كريب عنه وفي آخره يقول عبدالله بن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة، وقد وقع في هذه الطرق كلها ذكر الحج ما عدا رواية البخاري، وقدوم ضمام كان في سنة تسع وبه جزم ابن إسحاق وأبو عبيدة، ووقع في معجم الطبراني من حديث سعيد بن جبير ، عن ابن عباس التصريح بأن قدوم ضمام كان بمكة والله أعلم.

(فإذا فعل ذلك فقد أدّى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما) أي فهم معانيهما إجمالاً **(وليس يلزمه امر وراء هذا في ذلك الوقت بدليل إنه لو مات)** أي لو قدر موته **(عقب ذلك مات مطيعاً لله تعالى غير عاص)** ، وكذلك من أيقن بالإيمان وحال بينه وبين النطق به الموت فهو ناج استنبطه المصنف من قوله ﷺ : « أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » قال: وأما من قدر على النطق ولم يفعل حتى مات مع إيقانه بالإيمان بقلبه، فيحتمل أن يكون امتناعه منه بمنزلة امتناعه عن الصلاة فلا يخلد في النار، ويحتمل خلافه، ورجح غيره الثاني فيحتمل تأويله. كذا نقله القسطلاني. **(وإنما يجب غير ذلك بعارض يعرض)** والعارض للشيء ما يكون محمولاً عليه خارجاً، وهو أعم من العرض. إذ يقال للجوهر عارض كالصورة تعرض للهيولى، ولا يقال له عرض، **(وليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص بل يتصوّر الانفكاك عنها)** أي

الاعتقاد. أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة، فإن كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم، فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت. ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال، وهكذا في بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم: وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس؛ وأن الواجب فيه النية والامساك عن الأكل والشرب والوقاع، وإن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين؛ فإن تجدد له

الانفصال، **(وتلك العوارض)** التي تعرض على المكلف **(إما أن تكون في الفعل أو في الترك وإما في الاعتقاد)** قدم الفعل والترك إهتماماً بشأنها، لأن غالب الشرائع مداره عليها. **(أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة النهار)** مثلاً بعد أن يصير أهلاً لوجوب الصلاة عليه ببلوغ وإسلام **(إلى وقت الظهر)** الغاية هنا داخلة تحت المغيا بقرينة قوله: **(فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة)** من الأحداث والأخباث **(والصلاة)** أي صلاة الظهر وتقديم الطهارة لكونها من مقدمات الصلاة، **(وإن كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر إلى زوال الشمس لم ينمكن من تمام التعلم والعمل)** ولا من بعضها **(في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن نقول الظاهر بقاؤه)** وهو الراجح، **(فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت)** وإنما عبر بقوله لا يبعد لأنه لم ير فيه تصريحاً، وإنما هو من تحقيقاته، ويكون المراد بالتعلم الذي وجب تقديمه قدر ما يستطيعه ويسعه فهمه، وإن جعل التعلم شرطاً للصلاة فلا محالة يقدم عليها تقدم العلة على المعلول. **(ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب)** أي لا يستدعي وجوبه **(قبل الزوال)** ويقال: هلا يكون المراد من قوله بعد وجوب العمل أي بعد معرفة وجوبه قبل دخول وقته فيكون مستدعياً تقدمه بالذات ولو لم يكن بالزمان، فالعلم ليس مقارناً له في الوجوب بالزمان فتدبر، **(وهكذا)** الحال **(في بقية الصلوات)** المفروضة **(فإن عاش إلى رمضان)** الشهر المعروف **(تجدد بسببه)** أي بسبب دخوله فيه **(وجوب تعلم الصوم: وهو أن يعلم أن وقته من)** طلوع **(الصبح إلى غروب)** قرص **(الشمس، وإن الواجب النية)** وهي إجماعية. ولكن اختلفوا في تعيينها فقال مالك، والشافعي وأحمد في أظهر روايتيه: لا بد من التعيين، فإن لم يعين لم يجز ولو نوى صوماً مطلقاً أو صوم التطوّع لم يجز، وقال أبو حنيفة: لا يجب التعيين وإن نوَى مطلقاً أو نفلاً أجزأه وهي الرواية الأخرى عن أحمد، ثم اختلفوا في وقت النية على ما يأتي بيانه في الكتاب الثالث إن شاء الله تعالى **(والإمساك)** أي الامتناع **(عن الأكل)** والشرب **(والوقاع)** أي الجماع وما في معناه **(وان ذلك يتمادى)** أي تنتهي مدته **(إلى وقت رؤية الهلال)** أي هلال

مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة، ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام؛ فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل، وكذلك في سائر الأصناف، فإذا دخل في أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور، ولكن ينبغي لعلماء الإسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد

شوّال، (**فإن تجدد له مال**) بكسب أو هبة أو إرث، والمراد بالمال النقدان (**عند بلوغه**) أو قبل أن يبلغ بقليل (**لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة**) أي من مسائلها (**لكن لا تلزمه**) الزكاة (**في الحال إنما تلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام**) بتحديد الشارع والمعتبر فيه الشهور القمرية كما في البلوغ لا الشمسية؛ (**فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه تعلم زكاة الغنم**) وكذا في عكسه، (**وهكذا في سائر الأصناف**) من الأموال، (**فإذا دخل أشهر الحج**) وهي عند جمهور العلماء شوّال وذو القعدة وعشر ذي الحجة سمي بعضه شهراً مجازاً تسمية البعض باسم الكل، والعرب تفعل ذلك كثيراً من الأيام يقولون: زرتك العام وزرتك الشهر، والمراد وقت في ذلك قلّ أو كثر وهو من أفانين الكلام، وعن مالك ذو الحجة عملاً بظاهر اللفظ، لأن أقله ثلاثة. وعن ابن عمر والشعبي أربعة هذه الثلاثة والمحرم. (**فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي**) أي امتداد الزمان (**فلا يكون علمه على الفور، ولكن ينبغي لعلماء الإسلام أن ينبهوه على ان الحج فرض**) على كل مسلم (**على التراخي**). هذا هو مذهب الشافعي وأحمد في رواية وقول لمحمد ابن الحسن قالوا: لأنه وظيفة العمر وظاهر المتون على الفور عند أبي حنيفة، وهو مذهب مالك وقول لأبي يوسف، واستدلوا بقوله ﷺ: «من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتعرض الحاجة». رواه أحمد والبيهقي وابن ماجه. قال العيني في شرح الكنز: فإن قلت حج رسول الله ﷺ في سنة عشر، وكان فرضه في سنة ست، فهذا يدل على التراخي. قلت: الحج وجب بقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ [آل عمران: ٩٧] وهي نزلت سنة تسع، والذي نزل في سنة ست قوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ [البقرة: ١٩٦] وهو أمر باتمام ما شرع فيه وليس فيه دلالة على الإيجاب من غير شروع، وأما تأخيره عليه السلام إلى السنة العاشرة، فيحتمل أن يكون لعذر إما لانها نزلت بعد فوات الوقت أو لخوف من المشركين على أهل المدينة أو على نفسه، وأما ما قاله بعضهم أنه عليه السلام كان قد علم أنه يدرك الحج قبل موته فليس بشيء اهـ.

وقال مسكين البخاري في شرحه عليه ما نصه: فرض مرة على الفور عند أبي يوسف ومحمد، وهو إحدى الروايتين عنه أنه على التراخي وهو قول الشافعي، إلاّ انه يسعه التأخير بشرط أن لا يفوته بالموت، فإذا أخَّر حتى مات أثم في التأخير. وفي النهر لابن نجيم الحاصل أن الفورية واجبة احتياطاً حتى لو أتى به متراخياً كان أداء اتفاقاً، وثمرة الخلاف إنما تظهر في الفسق بالتأخير

والراحلة إذ كان هو مالكاً حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك إذا عزم

والإثم وردّ الشهادة، وقال أبو يوسف: نعم ونفاه محمد وأجمعوا على أنه لو حج في آخر عمره لم يأثم ولو مات ولم يحج أثم اهـ.

وقال صاحب الجوهرة عند أبي يوسف على الفور لأنه يختص بوقت خاص والموت في سنة واحدة غير نادر، وعند محمد على التراخي لأنه وظيفة العمر والخلاف فيما إذا كان غالب ظنه السلامة، أما إذا كان غالب ظنه الموت أما لسبب المرض أو الهرم، فإنه يتضيق عليه الوجوب إجماعاً فعند أبي يوسف لا يباح له التأخير عند الامكان، فان أخره كان آثماً وحجته الحديث من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام فلا يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً، ثم احتج لمحمد بما ذكره العيني في نزول الآية. وقال صاحب الدرر: وقت الحج في اصطلاح الاصوليين يسمى مشكلاً لأن فيه جهة المعيارية والظرفية، فمن قال بالفور لا يقول بأن من أخره بكون فعله قضاء، ومن قال بالتراخي لا يقول بأن من أخره عن العام الأوّل لا يأثم أصلاً كما إذا أخّر الصلاة عن الوقت الأوّل بل جهة المعيارية راجحة عند من يقول بالفور، حتى أن من أخّره يفسق وترد شهادته، لكن إذا حج بالآخرة كان أداء لاقضاء وجهة الظرفية راجحة عند من يقول بخلافه، حتى إذا أداه بعد العام الأول لا يأثم بالتأخير، ولكن لو مات ولم يحج أثم عنده اهـ.

ورأيت لشمس الائمة الحلواني في رسالته الرد على من رد على أبي حنيفة في مسائل، فمنها أنه قال، قال: أبو حنيفة بوجوب الحج على الفور، مع أنه لم يرتبط به حاجة مسلم فنقول: لا نص عن أبي حنيفة في الحج على أنه على الفور أو على التراخي، وإنما أصحابه اختلفوا فيه، فقال أبو سهل ابن الزجاجي على قول أبي يوسف: يجب على الفور، وعلى قول محمد على التراخي، وروى محمد بن شجاع، عن أبي حنيفة انه من ملك ما يحج به، فأراد أن يتزوّج يحج به. قيل: هذا يدل على وجوبه على الفور عنده مع أن في كونه دليلاً عليه احتمالاً، فإن كان كذلك فمراده منه ما هو مراد أبي يوسف من وجوبه على الفور، فإن أبا يوسف نص على أن المراد به في حق الأداء احتياطاً لئلا يؤدي إلى الفوت، لأن موت المرء في السنة الواحدة لا يندر بخلاف وقت الصلاة يدل عليه أنه قال التي يستفاد منها وجوب الحج مطلقاً على الوقت، فقضيتها الوجوب على التراخي إلا أنا أظهرنا التقييد بالسنة الأولى في حق الاداء احتياطاً يدل على أن وجوبه على التراخي عندهم بالإجماع، على أنه لو أخّر الحج عشر سنين، ثم أدى يقع أداء لا قضاء، فلو كان الوجوب على الفور لفات بالتأخير عن وقته في السنة الأولى، فوقع أداؤه بعد ذلك قضاء، فلما لم يقع الاداء دل على أن وجوبه على التراخي عندهم، فلم يصح إضافة الوجوب على التراخي إلى أبي حنيفة لأنه نص عنده ولا إلى أصحابنا لما بيّنا اهـ.

(على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكاً) وذلك مما فضل عن مسكنه وعما لا بدّ له منه وعلى نفقة مدة ذهابه وإيابه ونفقة عياله، كما سيأتي ذلك. **(حتى ربما يرى**

عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله، فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضاً نفل فلا يكون تعلمه فرض عين، وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه، وهكذا التدريج في علم سائر الأفعال لتي هي فرض عين.

وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال، وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام، ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر، ولا على البدوي تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن، فذلك أيضاً واجب بحسب ما يقتضيه الحال، فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابساً للحرير، أو جالساً في الغصب، أو ناظراً إلى غير ذي محرم، فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابساً له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه، حتى إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب

الحزم لنفسه في المبادرة) إليه **(فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته)** مما يصح به حجه ويفسد بدونه **(دون نوافله؛ فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضاً نفل فلا يكون تعلمه فرض عين، وفي تحريم السكوت عن)** وفي بعض النسخ على **(التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه)** وحكمه مبسوط في كتبه، **(وكذا التدريج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين)** قياساً على ما ذكر.

(وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص) أي باختلاف حاله. **(إذ لا يجب على الأبكم)** هو الذي لا يقدر على النطق **(تعلم ما يحرم)** عليه **(من الكلام، ولا على الأعمى)** هو فاقد البصر **(تعلم ما يحرم)** عليه **(من النظر، ولا على البدوي)** ساكن القفار **(تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن، فذلك أيضاً واجب)** تعلمه **(بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أن ينفك عنه)** وينفصل منه **(لا يجب تعلمه وما هو ملابس له)** غير منفك عنه **(يجب)** على العلماء **(تنبيهه)** وتعليمه وإرشاده ليرتدع عما لا يجوز **(كما لو كان عند)** دخوله في **(الإسلام لابساً للحرير)** مثلاً **(أو جالساً على الغصب)** سواء كانت بقعة مغصوبة أو ما فرش تحته كذلك، وفي معناه ما إذا كان راكباً على دابة مغصوبة، أو متصرفاً فيما ليس له فيه حق شرعي **(أو ناظراً إلى غير محرم)** هو من لا يحل له نكاحها أبداً برحم أو رضاع أو مصاهرة **(فيجب تعريفه: ذلك)** وإرشاده بأن ذلك حرام في الشرع **(وما ليس ملابساً له)** حالاً **(ولكنه بصدد التعرض له على القرب)** منه بحيث أنه كاد أن يقع فيه بأن يكون حائماً حول حماه **(كالأكل)** ونحوه **(حتى إذا كان في**

الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه، وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه.

وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر، فإن خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك، فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وانه مرئي وأنه ليس محلاً للحوادث إلى غير ذلك مما ذكر في المعتقدات، فقد مات على الإسلام إجماعاً، ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع، وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد، فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يصان في أول بلوغه عنها بتلقين الحق، فإنه لو ألقى إليه الباطل لوجبت إزالته عن

بلد يتعاطى) أي يتناول **(فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك)** بأن تناول ذلك وتعاطيه حرام لا يجوز للمسلم **(وتنبيهه عليه، وما وجب تعليمه وجب تعلمه)** هذا في التروك.

(وأما الإعتقادات وأعمال القلوب) هو من عطف الخاص على العام أو عطف تفسير، فإن ما عقده القلب عمل له **(فيجب عملها بحسب الخواطر)** جمع خاطر إسم لما يتحرك في القلب من رأي أو معنى، ثم سمى محله باسم ذلك وهو من الصفات الغالبة يقال: خطر ببالي وعلى بالي أمر، وأصل التركيب يدل على الحركة والإضطراب قاله المطرزي، **(فإن خطر له شك)** وتردد **(في)** فهم **(المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة)** كلها أو بعضها **(فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة)** ذلك **(الشك)** والتردد ويكتفي على ذلك القدر ولا يتجاوز **(وإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله قديم)** غير حادث **(وأنه)** عز وجل **(مرئي)** أي يراه المؤمنون في الآخرة بانظارهم، **(وأنه ليس محلاً للحوادث إلى غير ذلك)** من المسائل الإعتقادية **(مما تذكر في المعتقدات)** في الكتاب الثاني، **(فقد مات على الإسلام إجماعاً)** من أهل السنة، وإن خالفهم المعتزلة والمبتدعة، فقد صرح غير واحد من العلماء إن مخالفة ذوي البدع، ونفاة القياس الجلي لا يعد خرقاً في الإجماع، **(ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع)** والجبلة، **(وبعضها)** يخطر **(بالسماع)** من أفواه الناس **(من أهل البلد، فإن كان في بلد شاع فيها الكلام)** أي علمه **(وتناطق الناس بالبدع)** والأمور المنكرة **(فينبغي أن يصان)** ويحفظ **(في أول بلوغه)** بالسن أو بالأحتلام **(عنها)** أي عن تلك المقالات **(بتلقين الحق)** إياه والقائه له في ذهنه كما قالوا:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلباً خالياً فتمكنا

(لأنه إذا ألقى) وفي نسخة: فإنه لو ألقي **(إليه الباطل)** ولقنه **(لوجب إزالته)** وإبعاده

قلبه، وربما عسر ذلك، كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا، وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب، فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين، وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدوّ ولمة الملك حق أيضاً ولكن في حق من يتصدى له، فإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه، وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه». ولا ينفك عنها بشر، وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب

(**من قلبه**) لئلا يرسخ فيه، (**وربما عسر ذلك**) وصعب لأنه يصير كالطبع له، (**كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع في البلد**) الذي هو فيه (**معاملة الربا**) وتعاطيه (**وجب عليه تعلم الحذر من الربا**) لئلا يقع فيه (**هذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين**) وعليه يحمل الحديث المذكور (**ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب**) إذ العلم لما كان روحه وثمرته العمل كان متقدم الوجود على العمل. إذ لا بد أن يحصل العلم أولاً، ثم بعد ذلك يقع التعبد بالعلم، لأن الجهل لا يوجب شيئاً من العمل، (**فمن علم العمل الواجب وقت وجوبه علم العلم الذي هو فرض عين، وما ذكره**) السادة (**الصوفية**) بأن المراد بالعلم المفروض هو القدر الواجب (**من فهم خاطر العدوّ**) وهو الشيطان (**ولمة الملك**) والتمييز بينهما، واعلم أن الخاطر عندهم ما يرد على القلب من الخطاب من غير إقامة وهو على أربعة أقسام. رباني وهو أول الخواطر ولا يخطىء أبداً وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الإندفاع، وملكي وهو الباعث على مندوب أو مفروض ويسمى إلهاماً، ونفسي وهو ما فيه حظ للنفس ويسمى هاجساً، وشيطاني وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق فذلك (**حق أيضاً ولكن**) ليس في حق كل أحد إنما هو (**في حق من يتصدى له**) ويتعرض ممن هو في سلوك طريق الحق، (**وإذا كان الغالب**) في الأحوال (**أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد**) وغير ذلك من الأوصاف الذميمة، (**فيلزمه أن يتعلم من ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه**) غير مستغن عنه، (**وكيف لا يجب**) عليه (**وقد قال ﷺ**) فيما رواه أبو بكر البزار في مسنده، وأبو نعيم في الحلية من رواية زائدة بن أبي الرقاد، عن زياد النميري، عن أنس بن مالك رفعه: «ثلاث كفارات وثلاث درجات وثلاث منجيات و(**ثلاث مهلكات**) أي موقعات في الهلاك لفاعلها، أما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة واسباغ الوضوء في البردات. ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات فاطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام، وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية، وأما الهلكات (**فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه**». **الحديث**) أي الخ إشارة إلى

كالكبر والعجب واخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات، وإزالتها فرض عين، ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها؛ فإن من لا يعرف الشر يقع فيه، والعلاج هو مقابلة السبب بضده، وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب، فأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان، وقد تركها الناس كافة اشتغالاً بما لا يغني. ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى: الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق،

أن الحديث له بقية، وهو الذي أوردناه، والمراد بالشح المطاع هو البخل الذي يطيعه الناس فلا يؤدون الحقوق. قال الراغب: خص المطاع لينبه أن الشح في النفس ليس مما يستحق بـه ذم. إذ ليس هو من فعله، وإنما يذم بالإنقياد له وقد أخرج هذا الحديث بتلك الزيادة أيضاً أبو الشيخ في التوبيخ. وقد روي مقتصراً على ذكر المهلكات، كما للمصنف من رواية أيوب بن عتبة، عن الفضل بن بكر، عن قتادة، عن أنس. وهكذا رواه البيهقي في شعب الإيمان، وكلا الإسنادين ضعيف، ورواه ابن حبان في الضعفاء، والطبراني في الأوسط من رواية حميد بن الحكم عن الحسن عن أنس، ويروى أيضاً عن ابن عمر أخرجه الطبراني في الأوسط من رواية ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير عنه. وأخرج ابن حبان في الضعفاء من رواية محمد بن عون الخراساني، عن محمد بن زيد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رفعه: «المهلكات ثلاث إعجاب المرء بنفسه وشح مطاع وهوى متبع». ورواه ابن عدي من هذا الوجه، ومن رواية عيسى ابن ميمون، عن محمد بن كعب عن ابن عباس. وفي الباب عن أبي هريرة، وابن أبي أوفى، وأبي تعلبة. (**فلا ينفك عنها بشر، وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب**) وصفاتها (**كالكبر والعجب وأخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات**) ولما كانت هذه الثلاث كالأصول لبقية المهلكات وقع الإقتصار عليها لأنه ما من صفة ذميمة إلا وأصلها إحدى هذه الثلاثة (**وإزالتها**) عن القلب (**فرض عين، ولا يمكن**) ذلك (**إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاجها**) وهذه الثلاثة قد أشار إليها في أول كتابه (**فإن من لا يعرف الشر يقع فيه**). وسيأتي للمصنف في الباب السادس عند ذكر حذيفة بن اليمان وأنشد هناك قول بعضهم:

عـرفـت الشر لا للشر لكـن لتـوقيــه ... ومن لا يعرفَ الشر من الناس يقع فيــه

(**والعلاج**) عندهم (**هو مقابلة السبب بضده**). هذا هو المشهور عند الأطباء، وفي قول عندهم وهو مقابلة السبب بما يلائمه، (**فكيف يمكن**) ذلك (**دون معرفة السبب والمسبب**) وهو ظاهر، (**فأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان**) التي ينبغي الإهتمام بمعرفتها (**وقد تركه الناس كافة**) جميعاً (**اشتغالاً**) عنها (**بما لا يغني**) طائلاً ولا يجدي نفعاً، (**ومما ينبغي أن يبادر في القائه إليه**) وتلقينه إياه (**إذا لم يكن قد انتقل عن ملة**

وهو من تتمة كلمتي الشهادة، فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولاً ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها: وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة، ومن عصاه فله النار، فإذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا، وتحققت أن كل عبد هو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالباً، فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعرف بالألف واللام في قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير، فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه، والله أعلم.

أخرى: الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر وعذاب القبر حتى يؤمن به ويصدق) ذلك بقلبه، (وهو من تتمة كلمتي الشهادة) داخل في ضمنها في الإيمان التفصيلي، (فإنه بعد التصديق بكونه ﷺ رسولاً) من الله تعالى (ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو) أي الرسول (مبلغها) إليهم: (وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار) وضمير عصاه عائد إلى الله أو إلى الرسول ولم يأت بضمير التثنية حذراً من جمع الله ورسوله في ضمير واحد نظراً إلى إنكاره ﷺ على خطيب الإنصار إذ قال: من أطاع الله ورسوله فقد هدى ومن يعصهما فقد غوى، فقال: بئس خطيب القوم أنت. (وإذا انتبهت لهذا التدريج) الذي ذكرناه (علمت أن المذهب الحق هو هذا) لا غير، (وتحققت أن كل عبد) لله تعالى (فهو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع) تقع له (في عباداته وفي معاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزم السؤال عن كل ما يقع له من النوادر) والوقائع (فيلزمه المبادرة والمسارعة إلى علم ما يتوقع) ويرتجى (وقوعه على القرب غالباً، فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنه إنما أراد بالعلم المعرف بالألف واللام) أي المعهود المعروف بإدخال التعريف عليه (في قوله) ﷺ (طلب العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير، وقد اتضح وجه التدريج في وقت وجوبه). وفي القوت بعد ما ذكر اختلاف الآراء في شرح الحديث المذكور ما نصه: وكلها ساقطة والخبر بلفظ العموم بذكر الكلية وبمعنى الإسم، فقال: طلب العلم فريضة، ثم قال: على كل مسلم بعد قوله: اطلبوا العلم، فكان هذا على الأعيان وكأنه ما وقع عليه اسم العلم ومعناه المعهود المعروف بإدخال التعريف عليه، فاشير بالألف واللام إليه اهـ.

وهذا آخر ما ذكره المصنف في بيان العلم الذي هو فرض عين، وقد قسم بعضهم العلم على ثلاثة أقسام. قسم ظاهر في مقام الإسلام وعالم الحس، وقسم باطن في مقام الإيمان وعالم الغيب، وقسم في مقام الإحسان وعالم الروح، ثم العلم ليس هو الإقرار بأن الله بعث الرسل وأنزل

(بيان العلم الذي هو فرض كفاية)

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم، والعلوم بالإضافة إلى

الكتب، وقولك بلسانك إن هذا القرآن حق وإن الذي جاء به صدق والتزام الشرائع بالإستسلام. إذ كل من انتسب إلى الإسلام مقر بهذا، ولكن لا يبلغ به منزلة العلم ولا يرتفع به عن منزلة الجهل، وإنما يفارق بذلك ملة الكفر ويتحرم بحرمة الشريعة، ثم يرتفع العالم عن الجهل بمعرفة حقائق ذلك معرفة يقين، فالعلم هو إثبات صورة المعلوم في نفس العالم، إلا أنه قد تتراءى وتثبت في النفس صورة ليس لها وجود في الحق، فيحتاج أن ينظر في هذا الباب نظراً شافياً، فإن أكثر ما تدخل الشبهة من هذا الباب، فأول طلب العلم أن يستمع الراغب فيه فيروي ما يسمعه بلسانه ويعي حروفه في حفظه أو صحيفته، فعلم اللسان هو حجة الله على ابن آدم، وعلم القلب هو العلم النافع، فعلم اللسان والأذن ليس له حقيقة في نفع وضر حتى يستقر بأحد الجانبين ويسلك به إحدى الجادتين، ثم الطالب للعلم إن استلهاه علم اللسان بالشهوة في تعرف وجوه الأخبار سماعاً ورواية وتراغبت نيته إلى التزين بها في الناس والتشوق والتطاول عليهم حرم علم الحقيقة في ذلك وشغل عن علم النورية من جهة القلب، فلم يعرف ما يشهد به قلبه فيعتقده مما ينفيه ويكذبه، وإن هو لم يستلهه علم اللسان ولم يفضل شهوة السمع والتلذذ بظاهر الخبر على شهوة الإنتفاع والوصول إلى ثمرة القلب، فكلما روي شيئاً عرضه على قلبه، فإن أدرك الحقيقة منه وإلا صبر على جادة الطريق في النظر حتى يعتقده صافياً قوياً من جهة اخلاص قلبه وطمأنينته بلا ريب ولا تقليد، فلا جرم ان الله يقبسه نور العلم في بصر قلبه فيدرك بقليل ذلك كثيراً، ثم العلوم ثلاثة. العلم الأعلى منها علم الدين وأفضله العلم بالله وأسمائه وصفاته، وعلم الأوسط وهو علم الدنيا الذي يكون معرفة الشيء بمعرفة نظيره، والعلم الأسفل، وهو أحكام الصناعات والأعمال التي لا نهاية لها. وقال أبو عبدالله الخوارزمي في كتابه (**مبيد الهموم ومفيد العلوم**): الفرائض الواجبة على قسمين: منها ما هو فرض عين، وهو أن يجب على كل آدمي خاص وعام، أمير ووزير، حر وعبد، شيخ وشاب، مسلم وكافر ففرض العين ما يجب على كل مكلف ولا يسقط بفعل بعض الناس عن بعض، وذلك معرفة الله تعالى بوحدانيته والتنزيه، وإنه بعث الأنبياء وإنه بعث نبينا ﷺ إلى الناس كافة، فطاعته فريضة وشريعته مؤبدة، وإنه نبي في قبره ما بطلت رسالته، فمعرفة فرض العين أركان الشريعة الخمسة، وشرائط المعاملات إن كان تاجراً، وأحكام النكاح إن كان متأهلاً وأحكام الإمارة والوزارة إن كان أميراً، ويجب على الأمير أن يعرف حقوق الرعية وشروط السياسة وكيف استيفاء الحقوق، وعلى السوقي ما يحرم من البيع والشروط الفاسدة إلى غير ذلك كل من يتولى أمراً فيجب عليه فرض عين أن يحصل لنفسه علم ذلك الشيء من الحلال والحرام الذي لا يسعه جهله ومن تركها فلا يعذر في القيامة اهـ.

في العلم الذي هو فرض كفاية

(أعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم، والعلوم بالإضافة إلى

الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية؛ وأعني بالشرعية ما أستفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة؛ فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح، فالمحمود ما ترتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب، وذلك ينقسم إلى ما هو كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة: أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب، إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان. وكالحساب؛ فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما. وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين. فلا يتعجب من

الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية: وأعني بالشرعية ما يستفاد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل) علم (**الحساب ولا**) ترشد إليه (**التجربة مثل**) علم (**الطب ولا**) يرشد إليه (**السماع**) من الأفواه (**مثل**) علم (**اللغة**)، فهذه الثلاثة من العلوم لا يقال لها شرعية والشرعية المنسوبة إلى الشرع باعتبار كون تعلقها مستفاداً منه ومتوقفاً عليه، وفي التلويح ما لا يدرك لولا خطاب الشارع بنفس الحكم أو بأصله المقيس هو عليه اهـ.

والعلوم الشرعية ثلاثة: التفسير والحديث والفقه (**فالعلوم التي ليست شرعية تنقسم إلى ما هو محمود، وإلى ما هو مذموم، إلى ما هو مباح فالمحمود ما ترتبط به مصالح الدنيا**) وتنتظم به أمورها (**كالطب والحساب**) أحدهما لانتظام الأبدان، والثاني لضبط الأموال، (**وذلك ينقسم إلى ما هو فرض على الكفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة**). وسيأتي بيان ذلك، ثم إن الفرض اصطلاحاً الفعل المطلوب طلباً جازماً ويرادفه الواجب عند المصنف، ثم هو على قسمين كفاية وعين. (**أما فرض الكفاية فهو كل علم**) مهم يقصد حصوله من غير نظر بالذات (**ولا يستغني عنه في قوام أمر الدنيا**) ونظامه (**كالطب إذ هو**) أي العلم به (**ضروري في حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فإنه ضروري**) أيضاً (**في المعاملات**) الدنيوية (**وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما**) فإن في كل منها مسائل يحتاج في معرفتها إلى علم الحساب، ولهذه الضرورة اللازمة أعد الملوك مواضع خاصة بالمرضى، ورتبوا على ذلك أوقافاً، وأول من عمل ذلك في الإسلام الوليد بن عبد الملك. كذا ذكره أبو بكر أحمد بن علي الحلواني في لطائف المعارف، وعينوا لقسمة التركات والمواريث قضاة يتولون ذلك خاصة دون غيرهم (**وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها**) أي بخدمتها وتحصيلها (**حرج أهل البلد**) أي أفضوا إلى الحرج المؤدي إلى هلاك الأبدان والأموال، (**وإذا قام بها واحد كفى**) واستغني به (**وسقط الفرض عن الآخرين**). قال أبو عبدالله الخوارزمي في مبيد الهموم:

قولنا أن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة، فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك.

فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه. فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله.

فرض الكفاية ما يجب على كل الخليقة إلا أنه إذا قام به البعض سقط عن الباقين لدفع الحرج كرماً ولطفا من الشارع كالجهاد والأمر بالمعروف وتجهيز الموتى والفتوى والقضاء والإمامة وعمارة المساجد والأذان وجواب السلام وإشباع الجائع. إلى غير ذلك كل ذلك فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وإذا تركوا بأجمعهم اثموا جميعاً اهـ **(ولا يتعجب من قولنا أن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة)** هي الزراعة **(والحياكة)** هي القزازة **(والسياسة)** بأقسامها وكذلك البناية **(بل الحجامة)** وهي إخراج الدم بالمحاجم في حكمه الفصادة **(فلو خلا البلد عن الحجام تسارع الهلاك إليهم)** بنبوغ الدماء **(وحرجوا)** أي وقعوا في الحرج **(بتعريضهم أنفسهم للهلاك)**، وهذا بالنسبة للبلاد الحارة كمكة واليمن والصعيد، وأما أهل البلاد الباردة فقل ما يحتاجون إلى الحجامة **(فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء)** . لما روى ابن ماجه عن ابن مسعود رفعه: « ما أنزل الله داء إلا أنزل له الدواء ». ورواه هو أيضاً وأبو نعيم في الطب عن أبي هريرة بلفظ: « إلا أنزل الله له شفاء » ورواه بهذا اللفظ الحاكم عن ابن مسعود، وعند الخطيب في حديث أبي هريرة زيادة وهي علمه من علمه وجهله من جهله، وهو عند البخاري في الطب بلفظ ابن ماجه، وزاد مسلم: « فإذا أصبت دواء الداء برىء باذن الله تعالى » واختلف في معنى الإنزال، فقيل: اعلامه عباده ومنع بأن في الحديث اخباراً بعموم الإنزال، وأكثر الخلق لا يعلمون ذلك. وقيل: انزال أسبابها من مأكل ومشرب، وقيل: انزالها خلقها ووضعها في الأرض كما يشير إليه خبر: إن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، وتعقب بأن لفظ الإنزال أخص من لفظ الخلق والوضع وإسقاط خصوصية الألفاظ بلا موجب غير لائق، وقيل: إنزالها بواسطة الملائكة الموكلين بتدبير النوع الإنساني، وقيل: علامة الأدواء والأدوية وهي بواسطة إنزال الغيث الذي تتولد منه الأغذية والأدوية وغيرها. وقال بعضهم: إن العلة تحصل بغلبة بعض الأخلاط والشفاء رجوعها إلى الإعتدال بالتداوي، وقد يحصل بمحض لطف الله تعالى بلا سبب، ثم الموت إن كان داء فالخبر غير عام إذ لا دواء له، ولذا وقع الإستثناء منه في بعض الروايات. **(وأرشد إلى استعماله وأعدا الأسباب لتعاطيه)** وتناوله **(ولا يجوز التعرض للهلاك باهماله)** وتركه كما قال تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] ثم إن هذا الذي ذكره المصنف في بيان فرض الكفاية هو المشهور عند العلماء، وقد وافقه الخوارزمي في بعض ما ذكره.

وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك

وقال ابن القيم: أما فرض الكفاية فلا أعلم فيه ضابطاً صحيحاً، فإن كل أحد يدخل في ذلك ما يظنه فرضاً فيدخل بعض الناس في ذلك علم الطب وعلم الحساب وعلم الهندسة والمساحات، وبعضهم يزيد على ذلك علم أصول الصناعات الفلاحة والحياكة والحدادة والخياطة ونحوها. وبعضهم يزيد على ذلك علم المنطق، وربما جعله فرض عين وبناه على عدم صحة إيمان المقلد، وكل هذا هوس وخبط فلا فرض إلا ما فرضه الله تعالى ورسوله، فيا سبحان الله هل فرض الله على كل مسلم أن يكون طبيباً حجاماً حاسباً مهندساً، أو حائكاً، أو فلاحاً، أو نجاراً، أو خياطاً، فإن فرض الكفاية كفرض العين في تعلقه بعموم المكلفين، وإنما يخالفه في سقوطه بفعل البعض، ثم على قول هذا القائل يكون الله قد فرض على كل أحد جملة هذه الصنائع والعلم، فإنه ليس واحد منها فرضاً على معين، والآخر على معين آخر، بل عموم فرضيتها مشتركة بين العموم، فيجب على كل أحد أن يكون حاسباً أو حائكاً خياطاً نجاراً فلاحاً طبيباً مهندساً، فإن قال: المجموع فرض على المجموع لم يكن قولنا إن كل واحد منها فرض كفاية صحيحاً، لأن فرض الكفاية يجب على العموم، وأما المنطق فلو كان علماً صحيحاً كان غايته أن يكون كالمساحة والهندسة ونحوها، فكيف وباطله إضعاف حقه وفساده وتناقض أصوله واختلاف مبانيه يوجب مراعاتها للذهن أن يزيغ في فكره، ولا يؤمن بهذا إلا من قد عرفه وعرف فساده وتناقضه ومناقضة كثير منه للعقل الصريح، ومن الناس من يقول: إن علوم العربية من التصريف والنحو واللغة والمعاني والبيان ونحوها تعلمها فرض كفاية لتوقف فهم كلام الله ورسوله عليها، ومن الناس من يقول: تعلم أصول الفقه فرض كفاية لأنه العلم الذي يعرف به الدليل ومرتبته وكيفيه الإستدلال. وهذه الأقوال، وإن كانت أقرب إلى الصواب من القول الأول فليس وجوبها عاماً على كل أحد ولا في كل وقت، وإنما يجب وجوب الوسائل في بعض الأزمان وعلى بعض الأشخاص بخلاف الفرض الذي يعم وجوبه كل أحد وهو علم الإيمان وشرائع الإسلام، فهذا هو الواجب، وأما ما عداه فإن توقفت معرفته عليه فهو من باب ما لا يتم الواجب إلا به، ويكون الواجب منه القدر الموصل إليه دون المسائل التي هي فضلة لا يفتقر معرفة الخطاب وفهمه عليها فلا يطلق القول بأن علم العربية واجب على الإطلاق. إذ الكثير منه ومن مسائله وبحوثه لا يتوقف فهم كلام الله ورسوله عليها، وكذلك أصول الفقه القدر الذي يتوقف فهم الخطاب عليه منه يجب معرفته دون المسائل المقدرة والأبحاث التي هي فضله، فكيف يقال أن تعلمها واجب. ؟

وبالجملة: فالمطلوب الواجب من العبد من العلوم والأعمال إذا توقف على شيء منها كان ذلك الشيء واجباً وجوب الوسائل ومعلوم إن ذلك التوقف يختلف باختلاف الأشخاص والألسنة والأذهان، فليس لذلك حد مقدر والله أعلم اهـ كلامه.

(**وأما ما يعد فضيلة لا فريضة**) أعلم أن العلم فريضة وفضيلة، فالفريضة ما لا بد للإنسان من معرفته ليقوم بواجب الدين، والفضيلة ما زاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيلة في النفس.

مما يستغنى عنه. ولكنه يفيد زيادة قوّة في القدر المحتاج إليه. وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات. وأما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها، وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه.

(أما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان): فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها

(فالتعمق في دقائق) علم **(الحساب)** أي الدخول في عمق الفـن كالمسائل الملغزة **(وخفايا)** وفي نسخة: وحقائق **(الطب)** ويلحق بذلك التوغل في دقائق التشريح، **(وغير ذلك مما يستغنى عنه، ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه)** وشرط فيه موافقة الكتاب والسنة إذ كل علم لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما أو يعين على فهمهما أو يستند إليهما كائناً ما كان، فهو رذيلة وليس فضيلة يزداد الإنسان به هواناً ورذالة في الدنيا والآخرة. **(وأما المذموم منه فعلم السحر)** وهو العمل بما يقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، وأصله صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكان الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته فقد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه.

وقال الفخر الرازي في الملخص: السحر والعين لا يكونان من فاضل ولا يقعان ولا يصحان منه أبداً، لأن من شرط السحر الجزم بصدور التأثير، وكذلك أكثر الأعمال من الممكنات من شرطها الجزم، والفاضل المتبحر بالعلوم يرى وقوع ذلك مـن الممكنـات التي يجوز أن تـوجـد وأن لا تـوجـد فلا يصح له عمل أصلاً، وأما العين: فإنه لا بد فيها من فرط التعظيم للمرئي والنفس الفاضلـة لا تصل في تعظيم ما تراه إلى هذه الغاية، فلذلك لا يصح السحر إلا من العجائز والتركمان والسودان، ونحو ذلك من النفوس الجاهلة انتهى نقله شيخ مشايخنا مصطفى ابن فتح الله الحمدي في تاريخه. **(والطلسمات)** جمع طلسم بكسر الطاء وفتح اللام المخففة وسكون السين وقد تشدد اللام، وهو على استنزال قوى الأرواح العلوية، وأجل كتاب ألف فيه السر المكتوم وهو للفخر الرازي، ونهاية الحكيم للمجريطي، وابن سينا ويجمع أيضاً على الطلاسم **(وعلم الشعبذة)** هو بالذال المهملة والمعجمة خفة في اليد ومخاريق وأخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأى العين، وقال بعضهم: وهو تصوير الحق في صورة الباطل، ويقال فيه الشعوذة أيضاً، وأنكر الثعالبي في مختصر عمار القلوب قولهم مشعبذ وقال: إنما هو مشعوذ بالواو وأثبته الزمخشري وغيره **(والتلبيسات)** وهي شبه ما تقدم، فكل ما ذكر من ذلك فهو مذموم شرعاً لا يباح الإشتغال به. **(وأما المباح منه فالعلم بالأشعار)** جاهلية وإسلاماً **(التي لا سخف فيها)** أي لا هذل ولا سخرية فيها، ولا المبالغة التي تدخل في حد الكذب ولا هجر ولا غيبة ولا طعن في الإنسان، وما اشبه ذلك فحسنها حسن وقبيحها قبيح، **(و)** علم **(تواريخ الأخبار)** جاهلية وإسلاماً **(وما يجري مجراه)** مما لا ضرر في معرفته.

(وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي المحمودة كلها ولكن قد يلتبس بها

ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة. أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي أربعة أضرب:

(الضرب الأول: الأصول): وهي أربعة، كتاب الله عز وجل، وسنّة رسوله عليه السلام، وإجماع الأمة، وآثار الصحابة، والاجماع أصل من حيث أنه يدل على السنّة فهو أصل في الدرجة الثالثة. وكذا الأثر فإنه أيضاً يدل على السنّة، لأن الصحابة

ما يظن في بادىء الرأي أنها شرعية و) الحال **(هي مذمومة)** باعتبار ما يترتب عليها. ومنها **(فتنقسم)** بهذا الإعتبار **(إلى المحمـودة والمذمومة، وأما المحمـودة)** منها **(فلها أصول وفروع ومقدمات ومتمات فهي أربعة أضرب.**

(الضرب الأول: الأصول): جمع أصل وهو في اللغة ما يبني عليه غيره ابتناء حسياً بمعنى أن يكون المبتنى عليه وغيره ابتناء حسياً لا بمعنى أن نفس الابتناء حسي، لأن ابتناء الشيء على غيره إضافة بينهما وهو أمر عقلي. كذا حققه السيد في شرح التنقيح. **(وهي أربعة: كتاب الله، وسنة رسوله، وإجماع الأمة، وآثار الصحابة)**. والكتاب لغة اسم للمكتوب غلب في عرف الشرع على كتاب الله المثبت في المصاحف، كما غلب في عرف العربية على كتاب سيبويه، والقرآن تفسير له لا تعريف كما في التلويح، والمراد بسنة رسوله قوله وفعله، وهما أصلان أصيلان في الدرجة الأولى، والمراد بالإجماع إجماع الأمة بعد وفاة نبيها في عصـر على أي شيء كان. **(والاجماع أصل من حيث أنه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة الثانية)** وهو على ثلاثة أقسام: قطعي فلا يجوز خرقه، وظني وهو على قسمين استدلالي وهو السكوتي أن يقول بعض المجتهدين حكماً ويسكت الباقون عليه بعد العلم به، ومنقول على لسان الآحاد، فيجوز خرقهما، ونعني بالاجماع الاتفاق وهو الاشتراك: أما في القول أو الفعل أو الاعتقاد، وفي باب الاجماع مسائل ينبغي معرفتها إذا اختلف العصر الأول على قولين لا يجوز بعدهم إحداث قول ثالث إن وقع مجمعاً عليه، وإلا فيجوز وإذا اجتمعت الأمة على عدم الفصل بين مسألتين لا يجوز لمن بعدهم الفصل بينهما إن ارتضوا بعدم الفرق واتحاد الجامع، وإلا فيجوز ويجوز حصول الاتفاق بعد الاختلاف في العصر الواحد، وفي اتفاقهم في العصر الثاني قولان. وانقراض العصر ليس شرطاً خلافاً لقوم، وإذا حكم بعض الأئمة وسكت الباقون، فليس بإجماع ولا حجة وهو نص الشافعي في الجديد؛ اللهم إلا إذا تكرر في وقائع كثيرة، فإنه يكون إجماعاً وحجة، وإذا اتفق أهل العصر الثاني على أحد قولي العصر الأول انعقد اجماعاً، والاجماع المروي بالآحاد حجة خلافاً للأكثر، وإذا استدل أهل العصر بدليل آخر فلا يجوز ابطال الأول، وأما الثاني، فإن لزم منه ابطال الأول بطل وإلا فلا وتعتبر مخالفة الواحد في إبطال الاجماع، ويجوز أن ينعقد الاجماع عن القياس والدلالة والامارة، وجوزه قوم بغير دليل بل بمجرد الشبه والبحث ولا تعتبر فيه جملة الأمة إلى يوم القيامة، والاعتبار في كل فن بأهله فيعتبر في الكلام المتكلمون، وفي الفقه الفقهاء

رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه، وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن. فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم، وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن.

(الضرب الثاني: الفروع) : وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل

ولا عبرة بالفقيه الحافظ للأحكام والمذاهب، إذا لم يكن مجتهداً، والله أعلم ذكره إسماعيل بن علي بن حسن الشافعي في الليث العابس **(وكذلك الأثر)** عن الصحابة **(فإنه يدل)** هو **(أيضاً على السنة لأن الصحابة)** رضوان الله عليهم **(قد شاهدوا الوحي والتنزيل)** أي نزولها، **(وأدركوا بقرائن الأحوال)** ونظائرها **(ما غاب عن غيرهم عيانة)** أي معاينة، **(وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم، وذلك بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص عند من رآه)** . واعتقده، وقد استدل اللالكائي في كتاب السنة على صحة مذاهب أهل السنة بما ورد في كتاب الله تعالى، وبما روي عن رسول الله ﷺ قال: فإن وجدت فيهما جميعاً ذكرتها جميعاً وإن وجدت في أحدهما دون الآخرة ذكرته وإن لم أجد إلا عن الصحابة الذين أمر الله ورسوله أن يقتدي بهم ويهتدى بأقوالهم ويستضاء بأنوارهم لمشاهدتهم الوحي والتنزيل ومعرفتهم معاني التأويل احتججت بها، فإن لم يكن فيها أثر عن صحابي، ففي التابعين لهم بإحسان الذين في قولهم الشفاء والهدى والتدين بقولهم القربة إلى الله والزلفى، فإذا رأيناهم قد أجمعوا على شيء عوّلنا عليه اهـ.

فهؤلاء الأربعة وهي التي جعلها أصولاً ولم يذكر القياس، فإنه من وظيفة الأصوليين وهو فرع للثلاثة إذ العلة فيه مستنبطة من مواردها، فيكون الحكم بالقياس ثابتاً بتلك الأدلة الثلاثة. قال السيد في شرح التنقيح: وأمر القياس في إظهار الحكم وتغيير وضعه من الخصوص إلى العموم، فالقياس أصل بالنسبة إلى الحكم فرع بالنسبة إلى الثلاثة بخلاف الثلاثة، فإنها أصول مطلقة لأن كل واحد مثبت للحكم.

فإن قلت: يلزم من ذلك أن لا يكون الاجماع أصلاً مطلقاً لأنه مفتقر إلى السنة.

الجواب: أن الإجماع إنما يحتاج إلى السنة في تحققه وفي دلالته على الحكم، فإن المستدل به لا يحتاج إلى ملاحظة السنة بخلاف المستدل بالقياس، فإنه لا يمكن له الاستدلال به بدون ملاحظة واحد من الأصول الثلاثة منها والعلة المستنبطة منها اهـ. **(ولا يليق بيانه بهذا الفن)** لأن اللائق به فن أصول الفقه.

(الضرب الثاني: الفروع: وهو ما فهم من هذه الأصول) المذكورة واستنبط منها. **(لا بموجب ألفاظها)** وتراكيبها **(بل بمعان تنبه لها)** أي لادراكها **(العقول)** المضيئة الراجحة

بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام: «لا يقضي القاضي وهو غضبان إنه لا يقضي إذا كان حاقناً أو جائعاً أو متألماً بمرض. وهذا على ضربين:

(**فاتسع بسببها الفهم**) بالغوص عن أسرارها (**حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله ﷺ: «لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي وهو حاقن»**) أي حابس بول أو غائط (**أو جائع أو متألم بمرض**)، والكلام عليه من ثلاثة أوجه.

الأول: قال العراقي: رواه الستة من حديث عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، وهذا لفظ النسائي، وابن ماجه وزاد: بين اثنين. وقال البخاري: «لا يقضين حكم» وقال مسلم: «لا يحكم أحد» وقال أبو داود: «لا يقضي الحكم» وقال الترمذي: «لا يحكم الحاكم»، وقال فهذا حديث حسن صحيح اهـ.

قلت: وبمثل سياق ابن ماجه رواه الإمام أحمد أيضاً، وكذا أبو داود، وبمثل سياق مسلم رواه الترمذي والنسائي أيضاً، وبمثل سياق البخاري رواه أيضاً الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه. وأخرج ابن ماجه وضعفه، والدارقطني في سننه، والخطيب وسمويه في فوائده، عن أبي سعيد رفعه «لا يقضي القاضي بين اثنين إلا وهو شبعان ريان» وأخرج النسائي والطبراني في الكبير، عن أبي بكرة «لا يقضين أحد في قضاء بقضاءين ولا يقضي أحد بين خصمين وهو غضبان».

الوجه الثاني: القضاء يطلق على معان الأنسب هنا معنى الحكم الشرعي، والغضبان من قام به الغضب، وهو في الأصل ثوران دم القلب إرادة الانتقام ومنه الحديث: «اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه» وقيل: الغضبان كالغضوب من صيغ المبالغة، والحاقن من حقن بوله أي حصره وأمسكه وجمعه. وقال ابن فارس يقال لما جمع من لبن وشد حقين، ولذلك سمي حابس البول حاقناً اهـ. ومنه: لا رأي لحاقن ولا حاذق.

الوجه الثالث: ذكر صدر الشريعة من علمائنا في تنقيح الأصول في المسائل من كتاب الاجماع ما نصه: وشرط بعضهم قيام النص في الحالين، وإنه لا حكم له نظيره إن المرء إذا قام إلى الصلاة وهو متوضيء لا يجب الوضوء، وإذا قعد وهو محدث يجب، فعلم ان الوجوب دائر مع الحدث، وقوله عليه السلام: «لا يقضي القاضي وهو غضبان فإنه يحل له القضاء وهو غضبان عند فراغ القلب ولا يحل له عند شغله بغير الغضب»، قال السيد في شرحه على قوله في الحالين أي في حال وجود الوصف، وفي حال عدمه قال: والحال انه لا حكم أي للنص، وقال عند قوله عند فراغ القلب، فالنص قائم في حالة عدم الغضب بدون شغل القلب مع عدم حكمه الذي هو حرمة القضاء، وقال عند قوله: بغير الغضب نحو جوع أو عطش مع عدم حكمه الذي هو إباحة القضاء عند عدم الغضب إما بطريق مفهوم المخالفة أو بالمخالفة الأصلية أو النصوص المطلقة في

أحدهما: يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا.

والثاني: ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضي عند الله تعالى، وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب، أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين، ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها، وهو الذي يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب.

(والضرب الثالث: المقدمات): وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو، فإنهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنّة نبيه ﷺ، وليست اللغة والنحو من العلوم

القضاء عند عدم الغضب، إما بطريق مفهوم المخالفة، أو بالإباحة الأصلية أو النصوص المطلقة اهـ.

وزاد السعد في التلويح بعد هذا ويجعل من حكم النص المذكور مجازاً اهـ.

ومفهوم المخالفة هو أن يكون حكم المسكوت عنه مخالفاً ويسمى دليل الخطاب. **(وهذا على ضربين. أحدهما ما يتعلق بمصالح الدنيا)** أي التي تصلح به أمورها ويعتدل نظامها **(ويحويه)** أي يجمعه **(من الفقه)** بتمامه **(والمتكفل به)** أي ببيانه واتقانه وشرح ما أبهم فيه السادة **(الفقهاء)** المدرسون، وهم أصحاب الأساطين **(وهم من علماء الدنيا)** نظراً لما ذكرناه.

(والثاني: ما يتعلق بالآخرة): أي بأمورها وأحوالها التي لا تعلق للدنيا بها **(وهو علم أحوال القلب)** وما يعتريه من اللمم الملكية والشيطانية، **(و)** علم **(أخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي)** مقبول **(عند الله تعالى)** كما يجب وكما ينبغي، **(وما هو مكروه)** مسترذل **(وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب يعني جملة كتاب احياء علوم الدين)**، فإنه تكفل ببيان ما ذكر على وجه التفصيل كما سيأتي. **(ومنه العلم بما يترشح من القلب)** أي يفيض منه **(على الجوارح)** أي الأعضاء **(في عباداتها وعاداتها)** وسائر حركاتها، **(وهو الذي يحويه الشطر الأول)** من هذا الكتاب.

(الضرب الثالث: المقدمات وهو الذي يجري مجرى الآلات)، وتقدم إمام العلوم المقصودة بالذات لارتباط لها بها وانتفاع بها فيها سواء توقفت عليها أم لا.

(تعلم اللغة) وهو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي وعما حصل من تركيب كل جوهر وهيئاتها من حيث الوضع والدلالة على المعاني الجزئية، **(و)** علم **(النحو)** وهو علم بقوانين تعرف بها أحوال التراكيب العربية من الدعوات والبناء وغيرهما، **(فإنهما)** أي كلاً منهما **(آلة)** موصلة **(لعلم كتاب الله وسنّة رسوله)** ﷺ، فهما من المقدسات ويجري مجراهما علم التصريف

الشرعية في أنفسها، ولكن يلزم الخوض فيها بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة، ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضرورياً إذ كان رسول الله ﷺ أمياً. ولو تصوّر

والاشتقاق (**وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسها**) أي في حد ذاتها (**ولكن يلزم الخوض فيها**) والاشتغال بها (**بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب**) بخلاف غيرها من الشرائع التي تقدمت فإنها باللغة السريانية، (**وكل شريعة**) من الله تعالى (**فلا تظهر إلا بلغة خاصة**) أي لغة كانت (**فيصير تعلم تلك اللغة آلة**) موصلة لفهمها، (**ومن جملة الآلات علم كتابة الخط**) وهو معرفة كيفية تصوير اللفظ بحروف هجائية والحاجة إليه أكيدة، لأنه لا يظهر فائدة التخاطب إلا بالألفاظ وأحوالها. (**إلا أن ذلك ليس ضرورياً**) فقد يستغنى عن أحواله التي هي النقوش والحركات والمدات والنقط والشكل والتركيب وغير ذلك. (**إذ كان رسول الله ﷺ أمياً**) أي لا يحسن الكتابة، قيل: نسبة إلى الأم لأن الكتابة مكتسبة فهو على ما ولدته من الجهل بالكتابة، وقيل: نسبة إلى أمة العرب لأنه كان أكثرهم أميين، كذا في المصباح، ويروى أنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب، فهم على جبلتهم الأولى. وقيل له ﷺ الأمي لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تحسب، وبعثه الله رسولاً وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب كانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة، لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب الله منظوماً تارة بعد أخرى بالنظم الذي أنزل عليه، فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه، ففي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ [العنكبوت: ٤٨].

قال ابن مردويه في تفسيره: حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا محمد بن سعد، حدثنا أبي، حدثنا عمر، حدثنا أبي عن أبيه، عن ابن عباس قال: كان نبي الله ﷺ أميا لا يقرأ شيئاً ولا يكتب.

وروي أيضاً من رواية ابن لهيعة عن عبدالله بن هبيرة، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبدالله بن عمرو بن العاصي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً كالمودع فقال: «انا محمد النبي الأمي أنا محمد النبي الأمي» الحديث. وهكذا أخرجه أحمد أيضاً. وروى البخاري من حديث البراء في قصة صلح أهل مكة فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب الحديث، وروى ابن حبان والدارقطني والحاكم في المستدرك والبيهقي من رواية محمد بن عبدالله بن زيد، عن أبي مسعود البدري، عن النبي ﷺ في حديث قال: «إذا أنتم صليتم عليَّ فقولوا اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي» الحديث. قال الدارقطني اسناده حسن، وقال الحاكم: هو حديث صحيح، وقال البيهقي: في المعرفة، هذا اسناد صحيح، وروى أحمد ومسلم والثلاثة من حديث أبي سعيد الأنصاري مثله، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي: إن مما حرم عليه ﷺ الخط والشعر، وإنما يتجه التحريم إن قلنا إنه كان لا يحسنها ولكن يميز بين جيد الشعر ورديئه وتمام البحث في

استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة، ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضرورياً.

(الضرب الرابع: المتممات): وذلك في علم القرآن، فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير؛ فإن اعتماده أيضاً على النقل. إذ اللغة بمجردها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ

شرحنا على القاموس، **(ولا تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع)**. ويروى **(لاستغنى عن الكتابة والإنهاء ولكنه صار بحكم العجز)** عن ذلك **(في الغالب ضرورياً)** فإنه بها تمام إفادة أحد المتخاطبين.

(والضرب الرابع المتممات): لتلك الأصول والفروع والآلات قسم هذا الضرب على قسمين منها. قسم يتعلق بالقرآن، وقسم يتعلق بالاخبار والآثار، ثم قسم كلا منها إلى أقسام فقال: **(فذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى)** ثلاثة أقسام منها: **(ما يتعلق باللفظ)** أي بلفظ القرآن **(كعلم القراءات)** وهو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة الواصلة إلى حد الشهرة، **(و)** علم **(مخارج الحروف)** وهو من فروع علم القراءة والتصريف، **(وإلى ما يتعلق بالمعنى)** وهو القسم الثاني **(كالتفسير)**، وهو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية ومبادئه العلوم العربية، وأصول الكلام، وأصول الفقه والجدل وغير ذلك. والغرض منه معاني النظم، وفائدته حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة وموضوعه كلام الله سبحانه الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة وغايته التوصل إلى فهم معاني القرآن، واستنباط حكمه للفوز إلى السعادة الدنيوية والأخروية، وشرف العلم وجلالته باعتبار شرف موضوعه وغايته، فهو أشرف العلوم. هكذا ذكره أبو الخير وابن صدر الدين. **(فإن اعتماده أيضاً على النقل)** بالإسناد الصحيح إلى أحد الأئمة المشهورين فيه على اختلاف الطبقات **(إذ اللغة بمجردها)** أي وحدها **(لا تستقل به)**، فلا بد من النقل فيه وللمفسرين طبقات، فمن الأولى علي وابن عباس وابن مسعود وأبيّ، ودونهم كأنس، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عمرو وأبي موسى، ولكل هؤلاء طرق مشهورة. أما ابن عباس فمن الطرق الصحيحة إليه علي بن أبي طلحة عنه، وقيس بن مسلم، عن عطاء بن السائب عنه، وأوهى طرقه ابن الكلبي، والسري الصغير، وسليمان بن بشير الأزدي، وطريق الضحاك بن مزاحم منقطعة، فإنه لم يلقه، ورواية بشير بن عمارة ضعيفة جداً، وأما أبي بن كعب فعنه نسخة كبيرة رواها أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية عنه صحيحة. ومن الطبقة الثانية أصحاب هؤلاء، فمن أصحاب ابن عباس مجاهد بن جبير المكي، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، وطاووس بن كيسان، ومن أصحاب ابن مسعود علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، وابراهيم النخعي، والشعبي، ثم من بعدهم طبقة اتباعهم وهم كثيرون، ومن بعدهم كذلك، ثم صنف من بعدهم

والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض، وهو

قوم برعوا في العلوم وملأوا كتبهم بما غلب على طبعهم من الفن واقتصروا فيه على ما تمهروا فيه. كان القرآن أنزل لأجل هذا العلم لا غير، مع أن فيه تبيان كل شيء، وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير كما حققه ابن الصلاح، وهذا العلم يستدعي التبحر في كل الفنون، فلذا قل أربابه وانقرض خطابه، وقال بعضهم: تفسير القرآن على ثلاثة أقسام.

الأول: علم ما لا يطلع عليه الله أحداً من خلقه، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه.

والثاني: ما اطلع عليه نبيه من أسراره واختص به، فلا يجوز الكلام فيه إلا له ﷺ أو لمن أذن له فيه. قيل: وأوائل السور من هذا القسم، وقيل: من الأول.

والثالث: ما اطلع عليه نبيه وأمره بتعليمه إياه وهو على قسمين: منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، واللغات، وقصص الأمم، وأخبار ما هو كائن. ومنه ما يؤخذ بالنظر والاستنباط من الألفاظ وهو قسمان. قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات، وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والاعرابية لأن بناءها على الأقيسة، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والأمثال والاشارات لا يمنع استنباطها لمن له أهلية ذلك، وما عدا هذه الأمور هو التفسير بالرأي الذي نهي عنه وهو على خمسة أقسام.

الأول: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

والثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه.

والثالث: التفسير المقرر لمذهبه الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً له، فيرد إليه بأي طريق أمكن، وإن كان ضعيفاً.

الرابع: التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى، **(وإلى ما يتعلق بأحكامه)** وهذا هو القسم الثالث **(كمعرفة الناسخ والمنسوخ)** ألف فيه جماعة كمكي بن أبي طالب القيسي، وابن جعفر النحاس، وأبي داود السجستاني، وأبي بكر بن العربي، والجلال السيوطي وغيرهم، والنسخ هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر، وهو جائز عقلاً وواقع سمعاً، ويجوز نسخ الشيء قبل وجود وقته، ونسخ الشيء إلى بدل ولا إلى بدل، ونسخ التلاوة دون الحكم، ونسخ السنة بالسنة، ونسخ الكتاب بالسنة المتواترة خلافاً للشافعي وأصحابه، وأما نسخ الكتاب بالآحاد فجائز عقلاً غير واقع سمعاً، ويجوز نسخ الفحوى ويستلزمه نسخ الأصل ولا عكس خلافاً لما في منهاج البيضاوي. وقال الكرخي: نقصان ما يتوقف عليه الصلاة كالجزء والشرط لا يكون نسخاً للعبادة بل لهما، **(و)** معرفة **(العام)** هو لفظ وضع وضعاً واحداً لكثير غير محصور يستغرق جميع ما يصلح له **(والخاص)**، وهو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد، والمراد بالمعنى ما وضع له

العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضاً. وأما المتمات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم، والعلم بالعدالة في الرواة، والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوي، والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند

اللفظ عينا كان أو عرضاً، وبالانفراد اختصاص اللفظ بذلك المعنى، وإنما قيد بالانفراد ليتميز عن المشترك وألفاظ العموم كل، والذي والتي وتثنيتها وجمعها، وأي في الشرط والاستفهام، ومن وما ومتى وأين وحيثما ونحوها حقيقة، وكذا الجمع المعرف باللام والإضافة ما لم يتحقق عهد، والمفرد المحلى مثله وجميع وسائر وإن كانت بمعنى الباقي واسم الجنس والنكرة في سياق الامتنان وإلا لم تعم بخلاف وقوعها في الخبر، والفعل في سياق النفي يعم، والنكرة في سياق الشرط أو النفي للعموم وضعاً إن بنيت على الفتح، وظاهراً إن لم تبن، ويستثنى من قولنا النكرة في سياق النفي تعم ما نقل عن العلماء نحو: لا رجل بالرفع، فإنه لا عموم فيه، وكذا سلب الحكم عن العمومـات، ويسمى رفع الايجاب الكلي نحو: ليس كل بيع حلالاً، فإنه نكرة في سياق النفي ولا عموم له، لأنه سلب للحكم عن العموم لا حكم بالسلب على العموم. حققه السبكي في رسالة أحكام كل. **(و)** معرفة **(النص والظاهر)** النص: هو ما ازداد وضوحاً على الظاهر لمعنى في التكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، **(وكيفية استعمال البعض منه)** دون بعض، **(وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه)** يعرف منه استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها الاجمالية، والغرض منه تحصيل ملكة استنباط تلك الأحكام على وجه الصحة، **(ويتناول السنّة أيضاً)** لاتحاد أحكامها مع أحكام الكتاب في سائر ما ذكر. **(وأما المتمات في الاخبار والآثار)** وهذا هو القسم الثاني من القسمين الأوّلين، **(فالعلم بالرجال)** الذين يروى من طريقهم **(وأسمائهم)** بألقابهم وكناهم، وقد روى الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي بسنده إلى إسحاق التحيرمي إنه قال: أولى الأشياء بالضبط أسماء الناس، لأنه شيء لا يدخله القياس ولا قبله شيء يدل عليه ولا بعده شيء يدل عليه، **(وبأسماء الصحابة وصفاتهم)**، وقد ألف في كل من ذلك كتب مستقلة، **(والعلم بالعدالة في الرواة)** العدالة صفة توجب مراعاتها التحرز عما يخل بالمروءة ظاهراً، فالمرة الواحدة من صغائر الهفوات، وتحريف الكلام لا تخل بالمروءة ظاهراً لاحتمال الغلط والسهو والتأويل، بخلاف ما إذا عرف منه ذلك وتكرر، فيكون الظـاهـر الإخلال ويعتبر عرف كل شخص وما يعتاد من لبسه، وفي شرح جمع الجوامع: العدالة ملكة في النفس تمنع عن اقتراف كل فرد فرد من الكبائر، وصغائر الخسة كسرقة لقمة وتطفيف تمرة، والرذائل الجائزة كبول بطريق وأكل غير سوقي به، **(والعلم بأحوالهم)** جرحاً وتعديلاً **(ليتميز الضعيف)** منهم **(عن القوي)** والمتروك من المقبول، ويندرج في ذلك علم عقائد الجارح والمجروح من التي تؤثر في الجرح وما لا تؤثر، وقد أورد ذلك الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري، **(والعلم بأعمارهم)** بمعرفة المواليد والوفيات **(ليتميز المرسل من المسند)** وهذا بالنسبة إلى طبقة التابعين، **(وكذلك ما يتعلق به)** من الفنون والأنواع التي ذكرها أئمة

وكذلك ما يتعلق به؛ **فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات.**

فإن قلت: لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا، فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب، وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق، فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار؛ فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم، وخلق الدنيا زاداً

المصطلح، (**فهذه هي العلوم الشرعية**) المنسوبة إلى الشرع (**وكلها محمودة**) شرعاً (**بل كلها من فروض الكفايات**). وقال ابن السبكي: علوم الشرع في الحقيقة ثلاثة. الفقه وإليه الإشارة في حديث ابن مسعود، وابن عمر بالإسلام، وأصول الدين وإليه الإشارة بالإيمان، والتصوف وإليه الإشارة بالإحسان، وما عدا هذه العلوم إما راجع إليه، وإما خارج عن الشريعة قال:

فإن قلت: علماء الشرع أصحاب التفسير والحديث والفقه فما لك أهملت التفسير والحديث، وذكرت بدلهما الأصول والتصوف، وقد نص الفقهاء على خروج المتكلم من سمة العلماء.

قلت: أما خروج المتكلم من اسم العلماء، فقد أنكره الشيخ الإمام والدي في شرح المنهاج وقال: الصواب دخوله إذا كان متكلماً على قوانين الشريعة، ودخول الصوفي إذا كان كذلك وهذا هو الرأي السديد عندنا، وأما أنا لم نعد أصحاب التفسير والحديث فما ذلك اخراج لهم معاذ الله، بل نقول التفسير والحديث من أصول الدين وفروعه فهما داخلان في العلمين اهـ.

(**فإن قلت: فلم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء**) المتكفلين بنشره (**بعلماء الدنيا**) ومعرفة الأحكام الشرعية هو المقصود الأعظم الذي ينال به الإنسان السعادة، فهلا يلحق بعلم الآخرة وحملتها بعلماء الآخرة، (**فاعلم أن الله**) عز وجل (**أخرج آدم**) عليه السلام (**من التراب**) أي خلقه منه. (**وأخرج ذريته**) ونسله (**من سلالة**) أي صفوة استلت من الأرض (**من طين ومن ماء دافق**) أي النطفة. (**فأخرجهم من الأصلاب**) أي من أصلاب الآباء (**إلى الأرحام**) أي أرحام الأمهات (**ومنها إلى الدنيا**) هذه الدار المحيط بها جبل قاف (**ثم إلى القبر**) أول منازل الآخرة وآخر منازل الدنيا (**ثم إلى العرض**) بين يدي الله تعالى في المحشر (**ثم إلى الجنة**) إن ختم له بصالح (**أو إلى النار**) إن كان بغير ذلك. (**فهذا**) أي خلقه من السلالة (**مبدؤهم وهذا**) أي خروجهم إلى الدنيا ثم القبر ثم العرض (**غايتهم**) وفي نسخة نهايتهم (**وهذه منازلهم**) التي يستقرون بها أشار بتقريره إلى الأسفار الستة.

فالأول: سفر السلالة من الطين. **الثاني:** سفر النطفة من الصلب إلى الرحم. **الثالث:** سفر الجنين من الرحم إلى الدنيا. **الرابع:** سفره منها إلى القبر. **الخامس:** سفره من القبر إلى العرض في

للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود ، فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ، ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به ؛ فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات؛ فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم في الدنيا ، ولعمري انه متعلق أيضاً بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، ولا يتم الدين إلا بالدنيا . والملك والدين توأمان؛ فالدين أصل والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ، ولا يتم الملك والضبط إلا

الموقف. **السادس:** منه إلى أحد المنزلين، وبه يعلم أن الإنسان إذا نظر إليه في الحقيقة عابر سبيل.

(**وخلق الدنيا زاداً**) يبلغ المسافر (**للمعاد**) . ومن هنا قيل الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها (**ليتناول منها ما يصلح للتزوّد**) أي: اتخاذ الزاد ، والمراد به الأعمال الصالحة ، (**فلو تناولوها بالعدل**) والسوية (**لانقطعت الخصومات**) وارتفعت الظلامات (**وتعطل الفقهاء**) ولم يحتج إليهم، (**ولكن تناولوها**) وتعاطوا أمورها (**بالشهوات**) مما تميل له النفوس وتشتهيه (**فتولدت منها الخصومات**) وكثرت الشكايات وانتجت الظلامات (**فمست الحاجة إلى**) وجود (**سلطان**) أي حاكم متسلط (**يسوسهم**) يرعاهم وينظر أحوالهم فيما يختصمون فيه (**واحتاج السلطان**) نفسه (**إلى قانون**) يرجع إليه (**ويسوسهم به**) ، والقانون هو الأمر الكلي الذي ينطبق على جميع جزئياته التي تتعرف أحكامها منه ، (**فالفقيه هو العالم بقانون السياسة**) الشرعية (**وطريق التوسط بين الخلق**) في محاكماتهم (**إذا تنازعوا بحكم الشهوات**) وتجاذبوا فيها ، (**فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده**) وهاديه (**إلى**) معرفة (**طريق سياسة الخلق وضبطهم لتنتظم استقامة أمورهم في الدنيا**) بالعدل والاصلاح والحلم والإحسان، وفي نسخة لتنتظم باستقامتهم أمورهم في الدنيا . (**ولعمري**) قسم بالعمر بالفتح وهو البقاء والحياة (**هو متعلق أيضاً بالدين**) حيث أن ذلك القانون الذي يستقيم به أمر السلطان والرعية لا يخرج عن الأحكام الشرعية (**ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا**) فتعلقه بالدين في الدرجة الثانية ، (**فإن الدنيا مزرعة الآخرة**) وممر المعاد ، (**ولا يتم**) نظام (**الدين إلا بالدنيا**) أي بعمارتها وصلاحها ، (**والملك والدين توأمان**) أي قرينان، والتوأم أصله ووأم من الوئام وهو الموافقة والمشاكلة ، وهذا توأم هذا وهما توأمان وأبي الليث قولهم توأمان وخطاه الأزهري قال: والقول ما قاله ابن السكيت وهو قول الفراء والنحويين الذين يوثق بعلمهم قالوا : يقال للواحد توأم وهما توأمان إذا ولدا في بطن واحد ، (**والدين أصل والسلطان حارس**) له

بالسلطان، وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه. وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى، بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به، فكذلك معرفة طريق السياسة، فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق إلى الحج شيء ثان، والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج

وحامية **(وما لا أصل له فهو مهدوم)** أي ساقط **(وما لا حارس له فضائع)** وهالك، **(ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان)** .

وأخرج أبو نعيم في ترجمة عبدالله بن المبارك من رواية أبي بكر الصولي عن بعضهم قال: ورد على الرشيد كتاب صاحب الخبر من هيت أنه مات رجل بهذا الموضع غريب، فاجتمع الناس على جنازته، فسألت عنه فقالوا: عبدالله بن المبارك، فقال الرشيد: إنا لله وإنا إليه راجعون يا فضل: يعني وزيره فضل بن الربيع إئذن للناس يعزونا، فأظهر الفضل تعجباً فقال: ويحك إن عبدالله هو الذي يقول:

الله يرفـع بـالسلطـــان معضلـــة ... عـن ديننـا رحمة منـه ورضـــوانـــا
لـولا الأئمـة لم تـأمـن لنـا سبـــل ... وكـان أضعفنـا نهبـاً لأقـــوانـــا

من سمع هذا القول من ابن المبارك مع فضله وزهده وعظمه في صدور العامة ولا يعرف حقنا.

قلت: هذه الأبيات من قصيدة له طويلة أوردها ابن السبكي في أوائل الطبقات، وفي كلام بعض الحكماء: نظام الدين منوط بنظام الدنيا ونظامها بالمال والمال يتحصل من الرعية، ونظام الرعية بعدل الحكام، والعدل إنما يتم بالعلم فنظام الدين منوط بالعلم. **(وطريق الضبط)** والمراعاة **(في فصل الخصومات)** والمنازعات **(بالفقه في الدين، وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى، بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به)** فهو في الدرجة الثانية نظراً إلى هذا، وقد يكون في الدرجة الرابعة نظراً إلى قول الحكماء السابق **(فكذلك معرفة طريق السياسة)** ليس من علم الدين في الدرجة الأولى، بل هو من متعلقاته في الثانية، **(فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة)** بالدال المهملة. وقيل: بالمعجمة الخفارة فارسي معرب، كما في المحكم، وهو قول ابن دريد، ومثله لابن خالويه إلا أنه أنكر إهمال الدال، ومنه قول المتنبي:

أبذرق وسيفي معي وقاتل حتى قتل.

والمبذرق: الخفير نقله الصغاني **(تحرس من)** ذعار **(العرب)** وشياطينهم الذين يغيرون على ركب الحج في الطريق، **(ولكن الحج شيٌ وسلوك الطريق إلى الحج شيٌ ثان)** أي في الدرجة الثانية، **(والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج إلا بها شيٌ ثالث)**أي في الدرجة الثالثة، **(ومعرفة**

إلا بها شيء ثالث، ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع، وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسنداً «لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف»، فالأمير هو الإمام وقد كانوا هم المفتون، والمأمور نائبه، والمتكلف غيرهما، هو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى، حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه،

طريق الحراسة وحيلها وقوانينها شيْ رابع) أي في الدرجة الرابعة، **(والحاصل في الفقه معرفة طريق السياسة والحراسة)** فهو بهذا الأعتبار في الرابعة من درجات علوم الدين وهي دقيقة يتفطن لها، **(ويدل على ذلك ماروي مسنداً)** أي مرفوعاً بالاسناد إلى النبي ﷺ: **(لا يفتى الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف)**. هكذا في سائر نسخ الكتاب، ومثله في قوت القلوب لأبي طالب، والذي في الأحاديث على ما سيأتي بيانها لا يقص بدل لا يفتى، ولكن المصنف تبع صاحب القوت.

أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عوف بن مالك الأشجعي سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يقص إلا أمير أو مأمور أو متكلف». وفي المجلس الخامس عشر من أمالي عبد الله بن منده من رواية خالد بن عبد الرحمن، حدثنا عمرو بن زر، عن مجاهد، عن أبي هريرة رفعه: «لا يقص في مسجدي هذا إلا أمير أو مأمور أو متكلف». وأخرج الطبراني في الكبير عن عبادة ابن الصامت رفعه: «لا يقص إلا أمير أو مأمور أو متكلف» **(فالأمير هو الأمام)** الأعظم الذي يتولى أمور المسلمين،**(وقد كانوا)**أي الأمراء**(هم المفتون)**في الأقضية والأحكام قبل أن يشتغلوا بأمر الجهاد،**(والمأمور نائبه)**الذي ينوب عنه قد أذن له في ذلك. وقال المناوي: هو المأذون له في القص عن الحاكم، **(والمتكلف غيرهما)**أي لا أمير ولا مأمور، **(وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة)**إليه، ونص القوت: الأمير هو الذي يتكلم في أمر الفتيا والأحكام، وكذلك كان الأمراء يسألون ويفتون، والمأمور الذي يأمره الأمير بذلك فيقيمه مقامه فيستعين به لشغله بالرعية، والمتكلف هو القاص الذي يتكلم في القصص السالفة وبعض أخبار من مضى، لأن ذلك لا يحتاج إليه في الحال ولم يندب المتكلم إليه، وقد تدخله الزيادة والنقصان والأختلاف، فلذلك كره القصص فصار القاص من المتكلفين اهـ.

ووجدت لسياق المصنف وهو قوله: لا يفتى شاهداً حسناً وهو ما أخرجه أبن عساكر من حديث حذيفة بن اليمان إنما يفتي أحد ثلاثة من عرف الناسخ من المنسوخ، أو رجل ولي سلطاناً فلا يجد بداً من ذلك، أو متكلف، وأيضاً فالقص هو التكلم بالقصص والمواعظ والافتاء داخل فيها. وحمل الزمخشري القص في خصوص الخطبة محل نظر. **(وقد كان الصحابة يحترزون عنه)** أي عن الأفتاء المفهوم من القص، ولذا لم يظهر في زمانهم وإنما ظهر في آخر زمان معاوية لما أختلفت الأحوال **(حتى كان يحيل كل واحد منهم الفتيا على صاحبه)** حتى تعود إليه،

وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة، وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي؛ فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال.

وهذا قد يأتي التفصيل فيه في الباب السادس من قول عبد الرحمن بن أبي ليلى وغيره، **(وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن)** والإيمان **(وطريق الآخرة)** وما أشبه ذلك. ونص القوت: ولم يكونوا يقولون ذلك في علم القلوب ولا علم الأيمان واليقين، بل كتب عمر إلى أمراء الأجناد أحفظوا ما تسمعون من المطيعين لله عز وجل، فانهم تجلى لهم أمور صادقة. **(وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي)**، وهكذا رواه الامام أحمد، وأبن ماجه، والترمذي، والحاكم في النوادر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده رفعه: « لا يقص على الناس إلا أمير أو مأمور أو مراء » رواه الدارمي في مسنده وزاد في آخره: قلت لعمرو بن شعيب: إنا كنا نسمع متكلف، فقال: هذا ما سمعت قلت: ويروى بدل المتكلف والمرائي المختال. رواه أبو داود من حديث عوف بن مالك سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال ». وأخرجه الطبراني في الكبير مثله، وأخرجه إبن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف. وقال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا يزيد بن هرون، أخبرنا العوام، حدثني عبد الجبار الخولاني قال: دخل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ المسجد، فإذا كعب يقص فقال: من هذا: قالوا: كعب يقص. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال » فبلغ ذلك كعباً فما رؤي يقص بعد. وفي القوت: وقد جاء في لفظ الحديث الآخر بتأويل معناه لا يتكلم على الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو مراء، فكان قوله أمير هو المفتي في الأحكام والأقضية، ومعنى مأمور هو العالم بالله عز وجل الزاهد في الدنيا يتكلم في علم الإيمان واليقين، وفي علم القرآن والحديث على صالح أعمال الدين بأمر من الله تعالى أذن الله في ذلك بقوله: ﴿وإذْ أخَذَ اللهُ ميثَاقَ الذينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ الآية [١٨٧ ، آل عمران] وبقوله ﷺ: « ما آتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينه ولا يكتمه ». ويقول أبي هريرة: لولا آيتان في كتاب الله تعالى ما حدثتكم حديثاً، وأما المرائي فهو المتكلم في علوم الدنيا الناطق عن الهوى يستميل بذلك أهلها ويجتلب بكلامه المزيد منها والرفعة فيها اهـ.

وإليه يشير قول المصنف: **(فإن من يتكلف خطر الفتوى)** أي يتحمل باعبائه **(وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال)** باستمالة قلوب أهل الدنيا بكلامه ووعظه. وقال الراغب في الذريعة: لا يصلح الحكيم لوعظ العامة لا لنقص فيه، بل لنقص في العامة إذ بينهما من تنافي طبعيهما وتنافر شكليهما من النفار، كما بين الماء والنار والليل والنهار، ثم قال: يحق للواعظ أن يكون له نسبة إلى الحكيم وإلى العامة يأخذ منهم ويعطيهم، كنسبة الغضاريف إلى اللحم والعظم جميعاً، ولولاها لم يكن للعظم إكتساب الغذاء من اللحم.

(فإن قلت) : هذا إن استقام لك في أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات، فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام، فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة: الإسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام؛ فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة، وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر. أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان. وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله ﷺ أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال: « هلا شققت عن قلبه »، للذي قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذراً بأنه قال ذلك من خوف السيف، بل يحكم الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف، مع

(فان قلت: هذا إن إستقام لك) وإتضح أمره **(في أحكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات)** فإنها التي يحتاج إلى الفقهاء فيها غالباً **(فلا يستقيم)** لك **(فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة)** وما يتعلق بهما من الأحكام، **(ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام)** وغير ذلك. **(فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة أقسام. الاسلام)** وهو أعظمها، **(الصلاة)** لكونها شعار أهل الاسلام، **(والحلال والحرام؛ وإذا تأملت)** منتهى **(نظر الفقيه فيها)** ومرمى ملحظه **(علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة)** ولا يتعداها، **(فإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر)** وأوضح. **(أما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه)** من البلوغ وغير ذلك **(وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان)** فقط. فمتى وجدت شروطه وسمع منه الأقرار حكم باسلامه، **(أما القلب)** الذي هو محل التصديق **(فخارج عن ولاية الفقيه)** ليس له مدخل فيه ولا يحوم حماه **(لِعزل رسول الله ﷺ السيوف)** وفي نسخة: أرباب السيوف والسلطنة **(عنه حيث قال: « هلا شققت عن قلبه »)** فنظرت أصادق هو أم كاذب. قاله **(في الذي قتل من تكلم بكلمة الإسلام)** أي كلمة الشهادة **(معتذراً بأنه)** إنما **(قال ذلك من خوف السيف)** أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني في الكبير وابن أبي شيبة في المصنف من حديث جندب بن عبدالله البجلي رفعه، وهكذا هو في الجزء الرابع من فوائد أبي أحمد الحاكم بلفظه: « **فهلا شققت على قلبه** » **وفي إسناده** شهر بن حوشب وثقه أحمد وابن معين وتكلم فيه غيرهما.

قال العراقي: والحديث عند مسلم وليس فيه قوله: « هلا شققت على قلبه » قال: ويروى عن أسامة بن زيد أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وكذا مالك في الموطأ، والأمام أحمد، وإبن

أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة، ولكنه مشير على صاحب السيف فإن السيف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله، وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال، وذلك في الدنيا، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا

أبي شيبة والعدني في مسانيدهم، وأبو عوانة في صحيحه، وإبن حبان، والحاكم، والطحاوي، والبيهقي كلهم من رواية أبي ظبيان وإسمه حصين بن جندب، عن أسامة بن زيد **قال: بعثنا** رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة، **فأدركت** رجلاً **فقال: لا اله إلا الله** فطعنته **فوقع** في نفسي من ذلك **فذكرته** للنبي ﷺ **فقال** رسول الله ﷺ: **قال لا إله إلا الله** وقتلته؟ قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح. قال «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم** من أجل ذلك قالها أم لا؟ من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة» فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ. قال العراقي: والحديث عند البخاري أيضاً ولكن ليس فيه قوله: «**أفلا شققت** عن قلبه» (**بل يحكم الفقيه بصحة الأسلام تحت ظلال السيوف**) كما حكم النبي ﷺ وسلم بصحة إسلام هذا الرجل، ولذا عاتب أسامة في قتله، (**مع أنه يعلم**) قطعاً (**أن السيف لم يكشف له عن شبهة**) وريبة (**ولم يدفع عن قلبه غباوة الجهل**) وظلمته (**ولا الحيرة**)والتردد المستولى عليه (**ولكنه مشير على صاحب السيف فإن السيف ممتد إلى رقبته**) بالقتل (**واليد ممتدة إلى ماله**) بالنهب، (**وهذه الكلمة**) الشريفة (**تعصم رقبته**) عن السفك (**وماله**) عن النهب (**ما دامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا**)

قال الفخر الرازي نقلاً عن بعضهم:إن الله تعالى جعل العذاب عذابين. أحدهما: السيف من يد المسلمين، والثاني: عذاب الآخرة. فالسيف في غلاف لا يرى، **فقال** لرسوله: من أخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا إله إلا الله أدخلنا السيف في الغمد الذي يرى، ومن أخرج لسان القلب من الغلاف الذي لا يرى وهو السر فقال: لا إله الا الله أدخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة حتى يكون واحداً بواحد ولا ظلم ولا جور اهـ.

(**ولذلك قال** ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم**) إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل». قال المناوي، قال الرافعي وبيّن الشافعي أن الحديث مخرجه عام ويراد به الخاص، والقصد به أهل الأوثان وهو أصل من أصول الأسلام، وفي بعض رواياته حتى يشهدوا أي يقرّوا ويبينوا. وهذا الحديث رواه ستة عشر من الصحابة كما قاله العراقي وهم: أبو هريرة، وعمر، وابن عمر، وجابر، وأنس، ومعاذ، وأوس بن أبي أوس، وأبو بكر الصديق، وسعد بن أبي وقاص، وجرير بن عبد الله، وسهل بن سعد، وابن عباس، وأبو بكرة، وأبو مالك الأشجعي، عن أبيه، وسمرة بن جندب، والنعمان بن بشير. أما حديث أبي هريرة فأخرجه الائمة الستة، وهذا لفظ الترمذي وأبن ماجه في الفتن

....

إلا أنهما لم يقولا فقد وكذا. قال أبو داود: إلا أنه قال: منعوا بدل عصموا. وقال الشيخان: فمن قال لا إله إلا الله قال مسلم عصم، وقال البخاري فقد عصم مني نفسه وما له إلا بحقه وحسابه على الله.

قلت: وأخرجه أبو بكر بن مردويه من رواية الحسن بن عمر، وعن منذر الثوري، عن محمد ابن الحنفية، عن أبي هريرة رفعه كسياق المصنف، وفي آخره: قيل له طفت على أبيك. قال: إني لم أفعل إن الناس انطلقوا إلى أبي فبايعوه طائعين غير مكرهين، فنكث ناكث فقتله، وبغى باغ فقتله، ومرق مارق فقتله، وابن الحنيفة هذا لم يخرج له عن أبي هريرة في شيْ من الكتب الستة. وأخرجه الخلعي في فوائده من رواية مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ثم قال: وأما حديث عمر فرواه الستة خلا ابن ماجه من رواية أبي هريرة، عن عمر، عن النبي ﷺ نحوه.

قلت: أخرجه أحمد والبخاري. قال أحمد: حدثنا عاصم بن خالد وأبو اليمان. وقال البخاري حدثنا أبو اليمان قال: حدثنا شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري، حدثنا عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس» الحديث بطوله. ورواه البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن الليث، ورواه عمرو بن عاصم الكلابي عن عمـران القطان، عن معمر، عن الزهري، عن أنس، عن أبي بكر مرفوعاً: «أمرت أن أقاتل الناس» الحديث قال أبن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه فقال هذا خطأ إنما هو الزهري عن عبيد الله بن عتبة ، عن أبي هريرة أن عمر قال لأبي بكر القصة. قلت لابي زرعة: الوهم ممن؟ قال: من عمران، ثم قال العراقي: وأما حديث إبن عمر فأخرجه الشيخان وقالا: حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيمـوا الصلاة ويـؤتـوا الزكـاة. قـال البخـاري: فـإذا فعلوا ذلك، وقال مسلم: فإذا فعلوه عصموا مني دماءهم وأموالهم الحديث. وأما حديث جابر فرواه مسلم والترمذي والنسائي وأبن ماجه، ولفظ الترمذي كلفظ المصنف إلا أنه لم يقل فقد، وقال مسلم وابن ماجه فإذا قالوا لا إله إلا الله. وأما حديث أنس فرواه البخاري، وأبو داود، والترمذي والنسائي. زاد البخاري: «فإذا قالوها وصلوا صلاتنا وإستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم» الحديث. وقال أبو داود والترمزي: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا فإذا فعلوا ذلك حرمت» الحديث.

قلت: وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير وقال: وأما حديث معاذ فرواه ابن ماجه ولفظه: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» وفي

مني دماءهم وأموالهم». جعل أثر ذلك في الدم والمال. وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها، وليس ذلك من فن الفقه، وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجاً عن فنه. وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذ أتي بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلاً في

إسناده شهر بن حوشب. وأما حديث أوس بن أبي أوس بن حذيفة فرواه النسائي، وأبن ماجه، ورجاله رجال الصحيح.

قلت: وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير من طريق شعبه عن النعمان بن سالم قال: سمعت أوس بن أبي أوس، وقال سماك بن حرب، عن النعمان بن سالم، عن أوس. وقال حاتم، عن النعمان، عن عمر بن أوس، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «أوحي إلي أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله». الحديث. قال أبو حاتم: وشعبة أحفظ القوم. قال: وأما حديث أبي بكر الصديق فرواه البزار في مسنده من رواية عمران القطان، عن معمر، عن الزهري، عن أنس عن أبي بكر. قال البزار: أحسب أن عمران أخطأ في إسناده، ولذا قال الترمذي في الجامع: إن حديث عمران خطأ، وكذا قال الدارقطني في العلل أنه وهم فيه على معمر، وأن الصواب رواية الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن أبي هريرة قال، قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما.

قلت: قد تقدم أن الذي رواه عن عمران القطان هو عمرو بن عاصم الكلابي، وتقدم أيضاً سؤال ابن أبي حاتم لأبي زرعة وجوابه له، وأن الوهم فيه من عمران القطان. قال: وأما حديث سعد فرواه الترمذي بقوله. وفي الباب قال: وأما حديث جرير، وسهل وأبي مالك الأشجعي عن أبيه فرواهما الطبراني في المعجم الكبير، وأما حديث سمرة فرواه الطبراني في الأوسط، وحديث أبن عباس وأبي بكرة رواهما في الكبير والأوسط، وحديث النعمان بن بشير رواه البزار وقال: أخطأ فيه أسود بن عامر اهـ.

قلت: ويروى هذا الحديث أيضاً من رواية عياض الأنصاري وهو صحابي أخرجه البزار في مسنده فتم العدد سبعة عشر، وهو متواتر صرح به غير واحد من المحدثين فانظر كيف **(جعل أثر ذلك في الدم والمال، وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأقوال)** الظاهرة **(بل أنوار القلوب)** الحاصلة من الأيمان الكامل **(وأسرارها)** الباهرة **(وأخلاقها)** المحمودة أخرج مسلم في الأدب وابن ماجه في الزهد، عن أبي هريرة رفعه: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبهم وأعمالكم» وسيأتي الكلام عليه. **(وليس ذلك من فن الفقه)** في شيْ **(وإن)** قدر أنه **(خاض الفقيه فيه)** واستعد لقبوله **(كان كما لو خاض في الكلام والطب وإن كان خارجاً عن فنه)** لأن كلاهما ذكر لا يتعلق به غرضه. هذا حال الاسلام. **(وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتي بصورة الأعمال مع)** مراعاة **(ظاهر الشروط)**

جميع صلاته من أوّلها إلى آخرها مشغولاً بالتفكر في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير، وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة، كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع، ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزيز، فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجاً عن فنه، وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى انه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهراً حكم بأنه برئت ذمته.

وحكي أن أبا يوسف القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها

المذكورةفي الكتب **(وإن كان غافلاً)** بقلبه **(عن جميع صلاته من أولها إلى آخرها)** بغلبة الخواطر والوساوس والشواغل النفسانية **(مشغولاً في التفكير)** والتدبير **(في حساب معاملاته)** ومشاركاته **(في السوق)** أو في البيت **(إلا عند التكبير)** أي: عند إفتتاح الصلاة وهي تكبيرة الاحرام، فإنه يتعين إحضار القلب حينئذ ولا يكلف ما عداه، **(وهذه الصلاة)** بهذه الصفة **(لا تنفع في الآخرة)** لشوبها بالغفلة عن أعمال القلب، **(كما أن القول باللسان)** فقط **(في الاسلام لا ينفع)** في الآخرة، **(ولكن الفقيه يفتي بالصحة)** ويقول **(إن ما فعله حصل به إمتثال صيغة الأمر)** الدالة على الوجوب **(وإنقطع به عنه القتل والتعزيز)**، وهو التأديب دون الحد والتأديب نصرة بقهر مّا. وفي بعض النسخ القتال أو التعزيز، **(فأما الخشوع)** والأطمئنان والاخبات **(وإحضار القلب)** ولو تكلفا **(الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه)** إلا قليلاً **(ولو تعرض له)** بالفرض والتقدير **(كان خارجاً من فنه)** ويقول: إنما كلفنا بإصلاح الظاهر، وأما الباطن فبيد الله تعالى وهو حق فيما يقول إذ التعرض لمثل ذلك ليس من فنه هذه حال الصلاة. **(وأما الزكاة)** وهي قرينة الصلاة في الذكر **(فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان)** ونظره قاصر عليه **(حتى أنه إذا امتنع)** من دفع الزكاة **(يأخذ السلطان منه)** ولو قهراً **(فهو يحكم بانه برئت ذمته)** بأخذه لها منه، وهذا إذا أخذ السلطان منه مما يجب عليه من الزكاة، أما لو صادره بمال ثم حال عليه الحول لا تجب الزكاة على صاحب المال عند أبي حنيفة.

(وقد حكي أن أبا يوسف) يعقوب بن إبراهيم بن خنيس، وقيل: حبيب بن سعد بن حبتة بفتح الحاء المهملة وسكون الموحدة وفتح المثناه الفوقية القاضي صاحب الإمام ولاه الهادي ثم الرشيد، وروى عن يحي بن سعيد الأنصاري والأعمش وأبي أسحاق الشيباني وعنه محمد بن الحسن وغيره ولد سنة ١١٤ وتوفي ببغداد سنة ١٨٣. وحبتة في نسبه هي إبنة مالك بن عمرو بن عوف الأنصارية الصحابية **(كان يهب ماله لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطاً**

إسقاطاً للزكاة، فحكي ذلك لأبي حنيفة رحمه الله فقال: ذلك من فقهه. وصدق فإن ذلك من فقه الدنيا، ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل جناية، ومثل هذا هو العلم الضار. وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين، ولكن الورع له أربع مراتب:

الأولى: الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة: وهو الذي يخرج بتركه الإنسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر.

للزكاة. فحكي) ذلك **(لأبي حنيفة فقال: ذلك من فقهه)** أي من معرفته بالأحكام، ومن هنا قول صاحب الملتقى من علمائنا. وتكرة الحيلة لأسقاطها عند محمد خلافاً لأبي يوسف. قال شارحه محمد بن محمد البهنسي الحنفي: إنما تكره عند محمد لتضمنها إبطال حق الفقراء بعد إنعقاد سبب الوجوب وعليه الفتوى خلافاً لأبي يوسف لأنه إمتناع عن الوجوب لإبطال حق ثابت، وعلى هذا الخلاف حيلة إسقاط الشفعة اهـ.

(وصدق) أبو حنيفة **(فإن ذلك من فقه الدنيا، ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل خيانة، ومثل هذا العلم هو الضار)**، وقد أورد هذه الحكاية صاحب القوت فقال: وقد حدثنا عن أبي يوسف انه كان إذا صار رأس الحول وهب ماله لأمرأته واستوهبها مالها فسقط عنهما الزكاة، فذكر ذلك لأبي حنيفة فقال: ذلك من فقهه، وإنما يطلب العلم لمعرفة الورع والاحتياط للدين فهذا هو العلم النافع، فإذا طلب لمثل هذا ولتأويل الهوى كان الجهل خيراً منه اهـ.

(وأما الحلال والحرام فالورع من الحرام من الدين) أي: معرفته من جملة أمور الدين والورع محركة التقوى والتحرج والكف عن المحارم، وقد ورع الرجل كورث وهي اللغة المشهورة وزاد اللحياني مثل وجل، ونقل سيبويه عن العرب مثل وضع ونقل عن غيره مثل كرم وراعة وورعاً بالفتح ويحرك ووروعاً يفتح ويضم، وأصل الورع الكف عن الحرام، ثم استعير للكف عن الحلال والمباح. هذا قول أئمة اللغة، وأما عند الصوفية فهو توق مستقصى على حذر أو تحرج على تعظيم وهو آخر مقامات الزهد للمريد قاله الهروي في منازل السائرين: **(ولكن الورع له أربع مراتب.**

الاولى: الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة) عند التزكية **(وهو الذي يخرج به الأنسان عن أهلية الشهادة)** عند القضاة **(والقضاء)** على الأحكام الشرعية بالتولية عليها **(والولاية)** للمناصب الشرعية كالحسبة وغيرها **(وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر)**، وقد تقدم تعريف العدالة وقد قسمه الهروي في منازل السائرين على ثلاث درجات. فقال: الأولى تجنب القبائح لصون النفس وتوفير الحسنات وصيانة الإيمان اهـ.

الثانية: ورع الصالحين، وهو التوقي من الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات. قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». وقال ﷺ: «الإثم حزاز القلوب».

(**الثانية: ورع الصالحين وهو التوقي**) أي التحفظ (**من الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات**) هل هو حرام أم حلال، وقال الهروي في منازل السائرين: الثانية حفظ الحدود عند ما لا بأس به إبقاء على الصيانة والتقوى وصيانة عند الدناءة وتخلصاً عند الأقتحام في الحدود اهـ.

(**قال** ﷺ: «**دع ما يُريبك**) بفتح الياء وضمها والفتح أفصح أي ما يوقعك في الريب (**إلى ما لا يريبك**») والأمر للندب لما أن توقي الشبهات مندوب لا واجب على الأصح. أي: أترك ما تشك فيه وأعدل إلى ما لا تشك فيه من الحلال البين، لأن من اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، والمعنى أن من أشكل عليه شيء والتبس ولم يتبين أنه من أي القبيلين، فليتأمل فيه إن كان من أهل الاجتهاد، وليسأل المجتهدين إن كان من أهل التقليد، فإن وجد ما يسكن به نفسه ويطمئن به قلبه وينشرح به صدره، فليأخذه وإلا فليدعه وليأخذ بما لا شبهة فيه ولا ريبة. هذا طريق الورع والأحتياط.

قال العراقي: رواه الترمذي والنسائي من رواية أبي الجوزاء، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره. زاد الترمذي: «فإن الصدق طمأنينة وأن الكذب ريبة». وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه ابن حبان في صحيحه اهـ.

قلت: أخرجه من رواية شعبة. أخبرني يزيد بن أبي مريم، سمعت أبا الجوزاء السعدي يقول: قلت للحسن بن علي ما تذكر عن رسول الله ﷺ؟ قال: كان يقول فذكره. وأخرجه كذلك أحمد، والدارمي، وأبو يعلى، والطيالسي بتلك الزيادة. وعند الطبراني في الكبير، والبيهقي، والحاكم: وإن الشر ريبة بدل وإن الكذب. وعند ابن قانع بلفظ: فان الصدق ينجي. وقال الذهبي في حديث الحسن: هذا سنده قوي، وأخرجه الحاكم في التاريخ بهذا اللفظ، عن أبي الدراداء ووقفة عليه، ثم قال العراقي: ورواه أيضاً أبو يعلى الموصلي في مسنده من رواية عبيد بن القاسم، عن العلاء بن ثعلبة، عن أبي المليح الهذلي، عن واثلة أبن الاسقع، عن النبي ﷺ في اثناء حديث. وعبيد بن القاسم ضعيف جداً منسوب إلى الكذب والوضع. ورواه الطبراني في الكبير من رواية بقية بن الوليد، حدثني إسماعيل بن عبد الله الكندي، عن طاوس، عن وثيلة قال: قلت يا نبي الله فذكر الحديث. وفيه «فان الخير طمأنينة والشك ريبة». وإسماعيل مجهول اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو عبد الرحمن السلمي في أماليه، ثم العراقي: ورواه الطبراني في الصغير من رواية عبدالله بن أبي رومان، عن ابن وهب، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ. ولا أصل له من حديث مالكْ وابن أبي رومان ضعيف اهـ.

قلت: وأخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية أبي بكر بن راشد، عن عبد الله بن أبي رومان

....

وقال: إنه غريب من حديث مالك تفرّد به ابن أبي رومان، عن ابن وهب. وأخرجه الخطيب في التاريخ في ترجمة الباغندي من حديث قتيبة، عن مالك بزيادة: فإنك لن تجد فقد شيْ تركته لله، ثم قال: هذا باطل بهذا الوجه، وإنما اشتهر به ابن أبي رومان عن ابن وهب، عن مالك وهو ضعيف. والصحيح عن مالك من قوله، وقد سرقه ابن أبي رومان. وقال الجلال في جامعه الكبير نقلاً عن الخليل: الصواب وقفه على ابن عمر.

قال العراقي: ورواه أبو الشيخ في كتاب الطبقات من رواية صالح بن موسى، عن المغيرة، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. وصالح بن موسى القرشي منكر الحديث قاله البخاري. ورواه الطبراني في الكبير من رواية طلحة بن زيد، عن راشد بن أبي راشد قال: سمعت وابصة بن معبد يقول: سألت رسول الله ﷺ عن كل شيْ حتى سألته عن الوسخ الذي يكون في الأظفار فقال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». وطلحة ضعيف. ورواه أحمد في مسنده من رواية أبي عبد الله الأسدي بسكون السين عن أنس رفعه فذكره، وأبو عبد الله الأسدي قال أبو حاتم مجهول تفرد عنه يحي بن أيوب المضري، وهو معروف، وسماه بعضهم عيسى بن عبد الرحمن.

قلت: وقال الهيثمي وهو رفيق العراقى في الشيوخ أبو عبد الله الأسدي لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، ثم أن المصنف أورده، في المرتبة الثانية من الورع إشارة إلى أن المعنى به هم أرباب الصلاح ذوو البصائر والعقول المرتاضة والقلوب السليمة، كأن نفوسهم بالطبع تصبو إلى الخير وتنبو عن الشرفان الشيْ يتحبب إلى ما يلائمه وينفر عما يخالفه فيكون بما يلهمه الصواب غالباً، على أنه يمكن حمل هذا الحديث على سائر مراتب الورع لأن عمومه يقتضي وقوع الريبة في العبادات والمعاملات وسائر أبواب الأحكام الظاهرة والباطنة، وإن ترك الريبة في كل ذلك ورع قالوا: وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين وأصل في الورع الذي عليه مدار اليقين. وقال العسكري: لو تأمل الحذاق هذا الحديث لتيقنوا أنه إستوعب كل ما يتجنب في الشبهات والله أعلم.

(وقال ﷺ: «الإثم حزاز القلوب») هكذا في النسخ بزاءين مكررتين الأولى مشددة فعال من الحز. حكاه ابن الأثير عن رواية شمر، ويروى حواز القلوب بتخفيف الواو بعد الحاء وآخره زاي مشددة جمع حاز، وبه جزم الهروي في الغريبين، وصدر ابن الأثير به كلامه في النهاية وقال: هي الأمور التي تؤثر في الشيء كما يؤثر الحز في الشيء، وهو ما يخطر فيها من أن يكون معاصي كفقد الطمأنينة إليها يقال: إذا أصاب مرفق البعير طرق كركرته فقطعه وأدماه، قيل: به حاز. وحكى الهروي عن الليث هو ما حز في صدرك وحك ولم يطمئن عليه القلب قال ابن الأثير. ويروى بتشديد الواو وتخفيف الزاي حكاه عن شمر أيضاً.

الثالثة: ورع المتقين، وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه إلى الحرام. قال ﷺ: «لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس»، وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة، والتورع

قلت: وهذه أوردها الصغاني في التكملة وقال: معناه ما يجوز القلب ويغلب عليها، هذا ما يتعلق باللغة والروايات.

قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من طريق سعيد بن منصور، حدثنا سفيان، عن منصور، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه قال: قال عبدالله: قال رسول الله ﷺ: «الإثم حواز القلوب» قال: المعروف أنه من قول ابن مسعود قال: «الإثم حواز القلوب» وما كان من نظيره فإن للشيطان فيها مطمعاً، وإسناده صحيح رويناه في مسند المدني، حدثنا سفيان، عن منصور، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه، عن ابن مسعود، وكذا رواه الطبراني في الكبير موقوفاً اهـ.

قلت: وأخرجه أبو نعيم في الحلية كذلك موقوفاً على عبدالله، رواه من رواية جرير، عن منصور، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال: قال عبدالله: «إياكم وحزائز القلوب وما حز في قلبك من شيء فدعه».

قال العراقي: وقد ورد معناه مرفوعاً في عدة أحاديث منها: حديث النواس بن سمعان، الإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس، ومنها حديث وابصة بن معبد، والاثم ما حاك في نفسك وتردد في الصدر، ومنها حديث واثلة والإثم ما حاك في الصدر.

(الثالثة: ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض) أي الخالص الذي لا شبهة فيه ولا ريبة **(الذي يخاف منه أداؤه)** أي وقوعه وإفضاؤه **(إلى الحرام)** وإطلاق الورع عليه بطريق الاستعارة كما تقدمت الإشارة إليه. **(قال ﷺ: «لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس فيه حذراً مما به بأس»)** وفي رواية مخافة مما به بأس.

قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه من رواية عبدالله بن يزيد قال: حدثني ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس، عن عطية السعدي، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين» فذكره وقال: «لما به بأس» قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ورواه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وأخرجه كذلك الطبراني في الكبير والبيهقي بهذا اللفظ، **(وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس)** وأمورهم التي تحدث لهم **(خيفة من الانجرار)** والانسحاب **(إلى الغيبة)** المحرمة، **(و)** مثل **(التورع عن أكل الشهوات)** أي مما تشتهيه النفس **(خيفة من**

عن أكل الشهوات خيفة هيجان النشاط والبطر المؤدي إلى مقارفة المحظورات.

الرابعة: ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفاً من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضي إلى حرام، فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى: وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الإثم في الآخرة. قال رسول الله ﷺ لوابصة: «استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك».

هيجان) أي ثوران (**النشاط**) أي الخفة والإسراع (**والبطر**) وهو أخف من النشاط، لأنه دهش يعتري الانسان من سوء احتمال النعمة وعدم القيام بحقها وصرفها عن وجهها (**المؤدي**) أي الموصل (**إلى مقارفة**) أي ملابسة (**المحظورات**) الشرعية.

(**الرابعة: ورع الصديقين وهوالإعراض عما سوى الله تعالى**) وترك النظر عن السوى بالكلية (**خوفاً من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله تعالى**)، وإليه الإشارة بالحديث المتقدم «إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه تقرباً إلى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم». (**وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضي إلى حرام**) وجعل الهروي في منازل السائرين من هذه الرابعة ثالثة وفسرها بقوله: هو التورع عن كل داعية تدعو الى شتات الوقت والتعلق بالتفرق وعارض يعارض الوقت، واستدل على الكل بقوله تعالى: ﴿وثيابك فطهر﴾ [المدثر: ٤] اهـ.

والمنصف جعل له أربع مراتب وأضافها لأربابها، فالأولى: هي مرتبة أهل الظاهر من العلماء، والثانية: هي مرتبة الصالحين، والثالثة: هي مرتبة المتقين، وهم أعلى درجة من الصالحين، كما أن الصالحين أعلى رتبة من مطلق أهل العلم. والرابعة: هي مرتبة الصديقين وهي آخر المراتب الرفيعة، ولذلك جاز أن يعني بالصديقين ما هو أعم ليشمل النبيين إذ كل نبي صديق ولا عكس فتأمل. (**فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه**) لا يتكلم عليها (**إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة**) وولاة الأحكام الشرعية (**وما يقدح في العدالة**)، فإن الفقيه يتكلم فيها (**و**) لا يخفى أن (**القيام بذلك لا ينفي الإثم في الآخرة**) ولا يقبل عذره في ترك التحقق ببقية المراتب. (**قال ﷺ لوابصة**) ابن معبد الأزدي يكنى أبا سالم وأبا الشعثاء وأبا سعيد من خيار الصحابة، ولد سنة تسع، روى عن النبي ﷺ وابن مسعود، وعنه ولداه سالم وعمر، وزر بن حبيش، وشداد مولى عياض، وراشد بن سعد، وزياد بن أبي الجعد نزل في الجزيرة كذا في الإصابة، وقال بكار: قبره بالرقة (**«استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك»**) هكذا بالتكرار ثلاث مرات في سائر النسخ.

قال العراقي: رواه أحمد في مسنده، فقال: حدثنا يزيد بن هرون، حدثنا حماد بن سلمة، عن الزبير بن عبد السلام، عن أيوب بن عبدالله بن مكرز، عن وابصة قال: أتيت رسول الله ﷺ

والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها، بل فيما يقدح في العدالة فقط، فإذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة، فإن تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة، فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام، وكما تدخل الحكمة في

وفيه: «يا وابصة استفت نفسك البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك». وقال في رواية له عن الزبير عن أيوب ولم يسمعه منه قال: حدثني جلساؤه وقد رأيته عن وابصة وقال «استفت نفسك واستفت نفسك» ثلاث مرات الحديث اهـ.

قلت: وهكذا أخرجه أيضاً الدارمي وأبو يعلى في مسنديهما، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية من رواية أيوب، وسياق سند الدارمي حسن نبه عليه النووي في رياضه، وفي سياق سند الطبراني العلاء بن ثعلبة وهو مجهول. وأخرجه أيضاً البخاري في التاريخ وله أشار الجلال في جامعه الصغير مقتصراً عليه وهو قصور ولفظه: «استفت نفسك وإن أفتاك المفتون» ولم أر في طرق المخرجين لهذا الحديث تكرار قوله. وإن أفتوك ثلاث مرات، إلا أن صاحب القوت بعدما ذكر الحديث بالسياق المشهور قال: وقد جاء بلفظة مؤكدة بالتكرير والمبالغة فقال: «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك» والمصنف تبعه في سياقه فتأمل. وسيأتي للمصنف التعرض لهذا الحديث فيما بعد، والمعنى استفت نفسك المطمئنة الموهوبة نوراً يفرق بين الحق والباطل، وعلى الرواية الثانية عوّل على ما في قلبك والتزم العمل بما أرشدك إليه، وإن أفتاك الناس بخلافه لأنهم إنما يطلعون على الظواهر، والكلام فيمن شرح الله صدره بنور اليقين فأفتاه غيره بمجرد حدس وتخمين من غير دليل شرعي، وإلا لزمه أتباعه وإن لم ينشرح له صدره، وهذا إذا كان الخطاب عاماً.

قال العراقي: وفي الباب عن واثلة ولفظه: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله لتفتنا عن أمرنا فآخذه من بعدك قال: لتفتك نفسك. قال: فقلت وكيف لي بذلك؟ قال: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون» الحديث. وقال السخاوي وفي الباب عن النواس بن سمعان وغيره. **(والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب)** التي تؤثر فيها **(وكيفية العمل بها)** ومعالجتها، **(بل فيما يقدح في العدالة)** الظاهرة مما يتعلق بالولايات في سقوط الشهادة وعدمه، **(فإذا جميع نظر الفقيه يرتبط بالدنيا التي فيها صلاح طريق الآخرة)** وفي بعض النسخ مرتبط وبها بدل فيها، **(فإن تكلم)** يوماً **(في الإثم)** وما ينشأ منه **(وصفات القلب)** المحمودة والمذمومة **(وأحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل)** والاستتباع غير مقصود بالذات، **(كما قد يدخل في كلامه)** تارة **(شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام)** فكل ذلك على سبيل التبعية، **(وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر)** استطراداً. **(وكان**

النحو والشعر، وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول: إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة، كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والاجارة والصرف، ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون، وإنما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات، والشرف هو علم تلك الأعمال.

(فإن قلت): لم سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضاً يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضاً صلاح الدين، وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين؟ فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق، وإن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه:

سفيان بن سعيد الثوري) رحمه الله تعالى يأتي ذكره قريباً **(وهو إمام في علم الظاهر)** جليل القدر صاحب فتوى وحديث يقول مع جلالة قدره في العلم: **(إن طلب هذا)** أي علم الحديث **(ليس من زاد الآخرة)** نقله صاحب القوت، وإنما قال ذلك سفيان لأن حب الإسناد وشهوة الرواية غلبا على قلبه، حتى كان يحدث عن الضعفاء ومن لا يحتج بروايته، فمن اشتهر منهم باسمه ذكر كنيته تدليساً للرواية عنه، فخاف على نفسه من ذلك ولم يجعله من زاد الآخرة، وسيأتي الكلام عليه في آخر الباب الخامس من هذا الكتاب، **(كيف وقد اتفقوا)** وأجمعوا **(على أن الشرف)** المقصود لذاته **(في العلم العمل به)** على وجهه، **(فكيف يظن أنه علم اللعان والظهار والسلم والإجارة والصرف)** وغيرها من أحكام المعاملات، **(ومن تعلم هذه الأمور)** وانفرد في تدقيقاتها ومعرفة الراجح منها من المرجوح **(ليتقرب بتعاطيها)** وتناولها **(إلى الله تعالى فهو مجنون)** غطى على عقله وشبه عليه، **(وإنما الأعمال بالقلب)**أي بإحضاره **(والجوارح)** معاً **(في)** سائر **(الطاعات)** والتقربات **(والشريف هو علم تلك الأعمال)** وهذا تقرير واضح، وقد أنكر عليه المغاربة لما وصل إليهم الكتاب وأقاموا عليه النكير وقالوا: كيف يقول للعالم بالأحكام الشرعية أنه مجنون.

(فإن قلت: قد سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضاً يتعلق بالدنيا ومصالحها وهو صحة الجسد) التي فيها قوام المعاش **(وذلك يتعلق به أيضاً صلاح الدين)** من جهة القيام بالأوامر والنواهي، **(وهذه التسوية)** بينهما في المنزلة **(تخالف إجماع المسلمين)**، أي لما جعلت الفقه به نظام مصالح الدنيا المنوط به نظام مصالح الدين، فهو في الدرجة الثانية من علوم الآخرة وعلم الطب أيضاً، كذلك لأن موضوعه بدن الإنسان والبحث عن كيفية صحة المزاج وفساده، فهو أيضاً منوط به نظام مصالح الدنيا فيكون من علوم الآخرة بالمرتبة الثانية، ولزم بذلك التسوية بينهما وهو خلاف ما عليه الناس من شرف علم الفقه وعلو منزلته، فإذا ساواه علم الطب في منزلته لزم أن يكون مثله وليس كذلك. **(فاعلم أن التسوية غير لازمة)** أي إذا وجد التسوية بينهما من هذا الوجه فغير لازم أن يساويه في سائر المراتب **(بل بينهما فرق)** بوجوه أخر، وأشار لذلك بقوله: **(والفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه:**

أحدها: انه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوّة، بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع.

الثاني: انه لا يستغني عنه أحد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض. وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون.

والثالث: أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح، ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب، فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية في الآخرة، والمذموم يصدر من المذموم، وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب. وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفات في المزاج والاخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب، فمهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه، وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضاً شرف علم طريق الآخرة.

(فإن قلت): فصِّل لي علم طريق الآخرة تفصيلاً يشير إلى تراجمه، وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله، فاعلم انه قسمان: علم مكاشفة وعلم معاملة.

(**أحدها: أنه علم شرعي**) مستنده الكتاب والسنة وآثار الصحابة والإجماع وهذا معنى قوله: (**أي مستفاد من النبوة بخلاف علم الطب، فإنه ليس هو من علم الشرع**) بل مداره على التجارب وهي تختلف.

(**والثاني: أنه لا يستغني عنه أحد**) في سائر الأحوال (**من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح والمريض، وأما الطب فلا يحتاج إليه الا المرضى**) خاصة (**وهم الأقلون**) أي بالنسبة إلى الأصحاء ولا حكم للأقل.

(**والثالث: أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة**) باعتبارات كثيرة (**لأنه نظر في أعمال الجوارح ومصدر الأعمال ومنشؤها صفات القلوب والمحمود من الأعمال يصدر من الأخلاق المنجية**) أي المخلصة (**في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب**) وبهذا الاعتبار، (**وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفات في المزاج**) وهي كيفية مشابهة من تفاعل عناصر متفقة الأجزاء المماسة بحيث يكسر سورة كل منها سورة الآخر (**والأخلاط**) جمع خلط وهي الطبائع الأربعة التي عليها بنية الانسان، (**وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فمهما أضيف**) أي نسب (**الفقه إلى الطب ظهر شرفه**) ومزيته، (**وإذا أضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر أيضاً شرف علم الآخرة**) وهو فرق ظاهر.

(**فإن قيل: فصل لي علم الآخرة تفصيلاً**) يتضح للأذهان (**يشير**) بذلك (**إلى تراجمه**) جمع ترجة والتاء زائدة، وقيل: أصلية يقال ترجم كلام غيره إذا عبر عنه بلغة غير المتكلم واسم

(فالقسم الأوّل) : علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم ، **فقد قال بعض** العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة ، **وأدنى نصيب منه** التصديق به وتسليمه لأهله . وقال آخر : من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة ، أو كبر . وقيل : من كان محباً للدنيا أو مصراً على هوى لم يتحقق به وقد

الفاعل ترجمان وفيه لغات **(وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه)** أي علم الآخرة **(قسمان: علم معاملة)** وقد تقدم ذكره **(وعلم مكاشفة وهو علم الباطن)** وهو العلم بالله عز وجل الدال عليه الراد إليه الشاهد بالتوحيد له من علم الإيمان واليقين وعلم المعرفة **(وذلك غاية العلوم)** كلها ، وإليه تنتهي همم العارفين لا يوجد وراءه مرمى للأنظار ، **(فقد قال بعض العارفين)** فيما نقله صاحب القوت : **(من لم يكن له نصيب)** أي حظ **(من هذا العلم)**أي علم الباطن **(أخاف عليه سوء الخاتمة)** ولا سبيل إلى معرفته إلا بالذوق الصحيح ، ولا يكاد يلتذ به إذا جاء من غير نبي إلا أصحاب الأذواق السليمة وهو فوق طور العقل ، ولذا ربما مجته العقول الضعيفة التي لم توف النظر والبحث حقه ، ولهذا كان صاحبه إذا أراد أن يفهم منه لأصحاب الظاهر فلا بد له من ضرب الأمثال الكثيرة والمخاطبات الشعرية ، وقد يتسارع إلى الإنكار على صاحبه ، وذلك لأنه فوق طور العقل ، ويحصل من نفث روح القدس يخص به تعالى النبي والولي لا يكون لغيرهما ، وعلوم المجتهدين كلها من هذا الباب ، لكنهم أفصحوا في العبارة ففهمها الناس ولم ينكروها عليهم ، وقال القطب الشعراني رحمة الله تعالى : وكان أخي أفضل الدين يتكلم على الآية من سبعين وجهاً ويقول : حقيقة العلوم التي تسمى باطناً إنما هي من علوم الظاهر ، لأنها ظهرت للقائل بها ، ولو أنها بطنت منه لما اهتدى لفهمها ولا لذكرها ، فقلت له ، صحيح ذلك ، ولكن ذلك خاص بأجل الكمل ، فقال : نعم فإن الظاهر هو المعقول والمقبول الذي تكون منه العلوم النافعة والأعمال الصالحة ، وأما الباطن فإنما هو المعارف الإلهية التي هي روح تلك العلوم والمعقولة المقبولة اهـ .

(وأدنى النصيب منه) إذا لم يمكنه التحلي به **(التصديق به)** جزماً من غير تردد ولا شك **(وتسليمه لأهله)** بعدم الإنكار عليهم بقبول ما يرد من جهتهم بانشراح صدر وعدم اختلاج باطن ، فيكون في منزلة المحبين لهم ، فإن من ينكر على أولياء الله الوارثين لعلوم أنبياء الله يخاف عليه سوء الخاتمة والسلام على أهل التسليم . **(وقال آخر)** فيما أورده أيضاً صاحب القوت : **(فمن كان فيه خصلتان)** أي من وجدتا فيه **(لم يفتح له شيء من هذا العلم)** أي علم الباطن **(بدعه)** وهي الفعلة المخالفة للسنّة **(أو كبر)** أن يرى نفسه أكبر من غيره ، وقال الجنيد : أعلى درجات الكبر أن ترى نفسك وأدناها أن تخطر ببالك يعني نفسك . **(وقيل : من كان محباً للدنيا)** مائلاً إلى شهواتها وكذا محباً لأهلها وللعلوم تقربة إليها **(أو مصراً على هوى)** نفسي أو شيطاني **(لم يتحقق به)** أي بعلم الباطن ولا يكون له منه نصيب ، **(وقد يتحقق بسائر**

يتحقق بسائر العلوم، وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئاً وينشد على قوله:

وأرض لمن غـاب عنـك غيبتـه ... فـذاك ذنـب عقـابـه فيـه

وهو علم الصديقين، والمقربين، أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل

العلوم الظاهرة وأقل عقوبة من ينكره أن لا يرزق) وفي نسخة: أن لا يذوق **(منه شيئاً)** أي يكون سبباً لحرمانه من هذا العلم. وعبارة القوت: أن لا يرزق منه شيئاً أبداً، هكذا عن أبي محمد سهل التستري اهـ.

وقال أبو تراب النخشبي وهو من رجال الرسالة إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله أي لأنه أدبر عن النور وأقبل على الظلام، فقاس حال أهل الله على حال نفسه. وفي القوت: من لم يكن له مشاهدة من هذا العلم لم يعر عن شك أو عن نفاق، لأنه عار عن علم اليقين، ومن عرى عن علم اليقين وجد فيه دقائق الشك اهـ.

ونقل الشعراني عن القطب أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره من لم يتغلغل في علوم القوم مات على غير سنة فيخشى عليه سوء الخاتمة اهـ.

وفي كتاب القصد والسداد لبعض السادة من أهل اليمن قال القطب السيد عبدالله بن أبي بكر العيدروس قدس الله سره: عليك بحسن الظن بالصالحين ومحب محب محبهم، فهو من أعلى المراتب وأجل المواهب ولصاحبه سابقة وعناية وتخصيص وهداية وسوء الظن مذموم مطلقاً. وقال آخر: عليك بحسن الظن، فإنه دليل على نور البصيرة وصلاح السريرة وكفى به سبباً لحصول السعادة ونيل الدرجات، ومن فوائده فائدة يندرج فيها كل فائدة وهي أنه يورث حسن الخاتمة، وثمرته قد لا تظهر إلا عند خروج الروح فيفضي بصاحبه الى السعادة المتضمنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **(وهو علم الصديقين والمقربين)**، وعبارة القوت: واتفقوا على أنه علم الصديقين وأن من كان له نصيب منه فهو من المقربين فوق درجة أصحاب اليمين (**(أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور)** إلهي **(يظهر في القلب)** أي قلب العارف يقذفه فيه **(عند تطهيره)** من الأدناس المعنوية، وإليه يشير قوله تعالى ﴿وثيابك فطهر﴾ [المدثر: ٤] عند من فسر الثياب بالقلب وعند تزكيته أي تصفيته **(من صفاته المذمومة)**، وهذا القول من مختارات أقواله كما سبقت الإشارة إليه في أول الكتاب، وقال بعضهم: المكاشفة الحضور بنعت البيان من غير افتقار إلى تأمل البرهان، فأضيف العلم إليه. وقال الشيخ الأكبر: قد تطلق المكاشفة بإزاء تحقيق الأمانة بالفهم وبإزاء تحقيق زيادة الحال وبإزاء تحقيق الإشارة، **(وتنكشف من ذلك النور)** أي تتجلى له **(أمور)** تخلقاً وتحققاً **(كان يسمع من قبل)** ذلك **(أسماءها)**

المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه، وبصفاته الباقيات التامّات، وبأفعاله، وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا، والمعرفة بمعنى النبوّة والنبي، ومعنى الوحي، ومعنى الشيطان، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين، وكيفية معاداة الشياطين للإنسان، وكيفية ظهور الملك للأنبياء، وكيفية وصول الوحي إليهم، والمعرفة بملكوت السموات والأرض، ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب

نقلاً وتقليداً (**فيتوهم لها**) بحسب فهمه (**معاني مجملة**) غير مفصلة من غير تحقق فيها (**غير مفصحة**) عن أسرارها. وفي نسخة غير متضحة أي لغموضها ودقتها (**فتتضح**) وتنجلي (**إذ ذاك**) بعد تحققه بهذا العلم (**حتى تحصل**) له (**المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى**) وحقيقته (**وبصفاته التامات**) أي الكمالات الذاتية الثبوتية والسلبية والإضافية وغيرها (**وبأفعاله**) أشار بذلك إلى توحيد الذات والصفات والأفعال (**وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة**) وما فيهما من الأسرار العجيبة (**ووجه ترتيبه للدنيا على الآخرة**) وكونها مزرعة لها ومنظرة إليها، (**والمعرفة بمعنى النبوة والنبي و**) يندرج فيه معرفة (**معنى الوحي**) وأقسامه ودرجاته الآتي بيانها في آخر الباب السابع (**ومعنى لفظ الملائكة**) حملة الوحي وأقسامهم (**والشياطين**) ومراتبهم، وكيفية معاداة الشيطان للإنسان وما سببها وكيف التحرز منهم (**و**) يندرج في معنى الوحي وحامله معرفة (**كيفية ظهور الملك للأنبياء**) على الصور المختلفة ومخاطبتهم ومحادثتهم، (**وكيفية وصول الوحي إليهم**) وينتقل منه (**إلى المعرفة بملكوت السموات والأرض**) أي بحقيقة الأجرام العلوية وأنها خادمة مستغنى عنها وما فيها من الملائكة الموكلين بها والكواكب التي خلقت فيها زينة لها وهداية لخلقه وعلامات لحكم إلهيته، وكذلك الأرض التي جعلها الله مقراً لعباده وبما فيها مما أودعه فيها من العجائب لا كما تزعم الفلاسفة من أمور مخرومة القواعد كبيرة المفاسد، ويندرج فيها معرفة الخلق وسر التخليق مما تحار فيه العقول (**و**) يرجع بعد هذا إلى (**معرفة القلب**) الذي هو أنموذج لتلك العوالم وما فيه من العجائب (**و**) حينئذ تنكشف له (**كيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه**) في تعميره بالأنوار والفيوضات وإفساده بالكلام والأوصاف الذميمة ويندرج فيه (**معرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان**)، ففي بعض الأخبار أن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق، وأما لمة الشيطان فإيعاذ بالشر وتكذيب بالحق، ثم قرأ ﴿**الشيطان يعدكم الفقر**﴾ الآية [البقرة: ٢٦٨]. وقال بعض الحكماء: إن ولي الله إذا أتته لمة الشيطان انزعج لذلك ورأى ببصيرته ظلمة ووجد روعة، فإذا أتته لمة الملك انشرح صدره، وأولياء الشيطان بخلافه، ويندرج في هذا معرفة الخاطر الذي يعرض من جهة الهوى، (**و**) يتدرج بعد هذا إلى (**معرفة**) دار (**الآخرة**) وعالمها وعجائبها ويندرج في هذا العلم معرفة (**الجنة والنار**) وما لهما من الأحكام، (**و**)

القبر والصراط والميزان والحساب، ومعنى قوله تعالى: ﴿اقرأ كِتابَكَ كَفَى بنفسِك الْيومَ عليْك حَسِيباً﴾ [الإسراء: ١٤] ومعنى قوله تعالى: ﴿وإنَّ الدَّار الآخِرَة لهي الحيوان لو كانُوا يَعْلمون﴾ [العنكبوت: ٦٤] ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم، ومعنى القرب منه والنزول في جواره، ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين، ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدري في جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله، إذ للناس في معاني

ينكشف له هنا معرفة (**عذاب القبر**) الذي هو البرزخ بين العالمين، (**و**) يندرج في عالم الآخرة معرفة أسرار (**الصراط والميزان والحوض والحساب**) بكيفية المرور عليها واختلاف أحوال المارين، (**و**) بحقيقة وزن الأعمال وما فيه من الأسرار وبحقيقة الحوض ومعرفة من يرد ممن يذاد عنه وبحقيقة الحساب وكيفيته ومن يؤتى كتابه باليمين أو بالشمال، وحينئذ تنكشف له أسرار جلة من القرآن خصوصاً (**معنى قوله تعالى: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**) [الإسراء: ١٤] أي محاسباً كالجليس بمعنى الجالس وقد يعبر عن المكافىء بالحساب وقوله: ﴿كفى بالله حسيباً﴾ أي محاسباً لهم لأنه لا يخفى عليه من أعمالهم شيء (**ومعنى قوله تعالى: وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**) [العنكبوت: ٦٤] الحيوان في الأصل مقر الحياة، ثم يقال باعتبارين. أحدهما: ما له حاسة كالحيوانات الحساسة، والثاني: ما له بقاء سرمدي وهو ما وصفت به الآخرة في قوله ﴿لهي الحيوان﴾ ونبه بجر في التأكيد بأن الحيوان الحقيقي السرمدي الذي لا يفنى لا ما يبقى مدة ثم يفنى، وقيل: الحيوان يقع على كل شيء حي ومعناه من صار إلى الآخرة أفلح ببقاء الأبد (**و**) يندرج في عالم الآخرة (**معرفة لقاء الله عز وجل**) ومعنى (**النظر إلى وجهه الكريم**) ولذته (**و**) معنى (**القرب منه والنزول في جواره و**) معرفة معنى (**حصول السعادة**) الأبدية المعبر عنها بثمانية أشياء، كما تقدمت الإشارة إليه (**بمرافقة الملأ الأعلى**) والملأ جماعة تملأ العيون رواء والقلوب جلالة وبهاء (**ومقارنة الملائكة**) فيه تخصيص بعد تعميم (**والنبيين**) والصديقين (**و**) معرفة (**معنى تفاوت درجات أهل الجنان**) على اختلاف منازلهم (**حتى يرى بعضهم البعض كما يرى**) أحدنا (**الكوكب الدري**) أي المضيء (**في جو السماء وإلى غير ذلك مما يطول تفصيله**) فمما يندرج فيما ذكره علم العلوم التي تخلع على أهل الجنة إذا دخلوها وأهل النار إذا دخلوها، وقليل من يكاشف بهذا العلم في هذه الدار وعلم أحكام العوالم التي تحت الأرض السابعة ومعرفة أحكامهم وطبائعهم، وعلم أحكام الملائكة السفرة ومعرفة أماكنهم في السموات ومعرفة علم أسباب العداوات، وعلم كيفية الأفلاك العلوية وهل السماء أكرة في خيمة أو خيمة في أكرة أو تشبه ذلك، وهل تدور الأرض بدورانها أم لا، وهل النجوم

....

سائرة تسري في السماء والسماء ساكنة أو السموات دائرة بما فيها ، وقليل من يكاشف بما الأمر عليه في نفسه ، وعلم المشيئة الإلهية وكيف قبلها الوعيد في عدم الخلود دون الوعد ، مع أن النصوص القطعية قد جاءت بعدم خروج الكفار من النار ، وعلم شهود سريان الجنة في أجسام الموحدين وسريان النار في أجسام المشركين ، وعلم أسباب الطرد عن دخول حضرة الله ، وعلم المشاهدات للأعمال الصالحة الصادرة من العبد ، وعلم أحكام الرؤية ، وكيف صح للبشر مع غلظ حجابه ، وعلم شهود الموت لسائر الجواهر والأعراض من جميع ما تضمنته هذه الدار ، وعلم معرفة أصناف المعذبين من هذه الأمة ومعرفة من يعذب في الدنيا والآخرة ومن يعذب في الآخرة فقط وعلم الإلهام والنفث في الروع ، وعلم معرفة آداب الملائكة مع ربهم ، وعلم معرفة الشهود العام ومنه يعرف أن الوجود السفلي مرآة للعالم العلوي وعكسه ، ومنه يشهد العبد الجسم الواحد في مكانين وفي ألف ألف مكان فيجد له صورة في كل ذرة ولا يشهد صورة أحق به من صور ، وعلم انتقالات الأرواح في البرزخ ، وعلم مراتب الأعمال وشروطها وأركانها وسننها في حضرة الإسلام وحضرة الإيمان وحضرة الإحسان وحضرة الإيقان ، وحضرة إسلام الإسلام ، وحضرة إيمان الإيمان ، وحضرة إحسان الإحسان ، وحضرة إيقان الإيقان ، وعلم معرفة الدوائر الإلهية ومعرفة كتابها وكيف يكتبون ، وعلم معرفة الأعمال التي يتوصل منها إلى معرفة منطق الطيور ، وعلم الاستحالات الكونية في سائر أحوالها ، وعلم التنزلات على القلوب والأبصار والأسماع ، ومعرفة العلوم الخاصة بكل لطيفة من هذه الثلاث ، وعلم آداب المعارج الروحية في حال الصلاة وما يصل إليه كل مؤمن في معراجه القلبي من الأماكن السماوية ، وعلم آداب تلقي الملائكة المصاحبين للخواطر ، وعلم الحياة والإحياء ، وعلم أمهات عقائد الخلق من سائر الموحدين ، وعلم آداب الجلوس على المنصات الإلهية حال التشهد في الصلاة وهي مائة ألف خصلة ، وعلم التجليات الليلية والنهارية ومعرفة آدابها وهو خاص بأهل المراقبة ، وعلم خواص الأسماء الإلهية وبيان أن كل إسم منها له خواص وإن كان في كل إسم قوة جميع الأسماء وأنها كلها ترجع إلى الاسم الله وهو علم شريف ، وعلم جواهر القرآن ودرره ، وعلم تلوينات النفوس والقلوب والأسرار ، وعلم الكشف الإلهي وتمييزه من الكشف الشيطاني وسائر مراتبه ، وعلم ما ينفرد به الحق تعالى من العلم دون عباده ، وعلم ما ينفرد به النبي دون الولي والولي عن غيره من مسائل العبادات والمعاملات ، وعلم منازل أهل القربة والآداب المتعلقة بها ، وعلم مقامات الرسل وما يتميز بها عن غيره ، وعلم حضرات الأسماء ، وعلم الأخلاق الإلهية ، وعلم آداب العبودية ، وعلم علامات الساعة وهي ألف علامة كبرى ، وعلم أصناف المقربين من جميع العالم حتى مراتب الجمادات ، كما أشار إليه الحديث « أحد جبل يحبنا ونحبه » وعلم تطورات الأعمال الحسنة والقبيحة ، وعلم أحكام الجنود في السموات والأرض ، وعلم الحياة الدنيا ولماذا اختصت الدار الآخرة باسم الحيوان ، مع أن الدنيا مثلها في هذه الصفة عند أهل الكشف ، فهذه وأمثالها علوم شريفة لا تنكشف حقائقها إلا لمن قذف له نور اليقين في قلبه ، وكل هذه العلوم داخلة في قسم علم المكاشفة ، **(إذ للناس في)** معرفة

هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى، فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذي أعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء. وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها، وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته، وبعضهم يدعي أموراً عظيمة في المعرفة بالله عز وجل، وبعضهم يقول حد معرفة الله عز وجل ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام: وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم، فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحاً يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه، وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها

(معاني هذه الأمور بعد التصديق) الجازم **(بأصولها مقامات)** ومراتب **(فبعضهم يرى)** ويعتقد **(أن جميع ذلك أمثلة)**، وذلك أنه لما رأى أنه لا يدرك شيء منها بقياس ولا يتصور بواسطة لفظ، ولا يحمل عليه حقيقة، وذلك لغرابتها وكثرة غموضها ودقة معناها وخروجها عن الحدود المألوفة ومباينتها لكل ما نشأوا عليه، ولم يشاهدوا غيره من المحسوسات ومعقولات وضروريات ونظريات، **(وأن الذي أعده الله)** وهيأ **(لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء)** فقط. قال المصنف في الإملاء ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليس عند الناس من علم الآخرة إلا الأسماء، **(وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها، وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته)** ويقول العجز عن درك الإدراك إدراك، وهذه المقالة قد حكيت من حضرة الصديق رضي الله عنه ولفظه: العجز عن الإدراك إدراك، **(وبعضهم يدعي أموراً عظيمة في المعرفة بالله)** على قدر المقام الذي أقيم فيه وبحسب الفيض الذي أفيض عليه، **(وبعضهم يقول حد معرفة الله عز وجل ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام، وهو)** معرفته بذاته وصفاته **(أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم)** ويقتصر على ذلك، **(فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء)** وينكشف الحجاب الظلماني ثم النوراني **(حتى يتضح عنده)** ما هو **(الحق)**. وفي نسخة حتى تتضح جلية الحق **(في هذه الأمور اتضاحاً يجري مجرى العيان)** والمشاهدة **(الذي لا يشك فيها)** ولا يمترى وهو مرتبة حق اليقين، وقد ذكر خمسة أقوال في هذا المجال. **الأول:** أن جميع ذلك أمثلة من غير حقيقة، **والثاني:** أن بعضها أمثلة وبعضها حقائق. **والثالث:** أنه لا يعرف كنه ذلك من حيث الإحاطة لعجز عقول البشر، **والرابع:** الادعاء بالمعرفة من حيث الحقائق. **والخامس:** الاقتصار على ما انتهى إليه اعتقاد العوام، ثم قال: ولا يرفع الغطاء عن هذه الأمور ويبين الحق على ما في نفس الأمر إلا من رزق علم المكاشفة، **(وهذا ممكن في جوهر الإنسان)**

وخبثها بقاذورات الدنيا ، وإنما نعني بعلم طريق الآخرة : العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله ، وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم ، فبقدر ما ينجلي من القلب .ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ، ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها ، وبالعلم والتعليم ، وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله ، وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة ، وبطريق الأسرار ، وهذا هو العلم

لما فيه من القابلية الذاتية التي أودعها **(لولا أن مرآة القلب)** المنيرة **(قد تراكم صدؤها وخبثها)** أي وسخها **(بقاذورات الدنيا)** أي نجاساتها ، وفي حكم ذلك الاشتغال بالأعمال التي ليس للآخرة فيها نصيب ، **(وإنما معنى علم طريق الآخرة)** ، وفي نسخة وإنما نعني بتعلم طريق الآخرة **(العلم بكيفية تصقيل هذه)** المرآة **(عن هذه الخبائث)** والأدناس **(التي هي الحجاب)** المانع **(عن الله تعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله)** كما هي وأسرارها وما يترتب عليها ، **(وإنما)** يتم **(تصفيتها وتطهيرها بالكف)** أي المنع والاحتماء **(عن الشهوات)** التي للنفس فيها تمام الحظ ، وفي نسخة عن الشبهات وهذا هو التخلي **(والاقتداء بالأنبياء)** عليهم السلام أي اتباع طريقتهم **(في جميع أحوالهم)** وهذا هو التحلي **(فبقدر ما ينجلي)** وينكشف **(من القلب ويحاذي)** أي يقابل **(به شطر الحق)** نحوه **(تتلألأ فيه)** أي تظهر وتلمع **(حقائقه)** أي العلم المذكور ، **(ولا سبيل إليه)** أي إلى انجلاء قلبه **(إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها)** أي بإذابة النفس في المجاهدات وتذليلها ولها آداب وشروط يأتي بيانها في هذا الكتاب **(في موضعه)** اللائق به **(وبالتعلم)** من مرشد حق على حد قوله :

ولا بد من شيخ يريك شخوصها

وفي نسخة : وبالعلم والتعليم **(وهذه هي العلوم التي)** أمر بكتمانها وأنها **(لا تسطر في الكتب)** لأنها علوم ذوقية كشفية تدرك عن مشاهدة لا عن دليل وبرهان ، ولان المسطور في كتاب يقع في يد الأهل وغير الأهل ، فإن لم يكن أهلاً لمعرفته يقع في حيرة عظيمة تترتب عليها مفاسد **(ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله)** وإلاَّ فقد وضع الشيء في غير محله ، وقد نهى عن ذلك ، **(وهو)** أيْ أهله **(المشارك فيه)** بذوقه السليم وفهمه المستقيم ويكون ذلك التحدث **(على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار)** .

وقال المصنف في كتابه **(المنقذ من الضلال)** : إنما يجب على العلماء بيان ما تبين لهم من الحق لا ما لا يتبين لهم ، وليس أن يبينوا لكل أحد ما بيّن لهم الحق إنما يبينون لكل أحد ما يبلغه عقله وينتفع به لا غير اهـ .

الخفي الذي أراده ﷺ بقوله: « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالماً آتاه الله تعالى علماً منه، فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه ».

وقال الشيخ الأكبر قدس سره في رسالة أرسلها إلى الشيخ فخر الدين الرازي يقول فيها: وأيضاً فإن العلم بالله خلاف العلم بوحدانيته، وغاية المعقول أن نعرف الله تعالى من حيث كونه موجوداً، أو من حيث السلب والاثبات، وهو خلاف ما عليه الجماعة أصحاب المقامات العلية من العقلاء والمتكلمين إلاَّ سيدنا أبا حامد الغزالي قدس الله سره وروحه، فإنه معنا في هذه القضية، والله تعالى أجل أن يعرفه العقل بفكره وينظره، ولذلك ينبغي للعالي الهمة ان لا يكون تلقيه عند هذا من عالم الخيال وهي الأنوار المتجسدة الدالة على معان وراءها، فإن الخيال من شأنه ان ينزل المعاني العقلية في القوالب الحسية يريك العلم في صورة اللبن، والقرآن في صورة الجبل، والدين في صورة القيد، ثم قال: وينبغي للعاقل أن لا يطلب من العلوم إلا ما تكمل به ذاته وينتقل معه إلى الدار الآخرة ليتأهب لها من هذه الدار بالإيمان والتسليم والخوف إلى آخر ما قال. (**وهذا هو العلم الخفي الذي أراده ﷺ بقوله: « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار به فلا تحقروا**) بكسر القاف مخففاً من حد ضرب (**عالماً آتاه الله علماً فإن الله لم يحقره إذ آتاه العلم »**).

قال العراقي: رواه أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي في الأربعين التي جمعها في التصوّف من رواية عبد السلام بن صالح، عن سفيان بن عيينة، عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله عز وجل، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرّة بالله عز وجل » ومن طريق السلمي رواه الديلمي في مسند الفردوس، وعبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي ضعيف جدّاً اهـ.

قلت: وأورده السيوطي في اللآلىء المصنوعة فقال: أخرجه الطيسي في ترغيبه فقال: أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن أبو علي حامد بن محمد الرفاء، أخبرنا نصر بن أحمد، حدثنا عبد السلام بن صالح فساقه. وزاد بعد قوله: إلا أهل الاغترار بالله إن الله جامع العلماء يوم القيامة في صعيد واحد فيقول: إني لم أودعكم علمي وأنا أريد أعذبكم. وأورده كذلك في كتابه تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية من هذه الطريق إلا أن فيها: إلا أهل الغرة بالله عز وجل كما عند السلمي اهـ.

ثم قال: وهذا اسناد ضعيف. وعبد السلام بن صالح كان رجلاً صالحاً إلا أنه شيعي وهو من رجال ابن ماجه، وقد اختلف فيه فقال أبو حاتم لم يكن عندي بصدوق، وقال العقيلي: رافضي خبيث، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: رافضي متهم. وقال عباس الدهري: سمعت يحي يوثق أبا الصلت، وقال ابن محرز، عن يحي ليس ممن يكذب، وأثنى عليه أحمد بن

(وأما القسم الثاني) : وهو علم المعاملة ، فهو علم أحوال القلب : أما ما يحمد منها

يسار في تاريخ مرو ، وقال السيوطي : فالحاصل أن حديثه في مرتبة الضعيف الذي ليس بموضوع. قال : وقد أورد القطب القسطلاني هذا الحديث في كتاب له في التصوّف وقال : إن له شاهداً من مرسل سعيد بن المسيب اهـ .

قال العراقي : وأما آخر الحديث فرواه أبو عبدالله الحسين بن فنجويه الدينوري في كتاب المعلمين من رواية كثير بن سليم عن أنس ، فذكر حديثاً طويلاً فيه ثم قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول : لا تحقروا عبداً أعطيته علماً فإني لم أحقره حين وضعت ذلك العلم في قلبه ». وكثير بن سليم ضعيف اهـ .

قلت : وأخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة طلحة بن زيد من حديث أبي موسى الأشعري رفعه « إن الله تبارك وتعالى يقول لا تحقروا عبداً آتيته علماً فإني لم أحقره حين علمته » . وطلحة بن زيد متروك . قال السيوطي : وقد أخرجه الطبراني من طريق صدقة بن عبدالله ، عن طلحة بن زيد به .

قلت : ووجدت في كتاب تأليف الشيخ صفي الدين أبي عبدالله الحسين بن علي بن أبي المنصور ظافر بن الحسين الازدي نازل القرافة في ترجمة شيخه عتيق الدمشقي أنه كان مع شيخه أبي النجاء بالموصل ، وذكر اجتماعه بقضيب البان ، فسأله عن الشيوخ الذين رآهم حال سياحته من المغرب ، فكان يقول : قضيب البان عند ذكر رجل منهم هذا وزنه كذا ، حتى ذكر شيخاً مشهوراً ببلاد المشرق فقال له عند ذكره من الرجال من يرفع صيته ما بين المشرق والغرب ولا يساوي عندالله جناح بعوضة ، ثم قال : قضيب البان يا أبا النجاء أن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله ولا ينكره إلا أهل الغرة[1] تمم هذا الحديث قال له الشيخ : ما أعرف له تماماً . قال قضيب البان : تمامه : فلا تحقرن عبداً آتاه الله علماً فإن الله لم يحقره حين آتاه ذلك العلم ، وودع الشيخ ومضى وسافر اهـ .

قلت : وهذا الذي ذكره قضيب البان قد جاء في الخبر كما في القوت : إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة .

(وأما القسم الثاني : وهو علم المعاملة) فهو علم أحوال القلب مما يحمد منها ويذم ، قد سبق أن العلم منه المحمود والمذموم والمأمور بطلبه من العلوم قسمان . علم الله ، وعلم بأحكام الله ، ثم أحكام المكلفين على ضربين ظاهر وباطن ، والباطن على قسمين مكاشفة ومعاملة ، فلما فرغ من بيان علم المكاشفة شرع في بيان علم العاملة ، وقسمه كذلك على قسمين محمود ومذموم ، وذلك لأن علم المعاملة عبارة عن علم بالنفوس ومراتبها وتمامها ونقصها ومحاسنها ومعايبها ، ولاجل هذا قال تعالى : ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات : ٢١] وكانت أحكام النفوس منحصرة في

(١) هكذا في الأصل .

كالصبر ، والشكر ، والخوف ، والرجاء ، والرضا ، والزهد ، والتقوى ، والقناعة ، والسخاء ، ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال والإحسان، وحسن الظن ، وحسن الخلق ، وحسن المعاشرة ، والصدق ، والإخلاص ، فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة ، وأما ما يذم ، فخوف الفقر ، وسخط المقدور ، والغل ، والحقد ، والحسد ، والغش ، وطلب العلو ، وحب الثناء ، وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر ، والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء ، والطمع ، والبخل ،

وصفين. إما ازالة النقص أو تحصيل الكمال ، فالأوّل : داخل في المذموم نظراً إلى تلك الأوصاف التي أمر بإزالتها . والثاني : هو المحمود . وقدم المصنف ما يحمد منها الذي يحصل به الكمال على ما يذم نظراً إلى ظاهر الأوصاف ولشرفها وإلاً فكان اللائق تقديم ما عنه يتخلى السالك على ما به يتحلى ، فقال : **(أما ما يحمد منها)** أي يستحق الثناء على الاتصاف بها . وبه تحصيل كمال كل سالك **(فكالصبر والفكر)** ، وفي نسخة : والشكر بدل الفكر **(والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحول والاحسان)** وفي نسخة : والإحساس بدل والإحسان ، **(وحسن الظن ، وحسن الخلق ، وحسن المعاشرة ، والصدق ، والإخلاص)** وهي ستة عشر ، ولكل من ذلك مراتب وأقسام يأتي تفصيلها وبيانها في مواضعها ، ويلحق بها أيضاً مثل مجاهدة النفس ، والورع ، واليقين ، والتوكل ، والتفويض ، والتسليم ، والاحتساب في الأعمال ، وسلامة الصدر ، والمبادرة للأمر ، والمراقبة ، والمحاسبة ، وحسن الطاعة لله تعالى ، وحسن المعرفة بالله تعالى ، فهذه وأشباهها داخلة في حد المحمود من علم المعاملة . قال : **(فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها)** التي تتميز بها عن غيرها **(وأسبابها)** الظاهرة والباطنة **(التي بها تكتسب)** وتحصل **(و)** معرفة **(ثمراتها)** الحاصلة منها **(و)** معرفة **(علاماتها)** الدالة عليها **(و)** معرفة طرق **(معالجة ما ضعف منها)** بحسب ضعف السالك **(حتى يقوى)** ذلك الحال **(وما زال)** كذلك **(حتى يعود من علم الآخرة ، وأما ما يذم)** منها ويسترذل عند أهل الحق **(فخوف الفقر)** ومنشؤه عدم اليقين بالله عز وجل ، **(وسخط المقدور)** ومنشؤه عدم التحلي بمقام الرضا ، **(والغل)** هو تدرع الخيانة ، **(والحقد)** هو الانطواء على العداوة ، **(والحسد)** تمني زوال نعمة الغير ، **(والغش)** عدم الامحاض في النصيحة ، **(وطلب العلو)** والارتفاع والتميز عن الاخوان ، **(وحب الثناء)** لنفسه ، **(وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع)** بها والاشتغال بشهواتها ولذاتها ، **(والكبر)** على اخوانه في سائر أحواله ، **(والرياء)** في الأحوال والأفعال والأقوال ، **(والغضب)** هو ثوران دم القلب ارادة الانتقام ، **(والانفة)** محركة هي الحمية بغير الحق ، **(والعداوة)** لأجل أمور الدنيا ، **(والبغضاء)** هو نفار النفس عن الشيء الذي يرغب عنه ، **(والطمع)** نزوع النفس إلى شيء شهوة له ، **(والبخل)** وهو إمساك المال عن مستحقيه ،

والرغبة، والبذخ، والأشر، والبطر، وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس، والمباهاة، والاستكبار عن الحق، والخوض فيما لا يعني، وحب كثرة الكلام، والصلف، والتزين للخلق، والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس، وزوال الحزن من القلب، وخروج الخشية منه، وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل، وضعف الانتصار للحق، واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر، والأمن من مكر الله سبحانه وتعالى في سلب ما أعطى، والاتكال على الطاعة، والمكر والخيانة والمخادعة وطول الأمل، والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالمخلوقين، والوحشة لفراقهم والجفاء، والطيش والعجلة، وقلة الحياء، وقلة

(**والرغبة**) هي السعة في الارادة، وقد تطلق على الحرص والشدّة، (**والبذخ**) محركة هو التطاول بالكلام والافتخار، (**والأشر**) محركة هو كفر النعمة، (**وتعظيم الأغنياء**) لأجل غناهم، (**والاستهانة**) أي الإذلال (**بالفقراء**) لأجل فقرهم، (**والفخر**) بالأحساب والأنساب، (**والْخُيَلاء**) بضم ففتح ممدوداً هو التكبر عن تخيل فضيلة تتراءى للإنسان في ضمير نفسه، (**والتنافس**) هو التعالي وقد يكون محموداً فيراد به مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر على غيره ويسمى حينئذ المنافسة، (**والمباهاة**) أي المفاخرة بما عنده من المال أو العلم والجاه، (**والاستكبار**) أي التأنف (**عن**) قبول (**الحق**) ومنشؤه من الاعجاب، (**والخوض فيما لا يعني**) أي لا يكون مقصوداً مهتماً بشأنه، (**وحب كثيرة الكلام**) في المجالس، (**والصلف**) محركة هو التيه، (**والتزين للخلق**) أي لاجل إرادتهم سواء كان في العادات أوالعبادات، (**والمداهنة**) أي الملاينة، (**والعجب**) بالضم تصوّر استحقاق رتبة لا يكون مستحقاً لها، (**والاشتغال عن عيوبه بعيوب الناس**) ومنشؤه الغفلة والاعجاب، (**وزوال الحزن من القلب**) ومنشؤه من عدم الاهتمام بأمور الآخرة، (**وخروج الخشية منه**) ومنشؤه من عدم التقوى، (**وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل**) من أحد وهو الانتصاف وارادة الانتقام، (**وضعف الانتصار للحق**) وعدم المبالاة به، (**واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر**) أي الباطن، (**والأمن من مكر اللهِ في سلب ما أعطى**) من نعمة ظاهرة أو باطنة، والمكر من جانب الحق هو ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الأدب، والاتكال على الطاعة ومنشؤه من غرور النفس، (**والمكر**) هو اعمال الحيلة في هدم بناء باهر، (**والخيانة**) هي مخالفة الحق بنقض العهد في السر، (**والمخادعة**) هو اظهار خلاف ما أبطنه، (**وطول الأمل**) في توقع حصول الشيء والأمل يستعمل فيما يستبعد حصوله بخلاف الطمع والرجاء بينهما، (**والقسوة والفظاظة**) هما مترادفان بمعنى غلظة القلب، (**والفرح بالدنيا**) وأحوالها مع الركون إليها، (**والأسف**) محركة أي التحسر (**على فواتها**) وعدم إدراكها، (**والانس بالمخلوقين**) ويدخل فيه عشق الصور الملاح ومنشؤه الغفلة، (**والحجاب والوحشة**

الرحمة؛ فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة. وأضدادها ـ وهي الأخلاق المحمودة ـ منبع الطاعات والقربات، فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة، وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة، فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة، كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا، فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا، وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة. ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الإخلاص مثلاً أو عن التوكل أو عن وجه

لفراقهم) وهو من لازم الأنس بهم، فإن من أنس بشيء استوحش عند فراقه، **(والجفاء)** هو ترك الرفق في الأمور، **(والطيش)** هو الخفة، **(والعجلة)** أي في الأمور المذمومة، **(وقلة الحياء)** ومنشؤها من ضعف الإيمان، **(وقلة الرحمة)** ومنشؤها من قساوة القلب. **(فهذه)** سبعة وخمسون حالاً في ازالتها عن القلب تحصيل عين الكمال. **(وأمثالها)** من الحرص والقحة وسوء الخلق واتباع الهوى والركون إلى الدنيا والتجبر والظلم والعناد والبغي وغمض الحق والغيبة والنميمة وطلب المغالبة بالباطل والإنكار على أهل الله والاعتراض في المقادير، وغير ذلك مما سيأتي شرحه في ربع المهلكات **(من صفات القلب)** وأحواله التي تعتريه وتعرضه **(مغارس الفواحش)** أي بسببها تنبت فيه الفواحش. أي: القبائح وكل شيء جاوز الحد فهو فاحش، والمغارس: جمع مغرس على القياس أو جمع غرس، **(ومنابت الأعمال المحظورة)** أي الممنوعة شرعاً **(وأضدادها وهي الأخلاق المحمودة)** شرعاً **(منابع الطاعات والقربات)**. وفي تخصيص الغارس والمنابت بالاخلاق المذمومة والمنابع لأضدادها حسن لا يخفى على المتأمل، **(فالعلم بحدود هذه الأمور و)** معرفة **(حقائقها وأسبابها وثمرتها وعلاجها)**، ولم يذكر العلامات اكتفاء أو لوضوحها بخلاف الأحوال المحمودة **(هو علم الآخرة)** المأمور بمحافظته، **(وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة)** لا يتكلمون إلا فيها، وإذا أشكل في شيء منها يبادرون في تفسيرها، **(فالمعرض عنها)** إلى غيرها **(هالك بسطوة مالك الملك)**. وفي نسخة الملوك. وفي أخرى ملك الملوك **(في الآخرة كما ان المعرض من الأعمال الظاهرة)** من صلاة وصيام وحج وزكاه **(هالك بسيف سلاطين الدنيا)** إذا أنكر شيئاً منها **(بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى صلاح)** أمور **(الدنيا)** ونظامها على وجه الاستدلال والسوية، **(و)** النظر **(في هذا بالإضافة إلى صلاح أمور الآخرة)** وانتظامها. **(ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني)** المذكورة **(حتى عن الاخلاص مثلاً)** الذي هو شرط في الأعمال ويتعلق غرضهم به في الأغلب وهو أوّل أحوال فقيه الآخرة وآخر أحوال فقيه الدنيا، **(أو عن التوكل)** الذي هو من الأمور الظواهر عندهم **(أو عن وجه الاحتراز عن الرياء)** في الأعمال **(لتوقف فيه)** عن الخوض **(مع أنه فرض عينه الذي**

الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الآخرة، ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها، وإن احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها، فلا يزال يتعب فيها ليلاً ونهاراً وفي حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين، وإذا روجع فيه قال: اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه، والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين، بل قدم عليه كثيراً من فروض الكفايات؛ فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه، ثم لا نرى أحداً يشتغل به، ويتهاترون

في إهماله وتركه هلاكه في الآخرة ولو سألته عن) مسألة في (**اللعان والظهار**) والسلم والإجارة والشفعة (**والسبق والرمي**) وما أشبه ذلك (**لسرد عليك**) أي إملاء من حفظه ما يكون (**مجلدات**) أن جمع (**من التفريعات**) الغريبة (**الدقيقة**) بحيث تحير العقول (**التي تنقضي الدهور**) وتمر الاعصار (**ولا يحتاج إلى شيء منها**) لأنها لم تقع (**وإن احتيج**) إليها بفرض الوقوع (**لم يخل البلد عمن يقوم بها**) ويحررها (**ويكفيه مؤنة**) أي مشقة (**التعب فيها**) بالتحرير والنقل.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية ابن وهب قال: أخبرني موسى بن علي أنه سأل ابن شهاب عن شيءفقال: ما سمعت فيه بشيء وما نزل بنا. قلت: إنه قد نزل ببعض إخوانك فقال: ما سمعت فيه بشيء وما نزل بنا وما أنا بقائل فيه شيئاً اهـ. فهذا كله كان تحرز السلف في عدم الجواب لما لم يقع بهم (**فلا يزال يتعب فيها**) أي في تلك التفريقات الغريبة. وفي نسخة فيه (**ليلاً ونهاراً و**) يدأب (**في حفظه**) على الغيب (**ودرسه**) وتكراره (**ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين**) ومقصود لذاته فيه (**وإذا روجع فيه**) بالإنكار عليه فيما هو عليه (**قال**) في الجواب (**اشتغلت به**) كما ترى (**لأنه من**) مسائل الفقه وهو (**علم الدين**) المتفق عليه في ذلك (**وفرض على الكفاية ويلبس**) في جوابه أي يغطي ويشبه (**على نفسه وعلى غيره في تعلمه**) .وفي نسخة في تعليله وهذا ربما يروج عند الأغبياء (**و**) أما (**الفطن**) العاقل النبيه (**يعلم**) ويتحقق (**أنه لو كان**) هذا (**غرضه أداء حق الأمر**) المخاطب (**في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين**) واشتغل به ولكنه عرف ثم أنكر (**بل قدم عليه كثيراً من فروض**) توجهت عليه (**من الكفايات**) مما غيره ليس بقائم به في عصره مع شدّة الاحتياج إليه (**فكم من بلدة من بلاد الإسلام ليس فيها طبيب**) مطلقاً اللهم (**إلاَّ من أهل الذمة**) كاليهود والنصارى وعبدة الأوثان على إختلاف مللهم (**ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء**) في أحكام الفقه لفقدان الأمانة والعدالة (**ثم لا ترى رأساً أحداً يشتغل به**) أي

على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع، فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال ما لا قائم به؟ هـل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولي الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الأعداء؟ هيهات هيهات، قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء، فالله تعالى المستعان وإليه الملاذ في أن يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان، وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب: كان الإمام الشافعي رضي الله عنه

بالطب قراءة وتعلماً وفي نسخة: يستغل به (**ويتهاترون**) أي يتنافسون ويترامون بأنفسهم (**على**) تحصيل فروع (**علم الفقه**) وما يستنبط بها من النوادر التي لا تقع غالباً (**لاسيا الخلافيات**) فيه (**والجدليات**) التي الغرض منها الزام الخصم باقامة الحجة (**والبلد مشحون**) أي مملوء (**من الفقهاء ممن يشتغل بالفتوى**) أي يحمله استقلالاً (**والجواب عن الوقائع**) والنوازل، (**فليت شعري**) أي ليت عملي حاضراً أو محيطاً بما صنعوا وأصله شعرتي حذفت التاء مع الإضافة لكثرة الاستعمال (**كيفَ يرخص فقهاء الدين**) أي كيف يرون رخصة وجوازاً (**في الإشتغال بفرض كفاية قام به جماعة**) منهم (**وإهمال ما لا قائم به**) وتركه رأساً (**هل لهذا سبب**) لم نعلمه و(**ليس إلا أن**) علم (**الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولي الأوقاف**) قبضاً واستحقاقاً بنظارة أو تدريس أو تنزل في إحدى المدارس (**والوصايا**) أي الدخول فيها (**وحيازة مال الإيتام**) بأن يكون وصياً عليهم أو قيماً على أموره نظراً إلى ديانته (**وتقلد**) منصب (**القضاء**) العام والخاص، وقد كان السلف يفرون من ذلك (**و**) تقلد (**الحكومة**) والرئاسة على قوم (**والتقدّم به على الأقران**) والأصحاب، ويندرج فيه مشيخة الجوامع والخوانق والتسلط على الاعداء (**بأن ينتصف لنفسه منهم بجاه علمه هيهات هيهات**) وهي كلمة تستعمل لتبعيد الشيء ومنه قول الشاعر:

فهيهات هيهات العقيق ومن به ... وهيهات خل بالعقيق نواصله

وفيها لغات ذكرتها في شرح القاموس (**قد اندرس علم الدين**) وانطمس أثره (**بتلبيس علماء السوء**) وتخليطهم وتصويرهم الباطل بصورة الحق، (**فالله المستعان**) لا غيره (**وإليه اللياذ أي الالتجاء وأصله اللواذ. في بعض النسخ الملاذ** (**في أن يعيذنا**) أي يخلصنا (**من هذا الغرور**) وهو سكون النفس بما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع (**الذي يسخط الرحمن**) ويغضبه (**ويضحك الشيطان**) ويعجبه ثم لما أحس بأن أهل الظاهر ينكرون ذلك وأشباهه على من يعظهم من أهل الباطن وينسبونهم إلى الجهل شرع في الرد عليهم، فقال: (**وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب**)، وهذه العبارة منتزعة

يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله: كيف يفعل في كذا أو كذا؟ فيقال له: مثلك يسأل هذا البدوي؟ فيقول: إن هذا وفق لما أغفلناه.

من القوت ونصه: وقد كان علماء الظاهر إذا أشكل عليهم العلم في المسألة لاختلاف الأدلة سألوا أهل العلم بالله لأنهم أقرب إلى التوفيق عندهم وأبعد من الهوى والمعصية. **(وكان الشافعي)** رحمه الله ونص القوت منهم الشافعي رحمه الله: كان إذا اشتبهت عليه المسألة لاختلاف العلماء فيها وتكافىء الاستدلال عليها رجع إلى علماء أهل المعرفة فسألهم، وكان **(يجلس بين يدي شيبان الراعي)** أحد الأولياء العارفين المشهورين بالصلاح والتقوى ترجمه الحافظ أبو نعيم باختصار جداً، وكذا الحافظ الذهبي وهذا نصه: شيبان الراعي عبد صالح زاهد قانت لله لا أعلم متى توفي ولا من حمل عنه ولا ذكر له أبو نعيم في الحلية إلا حكاية واحدة عن محمد بن حمزة المربضي قال: كان شيبان الراعي إذا أجنب وليس عنده ماء دعا فجاءت سحابة فأظلته فاغتسل منها، وكان يذهب إلى الجمعة فيخط على غنمه فيجيء فيجدها على حالتها اهـ.

قلت: مات بمصر ودفن بقرب المزني بينه وبين قبر الخياط أحد الصالحين، وزعم أهل أسيوط أنه مدفون عندهم، وقد زرته حين دخلت بها، وذكر المناوي في طبقاته: أن أبا علي بن سينا كاتب شيبان الراعي بما نصه الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود بأسره في نفسه، وما عليه الواجب فيما ينبغي أن يكتسبه بعلمه فتفوق بذلك نفسه، ويستكمل ويصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود ويستعد للسعادة القصوى في الآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية والعقل له مراتب وأسماء بحسب تلك المراتب، فالأوّل هو الذي استعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية والصنائع الفكرية وحدة غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، ثم يترقى في معرفة المستحيل، والممكن والواجب، ثم ينتهي إلى حد يقمع الشهوات البهيمية واللذات الحسية فتنجلي له صورة الملائكة إذا تحلى بحليها ويعلم بغايته وموضعه ولما خلق فأجاب من شيبان الإبله الألكن إلى الحبر أبي علي وصل كتابك مشتملاً على ماهية العقل وحقيقته، وقد ألفيته وافياً بمقصودك لا بمقصودي، وما أظنه أدرك شيبان ولا طبقة من روى عنه فتأمل ذلك، **(كما يقعد الصبي في المكتب بين يدي المعلم)** ونص القوت بين يدي المكتب، **(ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا)** لمسائل يذكرها **(فيقال له)** يا أبا عبدالله: **(تسأل هذا البدوي)** أي لأنه كان على هيئتهم ويرعى الغنم ولا يخالط الناس ومعرفة العلوم بعيدة عن مثلهم **(فيقول: إن هذا وفق لما أغفلناه)** وفي القوت: لما علمناه أي قد كشف له الغطاء، فصارت المعلومات عنده يقينية. وفي المقاصد للحافظ السخاوي: أنكر الإمام ابن تيمية اجتماع الإمام الشافعي مع شيبان الراعي فقال ما نصه: ما اشتهر بأن الشافعي وأحمد اجتمعا بشيبان الراعي وسألاه فباطل باتفاق أهل المعرفة، لانهما لم يدركاه اهـ.

أي: لم يدركا عصره لتقدم وفاته، وقد تقدم أن الذهبي قال: لا أعلم متى توفي وقد أثبت لقيهما إياه غير واحد من العلماء، ففي الفتوحات للشيخ الأكبر قدس سره ما نصه: لما سأله أحمد

وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ولم

والشافعي عن زكاة الغنم قال: على مذهبنا أو مذهبكم إن كان على مذهبنا فالكل لله لا نملك شيئاً، وإن كان على مذهبكم ففي كل أربعين شاة شاة، وعمن نسي صلاة من الخمس لا يدري ما هي ما يلزمه قال: هذا قلب غفل عن الله فيؤدب بإعادة الخمس حتى لا يغفل عن مولاه بعدها اهـ.

وزاد صاحب القوت وقد كان الشافعي اعتل علة شديدة وكان يقول: اللهم إن كان في هذا رضاك فزدني منه فكتب إليه المعافري من سوادمضر يا أبا عبدالله لست وإياك من رجال البلاء، فنسأل الرضا الأولى بنا أن نسأل الرفق والعافية فرجع الشافعي عن قوله هذا وقال: أستغفر الله وأتوب إليه فكان بعد ذلك يقول: اللهم اجعل خيرتي فيما أحب اهـ.

ثم قال صاحب القوت: (و) قد (**كان أحمد بن حنبل**) رحمه الله تعالى (و) أبو زكريا (**يحيى بن معين**) بفتح الميم وكسر العين المهملة ابن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن، وقيل: يحيى بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن بسطام، وقيل: يحيى بن معين بن عون بن زياد بن نهار بن خيار بن نهار بن بسطام المري الغطفاني البغدادي الحافظ مولى غطفان، وهو من أهل الأنبار قال أبو بكر الخطيب: كان إماماً ربانياً عالماً حافظاً ثبتاً متقناً. وقال أبو أحمد بن عدي: أخبرني شيخ كاتب ببغداد في حلقة أبي عمران بن الأشيب ذكر أنه ابن عم ليحيى بن معين قال: كان معين على خراج الري فمات فخلف لابنه يحيى ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فأنفقه كله على الحديث، حتى لم يبق له نعل يلبسه، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام انتهى العلم إلى أربعة. أبي بكر بن أبي شيبة أسردهم له، وأحمد بن حنبل أفقههم فيه، وعلي بن المديني أعلمهم به، ويحيى بن معين أكتبهم له، وفي رواية أخرى ربانيو الحديث أربعة فاعلمهم بالحلال والحرام أحمد بن حنبل وأحسنهم سياقة للحديث وأدائه ابن المديني وأحسنهم وضعاً لكتابته ابن أبي شيبة وأعلمهم بصحيح الحديث وسقيمه يحيى بن معين. وسئل أبو علي: من أعلم بالحديث ابن معين أو أحمد؟ فقال: أما أحمد فاعلم بالفقه والاختلاف، وأما يحيى فأعلم بالرجال والكنى. وقال هارون بن بشير الرازي كاتب ابن معين: استقبل القبلة رافعاً يديه يقول: اللهم إن كنت تكلمت في رجل وليس هو عندي كذاباً فلا تغفر لي، وقال أبو بكر محمد بن مهرويه: سمعت علي بن الحسين بن الجنيد يقول: سمعت ابن معين يقول إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة أكثر من مائتي سنة. قال ابن مهرويه: فدخلت على عبد الرحمن بن أبي حاتم وهو يقرأ على الناس كتاب الجرح والتعديل، فحدثته بهذه الحكاية فبكى وارتعدت يداه حتى سقط الكتاب من يده وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية، أو كما قال. ولد سنة ثمان وخمسين ومائة ومات بالمدينة لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وغسل على أعواد النبي ﷺ، وحمل على سريره ونودي بين يديه هذا الذي كان ينفي الكذب عن رسول الله ﷺ روى له البخاري ومسلم وأبو داود وروى له الباقون (**يختلفان**) أي يترددان (**إلى**) أبي محفوظ (**معروف**) ابن فيروز الكرخي من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره يقول البغداديون قبر معروف

يكن في الظاهر بمنزلتها وكانا يسألانه وكيف وقد قال رسول الله ﷺ، لما قيل له: كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب ولا سنّة؟ فقال ﷺ: «سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم». ولذلك قيل: علماء الظاهر زينة الأرض والملك، وعلماء الباطن

ترياق مجرب، وهو من موالي علي بن موسى الرضا مات سنة مائتين. وقيل: إحدى ومائتين. وكان استاذ السري السقطي كذا في رسالة القشيري، وقيل: في سنة أربع، والأول أصح والكرخ اسم لعدة مواضع، ومعروف من كرخ بغداد موضع بجانبه الغربي، وقيل: هو من كرخ حداق، وقد ذكرنا تفصيله في شرح القاموس وكان إماماً جليلاً زاهداً سمع الحديث من بكر بن خنيس، والربيع بن صبيح وعنه خلف بن هشام البزار، وله ترجمة واسعة في تاريخ الإسلام للذهبي، وفي الحلية **(ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتها)** أي لأنه غلب عليه الزهد، ونص القوت: ولم يكن يحسن من العلم والسنن ما يحسنانه، **(وكانا يسألانه)** عن المسائل زاد صاحب القوت، وحدثنا عن عبدالله بن أحمد قال: قلت لأبي: بلغني أنك كنت تختلف إلى معروف أكان عنده حديث فقال: يا بني كان عنده رأس الأمر تقوى الله عز وجل اهـ.

وقال الشعراني في الأجوبة المرضية عن العز بن عبد السلام في رسالته مما يدلك على أن القوم قعدوا على قواعد الشريعة وقعد غيرهم على الرسوم ما يقع على يد أحدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك على يد فقيه قط، ولو بلغ الغاية في العلم إلا أن سلك طريقهم واعتقد صحتها، وكان الشيخ قبل ذلك يقول: وهل ثم طريق أو علم غير ما بأيدينا من مسائل الشريعة وأصولها وينكر طريق الصوفية لعدم ذوقه لها واعتقاده فيها انها طريقة زائدة على الشريعة، فلما اجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي وأخذ عنه قال ما قال، وكان امام الحرمين ينكر على الصوفية أولاً ثم لما رأى البرهان اعتقدهم، ثم قال: وقد كان الإمام أحمد إذا أشكل عليه أمر سأل عنه أبا حمزة البغدادي ويقول ما تقول في هذه المسألة يا صوفي؟ فإذا قال له معناه كذا وكذا رجع إليه، وكان ابن سريج يتردد إلى مجلس الجنيد والشبلي ويقول: قد استفدت من هؤلاء علوماً لم أجدها عند غيرهم وكانوا إذا سألوه عن شيء من مشكلات الطريق التي يسمعها من الجنيد والشبلي يقول: لم أفهم منها شيئاً لكن صولة الكلام ليست بصولة مبطل اهـ.

وقال صاحب القوت قيل لأحد: لأي شيء ذكر هؤلاء الأئمة ووصفوا؟ فقال: ما هو إلا الصدق الذي كان فيهم. قيل له: ما الصدق؟ قال: هو الإخلاص. قيل له: فما الاخلاص؟ قال: الزهد، قيل: وما الزهد فأطرق ثم قال: سلوا الزهاد وسلوا بشر بن الحرث **(كيف لا)** والذي في القوت بعد قوله سلوا بشر بن الحرث، **(وقد قال ﷺ لما قيل له كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب الله ولا السنّة)** وفي نسخة في كتاب ولا سنّة فقال: في الجواب **(سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم»)** الشورى بالضم فعلى من الشورة.

قال العراقي فيه عن علي بن أبي طالب، وابن عباس. أما حديث علي فرواه الطبراني في

زينة السماء والملكوت. وقال الجنيد رحمه الله قال لي السري شيخي يوماً: إذا قمت من

الأوسط من رواية الوليد بن صالح، عن محمد بن الحنفية، عن علي قال: قلت يا رسول الله: إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهي فما تأمرنا؛ قال تشاور والفقهاء والعابدين ولا تمضوا فيه رأي خاصة. رجاله رجال الصحيح. ورواه ابن عبد البر في العلم من رواية ابراهيم بن أبي الفياض، عن سليمان بن بزيع، عن مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمضِ فيه منك سنة؟ قال: «اجمعوا له العالمين» أو قال: «العابدين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأي واحد». وفي رواية له: اجمعوا له العابدين من غير شك. قال ابن عبد البر: هذا حديث لا يعرف من حديث مالك إلا بهذا الاسناد، ولا أصل له في حديث مالك عندهم، ولا في حديث غيره، وابراهيم وسليمان ليسا بالقويين والله أعلم اهـ.

وقال ابن يونس: سليمان بن بزيع منكر الحديث، وابراهيم بن أبي الفياض روى عن أشهب مناكير.

وأما حديث ابن عباس فرواه الطبراني من رواية إسحاق بن عبدالله بن كيسان المروزي عن أبيه، عن عكرمة فذكر حديثاً قال فيه، قال علي يا رسول الله: أرأيت إن عرض لنا ما لم ينزل فيه قرآن ولم تمضِ فيه سنة منك؟ قال: «تجعلونه شورى بين العابدين من المؤمنين» الحديث. وعبدالله بن كيسان منكر الحديث قاله البخاري، وابنه إسحاق نسبه الحاكم، وقد ورد من وجه آخر مرسلاً رواه الدارمي في مسنده من حديث أبي سلمة أن النبي ﷺ سئل عن الأمر يحدث ليس في كتاب ولا سنة. قال: «ينظر فيه العابدون من المؤمنين» وهذا إنما يصح من قول ابن مسعود موقوفاً رواه الطبراني وابن عبد البر في إثر طويل، وفيه: فإن أتاه أمر ليس في كتاب الله ولم يقضِ فيه رسول الله ﷺ، فليقض بما قضى به الصالحون، واسناده ثقات يحتج بهم اهـ.

وفي القوت، وقد روينا في خبر قيل يا رسول الله كيف نصنع؟ فذكر مثل سياق المصنف. وفي آخره ولا تقضوا فيه أمراً دونهم، ثم قال: وفي حديث معاذ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ قال اقض فيه بما قضى الصالحون، فقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسوله، وفي بعضها اجتهد رأيي، وكان سهل يقول: لا تقطعوا أغراض الدين والدنيا إلا بمشورة العلماء تجدوا العاقبة عند الله تعالى. قيل: يا أبا محمد من العلماء؟ قال: الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله عز وجل على نفوسهم، وقد قال عمر رضي الله عنه في وصيته وشاور في أمورك الذين يخشون الله عز وجل اهـ.

(ولذلك قيل: علماء الظاهر زينة الأرض) كما أن الكواكب زينة السماء **(و)** زينة **(الملك)** وهو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية، **(وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت)** وهو عالم الغيب المختص بأرواح النفوس، وفيه حسن المقابلة بين الأرض والسماء والملك

عندي فمن تجالس؟ قلت: المحاسبي، فقال: نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين، ثم لما وليت سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديث

والملكوت والظاهر والباطن، وقد أورده صاحب القوت فقال: كانوا يقولون علم الظاهر من علم الملك، وعلم الباطن من عالم الملكوت يعنون أن ذلك من علم الدنيا لأنه يحتاج إليه في أمور الدنيا، وهذا من علم الآخرة لأنه من زادها، وهذا هو كما قالوه لأن اللسان ظاهر فهو من الملك وهو خزانة العلم الظاهر، والقلب خزانة الملكوت وهو باب العلم الباطن، فقد صار فضل العلم الباطن على الظاهر كفضل الملكوت على الملك وكفضل القلب على اللسان. **(وقال)** أبو القاسم **(الجنيد)** محمد بن الجنيد النهاوندي الأصل البغدادي القواريري سيد الطائفة، ومقدم الجماعة، وإمام أهل الخرقة، وشيخ طريقة التصوّف، وعلم الأولياء في زمانه، ومشهور العارفين تفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته، وهو ابن عشرين سنة، وسمع الحديث عن الحسن بن عرفة وغيره، واختص بصحبة السري السقطي، والحرث بن أسد المحاسبي، وأبي حمزة البغدادي، وكان ورده كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة توفي سنة ٢٩٨ كما في الطبقات لابن السبكي، وفي الرسالة سنة ٢٩٧ **(قال لي السري)** ابن المغلس أبو الحسن السقطي شيخي، وهو خال الجنيد ومربيه صاحب معروف الكرخي وغيره توفي سنة ٢٥٧ **(إذا قمت من عندي من تجالس؟ فقلت: المحاسبي)** هو أبو عبدالله الحرث بن أسد عالم العارفين في زمانه، وأستاذ السائرين الجامع بين علمي الظاهر والباطن، ويقال: إنما سمي بالمحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه. قال ابن السمعاني: هو إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام، وكتبه في هذه العلوم أصول من يصنف فيها، وإليه ينسب أكثر متكلمي الصفاتية. قال ابن السبكي: روي عن يزيد بن هارون وطبقته، وعنه أبو العباس بن مسروق، وأحمد بن الحسين بن عبد الجبار، والشيخ الجنيد، وإسماعيل بن إسحاق السراج وغيرهم. قال الخطيب: له كتب كثيرة في الزهد وأصول الدين والرد على المعتزلة والرافضة، وقال جمع من الصوفية: كتبه تبلغ مائتي مصنف. قال الأستاذ أبو عبدالله محمد بن خفيف الشيرازي: اقتدوا بخمسة من مشايخنا والباقون سلموا إليهم أحوالهم. الحرث بن أسد، والجنيد بن محمد، وأبو محمد رويم، وأبو العباس بن عطاء، وعمر بن عثمان المكي لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق، توفي سنة ٢٤٣. **(فقال: نعم خذ من أدبه وعلمه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين)** قال ابن السبكي: وكان الحرث قد تكلم في شيء من المسائل في الكلام في الرد على المبتدعة. قال أبو القاسم النصر اباذي: بلغني أن الإمام أحمد هجره لأجل هذا السبب، أي لأن الإمام أحمد كان يشدد النكير على من يتكلم في علم الكلام خوفاً أن يجر ذلك إلى ما لا ينبغي. قال ابن السبكي: والظن بالحرث أنه إنما تكلم حيث دعت الحاجة ولكل مقصد، **(ثم لما وليت)** عنه بظهري **(سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديث صوفياً ولا جعلك صوفياً صاحب حديث)**، وهذا القول أورده صاحب القوت بلفظ: كنت إذا قمت من عند السري قال لي: إذا فارقتني من تجالس؛ فساقه كسياق المصنف **(أشار إلى أن من**

صوفياً ولا جعلك صوفياً صاحب حديث: أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه.

فإن قلت: فلم لم تورد في أقسام العلوم: الكلام والفلسفة، وتبين أنهما مذمومان أو محمودان؟ فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها، فالقرآن

حصل الحديث والعلم بالأحكام أولاً ثم تصوف أفلح)، لأن التصوف عبارة عن تطهير السرائر وتزكيتها عن الأخلاق المذمومة وهو متوقف على تحصيل العلوم الشرعية يهتدي بها في سلوكه، والمراد من تحصيل الحديث أخذه عن الثقات وحفظه ثم العمل به، والمراد بالعلم التفقه في الدين فيكون من عطف العام على الخاص، (**ومن تصوف قبل**) تحصيل (**العلم**) المعهود (**خاطر بنفسه**) أي أوقعها في الخطر والهلاك ولا يفلح أبداً. وفي القوت بعدما أورد قول السري هذا ما نصه: يعني انك إذا ابتدأت بعلم الحديث والأثر ومعرفة الأصول والسنن، ثم تزهدت وتعبدت تقدمت في علم الصوفية وكنت صوفياً عارفاً، وإذا ابتدأت بالتعبد والتقوى والحال شغلت به عن العلم والسنن، فخرجت إما شاطحاً أو غالطاً لجهلك بالأصول والسنن، فأحسن أحوالك أن ترجع إلى العلم الظاهر وكتب الحديث لأنه هو الأصل، وقد قيل: إنما حرموا الوصول لتضييع الأصول هي كتب الأصول ومعرفة الآثار والسنن اهـ.

وفي الرسالة للقشيري، ويحكى عن السري أنه قال: المتصوف اسم لثلاث معان وهو الذي لا يطفىء نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم لباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله. وقال الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ. قال: وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت الجنيد يقول: من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يهتدي به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنّة، وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا نصر الأصفهاني يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول، عن الجنيد: مذهبنا هذا مقيد بالأصول والكتاب والسنّة اهـ.

فهذا وأمثال ذلك مما يؤيد قوله السابق في تقديم الحديث على التصوف، ومن هنا قال بعضهم: من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق.

(**فإن قلت: فلم لم تورد في أقسام العلوم**) علم (**الكلام وعلم الفلسفة**) مع شدة شهرتها وإكباب الناس على تحصيلها (**وتبين انهما مذمومان**) فيتركان (**أو محمودان**) فيعتنى بهما؛ (**فاعلم أن**) علم (**الكلام**) وهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها، (**وحاصل ما يشتمل عليه**) علم (**الكلام من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن**

والأخبار مشتملة عليه، وما خرج عنها فهو إما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق، وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الأسماع، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين

والاخبار) النبوية **(مشتملة عليه وما خرج عنها)** أي: عن الكتاب والسنّة **(فهو)** لا يخلو من حالتين. **(إما مجادلة مذمومة)** نهى الشارع عنها **(وهي من البدع كما سيأتي بيانه، وإما مشاغبة)** أي مخاصمة مع رفع الصوت **(بالتعلق بمناقضات الفرق)** أي المسائل التي ناقض بها بعضهم بعضاً، **(وتطويل)** وقت **(بنقل المقالات)** الكثيرة المختلفة **(التي أكثرها ترهات)** أي بواطل. قال الزمخشري: والترهات في الأصل للطرق الصغيرة المتشعبة من الجادة، ثم استعيرت في الأقاويل الخالية عن طائل **(وهذيانات)** لا مزية فيها **(تزدريها)** أي تحقرها **(الطباع)** السليمة **(وتمجها)** تلقيها **(الأسماع)** المستقيمة، **(وبعضها خوض)** واشتغال **(فيما لا يتعلق بالدين)** أصلاً.

وفي سياق هذا الكلام رد على بعض جهال المناطقة الزاعمين أن الشريعة خطاب للجمهور ولا احتجاج فيها، وأن الأنبياء دعوا الجمهور بطريق الخطاب والحجج للخواص، رهم أهل البرهان يعنون نفوسهم، ومن سلك طريقتهم وربما تعلق بعضهم بظاهر قوله تعالى: ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم﴾ [الشورى: ١٥]، وهذا الذي فهموه ليس بشيء، ومعنى الآية قد وضح الحق واستبان وظهر، فلا خصومة بيننا وبينكم بعد ظهوره ولا مجادلة، فإن الجدال شريعة موضوعة للتعاون على إظهار الحق، فإذا ظهر الحق ولم يبقَ به خفاء فلا فائدة في الخصومة والجدال على بصيرة، فمخاصمة المنكر ومجادلته عناد لا غنى فيه. هذا معنى هذه الآية.

وأما إنكارهم الاحتجاج في القرآن فمن جهلهم بالشريعة والقرآن، فإن القرآن مملوء من الحجج والأدلة والبراهين في مسائل التوحيد، وإثبات الصانع والمعاد، وإرسال الرسل وحدوث العالم، فلا يذكر المتكلمون وغيرهم دليلاً صحيحاً على ذلك إلا وهو في القرآن بأفصح عبارة وأتم معنى، وقد اعترف بذلك حذاقهم من المتقدمين والمتأخرين، فمن ذلك تقرير المصنف السابق، ومن ذلك قال الفخر الرازي في كتابه أقسام اللذات: لقد تأملت الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطريق طريقة القرآن أقرأ في الاثبات ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠] ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] وأقرأ في النفي ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، وقال بعضهم: أفنيت عمري في الكلام أطلب الدليل، وإذا أنا لا أزداد إلا بُعداً عنه فرجعت إلى القرآن أتدبره وأتفكر فيه، وإذا أنا بالدليل حقاً معي وأنا لا أشعر به، فقلت: والله ما مثلي إلا كما قال القائل:

ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأول. وكان الخوض فيه بالكلية من البدع، ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنّة، ونبغت جماعة لفّقوا لها شبهاً ورتبوا فيها كلاماً مؤلفاً، فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذوناً فيه، بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة، وذلك إلى حد محدود ـ سنذكره في الباب الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى ـ (وأما الفلسفة) فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء.

أحدها: الهندسة والحساب، وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه

ومن العجائب والعجائب جمّة ... قرب الحبيب وما إليه وصولُ

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمولُ

وإذا هو كما قيل بل فوق ما قيل:

كفى وشفى ما في الفؤاد فلم يدع ... لذي أرب في القول جداً ولا هزلا

والمقصود: أن القرآن مملوء بالاحتجاج وفيه جميع أنواع الأدلة والأقيسة الصحيحة، وأمر ﷺ فيه بإقامتها، وهذه مناظرات القرآن مع الكفار موجودة، ومناظراته ﷺ وأصحابه لخصومهم لا ينكرها إلا جاهل مفرط في الجهل، كما سيأتي بيان ذلك في كتاب قواعد العقائد، ثم اعتذر المصنف فقال: **(ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأوّل)** عند الصحابة والتابعين، **(فكان الخوض فيه بالكلية من البدع)** والمنكرات، **(ولكن تغير الآن حكمه)** باختلاف الأزمنة **(إذ حدثت البدع)** من المبتدعة **(الصارفة عن مقتضى نص القرآن والسنّة)**، ومقتضى النص ما لا يدل اللفظ عليه ولا يكون ملفوظاً لكن يكون من ضرورة اللفظ، **(ونبغت)** أي ظهرت **(جماعة لفّقوا)** أي جمعوا **(لها)** لتلك البدع **(شبهاً)** وايرادات **(ورتبوا فيها كلاماً مؤلفاً)** يقرؤه الناس، **(فصار ذلك المحذور)** أي الممنوع منه **(بحكم الضرورة)** والاحتياج **(مأذوناً)** بالتكلم **(فيه)** تعلماً وتعليماً، **(بل صار)** القدر المحتاج إليه **(من فروض الكفايات)**. وقال السبكي: ولا شك أن السكوت عنه ما لم تدع إليه الحاجة أولى، والكلام فيه عند فقد الحاجة بدعة وحيث دعت إليه الحاجة فلا بأس به، **(وهو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة)** أي دعاء الناس **(إلى البدعة)** وحملهم عليها، **(وذلك إلى حد محدود)** معين، وما زاد وتجاوز عن ذلك الحد فمضر مذموم، وذلك المحدود **(سنذكره في الباب الذي يلي هذا)** إن شاء الله تعالى. **(وأما الفلسفة)** وهي معرفة علوم يحصل بها التشبه بأخلاق الإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية في زعمهم، **(فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء)** يطلق على الكل بهذا الإسم.

(أحدها: الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق وما يمنع منها إلا من يخاف عليه أن

أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة؛ فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما إلى البدع، فيصان الضعيف عنهما ـ لا لعينهما ـ كما يصان الصبي عن شاطىء النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر، وكما يصان حديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار خوفاً عليه، مع أن القوي لا يندب إلى مخالطتهم.

الثاني: المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه، ووجه الحد وشروطه، وهما داخلان في علم الكلام.

يتجاوزهما إلى علوم مذمومة) داخلة فيها كما يأتي بيانه، **(فإن أكثر الممارسين لهما)** المشتغلين بهما **(قد خرجوا منهما إلى البدع)** ولم يكتفوا بالوقوف عليها، **(فيصان الضعيف)** العقيدة **(عنه لا لعينه، كما يصان الصبي عن شاطىء النهر خيفة من الوقوع في النهر)** فيكون سبباً لهلاكه، **(وكما يصان حديث العهد بالإسلام)** قبل أن يتمكن الإيمان في قلبه **(عن مخالطة الكفار خوفاً عليه)** في إفساد عقيدته **(مع أن القوي)** في إسلامه **(لا يندب إلى مخالطتهم)** ولا يؤذن له مع أمنه على دينه وتحرير كلامه فيه إن أنواع الفلسفيات الأربعة: رياضية ومنطقية وإلهية وطبيعية، فالرياضة على أربعة أقسام:

الأول: علم الادثماطيقي وهو معرفة خواص العدد وما يطابقها من معاني الموجودات التي ذكرها فيتاغورس، وتحته علم الوفق وعلم الحساب الهندي، وعلم الحساب القبطي والزنجي، وعلم عقد الأصابع.

الثاني: علم الجومطريا وهو علم الهندسة بالبراهين المذكورة في اقليدس، ومنها علمية وعملية وتحتها علم المساحة، وعلم التكسير، وعلم رفع الأثقال، وعلم الحيل المائية والهوائية والمناظر والحرب.

الثالث: علم الأسطرقوميا وهو علم النجوم بالبراهين المذكورة في المجسطي، وتحته علم الهيئة والميقات والريح والتحويل.

الرابع: علم الموسيقى وتحته علم الايقاع والعروض، فهذا كله النوع الأول من الفلسفيات.

(والثاني: المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه). وفي المنقذ من الضلال للمصنف وهو نظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الصحيح وكيفية ترتيبها اهـ.

وهذا باعتبار الموضوع وباعتبار الغاية آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ، ويسمى أيضاً علم الميزان، وسماه أبو نصر الفارابي رئيس العلوم، ولكونه آلة في تحصيل العلوم الكسبية النظرية والعملية لا مقصوداً بالذات سماه ابن سينا بخادم العلوم، وهما داخلان في علم الكلام، وقد اختلف في الاشتغال به على أقوال: فمنهم من جعله فرض عين وبناه على عدم ايمان المقلد، وهو أبعد الأقوال والأليق بأن يقال لصاحبه:

....

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل

ومنهم: من قال فرض كفاية، وإليه أشار السيد الجرجاني وغيره، وقد ردّه ابن القيم فقال: لا فرض إلا ما فرضه الله ورسوله. فيا سبحان الله هل فرض الله على كل مسلم أن يكون منطقياً، فإن فرض الكفاية كفرض العين في تعلقه بعموم المكلفين، وإنما يخالفه في سقوطه بفعل البعض، والمنطق لو كان علماً صحيحاً كان غايته أن يكون كالمساحة والهندسة ونحوها، فكيف وباطله إضعاف حقه وفاسده، وتناقض أصوله، واختلاف مبانيه يوجب مراعاتها للذهن أن يزيغ في فكره ولا يؤمن بهذا إلا من قد عرفه وعرف فساده وتناقضه اهـ.

ونقل عن المصنف في كتابه المستصفى في أوّله: هذه مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلمه أصلاً، وهذا الذي ردّ عليه أبو عمرو بن الصلاح، وأقام عليه النكير في ذلك، وحرم الاشتغال به، وتبعه الإمام النووي، وسيأتي الجواب عنه قريباً. وأوّل من بيّن فساده وتناقضه ومناقضة كثير منه للعقل الصريح، وألف فيه أبو سعيد السيرافي النحوي، ثم القاضي أبو بكر بن الطيب، والقاضي عبد الجبار، والجبائي وابنه، وأبو المعالي، وأبو القاسم الأنصاري، وخلق لا يحصون، وآخر من تجرد لذلك تقي الدين بن تيمية الحافظ، فإنه أتى في كتابيه الكبير والصغير بالعجب العجاب وكشف أسرارهم وهتك أستارهم، وبه أفتى الحافظ جلال الدين السيوطي وألف فيه (القول المشرق في تحريم المنطق) ونقل فيه عن الأئمة الأربعة ما يدل على تحريمه، وهو في الحقيقة مختصر ما في كتابي ابن تيمية مع زيادات فرعية، وقد رد عليه أبو عبدالله محمد بن عبد الكريم المغيلي من المغاربة. وقال ابن القيم في الرد على المنطق نظماً:

واعجبا لمنطق اليونان كم فيه من افك ومن بهتان
مخبط لجيد الاذهان ومفسد لفطرة الإنسان
ومبكم للقلب واللسان مضطرب الأصول والمباني
على شفا هارٍ بناه الباني أحوج ما كان عليه العاني
يخونه في السر والإعلان يمشي به اللسان في الميدان
مشي مقيد على صفوان متصل العثار والتواني
كأنه السراب من قيعان بدا لعين الظامىء الحيران
فأمه بالظن والحسبان يرجو شفاء علة الظمآن
فلم يجد ثم سوى الحرمان فعاد بالخيبة والخسران
يقرع سن نادم حيران قد ضاع منه العمر في أماني
وخائن الخفة في ميزان

ثم قال: وما كان من هوس النفوس بهذه المنزلة فهو بأن يكون جهلاً أولى منه بأن يكون علماً تعلمه فرض كفاية أو فرض عين، وهذا الشافعي وأحمد، وسائر أئمة الإسلام وتصانيفهم، وسائر

....

أئمة العربية وتصانيفهم، وأئمة التفسير وتصانيفهم لمن نظر فيها هل راعوا فيها حدود المنطق وأوضاعه، وهل صح لهم علمهم بدونه أم لا، بل كانوا أجل قدراً وأعظم عقولاً من أن يشغلوا أفكارهم بهذيان المنطقيين، وما دخل المنطق على علم إلا وأفسده وغيّر أوضاعه وشوّش قواعده اهـ.

وقال علي القاري: هو من العلوم المذمومة ويسمى دهليز الكفر. ونقل عن ابن تيمية أنه قال: ما أظن الله عز وجل يغفل على المأمون ولا بد أن يعاقبه بما أدخل على الأمة من نقل هذا العلم من اليونانية إلى العربية اهـ.

وأما الجواب عن الغزالي فيما أورده عليه ابن الصلاح على مقالته التي سبقت في أول كتابه المستصفى، فقال الشيخ تقي الدين السبكي بعد كلام طويل: ولا ننكر فضل الشيخ تقي الدين بن الصلاح وفقهه وحديثه وقصده الخير، ولكن لكل عمل رجال، وأما من ذكر أبا بكر وعمر رضي الله عنهم في هذا المقام، فالله يوفقنا وإياه لفهم مقامهما على قدرنا، وأما على قدرهما فمستحيل بل وسائر الصحابة لا يصل أحد ممن بعدهم إلى مرتبتهم، لأن أكثر العلوم التي نحن نتبع وندأب فيها الليل والنهار حاصلة عندهم بأصل الخلقة من اللغة والنحو والتصريف وأصول الفقه، وما عندهم من العقول الراجحة، وما أفاض الله عليها من نور النبوة العاصم من الخطأ في الفكر يغني عن المنطق وغيره من العلوم العقلية، وما ألف الله بين قلوبهم حتى صاروا بنعمته إخواناً يغني عن الإستعداد في المناظرة والمجادلة، فلم يكونوا يحتاجون في علمهم إلا إلى ما يسمعونه من النبي ﷺ من الكتاب فيفهمونه أحسن فهم، ويحملونه على أحسن محمل، وينزلونه منزلته، وليس بينهم من يماري فيه ولا يجادل ولا بدعة ولا ضلالة، ثم التابعون على منوالهم قريباً منهم، ثم أتباعهم وهم القرون الثلاثة التي شهد النبي ﷺ بأنها خير القرون بعده، ثم نشأ بعدهم وربما في أثناء الثاني والثالث أصحاب بدع وضلالات، فاحتاج العلماء من أهل السنة إلى مقاومتهم ومجادلتهم ومناظرتهم حتى لا يلبسوا على الضعفاء أمر دينهم، ولا يدخلوا في الدين ما ليس منه. ودخل في كلام أهل البدع من كلام المنطقيين وغيرهم من أهل الإلحاد شيء كثير، ورتبوا عليها شبهاً كثيرة، فإن تركناهم وما يصنعون استولوا على كثير من الضعفاء وعوام المسلمين والقاصرين من فقهائهم وعلمائهم فأضلوهم وغيّروا ما عندهم من الاعتقادات الصحيحة، وانتشرت البدع والحوادث، ولم يكن كل واحد يقاومهم، وقد لا يفهم كلامهم لعدم اشتغاله به، وإنما يرد على الكلام من يفهمه، ومتى لم يرد عليه تعلو كلمته، ويعتقد الجاهلون والأمراء والملوك المستولون على الرعية صحة كلام ذلك المبتدع، كما اتفق في كثير من الأعصار وقصرت همم الناس عما كان عليه المتقدمون، فكان الواجب أن يكون في الناس من يحفظ الله به عقائد عباده الصالحين ويدفع به شبه الملحدين، وأجره أعظم من أجر المجاهد بكثير، وبه يحفظ أمر بقية الناس وعبادات المتعبدين واشتغال الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمقرين وانقطاع الزاهدين:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

فاللائق بابن الصلاح وأمثاله أن يشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه من الخير، وما قيض له الغزالي وأمثاله الذين تقدموه حتى حفظوا له ما يتعبد وما يشتغل به اهـ.

وقال العلامة الحسن اليوسي في حاشيته على الكبرى ما نصه: وممن تفوّه بذمه السيوطي ذكر في كتابه الحاوي في الفتاوي أنه سئل عن إنسان كان يقول أن توحيد الله متوقف على علم المنطق، وأن علم المنطق فرض عين على كل مسلم، وأن لكل متعلم منه بكل حرف عشر حسنات، ولا يصح توحيد من لا يعلمه وإن أفتى وهو لا يعلمه فما يفتي به باطل. فأجاب بأن المنطق خبيث مذموم يحرم الإشتغال به، وذكر أنه لا ثمرة له دينية أصلاً بل ولا دنيوية، وذكر جماعة نقل عنهم ذلك، ثم ذكر أن المنطق لو قدر أنه لا ضرر فيه وأنه حق لم ينفع في التوحيد أصلاً ولا يظن أنه ينفع فيه إلا من هو جاهل بالمنطق لا يعرفه، لأن المنطق إنما براهينه على الكليات والكليات لا وجود لها في الخارج، ولا تدل على جزئي أصلاً. قال: هكذا قرره المحققون والعارفون بالمنطق. قال: فهذا الكلام الذي ذكره القائل استدللنا به على أنه لا يعرف المنطق ولا يحسنه، فلزم بمقتضى قوله أنه مشرك لأنه قال: التوحيد متوقف على معرفته وهو لم يعرفه بعد هذا حاصل الغرض من كلامه، وقد علمت مما مر سقوط هذا الكلام وما احتوى عليه من التخيلات والأوهام. أما قوله: أنه خبيث مذموم فهو دعوى تقدم بيان فسادها، وأما قوله: إنه لا منفعة له فإنكار للمحسوس ولكن:

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وكيف يحكم عليه بعدم الفائدة وهو لا يعرفه لكن من جهل شيئاً عاداه.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمدٍ وينكر الفم طعم الماء من سقمِ

فإذا كنت بالمدارك غراً ثم أبصرت حاذقاً لا تمادي

وإذا لم تر الهلال فسلم لا ناس رأوه بالأبصار

وأما قوله: إن الكليات لا وجود لها في الخارج فأعجب أن يصدر هذا الكلام احتجاجاً في نحو هذا المقام عن عاقل فضلاً عن فاضل وما كنت أحسبه بهذه المنزلة، ولقد كنت أراه رحمه الله تعالى يرتفع عنها وممن له مشاركة، وهذا الكلام ينبىء أنه لم يشم رائحة المعقول وتلزمه عليه شناعات.

منها: أن هذا الكلام الذي استدل به يستدعي ويقتضي أنه يزعم أن جميع العلوم التي ينتحلها خارجية أي محسوسة، وهذا مع بداهة بطلانه ومضاهاته قول السمنية، وكونه من قبيل السوفطاية يقتضي أنه لم يدرك قانوناً فقهياً ولا أصولياً ولا نحوياً ولا غير ذلك، وإن جميع ما يذكره منها جزئيات خارجية إذ لو كان غير ذلك لكان مما يفيده المنطق فتكون له ثمرة، ولا خفاء إن من كان

....

بهذه المثابة ليس له من العلوم مشاركة، ولا يستحق جواباً ويقتضي أنه لم يدرك شيئاً من العلوم أصلاً، لأن جميع النسب ليست خارجية بل معان إما كلية أو جزئية، وهذه المنزلة لم يكن فيها شيء من الحيوانات الناطقة ولا العجم، أما الناطقة فلأنها تدرك الثلاثة أعني المعاني الكلية والصور الخارجية، والمعاني الجزئية موجودة في الصور أم لا، وأما العجم فلأنها تدرك الصور والمعاني الجزئية الموجودة فيها. أما الحاضر المدرك في الخارج فليس من الحيوانات أصلاً.

ومنها: أن هؤلاء العلماء الذين نقل عنهم هذا يلزمه أن لا يثق بنقلهم لأنهم فساق حيث اشتغلوا بالمنطق المحرم لاعترافه أنهم عارفون به.

ومنها: ما يفعله أئمة الأصول والكلام في تأليفهم بتصدير الكتاب بجملة من المنطق كصاحب المختصر، وصاحب الطوالع وغيرهما حرام، ويلزمه أن لا يقرأ شيئاً من هذه الكتب أو أن يتخطى ذلك الموضع.

منها: أنه يلزمه أن لا يدرك إلا الكتاب والسنة ويحرم ما سواهما كما تقدم من مذهب الحشوية، والظاهرية، لأن علم الكلام إنما هو على منوال المنطق إلى غير هذا من النكت السوء التي يسفر عنها وجه هذا الكلام مع ما قبله وما بعده، ومفاسد قلة التأمل أكثر من أن يحيط بها نطاق البيان، ومن ادعى على غير بصيرته فضحته شواهد العيان، ولو تصدينا لهذه المسألة لأسمعناك منها ما يثلج الصدور ويطلع في سمائها لوامع البدور، ولكن أعرضنا عنها مخافة السآمة، وقد كنت هممت لما اطلعت على ذلك الكلام أن أضع فيها جزءاً مستقلاً، فرأيت ذلك كالبطالة، ولولا أن يستميل البلداء ما في مقالتي من الإغراب، ويظنوا أنه هو فصل الخطاب لكان السكوت عن هذه المسألة رأساً هو الصواب وإعارتها أذناً صماء هو غاية الجواب.

ورب كلام طار فوق مسامعي كما طار في لوح الهواء ذباب

وما قصدنا بهذا الكلام تنقيص العلماء ولا اهتضام الجلال السيوطي، وإنما ألزمناه ذلك لكلامه وإنا نعلم أنه من الفضلاء، وأنه ليس بتلك المنزلة التي ألزمناه، لكن وإن كان بعين التوقير والإجلال، فالحق أحق أن يتبع، ومن كلام أرسطو الحكيم في حق شيخه أفلاطون إنا نحب الحق ونحب افلاطون ما اتفقا فإذا اختلفا كان الحق أولى منه. هذا إن أراد تحريم المنطق رأساً، وأما إن أراد الزجر عن التوغل فيه والإفراط والإشتغال بتمشدق فيه عن الكتاب والسنة، أو أراد نهي البليد عن الخوض فيه، فهذا مسلم صحيح، وكذا بطلان ذلك الكلام المسؤول عنه، وما ذكر في المنطق هو كذلك، وبعد كتبي هذا رأيت كلام الشيخ الماهر الفقيه المتبحر أبي عبدالله محمد بن عبد الكريم المغيلي في رده على السيوطي وكان السيوطي إذا ألف تأليفاً بعثه إليه، فلما ألف تأليفه الذي سماه (**القول المشرق في تحريم المنطق**) بعثه إليه فرد عليه المغيلي غاية الرد، وبالغ في الإنكار عليه، وقال في ذلك قصيدة منها:

....

سمعت بأمر ما سمعت بمثله ... وكل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجة ... وينهى عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعني إلا عبارة ... عن الحق أو تحقيقه حين جهله
معانيه في كل الكلام فهل ترى ... دليلاً صحيحاً لا يرد لشكله
أو هل هداك الله منه قضية ... عن غير هذا تنفها عن محله
ودع عنك أبداه كفور وذمه ... رجال وإن اثبت حجة نقله
خذ العلم حتى من كفور ولا تقم ... دليلاً على شخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن ... به لا بهم إذ هم هداة لأجله
لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم ... وكم عالم بالشرع باح بفضله

وأراد بالفرقان المنطق لأنه يفرق بين الخطا والصواب، وفي قوله: أن أثبت حجة نقله مع قوله قبله ما سمعت، وقوله عقبة: لئن صح عنهم ما ذكرت إشارة إلى عدم تسليم صحة ما نقله، وتأمل ما أشار إليه رحمة الله تعالى في أبياته من الردود القاطعة والأجوبة القامعة، ولولا خشية الإطالة لوشحنا هذه الأبيات بما يحرر في هذا المبحث أقصى الغايات وتنصب على منهجه سواطع الآيات اهـ كلام اليوسي رحمه الله تعالى.

قلت: أعلم أن الشيخ أبا الوفاء الحسن بن مسعود اليوسي، وأبا عبدالله محمد بن عبد الكريم المغيلي لا ينكر فضلها ولا جلالة قدرهما، وأين هما من معرفة مقام السيوطي، فإن لكل علم رجالاً، ولنقدم قبل الخوض في الكلام بمقدمة لطيفة، ثم نتكلم معهما بالإنصاف وإن لم أبلغ شأوهما إن الإنسان قد ينشأ في قطر ألف أهله فناً من الفنون وتعودوا على تحصيله فيربى عليه من الصغر حتى يصير ذلك عادة له وذيدناً، كما يتربى اللحم والعظام على القدر المعتاد، والعادة إذا قويت غلبت حكم الطبيعة، ولذا قيل: هي طبيعة ثانية ثم يأتيه ما يخالفه وهلة واحدة يريد إزالته واخراجه من قلبه، وإن يسكن موضعه فيعسر عليه الإنتقال ويصعب عليه الزوال، وهذا أغلب الأسباب على أرباب المقالات والنحل ليس على أكثرهم بل جميعهم، إلا ما عسى أن يشذ إلاّ عادة ومربى تربى عليه طفلاً لا يعرف غيره ولا يحس به، فالإنتقال عنه كالإنفكاك عن الطبيعة إلى طبيعة ثانية.

وكان قطر المغرب المحروس في أول ما نشأ فيه الإسلام الغالب على أهله الميل إلى علوم الشريعة، وعدم الخوض في علوم الفلسفة رأساً، فكان فيهم مثل الإمام الحافظ بقي بن مخلد القرطبي صاحب المسند المشهور، وابن حزم، وابن عبد البر وأمثالهم، ثم القاضي عياض، وأبو عبدالله المازري والطرطوشي وأمثالهم، فهؤلاء كانوا في غاية الصلابة في علوم الشريعة وذم الفلسفة وعدم النظر في كتبهم، ولما كان القرن الخامس وفد جماعة منهم إلى عراق العجم ونقلوا عنهم المنطق وغيره، فكان من الإمام المازري وابن حرزهم والقاضي عياض ما كان في افتائهم

....

بإحراق كتاب الأحياء لما رأوه على طريقه غريبة تخالف ظاهر طريقة الفقهاء، وكان من ابن رشد ما كان من الطامات، ثم في الأواخر ظهرت من جبال تقوسة والجربة قوم خوارج نظروا في الفلسفة وخالطوا علماء الإسلام وأوردوا عليهم شبهاً لفقوها، فاحتاج علماء ذلك العصر إلى الخوض في المنطق، وتوغلوا في الكلام لأجل الرد عليهم خوفاً منهم على ضعفاء العقائد من المؤمنين، حتى جاء القطب الكامل أبو عبدالله سيدي محمد بن السنوسي الحسني نفع به، فتصدى للرد عليهم وبالغ في الإنكار والتعصيب لمدافعتهم، فألف رسائل في المنطق والكلام وشغل الناس بها، وفي آخر الأمر دعا عليهم فأبادهم الله تعالى وكفى الله المؤمنين شرهم. وكان قصده في ذلك جميلاً لأنه ذب عن عقائد المسلمين وحماها عن التسلط بإيراد الشبه عليها، وأتى من بعده من العلماء والفضلاء فولع بطريقته مع صلاح المشار إليه وشهرته بالكرامات في ذلك القطر، وتلقاها خلف عن سلف وخاضوا فيها، صاروا أئمة في ذلك يشار إليهم بالبنان، ثم اختلط الأمر بعد ذلك ونشأ بعدهم من تلقى عنهم ذلك، أنه لا كمال إلا فيما هو مشتغل به، فصار ما يشتغل به من المنطق وغيره كالغذاء له، فلا يسمع فيه عذل عاذل ولا لوم لائم، حتى نزعت رواية الحديث والآثار الأخبارية بقيت على نهج الرعيل الأول، حتى ترى عصر شيوخ مشايخنا منهم الذين وفدوا مصر لم يكن عندهم من الرواية إلا شيء قليل فبسبب ذلك راج أمره في مصر، وكبوا على تحصيله بعد أن لم يكونوا يشتغلون به إلا مذاكرة في بعض الأحيان تشحيذاً للأذهان، وهذا هو السبب في اضمحلال علم الحديث ودروس آثاره وقلة حملته وذهاب أحباره، فإذا عرفت ما ذكرناه لك إجمالاً فاعلم أن قول السيوطي في جواب السائل أنه أي المنطق خبيث صحيح، وتقرير ذلك أن القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه إذا استحكما فيه كان هلاكه وموته، وهما مرض الشهوات وهو أصعبها وأقتلها للقلب، وإليه يشير قوله تعالى في حق المنافقين: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾ [البقرة: ١٠] وقوله تعالى: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ [الحج: ٥٣] ومن أمراض القلب حب الرئاسة والعلو في الأرض، وهذا المرض مركب من مرض الشهوة والشبهة، فإنه لا بد فيه من تخيل فاسد وإرادة باطلة كالعجب والفخر والخيلاء والكبر المركب من تخيل عظمته وفضله، وإرادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم، فلا يخرج مرضه عن شهوة أو شبهة أو مركب منها، وهذه الأمراض إذ تدبرت لها بالفكر الصحيح مفسدة للقلب متولدة من المنطق، فهو أحرى بأن يسمى خبيثاً، لذلك فإن الخبيث ضد الطيب وما يفسد القلب الذي هو خزانة الله لأسرار معرفته فهو خبيث مخبث، وإذا فسد القلب فسد الفكر فلا يخطر بباله سوى مناقضات ومجادلات مذمومة بينها وبين علماء الآخرة فرق كثير، وأما قول السيوطي: أنه مذموم فصحيح أيضاً نظراً لما ذكرنا، وناهيك من ذمه من علماء الإسلام كأبي سعيد السيرافي النحوي، وأبي طالب المكي، والقاضي أبي بكر بن الطيب، والإمام أبي المعالي، وأبي القاسم الأنصاري وأبي عمرو بن الصلاح، والشرف النووي، والحافظ ابن تيمية وغيرهم وهم كثيرون، فهؤلاء أساطين الإسلام وعمد الدين، وكفى للسيوطي أسوة

....

بهؤلاء من جالينوس وأفلاطون، وكونه علماً برأسه مسلم، ولكن كم من علم هو معلوم لصاحبه وصاحبه يسمى بذلك عالماً إلا أنه ليس من العلوم التي ينفع صاحبه في الآخرة، بل من علوم الدنيا المورث للصفات المتقدمة وكونه وسيلة إلى العلوم مسلم، ولكن أكثر بحوثه ومسائله فضلة لا يفتقر معرفة الخطاب وفهمه عليها، بل أكثرها ترهات وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين أصلاً، فكيف يقال أن تعلمها واجب، ونحن نقول أن المطلوب الواجب من العبد من العلوم والأعمال إذ توقف على شيء منها كان ذلك الشيء واجباً وجوب الوسائل، ومعلوم أن ذلك التوقف يختلف باختلاف الأشخاص والألسنة والأذهان، وليس لذلك حد مقدر. ولعمري أن الشيطان حريص على إيقاع العبد في أسباب طرق الهلاك لا يفتر يقظة ولا مناماً، ولا بد له إذا أيس من أن يحول بينه وبين الإيمان الذي هو غاية مراده أن يوقعه في إحدى هؤلاء إما أن يحرضه على البدعة وهي أحب إليه من المعصية، فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها، لأن صاحبها يرى أنه على هدى، وإما أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه، وأما أن يسلط عليه حزبه يرمونه بالعظام ليشغل قلبه عما هواهم، وأيضاً فإن اشتغال الفكرة في صدر تحصيله مرض للقلب، وأمراض القلوب أصعب من أراض الأبدان لأن غاية مرض البدن أن ينضي بصاحبه إلى الموت، وأما مرض القلب فيقضي بصاحبه إلى الشقاء الأبدي، وأين هذا من قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ [يونس: ٥٧] بل جعل بعضهم الإشتغال به نوعاً من الغفلة وبمنزلة عشق الصور الذي سئل عنه بعض العلماء فقال: قلوب غفلت عن ذكر الله فابتلاها الله بعبودية غيره، وأنت لا تجد في كتب هؤلاء ذكر الله وذكر رسوله قط ما عدا الخطبة، ولا تجد مجالسهم إلا مشحونة بالجدال المذموم والخصام المنهي عنه، والرد والتعبير والطعن والتحقير، ومن مارسهم عرف منهم ذلك، وما كان بهذه المثابة فاحرى أن يبذر في القلب أنواع الأماني والشبهات والشهوات والخيالات فيثمر كل شوك وكل بلاء، ولا يزال يمده بسقيه حتى ينطوي على القلب ويعميه، وليس له دليل أوضح من المعاينة. وانظر إلى الحديث: «نعوذ بالله من علم لا ينفع» والمنطق لا ينفع صاحبه نعم في الدنيا لكونه يورث الجاه والسمعة والرئاسة والعلو على الإخوان، وانظر إلى الحديث: «من تعلم العلم ليماري به السفهاء أو يجاري به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه لم يرح رائحة الجنة». وهذه الأوصاف الثلاثة موجودة في المنطق.

وأخرج أبو نعيم في الحلية: «من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يشم رائحة الجنة». والمنطق ليس مما يبتغي به وجه الله، وإن فرض ذلك لكونه وسيلة فلا يتعلمه الإنسان إلا لإصابة غرض من الدنيا كالجاه والشهرة والرئاسة، وهذا في علماء العجم المتأخرين الذين أكبوا على تحصيله ليلاً ونهاراً وصرفوا نفائس أعمارهم عليه معلوم لا يحتاج إلى برهان، وإن كنت في ريب من ذلك فطالع تراجمهم وأحوالهم ومناظراتهم في مجالس الملوك.

....

وقول السيوطي أنه لا ينفع في التوحيد أصلاً فصحيح أيضاً، فإنه ليس المراد بقوة الإيمان الحاصل من التوحيد ما كان موثقاً بالبراهين المنطقية كما يوهمه قولهم، وإنما هو هجوم العلم بصاحبه على حقيقة الأمر، وعلامته إنشراح الصدر لمنازل الإيمان وانفساحه وطمأنينة القلب لأمر الله والإنابة إلى ذكر الله ومحبته والفوز بلقائه والتجافي عن دار الغرور، كما في الأثر المشهور: إذا دخل النور القلب انفسخ وانشرح. قيل: وما علامة ذلك قال: التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإستعداد للموت قبل نزوله، وهذا هو العلم التام وهو العاصم من الخطأ في الفكر.

وقال الحافظ الذهبي: في زغل العلم المنطق نفعه قليل وضرره وبيل، وما هو من علوم الإسلام، والحق منه كامن في النفوس الزكية بعبارات غريبة، والباطل منه فاهرب منه، فإنك تنقطع مع خصمك وأنت تعرف أنك المحق، وتقطع خصمك وتعرف أنك على الخطأ، فهي عبارات دهاشة ومقدمات دكاكة، فنسأل الله السلامة، وإن قراءته للفرجة لا للحجة وللدنيا لا للآخرة، فقد عذبت الحيوان وضيعت الزمان والله المستعان، وأما الثواب فتيأس منه ولا تأمن من العقاب إلا بمتاب اهـ.

وأعلم أنه يستعين العالم عند المشكلات في الدين، ويحتاج إلى العارف عند شبهات حك الصدور كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا تزالوا بخير ما إذا حاك في صدور أحدكم شيء وجد من يخبره به ويشفيه منه، وأيم الله أوشك أن لا تجدوا ذلك، وقد حصلت في زمانك هذا في مثل ما خافه ابن مسعود لأن مشكلة لو وردت في معاني التوحيد، وشبهة لو اختلجت في صدر مؤمن من معاني صفة الموحد، وأردت كشف ذلك على حقيقة الأمر مما شهده القلب الموفق ويثلج له الصدر المشروح بالهدى، لكان ذلك عزيزاً في وقتك هذا، فإنك إن استكشفتها من المتكلمين المناطقة الذين هم رؤساء علم التوحيد الآن افتاك بتصور علمه عن شهادة الموقنين، وبقياس معقوله على ظاهر الدين، وهذا شبهة فكيف تنكشف شبهة بشبهة، ولقد أنكر أحمد بن حنبل على الحرث المحاسبي رحمهما الله تعالى في الرد على المعتزلة فقال له الحرث: الرد على المبتدعة فرض؟ فقال له أحمد: نعم، ولكن حكيت شبهتهم أولاً، ثم أجبت عنها فبم تأمن أن يطالع الشبهة من يتعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب، أو ينظر في الجواب من لا يفهم كنهه، وكذا أنكر على المصنف إذ كشف عن تحقيق مذاهب المبتدعة للرد عليهم وهو ببغداد وقالوا له: هذا سعي لهم فإنهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهة لولا تحقيقك.

وبالجملة: فالإشتغال بالمنطق اشتغال في فضول العلوم وغرائب الفهوم، فإن المقصود بشهادة التوحيد الخالصة من خفايا الشرك وشعب النفاق هو حسن الأدب في المعاملة بمعرفة ويقين، وذلك هو حال العبد من مقامه بينه وبين ربه عز وجل وحظه من مزيد آخرته والمشتغل به مشتغل بصلاح قالبه وظواهر أحواله عن باطن حاله وسبب ما بلي به حب الرئاسة وطلب الجاه عند

....

الناس والمنزلة بموجب السياسة والرغبة في عاجل الدنيا، فأذهب أيامه لأيامهم واذهب عمره في شهواتهم ليسمى عالماً، ويكون في قلوب الطالبين عندهم فاضلاً، وقد جعل الله لكل عمل عاملاً ولكل علم عالماً أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب كل ميسر لما خلق له، والمشتغل بالمنطق تراه في أكثر مناظراته يتكلم فيما لم يتكلف، ويجادل فيما لم ينطق فيه السلف، ويتعلم ويعلم ما علمه بتكلف. وقد ورد في بعض الأخبار: الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق، وفي بعضها مفسراً والعي عن اللسان لا عن القلب، وفي خبر آخر أن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتحلل الكلام بلسانه، كما تتحلل البقرة الخلا بلسانها، والخلا: الحشيش الرطب.

وقال الحافظ الذهبي في النصيحة وهي رسالة صغيرة أرسلها إلى بعض أصحابه ما نصه: ما أحلى قول الأوزاعي عليك بآثار من سلف ولو رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فنبيك ﷺ هو القائل: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» وخرج رسول الله ﷺ وهم يتنازعون في القدر فكأنه فقىء في وجهه حب الرمان وقال: أبهذا أمرتم وذكر الحديث، فمن خاض في علم الكلام والجدل والمراء والمنطق طالباً لحقيقة معرفة حق الله تعالى فقد أخطأ الطريق ومآله إلى ثلاثة أحوال. **أردؤها**: أن يتزلزل إيمانه ويشك فيما كان مستيقناً من التوحيد الفطري والإيمان القرآني وربما تزندق. **والثاني**: أن يتحير ويظلم قلبه ويتنكر عيشه من تلك الشبه الرديئة التي لا تشفي غليلاً في الغالب. **والثالث**: أنه لا يزداد بها إيماناً قبل النظر فيها فعلم الكلام داء الدين، وعلم السنة دواء الدين، وعلم الذكر والموعظة قوت الدين وحياة الدين، فمن أدخل نفسه في مرض، فإما أن يكون فيه خفه، وإما أن يصير جسده دائم العلة يفيق تارة ويتنكس أخرى، وإما أن يعافى من مرضه فيقوم كما كان رأساً برأس اهـ.

ثم ذكر اليوسي رحمة الله تعالى أنه تلزم السيوطي في جوابه شناعات فذكرها.

ومنها: أن هؤلاء العلماء الذي نقل عنهم هذا يلزم أن لا يثق بنقلهم الخ. فالجواب عنه أن مثل هؤلاء الذين نقل عنهم يثق بنقلهم في خصوص ما يتعلق بهذا الفن، لأنهم زعماء فيه ولا يوثق بهم في علوم غيره، وكما يوثق بنقل الطبيب في علم الطب ولا يوثق بنقله في غيره، وكما يوثق بنقل بعض المبتدعة تقريرات قواعدهم لأجل الرد عليهم، وهذا ظاهر، ولكن شدة التعصب دعت الذابين عن الحق إلى تطويل النزاع، ثم قال:

ومنها: أن ما يفعله أئمة الأصول والكلام في تأليفهم بتصدير الكتاب بجملة من المنطق كصاحب المختصر وصاحب الطوالع وغيرهما حرام، ويلزمه أن لا يقرأ شيئاً من هذه الكتب أو أن يتخطى ذلك الموضع، فأقول: صاحب المختصر والطوالع وأضرابهم إنما صدروا كتبهم بجملة من المنطق بعض مسائل كتبهم عليها ولا يمتري أحد منهم أنه من جملة الفلسفة المنهي عن

....

الإشتغال بها، فلا يلزم السيوطي إن تخطي تلك الجمل واستفاد من بقية الكتاب، فيأخذ منه ما صفا ويدع ما كدر، ولا أن تركها رأساً فإنه ليس بمأمور في قراءتها.

فإن قلت: كيف يستفيد من الكتاب مع توقف مسائله على تلك الجمل؟

قلت: يستفيد منه كما يستفيد الإمام الشافعي رضي الله عنه الذي هو أول من استنبط علم أصول الفقه. أتظن أنه استعان في استنباطه ذلك على البراهين المنطقية، أو خلطه حين أملاه بالجمل المنطقية فتأمل غاية التأمل ودع ما تطابق عليه الناس، والحق أحق ان يتبع، وانظر إلى هؤلاء العلماء المتقنين الذين صنفوا في الإسلام كتباً هي مدار أهل الإسلام وعمدتهم في فنون شتى هل خلط أحد منهم بشيء من الجمل المنطقية وحشا فيه من العلوم الفلسفية؟ ولا أراك تنكر ذلك، فلماذا لا ترجع إلى الحق الصريح ولا تجد في العصر الأول من القرن الرابع والخامس من كان يتكلم فيه إلا القليل ممن أقامه الله لرد المبتدعة وضلال الفرق، مع أن هؤلاء الفرق كانت في العصور الأول أكثر من هذا الزمان ومن قبل هذا كثير، ثم هؤلاء الذين اشتغلوا بـ لما فرغوا من القدر المحتاج إليه تنصلوا عنه وتباعدوا وانفصلوا واقبلوا على علوم الآخرة كما هو ظاهر من حال المصنف لمن طالع كتابه المنقذ من الضلال، ومن حال الفخر الرازي وغيره، ومن طالع تراجمهم وأحوالهم ظهر له ما ذكرت، ثم قال:

ومنهـا: أنه يلزمه أن لا يدرك إلا الكتاب والسنة ويحرم ما سواهما الخ فاعلم أن السيوطي لا يجهل أن مدارك العلوم بعد الكتاب والسنة آثار الصحابة والإجماع والقياس مثلاً، ولا يفهم من سياقه ما نسبه إليه الشيخ وأعيذه أن يوهمه بمجرد معنى يفهمه من لوازم منطوقه، وقوله: لأن علم الكلام على منوال المنطق أي داخل في حده، ولذلك ذم علم الكلام من ذم. وأخرج الحاكم من رواية الربيع بن سليمان قال: ناظر رجل الشافعي في مسألة فدقق والشافعي ثابت يجيب ويصيب، فعدل الرجل إلى الكلام في مناظرته فقال له الشافعي: هذا غير ما نحن فيه هذا الكلام لست أقول بالكلام واحدة فأخرى[1] ليست المسألة مقلوبة، ثم أنشأ يقول:

متى تعصبت بـالبـاطـل الحق يـأبـه ... وإن قـدت بـالحق الرواسي تنقـد
إذا ما أتيت للأمـر مـن غير بـابـه ... ضللت وإن تقصد إلى الباب تهتـدي

وقال أبو يوسف رحمه الله: من طلب العلم بالكلام تزندق، وقال الإمام أحمد: العلم إنما هو ما جاء من فوق يعني إلهاماً. وقال أيضاً: علماء أهل الكلام زنادقة، وغير ذلك مما سيأتي للمصنف في قواعد العقائد، فإنما ذم الكلام لأجل هذه التهويلات والتشكيكات التي خلطت به حتى صار بعد أن كان شرعياً ملحقاً بالفلسفيات، ثم قال: وما قصدنا بهذا الكلام تنقيص العلماء ولا اهتضام الجلال الخ.

(١) هكذا في الأصل.

....

قلت: وهذا كما قال القاضي الحافظ أبو بكر في تاريخه في ترجمة الإمام أبي حنيفة رحمه الله ما نصه: قد سقنا عن أيوب السختياني، وسفيان الثوري، وابن عيينة، وأبي بكر بن موسى وغيرهم من الائمة أخباراً كثيرة تتضمن تقريظ أبي حنيفة والمدح له والمحفوظ عند نقلة الحديث من أئمة المتقدمين وهؤلاء المذكورين. منهم في أبي حنيفة خلاف ذلك وكلامهم فيه كثير لأمور حفظت عليه يتعلق بعضها بأصول الديانات، وبعضها بالفروع نحن ذاكروها بمشيئة الله تعالى ومعتذرون إلى من وقف عليها وكره سماعها بأن أبا حنيفة عندنا مع جلالة قدره أسوة غيره من العلماء اهـ.

ولا يخفى أن قصده خلاف ما ذكر من المعذرة، وإنما قصده الشناعة جرأة منه على هذا الشيخ، وإني لأتعجب في تقريره كلام المغيلي على تسميته بالفرقان غاية العجب، كيف سماه بأسماء الكتب المنزلة الإلهية، وكذا أنكر على الإمام أبي القاسم الرافعي حين سمى شرحه على الوجيز بالعزيز، ولكن له أسوة بابن سينا حيث سماه رئيس العلوم، وكذا في قوله في قصيدته: ما سمعت بمثله وهذا يرشدك إلى أن ما بلغه من كلام العلماء المحققين ممن ألف كتباً عديدة وبالغ في ذمه حيث أفهم كلامه ان السيوطي هو الذي أبدع في الذم، وخالف كلمة الإجماع، فإنه لو بلغه كلامهم لم يقل ما قال، وإنما كلام السيوطي وتأليفه فيه نقط في بحر كلام السلف، ولو علم بسبب قيام ابن الصلاح، ويوسف الدمشقي، وابن تيمية على المصنف لأعذر السيوطي في تقريره، مع أن المصنف قد أبدى عذراً لنفسه في كتابه (**المنقذ من الضلال**) وذكر سبب خوضه فيه، ثم التنصل عنه بعد ذلك، ثم قول المغيلي في قصيدته ودع عنك أبداه كفور وذمه، ثم قوله: خذ العلم حتى من كفور مما تمجه الطباع وتنفر عنه الاسماع، وكذا قوله: لئن صح عنهم ما ذكرت، وقول اليوسي أنه إشارة إلى عدم تسليم صحة ما نقله عجيب، وهل يجوز العقل أن يتلقى كلام الحكماء ومدحهم فيه ومن تمذهب بمذهبهم، ولا يسلم نقل حفاظ الإسلام ونقلة العلم وحماة الدين ويطرح كلامهم رأساً بمرة، فتأمل في هذا المقام غاية التأمل مع الإنصاف ودع الاعساف وفصل الخطاب فيه ما قاله المصنف في المنقذ من الضلال فاعتمده، واترك القيل والقال، وهذا نصه بعد ان ذكر أقسام علوم الفلسفة.

وأما المنطقيات؛ فلا يتعلق شيء منها بالدين نفياً وإثباتاً، بل هو نظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان، وكيفية تركيبها، وشروط الحد الصحيح، وكيفية ترتيبها، وأن العلم بها إما تصوّر وسبيل معرفته الحد، وإما تصديق وسبيل معرفته البرهان، وليس في هذا ما ينبغي أن ينكر، بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الأدلة، وإنما يفارقونهم في العبارات والإصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في التفريقات والتشعيبات، ومثال كلامهم فيه قولهم: إذا ثبت أن كل « أ ب » لزم أن بعض « ب أ » فإذا ثبت ان كل إنسان حيوان لزم ان بعض الحيوانات إنسان، ويعبرون عن هذا بأن الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية، وأي

والثالث: الإلهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته، وهو داخل في الكلام أيضاً، والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم، بل انفردوا بمذاهب: بعضها كفر وبعضها بدعة، وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة، فكذلك الفلاسفة.

تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يجحد وينكر، وإذا أنكر لم يحصل من إنكاره عند أهل المنطق إلا سوء الاعتقاد في عقل المنكر، بل في دينه الذي يزعم أنه موقوف على مثل هذا الانكار. نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم، وهو أنهم يجمعون للبرهان شروطاً تعلم أنه يورث علم اليقين لا محالة، لكنهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية ما يمكنهم الوفاء بتلك الشروط بل يتساهلوا غاية التساهل، فربما ينظر في المنطق أيضاً من يستحسنه ويراه واضحاً فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيد بتلك البراهين فيستعجل الكفر قبل الانتهاء إلى العلوم الإلهية، فهذه الآفة أيضاً يتطرق إليه اهـ كلامه والله أعلم.

(**والثالث: الإلهيات**) وهي خمسة أنواع. علم الواجب وصفته، وإليه الإشارة بقوله: (**وهو بحث عن ذات الله وصفاته**). الثاني: علم الروحانيات وهي معرفة الجواهر البسيطة العقلية العنائية التي هي الملائكة. الثالث: العلوم النفسانية وهي معرفة النفوس المتجسدة والأرواح السارية في الأجسام الملكية والطبيعية من الفلك المحيط إلى مركز الأرض. الرابع: علم السياسات وهي خمسة أنواع. الأول: علم سياسة النبوة. الثاني: علم سياسة الملك وتحته الفلاحة والرعاية. الثالث: علم قود الجيش ومكائد الحرب والبيطرة وآداب الملوك. الرابع: العلم المدني كعلم سياسة العامة وعلم سياسة الخاصة وهي سياسة المنزل. الخامس: علم سياسة الذات وهو علم الأخلاق، (**وهو أيضاً داخل في الكلام**) أي بالنظر إلى النوع الأول من أنواعه الخمسة. (**والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم، بل انفردوا بمذاهب بعضها بدعة وبعضها كفر، فكما أن الاعتزال ليس هو علم برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة**)، وقد أشبع المصنف في هذا المقام في كتابه المنقذ من الضلال، فقال: وأما الإلهيات ففيها أكثر أغاليطهم وما قدروا على الوفاء بها بالبراهين على ما شرطوا في المنطق، ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ومجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً يجب تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديعهم في سبعة عشر، ولإبطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب (**التهافت**) وأما المسائل الثلاث: فقد خالفوا فيها كافة الإسلاميين، وذلك في قولهم: إن الأجسام لا تحشر، وإن المثاب والمعاقب هي الأرواح المجردة والعقوبات روحانية لا جسمانية، وكفروا بالشريعة فيما نطقوا بـه، ومن ذلك قولهم: إن الله يعلم الكليات دون الجزئيات، وهذا أيضاً كفر صريح، بل الحق أنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ومن ذلك قولهم: بقدم العالم وأزليته، فلم يذهب أحد من المسلمين إلى شيء من ذلك، وأما السياسات فجميع كلامهم يرجع إلى الحكم المصلحية المتعلقة بالأمور الدنيوية

والرابع: الطبيعيات، وبعضها مخالف للشرع والدين الحق، فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في أقسام العلوم، وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء، إلا أن الطبيب ينظر في بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح، وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيثُ تتغير وتتحرك؛ ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج إليه. وأما علومهم في الطبيعيات فلا

والإمامة السلطانية، وإنما أخذوها من كتب الله المنزلة على الأنبياء، ومن الحكم المأثورة عن سلف الأولياء. وأما الخلقية؛ فجميع كلامهم فيها إلى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها، وإنما أخذوها من كلام الصوفية وهم المتألهون المثابرون على ذكر الله تعالى، وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق إلى الله بالأعراض عن ملاذ الدنيا، وقد انكشف في حالاتهم من أخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ما صرّحوا به فأخذتها الفلاسفة ومزجوا بها كلامهم توسلاً بالتجمل إلى ترويج كلامهم الباطل، ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من المتألهين لا يخلي الله سبحانه وتعالى العالم عنهم، فإنهم أوتاد الأرض ببركاتهم تنزل الرحمة على أهل الأرض، كأصحاب الكهف فتولد من جهة كلام النبوّة وكلام الصوفية في كتبهم آفتان. آفة في حق القائل، وآفة في حق الراد، ثم أطال في ذلك بما ليس موضع ذكره هنا.

(**الرابع: الطبيعيات**) وهو النوع الرابع من علوم الفلسفة، والطبيعي علم يبحث فيه عن أحوال سائر الأجسام الطبيعية وموضوعه الجسم، وهو على سبعة أنواع. علم المبادىء وهو معرفة خمسة أشياء لا ينفك عنها جسم، وهي الهيولى، والصورة، والزمان، والمكان، والحكمة. الثاني: علم السماء والعالم وما فيه. الثالث: علم الكون والفساد. الرابع: علم حوادث الجوّ. الخامس: علم المعادن. السادس: علم النبات. السابع: علم الحيوان، ويدخل فيه علم الطب وفروعه. (**وبعضها مخالف للشرع والدين الحق، فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في العلوم، وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها، وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر في بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح، وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك، ولكن للطب فضل عليه**) ومزية (**وهو أنه محتاج إليه**) لتعلقه ببدن الإنسان، (**وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها**).

قال المصنف في (**المنقذ من الضلال**) وأما الطبيعيات؛ فهو بحث عن أجسام العالم. السموات وكواكبها، وما تحتها من الاجسام المفردة كالسماء والهواء والتراب والنار، ومن الأجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن، وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها، وذلك يضاهي بحث الطبيب عن جسم الإنسان وأعضائه الرئيسة والخادمة، وأسباب استحالة مزاجها ولا ينكر فيه إلا على مسائل مبينة ذكرناها في كتاب (**تهافت الفلاسفة**) وما عداها مما تجب المخالفة فيها، فعند

حاجة إليها. فإذاً الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة، وإنما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الإنسان إلى استئجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق، ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج؛ فلذلك لو ترك

التأويل يتعين أنها مندرجة تحتها، وأصل جلتها أن تعلم أن الطبيعة مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها، بل مستعملة من جهة فاطرها، والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بأمره لا تعمل بنفسها بل لا فعل لشيء منها بذاته عن ذاته اهـ.

(فإذاً الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية)، وأيده ابن السبكي في مواضع من طبقاته، والمراد به علم العقائد بالحجج الشرعية والبراهين النقلية، وهو أشرف العلوم الدينية لانه يبحث فيه عما يتوقف صحة الإيمان عليه وتمامه اللازمة لديه، وأما ما تنصب فيه الأدلة العقلية وتنقل فيه أقوال الفلاسفة والحكماء الطبيعية، فقد نقل ذمه نص الإمام الشافعي رضي الله عنه: لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام. وذكر في غياث المفتي عن أبي يوسف: أنه لا يجوز الصلاة خلف المتكلم وإن تكلم بحق لأنه مبتدع، ولا تجوز خلف المبتدع.

وقال صاحب القوت: اعلم أن علم الكلام ينقسم سبعة أقسام. العلم منه قسم واحد وسائر الستة لغو مطروح يلتقطه من لا يعرفه ولا يفرق بين العلم والجهل، والعرب تقول: لكل ساقطة لاقطة ولكل قائلة ناقلة، فالستة إفك وسفه وخطأ وظن وزخرف ووسوسة هذه أسماؤها عند العلماء يفصلون ذلك مما فصل الله تعالى من بيانه، واستحفظهم من كتابه، وجعلهم شهداء على دينه وعباده. والقسم السابع من أقسام الكلام هو ما عدا هذه الستة، ولم يقع على اسم منها إسم مذموم فهو علم وهو نص القرآن والسنة، أو ما دلا عليه واستنبط منها أو وجد فيهما اسمه ومعناه من قول وفعل، والتأويل إذا لم يخرج من الإجماع داخل في العلم والاستنباط إذا كان مستودعاً في الكتاب يشهد له المجمل ولا ينافيه النص فهو علم اهـ.

(حراسة) أي حفظاً **(لقلوب العوام)** في اعتقاداتهم **(عن تخيلات المبتدعة)** وشبههم التي يلقونها **(وإنما حدث ذلك)** بعد عصر السلف **(بحدوث البدع)** المستنكرة **(كما حدثت حاجة استئجار البذرقة)** أي الخفراء **(في طريق الحج لحدوث ظلم العرب)** وتعديهم **(وقطعهم الطريق)** على الحاج، **(ولو ترك العرب عدوانهم)** وامتنعوا من قطع الطريق **(لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج)** إشارة إلى ما قاله الفقهاء من شروط الحج أمن الطريق، وهو أن يكون الغالب فيه السلامة. وقد اختلف عندنا هل هو شرط الاداء أو شرط الوجوب، وهو الصحيح وتظهر ثمرة الخلاف في وجوب الإيصاء على من لم يحج وأدركه الموت

المبتدع هذيانه لما افتقر إلى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة رضي الله عنهم، فليعلم المتكلم حدّه من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج؛ فإذا تجرد الحارس لم يكن من جملة الحاج، والمتكلم إذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلاً، وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان، وإنما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة، فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام، بل يكاد أن يكون الكلام حجاباً عليه ومانعاً عنه، وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾.

والطريق غير مأمون، فيجب على الثاني دون الأوّل، ولو كان الطريق بحراً لا يجب، ولو كان نهراً أو كان الغالب في البحر السلامة يجب كذا في شرح الملتقي للبهيتي، **(وكذلك لو ترك المبتدع هذيانه)** أي كلامه الذي لا فائدة فيه **(لما افتقر)** أي ما احتاج **(إلى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة)** رضي الله عنهم إذ كان علمهم عن مشاهدة ويقين، **(فليعلم المتكلم حدّه من الدين وأن موقعه موقع الحارس في طريق الحج)** قطعاً، **(والمتكلم)** كذلك **(إن تجرد للمناظرة والمدافعة)** عن العوام **(ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه)** من طرق الأوصاف الذميمة **(لم يكن من جملة علماء الدين أصلاً)** بهذا الاعتبار، فظاهر كلام السبكي في شرح المنهاج أن المتكلم من جملة علماء الدين إذا كان على قوانين الشرع ولم يخرج عنها إلى الفلسفة. **(وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه سائر العوام فيها وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان، وإنما تميز عن العامي بصنعة المجادلة)** والمناظرة **(والحراسة)** عما يرد عليها من الشكوك والشبهات، **(فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام)** ولا يثمره، **(بل يكاد يكون الكلام حجاباً عليه وصاداً عنه)** فلا يتجاوز عن الحد الذي هو فيه، **(وإنما الوصول إليه بالمجاهدة)** وهي مدافعة النفس والشيطان باستفراغ الوسع فيها **(التي جعلها الله سبحانه وتعالى مقدمة للهداية)** الحقيقة **(حيث قال: والّذين جاهدوا فينا)** أي لأجلنا أي لا للرياء والسمعة أو غيرهما ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] أي لنرشدنهم إليها وهو إشارة إلى مجاهدة النفس والشيطان وهو أصعب وأشق، ويعبر عنها بالجهاد الأكبر، فإن مراجعة النفس ومقاتلتها أصعب من قتال العدوّ. وقال المصنف في الاملاء في الردّ على من أنكر عليه هذا القول، وهو أن أئمة الكلام في الاعتقاد مع العوام سواء، وإنما فارقوهم في حراسة عقائدهم ونصه: ما رأيت في الاحياء صحيح، ولكن بقي في كشفه أمر لا يخفى عن

فإن قلت: فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة، كما ان حد البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب، ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض، وهاتان رتبتان

المستبصرين ولا يغيب عن الشاردين إذا كانوا منصفين، وهو أن المتكلمين من حيث صناعة الكلام فقط لم يفارقوا عقائد العوام، وإنما حرسوها بالجدل عن الانخرام إذ الكلام والجدل علم لفظي وأكثره احتمال وهمي وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس بشدة المشاهدة والكشف، ولهذا كان فيه السمين والغث وشاع في حال انتضاله إيراد القطعي وما هو في حكمه من غلبة الظن وإبداء الصحيح والزام مذهب الخصم والمقام المشار إليه بالذكر، وشبهه إنما هو علم الوجود وفهم الأحوال ومعرفة اليقين التام والعلم المضارع للضروري بأن لا إله إلا الله ولا فاعل غيره ولا حاكم سواه، ومشاهدته بالقلوب لما حجبه عن العيون، ومن أين للنازل طي المنازل، ولعلم الكلام مثل هذا المقام، بل هو في خدام الشـرع وحراس نواحيه من أهل الاختلاس والقُطع، وله بركة على قدره ونفع، ولكن شتان بين مطالع الأنوار ومدارك الاستبصار، والمراد في أوقات الضرورات والاختيار، وبين ما يراد لوقت حاجته إن عنت وخصام صاحب بدعة ومناضلة سخيف ذي ضلالة مما ينغص على ذي اليقين العيش ويشغل الذهن ويكدر النفس، وأما أهله الذين حفظ عنهم ذلك لا تقول في أكثرهم أنهم لا يختصون في التوحيد بمقام سواه مما هو أعلى منه، بل الظن بهم أنهم علماء بمثل ما ذكرنا، لكنهم لم يعد لهم العلم في الظاهر إلا ما كانت الحاجة إليه أمس والمصلحة به لتوجه الضرورة أعم وآكد حين ظهر في وقتهم من الأهواء والبدع، فإن ذلك كان أولى بهم من الاشتغال بفقه الأرواح والنفوس، فإن هذه وإن كانت أهنى فذلك من علم الخواص وهم مكفون المؤنة. والعامة أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة، ثم قال: ولقد كانـت رعـايـة رسول الله ﷺ لحال الجماهير أكثر، والخوف عليهم من الزيغ والهلاك أشد، واللطف في تخفيف الوظائف والأخذ بالرفق أبلغ، وكان يكل أهل القوّة وذوي البصائر بالحقائق إلى ما كانوا يأخذون به أنفسهم، ثم قال: ومع ذلك فالذي حفظ عنه ﷺ وعن أصحابه من بعده وفقهاء الأمصار وأعيان المتكلمين من الإشارات بتلك العلوم المذكورة كثير لا يحصى، وإنما القليل من حمله اليوم عنهم وتفقه فيه مثلهم، فابحث تجد وتصد لاقتباس المعارف تعلم، وطالع كتب الحديث والتاريخ ومصنفات العلوم توقن: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ [البقرة: ٢٦٩].

(فإن قلت: فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة) وإيراده الشبه عليها، **(كما ان حد البدرقة حراسة أقمشة)** جمع قماش بالضم وهو المتاع **(الحجيج عن نهب العرب)** وأخذهم إياها بالتعدي، **(ورددت حد الفقه إلى، حفظ القانون)** السياسي **(الذي به يكف السلطان)** أي يمنع **(شر بعض أهل العدوان)** أي التعدي **(عن بعض، وهاتان رتبتان نازلتان)** سافلتان **(بالإضافة إلى علم الدين، وعلماء**

نازلتان بالإضافة إلى علم الدين ، وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى ، فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالإضافة إلى علم الدين ؟ فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال ، فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكاً طريق الحق وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلوّ منصبهم ، فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وإنهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها ، وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ، ولكن بشيء وقِّر في صدره ، كما شهد له سيد المرسلين ﷺ ؛ فليكن حرصك في طلب ذلك

الأمة المشهورون بالفضل) والتقدم **(هم الفقهاء والمتكلمون)** وهم زعماؤه **(وهم أفضل الخلق عند الله تعالى)** لاقامتهم الدين وتصحيحهم عقائد المسلمين ، **(فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة)** أي المنحطة **(بالإضافة إلى علم الدين؟ فاعلم أن)** الحق لا يعرف بالرجال و **(من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال)** والمتاهة ما يحملك على التيه وهو التحير ، **(فاعرف الحق)** حيث كان **(تعرف أهله إن كنت سالكاً طريق الحق)** . وفي المنقذ من الضلال للمصنف عادة ضعفاء العقول معرفة الحق بالرجال ، والعامل يقتدي بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حيث قال: لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله ، وهو ما روي أنه قال ذلك لمن قال له : أتظن أن طلحة والزبير كانا على الباطل؟ فقال: يا هذا انه ملبوس عليك أن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله ، أي : ان العاقل يسمع القول ثم ينظر في نفس القول ، فإن كان حقاً قبله سواء كان قائله محقاً أو مبطلاً **(وإن قنعت بالتقليد)** المحض وأخلدت إليه **(و)** إلى **(النظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن)** أحوال **(الصحابة)** رضي الله عنهم **(و)** انظر إلى **(علو منصبهم)** الذي أقامهم الله فيه ، **(فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم)** من الفقهاء والمتكلمين **(على تقدمهم ورفعة قدرهم وأنهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم)** لما روى البخاري في صحيحه من رواية شعبة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد رفعه : « لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه » . وتابعه جرير ومعاوية ومحاضر عن الأعمش **(ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه)** أي بهذين العلمين ، **(بل بعلم الآخرة)** الذي مداره على تطهير القلب وإخلاص النية **(وسلوك طريقها)** بالصبر وقمع النفس ، **(وما فَضَلُ أبو بكر)** عبدالله بن عثمان التيمي الصديق **(رضي الله عنه الناس بفضل صلاة وبكثرة صيام ولا بكثرة رواية)** للحديث **(وفتوى وكلام ، ولكن بسر)** وفي بعض النسخ : بشيء **(وقر في صدره : كما شهد له سيد البشر صلوات الله عليه)** وسلامه .

السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون، ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها، فلقد قبض رسول الله ﷺ عن

قال العراقي: لا أصل لهذا مرفوعاً، وإنما يعرف في قول بكر بن عبدالله المزني، كذلك رواه الحكيم الترمذي في نوادره اهـ.

قلت: ولفظ الحكيم ما فضل أبو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولكن بسر وقر في صدره. وبكر بن عبدالله المزني ثقة سمع من ابن عباس، وابن عمر، وعنه سليمان التيمي، ومبارك، وخلف توفي سنة ١٨٠. وعزاه ابن القيم إلى أبي بكر بن عياش من قوله ولفظه: ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه. قال: وهذا موضع المثل المشهور:

مـــن لي بمثـْـل سيـــرك المذلـــــل تمشـــي رويـــــداً وتجـــي في الأوّلِ

أورد ذلك في بحث أفضلية العلم، فقال: العلم يعرف بمقادير الأعمال ومراتبها، وفاضلها من مفضولها، وراجحها من مرجوحها، فصاحبه لا يختار لنفسه إلا أفضل الأعمال والعامل بلا علم يظن أن الفضيلة في كثرة المشقة، فهو يتحمل المشاق وإن كان ما يعانيه مفضولاً، ورب عمل فاضل والمفضول أكثر مشقة منه، واعتبر هذا بحال الصديق رضي الله عنه، فإنه أفضل الأمة. ومعلوم أن فيهم من هو أكثر عملاً وحجاً وصوماً وقراءة اهـ.

(**فليكن حرصك**) واجتهادك (**في طلب ذلك السر**) المصوت (**فهو الجوهر النفيس والدر المكنون**) ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين: ٢٦] (**ودع عنك ما تطابق**) أي توافق (**أكثر الناس على تفخيمه**) وتبجيله (**وتعظيمه لأسباب**) ظاهرة (**ودواع**) متوافرة (**يطول تفصيلها**) في هذا الموضع، (**فلقد قبض رسول الله ﷺ عن آلاف**) جمع ألف (**من الصحابة**). وعبارة القوت عن ألوف من الصحابة، وعد في الاصابة من حضر معه ﷺ حجة الوداع من أهل مكة والمدينة والطائف وما بينها من الاعراب، فكانوا أربعين ألفاً. وفي طبقات عبد القادر القرشي قال أبو زرعة: قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روي عنه وسمع منه.

قلت: حكى ذلك ابن الصلاح وغيره. قال السيوطي، قال الحافظ العراقي: وهذا القول عن أبي زرعة لم أقف له على إسناد ولا هو في كتب التواريخ المشهور، وإنما ذكره أبو موسى المديني في الذيل بغير إسناده. قال السيوطي: وقد وقفت أنا على إسناده في بعض كتب الخطيب البغدادي وأوردته في شرح التقريب اهـ.

وفي الاكليل للحاكم، عن أبي زرعة كانوا بتبوك سبعين ألفاً. ونقل ابن الأثير، عن أبي زرعة، وسئل عن عدة من روى عن النبي ﷺ فقال: ومن يضبط هذا شهد معه حجة الوداع تسعون ألفاً، وشهد معه تبوك أربعون ألفاً. قال ابن السمعاني: وكان بالشام عشر آلاف عين

آلاف من الصحابة رضي الله عنهم كلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله ﷺ، ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام، ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلاً، ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما منهم، وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل: اذهب إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه. إشارة إلى أن

رأت النبي ﷺ. وقال ابن حزم: قد غزا رسول الله ﷺ هوازن بحنين في اثني عشر ألف مقاتل كلهم يقع عليه إسم الصحبة، ثم غزا تبوك في أكثر من ذلك **(كلهم علماء بالله)** عز وجل **(أثنى عليهم رسول الله ﷺ)** كما ورد ذلك في عدة أخبار، **(ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام)** كما هو عليه الآن **(ولم ينصب نفسه للفتوى فيهم أحد)** زاد في القوت: ولا حملت عنه القضايا والأحكام في شيء **(إلا بضعة عشر رجلاً)** كابن عباس، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وعلي، وحذيفة، ومعاذ، وأبي هريرة، وأنس، وزيد بن ثابت، وعمر بن الخطاب، وعائشة رضي الله عنهم. وأما الدين كانوا يفتون في عهد رسول الله ﷺ، فقد نظمهم السيوطي رحمه الله تعالى بمنه وكرمه في قوله:

وقـــد كـــان في عصر النبي جماعـــة ... يقـومـون بـالافتـاء قـومـة قـانـتِ
فـــأربعـــة أهـــل الخلافـــة معهـــم ... معـاذ أبيّ ابـن عـوف ابـن ثـابـتِ

ونظمهم الشيخ نجم الدين قاضي عجلون صاحب تصحيح المنهاج فقال:

لقـــد كـــان يفتي في حيـــاة نبينـــا ... مـــع الخلفـــاء الراشـديـــن أئمـــة
معـــاذ وعمار وزيـــد بـــن ثـابـــت ... أبيّ ابن مسعـود ابـن عـوف حـذيفـة
ومعهـم أبـو مـــوسى وسلمان والتقـــي ... كـــذاك أبـــو الدرداء وهـــو تتمـــة
وأفتى بميـــراث أبـــو بكـــر الرضى ... وصـــدقـــه فيهـــا وتلـــك مـــزيـــة

(وكان عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما منهم) أي من الذين يفتون في عصر الصحابة، وقد روي أن النبي ﷺ قال: إن عبدالله رجل صالح. وقال جابر: ما منا أحد إلا مالت به الدنيا ومال لها إلا عبدالله بن عمر. قال ابن المسيب: مات وما أحد أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله مات سنة أربع وسبعين، **(فإذا سئل)** ونص القوت وكان ابن عمر إذا سئل **(عن الفتيا يقول)** وفي القوت قال: **(إذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها)** وفي القوت: فصعها **(في عنقه)**. وروي ذلك عن أنس بن مالك، ثم عن جماعة من الصحابة والتابعين بإحسان، وكان من الفقهاء من يقول: لا أدري أكثر من أن يقول أدري منهم سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، والفضيل بن عياض، وبشر بن الحرث رضي الله عنهم، وكانوا في مجالسهم يجيبون عن بعض ويسكتون عن بعض، ولم يكونوا يجيبون عن كل ما يُسألون عنه. وسيأتي ذلك في الباب السادس بأبسط من ذلك **(إشارة إلى أن الفتيا في**

الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة، ولما مات عمر رضي الله عنه، قال ابن مسعود: مات تسعة أعشار العلم، فقيل له: أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة؟ فقال: لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى، أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل، فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره، وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغاً بالدرة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره، وأما قولك: إن المشهورين

القضاء والأحكام) الشرعية **(من توابع الولاية والسلطنة)** لما مرّ: لا يفتي إلا أمير أو مأمور أو متكلف، وتقدم الكلام عند بيان هذا الحديث. **(ولما مات)** أمير المؤمنين **(عمر بن الخطاب رضي الله عنه)** في يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين **(قال)** عبدالله **(ابن مسعود)** رضي الله عنه: **(مات تسعة أعشار العلم)**. أخرجه أبو خيثمة في كتاب العلم عن جرير، عن الأعمش، عن ابراهيم بن عبدالله قال: إني لأحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم. **(فقيل له: أتقول ذلك)** وفي القوت تقول: هذا **(وفينا جلة الصحابة)** أي عظماؤهم؟ ونص القوت وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون **(فقال: لست أريد علم الفتيا والكلام إنما أريد العلم بالله)**، ونص القوت فقال: إني لست أعني العلم الذين تذهبون إليه إنما أعني العلم بالله عز وجل **(أفترى)** أي تظن **(أنه)** أي ابن مسعود **(أراد)** بذلك العلم **(صنعة الكلام والجدل)** الذي هو معروف الآن **(فما بالك لا تحرص)** أيها الإنسان **(على معرفة، ذلك العلم الذي مات بموت عمر رضي الله عنه تسعة أعشاره)** وهو العلم بالله عز وجل، **(وهو)** أي سيدنا عمر **(الذي سد باب الكلام والجدل)** وحسم مادتها **(وضرب صبيغاً بالدرة)** بكسر الدال السوط جمعها درر كسدرة وسدر. وصبيغ بالصاد المهملة المفتوحة وكسر الموحدة وسكون التحتية وآخره غين معجمة هو ابن عِسْل بكسر العين وسكون السين المهملتين. هكذا ضبطه الحافظ ابن حجر في التبصير، ووقع في نسخة القاموس عسيل، فقيل: هو كأمير، وقيل: كزبير كلاهما غلط: وهو رجل من بني تميم، ثم من يربوع حدث عنه ابن أخيه عسل ابن عبدالله بن عسل. وقال ابن حصين: هو صبيغ بن شريك، قال الحافظ بن حجر: والقولان صحيحان هو شريك بن صبيغ بن المنذر بن قطن بن قشع بن عسل بن عمر بن يربوع التميمي، فمن قال صبيغ بن عسل فقد نسبه إلى جده الأعلى، وله أخ اسمه ربيعة شهد الجمل. قال: وهو الذي يعنت الناس بالغوامض والسؤالات في متشابه القرآن **(لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين من كتاب الله)**، فنفاه عمر إلى البَصرة **(وهجره)** بعد ضربه إياه **(وأمر الناس بهجره)** بأن كتب إلى والي البصرة أن لا يؤويه تأديباً له، فرأيت الحافظ الذهبي في كتاب له سماه (نعم السمر في سيرة عمر) ما نصه: حدثنا مكي بن ابراهيم، حدثنا الجعد بن عبد الرحمن، عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد قال: أتى رجل عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل القرآن، فقال: اللهم أمكني منه، فبينا عمر جالس إذ جاءه وعليه عمامة

من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون، فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر، فلقد كانت شهرة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقّر في قلبه، وكانت شهرة عمر رضي الله عنه

وثياب فقال: يا أمير المؤمنين ﴿والذاريات ذروا فالحاملات وقراً﴾ [الذاريات:]. قال عمر: أنت هو فقام إليه وحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت به رأسك ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب وأخرجوه حتى تقدموا به بلاده، ثم ليقم خطيباً فليقل إن صبيغاً ابتغى العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك وكان سيد قومه. قال يزيد بن هارون: أخبرنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن صبيغ أنه سأل عمر عن المرسلات والذاريات والنازعات، فقال له عمر: الق ما على رأسك فإذا ليس له ضفران قال: لو وجدته محلوقاً لضربت الذي فيه عيناك، ثم كتب إلى أهل البصرة أن لا تجالسوه. قال أبو عثمان: كان لو أتانا ونحن مائة تفرقنا عنه، وقال أبو شهاب، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس قال: جاء رجل إلى عمر فسأله وقال: جئت أبتغي العلم. قال: بل جئت تبتغي الضلالة، ثم كشف عن رأسه فوجده ذا شعر فقال: لو كنت محلوقاً لضربت عنقك، وقال الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن الزهري أن عمر جلد صبيغاً التميمي عن مسألته حتى اضطربت الدماء في جلده، وقال حماد بن زيد، عن يزيد بن حازم، عن سليمان بن يسار أن صبيغ بن عسل قدم المدينة فجعل يسأل عن المتشابه، فبعث إليه عمر وأعدّ له عراجين النخل، فلما حضر قال له: من أنت؟ قال: عبدالله صبيغ. قال: وأنا عبدالله عمر، ثم قام فضرب رأسه بعرجون فشجه، ثم تابع ضربه حتى سال الدم على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين قد والله ذهب ما كنت أجد في رأسي. وقال حماد بن زيد، عن قطر المغربي، عن رجل، عن أبيه قال: لقد رأيت صبيغاً وإنه لمثل البعير الأجرب لا يجلس إلى قوم إلا تفرقوا وتركوه وحده. وقال هشام عن ابن سيرين قال: كتب عمر إلى أبي موسى أن لا يجالس صبيغ، وأن يحرم عطاءه ورزقه. ويروى عن ابراهيم التيمي انه كان لبث كذلك حولاً ثم أصابه الجهد، فقام إلى اسطوانة أمير المؤمنين واستغاث، ورجع عمر فكتب أن لا تخالطوه وأن تكونوا منه على حذر، ويروى عن سعيد بن المسيب انه حلف لأبي موسى الايمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان شيئاً، فكتب في ذلك إلى عمر فأجابه أظنه محل صدق فخلي بينه وبين الناس (**وأما قولك إن المشهورين من العلماء**) الذين يقتدى بهم (**هم الفقهاء والمتكلمون**) خاصة، (**فاعلم أن ما ينال به الفضل**) والرتبة والشرف (**عند الله**) عز وجل (**وما ينال به الشهرة**) بالنشر والتعليم (**عند الناس**) عامتهم وخاصتهم (**شيء آخر**) وهما مفترقان، (**فلقد كانت شهرة أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة**) أي بأنه خليفة رسول الله ﷺ، (**وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره**) وأودع فيه، (**وكان شهرة عمر**) رضي الله عنه (**بالسياسة**) العامة في انتظام أمور الإسلام وسد أفواه المجادلين، (**وكان فضله بالعلم بالله تعالى الذي**) أشار ابن مسعود يوم

بالسياسة، وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة أعشاره بموته، وبقصده التقرب إلى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه، وهو أمر باطن في سره، فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصوّر صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة، فتكون الشهرة فيما هو المهلك، والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد، فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء، وقد انقسموا، فمنهم مَن أراد الله سبحانه وتعالى بعلمه وفتواه وذبه عن سنّة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة، فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولإرادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم، فإن كل علم عمل فإنه فعل مكتسب، وليس كل عمل علماً، والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثاباً على علمه من حيث أنه عامل لله سبحانه وتعالى به، والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضياً عند الله سبحانه ومثاباً، لا

موته إلى أنه (**مات تسعة أعشار العلم بموته**)، وكذا (**بقصده التقرب إلى الله تعالى في ولايته وعدله**) في الرعية (**وشفقته على خلقه**) مع كمال زهده وورعه واقتصاده في المعيشة كما هو معروف في مناقبه، (**وهو**) أي قصده التقرب إلى الله تعالى في تلك الأحوال (**أمر باطني في سره**) لا يطلع عليه إلا الله عز وجل، (**فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه**) عند ذي الثروة (**و**) طالب (**الإسم**) ليقال أنه كذا (**و**) طالب (**السمعة**) ليسمع به (**و**) من (**الراغب في الشهرة**) الظاهرة، (**فتكون الشهرة فيما هو المهلك، والفضل فيما هو سر**) خفي (**لا يطلع عليه أحد**) لبطونه عن الادراك، (**فالفقهاء والمتكلمون**) من طوائف العلماء (**مثل الخلفاء والقضاة**) في السياسة وإجراء الأحكام، (**وقد انقسموا**) على أقسام. (**فمنهم من أراد**) وجه (**الله**) تعالى فقط (**بعلمه**) الذي ينشره (**وفتواه**) في الأحكام الشرعية (**وذبه**) أي دفعه (**عن سنة نبيه**) أي طريقة الله عز وجل (**ولم يطلب فيه رياء ولا سمعة**) ولا شهرة ولا جاهاً ولا غير ذلك، (**فأولئك أهل رضوان الله تعالى**) الذين يحل عليهم رضاه في دار كرامته (**لعملهم بعلمهم**) أي لم يكتفوا بعلمهم حتى عملوا به (**ولإرادتهم وجه الله**) عز وجل (**بفتواهم**) عندما احتاج الناس إليه (**ونظرهم**) وبثهم، (**فإن كل علم عمل به**) أي بمقتضاه. وفي نسخة فإن كل علم عمل، ولكن لا يلائمه قوله: (**فإنه فعل مكتسب، وليس كل عمل علماً**) لصدور بعض الأعمال خالية عن الاخلاص والنية فلا يسمى علماً حقيقة، (**و**) ليس هذا الذي ذكرناه خاصاً في العلوم الشرعية بل (**الطبيب**) أيضاً (**يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه**) إذا أراد بذلك وجه الله تعالى (**فيكون مثاباً على علمه من حيث أنه عامل لله**) عز وجل (**به و**) كذلك (**السلطان يتوسط بين الخلق لله عز وجل**) في سياسته بانتظام الخلق وأحوالهم (**فيكون مرضياً عند الله لا من حيث أنه متكفل بعلم الدين**) ونشره وإفادته وقائم بإزائه، (**بل**) من حيث (**هو

من حيث أنه متكفل بعلم الدين، بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه. وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة: علم مجرد وهو علم المكاشفة، وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلاً وضبطه للناس، ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة، فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعاً، فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة في حزب علماء الله، أو عمال الله تعالى، أو في حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما، فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار، كما قيل:

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من أشد خصمائهم يوم القيامة فإنهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى، وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتي بيانه في باب علامات

متقلد لعمل) السياسة **(يقصد به التقرب إلى الله تعالى)** بامحاض النية فيه فهذه أقسام من يريد بعلمه وعمله وجه الله عز وجل من الفقهاء والسلاطين، **(وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة، علم مجرد)** عن العمل أي لا حظ له فيه **(وهو علم المكاشفة، وعمل مجرد)** عن العلم لا ينظر إليه **(كعدل السلطان مثلاً وضبطه للناس)** بالسياسة، **(و)** ما هو **(مركب من علم وعمل)** كل منهما ملاحظ **(وهو علم طريق الآخرة)** المنوط بهما، **(فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعاً)** عالم بالله وبأمر الله وعامل بما علم لوجه الله، **(فانظر)** أيها المتأمل **(إلى نفسك)** تحب أن **(تكون يوم القيامة في حزب عمال الله)** مع السلاطين، **(أو)** حزب **(علماء الله تعالى)** مع أهل المكاشفة، **(أو في حزبهما)** معاً **(فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما)** أي تأخذ بحظك مع كل منهما، **(فهذا)** الذي ذكرناه لك **(أهم)** وأعلى **(من التقليد)** الصرف **(بمجرد الاشتهار)** فقط، **(كما قيل)** فيما نص في مثل هذا المقام:

(خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل)

زحل كصرد ممنوعاً من الصرف. قال المبرد: للمعرفة والعدل كوكب من الخنس سمي به لأنه زحل أي بعد، ويقال: إنه في السماء السابعة، وفي بعض النسخ في طلعة البدر. **(على أنا سننقل)** في هذا الكتاب **(من سيرة فقهاء السلف)** أي طريقتهم **(ما يعلم به)** ويتحقق **(إن الذين انتحلوا)** أي اتخذوا **(مذاهبهم)** نحلة لهم أي نسبة، والإنتحال الانتساب والاعتزاء **(ظلموهم)** ونقصوا من قدرهم **(وأنهم)** أي أولئك الأئمة **(من أشد خصمائهم)** وأكبر أعدائهم **(يوم القيامة)** حين العرض بين يدي الله تعالى **(فإنهم)** أي الأئمة **(ما قصدوا بالعلم)** الذي حصلوه **(إلا وجه الله تعالى)** فقط، **(وقد شوهد من أحوالهم)** الظاهرة في حركاتهم وسكناتهم **(ما هو علامات)** دالة على **(أنهم من علماء الآخرة)** وهو الباب

علماء الآخرة، فإنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه، بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها، ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه، مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعي متيقنة، ولا حاجة إلى ذكرها.

ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الإسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعناً فيهم، بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلاً مذاهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم، فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق. أعني الذين كثر أتباعهم في المذاهب خمسة: الشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، وأبو حنيفة، وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى. وكل واحد منهم كان عابداً وزاهداً وعالماً بعلوم الآخرة وفقيهاً في

السادس، **(وإنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه)** أي لم تكن همتهم مصروفة إلى تحصيله فقط، **(بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب)** الذي هو الأهم لسالك الآخرة **(ومراقبين لها)** أي للقلوب حافظين لها مما يطرأ عليها من اللمم المختلفة، **(ولكن صرفهم)** أي منعهم **(عن التصنيف)** أي التأليف والتدريس أي التعليم والافادة لذلك **(فيه)** أي في علم القلوب **(ما صرف الصحابة)** رضي الله عنهم **(عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء)** عرفاء **(مستقلين بعلم الفتاوى)** تلقى عنهم الأحكام **(والصوارف والدواعي متعينة، ولا حاجة إلى ذكرها)**.

قال صاحب القوت: كان العلماء الذين هم أئمة هؤلاء العلماء من طبقات الصحابة الأربعة ومن بعد الطبقة الأولى من خيار التابعين الذين انقرضوا قبل وضع الكتب. كانوا يكرهون كتب الحديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل بها عن القرآن وعن التذكر والتفكر، وقالوا: احفظوا كما كنا نحفظ ولئلا يشتغل عن الله برسم أو وسم، وكذلك كانوا يتلقون العلم بعضهم من بعض ويحفظونه حفظاً ظاهراً لطهارة القلوب من الريب وفراغها من أسباب الدنيا وقوّة الإيمان وصفاء اليقين وعلو الهمة وحسن النية وقوة العزيمة اهـ.

(ونحن الآن نورد من أحوال فقهاء الإسلام) المشهورين بتقليد مذاهبهم **(ما يعلمُ به أن ما ذكرناه ليس طعناً فيهم)** ولا إزدراء بشأنهم، **(بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بمذاهبهم)** والاتباع لأقوالهم **(منتحلاً)** أي منتسباً **(مذهبهم وهو)** مع ذلك **(مخالف لهم في علمهم وسيرتهم)** أي طريقتهم، **(فالفقهاء)** السادة **(الذين هم زعماء الفقه)** أي رؤساؤه **(وقادة الخلق)** بهم يقتدون **(أعني الذين كثر أتباعهم)** ومقلدوهم **(في المذاهب خمسة)** المشهور منهم **(الآن)** أربعة لا غير. **(الشافعي، ومالك، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى)**. وكان مذهب سفيان باقياً إلى القرن الخامس، وكان من

مصالح الخلق في الدنيا ومريداً بفقهه وجه الله تعالى، **فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة، وهي التشمير والمبالغة في تفاريع الفقه، لأن الخصال الأربع لا تصلح إلا للآخرة، وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا شمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة، وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدادين، فلنورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الأربع، فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة.**

ينتحله موجوداً إلى زمان المصنف، وكان من مشاهير من كان على مذهبه أبو عبدالله الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري، وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن الحسين الدوي الثوريان الأخير راوي سنن النسائي، عن أبي نصر الكسار توفي سنة إحدى وخمسمائة، وأما الآن فلم يبقَ من تقيد مذهبه أو يُعْتزى إليه، (**وكل واحد منهم كان**) متصفاً بهذه الأوصاف الخمسة كان (**عابداً**) أي عاملاً بعلمه (**وزاهداً**) في الدنيا (**وعالماً بعلوم الآخرة وفقيهاً في مصالح الخلق في الدنيا ومريداً بفقهه وجه الله تعالى، فهذه خمس خصال**) وهي العبادة والزهد والعلم الأخروي والعلم الدنيوي وحسن النية في الأخير (**اتبعهم فقهاء الفرق على كثرتهم من جملتها**) أي من جملة تلك الخصال الخمس (**على خصلة واحدة وهي التشمير**) بذل الجهد (**والمبالغة في**) حفظ (**تفاريع الفقه**) بأنواعها، (**لأن الخصال الأربعة**) وهي العبادة والزهد والعلم الأخروي وحسن النية (**لا تصلح إلا للآخرة، وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة وإن أريد بها الآخرة**) إذ الأعمال بالنية (**قلّ صلاحها**) ولياقتها (**بالدنيا**) ومتاعها (**تشمروا لها**) واجتهدوا في تحصيلها (**وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة**) في سائر أحوالهم، (**وهيهات**) أي بعيد ذلك (**أن يُقاس الملائكة**)، وفي بعض النسخ الملوك (**بالحدادين**)، وشتان ما بينهما لبعد ما بين المنزلتين، (**فلنورد من أحوالهم**) وأخبارهم (**ما يدل على هذه الخصال الأربع**) المذكورة، (**فإن معرفتهم بالفقه**) الظاهر (**ظاهرة**) فلا يحتاج إلى ايراد أدلة لذلك.

(**أما الشافعي رضي الله عنه**)؛ هو الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف، وجده شافع الذي ينسب إليه رؤية للنبي ﷺ. ذكره جماعة من الصحابة، وأبوه السائب أسر يوم بدر ففدى نفسه، ثم أسلم وكان يشبه النبي ﷺ، وأما عثمان ولد شافع فعاش إلى خلافة السفاح، وأما أم الإمام الشافعي؛ فالصحيح أنها أزدية، وقيل: هاشمية، واسمها فاطمة بنت عبدالله بن الحسن بن الحسن ولم يثبت هذا، ولد بغزة سنة خمسين ومائة، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، وقيل: بعسقلان والجمع بينهما ممكن، وقال ابن طيش الذي عليه مجموع الروايات: إنه ولد بغزة ثم حمل منها إلى عسقلان ثم إلى مكة فنشأ بها. وروى ابن أبي حاتم أنه ولد باليمن. قال الذهبي: وهو خطأ ولعله أراد بالولاية النشأة. وأما

أما الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابداً: ما روي أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء. ثلثاً للعلم، وثلثاً للعبادة، وثلثاً للنوم. قال الربيع: كان الشافعي

شيوخه الذين حمل عنهم العلم بالحرمين واليمن والعراق ومصر فكثيرون أوردهم الحافظ ابن حجر في توالي التأنيس، والقطب الخيضري في الألمعية، وكذا من أخذ عنه فيهم كثرة أوردهم التاج السبكي في طبقاته الكبرى والخيضري وابن كثير وغيرهم. وقال الربيع: أقام الشافعي بمصر أربع سنين فأملى ألفاً وخمسمائة ورقة، وخرّج كتاب الأم ألفي ورقة، وكتاب السنن وأشياء كثيرة كلها في مدة أربع سنين وتوفي سنة أربع ومائتين رضي الله عنه.

قلت: وأما المسند المنسوب إليه فمن تخريج أبي عمرو محمد بن جعفر بن مطر النيسابوري الأصم، عن الربيع عنه، والسنن المنسوب إليه فمن تخريج الحافظ أبي جعفر الطحاوي عن خاله المزني عنه، وكل منهما من مسموعاتنا بحمد الله تعالى، ومن مصنفات الإمام الرسالة الكبيرة في أصول الفقه. قال أبو ثور: كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ويجمع قبول الاخبار فيه وحجة الاجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنّة، فوضع له كتاب الرسالة، **(فيدل على كونه عابداً)** وهي الخصلة الأولى من الخصال الأربعة. **(ما روي أنه كان)** كثير الصلاة بالليل **(يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً للعلم وثلثاً للصلاة وثلثاً للنوم)** رواه البيهقي عن الحاكم، حدثني أبو بكر محمد بن محمد البغدادي، حدثنا أبو الحسن علي بن قرير، عن الربيع فذكره بلفظ: كان قد قسم الليل ثلاثة أجزاء، فثلثه الأوّل للاشتغال، والثاني للصلاة، والثالث ينامه ليقوم إلى صلاة الفجر نشيطاً.

(وقال الربيع) ابن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم أبو محمد المؤذن صاحب الشافعي وراوية كتبه: ولد سنة ١٧٤ واتصل بخدمة الشافعي وحمل عنه الكثير، وحدث عنه به، وروى عنه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأبو زرعة الرازي، وأبو حاتم وابنه، وزكريا الساجي، وأبو جعفر الطحاوي، وأبو بكر بن زياد النيسابوري، وأبو العباس الأصم وآخرون، وآخرهم أبو الفوارس المسندي، وروى عنه الترمذي بالإجازة، وكان مؤذناً بجامع مصر، وكان الشافعي يحبه كثيراً ويميل إليه. قال الخليلي في الارشاد: ثقة متفق عليه توفي يوم الاثنين لإحدى وعشرين ليلة خلت من شوّال سنة ٢٢٠ قال: **(كان الشافعي يختم القرآن في كل شهر رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة)** روى ذلك ابن أبي حاتم، حدثنا الربيع بن سليمان المرادي المصري قال: كان الشافعي يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في صلاة، وروى الخطيب البغدادي، عن علي بن الحسن القاضي، عن أبي بكر محمد بن إسحاق بن ابراهيم الصفار، عن عبدالله بن محمد بن جعفر القزويني، عن الربيع قال: كان الشافعي كثير التلاوة للقرآن، ولا سيما في شهر رمضان كان يقرأ في اليوم والليلة ختمتين وفيما عداه في كل يوم وليلة ختمة. وقال البيهقي: أخبرنا عبد الرحمن السلمي، سمعت علي بن عمر الحافظ، سمعت أبا بكر

رحمه الله يختم القرآن في رمضان ستين مرة. كل ذلك في الصلاة، وكان البويطي أحد أصحابه يختم القرآن في رمضان في كل يوم مرة. وقال الحسن الكرابيسي: بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحواً من ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمائة آية، وكان لا يمر بآية رحمة إلاَّ سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوّذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين، وكأنما

النيسابوري، سمعت الربيع قال: كان الشافعي يختم في كل شهر ثلاثين ختمة، وفي رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة.

(وكان) أبو يعقوب يوسف بن يحيى **(البويطي)** المصري **(أحد أصحابه)** المصريين منسوب إلى بويط كزبير قرية بصعيد مصر، كان إماماً جليلاً عابداً زاهداً متهجداً تالياً سريع الدمعة، روى عنه، وعن عبدالله بن وهب، وعنه الربيع المرادي وهو رفيقه، وابراهيم الحربي، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، وأبو حاتم وقال: صدوق مات سنة ٢٣١ في سجن بغداد في القيد **(يختم القرآن في كل يوم مرة)** تبعاً لأستاذه، وقد نقل في مناقب البويطي أنه كان كثير التلاوة للقرآن لا يمر به يوم ولا ليلة غالباً حتى يختم مع اشتغاله بالفتوى، ثم إن للسلف عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه، فمنهم في كل شهر ختمة، وآخرون في كل جمعة، وآخرون في كل يوم وليلة، وآخرون في كل ركعة، أَوْرَدَ ذلك النووي في الاذكار، وسيأتي ما يتعلق بذلك في آداب تلاوة القرآن من هذا الكتاب.

(وقال) أبو علي **(الحسين بن علي بن يزيد)** الكرابيسي: كان إماماً جليلاً تفقه أوَّلاً على مذهب أهل الرأي ثم للشافعي ولازمه واختص به وسمع منه الحديث ومن غيره، وله مصنفات إلا أن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ وهو أيضاً كان يتكلم في أحمد فتجنب الناس الأخذ عنه لهذا السبب مات سنة ٢٤٥ قال: **(بت عند)** وفي بعض النسخ: مع **(الشافعي غير ليلة)** وثبت في بعض الروايات التصريح بثمانين ليلة، **(فكان يصلي نحواً من ثلث الليل)**. وفي رواية نحو ثلث الليل، **(فما رأيته)** وفي رواية: وما رأيته **(يزيد على خمسين آية)** أي من القرآن في الصلاة، **(فإذا أكثر فمائة)** آية، **(فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه ولجميع المؤمنين)**. وفي رواية: وللمؤمنين أجمعين، **(ولا)** يمر **(بآية عذاب إلا تعوّذ بالله منه)** أي من العذاب، وفي غالب النسخ منها **(وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين)** أجمعين، وفي بعض النسخ ولجميع المؤمنين، **(فكأنه جمع له الرجاء والرهبة)** رواه زكريا الزاجي في مناقب الشافعي، حدثني محمد بن إسماعيل، حدثنا حسين بن علي الكرابيسي **قال**: بت مع الشافعي فكان يصلي فذكره، وقال الحافظ ابن كثير بعد ايراده قول الكرابيسي ما نصه: هكذا يكون تمام العبادة أن يجمع الرغبة والرهبة كما صح عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا مرَّ بآية رحمة وقف فسأل، وإذا مر بآية عذاب وقف وتعوّذ، وقال تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً

جمع له الرجاء والخوف معاً، فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره في أسرار القرآن وتدبره فيها.

وقال الشافعي رحمه الله: ما شبعت منذ ست عشرة سنة، لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة، فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشبع، ثم في جده في العبادة، إذ طرح الشبع لأجلها، ورأس التعبد تقليل الطعام. وقال الشافعي رحمه الله: ما حلفت بالله تعالى لا صادقاً ولا كاذباً قط، فانظر إلى حرمته وتوقيره لله تعالى، ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه. وسئل الشافعي رضي الله عنه عن مسألة فسكت، فقيل له: ألا تجيب رحمك الله؟ فقال: حتى أدري الفضل في سكوتي أو في جوابي؟ فانظر في مراقبته للسانه مع أنه أشد

يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ [الزمر: ٩] اهـ. (**فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية**) خاصة (**على تبحره**) وسعته (**في معرفة أسرار القرآن وتدبره فيها**) أي في معانيها.

(**وقال الشافعي**) فيما رواه ابن أبي حاتم، حدثنا الربيع قال، قال الشافعي رضي الله عنه: (**ما شبعت منذ ست عشرة سنة**) إلا شبعة أطرحها يعني فطرحتها، (**لأن الشبع يثقل البدن**) أي لامتلاء العروق بالطعام والشراب (**ويقسي القلب**) أي يغلظه (**ويزيل الفطنة**). ومنه قول الحكماء: البطنة تذهب الفطنة. (**ويجلب النوم**) أي: لارتخاء العروق (**ويضعف صاحبه عن العبادة**) قال المصنف: (**فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشبع**) الخمسة، (**ثم في جده**) وتشمره (**للعبادة، إذ طرح الشبع لأجلها و**) قد قالوا (**رأس التعبد**) وملاكه (**تقليل الطعام**) وافراغ الجوف منه.

(**وقال الشافعي**) فيما رواه عنه حرملة بن يحيى: (**ما حلفت بالله تعالى لا صادقاً ولا كاذباً قط**) رواه هكذا الزبير بن عبد الواحد الأسد اباذي، سمعت ابراهيم بن الحسن الصوفي يقول: سمعت حرملة يقول: سمعت الشافعي يقول فذكره. إلا أنه ليس فيه قط، ورواه الربيع أيضاً عنه فزاد بعد قوله: ولا كاذباً جاداً ولا هازلاً، ويروى عن الربيع عنه قال: ما كذبت قط ولا حلفت بالله لا صادقاً ولا كاذباً ولا تركت غسل الجمعة في حر ولا برد ولا سفر ولا غيره. (**فانظر إلى حرمته وتوقيره**) أي تعظيمه (**لله تعالى**) حيث لم يحلف به قط، (**ودلالة ذلك على علمه بجلال الله**) وعظمته.

(**وسئل الشافعي**) يوماً (**عن مسألة فسكت**) ولم يجب، (**فقيل له: ألا تجيب رحمك الله؟ فقال: حتى أدري الفضل في سكوتي أو في الجواب**)، وهكذا كان شأن الأئمة يسكتون عن جلة من المسائل ويكلون علمها إلى الله تعالى. (**فانظر إلى مراقبته**) أي محافظته (**للسانه**)

الأعضاء تسلطاً على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر، وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب. وقال أحمد بن يحي بن الوزير: خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوماً من سوق القناديل فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم، فالتفت الشافعي إلينا وقال: نزّهوا أسماعكم عن استماع الخنى كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به، فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في أنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولوردت كلمة السفيه لسعد رادّها كما شقي بها قائلها.

وقال الشافعي رضي الله عنه: كتب حكيم إلى حكيم: قد أوتيت علماً فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم.

بعدم النطق (**مع أنه**) أي اللسان (**أشد الأعضاء تسلطاً على الفقهاء وأعصاها على الضبط والقهر**). ومنه ما ورد في الحديث: «وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم». وفي الأحاديث التي لا طرق لها: «من حفظ ما بين لقلقه وذبذبه دخل الجنة». (**وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب**) من الله تعالى.

(**وقال**) أبو عبدالله (**أحمد بن سبط**) يحي بن (**الوزير**) بن سليمان بن المهاجر السجيني المصري الحافظ النحوي مولاهم أحد الأئمة. روى عن عبدالله بن وهب، وشعيب بن الليث، وأصبغ بن الفرج، وعنه النسائي وقال: ثقة. وأبو بكر بن أبي داود ولد سنة ١٧١، وصحب الشافعي وتفقه له. مات في سجن أحمد بن محمد بن المدبر. لست خلون من شوّال سنة ٢٥١. (**خرج الشافعي يوماً من سوق القناديل**)، وكان بالقرب من جامع عمرو بمصر تباع فيه القناديل، وبإحدى أزقته ولد ابن الجواني النسابة وقد اندثر رسمه الآن، (**فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم**) أي يشتمه، (**فالتفت الشافعي إلينا فقال: نزّهوا أسماعكم عن استماع الخنى**) أي الفحش من الكلام (**كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به، فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في وعائه**) أي في قلبه (**فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم**) أي في قلوبكم، (**ولو رُدّت كلمة السفيه لسعد رادها كما يشقى قائلها بها**)، وإلى هذا نظر ابن المنير فقال وأجاد:

الأذن كـالـوردة مفتـوحـة فـلا تمـر عليهـا الخنـى
فـإنـه أنتـن مـن جيفـة فاحرص على الـوردة أن تنتنـا

(**وقال الشافعي رضي الله عنه كتب حكيم إلى حكيم**): يا هذا (**قد أوتيت علماً**) بالله تعالى (**فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب**) لأن معاصي الله تعالى لها ظلمات، فلا يستقر النور مع تلك الظلمات لكونهما ضدين (**فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم**)،

وأما زهده رضي الله عنه فقد قال الشافعي رحمه الله: من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب. وقال الحميدي: خرج الشافعي رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم، فضرب له خباء في موضع خارجاً من مكة، فكان الناس يأتونه، فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها.

وذلك يوم العرض بين يدي الله تعالى فيفوز المقربون بانصبائهم، ونور علمهم يدلهم إلى طريق الجنة، وأهل الذنوب يحتارون في ذنوبهم فلا يهتدون سبيلاً، وأورده الدينوري في المجالسة فقال: حدثنا محمد بن عبد العزيز قال: سمعت أبي يقول: سمعت ابن السماك يقول: كتب رجل إلى أخٍ له يا أخي: إنك قد أوتيت علماً فلا تطفىء نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم اهـ. فهذا الذي ذكره متعلق بعبادته رضي الله عنه.

(وأما زهده رضي الله عنه)؛ وهي الخصلة الثانية من الخصال الأربعة، **(فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وبين خالقها في قلبه فقد كذب)** أي لأنهما ضدان لا يجتمعان إذا نزل أحدهما بالقلب ارتحل الآخر عنه.

(وقال) أبو بكر عبدالله بن الزبير بن عيسى القرشي الأسدي **(الحميدي)** المكي منسوب إلى جده حميد بن زهير بن الحارث بن أسد. روى عن الشافعي وتفقّه عليه، وذهب معه إلى مصر، وعن سفيان بن عيينة، والدراوردي، وفضيل بن عياض، ووكيع، وعنه البخاري، ومحمد بن يحيى الذهلي، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان توفي بمكة في سنة ٢١٩. **(خرج الشافعي إلى اليمن مع بعض الولاة)** تقدم أنه نشأ باليمن وولي نجران وبها بنو الحرث وموالي ثقيف، فشكوه إلى الخليفة فطلبه فدخل بغداد لأجل هذه الشكاية، واجتمع حينئذ بمحمد بن الحسن، ثم رجع إلى اليمن، **(وانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب خباءه في موضع خارج من مكة، فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه حتى فرقها كلها)**. وقد اختلف في قول الحميدي هذا فقال ابن عساكر: أخبرنا أبو الحسن القرظي، حدثنا أبو نصر الخطيب، حدثنا أبو بكر بن الحديد، أخبرنا محمد بن بشر البكري، سمعت الربيع يقول: سمعت الحميدي يقول: قدم علينا الشافعي من صنعاء فضربت له الخيمة ومعه عشرة آلاف دينار، فجاء قوم وسألوه فما قلعت الخيمة ومعه منها شيء، ثم روي من طريق أبي جعفر الترمذي، عن الربيع، عن الحميدي قال: قدم الشافعي بثلاثة آلاف دينار فدخل عليه بنو عمه وغيرهم فجعل يعطيهم حتى قام وليس معه شيء. وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم، سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب الأصم، سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الحميدي يقول: قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار في منديل، فضرب خباءه في موضع خارجاً عن مكة، وكان الناس يأتونه فيه فما برحت حتى ذهبت كلها. قال البيهقي: وقال غيره عن الربيع في هذه الحكاية: وفرق المال كله في قريش، ثم دخل مكة.

وخرج من الحمّـام مرة فأعطى الحمامي مالاً كثيراً، وسقط سوطه من يده مرة فرفعه إنسان إليه فأعطاه جزاء عليه خمسين ديناراً. وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من

قلت: وروى ابن خزيمة عن الربيع بمثل رواية البيهقي الأول، وفيه: معه عشرون ألف دينار، وفيه: وأقام حتى فرقها. وقال الزبير بن عبدالواحد الاسداباذي، وأخبرني أبو محمد البستي السجستاني فيما كتب إليَّ قال: حدثني أبو ثور، قال: أراد الشافعي أن يخرج إلى مكة ومعه مال فقلت له: وقلّما كان يمسك الشيء من سماحته: ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك من بعدك، فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال ما فعل به. فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها أكثرها قد وقفت، ولكن قد بنيت بمنى مضرباً يكون لأصحابنا إذا حجوا ينزلون فيه. ورواه أبو عبدالله محمد بن أحمد غنجال الحافظ البخاري، حدثنا خلف بن محمد، حدثنا ابراهيم بن محمود بن حمزة، حدثني داود بن علي بن خلف، حدثني ابراهيم بن خالد الكلبي يعني أبا ثور الشافعي بهذا وزاد بعد قوله: ينزلون فيه قال: فكأني اهتممت فأنشد الشافعي قول ابن أبي حازم:

إذا أصبحت عندي قوت يوم ... فخل الهم عني يا سعيدُ
ولم تخطر هموم غد ببالي ... لأن غداً له رزق جديدُ
أسلم إن أراد الله أمرا ... وأترك ما أريد لما يريدُ
وما لإرادتي وجه إذا ما ... أراد الله لي ما لا أريدُ

(وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامي مالاً كثيراً) قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا محمد بن روح، حدثنا الزبير بن سليمان القرشي، عن الشافعي قال: خرج هرثمة فاقرأني سلام أمير المؤمنين هارون، وقال: قد أمر لك بخمسة آلاف دينار. قال: فحمل إليه المال فدعا الحجام فأخذ من شعره فأعطاه خمسين ديناراً، ثم أخذ رقاعاً فصر من تلك الدنانير صرراً ففرقها في القرشيين الذين هم في الحضرة، ومن هم بمكة حتى ما رجع إلى بيته إلا بأقل من مائة دينار. وقال ابن عساكر: قرأت بخط أبي الحسين الرازي، عن الزبير بن عبد الواحد الأسداباذي، حدثني أحمد بن مروان، حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحنفي قال: سمعت أبي يقول، قال: خرجنا من بغداد مع الشافعي نريد مصر، فدخلنا حران وكان قد طال شعره فدعا حجاماً فأخذ من شعره فوهب له خمسين ديناراً، **(وسقط سوطه من يده فرفعه له إنسان فأعطى جزاء عليه خمسين ديناراً)**. قال البيهقي: أخبرنا الحاكم، أخبرنا نصر بن محمد، حدثنا أبو علي الحسن بن حبيب بن عبد الملك بدمشق قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: رأيت الشافعي راكب حمار، فمرَّ على سوق الحدادين فسقط سوطه من يده، فوثب غلام من الحدادين فأخذ السوط ومسحه بكمه وناوله إياه، فقال الشافعي لغلامه: ادفع تلك الدنانير التي معك إلى هذا الفتى. قال الربيع، قلت: لا أدري كانت تسعة دنانير أو سبعة دنانير. **(وسخاوة الشافعي أكثر من أن تحصى)**. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبدالله الحكم قال: كان الشافعي

أن تحصى ورأس الزهد السخاء ، لأن من أحب شيئاً أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد . ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ما روي : أنه روى سفيان بن عيينة حديثاً في الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له : قد مات ؟ فقال : إن مات فقد مات أفضل أهل زمانه . وما روى عبدالله بن محمد البلوي قال : كنت أنا وعمر بن نباتة جلوساً نتذاكر العباد

أسخى الناس بما يجد ، وقال داود بن علي الظاهري : حدثنا أبو ثور قال : كان الشافعي من أجود الناس وأسمحهم كفاً . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، سمعت عمرو بن سواد الدجى قال : كان الشافعي أسخى الناس على الدينار والدرهم والطعام . وقال محمد بن عبيدالله بن محمد ، أخبرنا أبو عمر محمد بن الحسين البسطامي ، أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود ، سمعت المزني ، سمعت الشافعي يقول : السخاء والكرم يغطيان عيوب الدنيا والآخرة بعد أن لا يلحقها بدعة . (**ورأس الزهد السخاء**) بما ملكته يداك من مال وطعام وملبوس ، (**لأن من أحب شيئاً أمسكه ولا يفارقه فلا يفرق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد**) كما سيأتي بيان ذلك في باب الزهد ، (**و**) مما (**يدل على قوّة زهده**) عن الدنيا (**وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ما روي : أنه روى سفيان بن عيينة**) هو أبو محمد الهلالي مولاهم الكوفي أحد الأعلام . روي عن الزهري ، وعمرو بن دينار ، وعنه أحمد وعلي الزعفراني ثقة ثبت حافظ إمام مات في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة (**حديثاً في الرقائق**) . وروى أبو سعيد بن زياد ، حدثنا تميم بن عبدالله أبو محمد ، سمعت سويد بن سعيد يقول : كنا عند سفيان بن عيينة بمكة فجاء الشافعي فسلم وجلس ، فروى ابن عيينة حديثاً رقيقاً (**فغشي على الشافعي فقيل له :**) يا أبا محمد (**قد مات**) ابن إدريس (**فقال**) ابن عيينة : (**إن مات**) ابن إدريس (**فقد مات أفضل أهل زمانه**) . هكذا رواه الحافظ ابن كثير . (**وما روى عبدالله بن محمد البلوي**) في كتابه رحلة الشافعي قال ابن كثير : هو كذاب وضاع اختلق في كتابه أشياء لا أصل لها ، فمن ذلك مناظرة الشافعي أبا يوسف بحضرة الرشيد ، وتأليب أبي يوسف عليه فهو مكذوب باطل اختلقه هذا البلوي قبحه الله تعالى ، فإن الشافعي قدم بغداد أول قدمته سنة أربع وثمانين ومائة بعد موت أبي يوسف بسنتين ، فلم يدركه ولا رآه ، وأبو يوسف كان أجل قدراً وأعلى منزلة مما نسب إليه ، وإنما أدرك في هذه القدمة محمد بن الحسن الشيباني فأنزله في داره وأجرى إليه نفقته وأحسن إليه بالكتب وغير ذلك ، وكانا يتناظران فيما بينهما كما جرت عادة الفقهاء . هذا على مذهب أهل الحجاز وهذا على مذهب أهل العراق وكلاهما لا يكدره الدلاء اهـ .

وقال الذهبي في الميزان في ترجمة أحمد بن موسى النجار ما لفظه : حيوان وحشي . قال محمد بن سهل الأموي : حدثنا عبدالله بن محمد البلوي فذكر محنة مكذوبة للشافعي فضيحة لمن تدبرها ، وذكر في ترجمة محمد بن عبدالله بن محمد البلوي أنه روى عن عمارة بن يزيد بخبر منكر ذكره ابن

والزهاد فقال له عمر: ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه؛ خرجت أنا وهو والحرث بن أسد إلى الصفا وكان الحرث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت، فقرأ هذه الآية عليه: ﴿ هذا يومُ لا ينطقونَ ولا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرون ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦] فرأيت الشافعي رحمه الله وقد تغيّر لونه واقشعر جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخرَّ مغشياً عليه، فلما أفاق جعل يقول: أعوذ بك من

الجوزي وكذبه. (**قال: كنت أنا وعمر بن نباتة**) لم أعرف من حاله شيئاً ولا وجدت له ذكراً في طبقة أصحاب الشافعي ولا غيرها، وإن كان هو والد أبي نصر بن عبد العزيز فبعيد، لأن هذا متأخر الوفاة في سنة ٤٠٥ فليتحقق من حاله. (**جلوساً نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر: ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي خرجت أنا وهو الحرث ابن أسد**) هو أبو عبدالله الحاسبي المتقدم ذكره، وقد ذكره السمعاني في الطبقة الأولى من أصحاب الشافعي ممن صحبه، وقد رده ابن الصلاح فقال: وصحبته للشافعي لم أر أحداً ذكرها، وليس يعتمد على قول السمعاني فيما تفرد به والقرائن شاهدة بانتفائها اهـ.

قال ابن السبكي: إن كان السمعاني صرح بأنه صحب الشافعي فالاعتراض عليه لائح، وإلا فقد يكون أراد بالطبقة الأولى ممن عاصر الشافعي وكان في طبقة الآخذين عنه وقد ذكره في الطبقة الأولى أيضاً أبو عاصم العباداني وقال: كان ممن عاصر الشافعي واختار مذهبه ولم يقل كان ممن صحبه، فلعل هذا القدر مراد السمعاني اهـ. وقد تقدم أن وفاته ببغداد سنة ٢٤٣. (**إلى الصفا**) وهو الجبل المطل على الحرم، (**وكان الحرث تلميذ الصالح المري**) هو الصالح ابن بشير بن وادع بن أبي الأقعس أبو بشر القاضي المعروف بالمري. روي عن الحسن، وابن سيرين، وقتادة وغيرهم. وعنه سيار بن حاتم، ويونس بن محمد، وعفان وغيرهم. اختلف كلام ابن معين فيه وقال ابن عدي: هو رجل قاص حسن الصوت وعامة أحاديثه مناكير، وعندي مع هذا أنه لا يتعمد الكذب، بل يغلظ شيئاً نقله الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب، وفي الكاشف للذهبي صالح بن أبو بشر المري الواعظ الزاهد روى عن الحسن ومحمد، وعنه يونس المؤدب ويحي بن يحي وخالد بن خراش ضعفوه. وقال أبو داود: لا يكتب حديثه. توفي سنة ١٧٨ اهـ.

وذكره العراقي في كتابه الباعث على الخلاص من حوادث القصاص في عدد يزيد الرقاشي، والحرث بن أسد من المشهورين بالصلاح والزهد المعروفين بالضعف في رواية الحديث، (**فافتتح**) أي الحرث (**يقرأ**) حزباً من القرآن، (**وكان حسن الصوت فقرأ**) قوله تعالى: ﴿ هذا يوم لا ينطقون ★ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ [**المرسلات: ٣٥، ٣٦] فرأيت الشافعي قد تغير لونه واقشعر جلده فاضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه**) خوفاً من هول الموقف، (**فلما أفاق قال: أعوذ بالله من مقام الكذابين**) بين يديك (**وإعراض الغافلين**) عنك.

مقام الكاذبين وإعراض الغافلين، اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين، إلهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك، قال: ثم مشى وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مرّ بي رجل فقال لي: يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة، فالتفت فإذا أنا برجل يتبعه جماعة، فأسرعت في وضوئي وجعلت أقفو أثره، فالتفت إليَّ فقال: هل لك من حاجة؟ فقلت: نعم، تعلمني مما علمك الله شيئاً، فقال لي: اعلم ان من صدق الله نجا، ومن أشفق على دينه سلم من الردى، ومن زهد في الدنيا قرّت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غداً، أفلا أزيدك؟ قلت: نعم، قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان: من أمر بالمعروف وائتمر ونهي عن المنكر وانتهى، وحافظ على حدود الله تعالى، ألا أزيدك؟ قلت: بلى، فقال: كن في الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً وأصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج مع الناجين، ثم مضى فسألت: من هذا، فقالوا: هو الشافعي. فانظر إلى سقوطه مغشياً عليه، ثم إلى وعظه

(**اللهم لك خضعت قلوب العارفين و**) لك (**ذلت هيبة المشتاقين**) وفي نسخة: رقاب المشتاقين (**الهي هب لي جودك وجللني**) أي غطني (**بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال:**) أي عمر بن نباتة (**ثم قمنا**) من المجلس (**فانصرفنا**) من مكة، (**فلما دخلت بغداد وكان هو**) أي الشافعي بالعراق إقليم معروف يذكر ويؤنث، وهما عراقان عراق العرب وعراق العجم، وبغداد والكوفة من عراق العرب (**فقعدت على الشط**) أي شط دجلة (**أتهيأ للصلاة**) بالوضوء (**إذ مربي رجل فقال يا غلام: أحسن وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة فالتفت فإذا أنا برجل تتبعه جماعة فأسرعت في وضوئي وجعلت أقفو**) أي أتتبع (**أثره**) خلفه، (**فالتفت إليَّ فقال: هل من حاجة؟ قلت: نعم تعلمني مما علمك الله شيئاً**) أراد النصيحة (**فقال لي: اعلم أن من صدق الله**) أي في معاملاته (**نجا**) أي من عذابه، (**ومن أشفق**) أي خاف (**على دينه سلم من الردى**) أي الهلاك، (**ومن زهد في الدنيا**) بالأعراض عن لذاتها (**قرت عيناه مما يرى من ثواب الله غداً**) ثم قال: لما رأى من حرصه على الملتقى، (**أفلا أزيدك؟ قلت: نعم. قال: من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان من أمر**) غيره (**بالمعروف**) هو كل ما عرف في الشرع (**وائتمر**) بنفسه (**ونهى**) غيره (**عن المنكر**) هو كل ما أنكره الشرع (**وانتهى**) بنفسه، (**وحافظ على حدود الله تعالى**) فلم يتجاوزها، ثم قال: (**ألا أزيدك؟ قلت: نعم. قال: كن في الدنيا زاهداً**) أي مقللاً منها (**وفي الآخرة راغباً واصدق الله في جميع أمورك**) سراً وعلانية (**تنج مع الناجين، ثم مضى فسألت من هذا؟ فقالوا: هو الشافعي**).

كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه؟ ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل، فإنه: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر: ٢٨] ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر كتب الفقه، بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار، إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما.

وأما كونه عالماً بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه. روي أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة: الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم. وقال الشافعي رحمه الله: إذا أنت

وفي هذه الحكاية نظر من وجوه. أما أولاً اجتماع الحرث بالشافعي وقد تقدم أنه لم يثبت، وثانياً كون الحرث تلميذاً للمري وسنة وفاة المري كان الحرث لم يولد أو كان رضيعاً، وثالثاً قوله فسألت من هذا بعد قوله أولاً ما رأيت أورع ولا أفصح الخ. وعند التأمل يظهر فيها غير ما ذكرت والآفة فيها من البلوي، فإنه اختلقها، وفي الصحيح من الأقوال الدالة على زهد الشافعي وخشيته مما نقله غير واحد من أصحابه مقنع عن هذا الذي اختلفه البلوي، (**فانظر إلى سقوطه**) على الأرض (**مغشياً عليه، ثم**) قال (**انظر إلى وعظه**) لعمر (**كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه**) من الله تعالى، (**ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله تعالى فإنما يخشى الله من عباده العلماء**). وكان الشافعي أخشى الناس لأنه كان أعلم الناس، ومن كان أعلم الناس كان أخشى الناس، وهذا مركب من الضرب الأول من الشكل الأول، والمقدمة الصغرى ينبغي أن تكون محققة باتفاق أو غيره، فكأن كونه أعلم الناس أمر مفروغ منه حتى استنتج منه كان أخشى الناس. (**ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا الخوف**) والخشية والزهد (**من علم كتاب السلم والإجارة وسائر كتب الفقه، بل**) استفاده (**من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما**) أي في الكتاب والسنة علمها من علمها وجهلها من جهلها.

(**وأما كونه عالماً بأسرار القلب**) وعجائبه (**وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه**) مما جمعها غير واحد، كالبيهقي، والخطيب، والحاكم، وقد أفردت بتآليف (**روي عنه أنه سئل عن الرياء**) أي عن حقيقته (**فقال**) في الجواب (**على البديهة: الرياء فتنة عقدها الهوى**) أي هوى النفس وميلها إلى الشهوات (**حيال**) بالكسر أي تجاه (**أبصار قلوب العلماء**) أثبت للقلوب أبصاراً على سبيل المجاز (**فنظروا إليها**) أي تلك الفتنة (**بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم**) أي أفسدت وأهدرت، ويروى عنه أيضاً أنه قال: لا يعرف الرياء إلا مخلص قال النووي: أي لا يتمكن في معرفة حقيقته والإطلاع على غوامض خفياته ودقائقه إلا من أراد الإخلاص فإنه يجتهد أزماناً متطاولة في البحث والفكر والتفتيش

خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب؟ وفي أي ثواب ترغب؟ ومن أيّ عقاب ترهب؟ وأيّ عافية تشكر؟ وأيّ بلاء تذكر؟ فإنك إذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك، فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب؟ وقال الشافعي رضي الله عنه: من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه. وقال رحمه الله: مَن أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره. وقال: ما من أحد إلا له محب ومبغض، فإذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل.

وروي أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحاً ورعاً وكان يسأل الشافعي رضي الله عنه عن مسائل في الورع، والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه، وقال للشافعي يوماً: أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين؟ فقال الشافعي رحمه الله: التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر وإذا صبر مكّن،

عليه حتى يعرفه أو يعرف بعضه، ولا يحصل هذا لكل أحد، وإنما يحصل للخواص. ومن يزعم من آحاد الناس أنه يعرف الرياء فهو جاهل بحقيقته.

(**وقال الشافعي رحمه الله: إذاً أنت خفت على عملك العجب فاذكر رضا من تطلب وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، وأي عاقبة تشكر، وأي بلاء تذكر؟ فإنك إذا فكرت في واحدة من هذه الخصال**) الخمسة (**صغر في عينيك عملك**). أورده ابن كثير في ترجمته إلى قوله ترهب، وقال بعده فحينئذ يصغر عندك عملك. (**فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب، وهما من كبار آفات القلب**) فدل ذلك على تبحره في معرفة علوم الآخرة.

وقال الشافعي): من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في الفقه رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، (**ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه. وقال**) أيضاً: (**ومن أطاع الله بالعلم تنبه سره**) وفي نسخة: نفعه سره. وفي أخرى: تفقه سره (**وقال**) أيضاً: (**ما من أحد إلا له محب ومبغض، فإذا كان**) الأمر (**كذلك فكن من أهل طاعة الله**) مصلحاً بينك وبين الله، فالمحب لك يسعد ويرحم، والمبغض يمقت ويرجم.

(**ويروى أن عبد القادر بن عبد العزيز كان صالحاً ورعاً**) لم أعرف من حاله شيئاً، (**وكان يسأل الشافعي عن مسائل في الورع**) والاحتياط، (**والشافعي يقبل عليه لورعه**) وصلاحه (**فقال**) له يوماً. (**أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين؟**) وهو ثلاث مقامات للعارفين، (**فقال الشافعي: التمكين درجة الأنبياء**) عليهم الصلاة والسلام، وهو غاية قصد الكاملين ويعبر عنه بالإستقامة أيضاً، (**ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة**) والإبتلاء، (**فإذا**

ألا ترى أن الله عز وجل امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكنه، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكاً، والتمكين أفضل الدرجات، قال الله عز وجل: ﴿وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض﴾ [يوسف: ٥٦] وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن، قال الله تعالى: ﴿وآتيناه أهله ومثلَهُم معهم﴾ الآية. فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره في أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء، وكل ذلك من علوم الآخرة. وقيل للشافعي رحمه الله: متى يكون الرجل عالماً؟ قال: إذا تحقق في علم الدين فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند

امتحن) العبد **(صبر)** على المحنة، **(وإذا صبر تمكن)** وفي نسخة: مكن ثم استدل عليه فقال: **(ألا ترى أن الله تعالى امتحن إبراهيم)** عليه السلام بأنواع المحن **(ثم مكنه)** بعد، **(وامتحن موسى)** عليه السلام كذلك **(ثم مكنه، وامتحن أيوب)** عليه السلام كذلك **(ثم مكنه، وامتحن سليمان)** عليه السلام كذلك **(ثم آتاه ملكاً)** ومكنه فيه **(صلوات الله عليهم أجمعين)** وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ألم★ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت: ١، ٢] وقوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا﴾ الآية [البقرة: ٢١٤] **(والتمكين أفضل الدرجات)** لأنه حال أهل الوصول **(قال الله تعالى: وكذلك مكنا ليوسف في الأرض)** [يوسف: ٥٦] يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء، وذلك بعد أن امتحن بالسجن والجب والأسر وغير ذلك **(وأيوب)** عليه السلام **(بعد المحنة العظيمة)** المشهورة في كتب النفائس **(مكن قال الله تعالى: وآتيناه أهله ومثلهم معهم)** إلى آخر **(الآية)** وهو قوله عز وجل: ﴿رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾. **(فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في)** معرفة **(أسرار القرآن)**.

وروى الربيع قال: كنت يوماً عند الشافعي إذ جاءه كتاب من الصعيد يسألونه عن قوله عز وجل: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجبون﴾ [المطففين: ١٥] فكتب لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا. قلت له: أوتدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يؤمن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا، وقد رواه إبراهيم بن محمد بن هرم عن الشافعي، فهذا أيضاً يدل على تبحره في أسرار القرآن **(و)** يدل على ذلك أيضاً على **(إطلاعه على مقامات السائرين إلى الله عز وجل من الأنبياء والأولياء وغير ذلك، وكل ذلك من علوم الآخرة)** لا تعلق له بعلوم الدنيا أصلاً. **(وقيل للشافعي: متى يكون الرجل عالماً)** أي كاملاً في العلم؟ **(قال: إذا تحقق في علم يعلمه)** أي عرفه معرفة جيدة. **(وتعرض)** بعد ذلك **(لسائر العلوم فنظر فيها)** بأمعان **(فإنه قيل جالينوس)** أحد حكماء اليونان: **(إنك**

ذلك يكون عالماً، فإنه قيل لجالينوس: إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجتمعة؛ فقال: إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدته، لأن الافراد قاتل، فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة.

وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى: فيدل عليه ما روي عنه أنه قال: وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إليَّ شيء منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له، وكيف كان منزه القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى. وقال الشافعي رضي الله عنه: ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطىء، وقال: ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من

تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجتمعة) مع اختلاف طبائعها. **(قال: إنما المقصود منها)** أي من تلك الأدوية **(واحد)** أي جزء واحد مضاد لذلك الداء، **(وإنما يجعل معه غيره)** بالإضافة عليه **(يسكن حدته)** وقوته، ولقد صدق فيما قال، **(لأن الإفراد قاتل)** بما فيه من الحدة والقوة فإذا لاقى الدواء الواحد حدة الداء تصاكا وعجز المريض عن تحمله، وإنما يداوى بما يلائم المريض، فكذلك الإنفراد في العلم الواحد يورث حدة المزاج فإذا صاحبته علوم أخر فإنما تكون ملائمة له مسكنة لحدته ولكن الواحد هو المقصود بالذات، **(فهذا وأمثاله مما لا يحصى)** مما نقل عنه **(يدل على عظم رتبته)** وجلالة قدره **(في معرفة الله سبحانه و)** في **(علوم الآخرة)** .

(وأما إرادته بالفقه خاصة وبالمناظرة فيه) مع الإقران **(وجه الله)** تعالى وهي الخصلة الرابعة **(يدل عليه ما روي عنه أنه قال: وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إليَّ منه شيء)** . قال ابن حاتم: حدثنا الربيع قال: سمعت الشافعي ودخلت عليه وهو مريض فذكر ما وضع من كتبه فقال: وددت أن الخلق تعلمه ولا ينسب إلي منه شيء أبداً. وحدثنا أبي قال: حدثنا حرملة قال: سمعت الشافعي يقول: وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس أؤجر عليه ولا يحمدوني. **(فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم به، وكيف كان منزه القلب عن الإلتفات إليه بمجرد النية فيه لوجه الله تعالى، وقال الشافعي ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطىء)** . وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يقول: سمعت الربيع بن سليمان المرادّي يقول: دخلت على الشافعي وهو مريض فسألني عن أصحابنا فقلت له: إنهم يتكلمون. فقال لي الشافعي: ما ناظرت أحداً قط على الغلبة وبودّي أن جميع الخلق تعلموا هذا الكتاب يعني كتبه على أن لا ينسب إليَّ منه شيء. قال هذا الكلام يوم الأحد، ومات هو يوم الخميس، وانصرفنا من جنازته ليلة الجمعة، فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين. **(وقال)** أيضاً: **(ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان**

الله تعالى وحفظ، وما كلمت أحداً قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه. وقال: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته، ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته، فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط، ثم كيف خالفوه فيها أيضاً، ولهذا قال أبو ثور رحمه الله: ما رأيت ولا رأى الراؤن مثل الشافعي رحمه الله تعالى. وقال أحمد بن

ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ). أورده النووي في بعض مصنفاته بإسناد صحيح. قال: **(وما كلمت أحداً قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو لسانه)**. وروى النووي بإسناد له: وددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يديه. **(وقال)** أيضاً في مسألة: **(ما أوردت الحق والحجة)** أي الدليل على إثبات ذلك الحق **(على أحد فقبلها مني)** بالإنصاف وحسن القبول **(إلا هبته)** أي وقعت هيبته في قلبي **(واعتقدت محبته)** لخلوص نيته وميله إلى الحق. وفي نسخة: مودته، **(ولا كابرني)** أي نازعني **(أحد على الحق ودافع الحجة)** عناداً وتعنتاً **(إلا سقط)** مقامه **(من عيني ورفضته)** أي تركت صحبته. والمكابرة هي المنازعة في مسألة لا لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصم. ويروى من وجه آخر قال: ما عرضت الحجة على أحد فقبلها إلا عظم في عيني ولا عرضتها على أحد فردها إلا سقط من عيني. **(فهذه العلامات هي التي تدل على إرادته وجه الله تعالى بالفقه والمناظرة)** دون غيره.

(فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط) وهي التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه، **(ثم كيف خالفوه فيها)** بعد الإخلاص، **(ولهذا قال أبو ثور)** إبراهيم بن خالد بن اليمان الكلبي البغدادي، ويقال كنيته أبو عبدالله، ولقبه أبو ثور. روى عن سفيان بن عيينة، وابن علية، وعبد بن حميد، وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي، ويزيد بن معروف، وعنه مسلم خارج الصحيح وأبو داود، وابن ماجه، وأبو القاسم البغوي، ومحمد ابن إسحاق والسراج. قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً توفي سنة ٢٤٠. **(ما رأيت ولا رأى الراؤن مثل الشافعي)**.

أخرجه البيهقي، عن الحاكم، سمعت إسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان يقول: سمعت أبا ثور يقول: ما رأينا مثل الشافعي ولا رأى الشافعي مثل نفسه. وذكر ابن السبكي في ترجمة أبي ثور من طبقاته بمثل المصنف وزاد: كان أصحاب الحديث ونقاده يجيئون إليه فيعرضون عليه، فربما وقفهم على غوامض الحديث لم يقفوا عليها فيقومون وهم يتعجبون. وقال الخطيب: أخبرنا محمد بن علي المقري، أخبرنا محمد بن جعفر التميمي بالكوفة، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن حاتم ابن إدريس البلخي، أخبرنا نصير بن المكي، حدثنا ابن عبد الحكم قال: ما رأينا مثل الشافعي كان أصحاب الحديث ونقاده يجيئون، فساقه مثل قول أبي ثور وزاد بعد قوله: وهم يتعجبون،

حنبل رضي الله عنه: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى، فانظر إلى انصاف الداعي وإلى درجة المدعوّ له وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشَاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء، ولكثرة دعائه له قال له ابنه: أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له

ويأتيه أصحاب الفقه المخالفون والموافقون فلا يقومون إلا وهم مذعنون له بالحذق والدراية، ويجيئه أصحاب الأدب فيقرأون عليه الشعر فيفسره، ولقد كان يحفظ عشرة آلاف بيت شعر من أشعار هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها، وكان من أضبط الناس للتاريخ، وكان يعينه على ذلك شيئان وفور عقل وصحة دين. وكان ملاك أمره صحةالعمل لله تعالى. وأخرج الخطيب من رواية الزبير بن بكار قال: قال لي عمي مصعب، لم تر عيناي مثل الشافعي قال: قلت يا عم أنت تقول لم تر عيناي مثل الشافعي. قال: نعم لم تر عيناي مثله. وقد روي مثل هذا عن أيوب بن سويد، وكان قد رأى الأوزاعي. وروي ذلك أيضاً عن ابن عبد الحكم والزعفراني وغيرهم.

(وقال أحمد بن حنبل) الإمام: **(ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى)** قال زكريا بن يحيى الساجي: حدثني محمد بن خلاد البغدادي، حدثني الفضل بن زياد، عن أحمد بن حنبل قال: هذا الذي ترون كله أو عامته من الشافعي، وما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو الله للشافعي وأستغفر له. وأخرج الخطيب من رواية أبي عثمان محمد بن محمد بن إدريس الشافعي قال: قال لي أحمد بن حنبل: أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم في السجود.

قلت: وقال الميمون قال أحمد: ستة أدعو لهم سحراً منهم الشافعي وأخرج الخطيب أيضاً من رواية خطاب بن بشر قال: سمعت أحمد بن حنبل يذكر أبا عثمان أمر أبيه فقال: يرحم الله أبا عبدالله ما أصلي صلاة إلا دعوت فيها لخمسة هو أحدهم وما يتقدمه منهم أحد. ويروى مثل هذا القول، عن عبد الرحمن بن مهدي قال: ما أصلي صلاة إلا وأنا أدعو للشافعي فيها.

(فانظر إلى انصاف الداعي) في نفسه **(وإلى درجة المدعو له)** عند الله تعالى مع معرفة كل منهما قدر صاحبه، فقد روى حرملة عن الشافعي قال: خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من أحمد رضي الله عنه. **(وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الإعصار وما)** يجري **(بينهم)** **(من المشاحنة)** والعداوة **(والبغضاء)** وقلة المعاونة **(لتعلم تقصيرهم في دعوى الإقتداء بهؤلاء)** الأئمة، **(ولكثرة دعائه له قال له ابنه)**: هو أبو عبد الرحمن عبدالله بن أحمد بن حنبل ولد في سنة ٢١٣، وحدث عن أبيه وعبد الأعلى بن حماد، وكامل بن طلحة، ويحيى بن معين، وأبي بكر، وعثمان ابني أبي شيبة وشيبان بن فروخ، وعباس بن الوليد النرسي، وابن خيثمة، وزهير بن حرب، وسويد بن سعيد، وأبي الربيع الرواني، وعلي بن حكيم الأودي، ومحمد بن جعفر الوركاني، ويحيى بن عبد ربه، وزكريا بن يحيى

كل هذا الدعاء؟ فقال أحمد: يا بني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف، وكان أحمد رحمه الله يقول: ما مسّ أحد بيده محبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منّة. وقال يحي بن سعيد القطان: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلاّ وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه. ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله، فإن ذلك خارج عن الحصر، وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي رحمه الله تعالى. في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين.

ابن حمويه، وعبدالله بن عمر بن أبان الجعفي، ومحمد بن أبي بكر، وسفيان بن وكيع، وسلمة بن شبيب، وداود بن عمر الضبي، ومن في طبقتهم. وروى عنه أبو القاسم البغوي، وعبدالله بن إسحاق المدائني، ومحمد بن خلف، ووكيع ويحي بن صاعد، وعبدالله النيسابوري، والقاضيان والمحاملي، وأحمد بن كامل، وأبو علي بن الصواف، وأبو بكر النجاد، وأبو الحسين بن المنادي، ومحمد بن مخلد، وأبو بكر الخلال وآخرون وكان ثبتاً فهماً ثقة. **(أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء؟ فقال أحمد: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس)** وفي نسخة: للإبدان **(وانظر هل لهذين)** أي الشمس والعافية **(من خلف)** أي عوض **(وقال أحمد)** فيما أخرجه الحاكم فقال: حدثني أبو الحسن أحمد بـن محمد بن السري المقـري، حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن، حدثنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن الأشعري البغدادي، سمعت الفضل بن زياد العطار يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: **(ما يمس)** وفي رواية الحاكم: ما مسَّ **(أحد محبرة)** زاد الحاكم ولا قلماً. والمحبرة الدواة **(إلا وللشافعي في عنقه منة)**. ويقرب منه قول أبي زرعة الرازي: ما أعلم أحداً أعظم منه على أهل الإسلام من الشافعي.

(وقال) أبو سعيد **(يحي بن سعيد)** ابن فروخ التميمي مولاهم **(القطان)** الحافظ أحد الأعلام. روى عن هشام وحميد والأعمش. وعنه أحمد وابن معين وابن المديني قال أحمد: ما رأت عيناي مثله، وكان رأساً في العلم والعمل. ولد سنة ١٥٨ وتوفي سنة ١٩٨: **(ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه)**. رواه ابن أبي حاتم عن الزعفراني قال: أخبرت عن يحي بن سعيد القطان. قال: إني لأدعو الله للشافعي في كل صلاة أو في كل يوم لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه. **(ولنقتصر على)** ذكر هذه **(النبذة)** المختصرة **(من أحواله)** رضي الله عنه، **(فإن ذلك خارج عن الحصر)** والتعداد، **(وأكثر هذه المناقب نقلناها من الكتاب الذي صنفه الشيخ)** الفقيه الزاهد أبو الفتح **(نصر بن إبراهيم)** بن داود **(المقدسي)** تفقه على الفقيه سليم بصور، ثم رحل إلى ديار بكر، وتفقه على محمد بن نبات الكازوني، ودرس ببيت المقدس مرة، ثم

(وأما الإمام مالك رضي الله عنه)، فإنه كان أيضاً متحلياً بهذه الخصال الخمس،

انتقل إلى صور وأقام بها عشر سنين ينشر العلم، ثم إلى دمشق فأقام بها تسع سنين يحدث ويفتي ويدرس، وهو على طريقة واحدة من الزهد والتصنيف وسلوك منهاج السلف. ومن تصانيفه كتاب الحجة على تارك المحجة والتهذيب والكافي والمقصود وشرح الإشارة لشيخه سليم الرازي. ومن شيوخه في الحديث عبد الرحمن بن الطبيز، وعلي بن السمسار، ومحمد بن عوف المزني، وابن سلوان، وأبو علي الأهوازي هؤلاء بدمشق وسمع بغزة من محمد بن جعفر المياسي، وبآمد من هبة الله ابن سليمان، وبصور من الفقيه سليم وآخرون، وأملى مجالس. روى عنه أبو بكر الخطيب وهو من شيوخه، وأبو القاسم النسيب، وأبو الفضل يحيى بن علي، وجمال الإسلام أبو الحسن السلمي، وأبو الفتح نصر الله المصيصي وهما من أخص تلامذته، وأبو علي حمزة الجيوبي توفي يوم الثلاثاء تاسع محرم سنة ٥٠٦ بدمشق وقبره معروف في باب الصغير تحت قبر معاوية رضي الله عنه. قال النووي: سمعت الشيوخ يقولون: الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب **(في مناقب الشافعي رحمه الله تعالى)**.

وهذا بيان من صنف في مناقبه، فأولهم داود بن علي الظاهري، ثم زكريا بن يحيى الساجي، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وأبو الحسن محمد بن الحسين الهمداني المعروف بابن حمكان، قال ابن كثير: وهو ضعيف. وفيما ينقله نكارة ولا يكاد يخلو ما رواه عن غرابة ونكارة، وأبو الحسين الرازي والد تمام، وأبو عبدالله بن شاكر القطان، والزاهد إسماعيل بن محمد السرخسي، وعبد القاهر بن طاهر البغدادي، والحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، والحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخه، والحافظ أبو عبدالله محمد بن محمد بن أبي زيد الأصبهاني المعروف بابن المقري، وأبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي، والفقيه نصر المقدسي، والحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه ذكر ترجمة بليغة أطنب فيها، وذكر أشياء من ترجمة ابن حمكان، وهو ضعيف، وأشياء من كتاب البلوي وهو وضاع كذاب، وكذلك جمع في مناقب الإمام أبو عبدالله فخر الدين محمد ابن عمر الرازي أستاذ المتكلمين في زمانه في مجلد، وأطال العبارة فيها. قال ابن كثير: ولكنه اعتمد على منقولات كثيرة مكذوبة ولا معتمد عنده في ذلك، فلهذا كثر فيها الغرائب، وكذلك الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام، والحافظ عماد الدين بن كثير في أوّل[1] طبقاته، والتاج السبكي في أول طبقاته الكبرى، والحافظ ابن حجر في كلام مستقل سماه **(توالي التأنيس)** والحافظ قطب الدين الخيضري في أول كتابه **(اللمع الألمعية)** والحافظ السيوطي في كتاب سماه **(شافي العي بمناقب الشافعي)** فهؤلاء الذين بلغنا ممن صنف في مناقبه، شكر الله سعيهم وجزاهم عن الإسلام خيراً.

(وأما مالك رضي الله عنه). قال السيوطي في **(تزيين الآرائك في مناقب الإمام مالك)** ما حاصله: هو إمام الأئمة أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحرث

---

(١) بياض في الأصل.

فإنه قيل له: ما تقول يا مالك في طلب العلم؟ فقال: حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين

ابن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحرث هوذ وأصبح بن سويد بن عمرو بن سعيد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمر بن قبيل بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأكبر بن سبأ الأكبر بن عبد شمس بن يعرب بن يشجب بن قحطان. قال أبو مصعب: مالك بن أنس من العرب وحلفه من قريش في بني تيم بن مرة. قال الغافقي: وأمه العالية ابنة شريك الأزدية، وقيل: اسمها طليحة، وذكر القاضي بكر بن العلاء القشيري: أن أبا عامر جد مالك له صحبة وابنه مالك جد مالك من كبار التابعين، ويقال: أن جده أبا عامر تابعي مخضرم. ولد الإمام مالك سنة ثلاث وتسعين في ربيع الأول. وقيل: سنة أربع قاله محمد بن عبد الحكم. وقيل: سنة ثلاث وسبعين، وقيل: غير ذلك. قال ابن سعيد: وأخبرنا مطرف بن عبدالله قال: كان مالك بن أنس طويلاً عظيم القامة أصلع أبيض الرأس واللحية أبيض شديد البياض إلى الشقرة، وكان لباسه الثياب المدنية الجياد، وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثل. وشيوخه كثيرون قد أفردوا بالتآليف، منهم نافع، والزهري، والمقري، وربيعة الرأي وغيرهم. وروى عنه ألف رجل سوى سبعة عدهم الحافظ أبو بكر الخطيب مرتباً على حروف المعجم من كبارهم: إبراهيم بن أدهم الزاهد، والإمام الشافعي، والإمام أبو حنيفة، ومحمد بن الحسن الشيباني، ووالد البخاري صاحب الصحيح، وإسماعيل بن حماد بن أبي حنيطة، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي صاحب الأغاني، وأشهب بن عبد العزيز المصري، وبشر بن الحرث أبو نصر الزاهد، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وذو النون المصري، وسفيان الثوري، ومات قبله. وسفيان بن عيينة، والحسين الكرابيسي وابن المبارك، وعبدالله بن عبد الحكم، والأوزاعي وهو أكبر منه، والأصمعي، والليث بن سعد وهو من أقرانه، والزهري وهو من شيوخه، وابن أبي ذؤيب، ومحمد الباقر، ويحيى بن سعيد الأنصاري وهو من شيوخه وتوفي في ربيع الأول سنة ١٧٩. وقال مصعب في صفر: وصلى عليه عبدالله بن محمد بن إبراهيم الهاشمي أمير المدينة، وكان أحد من حمل نعشه، وخلف من الأولاد يحيى ومحمداً وحمادة وأم أبيها، وبلغت تركته ثلاثة آلاف دينار وثلاثمائة دينار ونيفاً، **(فإنه كان متحلياً بهذه الخصال الخمس)** المذكورة **(فإنه سئل ما يقول مالك)** وفي نسخة يا مالك ما تقول **(في طلب العلم)**: المفهوم من حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم. **(فقال في جوابه:)** هو **(حسن جميل ولكن انظر الذي يلزمك)** تعلمه **(من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه)**. وهذه المقالة قد رويت عنه من أوجه ثلاثة.

الأول: رواه ابن عبد البر في كتاب بيان العلم من طريق ابن وهب قال: سئل مالك عن طلب العلم أهو فريضة على الناس؟ فقال: لا والله ولكن يطلب منه المرء ما ينتفع به في دينه.

الثاني: من طريق محمد بن معاوية الحضرمي قال: سئل مالك وأنا أسمع عن الحديث الذي

مبالغاً، حتى كان إذا أراد أن يحدّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث، فقيل له في ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ. وقال مالك: العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية، وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوّة معرفته بجلال الله تعالى.

وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله: الجدال في الدين ليس بشيء، ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله: إني شهدت مالكاً وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة

يذكر فيه طلب العلم فريضة على كل مسلم؟ فقال: ما أحسن طلب العلم، فأما فريضته فلا.

الثالث: من طريق عبد الملك بن حبيب أنه سمع عبد الملك بن الماجشون قال: سمعت مالكاً وسئل عن طلب العلم أواجب؟ فقال: أما معرفة شرائعه وسننه وفقهه الظاهر فواجب وغير ذلك منه من ضعف عنه فلا شيء عليه، وهذه الأقوال مع غيرها ذكرناها مبسوطة فيما سلف عند ذكر الحديث المذكور. (**وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغاً حتى**) روي عنه أنه (**كان إذا أراد أن يحدّث توضأ وجلس على صدر فراشه**) أي أعلاه (**وسرح لحيته**) بالمشط (**واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس**) على ركبتيه (**على وقار وهيبة**) وخشوع وسكون، (**ثم يحدث فقيل له في ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ**).

ويروى عن معن بن عيسى قال: كان مالك إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب، فإن رفع أحد صوته في مجلسه زبره وقال، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات: ٢] فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ، فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ اهـ.

ومن هنا قال بعض الحفاظ ما أعهد من نفسي أني أمسكت جزءاً من الحديث وأنا على غير طهارة. (**وقال مالك: العلم نور**) إلهي (**يجعله الله تعالى حيث يشاء**) من عباده. وفي نسخة؟ فيمن يشاء (**وليس**) العلم (**بكثرة الرواية**) وهذه الجملة الأخيرة قد رويت عن عبدالله بن مسعود. أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عون بن عبدالله بن مسعود قال، قال عبدالله بن مسعود: ليس العلم بكثرة الرواية لكن العلم الخشية، وسيأتي ذلك. (**وهذا الاحترام والتوقير**)للعلم (**يدل على قوة معرفته بجلال الله عز وجل**) وخوفه منه.

(**وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين**) أي المعاداة في علومه (**ليس بشيء**) أي لا ثمرة له وهو مذموم عند السلف. وأخرج الخطيب من رواية سعيد ابن بشير بن ذكوان قال: كان مالك إذا سئل عن مسألة فظن أن صاحبها غير متعلم وأنه يريد المغالطة نزع له بهذه الآية. يقول قال الله تعالى: ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ [الأنعام: ٩] (**ويدل عليه**) أيضاً (**قول الشافعي**) فيما روي عنه: (**إني شهدت مالكاً و**) قد (**سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنين وثلاثين منها لا أدري**)، وأجاب عن الباقي. وهكذا كان

فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري، ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه: إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب، وما أحد أمنّ عليَّ من مالك. وروي أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله، فرُوي على ملأ من الناس: ليس على مستكره طلاق، فضربه بالسياط، ولم يترك رواية الحديث. وقال

عبدالله بن عمر إذا سئل عن عشرة يجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة. وسيأتي أن لا أدري نصف العلم، وفي رواية ثلث العلم. وقال أحمد بن شيبان: سمعت عبد الرحمن بن مهدي قال: كنا عند مالك فجاءه رجل فقال من مسيرة ستة أشهر حملني أهل بلادي مسألة. قال: سل فسأله عنها، فقال: لا أحسن. قال: فبأي شيء أقول لأهل بلادي؟ قال: تقول قال مالك لا أحسن. وأخرج أبو نعيم من طريق أبي مصعب قال: سمعت مالكاً يقول: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك. **(ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه)** بمقتضى جبلتها **(بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري)**، بل يحب أن يجيب في كل مسألة مهما أمكن لئلا ينسب الجهل إلى نفسه، **(فلذلك قال الشافعي رضي الله عنه)** فيما رواه عنه يونس بن عبد الأعلى الصوفي: **(إذا ذكر العلماء فمالك نجم)** ويروى إذا جاء مالك فمالك النجم، وفي الحلية من طريقه إذا جاء الأثر فمالك النجم، وقال يونس وسمعته يقول: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز. وأخرج البخاري في تاريخه عن يحي بن سعيد القطان قال: مالك أمير المؤمنين في الحديث، وقوله **(الثاقب)** ليس في الرواية المذكورة. وقد سقط من بعض النسخ. وقال ابن عساكر في تاريخه: أنشدنا أبو بكر يحي بن إبراهيم، أنشدني والدي عن عبدالله الحميدي الأندلسي:

إذا قيل من نجم الحديث وأهله ... أشار أولو الألباب يعنون مالكا
إليه تناهى علم دين محمد ... فوطأ فيه للرواة المسالكا
ونظم بالتصنيف أشتات نشره ... وأوضح ما لولاه قد كان حالكا
وأحيا دروس العلم شرقاً ومغرباً ... تقدم في تلك المسالك سالكا
وقد جاء في الآثار من ذاك شاهد ... على أنه في العلم خص بذلكا
فمن كان ذا طعن على علم مالك ... ولم يقتبس من نوره كان هالكا

وروى يونس عن الشافعي أنه قال: **(ما أحد أمنّ عليّ من مالك)** أي أكثر منة منه. **(وروي أن أبا جعفر من الخلفاء)** وهو المنصور عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس ثاني الخلفاء العباسية **(منعه من رواية الحديث في طلاق المكره)**. هكذا في النسخ أبا جعفر، والصحيح أن المانع له من ذلك هو جعفر بن سليمان الهاشمي لا أمير المؤمنين كما هو نص الحلية وغيرها، **(ثم دس عليه)** خفية **(من يسأله)** عن هذا الحديث، **(فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث)**.

مالك رحمه الله: ما كان رجل صادقاً في حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف.

أخرج أبو نعيم في الحلية أن جعفر بن سليمان ضرب مالكاً في طلاق المكره. قال ابن وهب: وحمل على بعير فقال: ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس بن عامر، وأنا أقول طلاق المكره ليس بشيء فبلغ جعفر بن سليمان أنه ينادي على نفسه بذلك، فقال: أدركوه وانزلوه. وفي تاريخ الذهبي قال المفضل بن زياد: سألت أحمد من الذي ضرب مالكاً؟ قال: ضربه بعض الولاة في طلاق المكره كان لا يجيزه فضربه لذلك، وقال أبو داود السنجي: ضرب جعفر بن سليمان العباسي مالكاً في طلاق المكره، فحدثني بعض أصحاب ابن وهب أن مالكاً ضرب وحلق وحمل على بعير فقيل له: ناد على نفسك فنادى فذكر مثل ما تقدم من سياق الحلية، وعن إسحاق القروي وغيره قال: ضرب مالك ونيل منه وحمل مغشياً عليه. وعن مالك قال: ضربت فيما ضرب فيه سعيد بن المسيب ومحمد بن المنكدر وربيعة، ولا خير فيمن لا يؤذى في هذا الأمر. وعن الليث بن سعد قال: إني لأرجو أن يرفعه الله بكل سوط درجة في الجنة. قال مصعب بن عبدالله، ضربوه ثلاثين سوطاً. ويقال: ستين سوطاً، وذلك في سنة ست وأربعين ومائة. قال الأصمعي: ضربه جعفر بن سليمان ثم بعد مشيت بينهما حتى جعله في حل، وقال الواقدي: حسدوا مالكاً وسعوا به إلى جعفر بن سليمان وهو على المدينة، وقالوا: إنه لا يرى بيعتكم هذه شيئاً ويأخذ بحديث في طلاق المكره إنه لا يجوز فغضب ودعا به وجرد ومدت يده حتى انخلع كتفه، وفي رواية يداه حتى انخلعت كتفاه، قال الواقدي: فوالله ما زال بعد ذلك الضرب في علو ورفعة. وروى الحافظ أبو الوليد الباجي قال: حج المنصور فأقاد مالكاً من جعفر بن سليمان فامتنع مالك وقال: معاذ الله.

قلت: وطلاق المكره غير صحيح، وخالفهم أبو حنيفة فصححه، ودليلهم ما رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم عن عائشة: «لا طلاق ولا عتاق في أغلاق». وقال الحاكم بعدما أخرجه من طريقين أنه صحيح على شرط مسلم. ورده الحافظ الذهبي بأن فيه من إحدى طريقيه محمد بن عبيد بن صالح لم يحتج به مسلم وضعفه أبو حاتم. وفي الأخرى نعيم بن حماد صاحب مناكير، ولذا ضعفه الحافظ ابن حجر. والاغلاق: الاكراه. قال ابن الأعرابي: أغلق زيد عمراً على شيء يفعله إذا أكرهه عليه، واعتبر الإمام أبو حنيفة وجود اللفظ المعتبر من أصله في محله، ولم يعتبر وجود الرضا بثبوت الحكم. ومنهم من فسر الإغلاق بمعنى أنه لا تغلق التطليقات كلها دفعة واحدة حتى لا يبقى منها شيء، ولكن يطلق طلاق السنة. وقيل: غير ذلك ومحله كتب الفقه. (**وقال مالك: ما كان رجل صادقاً في حديثه**) أي عود لسانه بالصدق (**لا يكذب**) فيه (**إلا متع بعقله**) أمتعه الله به (**ولم يصبه مع الهرم**) أي كبر السن (**آفة**) في بدنه وحواسه (**ولا خرف**) أي فساد العقل، وهذا ظاهر في أهل الحديث المشتغلين به يموت أحدهم عن التسعين وأكثر وأقل ممتعاً بحواسه ببركة صدقه في الحديث وروايته له.

وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي أن المهدي أمير المؤمنين سأله فقال له: هل لك من دار؟ فقال: لا، ولكن أحدثك. سمعت ربيعة بن أبي عبدالرحمن يقول: «نسب المرء داره» وسأله الرشيد: هل لك دار؟ فقال: لا، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال: اشترِ بها داراً فأخذها ولم ينفقها، فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله: ينبغي أن تخرج معنا فإني عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان

(**وأما زهده في الدنيا**) وتقلله منها (**فيدل عليه ما روي أن المهدي أمير المؤمنين**) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس ثالث الخلفاء العباسية (**سأله وقال: هل لك دار؟**) أي بالملك (**فقال لا، ولكن أحدثك فيه حديثاً، سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن**) هو أبو عثمان ربيعة بن فروخ مولى آل المنكدر، فقيه المدينة المعروف بالرأي. روى عن أنس، والسائب، وربيعة بن عبدالله بن المهدي، وعنه مالك، والليث والدراوردي، وأبو حمزة توفي بالأنبار سنة ١٣٠ (**يقول: نسب المرء داره**) وهذا من قوله موقوف عليه وسماه حديثاً تجوزاً. (**وسأله الرشيد**) هارون بن محمد بن عبدالله بن عباس رابع الخلفاء العباسية، وذلك في سنة حجه وهي السنة التي توفي فيها مالك (**هل لك دار؟ فقال: لا. فأعطاه ثلاثة آلاف دينار قال اشتر بها داراً**). ووصله أيضاً يحيى بخمسمائة دينار (**فأخذها ولم ينفقها**) أي لم يصرف منها شيئاً، **فلما أراد الرشيد الشخوص**) أي الخروج من الحجاز إلى العراق بعد أداء نسكه(**قال لمالك رحمه الله ينبغي أن تخرج معنا**) إلى العراق (**فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ**) أي على العمل بما فيه (**كما حمل**) أمير المؤمنين (**عثمان**) بن عفان (**الناس على القرآن**) وأبطل جميع المصاحف. قال أبو الحسن بن فهر في كتاب فضائل مالك: أخبرنا أحمد بن ابراهيم بن فراس، سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أحمد الخلنجي يقول: سمعت بعض المشايخ يقول، قال مالك: عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ، قال ابن فهر: ولم يسبق مالكاً أحد إلى هذه التسمية، فإن من ألف في زمانه بعضهم سمى بالجامع، وبعضهم سمي بالمصنف، وبعضهم بالمؤلف، والموطأ بمعنى الممهد المنقح المحرر المصفى. قال الشافعي: ما بعد كتاب الله أصح من الموطأ. وفي رواية: أصح من كتاب مالك، وقال السيوطي: أطلق جماعة على الموطأ اسم الصحيح، واعترضوا على ابن الصلاح في قوله: أول من صنف في الصحيح البخاري بأن مالكاً تقدمه، وقال النووي في التقريب: أول من صنف في الصحيح المجرد فزاد المجرد احترازاً عن الموطأ، فإن مالكاً لم يجرد فيه الصحيح، بل أدخل فيه المرسل والمنقطع والبلاغات، وقال الحافظ مغلطاي: لا فرق بين الموطأ والبخاري في ذلك لوجوده أيضاً في البخاري من التعاليق ونحوها. قال الحافظ ابن حجر: كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما لا على الشرط الذي استقر عليه العمل في حد الصحة. قال: والفرق بين ما فيه من المنقطع وبين ما في البخاري أن الذي في الموطأ هو كذلك مسموع لمالك غالباً وهو حجة عنده،

رضي الله عنه الناس على القرآن، فقال له: أما حمل الناس على الموطأ فليس إليه سبيل، لأن أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا، فعند كل أهل مصر علم، وقد قال ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة». وأما الخروج معك فلا سبيل إليه. قال

والذي في البخاري قد حذف إسناده عمد الأغراض قررت في التعليق قال: فظهر بهذا أن الذي في البخاري من ذلك لا يخرجه عن كونه جرد فيه الصحيح بخلاف الموطأ، (**فقال**) مالك: (**أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل لأن أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعده في الأمصار فحدّثوا**)، وقد تقدم أن بالشام كانت عشرة آلاف عين رأت رسول الله ﷺ، (**فعند كل أهل مصر علم**) ما ليس عند أهل مصر أخرى، (**وقد قال ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة»**).

قال العراقي: ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير إسناد بهذا اللفظ، وأسنده في المدخل من رواية سليمان بن أبي كريمة، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس رفعه: فذكر حديثاً في آخره «واختلاف أصحابي لكم رحمة». وسليمان وجويبر ضعيفان جداً، والضحاك بن مزاحم مختلف فيه، وكان شعبة ينكر أن يكون سمع من ابن عباس اهـ.

قلت: وأول الحديث الذي في المدخل مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي إن أصحابي كالنجوم في السماء فأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة. قال السخاوي: ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني والديلمي في مسنده بلفظه سواء.

قلت: وكذا أبو نصر السجزي في الإبانة وقال غريب، والخطيب، وابن عساكر في تاريخهما كذا في الجامع الكبير للسيوطي. وقال ابن السبكي في تخريج أحاديث المنهاج: هذا شيء لا أصل له، وقال والده: لم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع اهـ.

وأورده الحليمي في كتاب الشهادات من تعليقه، والقاضي حسين وإمام الحرمين، وقال ابن الملقن في تخريج أحاديث المنهاج: لم أر من خرّجه مرفوعاً بعد البحث الشديد عنه، وإنما نقله ابن الأثير في مقدمة جامعه من قول مالك، وقال الزركشي في تذكرته: رواه الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجة مرفوعاً، ورواه البيهقي في المدخل، عن القاسم بن محمد قوله، وعن يحيى بن سعيد نحوه، وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقول: ما سرني لو أن أصحاب محمد ﷺ لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة اهـ كلام الزركشي.

وقال العراقي: وله إسناد آخر مرسل رواه آدم بن أبي إياس في كتاب العلم والحلم قال: حدثنا بقية، حدثنا أبو الحجاج مهدي، حدثني شيخ من لخم قال، قال رسول الله ﷺ: «اختلاف أصحابي لأمتي رحمة» وهذا إسناد فيه جهالة. والمعروف أن هذا من قول القاسم بن محمد أنه قال: اختلاف أمة محمد ﷺ رحمة رواه البيهقي في المدخل اهـ.

رسول الله ﷺ: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون». وقال عليه الصلاة والسلام:

قال السخاوي وقد عزاه الزركشي إلى كتاب الحجة لنصر المقدسي مرفوعاً من غير بيان لسنده ولا صحابيه، وكذا عزاه العراقي لآدم بن أبي إياس في كتاب العلم والحلم قال: هو مرسل ضعيف، وبهذا اللفظ يعني لفظ ابن إياس ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير إسناد. وفي المدخل من حديث سفيان، عن أفلح بن حميد، عن القاسم بن حميد قال: اختلاف أصحاب محمد رحمة لعباد الله، ومن حديث قتادة أن عمر بن عبد العزيز كان يقول ثم ساق بمثل سياق الزركشي، ومن حديث الليث بن سعد عن يحي بن سعيد قال: أهل العلم أهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا ولا يعيب هذا على هذا، ثم قال السخاوي: وقرأت بخط شيخنا يعني ابن حجر الحافظ أنه أي هذا الحديث مشهور على الألسنة، وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ «اختلاف أمتي رحمة للناس». وكثر السؤال عنه، وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له، لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطرداً. وقال: اعترض على هذا الحديث رجلان، أحدهما أباضي والآخر ملحد، وهما إسحاق الموصلي، وعمرو بن بحر الجاحظ. وقالا جميعاً: لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذاباً، ثم تشاغل الخطابي فرد هذا الكلام ولم يقع في كلامه شفاء في عزو الحديث، ولكنه أشعر بأن له أصلاً عنده اهـ.

ثم إن المراد من الأمة في الحديث المجتهدون، منهم في الفروع التي يسوغ الاجتهاد فيها. قال السبكي: ولا شك أن الاختلاف في الأصول ضلال وسبب كل فساد، كما أشار إليه القرآن، وأما ما ذهب إليه جمع من أن المراد الاختلاف في الحرف والصنائع، فهو مردود إذ كان المناسب على هذا أن يقال اختلاف الناس رحمة إذ لا خصوص للأمة بذلك، فإن كل الأمم مختلفون في الحرف والصنائع، ولا بد من خصوصية، قال: وما ذكره الحليمي كإمام الحرمين في النهاية من أن المراد اختلافهم في المناصب والدرجات والمراتب، فلا ينساق الذهن من لفظ الاختلاف إليه. ورحمة نكرة في سياق الإثبات لا يقتضي العموم، فيكفي في صحته أن يحصل الاختلاف رحمة ما في وقت ما في حال ما على وجه ما اهـ.

ونقل السمهودي هذه القصة عن مالك وقال: هو كالصريح في أن المراد الاختلاف في الأحكام كما نقله ابن الصلاح عن مالك أنه قال: في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ فمخطئ ومصيب فعليك بالاجتهاد قال: وليس كما قال ناس فيه توسعة على الأمة، إنما هو بالنسبة إلى المجتهد لقوله: فعليك بالاجتهاد فالمجتهد مكلف بما أداه إليه اجتهاده فلا توسعة عليه في اختلافهم، وإنما التوسعة على المقلد فقوله: «اختلاف أمتي رحمة للناس» أي لمقلديهم وسياق قول مالك مخطئ ومصيب إنما هو الرد على من قال: من كان أهلاً للاجتهاد فله تقليد الصحابة دون غيرهم، وفي العقائد لابن قدامة الحنبلي: أن اختلاف الأمة رحمة واتفاقهم حجة.

(وأما الخروج معك) إلى العراق **(فلا سبيل إليه)** لأنه **(قال ﷺ: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»)**.

« المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد ». وهذه دنانيركم كما هي إن شئتم

قال العراقي: قد رواه كذلك ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل، عن مالك، عن النبي ﷺ بغير إسناد، وهو مسند متصل من حديث مالك وغيره من حديث سفيان بن أبي زهير، وأبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، وجابر، وأبي أيوب، وزيد بن ثابت، وأبي أسيد.

وأما حديث سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه فأخرجه البخاري والنسائي من طريق مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبدالله بن الزبير، عن سفيان، عن أبي زهير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون لأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ». الحديث رواه مسلم من رواية وكيع، وابن جريج والنسائي من رواية عبدة بن سليمان ثلاثتهم عن هشام بن عروة.

قلت: لفظ مسلم: « يفتح الشام فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » ثم ذكر اليمن ثم العراق بهذا اللفظ.

قال العراقي: وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم في إفراده من رواية العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يأتي علي الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » الحديث.

قلت: أخرجه مسلم من طريق الدراوردي، عن العلاء، عن أبيه.

قال: وأما حديث سعد فرواه مسلم والنسائي من رواية عثمان بن حكيم، حدثني عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن تقطع عضاهها أو يقتل صيدها » وقال: « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ».

وأما حديث جابر فرواه أحمد في المسند من طريق أبي الزبير، عن جابر، والبزار من طريق الحريري، عن أبي بصرة عن جابر ورجاله ثقات.

وأما حديث أبي أيوب، وزيد بن ثابت، وأبي أسيد فرواها الطبراني في الكبير بأسانيد جيدة.

(وقال) ﷺ: **(« المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد »)** الخبث: محركة ما يلقى من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيبت قاله ابن الأثير.

وقال العراقي: وهو متصل من حديث مالك وغيره من حديث أبي هريرة، وجابر، وزيد بن ثابت.

أما حديث أبي هريرة فرواه البخاري، ومسلم، والنسائي من طريق مالك، عن يحي بن سعيد قال: سمعت أبا الحباب سعد بن يسار يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد ». ورواه مسلم من رواية ابن عيينة وعبد الوهاب الثقفي كلاهما عن يحي بن سعيد.

فخذوها ، وإن شئتم فدعوها يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته إليّ فلا أؤثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ ، فهكذا كان زهد مالك في الدنيا . ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها في وجـوه الخير ، ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال؛ وإنما الزهد فراغ

وأما حديث جابر ، فرواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طريق مالك ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن أعرابياً بايع النبي ﷺ فذكر حديثاً في آخره ، فقال: قال رسول الله ﷺ : « إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها » . ورواه البخاري والنسائي من رواية سفيان الثوري عن ابن المنكدر . وفي رواية لأحمد من رواية زهير عن زيد بن أسلم عن جابر فذكر حديثاً فيه خروج المنافقين والمنافقات من المدينة إلى الدجال ، ثم قال: ذلك يوم تنفي المدينة الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد ، وذكر بقية الحديث ورجاله رجال الصحيح .

وأما حديث زيد بن ثابت فرواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من رواية عبدالله بن زيد بن ثابت ، عن النبي ﷺ : « أنها طيبة » يعني المدينة « وأنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة » اهـ .

قلت: ولفظ البخاري من حديث جابر جاء أعرابي فبايعه يعني النبي ﷺ ، ثم جاء من الغد محموماً فقال: أقلني بيعتي فأبى ، ثم جاء فأبى ، ثم جاء فقال: أقلني بيعتي فأبى ، فخرج الأعرابي ، فقال النبي ﷺ : إنما المدينة » الحديث . قاله ابن السبكي في تخريج أحاديث المنهاج ، وقال ابن الملقن في تخريج أحاديث الكتاب المذكور أخرجه الشيخان في صحيحيهما من طرق .

أحدها : عند أبي هريرة مطولاً وفيه: « ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبث لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبثه » .

الثاني: عن جابر مطولاً أيضاً بقصة وفيه: « إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها » .

الثالث: عن زيد بن ثابت ولفظه: « انها طيبة » . يعني المدينة وساق كسياق العراقي قال: وفي بعض طرق البخاري تنفي الذنوب ذكره في المغازي .

(وهذه دنانيركم) موضوعة **(كما هي ان شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها)** أي اتركوها يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة بما اصطنعته لدي من المواساة بالمال **(فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله)** ﷺ ، **(فهكذا كان زهد مالك)** رحمه الله **(في الدنيا)** وحقارتها في عينه . **(ولما حملت إليه الأموال)** والهدايا الكثيرة **(من أطراف الدنيا)** خاصة من المغرب الأقصى **(لانتشار علمه)** وفضله **(وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير)** ولا يمسكها لنفسه إلا بقدر الحاجة ، **(ودلّ سخاؤه)** وكرم نفسه **(على زهده وقلة حبه للدنيا)** ونزاهة

القلب عنه، ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد، ويدل على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي رحمه الله أنه قال: رأيت على باب مالك كراعاً من أفراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لمالك رحمه الله: ما أحسنه. فقال: هو هدية مني إليك يا أبا عبدالله، فقلت: دع لنفسك منها دابة تركبها، فقال: إني أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبي الله ﷺ بحافر دابة، فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توقيره لتربة المدينة. ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ما روى عنه أنه قال: دخلت على هارون الرشيد فقال لي: يا أبا عبدالله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ. قال: فقلت أعز الله مولانا الأمير إن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعززتموه عز، وإن أنتم أذللتموه ذلّ،

ساحته فيها (**وليس**) حقيقة (**الزهد**) عندهم (**فقد المال**) وذهابه، (**وإنما الزهد فراغ القلب عنه**) أي خروج حبه عن القلب، (**فلقد كان سليمان عليه السلام في ملكه**) الذي لا ينبغي أن يكون لأحد من بعده (**من الزهاد**) واشتغاله باعباء الملك ظاهراً لا يمنع الزهد، (**ويدل على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي انه قال: رأيت على باب مالك كراعاً**) الكراع: اسم لجميع الخيل والسلاح (**من أفراس خراسان**) كورة مشهورة بالعجم يجلب منها جياد الخيل (**وبغال مصر**) أي مما أرسلت إليه في الهدايا (**ما رأيت أحسن منها فقلت لمالك: ما أحسنه، فقال: هو هدية مني إليك يا أبا عبدالله، فقلت: دع لنفسك منها دابة تركبها فقال: أما أستحي من الله أن أطأ تربة**) أي أرضاً (**فيها نبي الله ﷺ بحافر دابة فانظر إلى سخاوته**) وكرمه (**إذ وهب جميع ذلك**) أي من الدواب للشافعي (**دفعه واحدة**) بمجرد قوله له: ما أحسنه. (**وإلى توقيره لتربة المدينة التي فيها النبي ﷺ**)، وإنما نشأ هذا من مراقبة الله تعالى في أحواله كلها وعدم الالتفات إلى زهرة الدنيا، (**ويدل على إرادته بالعلم وجه الله واستحقاره للدنيا ما روى عنه انه قال: دخلت على هارون الرشيد**) حين جاء إليه يحي بن خالد يطلبه (**فقال لي: يا أبا عبدالله**) وهي كنية مالك والشافعي وأحمد وسفيان (**ينبغي ان تختلف إلينا**) أي تتردد (**حتى يستمع صبياننا منك الموطأ. قال، قلت**) له: (**أعز الله الأمير إن هذا العلم منكم خرج**) يعني قريشاً ر(**فإن أنتم اعززتموه عز**) أي صار عزيزاً (**وإن أذللتموه ذل**) صار ذليلاً (**والعلم يؤتى**) إليه لرفعة قدره (**ولا يأتي**) وفي المدارك للقاضي عياض أنه قال لهارون: أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون ومنكم خرج العلم وأنتم أولى الناس باعظامه، ومن اعظامكم له أن لا تدعوا حملته إلى أبوابكم، وقال السخاوي في المقاصد: العلم يسعى إليه هو من قول مالك، ويروي: العلم أولى أن يوقروه ويؤتى إليه قاله للمهدي حين استدعى به لولديه ليسمعا منه، ويروى بلفظ: العلم يزار ولا يزور ويؤتى ولا يأتي اهـ.

والعلم يؤتى ولا يأتي، فقال: صدقت اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس.

(وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى): فلقد كان أيضاً عابداً زاهداً عارفاً بالله تعالى

وقرأت في أمالي الحافظ ولي الدين أبي زرعة ابن العراقي قال: أنشدنا أبو الحرم القلانسي حضوراً في الثالثة، وإجازة أنشدها أبو المعالي الايرقوهي حضوراً في الرابعة، وإحازة أنبأنا أبو عبدالله محمد بن ظفر اليزدي لنفسه:

ارع الحديث وعظم أهله أبداً ... واعلم بأن لهم فيه ولايات
ان كنت تطلبه قم فأت صاحبه ... فالعلم يا سيدي يؤتى ولاياتِ

(فقال: صدقت)، ثم قال للصبيان: (اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس).

وهذه القصة أوردها ابن عساكر بسياق آخر فقال: أخبرنا أبو الحسن المالكي، أخبرنا أبو العباس الفقيه، أخبرنا عبد الوهاب: أخبرنا أبو يعلي عبد العزيز الحراني، أخبرنا أبو بكر بن هارون، أخبرنا إبراهيم بن نصر النهاوندي، أخبرنا عتيق بن يعقوب الزبيري قال: قدم هارون الرشيد المدينة وكان قد بلغه أن مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس، فوجه إليه البرمكي فقال: اقرأه السلام وقل له: احمل إليّ الكتاب فتقرأه علي فأتاه البرمكي فقال له مالك: اقرأه السلام وقل له: إن العلم يؤتى ولا يأتي فأتاه البرمكي فأخبره، وكان عنده أبو يوسف القاضي فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني الزهري، عن خارجة بن زيد، عن أبيه قال: كنت أكتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ [النساء: ٩٥] وابن أم مكتوم عند النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رجل ضرير وقد أنزل الله عليك في فضل الجهاد ما علمت، فقال النبي ﷺ: لا أدري، وقلمي رطب فما جف حتى وقع فخذ النبي ﷺ على فخذي ثم أغمي عليه، ثم جلس فقال: يا زيد اكتب ﴿غير أولي الضرر﴾ ويا أمير المؤمنين حرف واحد بعث فيه جبريل والملائكة عليهم السلام من مسيرة خمسين ألف عام ألا ينبغي له ان تعزه وتجله، وان الله تعالى رفعك وجعلك في هذا الموضع بعلمك، فلا تكن أنت أوّل من يضيع عز العلم فيضيع الله عزك، فقام الرشيد يمشي مع مالك إلى منزله فسمع منه الموطأ وأجلسه معه على المنصة، فلما أراد ان يقرأه على مالك قال: تقرأه عليَّ، قال ما قرأته على أحد منذ أزمان. قال: فيخرج الناس عني حتى أقرأه انا عليك فقال: إن العلم إذا منع عن العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة، فأمر له معن بن عيسى الغزاني ليقرأه عليه، فلما بدأ ليقرأه قال مالك لهارون يا أمير المؤمنين: أدركت أهل العلم ببلدنا وانهم ليحبون التواضع للعلم، فنزل هارون عن المنصة فجلس بين يديه.

(وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى؛ فلقد كان أيضاً عابداً) لله تعالى **(زاهداً)** للدنيا **(عارفاً بالله تعالى، خائفاً منه، مريداً وجه الله بعلمه)**. هو الإمام الأعظم والمجتهد الأفخم النعمان بن ثابت بن زوطي كسكري بن ماه الكوفي الفقيه مولي بني تيم الله بن ثعلبة على قول.

خائفاً منه، مريداً وجه الله تعالى بعلمه. فأما كونه عابداً فيعرف بما روي عن ابن

وقيل: يتصل نسبه إلى كسرى أحد الائمة الاربعة. قال أبو نعيم، الفضل بن دكين: ولد أبو حنيفة سنة ثمانين، ورأى أنس بن مالك غير مرة بالكوفة قال ابن سعد في الطبقات، وروي عن عطاء بن أبي رباح قال: ما رأيت أفضل منه، وعن عطية العوفي، ونافع، وسلمة بن كهيل، ومحمد الباقر، وولده جعفر، وعدي بن ثابت، وقتادة، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعمرو بن دينار، ومنصور بن المعتمر، وأبي الزبير، وحماد بن أبي سليمان، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وشعبة بن الحجاج، والاوزاعي، وعاصم بن أبي النجود وغيرهم ينيفون على أربعة آلاف على اختلاف طبقاتهم.

وأما الرواة عنه فلا ينحصرون، وفيهم من هو من رجال الستة. وقد أوردهم البدر العيني، وقاسم بن قطلوبغا على حروف المعجم منهم: الامامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن، ويعرفان بالصاحبين، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وزفر بن الهذيل، وابنه حماد بن أبي حنيفة، وحفص ابن غياث، وجرير بن حازم، وحماد بن زيد بن درهم، وخارجة بن مصعب، وابراهيم بن أدهم الزاهد، وشقيق ابن إبراهيم البلخي الزاهد، وداود بن ناصر الطائي الزاهد، وفضيل بن عياض الزاهد، والليث بن سعد، وعبدالله بن المبارك المروزي، وأبو عاصم النبيل، والقاسم بن معن، وقتادة وهاشم بن القاسم، والوليد بن مسلم، ويحيى بن اليمان، ويزيد بن زريع، وأبو أحمد الزبيري، وأبو أسامة حماد بن أسامة، وأبو معاوية الضرير، ونوح بن أبي مريم المروزي، وأبو مطيع الحكم بن عبدالله البلخي، وأسد بن عمرو، ومغيرة بن معسم، ومسعر وسفيان وزائدة وشريك والحسن بن صالح بن حي، وعلي بن مسعر، ووكيع وإسحاق الأزرق وسعد بن الصلت، وعبد الرزاق، وعبيدالله بن موسى، وهوذة بن خليفة، وجعفر بن عوف، وأبو عبدالرحمن المقري وغيرهم. وقد روى عنه الإمام مالك أيضاً، كما ذكره السيوطي، وابن حجر المكي. قال محمد بن عمر الواقدي: مات أبو حنيفة في شعبان سنة خمسين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور رضي الله عنه وعمن أحبه.

(فأما كونه عابداً فيعرف بما روي عن) عبدالله **(ابن المبارك)** ابن واضح الحنظلي مولاهم سلطان المحدثين أبو عبد الرحمن المروزي رحل إلى اليمن ومصر والشام والبصرة والكوفة كان من رواة العلم وأهل ذلك كتب عن الصغار والكبار. قال شعبة: ما قدم علينا مثله، وقال سفيان بن عيينة لما نعي إليه ابن المبارك: رحمه الله لقد كان فقيهاً عالماً عابداً زاهداً سخياً شجاعاً شاعراً، وصنف كتباً كثيرة في فنون العلم حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم. توفي سنة ١٨١عن ثلاث وستين، وقيل: غير ذلك. وكان في عداد طبقات تلامذة الإمام أبي حنيفة لازمه واستملى عنه فوائد، ونقل قاسم ابن قطلوبغا الحافظ عن البدر العيني ان ابن المبارك روى عن الإمام حكاية، فإن كان المراد منه أنه روى عنه حكاية بعينها، فالأمر سهل، وإلاً فظاهر سياقه دال على أنه لم يرو عنه سوى هذه، كيف وقد أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه أخبرني أبو

المبارك أنه قال: كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة. وروى حماد بن أبي

بشر الوكيل، وأبو الفتح الضبي قالا: حدثنا عمر بن أحمد الواعظ، حدثنا أحمد بن محمد، عن عصمة الخراساني، حدثنا أحمد بن بسطام، حدثنا الفضل بن عبد الجبار، سمعت أبا عثمان حمدون ابن أبي الطوسي، سمعت عبدالله بن المبارك يقول: قدمت الشام على الاوزاعي فقال لي: يا خراساني، من هذا الذي خرج بالكوفة؟ يعني أبا حنيفة، فرجعت إلى بيتي فأقبلت على كتب أبي حنيفة فأخرجت منها مسائل من جياد المسائل، وبقيت في ذلك ثلاثة أيام فجئته يوم الثالث وهو مؤذن مسجدهم وإمامهم والكتاب في يدي، فقال: أي شيء في هذا الكتاب فناولته فنظر في مسألة منه وقف عليها. قال النعمان بن ثابت، فما زال قائماً بعدما أذن حتى قرأ صدراً من الكتاب، ثم وضع الكتاب في كمه ثم أقام وصلى، ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليه، فقال لي يا خراساني: من النعمان بن ثابت هذا؟ قلت: شيخ لقيته بالعراق. فقال: هذا نبل من المشايخ اذهب فاستكثر منه، فقلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه اهـ.

فقوله: فاقبلت على كتب أبي حنيفة أي الفوائد التي تلقاها عنه في حال ملازمته له لأنه لم يكن إذ ذاك كتاب خاص مؤلف في المسائل التي اجتهد فيها، وإنما حدثت الكتب بعد وفاته على أن عندي في سياق الخطيب نوع توقف، فإن الاوزاعي معدود من حملة مشايخه وهو من أقرانه. ولد بعد الإمام بسبع سنين ومات بعده بسبع سنين، فإذا كان كذلك كيف يعقل منه من هذا الذي بالكوفة، وكيف يخفى عليه اسمه. إذ قال لابن المبارك: من النعمان بن ثابت هذا، ولم يكن إذ ذاك من يقال له ابن ثابت غير الإمام أبي حنيفة فتأمل ذلك.

وفي تاريخ الذهبي قال حبان بن موسى: سئل ابن المبارك أمالك أفقه أم أبو حنيفة؟ قال: أبو حنيفة.

(**قال: كان أبو حنيفة له مروءة**) وهي قوّة للنفس هي مبدؤ لصدور الأفعال الجميلة منها: المستتبعة للمدح شرعاً وعقلاً وعرفاً (**وكثرة صلاة**) أي بالليل لما سيأتي أنه كان يحي الليل كله أو نصفه، وروى عن شريك قال: كان أبو حنيفة يسمى الوتد لكثرة صلاته. (**وروى**) أبو إسماعيل (**حماد بن سليمان**) واسمه مسلم الأشعري الكوفي الفقيه مولى أبي موسى الأشعري، روى عن إبراهيم النخعي، وأنس بن مالك، وابن المسيب، وعنه ابنه اسماعيل،، وابن أبي خليفة، ومسعر، وشعبة إمام مجتهد كريم جواد قال مغيرة: قلت لابراهيم إن حماداً قعد يفتي، فقال: وما يمنعه وقد سألني هو وحده عما لم تسألوني كلكم عن عشره اهـ.

وعن أبي إسحاق الشيباني قال: ما رأيت أحداً أفقه منه. قيل: ولا الشعبي. قال: ولا الشعبي، وقال شعبة، كان صدوق اللسان، وقال أبو حاتم: صدوق لا يحتج بحديثه وهو مستقيم في الفقه، فإذا جاء الأثر تشوّش، وقال العجلي، والنسائي: هو ثقة مات سنة عشرين ومائة. وقال البخاري في الصحيح، وقال حماد: إذا أقر مرة عند الحاكم زجر يعني الزاني. وروى له مسلم مقروناً بغيره والباقون. ذكره ابن أبي العوام السعدي في مسنده فيمن روى عن أبي حنيفة.

سليمان أنه كان يحي الليل كله. وروي أنه كان يحي نصف الليل فمرَّ يوماً في طريق، فأشار إليه إنسان وهو يمشي فقال لآخر: هذا هو الذي يحي الليل كله، فلم يزل بعد ذلك يحـي الليل كله، وقال: أنا أستحـي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس فيّ من عبادته.

وأما زهده، فقد روي عن الربيع بن عاصم قال: أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه، فأراده أن يكون حاكماً على بيت المال فأبى فضربه عشرين

قلـت: وقد ذكر أيضاً في شيوخه كما تقدم (**أنه كان يحي الليل كله**) وذلك في أواخر عمره، (**وروي**) عن غيره (**أنه كان يحي نصف الليل**) أوّلاً (**فمر في طريق**) من طرق الكوفة، (**فسمع انساناً يقـول**) وروي فـأشـار إليـه إنسـان وهـو يمشي (**هـذا الذي يحي الليل كله، فلم يزل**) أبو حنيفة (**بعد ذلك يحي كل الليل**). وفي نسخة: الليل كله، (**وقال: أنا أستحي من الله تعالى أن أوصف بما ليس فيّ من عبادته**) وفي رواية: بعبادة ليست فيَّ يعني احترازاً من دخوله في قوله تعالى يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وروى بشر بن الوليد، عن أبي يوسف قال: بينما أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعت رجلاً يقول لآخر هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال أبو حنيفة: والله لا يتحدث عني بما لم أفعل، فكان يحي الليل صلاة ودعاء وتضرعاً. وقد روي من وجهين: إنه ختم القرآن في ركعة كل ليلة. رواه علي بن إسحاق السمرقندي، عن أبي يوسف، وعن أسد بن عمرو أن أبا حنيفة صلى العشاء والصبح بوضوء واحد أربعين سنة. وروى يحي بن عبد الحميد الحماني، عن أبيه أنه صحب أبا حنيفة ستة أشهر قال: فما رأيته صلّى الغداة إلا بوضوء العشاء الأخيرة، وكان يختم القرآن في كل ليلة عند السحر. وقال الحسين بن محمد السمناني في كتابه خزانة المفتين ووفاته سنة ١٧٤. حكي أن أبا حنيفة لما حجّ حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله اليمنى حتى قرأ نصف القرآن وركع وسجد، ثم قام على رجله اليسرى وقد وضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن، فلما سلم بكى وناجى وقال: إلهي ما عبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك، ولكن عرفك حق معرفتك فهبه نقصان عبادته لكمال معرفته.

(**وأما زهده، فقد روي عن الربيع بن عاصم**) لم أجده هكذا في الرواة عن أبي حنيفة. وفي الميزان الربيع بن إسماعيل أبو عاصم، عن الجعدي من ولد جعفر بن هبيرة، وعنه بكر بن الأسود. ومحمد بن اسماعيل الأحمسي، فلعله هو هو، وتصحف على النساخ، ثم وجدت بعد ذلك هذا السياق بعينه في كتاب التاريخ لابن أبي خيثمة. أورده بسنده من طريق الربيع بن عاصم هكذا. (**قال: أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة**) وإلى الكوفة من قبل مروان بن محمد، وإليه نسب قصر ابن هبيرة بالكوفة، (**فقدمت بأبي حنيفة عليه فأراده**) أن يوليه (**على بيت المال**)، وقيل: القضاء (**فلم يله وضربه عشرين سوطاً**).

....

وأخرج الخطيب من طريق أبي بكر بن عياش أن أبا حنيفة ضرب على القضاء. زاد أبو معمر الراوي عن أبي بكر بن عياش مائة سوط في أيام باردة، وذلك في ولاية مروان بن محمد، فإنه أمرّ ابن هبيرة على العراق فأكره أبا حنيفة فلم يل. وأخرج العسكري من طريق يحي بن أكثم، عن أبي داود قال: أراد ابن هبيرة أن يولي الإمام قضاء الكوفة فأبى، فحلف إن لم يقبله يضربه بالسياط على رأسه ويحبسه، فخالف الإمام على أنه لا يلي منه، فقيل له: إنه حلف على أن يضربك، فقال: ضربه في الدنيا أهون من معالجة مقامع الحديد في العقبى، والله لا أفعل ولو قتلني، فقيل: إنه حلف لا يخليك وأنه يريد بناء قصر فتولى له عد اللبن، فقال: لو سألني ان أعدّ له أبواب المسجد ما فعلت، فذكر للأمير فقال: أبلغ قدره أن يعارضني في اليمين؛ فدعاه فشافهه وحلف إن لم يقبل يضرب على رأسه عشرين سوطاً، فقال: اذكر مقامك بين يدي الله تعالى، فإنه أذل من مقامي هذا ولا تهددني فإني أقول لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، والله يسألك عني حيث لا يقبل منك الجواب إلا بالحق، فأومأ إلى الجلاد أن أمسك وبات في السجن، وأصبح وقد انتفخ وجهه ورأسه من الضرب.

وأخرجه الخطيب من هذا الطريق وزاد: فرأى ابن هبيرة النبي ﷺ في المنام يعاتبه فيه، فأخرجه من السجن فاستحله، ورُوي عن أبي عبدالله بن حفص الكبير البخاري قال: إن الفتنة لما ظهرت بخراسان دعا ابن هبيرة العلماء كابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وداود بن أبي هند وولى كل واحد منهم شيئاً من عمله، وعرض على أبي حنيفة أن يكون الخاتم بيده ولا ينفذ كتاباً إلاّ من تحت يده، وأمر بذلك فأبى، فحلف الأمير إن لم يله يضربه في كل جمعة سبعة أسواط، فقال الفقهاء لأبي حنيفة: إن إخوانك يناشدونك على أن لا تهلك نفسك وكلنا نكره عمله، ولكن لم نجد بداً منه، فقال: لو أراد مني أن أعد أبواب مسجد واسط. لم أعدّ له، فكيف وهو يريد أن يكتب في دم رجل وأختم له، والله لا أدخل في ذلك، فقال ابن أبي ليلى: دعوه فإنه مصيب، فحبسه الشرطي وضربه أربعة عشر سوطاً، ثم اجتمع مع الأمير فقال الا ناصح لهذا أن يستمهلني فاستمهله، وقال: أشاور اخواني فخلاه فهرب إلى مكة سنة مائة وثلاثين اهـ.

وأخرج الخطيب من طريق الحسن بن المبارك، بن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال: مررت مع أبي بالكناسة فبكى، فقلت: يا أبت مايبكيك؟ فقال: يا بني في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة أبي عشرة أيام كل يوم عشرة أسواط على أن يلي القضاء فلم يفعل.

وأخرج ابن أبي العوام السعدي من رواية أبي عبدالله، وسمعت محمد بن مقاتل يقول: بلغني أن أبا حنيفة حبس في الشمس وصب على رأسه الزيت فمرَّ به سفيان الثوري فقال: قد علمت الآن إنك طلبت هذا الشأن لله عز وجل، وفي تاريخ الذهبي عن أبي معاوية قال: حبّ أبي حنيفة من السنّة أنه ضرب أياماً ليلي القضاء فأبى، وقال أبو عبدالله الصيمري: لم يقبل العهد بالقضاء فضرب وحبس ومات في السجن.

سوطاً. فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب. قال الحكم بن هشام الثقفي: حدثت بالشام حديثاً في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى. وروي أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك، فقال: أتذكرون رجلاً عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففرّ منها. وروي عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه انه قيل لأبي حنيفة:

فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب). ويروى عن ابن المبارك إنه قال: إن الرجال في الاسم سواء حتى يقع في البلوى، فقد ضرب أبو حنيفة على رأسه في السجن فصبر على الذل والضرب في الحبس طلباً للسلامة في دينه، وروى ابن داسة قال: سمعت أبا داود يقول: رحم الله مالكاً كان إماماً رحم الله الشافعي كان إماماً رحم الله أبا حنيفة كان إماماً. **(وقال الحكم بن هشام الثقفي)** مولى آل عقيل كوفي، نزل دمشق، روى عن منصور وقتادة، وعنه ابن عائذ وهشام وثقه جماعة. **(حدثت بالشام عن أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان)** أي ابن هبيرة من قبل آل مروان **(أن يتولى مفاتيح خزائنه)** أي خزائن أمواله، **(أو يضرب ظهره)** بالسياط **(فاختار عذابهم)** في الدنيا ولم يل العمال **(على عذاب الله)** في الآخرة. **(وروي انه ذكر أبو حنيفة)** يوماً **(عند ابن المبارك)** كأنه بسوء **(فقال: أتذكرون)** بالسوء **(رجلاً عرضت عليه الدنيا بحذافيرها)** أي بأجمعها **(ففرَّ منها)** خوفاً على دينه.

وأخرج ابن أبي العوّام السعدي في مسنده من طريق ابن شجاع، حدثنا الحسن بن أبي مالك، سمعت عبدالله بن المبارك يقول: وذكر أبو حنيفة بين يديه ماذا يقال في رجل عرضت عليه الدنيا والأموال العظيمة، فنبذها وضرب بالسياط فصبر عليها ولم يدخل فيما كان غيره يستدعيه. رحم الله أبا حنيفة ما كان أشده في دين الله عز وجل، وتقدم في خاتمة الفصول ما نقله ابن عبد البر في كتاب العلم أن ابن المبارك قيل له فلان يتكلم في أبي حنيفة فأنشد:

حسـدوك لما رأوك فضلـك ... الله بما فضلـت بـه النجبـاء

وقيل لأبي عاصم النبيل فلان يتكلم في أبي حنيفة فقال: هو كما قال نصيب:

في مثـل هـذا سلمـت وهـل حـ ... ـي مـن النـاس سـالم

وقال أبو الاسود الديلي:

حسـدوا الفتى إذ لم ينـالـوا سعيـه ... فـالقـوم أعـداء لـه وخصـوم

قلت: وأخرج ابن عساكر في ترجمة نصيب من رواية أبي الحسن علي بن محمد السكري أنشدنا أبو عمر اللغوي الزاهد السياري عن الناشي لنصيب:

ومـا زال بي الكتمـان حتـى كـأنني ... بـرجـع جـواب السـائلي عنـك أعجـم
لاسلم مـن قـول الوشـاة وتسلمـي ... هـديـت وهـل حـي على النـاس يسلم

قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم. **قال: فما رضي أبو حنيفة، قال: فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلّى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم**، فجاء رسول الحسن بن **قحطبة بالمال فدخل عليه، فلم يكلمه، فقال بعض من حضر**: ما يكلمنا، إلا بالكلمة بعد الكلمة، **أي هذه عادته. فقال**: ضعوا **المال في هذا** الجراب في زاوية البيت، **ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه**: إذا مت

(**وروي عن محمد بن شجاع**) الثلجي بالمثلثة والجيم الفقيه البغدادي الحنفي. أبو عبدالله صاحب التصانيف قرأ على اليزيدي، وروي عن ابن عسيلة ووكيع، وتفقه بالحسن بن زياد اللؤلؤي وغيره، وآخر من حدّث عنه محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة وقد تكلم فيه ابن عدي بالوضع وزكريا الساجي بالكذب وقال الحاكم: رأيت عند محمد بن أحمد بن موسى القمي، عن أبيه، عن محمد ابن شجاع كتاب المناسك في نيف وستين جزءاً كبار دقاق، وقال أحمد بن كامل القاضي: كان فقيه العراق في وقته، وقال أبو الحسين بن النادي: كان يتفقه ويقرىء الناس القرآن مات ساجداً في صلاة العصر سنة ٢٤٨ عن ست وثمانين سنة كذا في الميزان (**عن بعض أصحابه**) فيما أخرجه ابن أبي العوام السعدي، عن أبي بشر، عن محمد بن شجاع، والمراد ببعض أصحابه هنا هو الحسن بن عمارة أبو محمد الكوفي الفقيه من رجال الترمذي، وابن ماجه عن ابن أبي مليكة، والحاكم، وعنه شبابة، وعبد الرزاق، وولي قضاء بغداد للمنصور، ومات سنة ١٥٣ . (**أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أبو جعفر**) المنصور (**أمير المؤمنين**)، وذلك بعد رجوع أبي حنيفة من مكة (**بعشرة آلاف درهم**)، وفي رواية أخرى: وجارية. وكان الرسول في ذلك الحسن بن قحطبة (**قال فما رضي أبو حنيفة**) أن يقبلها، فلما أحس أبو حنيفة بأنه يرسل بهذا إليه تمارض، (**فلما كان اليوم الذي توقع**) أي ترجى (**أن يؤتى**) إليه (**بالمال**) فيه (**صلى الصبح ثم تغشى بثوبه**) أي اشتمل به من رأسه إلى قدمه (**فلم يتكلم**). وفي رواية أصبح لا يكلم أحداً كأنه مغمى عليه، (**فجاء رسول**) أبي الحسين (**الحسن بن قحطبة**) ابن اياد بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن كلب بن سعد بن عمرو بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان الطائي. أحد رجال الدولة العباسية، وأخوه حميد أحد الدعاة السبعين بعد العشرين والاثني عشر، وإليه نسب ربض حميد ببغداد وأبوهما قحطبة أحد النقباء الاثني عشر (**بالمال فدخل عليه فلم يكلمه**) وأظهر المرض (**فقال بعض من حضر**) في مجلسه هو (**ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أي هذه عادته**) اعتذاراً عن عدم كلامه، وفي رواية فقالوا: ما تكلم اليوم بكلمة، (**فقال**) رسول الحسن لما أيس من كلامه: (**ضموا المال في هذا الجراب**) ثم خلوه (**في زاوية البيت**) وفي رواية فقال رسول الحسن: كيف أصنع ؟ قالوا: انظر ما ترى. قال: فوضعها في مسجد في ناحية البيت وانصرف قال؛ فمكثت تلك البدرة في ذلك الموضع إلى أن مات أبو حنيفة، (**ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته، فقال**) في وصيته (**لابنه**): وهو الإمام ابن الإمام حماد بن النعمان بن إسماعيل تفقه على أبيه فأفتى في زمنه،

ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له: خذ وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة. قال ابنه: ففعلت ذلك، فقال الحسن: رحمة الله على أبيك فلقد كان شحيحاً على دينه. وروي أنه دعي إلى ولاية القضاء فقال: أنا لا أصلح لهذا، فقيل له لِـمَ؟ فقال: إن كنت صادقاً فما أصلح لها، وإن كنت كاذباً فالكاذب لا يصلح

وروى عنه، وعن مالك، وحماد بن أبي سليمان، وكان الغالب عليه الورع. قال الفضل بن دكين: تقدم حماد ابن النعمان إلى شريك بن عبدالله في شهادة، فقال له شريك: والله إنك لعفيف البطن والفرج توفي سنة ١٧٩ (**إذا مت**)، وقوله: هذا كان في كتاب وصيته، وذلك لأن حماداً كان غائباً فقدم بعد موت والده، فحمل البدرة فأتى بها باب الحسن بن قحطبة فاستأذن فأذن له فدخل، فقال: إني وجدت في وصية أبي إذا أنامت (**ودفنتموني فخذ هذه البدرة**) التي في زاوية البيت، (**فاذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة**)، ويروى كانت عندنا. (**فقال الحسن**) لما رأى البدرة (**رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحاً على دينه**)، ويروى رحم الله أباك لقد شحّ على دينه إذ سخت به أنفس أقوام. وذكر عبد القادر القرشي في ترجمة حماد من طبقاته ولما توفي أبوه كان عنده ودائع للناس كثيرة من ذهب وفضة وغير ذلك، وأربابها غائبون، وفيهم أيتام، فحملها حماد إلى القاضي ليتسلمها منه فقال له القاضي: ما نقبلها منك ولا تخرجها من يدك، فأنت أهل بوضعها، فقال له حماد: زنها واقبضها حتى تبرأ ذمة أبي حنيفة، ثم افعل ما بدا لك، ففعل القاضي ذلك وبقي في وزنها أياماً، فلما كمل وزنها استتر حماد فلم يظهر حتى دفعها إلى غيره اهـ.

وأخرج ابن قطلوبغا الحافظ في شرح المسانيد من رواية محمد بن عبدالرحمن المسعودي، عن أبيه. ومن رواية هلال بن يحيى عن يوسف السمي قالا: إن أبا جعفر المنصور أجاز أبا حنيفة بثلاثين ألف درهم في دفعات، فقال يا أمير المؤمنين: إني ببغداد غريب وليس لها عندي موضع، فاجعلها في بيت المال، فأجابه المنصور إلى ذلك، فلما مات أبو حنيفة أخرجت ودائع الناس من بيته، فقال المنصور: خدعنا أبو حنيفة، وأخرج أيضاً من طريق مغيث بن مدرك قال، قال خارجة بن مصعب أجاز المنصور أبا حنيفة بعشرة آلاف درهم فدعي لقبضها فشاورني، وقال: هذا رجل إن رددتها عليه غضب وإن قبلتها دخل عليّ في ديني ما أكرهه، فقلت: إن هذا المال عظيم في غيبته فإذا دعيت لقبضها فقل له لم يكن هذا أملي من أمير المؤمنين فدعي لقبضها، فقال ذلك ورفع إليه خبره فحبس الجائزة قال: وكان أبو حنيفة لا يشاور أحداً في أمره سوى خارجة بن مصعب. (**وروي أنه دعي إلى ولاية القضاء**) الأكبر ببغداد بعد أن أشخص من الكوفة في أيام المنصور، فامتنع فحبسه فبقي خمسة عشر يوماً ثم مات. وقيل: ستة أيام، وقيل: إنه سقي سماً في سويق فنال مرتبة الشهادة. كل ذلك أخرجه الخطيب من طريق الواقدي، وفي رواية أخرى دعاه من الكوفة وأراده على القضاء (**فقال: أنا لا أصلح له ولا يحل لك أن توليني**) ذلك، (**فقيل له: لم**) ذلك (**فقال: إن كنت صادقاً فلا أصلح له**) لصدقي في

للقضاء، وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل فيدل عليه شدّة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا، وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى. وقال شريك النخعي: كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس، فهذا من أوضح الامارات

المقال. **(وإن كنت كاذباً)** كما تزعمون، **(فالكاذب لا يصلح للقضاء)** لسقوط عدالته بالكذب، وقد رويت هذه القصة من أوجه كثيرة. ففي تاريخ الذهبي قال إسحاق بن ابراهيم الزهري، عن بشر بن الوليد الكندي قال: طلب المنصور أبا حنيفة فأراده على القضاء وحلف ليلين فأبى، وحلف أن لا يفعل فقال الربيع حاجب المنصور: ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف. قال أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر مني، فأمر به إلى السجن فمات فيه، وعن مغيث بن بديل قال: دعا المنصور أبا حنيفة على القضاء فامتنع فقال: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلح. قال: كذبت. قال أبو حنيفة: فقد حكم أمير المؤمنين علي أني لا أصلح فإن كنت كاذباً فلا أصلح، وإن كنت صادقاً فقد أخبرتكم أني لا أصلح فحبسه. وقال إسماعيل بن أبي إدريس، سمعت الربيع بن يونس الحاجب يقول: رأيت المنصور تناول أبا حنيفة في أمر القضاء فقال: والله ما أنا بمأمون الرضا، فكيف أكون مأمون الغضب فلا أصلح لذلك. فقال: كذبت بل تصلح، فقال: كيف يحل لك أن تولى من يكذب. **(وأما علمه بطريق)** وفي نسخة بأمور، وفي أخرى بعلوم **(الآخرة وطريق الدين ومعرفته بالله تعالى، فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا، وقد قال)** أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز **(ابن جريج)** القرشي مولاهم المكي الفقيه أحد الأعلام، روي عن مجاهد، والحسن، وابن أبي مليكة، وعطاء، وعنه القطان، وروح، وحجاج بن محمد، وهو أوّل من صنف الكتب، وقال أحمد: كان من أوعية العلم روى عن ست عجائز من عجائز المسجد الحرام توفي سنة تسع وأربعين ومائة وقد جاوز المائة **(قد بلغني عن كوفيكم هذا)** يعني **(النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى)**. وفي تاريخ الذهبي قال يزيد بن كميت: سمعت رجلاً يقول لأبي حنيفة اتّق الله فانتفض واصفر لونه وأطرق وقال: جزاك الله خيراً ما أحوج الناس كل وقت إلى من يقول لهم مثل هذا. وروى محمد بن سماعة، عن محمد بن الحسن، عن القاسم بن معين أن أبا حنيفة قام ليلة يردّد قوله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ﴾ [القمر: ٤٦]. ويبكي ويتضرع إلى الفجر، فكل ذلك يدل على شدة خوفه من الله تعالى. **(وقال)** أبو عبدالله **(شريك)** بن عبدالله بن أبي شريك، وهو الحرث بن أوس بن الحرث بن الأذهل بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع **(النخعي)** الكوفي القاضي ولد ببخارى سنة ٩٥، وكان جده شهد القادسية وهو أحد الأعلام، روى عن زياد بن علاقة وسلمة بن كهيل وعلي بن الأقمر وأبي إسحاق ومنصور، وعنه أبو بكر بن أبي شيبة، وعلي بن حجر وإسحاق بن يوسف الأزرق وغيرهم. قال ابن معين: ثقة زاد العجلي حسن الحديث مات سنة سبع وسبعين ومائة استشهد به البخاري، وروى له مسلم في

على العلم الباطني والاشتغال بمهات الدين، فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله، فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة.

المتابعات واحتج به الباقون، **(كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر)** في جلال الله وعظمته **(قليل المحادثة للناس)** أي إلا فيا يعنيه. وروى حماد قال: كان أبي هيوباً لا يتكلم إلا جواباً ولا يخوض فيا لا يعنيه، **(وهذا من أوضح الأمارات)** أي العلامات **(على العلم الباطن والاشتغال بمهات الدين)** وضرورياته، **(فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله)** لأنهما يدلان على العلم الباطن، وسيأتي قول من أوتي صمتاً نجا من السوء على أن الكامل إذا نطق نطق بحكمة، وإذا صمت صمت عن حكمة، فجميع أحواله يدل على العلم الباطن. وبقي من ترجمة الإمام شيء أورده الذهبي في تاريخه أوردته هنا ليكون كالذيل لما ذكره المصنف. قال: كان أبو حنيفة خرازاً ينفق من كسبه ولا يقبل شيئاً من جوائز السلطان تورّعاً، وكان له دار وضياع ومعاش متسعْ، وكان معدوداً في الأجواد الأسخياء والألباب الأذكياء مع الدين والعبادة والتهجد وكثرة التلاوة وقيام الليل. قال خزاز بن صرد: سئل يزيد بن هارون أيما أفقه أبو حنيفة أم الثوري؟ فقال: أبو حنيفة أفقه وسفيان أحفظ للحديث. وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، وقال يزيد بن هارون: ما رأيت أحد، أورع ولا أعقل من أبي حنيفة، وقال صالح جرزة: سمعت يحيى بن معين يقول: أبو حنيفة ثقة. وعن النضر بن محمد قال: كان أبو حنيفة جميل الوجه سري الثوب عطراً. وقال أبو يوسف كان ربعاً من أحسن الناس صورة، وأبلغهم نطقاً، وأعذبهم نغمة، وأبينهم عما في نفسه، وعن ابن المبارك ما رأيت رجلاً أوقر في مجلسه ولا أحسن سمتاً وحلماً من أبي حنيفة. وروى ابراهيم بن سعد الجوهري عن المثنى بن رجاء قال: جعل أبو حنيفة على نفسه إن حلف بالله صادقاً أن يتصدق بدينار، وكان إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها. وقال أبو بكر بن عياش: لقي أبو حنيفة من الناس عنتاً لاقلال مخالطته، فكانوا يرونه من زهوّ فيه، وإنما كان غريزة. وقال جبارة بن المفلس: سمعت قيس بن الربيع يقول: كان أبو حنيفة ورعاً تقياً مفضلاً على اخوانه، وقال زيد بن أحرم: حدثنا داود الخربيني قال: كنا عند أبي حنيفة فقال رجل له إني وضعت كتاباً على خطك، إلى فلان فوهب لي أربعة آلاف درهم، فقال أبو حنيفة: إن كنتم تنتفعون بهذا فافعلوه. وروى نوح الجامع أنه سمع أبا حنيفة يقول: ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة اخترنا، وما كان غير ذلك فهم رجال ونحن رجال، وقال أبو حنيفة: لا ينبغي للرجل أن يحدث إلا بما يحفظه في وقت ما سمعه. روى أبو يوسف ذلك عنه. وقال أحمد بن الصباح قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته. وقال الخربيني ما يقع في أبي حنيفة إلا حاسد أو جاهل. وقال يحيى القطان، لا نكذب والله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة وقد أخذنا بأكثر أقواله. وقال علي بن عاصم: لو وزن علم أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح عليهم. وقال حفص بن غياث: كلام أبي حنيفة في الفقه أدق

(وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى) **فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء، وسفيان أقل أتباعاً من أحمد، ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر، وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن،**

من الشعر لا يعيبه إلا جاهل. وقال الحميدي: سمعت ابن عيينة يقول شيئان ما ظننتهما يجاوزان قنطرة الكوفة قراءة حمزة وفقه أبي حنيفة وقد بلغا الآفاق. وعن الأعمش أنه سئل عن مسألة فقال: إنما يحسن هذا النعمان بن ثابت وأظنه بورك له في علمه. وقال جرير قال لي مغيرة جالس أبا حنيفة تتفقه، فإن ابراهيم النخعي لو كان حياً لجالسه، وأخبار أبي حنيفة كثيرة وترجمته واسعة، وفيما ذكرناه كفاية (**فهذه أحوال الأئمة الثلاثة**) الدالة على الخصال الخمس رضي الله عنهم.

(**وأما أحمد بن حنبل، وسفيان الثوري فأتباعهما أقل من**) أتباع (**هؤلاء، وسفيان أقل اتباعاً من أحمد**)، وأما الآن فليس لهم وجود ولا ذكر، وشوكة الحنابلة ببغداد ونواحيها وبلاد الشام والنجد، ولم يبق بمصر الآن مع أنها حاضرة العلم من يفتي منهم أحد، (**ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر**) وأكثر، (**وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أحوالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن**) ولا بأس أن نلم بذكرهما تبركاً لئلا يخلو الكتاب عن محاسنهما.

فالإمام أحمد أبو عبدالله بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حبان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكاشة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الشيباني المروزي ثم البغدادي هكذا نسبه ابنه عبدالله، واعتمده أبو بكر الخطيب وغيره، وأما قول عباس الدوري، وأبي بكر بن أبي داود أنه كان من بني ذهل بن شيبان فغلط إنما كان من بني شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وذهل بن ثعلبة عم ذهل بن شيبان بن ثعلبة، وهو الإمام الجليل صاحب المذهب الصابر على المحنة الناصر للسنة شيخ العصابة مقتدي الطائفة. قال عبدالرزاق: ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أورع. وقال أبو مسهر وقيل له: هل تعرف أحداً يحفظ على هذه الأمة أمر دينها. قال: لا أعلمه إلا شاباً في ناحية المشرق يعني أحمد بن حنبل ولد ببغداد سنة ١٦٤، إذ جيء به إليها من مرو حملاً، وسمع الحديث سنة تسع وسبعين، ومن شيوخه هشيم، وابن عيينة وابراهيم بن سعد، وجرير بن عبدالحميد، ويحيي القطان، والوليد بن مسلم، واسماعيل بن علية، ومعتمر بن سليمان، وغندر، وبشر بن الفضل، ويحيي بن أبي زائدة، وأبو يوسف القاضي، ووكيع، وابن نمير، وعبدالرحمن بن مهدي، ويزيد بن هارون، وعبدالرزاق، والشافعي. وممن روى عنه من شيوخه عبدالرزاق، والحسن بن موسى الأشيب، والشافعي لما يقول أخبرنا الثقة. ومن أقرانه علي بن المديني، ويحيى بن معين، ورحيم. وروى عنه البخاري بواسطة، ومسلم وأبو داود وابناه صالح وعبدالله. قال الخطيب: ورحل إلى الكوفة والبصرة والحرمين واليمن والشام والجزيرة. وقال ابنه عبدالله: كتب

....

أبي عشرة آلاف ألف حديث لم يكتب سواداً في بياض إلا حفظه وألف مسنده وهو أصل من أصول هذه الأمة أحاديثه ثلاثون ألفاً.

وأما زهده وورعه؛ فقد سارت به الركبان، وقد أفرد جماعة في مناقبه كالبيهقي وأبي إسماعيل الأنصاري، وابن الجوزي، وابن المغراء وغيرهم، وتوفي سنة ٢٤١ لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأوّل، وكان عدد المصلين عليه ألف ألف وثلاثمائة ألف سوى من كان في السفن، وقال ابن المغراء، قال الربيع بن سليمان، قال لي الشافعي: أحمد إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنّة، وهذا القدر كاف في معرفة علو مقامه رضي الله عنه.

وأما سفيان الثوري؛ فهو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله بن موهبة بن أبي عبدالله بن منقذ بن نصر بن الحرث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور الثوري الكوفي. هكذا نسبه الهيثم بن عدي، وقيل في سياق نسبه مسروق بن حمزة بن حبيب وبإسقاط منقذ والحرث. ولد سنة سبع وتسعين، وحدّث وهو ابن ثلاثين سنة، روى عن عمرو بن مرة، وسلمة بن كهيل، وحبيب بن ثابت، وعبدالله بن دينار، وعمرو بن دينار، وأبي إسحاق، ومنصور، والأعمش، وعبد الملك بن عمير، وصالح مولى التوأمة، وأبي الزناد، واسماعيل بن أبي صالح، وأيوب السختياني. ويقال إنه أدرك مائة وثلاثة من التابعين. روى عنه مسعر، وابن جريج، ومحمد بن عجلان، والأوزاعي، ومحمد بن إسحاق، وأبو حنيفة وهو أكبر منه وأقدم، وشعبة والحمادان، وابن أبي ذئب، ومالك وسليمان بن بلال، وزائدة، وزهير بن معاوية وهم من أقرانه، وابن المبارك، ووكيع، ويحيى القطان، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وعبد الرحمن بن مهدي، ومحمد بن يوسف الفريابي، ويحيى بن يمان، وعبيدالله الأشجعي، وعبد الرزاق، وقبيصة بن عقبة، وأبو حذيفة النهدي، ومحمد بن كثير، وأحمد بن عبدالله بن يونس، وعلي بن الجعد وغيرهم. قال ابن الجوزي: الذين رووا عنه أكثر من عشرين ألفاً.

وأما سعة علمه وآدابه وأخلاقه وشمائله وزهده وورعه وتواضعه وخموله وشدّة خوفه وتفكره وبلائه وتعبده ومجاهدته والاقتصاد في معيشته وصدعه بالحق وأمره بالمعروف وثناء أئمة العصر ومن بعدهم عليه، فقد سارت بأخباره الركبان. وقال علي بن شيبان: مرض سفيان بالكوفة فبعث بمائه إلى ابن أبي ذئب فلما رآه قال: ويلك بول من هذا. قال: ما تسأل. قال: أرى بول رجل قد أحرق الحزن والخوف قلبه. وفي رواية أبي أسامة ذهبت ببوله إلى الديراني، فنظر إليه فقال: بول من هذا ينبغي أن يكون هذا البول بول زاهد. هذا بول رجل فتت الحزن كبده، ما أرى لهذا دواء. قال أبو سعد: أجمعوا على انه مات سنة إحدى وستين ومائة في أوّلها. وقال الواقدي: في شعبان، وأما قول خليفة أنه في اثنين وستين غلط رضي الله عنه وأرضاه عنا. نقلت ذلك من كتاب الحافظ الذهبي الذي اختصره من كتاب ابن الجوزي في ترجمته وهو مجلد.

فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الأعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والإيلاء واللعان، أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه، وانظر إلى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا ؟.

(فانظر الآن) وتأمل **(في سير هؤلاء الأئمة)** وأحوالهم، **(وتأمل هذه الأحوال والأقوال والأعمال في الاعراض عن الدنيا)** والهروب منها **(والتجرد لله تعالى هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والكفالة والظهار واللعان، أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه، وانظر الآن إلى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا ؟ والله أعلم)** .

الباب الثالث

فيما يعدّه العامة من العلوم المحمودة وليس منها:

وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموماً، وبيان تبديل أسامي العلوم، وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة، وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها.

(بيان علة ذم العلم المذموم):

لعلك تقول: العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى، فكيف

الباب الثالث

(**فيما تعده العامة**) وتحسبه (**من العلوم المحمودة**) ويكبون على تحصيلها (**و**) الحال انه (**ليس منها**) وفي بعض النسخ منه، وفي أخرى وليست منها.

(**وفيه بيان الوجه الذي به يكون بعض العلوم مذموماً، وبيان تبديل أسامي العلوم، وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة، وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها**) اعلم أن لفظ العلم كما يطلق على ما ذكر بيانه في أوّل الكتاب يطلق على ما يراد به وهو أسماء العلوم المدوّنة، كالنحو والفقه، فيطلق كأسماء العلوم تارة على المسائل المخصوصة، وتارة على التصديقات بتلك المسائل عن دليلها، وتارة على الملكة الحاصلة من تكرر تلك التصديقات أي ملكة استحضارها، فإطلاق لفظ العلم على كل منها إما حقيقة عرفية أو اصطلاحية أو مجاز مشهور، وقد يطلق على مجموع المسائل والمبادىء التصورية والتصديقية والموضوعات، وقد يطلق أسماء العلوم على مفهوم كلي إجمالي يفصل في تعريفه، فإن فصل نفسه كان حداً رسمياً، وإن بين لازمه كان رسماً اسمياً. وأما حده الحقيقي، فإنما هو بتصوّر مسائله أو بتصوّر التصديقات المتعلقة بها. كذا في مفتاح السعادة.

(**بيان علة ذم العلم المذموم، لعلك تقول**) أصل (**العلم**) إدراك الشيء على حقيقته وهو (**معرفة الشيء على ما هو به**) وعليه، (**وهو من صفات الله سبحانه**) الذاتية، (**فكيف يكون الشيء علماً ويكون مع كونه علماً مذموماً**)، وهو اشكال ظاهر، وبمثل هذا طعن بعض من لا خلاق له من العجم على العرب بأنهم يمدحون شيئاً ويذمونه. والجواب: أن مدحهم للشيء وذمه باعتبار الوجوه المختلفة كمدح الدينار من حيث تقضي الحاجة به، وذمه لكونه مجلبة

يكون الشيء علماً ويكون مع كونه علماً مذموماً؟ فاعلم أن العلم لا يذم لعينه، وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة:

(الأول): أن يكون مؤدياً إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره، كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق، إذ شهد القرآن له، وإنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين، وقد سحر رسول الله ﷺ ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك، وأخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر، وهو نوع يستفاد من العلم بخواص

للأوصاف الذميمة مثلاً، فمدحه من وجه وذمه من وجه آخر، وهذا لا بأس به كما بينه الشريشي في شرح المقامات الدينارية للحريري، وإليه أشار الشيخ بقوله: **(فاعلم ان العلم)** من حيث هو هو **(لا يذم لعينه)** أي من حيث كونه علماً **(وإنما يذم)** لوجه آخر **(في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة)**.

(الأول: أن يكون مؤدياً إلى ضرر) أي نوع من أنواع الضرر **(إما بصاحبه)** وهو الحامل له **(وإما بغيره)**، فكما ان الضرر مذموم مطلقاً، فكذلك ما يتأذى بسببه فإنما جاء ذمه من هذا الوجه، **(كما يذم علم السحر والطلسمات)** تقدم بيانها **(وهو)** أي علم السحر **(حق)** ثابت **(إذ شهد القرآن له)** في قصة هاروت وماروت. قال تعالى: ﴿ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقال تعالى: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [طه: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ [الأنبياء: ٣]. وقال تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [طه: ٦٦]. وقال تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ [الفلق: ٤]. والنفاثات السواحر، **(وانه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين)**، كما شهد بذلك قوله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقونه به بين المرء وزوجه﴾ **(و)** قد **(سحر رسول الله ﷺ ومرض بسببه حتى أخبره جبريل، وأخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر)**.

قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة اهـ.

قلت: أخرجه البخاري في كتاب الطب من طريق عيسى بن يونس، وسفيان بن عيينة، وأبي أسامة. ثلاثتهم عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها.

أما الطريق الأولى ففيها قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه، انه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي دعا ودعا ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفيته فيه أتاني

....

رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط أو مشاطة وجف طلع من نخلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة، كأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين. قلت يا رسول الله، أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس شراً فأمر بها فدفنت. قال البخاري: تابعه أبو أسامة وأبو حمزة وابن أبي الزناد عن هشام، وقال الليث وابن عيينة عن هشام من مشط ومشاقة، ويقال: المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط والمشاقة من مشاقة الكتان.

وأما الطريق الثانية ففيها؛ قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقاً، وفيها في جف طلعة ذكر تحت رعوفة في بئر ذروان، وفيها فقالت فقلت أفلا تنشرت؟ فقال: أما والله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً والباقي سواء.

وأما الطريق الثالثة ففيها في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان. قال: فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظروا إليها وعليها نخل وفيها فأمر بها فدفنت والباقي سواء، وقد أخرجه كذلك مسلم، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه كلهم من رواية هشام.

قال العراقي: وفي الباب، عن ابن عباس، وزيد بن أرقم. أما حديث ابن عباس، فأخرجه ابن مردويه في تفسيره من رواية عصام، عن سليمان بن عبدالله، عن عكرمة عنه وعصام ضعيف، وأما حديث زيد بن أرقم، فرواه ابن سعد في الطبقات من رواية الثوري، عن الأعمش، عن ثمامة المحملي عنه. وقال ابن الملقن في شرحه على البخاري في تفسير المعوذتين، ويقال ان العقد عقدها بنات لبيد وهي إحدى عشرة عقدة في وتر ومشط ومشاطة أعطاها لغلام يهودي يخدمه، وصورة من عجين فيها إبر مغروزة، فبعث علياً والزبير وعماراً فاستخرجوه وشفاه الله تعالى، وقال المهلب في شرحه: مدار هذا الحديث على هشام بن عروة وأصحابه مختلفون في استخراجه، فأثبته سفيان في رواية من طريقين، وأوقف سؤال عائشة على النشرة، ونفى الاستخراج عن عيسى بن يونس، وأوقف سؤالها النبي ﷺ على الاستخراج، ولم يذكر انه جاوب على الاستخراج بشيء، وحقق أبو أسامة جوابه ﷺ إذ سألته عائشة عن استخراجه بلا، فكان الاعتبار يعطي أن سفيان أولى بالقول لتقدمه في الضبط وأن الوهم على أبي أسامة في أنه لم يستخرجه، ويشهد لذلك انه لم يذكر النشرة، وكذلك عيسى بن يونس لم يذكر أنه ﷺ جاوب على استخراجه بلا، وذكر النشرة، والزيادة من سفيان مقبولة، لأنه أثبتهم، لا سيما فيما حقق من الاستخراج، وفي ذكر النشرة هي جواب للنبي ﷺ مكان الاستخراج ويحتمل أن يحكم بالاستخراج لسفيان، ويحكم لأبي أسامة بقوله: لا، على أنه استخرج الجف بالمشاقة، ولم يستخرج

الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة

صورة ما في الجف لئلا يراه الناس فيتعلمونه، ثم اعلم أن السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل غير قادح في نبوّته، وطاح بذلك طعن الملحدة قاتلهم الله، وأنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله، فذلك مما يجوز طرقه عليه في أمر دنياه دون ما أمر بتبليغه، وقد روي عن ابن المسيب وعروة سحر حتى كاد ينكر بصره، وعن عطاء الخراساني حبس عن عائشة سنة. قال عبد الرزاق: وحبس عنها خاصة حين أنكر بصره لكن رواية ثلاثة أيام أو أربعة هي أصوب.

(وهو نوع يستفاد بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم).

اعلم أن السحر هو علم يبحث فيه عن معرفة الكواكب وأحوال الأوضاع وارتباط كل منها بأمور أرضية، وعن معرفة المواليد والبروج والمنازل، ومقادير سير القمر في كل منها دائرة يكون منها على وجه خاص ليظهر من ذلك الارتباط والامتزاج، فيظهر من بين ذلك أفعال غريبة وأسرار عجيبة تخفى عللها وأسبابها على ذوي العقول بتركيب الساحر لها في أوقات مناسبة للأوضاع الفلكية مع مقارنة الكواكب وتوافق المواليد الثلاث، فيظهر عند ذلك ما خفي سببه مع أوضاع عجيبة بكيفية غريبة تحير العقول وتعجز عن حل خفاياها أفكار الفحول. وقال الحراقي: هو قلب الحواس في مدركاتها عن الوجه المعتاد لها في صحتها من سبب باطن لا يثبت مع ذكر الله عليه. وقال السعد في حاشية الكشاف: هو مزاولة النفس الخبيثة لأقوال وأفعال يترتب عليها أمور خارقة للعادة. وقال التاج السبكي: السحر والكهانة والتنجيم والسيمياء من واد واحد. وقال المجريطي في كتابه: (غاية الحكيم) وأحق النتيجتين بالتقديم ما نصه: السحر حقيقة على الاطلاق كل ما سحر العقول وانقادت إليه النفوس من جميع الأقوال والأعمال وهو ما يصعب على العقل إدراكه وتستتر عن الفهم أشباهه، وذلك انه قوّة إلهية بأسباب متقدمة موضوعة لإدراكه وهو علم غامض، ومنه أيضاً عملي موضوعه روح في روح، وهذا هو النرنج والتخميل، كما أن موضوع الطلسم روح في جسد، وموضوع الكيمياء روح في جسد، فبالجلمة؛ السحر هو ما خفي على عقول الأكثر سببه وضعف استنباطه، وحقيقة الطلسم أن يتطوّس إسمه وهو المسلط لأنه من جوهر القمر، وفي التسليط يفعل فيما له ركب فعل غلبة، وقهر بنسب عددية، وأسرار ملكية موضوعة، وأجساد مخصوصة في أزمنة موافقة، وبخورات مقويات جالبات لروحانيات ذلك الطلسم، فحاله كحال الأكسير الذي يحيل الأجساد إلى نفسه ويقهرها إذ هو خمير، ثم قال: اعلم أن السحر على قسمين. علمي وعملي، فالعلمي هو معرفة مواضع الكواكب الثابتة إذ موضوعها محل الصور وكيفية القاء أشعتها على السيارة وهيئات بنسب الفلك عند طلب كون المراد، وتحت هذا جميع ما وضعته الأوائل من الاختيارات والطلسمات. والعملي هو الموقوف على المولدات الثلاث وما أثبتت فيها من قوى الكواكب السيارة، وهي المعبر عنها بالخواص عند القائلين بها، ولا يعلمون لها علة ولا حقيقة إلى كشف سر الأوائل، ثم مزاج بعضها مع بعض بالعمل ويتوخى بها حرارة عنصرته، فذلك قبيل الدخنات كي يستعان بالقوى الكاملة على الناقصة، أو يتوخى

الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع، ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص المسحــور، ومعرفة هذه الأسباب من حيث انها معرفة ليست بمذمومة، ولكنها ليست تصلح إلا للاضرار

بها حرارة طبيعية، فذلك قسم المطعومات، وما كان لا يتعدى بها ولا يستعان إلا بالنفس الإنسانية أو الحيوانية، والحيل المسماة نيرنجات أحسن أنواع السحر العملي، ثم قال: ولم يكن للحكماء قدرة على هذا العلم إلا بمعرفة علم الفلك اهـ.

(فيتخذ من ذلك الجواهر هيكل على صــورة الشخـص المسحــور ويترصـد لـه وقـت مخصوص في طالع) مخصوص وفي بعض النسخ: من المطالع **(وتقرن به)** أي عند عمله **(كلمات)** أعجمية لا يعرف معناها **(يتلفظ بها)** لقهر الملائكة الموكلة بهذه الأسماء على فعل ما أقسم به المقسم، وتلك الكلمات لا تخلو **(من الكفر)** الصريح **(والفحش المخالف للشرع)**، كما هو صريح في قسم دعوة الزهرة في كتاب السر المكتوم للرازي، ويستثنى من ذلك ما ثبت صحته بمعنى الأسماء الحسنى عن كبار المشايخ الكاملين المقطوع لهم بالولاية مع العلوم الشرعية، كما ورد في أهيا إشراهيا اذوناي اصبات آل شداي هملوخيم، والأسماء التي في أوّل الدائرة الشاذلية وهي طهور يدعى محببه صوره محببه سقفاطين سقاطيم أهون وادم حم هاء آمين. والأسماء التي في أثناء خرب سيدي ابراهيم الدسوقي قدس سره، والبرهتية المسماة بالعهد السليماني وأمثالها. **(ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين)** فيقهر بها الملائكة الموكلة بتلك الأسماء، ثم إن لهم في السحر طرقاً مختلفة، فطريق الهند بتصفية النفوس بأنواع الرياضات وحبس الأنفاس، وطريق النبط بعمل العزائم في الأوقات المناسبة لها، وطريق اليونان بتسخير روحانية الأفلاك والكواكب، وطريقة العبرانيين والقبط والعرب بذكر الأسماء التي تقدم ذكرها، ولكل هؤلاء مؤلفات، فمن المشهورات على طريقة العبرانيين الإيضاح والبساتين في استخدام الانس والجن والشياطين وبغية الناشد ومطلب القاصد، وعلى طريقة اليونانيين رسائل أرسطو وغاية الحكيم للمجريطي، وكتاب طيماوس، وكتاب الوقوفات. وعلى طريقة الهند والنبط القماعيل الكبير والقماعيل الصغير ومراتب المعاني والبرهان، وعلى طريقة القبط والعرب عالم المعاني في إدراس العالم الإنساني وحقيقة المعارف وأسرار الاجرام وبهجة النفوس وغاية الأمل والمقصد الأتم وسرور النفوس وغير ذلك. **(ويحصل من مجموع ذلك)** ممّا ذكرناه **(الحكم بإجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور)** تحير لها الأفكار وتتلاشى منها العقول، وكل ما كان ويكون بقضاء الله تعالى وقدره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويرضى ﴿لا يُسئل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣] **(ومعرفة هذه الأسباب من حيث انها معرفة ليست بمذمومة)** إذا احترز عن العمل بها إلا أن قام شقي ساحر يدعي النبوّة ويظهر بقوّة السحر أموراً خارقة يقول هذه معجزتي على النبوّة، فعند ذلك يفترض وجود شخص قادر لدفعه بالعمل، ولذلك قال بعض

بالخلق والوسيلة إلى الشر شر، فكان ذلك هو السبب في كونه علماً مذموماً، بل من اتبع ولياً من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه؛ بل وجب الكذب فيه؛ وذكر موضعه ارشاد وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه، ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر.

العلماء تعلم العلم خير من جهله، ومن تعلمه بقصد دفع الضرر كان ذلك في حقه فرض كفاية، (**ولكنها**) أي تلك المعرفة (**ليست تصلح إلا للإضرار بالخلق**) غالباً وهو حرام (**والوسيلة إلى الشرشر**) أي ما يتوسل به إلى الشرشر (**فكان ذلك هو السبب في كونه مذموماً**).

وقد وردت في ذمة أحاديث ما بين صحاح وحسان، فمنها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة «اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر». وفي رواية مسلم، وأبي داود، والنسائي «اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات». والموبقات: هي المهلكات. وقول التاج السبكي: الموبقة أخص من الكبيرة، وليس في حديث أبي هريرة أنها الكبائر. تعقبه الحافظ ابن حجر بالرد. قال المناوي: السحر إن اقترن بكفر فكفر وإلا فكبيرة عند الشافعي وكفر عند غيره، وتعلمه إن لم يكن لذب السحرة عند نشره حرام عند الأكثر، وعلى ذلك يحمل قول الإمام الرازي في تفسيره: اتفق المحققون على أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محذور، لأن العلم شريف وللعموم: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر: ٩] ولأن السحر لو لم يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة، والعلم بكون المعجز معجزاً واجب وما يتوقف عليه الواجب واجب. قال: فهذا يقتضي كون العلم به واجباً وما يكون واجباً فكيف يكون حراماً أو قبيحاً اهـ.

(**بل من اتبع ولياً من أولياء الله تعالى ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز**) أي منيع (**إذا سأله الظالم عن محله**) الذي هو فيه (**لم يجز تنبيهه عليه**) وتعريفه إياه، (**بل يجب الكذب في ذلك**) للمصلحة الشرعية، (**وذكر موضعه**) له (**إرشاد**) في الظاهر وصدق (**وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه، ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر**) بقتل الرجل الصالح.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه في ترجمة ميمون بن مهران من رواية ابن أبي الدنيا، حدثني أبي، حدثنا اسماعيل بن عليه، أخبرنا سوار بن عبدالله قال: بلغني أن ميمون بن مهران كان جالساً وعنده رجل من قُرّاء الشام فقال: إن الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، فقال: الصدق في كل موطن خير، فقال ميمون: أرأيت لو رأيت رجلاً يسعى وآخر يتبعه بالسيف فدخل الدار فانتهى إليك، فقال: أرأيت الرجل ما كنت قائلاً؟ قال: كنت أقول لا. قال: فذاك اهـ.

....

وقول الشيخ: بل يجب الكذب في دلك هو أحد المواضع التي تكلموا عليه فيه، ونحن نبين لك حاصل ما قاله المحققون. أخرج البخاري في صحيحه من طريق الزهري أن حميد بن عبد الرحمن أخبره أن أمه أم كلثوم بنت عقبة أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً». وزاد مسلم في هذا الحديث قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما تقول الناس إلا في ثلاث في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها، وجعل يونس ومعمر هذه الزيادة عن الزهري. قال الخطيب: القول قولها والحق معها، وذكره أيضاً موسى بن هرون وقال: آخر حديث رسول الله ﷺ، أو يقول خيراً يعني كما عند البخاري، وللترمذي «لا يحل الكذب إلا في ثلاث يحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس». قال ابن الملقن، قال الطبري: واختلف العلماء في ذلك فقالت طائفة الكذب المرخص فيه في هذه الثلاثة هو جميع معاني الكذب، وحمله قوم على الاطلاق، وأجازوا قول ما لم يكن في ذلك لما فيه من المصلحة، فإن الكذب المذموم إنما هو فما فيه مضرة نلمسلمين، وقال آخرون: لا يجوز الكذب في شيء من الأشياء ولا الخبر عن شيء بخلاف ما هو عليه، وما جاء في هذا إنما هو على التورية. وروى مجاهد عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: لا يصلح الكذب في جد ولا هزل، وقال آخرون: بل الذي رخص فيه هو المعاريض، وهو قول سفيان وجمهور العلماء، وقال المهلب: ليس لأحد أن يعتقد إباحة الكذب، وقد نهى النبي ﷺ عن الكذب نهياً مطلقاً، وأخبر أنه يجانب الإيمان فلا يجوز استباحة شيء منه، وإنما أطلق عليه الصلاة والسلام للصلح بين الناس أن يقول: ما علم من الخير بين الفريقين ويسكت عما سمع من الشر بينهم، وبعد أن يسهل ما صعب ويقرب ما بعد لا إنه يخبر بالشيء على خلاف ما هو عليه، لأن الله قد حرم ذلك ورسوله، وكذلك الرجل يعد المرأة يمنيها وليس هذا من طريق الكذب، لأن حقيقة الكذب الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه، والوعد لا يكون حقيقة حتى ينجز والإنجاز مرجو في الاستقبال، فلا يصلح أن يكون كذباً، وكذلك في الحرب إنما يجوز فيها المعاريض والإيهام بألفاظ تحتمل وجهين يؤدي بها عن أحد المعنيين ليغر السامع بأحدهما عن الآخر، وليس حقيقة الاخبار عن الشيء بخلافه وضده، قال الطبري: والصواب من ذلك قول من قال الكذب الذي أذن فيه الشارع هو ما كان تعريضاً ينحو به نحو الصدق، وأما صريح الكذب فهو غير جائز لأحد، كما قال ابن مسعود لما روى عن رسول الله ﷺ في تحريمه، والوعيد عليه.

وأما ما رواه الأعمش عن عبد الملك بن ميسرة، عن النزال بن برة قال: كنا عند عثمان وعنده حذيفة فقال له عثمان: بلغني عنك أنك قلت كذا وكذا، فقال حذيفة: والله ما قلته. قال: وقد سمعناه. قال ذلك، فلما خرج قلنا له أليس قد سمعناك تقوله؟ قال: بلى. قلنا: فلم حلفت؟ قال: إني أشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله، فهذا خارج من معاني الكذب الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه أذن فيها، وإنما ذلك من جنس إحياء الرجل نفسه عند

(الثاني) : أن يكون مضراً بصاحبه في غالب الأمر ، كعلم النجوم ، فإنه في نفسه غير مذموم لذاته ، إذ هو قسمان :

قسم حسابي ، وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب ، إذ قال عز وجل : ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ . [الرحمن : ٥] .

الخوف ، كالذي يضطر إلى الميتة ولحم الخنزير فيأكل ليحيي نفسه ، وكذلك الخائف له أن يخلص نفسه ببعض ما حرم الله عليه وله أن يحلف على ذلك ولا حرج عليه ولا إثم . وقال الراغب في الذريعة : ذهب كثير من المتكلمين أن الصدق يحسن لعينه والكذب يقبح لعينه ، وقال كثير من الحكماء والمتصوفة : إن الكذب يقبح لما يتعلق به من المضار الحاصلة والصدق يحسن لما يتعلق به من المنافع الحاصلة ، وذلك أن الأقوال من جملة الأفعال وشيء من الأفعال لا يحسن ولا يقبح لذاته ، بل إنما يحسن ما يحسن لما يتعلق به في النفع . قالوا : والكذب إنما يقبح بثلاث شرائط أن تكون الخبر بخلاف المخبر عنه ، وأن يكون المخبر قد اختلقه قبل الإخبار به ، وأن لا يقصد إيراد ما في نفسه لاندفاع ضرر أعظم من ضرر ذلك الكذب ، مع شرط أن لا يمكن الوصول إلى ذلك النفع بغيره ، ومع أنه إذا ظهر كان للكاذب عذر واضح عاجلاً وآجلاً ، قالوا : ولا يلزم على هذا أن يقال جوزوا الكذب فيما يرجى منه نفع دنيوي ، فالمنعفة الدنيوية ولو كانت ملك الدنيا بحذافيرها لا توفى على ضرر هذا ، بل الذي قلناه يتصور في نفع أخروي يكون الإنسان فيه عاجلاً وآجلاً معذوراً كمن سألك عن مسلم استتر في دارك وهو يريد قتله ، فيقول : هل فلان في دارك ؟ فتقول : لا ، فهذا يجوز فإن نفع هذا الكذب موف على ضرره وهو فيه معذور ، وأما الصدق فإنه يحسن حيث يتعلق به نفع ولا يلحق ضرر بأحد ، فمعلوم قبح النميمة والغيبة والسعاية وإن كانت صدقاً ، فاتضح بما ذكرناه صحة قول الشيخ رحمه الله تعالى ولا عبرة بجمهور المخالفين له فيه .

(الثاني : أن يكون مضراً بصاحبه في غالب الأمر ، كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسمان) . اعلم أن علم النجوم علم بأحكام يستدل بها إلى معرفة الحوادث الكائنة في عالم الكون من الصلاح والفساد بالتشكلات الفلكية ، وهي أوضاع الأفلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتربيع إلى غير ذلك ، وهو عند الإطلاق ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، **(قسم حسابي)** وهو يقيني في علمه شرعاً ، **(وقد نطق القرآن بأن سير الكواكب محسوب إذ قال تعالى : الشمس والقمر بحسبان)** أي يجريان بحسبان وتقدير لا يعلمه إلا من أطلعه من خلقه عليه ، فلا يجاوز أن ما قدر لهما من جريهما ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ [يس : ٤٩] قيل : الحسبان جمع حساب ، والأصوب أنه مصدر . يقال : حسب الشيء يحسبه حسباناً ، وأصل الحساب استعمال العد والتقدير ؟ قال عبد بن حميد في سننه : حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا سفيان ، عن اسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي مالك :

وقال عز وجل: ﴿والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾. [يس: ٣٩]

والثاني: الأحكام، وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب، وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض، وهو معرفة لمجاري سنّة الله تعالى وعادته في خلقه، ولكن قد ذمه الشرع. قال ﷺ: « إذا ذكر القدر

﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ قال: بحساب ومنازل. وقال مجاهد في تفسيره فيما رواه عبد بن حميد، عن شبابة عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح عنه قال: كحسبان الرحى، والقولان ذكرهما البخاري في صحيحه.

(وقال تعالى: والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) [يس: ٣٩] منازل القمر ثمان وعشرون، وهو السرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والهفعة، والهنعة، والذراع، والنشرة، والطرفة، والجبهة، والزبوة، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزبانا، والاكليل، والقلب، والشولة، والنعيم، والبلوة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرع الدلو المقدم، وفرع الدلو المؤخر، والرشا، والعرجون فعلون من الانعراج أي الانعطاف، والمراد به عود الكباسة التي عليها التماريخ للعذق، فإذا قدم تقوس واصفر، ولذلك شبه به الهلال في آخر الشهر وأوله.

(والثاني) قسم طبيعي كالاستدلال بانتقال الشمس في البروج الفلكية على تغير الفصول بالحر والبرد والاعتدال وهذا ليس بمردود شرعاً أيضاً.

والثالث قسم وهمي ويسمى علم **(الأحكام)** وفي مفتاح السعادة اعلم أن أحكام النجوم غير علم النجوم، لأن الثاني يعرف بالحساب، فيكون من فروع الرياضة، والأول يعرف بدلالة الطبيعة على الآثار، فيكون من فروع الطبيعي، ولها فروع منها. علم الاختيارات، وعلم الرمل، وعلم الفال، وعلم القرعة، وعلم الطيرة والزجر اهـ.

وهذا الذي ذكره من الفرق لا بأس به، ولكن هذا أهم متى أطلق في العقليات أريد به الأحوال الغيبية المنتجة من مقدمات معلومة هي الكواكب من جهة حركاتها ومكانها وزمانها. **(وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث الكونية بالأسباب)** من اتصال الكواكب بطريق العموم والخصوص، وهذا لا استناد له إلى أصل شرعي فهو مردود شرعاً، **(وهو يضاهي)** أي يشبه **((استدلال الطبيب بالنبض)** أي بجسه **(على ما سيحدث)** للمريض **(من المرض وهو معرفة بمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكنه مذموم في الشرع)** قال المولى أبو الخير، واعلم أن كثيراً من العلماء على تحريم علم النجوم مطلقاً، وبعضهم على تحريم اعتقاد أن الكواكب مؤثرة بالذات، وقد ذكر عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: إن اعتقد المنجم أن المؤثر الحقيقي هو الله تعالى، لكن عادته تعالى جارية على وقوع الأحوال بحركاتها وأوضاعها المعهودة، ففي ذلك لا بأس عندي، وحديث الذم ينبغي أن يحمل على من يعتقد

فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا». وقال ﷺ:

تأثير النجوم، كذا ذكره ابن السبكي في طبقاته الكبرى، وعلى هذا يكون إسناد ذلك إلى النجم مذموماً، فقد قال العلماء: إن اعتقاد التأثير لها في شيء ما حرام إذا أول وإذا لم يؤول فهو كفر والعياذ بالله تعالى اهـ.

ونقل الخطيب من كتاب الأنواء لأبي حنيفة المنكر من النظر في النجوم نسبة الآثار إلى الكواكب، وأنها هي المؤثرة، وأما من زعم التأثير إلى خالقها، وزعم أنه نصبها إعلاماً على ما يحدثه فلا جناح عليه اهـ.

قلت: وذكر صاحب مفتاح السعادة أن ابن القيم الجوزي أطنب في الطعن على مرتكبه، بل ذهب الى تكفيره اهـ.

قلت: وذكر بعضهم أن مما يشهد بصحة علم الأحكام بنية بغداد، فقد أحكمها الواضع والشمس في الأسد، والعطارد في السنبلة، والقمر في القوس، فقضى الحق أن لا يموت فيها ملك ولم يزل كذلك، وهذا بحسب العموم، وأما بالخصوص فمتى علمت مولد شخص سهل عليك الحكم لكل ما يتم له من مرض وعلاج وكسب وغير ذلك. كذا في تذكرة داود، ويمكن المناقشة في شاهده بعد الإمعان في التواريخ، لكن لا يلزم من الجرح بطلان دعواه.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون بعض الأجرام العلوية أسباباً للحوادث السفلية، فيستدل المنجم العاقل من كيفية حركات النجوم باختلاف مناظرها وانتقالاتها من برج إلى برج على بعض الحوادث الكائنة قبل وقوعها، كما يستدل الطبيب الحاذق بكيفية حركة النبض على حدوث العلة قبل وقوعها.

يقال: يمكن هذا على طريق إجراء العادة أن يكون بعض الحوادث سبباً لبعضها، لكن لا دليل فيه على كون الكوكب أسباباً وعللاً للسعادة والنحوسة لا حساً ولا عقلاً ولا سماعاً. إما عقلاً فسيأتي بيانه قريباً في الوجه الثاني من الأوجه الثلاثة في الزجر عنه، وأما سماعاً فقد **قال رسول الله ﷺ: «إذا ذكر القدر فامسكوا، وإذا ذكرت النجوم فامسكوا، وإذا ذكر أصحابي فامسكوا»)**.

قال العراقي: أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن اهـ.

أي في معجمه الكبير من رواية مسهر بن عبد الملك بن سلع الهمداني، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبدالله رفعه. وفيه تقديم الجملة الأخيرة ثم الثانية ثم الأولى، ورواه الخطيب في كتاب القول في علم النجوم بلفظ المصنف من رواية أبي مخذم عن أبي قلابة، عن ابن مسعود، وأبو مخذم اسمه النصر بن سعيد ليس بشيء قاله ابن معين، وأبو قلابة لم يسمع من ابن مسعود، ورواه الطبراني أيضاً من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ نبه عليه الحافظ ابن حجر وابن عدي في الكامل عن عمر بن الخطاب بسند ضعيف. وقال الهيثمي: فيه يزيد بن ربيعة وهو

« أخاف على أمتي بعدي ثلاثاً. حيف الأئمة، والإيمان بالنجوم، والتكذيب بالقدر ».
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا، وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه:

ضعيف. ورواه أبو الشيخ في كتاب الطبقات من رواية الحسن، عن أبي هريرة مرفوعاً في أثناء حديث. وقال ابن رجب: روي من وجوه في إسنادها كلها مقال، وقد رمز السيوطي لحسنه تبعاً لابن حصري ولعله اعتضد، قال المناوي في شرح هذا الحديث، أي: لما في الخوض في الثلاثة من المفاسد التي لا تحصى.

(وقال ﷺ « أخاف على أمتي بعدي ثلاثاً حيف الأئمة وإيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر »).

قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي محجن بسند ضعيف اهـ.

قلت: هو من رواية علي بن يزيد الصدائي، حدثنا أبو سعيد البقال، عن أبي محجن قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: فذكره. وأخرجه ابن عساكر كذلك من طريقه، وأبو محجن اسمه عمرو بن حبيب الثقفي فارس شاعر صحابي، والرواية إيماناً وتكذيباً بالنصب فيهما، وإنما نكر إيماناً ليفيد الشيوع، فيدل على التحذير من التصديق بأي شيء كان من ذلك جزئياً أو كلياً مما كان من أحد، فسمى علم النجوم وهو علم التأثير لا التسيير، فإنه غير ضار كما تقدم.

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة رفعه. « إن أخوف ما أخاف على أمتي في آخر زمانها النجوم وتكذيب بالقدر وحيف السلطان ».

وأخرج أحمد، والبزار، وأبو يعلى، والطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث جابر بن سمرة بلفظ: « ثلاثاً أخاف على أمتي استسقاء بالانواء وحيف السلطان وتكذيب بالقدر ».

وأخرج أبو يعلى في مسنده، وابن عدي في الكامل، والخطيب في كتاب النجوم، عن أنس بسند حسن « أخاف على أمتي بعدي خصلتين تكذيباً بالقدر وتصديقاً بالنجوم ».

ومن شواهد الحديثين ما أخرجه الديلمي في الفردوس، وابن حصري في أماليه، عن عمر بن الخطاب مرفوعاً « لا تسألوا عن النجوم ولا تماروا في القدر ولا تفسروا القرآن برأيكم ولا تسبوا أحداً من أصحابي فإن ذلك الإيمان الإيمان المحض ». هكذا أخرجه السيوطي في الجامع الكبير.

قلت: وأخرجه الخطيب في ذم النجوم من حديث اسماعيل بن عياش، عن النجتري بن عبيد، عن أبيه، عن أبي ذر عن عمر موقوفاً، كذا في شرح ابن الملقن على البخاري.

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا) عزاه الشيخ إلى عمر بن الخطاب ووقفه عليه، ولم يتعرض له العراقي في تخريجه، وقد روي ذلك مرفوعاً عن ابن عمر. أخرجه ابن مردويه في التفسير، والخطيب

أحدها: أنه مضر بأكثر الخلق فإنه إذا أُلقِي إليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب

البغدادي في كتاب ذم النجوم ولفظهم: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا. قال المناوي، قال عبد الحق: وليس إسناده مما يحتج به انتهى، وقال ابن القطان: فيه من لا أعرف انتهى، لكن رواه ابن زنجويه من طريق آخر وزاد: وتعلموا ما يحل لكم من النساء ويحرم عليكم ثم انتهوا. قال المناوي في شرح قوله: ثم انتهوا ما نصه؟ فإن النجامة تدعو إلى الكهانة، والمنجم كاهن، والكاهن ساحر، والساحر كافر، والكافر في النار كذا علله علي كرم الله وجهه، قال ابن رجب: فالمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير، فإنه باطل محرم قليله وكثيره، وفيه ورد الخبر: من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من الكفر. وأما علم التسيير فتعلم ما يحتاج إليه منه لاهتداء ومعرفة القبلة وما زاد عليه لا حاجة إليه لشغله عما هو أهم منه، وربما أدى بتدقيق النظر فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين، كما وقع من أهل هذا العلم قديماً وحديثاً، وذلك مفض إلى اعتقاد خطأ السلف في صلاتهم وهو باطل اهـ.

قال الزمخشري: كان علماء بني إسرائيل يكتمون علمين من أولادهم النجوم والطب لئلا يكون سبباً لصحبة الملوك فيضمحل دينهم اهـ.

وفي صحيح البخاري قال قتادة: هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به. قال ابن الملقن: هذا التعليق قد أخرجه عبد بن حميد في مسنده، عن يونس، عن سفيان عنه بلفظ: «فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه: «قال الداودي وهو قول حسن إلا قوله أخطأ وأضاع فقصر فيه، لأن من قال فيه بالعصبية كافر اهـ.

وأخرج الخطيب في ذم النجوم من حديث عبيد الله بن موسى، عن الربيع بن حبيبة، عن قويد بن عبد الملك، عن أبيه، عن علي: نهاني رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم. وعن أبي هريرة، وعائشة، وابن مسعود، وابن عباس نحوه، وعن الحسن: أن قيصر سأل قس بن ساعدة الأيادي: هل نظرت في النجوم؟ قال: نعم نظرت فيما يراد به الهداية، ولم أنظر فيما يراد به الكهانة، وقد قلت في النجوم أبياتاً وهي:

علم النجوم على العقول وبال ... وطلاب شيء لا ينال ضلالُ
ماذا طلا بك علم شيء غيبت ... من دونه الخضراء ليس ينالُ
هيهات ما أحد بغامض فطنة ... يدرى متى الأرزاق والآجالُ
إلا الذي من فوق عرش ربنا ... فلوجهه الإكرام والإجلالُ

وقال المأمون: علمان نظرت فيهما وامتنعت فلم أرهما يصحان النجوم والسحر، **(وإنما زَجَرَ عَنْهُ)** أي عن تعلم علم النجوم **(من ثلاثة أوجه)**:

(أحدها: أنه مضر بأكثر الخلق) سيما من لم يحكم عقيدته على سنن السلف الصالحين،

سير الكواكب، وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة، وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية، ويعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتاً إليها، ويرى الخير والشر محذوراً أو مرجوًّا من جهتها، وينمحي ذكر الله سبحانه عن القلب، فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط، والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى، ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس، مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر إلى سواد الخط يتجدّد، فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى في نظرها إلى مشاهدة الأصابع، ثم منها إلى اليد، ثم منها إلى الارادة المحركة لليد، ثم منها إلى الكاتب القادر المريد، ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة، فأكثر نظر الخلق

(**فإنه إذا ألقي إليهم**) في تفسير ما قرروه (**أن هذه الآثار**) من الحوادث والحركات (**تحدث**) وتقع (**عقيب سير الكواكب**) أو عند مقابلاتها (**وقع في نفوسهم**) في أول وهلة (**أن الكواكب هي المؤثرة**) بأنفسها لتلك الحوادث، (**وأنها**) أي تلك الكواكب (**الآلهة المؤثرة**) في الكون، كما وقع ذلك لكثير من جهلاء اليهود والنصارى والفلاسفة (**لأنها جواهر شريفة سماوية**)، فلا يبعد الظن عن نسبة التأثير والتدبير إليها، (**ويعظم وقعها في القلوب**) لغرابتها ويحسن له الشيطان ويزينه في القلوب (**فيبقى القلب ملتفتاً إليها**) أي إلى الكواكب باستمالة الشيطان ويتمكن ذلك في اعتقاده، (**ويرى الشر والخير محذوراً**) أي ممنوعاً (**ومرجواً من جهتها و**) حينئذ (**يتنحى**) أي يبعد (**ذكر الله تعالى عن القلب**)، فإنه ليس له إلا وجهة واحدة، (**فإن الضعيف**) الإيمان والاعتقاد (**يقصر نظره**) لقصوره (**على الوسائط**) ولا يتجاوز عنها (**والراسخ**) في العلم (**هو الذي يطلع على**) أسرار أقوال الله تعالى ورسوله ﷺ، ويعتقد (**أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره تعالى**) أي: جارية لمنافع العباد ويتدرج في معرفة ذلك إلى معرفة سر التسخير الذي هو القهر والإذلال، وأنها لو كانت مؤثرة أو آلهة مدبرة لم تقهر ولم تسخر، (**ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس، مثل النملة لو خلق لها عقل**) مثلاً إذ لها إدراك ما (**و**) فرض أنها (**كانت على سطح**) أي موضع مسطح (**في قرطاس**)، وفي بعض النسخ كانت في ظهر قرطاس، وفي أخرى في سطح قرطاس (**وهي تنظر إلى سواد الخط ينحدر**)، وفي نسخة: يتجدد، (**فتعتقد أنه فعل القلم ولا يترقى نظرها إلى مشاهدة الأصابع**) التي تملك القلم، (**ثم منها إلى اليد**) التي تركبت فيها تلك الأصابع، (**ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد**) وهي القوة المركبة من شهوة وحاجة وأمل، وهذا بالنظر إلى أصل اللغة، (**ثم منها إلى الكاتب القادر المريد، ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة**) فهو نظر خامس في الترقي، (**فأكثر نظر الخلق مقصور على**) المرتبة الأولى وهي (**الأسباب القريبة السافلة مقطوع**)

مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقي إلى مسبب الأسباب، فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم:

وثانيها: أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقيناً ولا ظناً فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث أنه جهل لا من حيث أنه علم، فلقد كان ذلك معجزة لإدريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق وما يتفق من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب، ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها، فإن اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت

مقصور (**عن**) النظر في (**الترقي إلى مسبب الأسباب**) جل وعز بادئ بدء، (**وهذا أحد أسباب النهي في**) تعلم علم (**النجوم**). وفي نسخة: عن النجوم.

(**وثانيها: أن أحكام النجوم**) غالبها (**تخمين محض**) وحدس (**ليس يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقيناً ولا ظناً والحكم به حكم بجهل**)، لأن أكثر القواعد التي قرروها تقديرية عقلية فما تفرع منها من الأحكام في الحوادث الكونية أحرى أن تكون كذلك، (**فيكون ذمه**) الوارد في الأحاديث المتقدمة (**من حيث أنه جهل لا من حيث أنه علم**). هذا وقد ورد من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه: أن من العلم جهلاً كما سيأتي، وفسّر بكونه علماً مذموماً والجهل خير منه، أو المراد أن من العلوم ما لا يحتاج إليه فيشتغل به عن تعلم ما يحتاج إليه في دينه فيصير علمه بما لا يعنيه جهلاً بما يعنيه، (**ولقد كان ذلك**) أي علم النجوم (**معجزة لإدريس صلوات الله عليه فيما يحكى**). ويروى أن نبياً من الأنبياء قد خط فمن وافق خطه خطه أصاب قيل: هو إدريس، وقيل: دانيال عليه السلام، وأن المراد بالخط هو علم النجوم أو علم الرمل أو غير ذلك، (**وقد اندرس ذلك العلم**) بعد وفاته (**وانمحق وانمحى**) وزال (**و**) أما (**ما يتفق من إصابة**) أمر (**المنجم على ندور**) في بعض الأحيان (**فهو اتفاق**) ومصادفة، (**لأنه قد يطلع على بعض الأسباب**) بحسب ظاهر قواعده، (**ولا يحصل المسبب عقيبها**) كما وقع ذلك لبعضهم أثناء المائة أنه أخبر عن يوم مخصوص في شهر كذا تهب رياح شديدة لا تبقي شجراً ولا بناء إلا هدمتها، وحذر الناس بذلك وكتب قصيدته المتضمنة على الفضائح إلى البلاد، حتى وصلت إلى المغرب، وقد صدقه في كلامه أكثر الناس من المشارقة والمغاربة وتهيأوا للجلاء عن بيوتهم واتخاذهم سراديب في البوادي والقفار، فاتفق أن جاء ذلك اليوم ولم يكن فيه مما ذكر شيء ذكره البلوي في كتابه ألف با. (**إلا بعد شروط كثيرة**) وإحالات على أمور (**ليس في قدرة البشر الإطلاع عليها**) وتفنى الإعمار دون تحصيلها، فمن ذلك ما ذكروه في شروط عمل السحر معرفة الطالع من البروج المستقيمة والمعوجة الطلوع، ومعرفة السعود والنحوس منها، ومعرفة نقاء القمر من الاعراض التي تصيبه، وما لكل كوكب

الإصابة، وإن لم يقدر أخطأ، ويكون ذلك كتخمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك، وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم، وربما يكون بخلاف، ومجرد الغيم ليس كافياً في مجيء المطر وبقية الأسباب لا تدرى، وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتماداً على ما ألفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها، فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطىء، ولهذه العلة يمنع القول عن النجوم أيضاً.

وثالثها: أنه لا فائدة فيه، فأقل أحواله أنه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الإنسان بغير فائدة، وذلك غاية الخسران، فقد مرَّ رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون عليه فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل علاّمة، فقال بماذا؟ قالوا: بالشعر وأنساب العرب، فقال: «علم لا ينفع وجهل لا يضر». وقال ﷺ:

وكل برج وما تصلح له، ومعرفة كونه تحت شعاع القمر حتى ينحل من العقدة، ومعرفة احتراقه بملاقاة جرمه جرم الشمس وهو أشد المناحس، وأشباه ذلك من الخرافات التي يشترطونها في كتبهم، (**فإن اتفق أن قدر الله بقية الأسباب**) مع توفيته الشروط (**وقعت الإصابة، وإن لم يقدر أخطأ**) في حكمه ذلك، (**ويكون ذلك كتخمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم**) في آفاقها (**يجتمع وينبعث من الجبال**) فيتراكم بعضه على بعض (**فيتحرك ظنه لذلك**) وتظهر له أمارات المطر فيحكم به، (**وربما يحمي النهار بالشمس**) وتأتي رياح مخالفة (**ويتبدد**) أي يتفرق ذلك (**الغيم، وربما يكون بخلافه**) أي تمطر ناحية والشمس مضيئة، (**ومجرد الغيم ليس كافياً في**) حصول (**المطر وبقية الأسباب لا تدرى**) أي تعلم، (**وكذلك تخمين الملاح**) وهو من يلازم خدمة السفن (**أن السفينة تسلم**) من الغرق (**اعتماداً على ما ألفه من**) جاري (**العادة في الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية**) المدرك (**هو لا يطلع عليها**) إلا قليلاً ممن رسخ منهم، (**فتارة يصيب في تخمينه**) فيسلم، (**وتارة يخطىء**) فيهلك، (**ولهذه العلة يمنع القول**) في إيمانه واعتقاده (**من**) النظر في (**النجوم أيضاً**) وهو ظاهر.

(**وثالثها: أنه لا فائدة فيه**) ولا طائل تحته (**فأقل أحواله أنه خوض في فضول**) هو جمع فضل إلا أنه استعمل استعمال المفرد فيما لا خير فيه (**لا يُغني شيئاً**) وفي نسخة: يغني شأنه (**وتضييع للعمر الذي هو أنفس بضاعة الانسان بغير فائدة**) شرعية تترتب عليها المصالح (**غاية الخسران**)، فإن الوقت سيف إن لم تقطعه في خير قطعك، (**فقد مرّ رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون عليه فقال: ما هذا؟**) أي الاجتماع (**قالوا: رجل علامة. فقال: بماذا؟ فقالوا: بالشعر وأنساب العرب، فقال: «علم لا ينفع وجهل لا يضر»**).

....

قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعفه. وفي آخر الحديث: «إنما العلم آية محكمة» الخ اهـ.

قلت: وقال ابن عبد البر نفسه: لعمري لم ينصف من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر قال المناوي: وكأنه لم يطلع على كونه حديثاً أو رأى فيه قادحاً يقتضي الرد.

قلت: كيف يقال أنه لم يطلع على الحديث، وهو الذي خرّجه من حديث أبي هريرة، فالوجه هو القول الثاني الذي ذكره، وأخرج الرشاطي من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن أبي هريرة علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر، وفي القوت، وقد روينا عن رسول الله ﷺ من طريق مرسل أنه مر برجل والناس مجتمعون عليه فقال: «ما هذا؟» فقالوا: رجل علامة. قال بماذا؟ قالوا: بالشعر والأنساب وأيام العرب، فقال: هذا علم لا يضر جهله» وفي لفظ آخر: «علم لا ينفع وجهل لا يضر».

وأخرج الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في البر والصدقة، والحاكم عن أبي هريرة رفعه: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محببة في الأهل، مثراة في المال، منساة في الاثر». وصححه الحاكم، وأقره الذهبي وقال الهيثمي: رجال أحمد وثقوا، وقال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث له طريق أقواها ما أخرجه الطبراني من حديث العلاء بن خارجة، وجاء هذا عن عمر أيضاً ساقه ابن حزم باسناد رجاله موثقون إلاّ أن فيه انقطاعاً اهـ.

قلت: وأخرج ابن زنجويه من حديث أبي هريرة: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا، وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا» وبهذا يظهر الجمع بين الحديثين وأن محل النهي إنما هو في التوغل فيه والاسترسال بحيث يشتغل به عما هو أهم منه.

وفي التخريج الكبير للعراقي رواه أبو نعيم في رياضة المتعلمين من رواية بقية، عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبي هريرة، وفيه أن النبي ﷺ دخل المسجد فرأى جمعاً من الناس على رجل فقال: «ما هذا؟ قالوا يا رسول الله رجل علامة. قال: وما العلامة؟ قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب، وأعلم الناس بالشعر وما اختلفت فيه العرب، فقال: هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر». ثم قال: «العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل آية محكمة أو سنّة قائمة أو فريضة عادلة» اهـ.

قلت: وقال ابن حزم في كتاب النسب: علم النسب منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية، ومنه مستحب، فمن ذلك أن تعلم أن محمداً رسول الله ﷺ هو ابن عبدالله الهاشمي، فمن زعم انه غير هاشمي كفر، وأن يعلم ان الخليفة من قريش وأن يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرم ليجتنب تزويج ما يحرم عليه، وأن يعرف ما يتصل به ممن يرثه أو يجب بره من صلة أو نفقة أو معاونة، وأن يعرف أمهات المؤمنين، وأن نكاحهن حرام، وأن يعرف الصحابة وان حبهم مطلوب، ويعرف الأنصار ليحسن إليهم لثبوت الوصية بذلك ولان حبهم إيمان وبغضهم

« إنما العلم آية محكمة أو سنّة قائمة أو فريضة عادلة » ، فإذاً الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة ، فإن ما قدر كائن ، والاحتراز منه غير ممكن ، بخلاف الطب فإن الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته مما يطلع عليه ، وبخلاف التعبير وإن كان تخميناً لأنه جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوّة ولا خطر فيه .

نفاق ، ومن الفقهاء من يفرق في الحرية والاسترقاق بين العرب والعجم ، فحاجته إلى علم النسب آكد ، ومن يفرق بين نصارى بني تغلب وغيرهم في الحرية وتضعيف الصدقة ، وما فرض عمر الديوان إلا على القبائل ، ولولا علم النسب ما تخلص له ذلك وتبعه علي وعثمان وغيرهما اهـ .

(وقال) ﷺ : (« إنما العلم آية محكمة أو سنّة قائمة أو فريضة عادلة ») .

أخرجه أبو داود ، وابن ماجه من حديث عبدالله بن عمرو ، وقد رواه ابن عبد البر مع الحديث السابق عن أبي هريرة قاله العراقي ، وفي تجريد الصحاح لرزين من طريق النسائي ، عن ابن عمر ورفعه : « العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » . وفي القوت : ويـروى « العلم ثلاثة آية محكمة وسنّة قائمة ولا أدري » وأخرجه أبو نعيم في رياضة المتعلمين بمثل رواية النسائي تقدم قريباً قبل هذا وهو آخر الحديث ، ورواه كذلك أبو داود ، وابن ماجه كما تقدم عن العراقي من رواية عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الرحمن بن رافع ، عن ابن عمرو ، ورواه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الكتاب المذكور من رواية إسماعيل بن عياش ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عبدالله بن يزيد ، عن ابن عمرو . قال العراقي : وقد ورد موقوفاً عن ابن عمر نحوه . رواه الطبراني في الأوسط من رواية حصين ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، ورواه الدارقطني من رواية عمر بن عصام ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنّة ماضية ولا أدري » . وأخرجه الخطيب أيضاً هكذا ، وقال : تابعه أبو طاهر محمد بن موسى المقدسي ، وأبو حذافة السهمي . قال : وخالفهم سعيد بن داود الزبيري ، فرواه عن مالك ، عن داود بن الحصين ، عن طاوس ، عن ابن عمر .

قلـت : ويحتمل أن المصنف أوردهما على أنه حديث واحد ، فإنه عقب بقوله ، والله أعلم .

(**فإذاً الخوض في**) علم (**النجوم**) والتوغل فيه (**و**) في (**ما يشبهه اقتحام خطر**) أي دخول في خطر عظيم (**وخوض في**) بحر (**جهالة من غير فائدة**) تترتب عليه المصالح الشرعية ، (**فإن ما قدر**) أي قدره الله تعالى في سابق علمه (**كائن**) لا محالة لا يدفعه دافع . (**والاحتراز**) منه (**غير ممكن بخلاف**) علم (**الطب فإن الحاجة إليه**) والضرورة (**ماسة**) ، وفي نسخة : داعية (**إليه وأكثر أدلته مما يطلع عليها**) . وفي نسخة عليه ، (**وبخلاف**) علم (**التعبير**) للرؤيا (**وإن كان تخميناً**) وحدساً (**لأنه مما يطلع عليه وهو جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة ولا خطر فيه**) .

(السبب الثالث) : الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم ، فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها ، وخفيها قبل جليها ، وكالبحث عن الأسرار الإلهية ، إذ يطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها ، وبالوقوف

واخرج البخاري ، عن أبي سعيد ، ومسلم عن ابن عمر ، وعن أبي هريرة ، والإمام أحمد ، وابن ماجه عن ابن رزين ، والطبراني في الكبير ، عن ابن مسعود : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة » .

وقد روى ذلك من حديث أنس أيضاً عند الإمام أحمد ، والبخاري والنسائي وابن ماجه ولفظهم: « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح » وأخرجه الترمذي وصححه وزاد وهي على رجل طائر ما لم يحدّث بها ، وإذا حدّث بها وقعت ، وأخرجه أبو عوانة في صحيحه ، والترمذي في الشمائل ، وابن أبي شيبة في مسنده ، وكذا أحمد والشيخان كلهم عن أنس ولفظهم: « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة » وأخرجه كذلك الداري ، وأبو داود ، وأحمد ، والترمذي ، والشيخان عن أنس ، عن عبادة بن الصامت مثله . وأخرج ابن النجار ، عن ابن عمر « جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوّة » وأخرج الإمام أحمد ، وابن ماجه ، عن ابن عمر . والإمام أحمد أيضاً عن ابن عباس « جزء من سبعين جزءاً من النبوّة ، ورواه ابن أبي شيبة ، عن أبي سعيد فقال: « رؤيا المؤمن الصالح » وأخرج الترمذي ، والحاكم في الكنى ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي ، عن أبي رزين « رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوة » .

ثم اعلم أن علم الرؤيا من جملة الفراسة ، وقد عظم الله أمر الرؤيا في جميع كتبه المنزلة وهي من فعل النفس الناطقة ، ولو لم تكن لها حقيقة لم يكن لإيجاد هذه القوّة في الإنسان فائدة ، والله يتعالى عن الباطل وهي ضربان. ضرب وهو الأكثر أضغاث أحلام وأحاديث النفس من الخواطر الرديئة ، وضرب وهو الأقل صحيح ، وذلك قسمان. قسم لا يحتاج إلى تأويل ، وقسم يحتاج إلى تأويل ، ولهذا يحتاج المعبر إلى مهارة الفرق بين الأضغاث وبين غيرها وليميز بين طبقات الناس إذ كان فيهم من لا يصح له رؤيا ، وفيهم من يصح رؤياه ، ثم من يصح له ذلك منهم من يرشح أن يلقى إليه في المنام الأشياء الخطيرة ، ومنهم من لا يرشح لذلك ، وسيأتي لذلك تحقيق إن شاء الله تعالى .

(**السبب الثالث: الخوض في علم**) من العلوم إذا كان (**لا يستقل الخائض به**) أي لا يقدر على حمل أعبائه ، (**فإنه مذموم في حقه**) فإنه مكلف نفسه ما لا يطيقه (**كتعلم دقيق العلوم**) التي لا تعرف إلا بدقة النظر والبحث (**قبل جليها**) أي واضحها ، وفي نسخة: قبل جليلها ، وقالوا في معنى الرباني هو الذي يعلم بصغار العلوم قبل كبارها ، ومن يتعلم خفايا العلوم قبل استكمال معرفة جليها كالمتزبب قبل أن يتحصرم (**وكالبحث**) والتنقير (**عن الاسرار الإلهية**) المكتومة (**إذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها**) . وفي نسخة: عايها (**ولم يستقلوا**

على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء ، فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم إلى ما نطق به الشرع، ففي ذلك مقنع للموفق، فكم من شخص خاض في العلوم واستضربها ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه ولا تنكر كون العلم ضاراً لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع ، بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور ، فلقد حكي أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد ، فجس الطبيب نبضها وقال: لا حاجة لك إلى دواء الولادة، فإنك ستموتين إلى أربعين يوماً ، وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها ، وأوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت ، فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له : لم تمت ، فقال الطبيب :

بها) لانها ذوقية كشفية (**ولا يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا**) السادة (**الأنبياء**) عليهم الصلاة والسلام بما يتلقون من الوحي (**والأولياء**) رحمهم الله تعالى بمجاهداتهم ورياضاتهم فيفيض الله على قلوبهم أنواراً يكشفون بها ما خفي عن كثيرين ، وسيأتي عن سهل أن للإلهية سراً لو انكشف لبطلت النبوات وللنبوات سراً لو انكشف لبطل العلم وللعلم سراً لو انكشف لبطلت الأحكام، (**فيجب كف الناس**) ومنعهم (**عنها**) . وفي نسخة: عن البحث عنها (**وردهم إلى ما نطق به الشرع**) وأرشدنا لمعرفته ، (**ففي ذلك مقنع**) أي كفاية (**للموقن**) . وفي نسخة: للمؤمن. وفي أخرى: للموفق، (**وكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها**) أي وجد الضرر بها بأن استمالته إلى فساد في العقيدة أو حيرته فلم يجد له عنها مخلصاً (**ولو لم يخض فيها**) ومشى على سنن ظاهر الشريعة (**لكان حاله أحسن في الدين منه قبل الخوض فيها ألبتة**) أي قطعاً ولأن يعيش الإنسان خلف البقر عامياً يصلي فرضه ويصوم شهره خير له من هذه العلوم التي يتضرر بها في دينه (**ولا تنكر**) أيها المعاند (**كون العلم ضاراً لبعض الناس**) دون بعض (**كما يضر لحم الطير**) مطلقاً (**وأنواع الحلوى**) وفي نسخة: الحلاوى (**اللطيفة بالصبي الرضيع**) . وفي نسخة: المرضع أي لضعف معدته ، (**بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور**) أحياناً ، (**فلقد حكي أن بعض الناس شكا إلى الطبيب**) وكان حاذقاً بصيراً بالأمور (**عقم زوجته وأنها لا تلد**) هذه مفسرة للأولى، (**فجس الطبيب نبضها**) أي عرق يدها فرآها ليس بها من مرض يمنعها من الولادة (**فقال لها: لا حاجة بك إلى دواء الولادة فإنك ستموتين إلى**) انتهاء (**أربعين يوماً، وقد دل النبض عليه**) أي أماراته (**فاستشعرت المرأة خوفاً عظيماً**) أي لبست شعاره (**وتنغص عليها عيشها**) أي تكدر (**وأخرجت أموالها**) في وجوه البر (**وفرقتها**) على الفقراء ، (**وأوصت بوصايا وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة**) الموعود بها (**فلم تمت، فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له**) إنها (**لم تمت فقال الطبيب: علمت ذلك فجامعها الآن**

قد علمت ذلك فجامعها الآن فإنها تلد فقال: كيف ذاك؟ قال: رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت انها لا تهزل إلا بخوف الموت فخوّفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة، فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله ﷺ: «نعوذ بالله من علم لا ينفع». فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثاً عن

فإنها) تحمل و(**تلد. قال: كيف ذلك**) وفي نسخة. وكيف ذلك؟ أي: ما السر في ذلك؟ (**قال: رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها**) وهو أحد أسباب العقم في المرأة كما ذكره الأطباء وإذابته غير متيسرة بالأدوية إلا الهزال، (**وعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت**) ولا خوف أعظم منه (**فخوّفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة**).

ومثل هذه الحكاية نقل السخاوي في المقاصد قال أورد البيهقي في مناقب الشافعي من طريق الحسين بن إدريس الحلواني عنه انه قال: ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن، فقيل: ولم؟ قال: لأنه لا يخلو العاقل من إحدى حالتين، إما أن يهتم لآخرته ومعاده، أو لدنياه ومعاشه، والشحم مع الهم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم.

ثم قال الشافعي: كان ملك في الزمان الأوّل وكان مثقلاً كثير اللحم لا ينتفع بنفسه فجمع المتطببين وقال: احتالوا لي حيلة يخف عني لحمي هذا قليلاً فما قدروا له على صنعة. قال: فنعت له رجل عاقل أديب متطبب فبعث إليه فأشخص، فقال: تعالجني ولك الغنى؟ قال: أصلح الله الملك أنا رجل متطبب منجم دعني أنظر الليلة في طالعك أي دواء يوافق طالعك فأشفيك فغدا عليه فقال: أيها الملك الأمان. قال: لك الأمان. قال: رأيت طالعك يدل على أن عمرك شهر، فإن أحببت حتى أعالجك وإن أردت بيان ذلك فاحبسني عندك، فإن رأيت لقولي حقيقة فخل عني وإلاّ فاستقص عليّ. قال: فحبسه ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده مقيماً يعد أيامه كلما انسلخ يوم ازداد غماً حتى هزل وخف لحمه، ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوماً فبعث إليه فأخرجه، فقال: ما ترى، فقال: أعز الله الملك أنا أهون على الله من أن أعلم بالغيب، والله ما أعرف عمري، فكيف أعرف عمرك إنه لم يكن عندي دواء إلا الغم، فلم أقدر أن أجتلب إليك الهم إلا بهذه العلة، فأذابت شحم الكلى فأجازه وأحسن إليه اهـ.

(**فهذا**) الذي ذكرنا لك (**ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله ﷺ: «نعوذ بالله من علم لا ينفع»**) أخرجه ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن، وهو عند ابن ماجه بلفظ: «تعوذوا بالله» كما تقدم قاله العراقي وفي القوت: والخبر المشهور قوله ﷺ: «أعوذبك من علم لا ينفع» فسماه علماً إذ له معلوم وإذ أصحابه علماء ثم رفع المنفعة عنه واستعاذ بالله عز وجل اهـ.

وفي الباب عن زيد بن أرقم، وأبي هريرة، وعبدالله بن عمر، وأنس، وابن مسعود، وابن عباس، وقدم تقدم في أحاديث الخطبة. (**فاعتبر بهذه الحكاية**) التي أسلفناها لك (**ولا تكن**

علوم ذمها الشرع وزجر عنها، ولازم الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم، واقتصر على اتباع السنّة، فالسلامة في الاتباع، والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال، ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك اني أبحث عن الأشياء لأعرفها على ما هي عليه، فأي ضرر في التفكر في العلم، فإن ما يعود عليك من ضرره أكثر، وكم من شيء تطلع عليه فيضرك إطلاعك عليه ضرراً يكاد يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته.

واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية، فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك، فكم من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضي عقله أن يطليه، حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلي الكف من الجانب الآخر من البدن

بحاثاً) كثير البحث والتنقير **(عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها)**. وفي بعض النسخ: وازدجر عنها **(ولازم الاقتداء)** الاتباع **(بالصحابة)** في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، **(واقتصر على اتباع السنّة)** الشريعة مع التجنب عن البدع الحادثة، **(فالسلامة)** كل السلامة **(الاتباع، والخطر)** كل الخطر **(في البحث)** عن العلوم الغريبة **(والاشتغال)** بما لا يعني، وفي نسخة: والاستقلال. ولقد سمعت غير واحد من الشيوخ يقول: خير الدنيا والآخرة في ثلاث كلمات اتبع ولا تبتدع، اتضع ولا ترتفع، اعتقد ولا تنتقد. **(ولا تكثير التبجح)** أي التعظم والإفتخار **(برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك)** في نفسك **(إني أبحث عن الأشياء)** والعلوم **(لأعرفها على ما هي عليه)**، وفي نسخة: عليها أي أحق المعرفة بالغوص في مشكلاتها **(فأي ضرر)** يرى **(في التفكر في العلم)** والبحث عنه. **(فإن)** أي فاعلم أن **(ما يعود عليك من ضرره)** آخراً **(أكثر، وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضرراً يكاد)** أن **(يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله تعالى برحمته)** وعظيم عفوه.

(واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق) الماهر في صنعته **(على أسرار المعالجات)** الخفية التي **(يستبعدها من لا يعرفها)** من أهل الجهل بالحكمة **(فكذلك الأنبياء)** صلوات الله عليهم **(أطباء القلوب)** المريضة **(والعلماء)** العارفون **(بأسباب الحياة الأخروية)** وما به نجاتهم وهلاكهم، **(فلا تتحكم على سننهم)** التي سنوها للعباد **(بمعقولك)** الفاسد **(فتهلك، فكم من شخص يصيبه عارض)** علة **(في أصبعه)** مثلاً **(فيقتضي عقله أن يطليه)**. وفي بعض النسخ: أن يطليها، وفي بعض: أن يقطعها، **(حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلي الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن)** ومن ذلك أنهم يأمرون للذي

فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن، فهكذا الأمر في طريق الآخرة، وفي دقائق سنن الشرع وآدابه، وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوّته الاحاطة بها، كما ان في خواص الاحجار أموراً عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد؛ فالعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقي إلى جوار الله تعالى، وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير، وكما ان العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع ان التجربة سبيل إليها؛ فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حياة الآخرة مع ان التجربة غير متطرقة إليها، وإنما كانت التجربة تتطرق إليها لو رجع إلينا بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة

تشققت شفته السفلى عن يبس أو برد باطلاء السرة بشيء من دهن اللوز أو الزبدة، ولمن به صداع بغسل الرجلين بماء بارد في الحمام، ولمن به وجع العين عن حرارة بطلاء الحناء في باطن القدمين، وما أشبه ذلك ولهم فيه دقائق غريبة، **(فكهذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشراع وآدابه)** الظاهرة والباطنة، **(وفي عقائدها التي تعبد الناس بها)** أي كلفوا بمعرفتها **(أسرار لطيفة)** ورموز شريفة وفي بعض النسخ: أسرار ولطائف **(ليس في سعة العقل وقوته الإحاطة بها)**، وإنما ينفع التسليم لما أمر به والتفويض إلى الشارع **(كما أن في خواص الأحجار)** المتكوّنة في المعادن **(أموراً)** غريبة، وزاد في بعض النسخ بعد قوله أموراً عجائب **(غاب عن أهل الصنعة)** الحكمية **(علمها)** فهم في تحقيقها ومعرفة ما قيل فيها في حيرة عظيمة **(حتى لم يقدر أحد)** من أهل الصنعة **(أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد)** لخاصية فيه، **(والعجائب والغرائب في العقائد)** الدينية **(والأعمال)** الشرعية **(وإفادتها صفاء القلوب ونقاءها)** أي نظافتها **(وطهارتها)** عن الأدناس المعنوية **(وتزكيتها)** أي تنميتها **(واصلاحها للترقي)** والوصول **(إلى جوار الله سبحانه)** في مقعد صدق **(وتعرضها لنفحات فضله)** ورشحات رحمته **(أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير)**. قال الجوهري: هي أصول الأدوية، وقال الأزهري: العقاقير الأدوية التي يستمشى بها، وقال غيره: واحدها عقار ككتاب وعقير كسكيت، وقال أبو الهيثم: العقار كل نبت ينبت مما فيه شفاء. قال؛ ولا يسمى شيء من العقاقير فرها وفي اللسان هو ما يتداوى به من النبات والشجر، **(وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الأدوية)** على وجه الاستقصاء **(مع أن للتجربة سبيلاً إليها)** أي إلى تلك المنافع على سبيل الادراك **(فالعقول تقصر)** أيضاً **(عن ادراك ما ينفع في حياة الآخرة)** وما ينشأ منها، **(مع ان التجربة غير متطرقة إليها)** أي لا سبيل إلى معرفتها بالتجارب، **(وإنما كانت تتطرق إليها)** التجربة **(لو رجع إلينا بعض**

النافعة المقربة إلى الله تعالى زلفى، وعن الأعمال المبعدة عنه، وكذا عن العقائد، وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي ﷺ، ويفهمك موارد إشاراته، فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلاَّ به والسلام؛ ولذلك قال ﷺ: «إن من العلم جهلاً وإن من القول عيا». ومعلوم ان العلم لا يكون جهلاً ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار. وقال أيضاً ﷺ: «قليل من

الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة) عند الله (النافعة) للعبد (المقربة إلى الله زلفى، و) كذا أخبرنا (عن الأعمال المبعدة عنه) جل وعز، (وكذلك عن العقائد) مما صح منها أو فسد (وذلك لا مطمع فيه) لأحد (فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك) ويرشدك (إلى صدق النبي ﷺ) وصدق ما جاء به (ويفهمك موارد إشاراته) في كلامه، (فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف) فيما لا يعني (ولازم الاتباع). فقد نقل رزين في جامعه عن عمر بن عبد العزيز ينميه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنه قال: تركتم على الواضحة ليلها كنهارها. كونوا على دين الاعراب والغلمان والكتاب. قال ابن الأثير في جامع الأصول: أراد بقوله دين الاعراب والغلمان الوقوف عند قبول ظاهر الشريعة واتباعها من غير تفتيش عن الشبه وتنقير عن قول أهل الزيغ والأهواء ومثله قوله: عليكم بدين العجائز اهـ.

وعند الديلمي من حديث محمد بن عبد الرحمن ابن البيلماني، عن أبيه، عن ابن عمر مرفوعاً: «إذا كان في آخر الزمان واختلفت الأهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء». وابن البيلماني ضعيف جداً أورده السخاوي في المقاصد. (فلا تسلم) عن المهالك (إلا به) أي بالاتباع (والسلام) على أهل التسليم، وفي نسخة: فإنك لا تسلم إلا به. (ولذلك قال النبي ﷺ: «إن من العلم جهلاً وإن من القول عيالاً»). قال العراقي: أخرجه أبو داود من حديث بريدة وفي اسناده من يجهل اهـ.

قلت: أخرجه في الأدب من حديث أبي جعفر عبدالله بن ثابت، عن صخر بن عبدالله ابن بريدة، عن أبيه، عن جده بريدة بن الخصيب قال عبدالله: بينما هو يعني بريدة جالس بالكوفة في مجلس مع أصحابه قال: سمعت رسول الله ﷺ: «إن من البيان سحراً وإن من العلم جهلاً وإن من الشعر حكماً وان من القول عيالاً». وفي القوت: وروينا في خبر: «إن من العلم جهلاً وإن من القول عياً».

قلت: وقد يروى من حديث علي أخرجه الهروي في ذم الكلام وفيه زيادة، وقد وجد في بعض نسخ الكتاب عياً بدل عيالاً كما هو نص القوت.

(ومعلوم أن العلم لا يكون جهلاً ولكن يؤثر تأثير الجهل في الأضرار) بالناس كما تقدم في ذم النجوم. قال المناوي: إن من العلم جهلاً أي لكونه علماً مذموماً والجهل به خير منه، أو المراد أن من العلوم ما لا يحتاج إليه فيشتغل به عن تعلم ما يحتاجه في دينه فيصير علمه بما لا

التوفيق خير من كثير من العلم » . وقال عيسى عليه السلام : ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر ، وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب ، وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع .

يعنيه جهلاً بما يعنيه . والعبـال : كسحاب عرض الحديث على من لا يريده قال ابن الأثير ، وقال الراغب : العبال جمع عبل لما فيه من الثقل .

(**وقال ﷺ أيضاً : « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم »**) قال العراقي : لم أجد له أصلاً وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء وقال : العقل بدلاً من العلم ولم يخرجه ولده في مسنده اهـ .

قلـت : وأخرجه ابن عساكر ، عن أبي الدرداء بمثل ما في الفردوس وزاد . والعقل في أمر الدنيا حقرة والعقل في أمر الدين مسرة . وروى الطبراني عن ابن عمر : وقليل الفقه خير من كثير من العبادة وكفى بالمرء فقهاً إذا عبدالله ، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه . وأورد ابن عبد البر كذلك في العلم ، وأبو نصر السجزي في الابـانة وقال : غريب عن ابن عمر . وأخرج البخاري في التاريخ عن ابن عمر ، وأبو موسى المديني في المعرفة عن رجاء ، غير منسوب : « قليل من العلم خير من كثير من العبادة » تبع المصنف صاحب القوت فإنه أورده هكذا وزاد . وفي خبر غريب : كل شيء يحتاج إلى العلم والعلم يحتاج إلى التوفيق ، قال المناوي في شرح الحديث الذي أورده المصنف ما نصه ، قال التوفيق : هو رأس المال فعلى العاقل الاستيثاق بالله تعالى بزيادة العمل والتقوى واللجوء إليه في افاضته عليه من ذلك السبب الأقوى . وفي رواية : قليل التوفيق خير من كثير العلم ، وفي أخرى : من كثير العبادة . قال بعض العارفين : ما قلَّ عمل برز من قلب موفق زاهد ولا كثر عمل برز من قلب غـافل لاهٍ وحسن الأعمال نتائج الأحوال .

(**وقال عيسى عليه السلام : ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر ، وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب ، وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع**) . أخرجه الخطيب في اقتضاء العلم العمل فقال : أخبرنا أحمد بن الحسن الجوهري ، أخبرنا محمد بـن عمران المرزباني ، حدثنا أحمد بن محمد ابن عيسى المكي ، حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد ، حدثنا عبد الغفور بن عبد العزيز ، عن أبيه ، عن وهب بن منبه أن عيسى بن مريم عليه السلام قال : ويلكم يا عبيد الدنيا ماذا يغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ، كذلك لا يغني عن العالم كثرة علمه إذا لم يعمل به . ما أكثر أثمار الشجر وليس كلها ينفع ولا يؤكل ، وما أكثر العلماء وليس كلهم ينتفع بما علم فاحتفظوا من العلماء الكذبة ، الذين عليهم لباس الصوف منكسين رؤوسهم للأرض يرمقون من تحت حواجبهم كما ترمق الذئاب قولهم مخالف فعلهم من يجتني من الشوك العنب ومن الحنظل التين ، كذلك لا يثمر قول العالم الكذاب إلا زوراً ، لأن البعير إذا لم يوثقه صاحبه في البرية نزع إلى وطنه وأهله ، وأن العلم إذا لم يعمل به صاحبه خرج من صدره وتخلى منه وعطله ، وإن الزرع

بيان ما بدل من ألفاظ العلوم:

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول، وهي خمسة ألفاظ: الفقه، والعلم، والتوحيد، والتذكير، والحكمة، فهذه أسامٍ محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين، ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة، فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم.

(اللفظ الأول: الفقه): فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل؛ إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوي والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها، وحفظ المقالات المتعلقة بها، فمن كان أشد تعمقاً فيها وأكثر اشتغالاً بها يقال

لا يصلح إلا بالماء والتراب كذلك لا يصلح الإيمان إلا بالعلم والعمل. ويلكم يا عبيد الدنيا إن لكل شيء علامة يعرف بها ويشهد له أو عليه، وأن للدين ثلاث علامات يعرف بهن الإيمان والعلم والعمل اهـ.

(بيان ما بدل من الفاظ العلوم):

(اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأوّل، وهي خمسة ألفاظ: الفقه، والعلم، والتوحيد، والتذكير، والحكمة) يتصف بكل واحدة منها، فيقال: هو الفقيه والعالم والموحد والمذكر والحكيم، **(فهي)** وفي نسخة: فهذه **(أسام محمودة)** في الحقيقة **(والمتصفون بها)** هم **(أرباب المناصب في الدين)** في كل عصر، **(ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة وصارت القلوب تنفر)** وتشمئز **(عن مذمة من يتصف بمعانيها)** تلك **(لشيوع اطلاق هذه الأسامي عليهم)** أي صار إطلاقها عليهم شائعاً ظاهراً في الأمة.

(اللفظ الأوّل: الفقه:) فإنهم **(قد تصرفوا فيه بالتخصيص)**. قال الراغب: هو تفرد بعض الشيء بما لا تشارك فيه الجملة اهـ.

وعبر عنه الأصوليون بقولهم: هو قصر العام على بعض إفراده بدليل مستقل مقترن به، واحترز بالمستقل عن الاستثناء والشرط والغاية والصفة، فإنها وإن لحقت العام لا تسمى تخصيصاً وبمقترن به عن النسخ نحو: خالق كل شيء إذ يعلم أن الباري تقدس مخصوص منه **(لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة)** من مسائله **(في الفتاوى)** جمع فتوى وقد تقدم، **(والوقوف)** أي الاطلاع **(على دقائق عللها)** الخفية**(واستكثار الكلام فيها)** من هنا وهنا، **(وحفظ المقالات المتعلقة بها)** مع كثرتها، **(فمن كان أشد تعمقاً فيها)** أي

هو الأفقه ، ولقد كان اسم الفقه في العصر الأوّل مطلقاً على علم طريق الآخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال ، وقوّة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب ، ويدلك عليه قوله عز وجل : ﴿ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾ [التوبة : ١٢٢] وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة ، فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف ، بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له . وقال تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ [الأعراف : ١٧٩] وأراد به معاني الإيمان

دخولاً في عمقها (**وأكثر اشتغالاً بها يقال هو الأفقه**) أي أكثرهم فقهاً ، (**ولقد كان اسم الفقه في العصر الأوّل**) كأنه يعني عصر الصحابة (**مطلقاً على علم طريق الآخرة**) وهو ما يحويه علم المكاشفة والمعاملة ، (**و**) على (**معرفة دقائق آفات النفوس**) وفي نسخة النفس (**ومفسدات الأعمال و**) على (**قوّة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب**) ، ولذا فسره الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى بمعرفة النفس مالها وما عليها ؛ أي : سواء كان من الاعتقاديات أو الوجدانيات أو العمليات ، فدخل في الاعتقاديات علم الكلام ، وفي الوجدانيات علم الاخلاق والتصوّف كالزهد والصبر والرضا وحضور القلب في الصلاة ونحو ذلك ، وفي العمليات الصلاة والزكاة والصوم والبيع ونحوها . (**ويدلك عليه قوله تعالى**) : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة(**ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم**) لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة : ١٢٢] (**وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا العلم وهذا الفقه**) الذي أشرنا إليه . وفي القوت في الباب الثلاثين : لان علم الإيمان وصحة التوحيد وإخلاص العبودية للربوبية واخلاص الأعمال من الهوى الدنيوية ، وما تعلق بها من أعمال القلب هو من الفقه في الدين ونعت أوصاف المؤمنين ، إذ مقتضاه الإنذار والتخويف لقوله تعالى : ﴿ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم ﴾ الآية . (**دون تفريعات الطلاق واللعان**) والظهار والإيمان والكفارات والنذور (**والسلم والإجارة**) وما أشبهها ، (**فذلك لا يحصل به إنذار وتخويف**) الذي في الآية . وفي القوت في قوله : ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ وصفان ظهرا عن الفقه . **أحدهما** : النذارة وهو مقام في الدعوة إلى الله تعالى ، ولا يكون المنذر إلا مخوّفاً ولا يكون المخوّف إلا خائفاً والخائف عالم . **والثاني** : الحذر وهو حال من المعرفة بالله عز وجل وهو الخشية له . (**بل التجرد له**) أي الاشتغال به (**على الدوام يقسي القلب**) ويورث الغفلة عن تحصيل مقام الاخلاص في الأعمال (**وتنزع الخشية منه كما يشاهد**) ذلك (**من المتجردين له**) ، وهذا في زمان المصنف وهو في القرن الخامس فما بالك بزماننا الآن . اللهم وفقنا للخير واهدنا للصواب آمين .

(**وقال تعالى : لهم قلوب لا يفقهون بها**) [الأعراف : ١٧٩] أي لا يعلمون بها العلم

دون الفتوى. ولعمري أن الفقه والفهم في اللغة إسمان بمعنى واحد، وإنما يتكلم في عادة

الشرعي، (**وأراد به معاني الإيمان دون**) علم (**الفتاوي**) . قال صاحب القوت في حق الموسومين بالفقه ولا يشعر أن حسن الأدب في المعاملة بمعرفة ويقين هو من صفات الموقنين، وذلك هو حال العبد من مقامه بينه وبين ربه عز وجل، ونصيبه من ربه تعالى، وحظه من مزيد آخرته وهو معقود بشهادة التوحيد الخالصة المقترنة بالإيمان من خفايا الشرك وشعب النفاق بالفرائض وفرض فرضها الإخلاص بالمعاملة، وأن علم ما سوى هذا قد أشرب قلبه وحبب إليه من فضول العلوم وغرائب الفهوم، وإنما هو حوائج الناس ونوازلهم فهو حجاب عن هذا واشغال عنه فآثر هذا الغافل بقلة معرفته بحقيقة العلم النافع ما زين له طلبه وحبب إليه قصده وآثر حوائج الناس وأحوالهم على حاجته وحاله، وعمل في انصبتهم منه في عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم، ولم يعمل في نصيبه الأوفر من ربه الأعلى عز وجل لأجل آخرته التي هي خير وأبقى إذ مرجعه إليها ومثواه المؤبد فيها فآثر التقرب منهم على قربه عز وجل وترك للشغل بهم حظه من الله تعالى الأجزل، وقدم التفرغ لهم على فراغ قلبه لما قدم لقوة عن تقواه بالشغل بخدمة مولاه وطلب رضاه، واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه وظواهر أحوالهم عن باطن حاله. وكان سبب ما بلي به حب الرئاسة وطلب الجاه عند الناس، والمنزلة بموجب السياسة، والرغبة في عاجل الدنيا وغيرها بقلة الهمة وضعف النية في آجل الآخرة وذخرها، فأفنى أيامه لأيامهم وأذهب عمره في شهواتهم ليسميه الجاهلون بالعلم عالماً، وليكون في قلوب الطالبين عندهم فاضلاً، فورد القيامة مفلساً وعند ما يراه من أنصبه المقربين مبلساً إذ فاز بالقرب العاملون وربح الرضا العاملون اهـ.

وقال في موضع آخر من كتابه بعد أن ذكر حديث: «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون، وهذا مخصوص لمن كان له قلب أو ألقى سمعه وشهد قيام شاهده وعري عن شهواته، لأن الفقه ليس من أوصاف اللسان ألم تسمع قوله سبحانه وتعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ فمن كان له قلب سميع شهيد فقه به الخطاب فاستجاب لما سمع وأناب. (**ولعمري أن الفقه والفهم في اللفظ إسمان لمعنى واحد**) . ونص القوت: والفقه والفهم إسمان لمعنى واحد العرب تقول: فقهت بمعنى فهمت اهـ.

قلت: الفقه لغة الفهم. قال ابن سيده في المخصص: فقه ككبر فقاهة وهو فقيه من قوم فقهاء. وقال غيره: فقه كعلم فقها بكسر وفتح معاً ويُعدّى فيقال فقهته، كما يقال: علمته. وقال سيبويه: فقه فقهاً فهو فقيه كعلم علماً فهو عليم، وقد أفقهته وفقهته علمته وفهمته، والتفقه تعلم الفقه وفقهت عليك فهمت. وقال عيسى بن عمر: شهدت عليك بالفقه أي بالفطنة، وفي المحكم الفقه العلم بالشيء والفهم له وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم. وفي المواهب لأبي التياني: فقه فقهاً مثال حذر إذا فهم، وأفقهة بينت له. وفي الصحاح فاقهته باحثته في العلم. وقال القزاز في جامعه: تفقه الرجل كثر علمه وفلان ما يتفقه ولا يفقه أي: لا يعلم ولا

الاستعمال به قديماً وحديثاً . قال تعالى : ﴿ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ﴾ [الحشر الآية : ١٣] .فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه ، فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى ، أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم . وقال ﷺ : « علماء حكماء فقهاء » للذين وفدوا عليه . وسئل سعد بن إبراهيم الزهري رحمة

يفهم وقالوا : كل عالم بشيء فهو فقيه به . وفي الغريبين : فقه فهم وفقه صار فقيهاً . وقال ابن قتيبة ، يقال للعلم : الفقه لأنه عن الفهم يكون وللعالم فقيه لأنه إنما يعلم بفهمه على تسمية الشيء بما كان له سبباً . وقال ابن الأنباري : معنى قولهم فقيه أي عالم . قال السمين : أصل الفقه الفهم ، وقيل : فقه الأشياء الخفية فهو أخص من مطلق الفهم ، وقيل : هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص أيضاً من مطلق الفهم ، ولذلك قال تعالى : ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ [الإسراء : ٤٤] أي ليس في وسعهم معرفة حقيقة ذلك ، ويقال : فقه بالضم صار الفقه سجية له وطبعاً ، وفقه بالكسر أي حصل له فهـم ، وفقه بالفتح أي غلب غيره في الفقه هذا ما تيسر لنا بيانه في تحقيق لفظ الفقه .

وأما الفهم ؛ فقال الجوهري : فهمت الشيء علمته ، فالفهم والعلم بمعنى واحد وقال البدر العيني في شرحه على البخاري : تفسير الفهم بالعلم غير صحيح ، لأن العلم عبارة عن الإدراك الجلي والفهم جودة الذهن ، والذهن قوة تقتنص بها الصور والمعاني وشمل الإدراكات العقلية والحسية . قال الليث يقال فهمت الشيء أن عقلته وعرفته . قال العيني : وهذا قد فسر الفهم بالمعرفة وهو غير العلم اهـ .

وقال ابن بطال : التفهم للعلم هو التفقه فيه ولا يتم العلم إلا بالتفهم ، ولذلك قال علي رضي الله عنه : والله ما عندنا إلا كتاب الله ، أو فهم أوتيه رجل مؤمن ، فجعل الفهم درجة أخرى بعد حفظ كتاب الله لأنه بالفهم له تتبين معانيه وأحكامه ، وقد نفي ﷺ العلم عمن لا فهم له بقوله : « رب حامل فقه لا فقه له » . وقال صاحب القوت بعد ما ذكر أن الفقه والفهم لمعنى واحد ما نصه : وقد فضل الله عز وجل الفهم عنه على العلم والحكمة ، ورفع الأفهام على الأحكام والقضاء ، فقال عز من قائل : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ [الأنبياء : ٧٩] فأفرده بالفهم عنه ، وهو الذي فضله به على حكم أبيه في القضية بعد أن أشركهما في الحكم والعلم . **(وإنما تكلم في عادة الإستعمال)** بينهم **(قديماً وحديثاً . قال)** الله **(تعالى: لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون)** [الحشر : ١٣] أي خفي عليهم الفرق بين الخوفين فلم يعرفوا الله حق المعرفة **(فأحال قلة خوفهم من الله)** تعالى الناشيء عن عدم اليقين بالله **(واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه)** ، بل عدمه . **(فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى)** في الأحكام الشرعية **(أو نتيجة عدم ما ذكرنا من العلوم)** . وقد فضل الحسن بين علماء الهداية إلى الله الدالين عليه وسماهم العلماء وحققهم بالعلم في كلام روي عنهم في ذلك . **(وقال ﷺ : « علماء حكماء فقهاء »)** قاله **(للذين وفدوا عليه)** . وفي نسخة قدموا عليه . قـال العـراقـي :

الله أي أهل المدينة أفقه؟ فقال: أتقاهم لله تعالى، فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه، والتقوى ثمرة العلم الباطني دون الفتاوى والأقضية.

أخرجه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحرث بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: وكذا أبو موسى المديني في كتابه في الصحابة الذي ذيل به على ابن منده. كلهم من رواية علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي، حدثني أبي، عن جدي سويد ابن الحرث قال: وفدت على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومي، فلما دخلنا عليه وكلمنا أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا، فقال: ما أنتم؟ قلنا: مؤمنون. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: « إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم »؟ قال سويد: قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلقنا بها في الجاهلية. فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً فقال رسول الله ﷺ: « وما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها » قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قال: « وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها ». قلنا: أمرتنا رسلك أن نقول لا إله إلا الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً. قال: « وما الخمس التي تخلقتم بها أنتم في الجاهلية »؟ قلنا: الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء، والرضا بمر القضاء، والصبر عند شماته الأعداء. فقال النبي ﷺ: « علماء حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء ».

وفي مشيخة الأنصاري فقال: « أدباء حلماء عقلاء فقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ». وقال الحافظ ابن حجر: هو في كتاب المعرفة لأبي نعيم من رواية أبي سليمان الداراني عن زاهد بالشام سماه عن أبيه عن جده سويد اهـ.

قلت: قال الذهبي في الميزان علقمة بن يزيد بن سويد، عن أبيه، عن جده لا يعرف وأتى بخبر منكر لا يحتج به فلينظر.

(وسئل) أبو إسحاق. ويقال: أبو إبراهيم **(سعد بن إبراهيم)** ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري قاضي المدينة أمه أم كلثوم بنت سعد بن أبي وقاص. روى عن أنس، وأبي أمامة بن سهل، وعنه أبو إبراهيم، وشعبة، وابن عيينة. ثقة إمام يصوم الدهر ويختم كل يوم توفي سنة ١٢٧. وحفيده سعد بن إبراهيم بـن سعد أبو إسحاق قاضي واسط توفي سنة ٢٠١. قال صاحب القوت: قال مسعر، عن سعد بن إبراهيم وسأله سائل: **(أي أهل المدينة أفقه؟ فقال: أتقاهم لله)** عز وجل، **(فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه)** أي العلم الباطن، **(والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والأقضية)** وانظر إلى قوله تعالى: ﴿واتقوا الله واسمعوا﴾ [المائدة: ١٠٨] ﴿واتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾ [الأحزاب: ٧٠] فجعل مفتاح القول السديد والعلم الرشيد

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلى، قال: مَن لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه». ولما روى أنس بن مالك قوله ﷺ: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربع رقاب». قال: فالتفت

والسمع المكين التقوى، وهي وصية الله عز وجل من قبلنا وإيانا. إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ [النساء: ١٣١] وهذه الآية قطب القرآن ومداره عليها كمدار الرضا على الحسبان.

(وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلى. قال: من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه»). قال العراقي: أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق، وأبو بكر بن السني في رياضة المتعلمين، وابن عبد البر في العلم من حديث علي. كلهم من طريق ابن وهب. قال: أخبرني عقبة بن نافع عن إسحاق بن أسيد، عن أبي مالك، وأبي إسحاق عن علي رفعه. وقال ابن عبد البر: أكثرهم يوقفونه على علي ولم يرو مرفوعاً إلا بهذا الإسناد اهـ.

قلت: وفي رواية الثلاثة تقديم لم يؤيسهم على لم يؤمنهم مع زيادة في آخره وهي: «ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا في علم ليس فيه تفهم، ولا في قراءة ليس فيها تدبر» وهكذا هو في الفردوس بتلك الزيادة.

(ولما روي أنس بن مالك) ابن النضر بن ضمضم بن حرام النجاري الأنصاري خادم رسول الله ﷺ جاوز المائة توفي نسة ٩٣ روى عنه خلق كثير **(قول رسول الله ﷺ)** وفي القوت: وروينا عن أنس بن مالك أنه لما حدث عن النبي ﷺ في فضل مجالس الذكر: **(«لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب»)**. أخرجه أبو داود بإسناد حسن قاله العراقي قلت: تبع المصنف صاحب القوت في سياقه، والحافظ العراقي سكت عليه وعزاه بهذا السياق إلى أبي داود، والذي في سننه من رواية موسى بن خلف، عن قتادة، عن أنس رفعه «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أعتق أربعة». وموسى بن خلف العمي قال فيه ابن مغيث ضعيف، وقال مرة: لا بأس به. ورواه أيضاً هكذا أبو نعيم في المعرفة، والبيهقي في السنن، والضياء المقدسي في المختارة. كلهم عن أنس.

وأخرج أبو يعلى الموصلي في سننه وفيه: «لأن أقعد مع أقوام» بدل قوم وفيه زيادة: «دية كل رجل منهم إثنا عشر ألفاً في الموضعين. وأخرج أبو داود الطيالسي في مسنده، وابن السني في عمل يوم وليلة، والبيهقي في السنن عن أنس أيضاً بلفظ: «لأن أجالس قوماً يذكرون الله من

إلى يزيد الرقاشي وزياد النميري قال: لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سرداً، إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا تفقهاً، فسمى تدبر القرآن وعدّ النعم

صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلي من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد إثنا عشر ألفاً». كذا في الجامع الكبير. ورواه ابن السني في رياضة المتعلمين، والخطيب في الفقيه والمتفقه نحوه وفيه: «كلهم مسلم». وليس عندهما ذكر الدية. وفي الباب عن حسن بن علي، وسهل بن سعد، والعباس بن عبد المطلب، وابن عمر، وابن عمرو، وعتبة بن عبدالله، وعلي، وعمر بن الخطاب، ومعاذ بن أنس، وأبي أمامة، وأبي هريرة، وعائشة سيأتي ذكرها حيث ذكرها المصنف في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى. **(قال)** صاحب القوت: **(فالتفت)** أي أنس **(إلى)** صاحبيه **(يزيد)** ابن أبان **(الرقاشي)** القاص العابد. روى عن أنس والحسن، وعنه صالح المري وحماد بن سلمة ضعيف **(وزياد)** ابن عبدالله **(النميري)** روى عن أنس، وعنه عمارة بن زاذان، وأبو سعيد المؤدب. وثقة ابن حبان. **(وقال: لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم)** كذا في النسخ. وفي القوت: يقص أحدهم **(ويخطب على أصحابه)**. وفي بعض نسخ الكتاب: يقص أحدهم وعظه على أصحابه وهو تصحيف، **(ويسرد الحديث سرداً)** وليس في القوت سرداً **(إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا)**. وأخرج الخطيب البغدادي من طريق يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: «لأن أجلس مع قوم يذكرون الله من غداة إلى طلوع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ومن العصر إلى غروبها أحب إليَّ من كذا وكذا». **قال يزيد**: كان أنس إذا حدث بهذا الحديث أقبل عليَّ وقال: والله ما هو بالذي تصنع أنت وأصحابك، ولكنهم قوم يتعلمون القرآن والفقه. كذا في تحذير الخواص للسيوطي. وروى أبو يعلى في مسنده، حدثنا خلف بن هشام، حدثنا حماد بن زيد، عن جعفر بن ميمون، عن يزيد الرقاشي **قال**: كان أنس إذا حدثنا هذا الحديث أنه والله ما هو بالذي تصنع أنت وأصحابك يعني يقعد أحدكم فيجتمعون حوله فيخطب. إنما كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقاً حلقاً يقرأون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن. وفي القوت: وكان عبدالله بن رواحة يقول لأصحاب رسول الله ﷺ تعالوا حتى نؤمن ساعة فيجلسون إليه فيذكرهم العلم بالله تعالى والتوحيد في الآخرة. وكان يخلف رسول الله ﷺ بعد قيامه فيجتمع الناس إليه ويذكرهم الله تعالى وأيامه ويفقههم فيما قال رسول الله ﷺ، فربما خرج عليهم رسول الله ﷺ وهم مجتمعون عنده فيسكتون فيقعد إليهم ويأمرهم أن يأخذوا فيما كانوا فيه. ويقول ﷺ: «بهذا أمرت وإلى هذا دعوت». وروي نحو هذا عن معاذ بن جبل وكان يتكلم في هذا العلم. وقد روينا هذا مفسراً في حديث جندب كنا مع رسول الله ﷺ فيعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن اهـ. **(فسمي تدبر القرآن وعد النعم تفقهاً)**

تفقهاً. قال ﷺ: «لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة». وروي أيضاً موقوفاً على أبي الدرداء رضي الله عنه مع قوله: «ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتاً». وقد سأل فرقد السبخي الحسن عن شيء فأجابه فقال: إن الفقهاء يخالفونك، فقال الحسن رحمه الله: ثكلتك أمك فريقد وهل

كما سمى ابن رواحة علم الإيمان إيماناً لأن علم الإيمان وصف الإيمان، والعرب تسمي الشيء بوصفه وتسميه بأصله كما في الحديث: «تعلموا اليقين» أي علم اليقين وكما في قوله تعالى: ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ أي من البكاء، فسماه بأصله لأن الحزن أصل البكاء.

(وقال ﷺ: «لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة») قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر من رواية عبدالله بن أبي مريم، حدثنا عمرو بن أبي سلمة التنيسي، حدثنا صدقة بن عبدالله، عن إبراهيم عن أبي بكر، عن أبان بن أبي عياش، عن أبي قلابة، عن شداد بن أوس وقال: لا يصح مرفوعاً اهـ.

قلت: وهذا أورده الخطيب في المتفق والمفترق من حديث شداد أيضاً ولفظه: «لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى لا يكون أحد أمقت إليه من نفسه».

(وروي أيضاً موقوفاً على أبي الدرداء) رضي الله عنه رواه ابن عبد البر من طريق عبد الرزاق. أخبرنا معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الدرداء بلفظ «لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة ولن تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في ذات الله». **(مع)** زيادة **(قوله: «ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتاً»)**. وعند ابن عبد البر: ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتاً منك للناس. وقد أخرجه أبو بكر بن لال في فوائده من رواية الحكم بن عبدة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن جابر وابن الديلمي في مسند الفردوس من طريقه ولفظه: «لا يفقه العبد كل الفقه حتى يبغض الناس في ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فتكون أمقت عنده من الناس أجمعين». وفي المجلس الخامس عشر من أمالي ابن منده من هذا الوجه بلفظ: «لا يكون المرء فقيهاً حتى يمقت الناس كلهم في ذات الله وحتى لا يكون أحد أمقت إليه من نفسه» قال ابن منده: وهو حديث غريب من حديث قتادة لا يعرف عنه مرفوعاً إلا من هذا الوجه. **(وسأل فرقد)** ابن يعقوب **(السبخي)** بفتح الموحدة وكسر الخاء المعجمة نسبة إلى السبخة موضع بالبصرة قاله ابن الأثير، وهو البصري الحافظ الزاهد. روى عن أنس وجمع، وعنه الحمادان، وهمام ضعفوه، لكن قال عثمان الداري عن ابن معين ثقة يقال شغله التعبد عن حفظ الحديث. مات بالبصرة سنة ١٣١ **(الحسن)** ابن يسار البصري سيد التابعين **(عن شيء فأجابه)** عنه **(فقال)** يا أبا سعيد: **(إن الفقهاء يخالفونك)** أي فيما أفتيت، **(فقال الحسن رحمه الله ثكلتك أمك)** يا **(فريقد)** صغر إسمه للترحم، **(وهل**

رأيت فقيهاً بعينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم، ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوي، ولست أقول أن اسم الفقه لم يكن متناولاً للفتاوي في الأحكام الظاهرة، ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع، فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والإعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب، ووجدوا على ذلك معيناً من الطبع، فإن علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر، فوجد الشيطان مجالاً لتحسين ذلك في

رأيت فقيهاً بعينك إنما الفقيه) حقيقة هو (**الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة البصير بدينه**). وفي بعض النسخ بـذنبـه (**المداوم على عبـادة ربـه الورع الكـاف عـن اعـراض المسلمين**) وفي بعض النسخ: الناس (**العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم**)، أورد هذه القصة هكذا صاحب القوت وقال: جمعنا قوله هذا في روايات عنه مختلفة فوصف وصف العارفين، وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى علي بن معاذ عن ليث قال: كنت أسأل الشعبي فيعرض عني ويجبهني بالمسألة فقلت: يا معشر الفقهاء تروون عنا أحاديثكم وتجبهونا بالمسألة، فقال الشعبي، يا معشر العلماء، يا معشر الفقهاء: لسنا بفقهاء ولا علماء ولكنا قوم قد سمعنا حديثاً فنحن نحدثكم بما سمعنا إنما الفقيه من ورع عن محارم الله والعالم من خاف الله انتهى. (**ولم يقل في جميع ذلك**) الفقيه (**هـو الحافـظ لفـروع الفتـاوي**) والأحكـام والأقضيـة، (**ولست أقول أن إسم الفقه لم يكن متناولاً**) أي شاملاً (**للفتاوي في الأحكام الظاهرة، ولكن كان بطريق العموم والشمول**). قال أبو البقاء: هما بمعنى واحد، وهو الإكثار وإيصال الشيء إلى جماعة. وقال غيره: العموم ما يقع من الإشتراك في الصفات، وفي الليث العابس حد العام وهو اللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر، والصحيح دخول الصور النادرة تحته وإن لم تخطر بالبال (**أو بطريق الإستتباع**) بأن يجعل علم الفتاوي تابعاً لبقية علوم الآخرة، (**و**) لكن (**كان اطلاقهم له**) أي لعلم الفقه (**على علم الآخرة أكثر**) وذلك في الصدر الأول، (**فبان من هذا التخصيص**) بعلم الفتاوي خاصة أي قام منه وانبعث (**تلبيس**) تخليط (**بعـث النـاس**) وحملهـم (**على التجـرد لـه**) أي الإنفـراد لطلبـه والإقبـال عليـه (**والإعراض عن علم الآخرة و**) علم (**أحكام القلوب ووجدوا على ذلك**) أي على طلبه (**معيناً**) مساعداً (**من الطبع**) والجبلية، (**فإن علم الباطن**) الذي سبق بيانه (**غامض**) خفي المدرك يحتاج إلى رياضة (**والعلم به**) بالتوصـل إليه (**عسير**) على غالب الناس. وفي نسخة: والعمل به عسير (**والتوصل به إلى طلب**) المناصب الدنيوية مثل (**الولاية والقضاء و**) كذا التوصل به إلى تحصيل (**الجاه والمال**) كل ذلك (**متعذر**). قل من يصل إلى ما ذكر

القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع.

(اللفظ الثاني: العلم): وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه حتى أنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله: لقد مات تسعة أعشار العلم فعرفه بالألف واللام، ثم فسره بالعلم بالله سبحانه، وقد تصرفوا فيه أيضاً بالتخصيص حتى شهروه في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها، فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم، ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء، ولا يعدونه في زمرة أهل العلم، وهذا أيضاً تصرف بالتخصيص، ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى

بعلم الباطن بل علمه ينهاه عن اختيار شيء من ذلك، **(فوجد الشيطان مجالاً)** في إغوائه **(لتحسين ذلك في القلوب)** وتزيينه **(بواسطة تخصيص إسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع)** فلم يزل بأحدهم يحسن له في ذلك حتى يوقعه في هوة الهلاك، فيأتي يوم القيامة مفلساً من الأعمال ملجماً بلجام الحيرة حيث لا تنفعه. نسأل الله العفو والإحسان.

(اللفظ الثاني: العلم وقد كان يطلق ذلك) في العصر الأول **(على العلم بالله تعالى وبآياته وأفعاله في عباده وخلقه)**، وعلى المعرفة واليقين والإخلاص ومعرفة أحوال القلب وما يصلحه ويضره **(حتى أنه لما مات)** أمير المؤمنين **(عمر)** ابن الخطاب **(رضي الله عنه قال)** عبدالله **(ابن مسعود)** الهذلي رضي الله عنه فيما رواه صاحب القوت بلا سند، وأخرجه أبو خيثمة في كتاب العلم فقال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم قال، قال عبدالله: إني لأحسب أنه قد **(مات تسعة أعشار العلم)** بموته. ولفظ أبي خيثمة: إني لأحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم، ثم قال صاحب القوت **(فعرفه بالألف واللام)** للعهد الذهني **(ثم فسره بالعلم بالله سبحانه)**، وذلك لما قيل له: أتقول هذا وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون؟ فقال: إني لست أعني العلم الذي تذهبون إليه إنما أعني العلم بالله عز وجل، **(وقد تصرفوا فيه أيضاً بالتخصيص)** وهو قصر العام على بعض مسمياته **(حتى شهروه)** أي جعلوه مشهوراً **(في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها)**، ويحتج كل منهم بأقوال الأئمة ويخوضون فيه، وربما صنفوا في تلك المسائل رسائل غريبة **(فيقال)** لمن هذه صفته **(هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم)** والليث الصادم في مضائق الوهم، **(ومن لا يمارس ذلك)** أي لا يتمرن فيه **(ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء)** الجبناء الجهلاء. وفي بعض النسخ: من جملة الضعفة، **(ولا يعدونه في زمرة أهل العلم)** ولا يرفعون له رأساً، **(وهذا أيضاً تصرف فيه بالتخصيص)** كما عرفت، **(وقد كان)** لفظ العلم **(يطلق)** عليه **(على العموم)** والشمول، **(وكل ما ورد)** في نسخة، ولكن ما ورد **(في فضائل العلم والعلماء)**

وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقاً على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية، فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره، وصار ذلك سبباً مهلكاً لخلق كثير من أهل الطلب للعلم.

(اللفظ الثالث: التوحيد): وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة، وإثارة الشبهات، وتأليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصية هذه

من الآيات والأخبار **(أكثره في العلماء بالله عز وجل وبأحكامه وأفعاله وصفاته)** قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: العلم ثلاثة أنواع علم بالله، وعلم بتدبير الله وبربوبيته، وعلم بأمر الله. وروي لنا عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال: العلماء ثلاثة عالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، وعالم بالله عالم بأمر الله، **(وقد صار الآن مطلقاً على من لا يحيط من علوم الشريعة بشيء سوى رسوم جدلية)** يجادل بها الخصم **(في مسائل خلافية)** في المذهب **(فيعد به)** أي بمعرفة هذه الرسوم **(من فحول العلماء)** وأساطينهم ويشار إليه بالأصابع **(مع جهله بالتفسير)** وما يتفرع منه من العلوم **(والأخبار)** المروية **(وعلم المذهب)** من الفقه **(وغيره)**، وإن اشتغل فرد منهم بعلم التفسير والأخبار، فعلى طريقة المعقوليين بحيث أنه يقرر في كل آية وحديث وجوهاً من الإعراب والقراآت بوجوهها وتفاريعها، فإذا سئل أن هذه الآية ما شأن نزولها وما معناها الباطن وما اشارتها أو كيف العمل بمضمونها، لفتل أصابعه شزراً، وكذا الحال في الأخبار مع عدم معرفة مخرجيها، ولا التمييز لصحيحها من سقيمها ولا من خرّجها ولا أحوال رواتها كما هو مشاهد الآن والله المستعان **(وصار ذلك)** أي الإشتغال بالجدل والخلاف **(سبباً مهلكاً لخلق كثير من الطلبة)** . وفي نسخة: لحق كثيراً من الطلبة. وفي نسخة: من طلبة العلم.

(اللفظ الثالث: التوحيد): وهو في الأصل معرفة وحدانية الله عز وجل بكمال نعوته، **(وقد جعل الآن عبارة عن صنعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة)** مع الخصوم **(والإحاطة بمناقضة)** أدلة **(الخصوم)** إجمالاً وتفصيلاً **(والقدرة على التمشدق)**. وفي نسخة: على التشدق أي التكلم بملء الأشداق **(فيها)** أي في تلك المناقضة **(بتكثير الأسئلة)** عليهم **(وإثارة الشبهات)** لارتداعهم، **(وتأليف الإلزامات)** التي تبهتهم وتسكتهم **(حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد)** وهم المعتزلة، **(وسمي المتكلمون)** وهم علماء الكلام **(العلماء بالتوحيد)** خاصة **(مع أن جميع ما هو خاصية هذه الصناعة)** أعني الكلامية

الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول، بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح باباً من الجدل والمماراة. فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أوّل السماع، فلقد كان ذلك معلوماً للكل، وكان العلم بالقرآن هو العلم كله، وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين، وإن فهموه لم يتصفوا به، وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط، فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جلّ جلاله، فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل، كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل. ومن ثمراته

من ذكر البراهين وإيراد الشبه (**لم يكن يعرف منها شيء في العصر الاول**) هو عصر الصحابة والتابعين، (**بل كان يشتد النكير**) أي الإنكار (**منهم على من كان يفتح باب الجدل والمماراة**) أي المخاصمة، كما سيأتي ذلك عن سيدنا عمر، وتقدم ضربه صبيغاً بالدرة، وكذا غيره من الصحابة ومن بعدهم، فإنهم كانوا يفرون من ذلك ويجعلون المشتغل به مبتدعاً، (**فأما ما يشتمل عليه القرآن**) ظاهره، (**ومن الأدلة الظاهرة**) والبراهين القاطعة الدالة على توحيده عز وجل (**التي تسبق الأذهان**) السليمة عن الشكوك (**إلى قبولها في أول السماع**) والتلقي. (**فلقد كان معلوماً للكل**) لا يختلف فيه إثنان، (**وكان العلم بالقرآن**) أي بما تضمنه من الأحكام (**وهو العلم كله**) لا يخرج عنه شيء (**وكان التوحيد عندهم**) في العصر الأول (**عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين**) ولا يحومون حماه، (**وإن**) كشف لجماعة منهم **و(فهموه لم يقوموا به)** وفي نسخة: لم يتصفوا به أي لم تظهر عليهم آثار ذلك الأمر لعدم انفعال طبيعته المحجوبة لقبول ذلك الأثر (**وهو أن ترى الأمور كلها من الله عز وجل**) وهذا مشهد من يفرغ إناءه الذي هو القلب من الأغيار وإليه الإشارة بقوله: (**رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط**) وهو أعلى درجات الموحدين السالكين يرجون رحمته. أي: رؤيته ويخافون عذابه أي حجابه، وهم التاركون للمساوىء الدينية المتلبسون بالمحاسن السنية هم أهل المحبة اللدنية ومحبة العبد. هذه هي السبب في محبة الله له بشرط فنائه في رؤية هذا السبب وسائر الحظوظ بنفي نسبة شيء من ذلك كله إليه، (**فلا يرى الخير والشر إلا منه**) تعالى، وللموحدين في هذا مراتب. أعلاها هو التوحيد الخالص ويتحقق به الموحد بعد نفي رؤية الفناء لأنها تسمى عندهم الشرك الأصغر، (**وهذا أمر شريف**) يحصل به كل الهناء، لأن هذه الحضرة شرابها صرف وهي تسمي حضرة الجمال. أي: جمال ذات الله والتي قبلها مزاج وتسمى حضرة الجلال، والسالكون ثلاثة جلالي وهو إلى الشريعة أميل، وجمالي إلى الحقيقة أميل، وكمال جامع لهما على حد سواء هو منهما أفضل وأكمل لترقيه إلى حضرة الجمال والمشاهدة، للوفاء بحقوق الحقيقة وتدليه إلى حضرة الجلال للمجاهدة، والقيام بحقوق الشريعة (**إحدى ثمراته التوكل**) على الله عز وجل (**كما سيأتي في كتاب التوكل**) إن شاء الله تعالى. (**ومن ثمراته أيضاً ترك**

أيضاً ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى. وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه: أنطلب لك طبيباً؟ فقال: الطبيب أمرضني، وقول آخر لما مرض فقيل له: ماذا قال لك الطبيب في مرضك؟ فقال: قال لي اني فعال لما أريد. وسيأتي في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك.

والتوحيد جوهر نفيس وله قشران: أحدهما أبعد عن اللب من الآخر، فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر، وأهملوا اللب بالكلية، فالقشر الأول هو

شكاية الخلق وترك الغضب عليهم) في أمر من الأمور لأن الشكاية والغضب ينافيان التوحيد **(و)** من ثمرات التوحيد الخالص **(الرضا)** بما قدره الله تعالى **(والتسليم لحكم الله تعالى)** بانشراح صدر **(وكان إحدى ثمراته قول أبي بكر)** الصديق **(رضي الله عنه لما قيل له في مرضه: أنطلب لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني. وقول آخر لما مرض وقيل له: ماذا قال لك الطبيب؟ فقال، قال: إني فعّال لما أريد) .**

قلت: هذا القول الأخير الذي نسبه لآخر هو المروي الثابت عن حضرة الصديق أخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات للمات، وأبو نعيم في الحلية كلاهما من طريق عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا وكيع، عن مالك بن مغول، عن أبي السفر قال: مرض أبو بكر فعاده الناس فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني. قالوا: فأي شيء قال؟ قال: إني فعال لما أريد، وأما القول الأوّل؛ فلم أرَه لحضرة الصديق، وقد أخرجه أبو عبدالله الثقفي في فوائده من رواية أبي ظبية قال: مرض عبدالله بن مسعود فعاده عثمان رضي الله عنهما. فقال له: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: ما تشتهي؟ قال رحمة ربِّي قال: ألا أدعو لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني الحديث بطوله. وأخرجه الحرث ابن أبي أسامة، وأبو يعلى، وابن السني، والبيهقي في الشعب، وابن عبد البر في التمهيد، والبقلي بأسانيد كلها تدور على السري بن يحيى، عن أبي شجاع، عن أبي ظبية وقد تكلم في الحديث بسبب انقطاعه، فإن أبا ظبية لم يدرك ابن مسعود أمليته في جامع شيخو الغمري. وأخرج أبو نعيم في ترجمة أبي الدرداء رضي الله عنه بسنده إلى معاوية بن قرة أن أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكي؟ قال: اشتكي ذنوبي قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: أولا ندعو لك جليساً قال: هو أفجعني **(وستأتي شواهده في كتاب التوكل)** إن شاء الله تعالى **(وكان التوحيد جوهراً نفيساً)** وفي بعض النسخ. فكان للتوحيد جوهر نفيس **(وله قشران: أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخص الناس الاسم)** أي اسم التوحيد **(بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر)** أي الحفظ له،**(وأهملوا)** أي تركوا **(اللب)** الذي هو التوحيد الخالص **(بالكلية)** أي بمرة واحدة، **(فالقشر الأوّل أن تقول بلسانك)** هذه الكلمة المباركة **(لا إله إلا الله، وهذا يسمى توحيداً مناقضاً للتثليث**

أن تقول بلسانك لا إله إلا الله، وهذا يسمى توحيداً مناقضاً للتثليث الذي صرح به النصارى، ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره، والقشر الثاني: أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول؛ بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده والتصديق به، وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة، والثالث: هو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط، وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد

الذي يصرح به النصارى في كتبهم) وهو قولهم: إن الله ثالث ثلاثة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، **(لكنه)** أي هذا التوحيد **(قد يصدر عن المنافق الذي يخالف سره جهره)** فيعد بذلك من أهل الإسلام ولكنه على غير إيقان وإخلاص من قلبه **(والقشر الثاني: أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول)** بل بانشراح الصدر وعدم التردد فيه، **(بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده ذلك)** ولا يخالف اللسان **(والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق)** كما أن الأوّل لبعض العوام أيضاً **(والمتكلمون كما سبق حراس هذه القشرة)** وفي نسخة: هذا القشر **(عن تشويش المبتدعة)** أي عن إدخالهم الشبه في هذا التوحيد ما يشوش بها أذهانهم والتشويش مولدة. **(الثالث: هو اللباب)** المحض **(أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط)** والأسباب كما تقدم قريباً، **(وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره)**.

قال القشيري في الرسالة: سئل ذو النون المصري عن التوحيد، فقال: أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج وصنعه للإنسان بلا علاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه ومهما تصوّر في فهمك ونفسك شيء فالله تعالى بخلافه. وسئل الجنيد عن التوحيد فقال: إقرار الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد ينفي الأضداد والأنداد والاشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١]. وسئل مرة عن توحيده الخاص فقال: أن يكون العبد شبحاً بين يدي الله عز وجل تجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته في لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه، وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته في حقيقة قربه بذهاب حسه وحركة لقيام الحق له فيما أراد منه، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوّله فيكون كما كان قبل أن يكون، وقال مرة: التوحيد الذي انفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدث والخروج عن الأوطان وقطع المحاب وترك ما علم وجهل، وأن يكون الحق مكان الجميع، وقال أيضاً: علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين سنة والناس يتكلمون في حواشيه، وقال أبو سعيد الخراز: أوّل مقام لمن وجد علم التوحيد وتحقق بذلك فناء ذكر الأشياء عن قلبه وانفراده بالله تعالى اهـ ما لخصته من الرسالة.

اتباع الهوى، فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده. قال الله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣]. وقال ﷺ: « أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى ». وعلى التحقيق: من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم، وإنما يعبد هواه، إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى، ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم، فإن من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره، فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين، فانظر إلى ماذا حول وبأيّ قشر قنع منه، وكيف

(**ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى**) وهو ميل النفس إلى الشيء وقد غلب على الميل المذموم، وأخرج القشيري في الرسالة من حديث جابر رفعه: أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة. وقال ذو النون: مفتاح العبادة الفكرة، وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى وعلامة مخالفتها ترك شهواتها. وقال سهل: ما عبدالله تعالى بمثل مخالفة النفس والهوى، (**وكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده**) وهو ينافي توحيد الله تعالى (**قال الله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾**) [الجاثية: ٢٣]، أي ما تميل إليه نفسه، والأصل من اتخذ هواه إلهه فقلب. (**وقال ﷺ: « أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى**) قال العراقي: أخرجه الطبراني من رواية إسماعيل بن عياش، عن الحسن بن دينار، عن الخطيب بن مجدر، عن راشد بن سعد، عن أبي أمامة رفعه بلفظ: « ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع ». ورواه أبو نعيم في الحلية من رواية بقية، عن عيسى بن ابراهيم، عن راشد، وكل من الخطيب وعيسى متروكان انتهى. (**وعلى التحقيق؛ من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم إنما يعبد هواه**) أي ما أمالته نفسه إليه (**إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه**) وجدوده (**فيتبع ذلك الميل**) فيكون عابداً له، (**وميل النفس إلى المألوفات**) والشهوات (**أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى**) أشار به إلى اختلافهم في معنى الهوى، فقيل: هو ميل النفس إلى الشيء ومحبتها إياه، وقد غلب على الميل المذموم؛ قال تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ [النازعات: ٤٠]. وقال بعضهم: هو على الإطلاق مذموم ثم يضاف إلى ما لا يذم؟ فيقال: هو أي مع صاحب الحق أي ميلي، وقيل: هو ميل النفس إلى المألوفات. وقيل: سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية. وفي الآخرة إلى الهاوية قاله السمين. ومما ذكره المصنف فسر قوله تعالى: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ [ابراهيم: ٣٥]، وتقدمت الإشارة إلى ذلك في أحد فصول المقدمة فراجعه. (**ويخرج من هذا التوحيد**) بالمعنى السابق (**ترك التسخط**) وهو التغضب على الخلق (**والالتفات إليهم**) في أمر من الأمور (**فإن من يرى**) في عقيدته (**أن الكل من الله**) تعالى (**كيف يتسخط على غيره**) أم كيف يلتفت إلى ما سواه، (**فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين**) وإليه أشار رويم

اتخذوا هذا معتصماً في التمدح والتفاخر بما إسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذي

فقال: التوحيد محو آثار البشرية وتجرد الإلاهية. وقال ابن عطاء: حقيقة التوحيد نسيان التوحيد وهو أن يكون القائم به واحداً، ويقال: من الناس من يكون في توحيده مكاشفاً بالأفعال يرى الحادثات بالله، ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة فيضمحل إحساسه بما سواه فهو يشاهد الجمع سراً بسر وظاهره بوصف التفرقة، وقد ذكر المصنف في كتابه الإملاء على مشكل الاحياء سر انقسام التوحيد على أربعة أقسام تشبهاً بالجوز لأنه لا يخلو العاقل أن يوجد فيه أثر التوحيد أو لا يوجد، ومن يوجد فيه لا يخلو أن يكون مقلداً في عقده أو عالماً به، فالمقلدون هم العوام، والعلماء بحقيقة عقدهم لا يخلو واحد منهم أن يكون بلغ الغاية المطلوبة التي أعدت لصنفه دون النبوّة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ، فالذي لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون وهم أهل المرتبة الثالثة، والبالغون هم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة، ثم قسَّم أرباب النطق إلى أربعة أصناف. **أحدهم:** نطقوا بكلمة التوحيد ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به. **الثاني:** نطقوا ولكن أضافوا إلى قولهم ما لا يحصل مع الإيمان وهم الزنادقة. **الثالث:** نطقوا ولكنهم أسروا التكذيب واستبطنوا ما ظهر منهم من الإقرار وهم المنافقون. **الرابع:** نطقوا وهم على الجهل بما يعتقدون فيها، وحكم الصنف الأوّل والثاني والثالث من زمرة الهالكين، ولما كان اللفظ المنبىء عن التوحيد إذا انفرد عن العقد لم يقع له في حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه نجاة إلاَّ مدة حياته عن السيف واليد حسن فيه أن يشبه بقشر الجوز الأعلى، ثم قسم أهل الاعتقاد المجرد إلى ثلاثة أصناف. **الأول:** اعتقدوا مضمون ما أقروا به من غير ترديد غير عارفين بالاستدلال. **الثاني:** اعتقدوا مع ذلك ما قام في نفوسهم أنها أدلة وبراهين وليست كذلك. **الثالث:** مع ذلك استبعدوا طريق العلم وقنعوا بالقعود في حضيض الجهل، ثم ذكر في أصناف أهل الاعتقاد تفصيلاً آخر، ثم قال: ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته ضعيفاً ألقي عليه شبه القشر الثاني من الجوز، ولأن ذلك القشر يؤكل مع ما هو عليه صوان، وإذا انفرد أمكن أن يكون طعاماً للمحتاج، ثم ذكر لتوحيد المقربين ثلاثة حدود والأسباب الموصلة إليه وحقيقته وثمراته، ثم ذكر لأرباب هذا المقام ثلاثة أصناف وقال: إنما سموا أهل هذه المرتبة المقربين لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من نيرات المعرفة، ثم قال في توحيد الصديقين: وأما أهل المرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله تعالى وحده، ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به، فلم يروا في الدارين غيره ولا اطّلعوا في الوجود على سواه، وأهل هذه المرتبة صنفان مريدون ومرادون، فالمريدون في الغالب لا بدَّ لهم أن يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين ومنها ينتقلون إلى المرتبة الرابعة، وأما المرادون فهم في الغالب مبتدؤن بمقامهم الأخير وهي المرتبة الرابعة ومتمكنون فيها، ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبدلاء، ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم.

(فانظر إلى ماذا حوّل) لفظ التوحيد، **(وبأي قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا)** الذي سموه توحيداً **(معتصماً)** ومتمسكاً **(في التمدح)** به **(والتفاخر بما)** بالذي **(اسمه محمود عن الافلاس)** أي الخلو والفروغ. وفي بعض النسخ: على الإخلاص وهو بمعناه **(عن المعنى الذي**

يستحق الحمد الحقيقي، وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول: ﴿وجّهت وجهيَ للذي فطر السموات والأرض حنيفاً﴾ [الأنعام: ٧٩]، وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجهاً إلى الله تعالى على الخصوص، فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات، والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه إليها متوجهاً إليه تعالى عن ان تحده الجهات والأقطار. وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها، فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والأرض، وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد، فالموحد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه، وهو امتثال قوله تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم

يستحق الحمد الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة) أي يأتي في أوّل النهار **(ويتوجه)** بعد تطهيره **(إلى القبلة)** لصلاة الصبح **(وهو يقول: وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً)** وما أنا من المشركين، أي: قصدت بعبادتي وتوجهي **(وهو أوّل كذب يفاتح الله تعالى به كل يوم)** عند قيامه إلى الصلاة **(إن لم يكن وجه قلبه متوجهاً إلى الله تعالى على الخصوص)** أي بالإخلاص وتجري الاستقامة بحيث لا يكون له التفات في ذلك إلى ما سواه **(فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجَّه)** هو **(وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات)** ما عدا مكة، **(والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه إليها)** خاصة **(متوجّهاً إليه تعالى أن تحده الجهات والأقطار، وإن أراد به وجه القلب)** كما هو المتبادر **(وهو المطلوب)** من العبد **(المتعبد به)**. وفي بعض النسخ: للتعبد به **(فكيف يصدق)** فيه **(وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية)** كيف يفعل في كذا وكيف يترك عن كذا **(ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه)** وهو الحظوة عند الأمراء **(واستكثار الأسباب)** والعوارض واسترباحها **(ومتوجه بالكلية إليها)** أي إلى تلك الأمور المذكورة **(فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والأرض، وهذه الكلمة)** الشريفة **(خبر عن حقيقة التوحيد)** لكونها مشيرة إلى الإخلاص في التوجه والإمحاض في العبودية والتحري في الاستقامة، ومن هنا قال الشبلي: من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقيته لثقل ما حمل، **(فالموحد)** الحقيقي **(هو الذي لا يرى إلا الواحد)** أي لا يرى الشيء من حيث هو وإنما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالإرادة على سابق العلم القديم، ثم أدام القطر عليه في الوجود فصح قوله لا يرى إلا الواحد **(ولا يتوجه بوجهه إلا إليه)**، ومن هنا قال بعض أهل التحقيق: إن التوحيد هو نفي القسيم لذاته ونفي الشبيه في حقه وصفاته ونفي الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته،

في خوضهم يلعبون﴾ [الأنعام : ٩١] ، وليس المراد به القول باللسان ، فإنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى ، وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه .

(اللفظ الرابع : الذكر والتذكير) : فقد قال الله تعالى : ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات : ٥٥] ، وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله ﷺ : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . وقيل : وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر » وفي

(وهو امتثال) الأمر في **(قوله تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾)** [الأنعام: ٩١] أصل الخوض الدخول في الماء ثم استعير للدخول في الحديث والحرب، ويقال: فلان يخوض أي يتكلم ما لا ينبغي وغلب على الرديء من الكلام، **(وليس المراد به القول باللسان)** فقط **(إنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى)** فلا عبرة به عند أهل الحق، **(وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه وهو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه) ،** وتقدم حديث: « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم ».

(اللفظ الرابع: الذكر والتذكير وقد قال الله تعالى) في كتابه العزيز: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات: ٥٥] الذكرى بمعنى التذكر وذكر بنفسه وذكر غيره والتذكير يكون بعد النسيان والذكر تارة يقال باعتبار هيئة للنفس بها يتمكن الإنسان من حفظ ما يقتنيه من المعارف فهو كالحفظ إلا أن الفرق بينهما أنه يقال باعتبار حضوره بالقلب واللسان، ومنه قيل: الذكر ذكران ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكل منهما على نوعين ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان، بل يقال باعتبار إدامة الحفظ، **(وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله ﷺ : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قيل: وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر »)** قال العراقي: أخرجه الترمذي من حديث أنس وحسنه اهـ.

قلت: هو من رواية محمد بن ثابت، حدثني أبي، عن أنس بن مالك، وأورده أبو طالب المكي في القوت، والقشيري في الرسالة كلاهما من غير سند إلا أن في سياق الرسالة: إذا رأيتم رياض الجنة والباقي سواء. وقول العراقي أنه أخرجه الترمذي فنصه في سننه: « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر » أخرجه هكذا الإمام أحمد في مسنده، والبيهقي في الشعب كلهم عن أنس. وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه. وفي حديث ابن عباس فيما أخرجه الطبراني في الكبير من رواية مجاهد عنه وفيه قال: « مجالس العلم » قال الهيثمي: فيه رجل لم يسم أي: قول الحرث بن عطية أحد رواته حدثنا بعض أصحابنا، عن أبي نجيح عن مجاهد. وفي حديث أبي هريرة فيما أخرجه الترمذي في الدعوات من رواية حميد المكي أن عطاء بن أبي رباح حدثه عنه وقال: غريب، وفيه: قيل وما رياض الجنة؟ قال: « المساجد » قيل: وما الرتع؟ قال: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ». وقال القشيري في

الحديث: « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضاً ألا هلموا إلى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون. ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم ». فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان

رسالته: أخبرنا أبو الحسين علي بن بشر ببغداد، أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان، حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عثمان بن عبدالله أن خالد بن عبدالله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبدالله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « يا أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة. قلنا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر ».

قلت: وأخرجه هكذا البزار وأبو يعلى في مسنديها، والطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرك من رواية عمر بن عبدالله مولى غفرة. قال: سمعت أيوب بن خالد بن صفوان يقول قال جابر: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض فارتعوا في رياض الجنة. قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر فاغدوا وروحوا في ذكر الله، وذكروه أنفسكم » الحديث، ثم أنه فسر الرياض تارة بحلق الذكر، وتارة بمجالسه، وتارة بحلق العلم ومجالسه، وتارة بالمساجد. ولا مانع من إرادة الكل وإنه إنما ذكر في كل حديث بعضها لأنه خرج جواباً عن سؤال معين، فأجاب كلا بما يليق بحال سؤاله. وقال السيوطي في تحذير الخواص، وأخرج الخطيب عن ابن مسعود رفعه: « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا أما إني لا أعني حلق القصاص ولكن أعني حلق الفقه ».

قلت: هو في كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب، وبمثل هذا روي عن عبدالله بن عمر وابن عمرو

(وفي الحديث: « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضاً ألا هلموا إلى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون. ألا فاذكروا الله تعالى وذكروا بأنفسكم ») وفي نسخة: واذكروا بأنفسكم. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله سياحين في الهواء، وللترمذي سياحين في الأرض. وقال مسلم: سيّارة اهـ.

قلت: أخرجه صاحب القوت بلا سند ولفظه كلفظ المصنف إلا أنه قال فضلاً عن كتاب الخلق إذا رأوا مجالس الذكر تنادوا بعضهم بعضاً، وفيه: فيأتونهم حتى يجلسوا إليهم فيحفون بهم ويستمعون منهم والباقي سواء. وأخرج البخاري من رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. قال الترمذي: أو عن أبي سعد الخدري، وقال البخاري: ورواه شعبة، عن الأعمش ولم يرفعه. ورواه سهل، عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً. ورواه مسلم من هذا الوجه، وليس في الصحيحين ولا عند الترمذي ما ذكره المصنف في آخر هذا الحديث. وقد تقدم في الحديث الذي قبله حديث جابر ولفظه: « فاغدوا وروحوا في ذكر الله وذكروه بأنفسكم ».

وأخرج البيهقي في الشعب، وابن ماجه من حديث أبي هريرة بأتم من هذا بلفظ: « إن لله

يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات، أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصّاص. وقالوا: لم يكن ذلك في زمن رسول الله

ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس يطوفون في الكون يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم ما يقول عبادي فيقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا. والله، فيقول كيف لو رأوني، فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً. فيقول: فما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها لكانوا أشدّ لها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة. قال: ممّ يتعوّذون؟ فيقولون: من النار؟ فيقول الله: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: كيف، لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشدّ منها فراراً وأشد لها مخافة. فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، فيقول: هم القوم لا يشقى جليسهم». كذا في الذيل للسيوطي. وأخرجه السهروردي هكذا في عوارف المعارف من طريق الحافظ أبي نعيم من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. وأخرج البزار من رواية زائدة بن أبي الرقاد، عن زياد النميري عن أنس رفعه: «إن لله سيّارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر» الحديث. (**فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو**) أربعة أشياء (**القصص والاشعار والشطح والطامات، أما القصص فهي بدعة**) رواه أبو الأشهب عن الحسن. قال ابن الحاج في المدخل مجلس العلم الذي يذكر فيه الحلال والحرام واتباع السلف لا مجلس القصاص والوعاظ، فإن ذلك بدعة. وأخرج ابن أبي شيبة، والمروزي في كتاب العلم، عن خباب أنه رأى ابنه عبدالله عند قاص، فلما رجع اتزر وأخذ السوط وقال: أمع العمالقة هذا قرن قد طلع. قال ابن الأثير في النهاية: أراد قوماً أحداثاً نبغوا بعد أن لم يكونوا يعني القصاص، وقيل: أراد بدعة حدثت لم تكن في عهد النبي ﷺ. وأخرج الخطيب في تاريخه عن أبي جعفر الخلوي سمعت الجنيد يحكي عن الخواص، سمعت بضعة عشر من مشايخ الصنعة أهل الورع والدين مجمعون على أن القصص في الأصل بدعة. (**وقد نهى السلف عن الجلوس إلى القصاص**). أخرج العقيلي، وأبو نعيم في الحلية بسند صحيح عن عاصم بن بهدلة قال: كنا نأتي أبا عبد الرحمن السلمي ونحن غلمة أيفاع فيقول: لا تجالسوا القصاص، وأخرج العقيلي من وجه آخر، عن عاصم قال: كان أبو عبد الرحمن السلمي يقول: اتقوا القصاص. وقال العلامة ابن أبي زيد المالكي في الجامع، وأنكر مالك القصص في المسجد. وقال ابن الحاج في المدخل: سئل مالك عن الجلوس إلى القصاص فقال: ما أرى أن يجلس إليهم وأن القصص لبدعة. وقال ابن رشد: كراهة القصص معلوم من مذهب مالك. وقال الإمام الطرطوشي، قال مالك: ونهيت أبا قدامة أن يقوم بعد الصلاة فيقول افعلوا كذا وكذا. وقال أبو ادريس الخولاني، فيما أخرجه المروزي وأبو نعيم كلاهما من طريقه: لأن أرى في

ﷺ ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما، حتى ظهرت الفتنة وظهر القصّاص.

وروي أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال: ما أخرجني إلا القاص، ولولاه لما خرجت. وقال ضمرة: قلت لسفيان الثوري نستقبل القاص

ناحية المسجد ناراً تأجج أحب إليَّ من أن أرى في ناحية قاصاً يقص. **(وقالوا: لم يكن ذلك)** أي القص **(في زمن رسول الله ﷺ، ولا في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، حتى ظهرت الفتنة فظهر القصاص)** هكذا أورده الطرطوشي في جامعه. وقال العراقي: أخرجه ابن ماجه من رواية عبدالله بن عمر بن حفص العمري، عن نافع، عن ابن عمر بإسناد حسن اهـ.

قلت: وهكذا ذكره العراقي أيضاً في كتابه: (الباعث على الخلاص). قال: وروى الإمام أحمد والطبراني عن السائب بن يزيد قال: إنه لم يكن يقص على عهد رسول الله ﷺ، ولا زمن أبي بكر، ولا زمن عمر. هكذا هو في الكتاب المذكور. وفي التخريج الكبير للعراقي من رواية الزهري، عن السائب فيما أخرجه أحمد والطبراني إلى قوله: ولا زمن أبي بكر، ثم قال: وأوّل من قصّ تميم الداري استأذن عمر بن الخطاب أن يقص قائماً فأذن له اهـ.

قال السيوطي: وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن نافع وغيره من أهل العلم. قالوا: لم يقص في زمان النبي ﷺ، ولا زمان أبي بكر، ولا زمان عمر، وإنما القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة، فهذا موقوف على نافع. وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي، عن ابن عمر قال: لم يقص على عهد النبي ﷺ، ولا عهد أبي بكر، ولا عهد عمر، ولا عهد عثمان إنما كان القصص حين كانت الفتنة. وروى الحاكم في مستدركه، عن أبي عامر عبد بن يحي قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة أخبر بقصاص على أهل مكة مولى بني فروخ، فأرسل إليه فقال: أمرت بهذا القصص؟ قال: لا. قال: فما حملك على أن تقص بغير إذن؟ قال: نفسر علماً علمناه الله عز وجل. قال معاوية: لو كنت تقدمت عليك لقطعت منك طائفة.

(وروي ان ابن عمر خرج من المسجد وقال: ما أخرجني إلا القاص ولولاه ما خرجت) أخرجه صاحب القوت من طريق الزهري، عن سالم عنه. وأخرج المروزي من هذا الطريق ان ابن عمر كان يلقى خارجاً من المسجد فيقول: ما أخرجني إلا صوت قاصكم هذا. وأخرج أيضاً عن سعد بن عبيدة ان ابن عمر قال لقاص يقص عنده: قم عنا فقد آذيتنا. وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن عتبة بن حريث قال: سمعت ابن عمر وجاءه رجل قاص فجلس في مجلسه فقال له ابن عمر: قم من مجلسنا، فأبى أن يقوم فأرسل إلى صاحب الشرطة فأرسل إليه شرطياً فأقامه، وأخرج عبدالله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد أن ابن عمر مرَّ بقاص وقد رفعوا أيديهم فقال: اللهم اقطع هذه الأيدي **(وقال ضمرة)** بن ربيعة الرملي أبو عبدالله مفتي أهل الشام في زمانه **(قلت للثوري)** هو سفيان بن سعيد: **(نستقبل القاص**

بوجوهنا فقال ولّوا البدع ظهوركم. وقال ابن عون: دخلت على ابن سيرين فقال: ما كان اليوم من خبر؟ فقلت: نهى الأمير القصاص أن يقصوا. فقال: وفق للصواب، ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصاً يقص ويقول: حدثنا الأعمش، فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر ابطه، فقال القاص: يا شيخ ألا تستحي؟ فقال: لِـمَ أنا في سنة وأنت في كذب، أنا الأعمش. وما حدثتك وقال أحمد أكثر الناس كذباً

بوجوهنا) وفي رواية بوجهنا. **(فقال: أولوا البدعة ظهوركم)** هكذا أورده صاحب القوت **(وقال)** محمد **(ابن عون)** الخراساني **(دخلت على)** أبي بكر محمد **(ابن سيرين)** روى عن أبي هريرة وعمران بن حصين. وعنه ابن عون، وهشام بن حسان، وداود بن أبي هند، وقرة وجرير وآخرون وكان ثقة حجة **(فقال: ما كان اليوم من خبر؟ فقال: نهى الأمير القصّاص أن يقصوا)** هكذا أورده صاحب القوت.

قال السيوطي: وفي تاريخ الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري في حوادث سنة ٢٧٩ في خلافة المعتضد نودي ببغداد أن لا يقعد على الطرائق ولا في مسجد الجامع قاص ولا صاحب نجوم ولا زاجر، وحلف الوراقون أن لا يبيعوا علم الكلام والجدل والفلسفة. قال؛ وفي سنة ٢٨٤ نودي في المسجد الجامع بنهي الناس عن الاجتماع على قاص وبمنع القصاص عن القعود اهـ.

وأخرج ابن الجوزي في كتاب القصاص والمذكرين بسنده إلى جرير بن حازم قال: سأل رجل محمد بن سيرين عن القصص، فقال: بدعة أول ما أحدث الحرورية القصص. **(ودخل)** سليمان بن مهران **(الأعمش)** الحافظ أبو محمد الكاهلي أحد الاعلام، عن ابن أبي أوفى وزر وأبي وائل، وعنه شعبة ووكيع توفي سنة ١٤٨ **(جامع البصرة)** وكان فيها غريباً **(فرأى قاصاً)** يقص في المسجد و **(يقول: حدثنا الأعمش)** عن أبي إسحاق عن أبي وائل، **(فتوسط)** الأعمش **(الحلقة)** ورفع يده **(فأخذ في نتف شعر إبطه)**فبصر به القاص **(فقال: يا شيخ ألا تستحي) .** نحن في علم وأنت تفعل هذا؛ **(وقال)** الأعمش: الذي أنا فيه أفضل من الذي أنت فيه. قال: **(لِمَ)**؟ ويروى: كيف؟ قال: **(أنا)** ويروى لأني **(في سنة وأنت في كذب. أنا الأعمش ومتى حدثتك)** كذا في النسخ. والصواب: وما حدثتك زاد بعضهم مما تقول بشيئاً، فلما سمع الناس ذكر الأعمش إنفضوا عن القاص وإجتمعوا حوله وقالوا: حدثنا يا أبا محمد أورد هكذا أبو طالب المكي في قوته، وأبو الوليد الطرطوشي في الحوادث والبدع، ونظير هذا ما أخرجاه أيضاً واللفظ لصاحب القوت قال: وحدثنا عن أبي معمر، عن خلف بن خليفة قال: رأيت سياراً أبا الحكم يستاك على باب المسجد وقاص يقص في المسجد فجاءه رجل فقال: يا أبا الحكم إن الناس ينظرونك فقال إني في خير مماهم فيه أنا في سنة وهم في بدعة. وأخرج أبو الحسن الفراء في فوائده عن الفضل بن موسى الشيباني قال: أتيت الرقاشي وهو يقص فجعلت أستاك، فقال: أنت ههنا؟ قلت: أنا ههنا في سّنة وأنت في بدعة.

القصاص والسؤال. وأخرج علي رضي الله عنه: القصاص من مسجد جامع البصرة، فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه إذ كان يتكلم في علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها، ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره، ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها، وخطر الآخرة وأهوالها، فهذا هو التذكير المحمود شرعاً الذي ورد

(وقال) الإمام **(أحمد)** ابن حنبل: **(أكثر الناس كذباً القصاص والسؤال)** أورده صاحب القوت من طريق محمد أبن جعفر أن أبا الحرث حدّثه انه سمع أحمد بن حنبل يقول: أكذب الناس والباقي سواء. قال السيوطي: وأخرج السلفي في الطيوريات من طريق الفضل بن زياد قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول أكذب الناس السؤال والقصاص. وأخرجه الطرطوشي أيضاً هكذا إلاَّ انه زاد في آخره. قيل له: لو رأيت قاصاً صدوقاً أكنت مجالسهم؟ قال: لا. **(وأخرج علي رضي الله عنه: القصاص من جامع البصرة)** حين دخلها. وقال: لا يقص في المسجد. أورده هكذا صاحب القوت والطرطوشي، وأخرج أبو بكر المروزي في كتاب العلم، وأبو جعفر النحاس في كتاب الناسخ والمنسوخ عن أبي البحتري قال: دخل علي بن أبي طالب المسجد، فإذا رجل يخوّف، ولفظ المروزي يقص، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يذكر الناس فقال ليس برجل يذكر الناس ولكنه يقول: أنا فلان بن فلان فاعرفوني فأرسل إليه، فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا. قال: قم من مسجدنا ولا تذكر فيه. وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو خيثمة، والمروزي معاً في كتاب العلم، وأبو داود والنحاس في كتاب الناسخ والمنسوخ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: مرَّ عليّ أبن أبي طالب برجل يقص فقال: أعرفت الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال هلكت وأهلكت. **(ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه)** هذا السياق من كتاب القوت. قال: ولما دخل علي رضي الله عنه البصرة جعل يخرج القصاص من المسجد ويقول: لا يقص في مسجدنا حتى انتهى إلى الحسن وهو يتكلم في هذا العلم فإستمع إليه ثم إنصرف ولم يخرجه **(إذ كان يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها، ويذكر بآلاء الله سبحانه ونعمائه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وتصرمها)** أي إنقطاعها وذهابها عن قريب **(وقلة عهدها وعظم)** وفي نسخة: خطر **(الآخرة وأهوالها)**. قال صاحب القوت: وقد كان الحسن البصري أحد المذكرين وكانت مجالسه مجالس الذكر يخلو فيها مع إخوانه وأتباعه من النساك والعباد في بيته مثل مالك بن دينار، وثابت البناني، وأيوب السختياني، ومحمد بن واسع، وفرقد السبخي، وعبد الواحد بن زيد فيقول: هاتوا انشروا النوى فيتكلم عليهم في هذا العلم من علم اليقين والقدرة. وفي خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس، فربما قنع بعض أصحاب الحديث رأسه فاختفى من ورائهم ليسمع ذلك، فإذا رآه الحسن قال له: يا لكع وأنت ما تصنع ههنا إنما خلوْنا مع أصحابنا نتذاكر، ثم قال: وكان الحسن أول من أنهج سبيل هذا العلم وفتق

الحث عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال: « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة، وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض، وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة فقيل يا رسول الله: ومن قراءة القرآن؟ قال: وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم ». وقال عطاء رحمه الله: مجلس ذكر يكفر سبعين مجلساً من

الألسنة به ونطق بمعانية وأظهر أنواره وكشف قناعه، وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه، فقيل له يا أبا سعيد: إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك فممن أخذت هذا؟ فقال: من حذيفة بن اليمان. قيل؛ وقالوا لحذيفة نراك تتكلم في هذا العلم بكلام لا نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فممن أخذته؟ فقال خصني به رسول الله ﷺ كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه، وعلمت أن الخير لا يسبقني اه.

قلت: وهذا الكلام الأخير أخرجه مسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة من طريق بشر بن عبد الله الخضري أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني الحديث بطوله، وسيأتي هذا في آخر الباب السادس، **(فهذا هو التذكير)** النافع **(المحمود)** عاقبة **(شرعاً)** قال ابن الجوزي في كتاب القصاص والمذكرين في أوله: سأل سائل، فقال: نرى كلام السلف يختلف في مدح القصاص وذمهم، فبعضهم يحرض على الحضور عندهم، وبعضهم ينهى عن ذلك، ونحن نسأل أن تذكر لنا فصلاً يكون فصلاً لهذا الأمر، فأجبت لا بدّ من كشف حقيقة هذا الأمر ليبين المحمود منه والمذموم. إعلم أن لهذا الفن ثلاثة أسماء قصص وتذكير ووعظ، فالقصاص هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها. وذلك القصص، وهذا في الغالب عبارة عمن يروي أخبار الماضين وهذا لا يذم لنفسه، لأن في ذلك عبرة لمعتبر وعظة لمزدجر، وإنما كره بعض السلف القصص لأحد ستة أشياء فذكرها ثم قال: وأما التذكير فهو تعريف الخلق نعم الله عز وجل عليهم وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته، وأما الوعظ فهو تخويف يرق له القلب وحذار محمود إن قال، وقد صار كثير من الناس يطلقون على الوعاظ إسم القاص وعلى القاص إسم المذكر والتحقيق ما ذكرنا اهـ وقوله **(الذي ورد الحث عليه في حديث أبي ذر)** جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه **(حيث قال: « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة، وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض، وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة. قيل يا رسول الله: ومن قراءة القرآن؟ قال: وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم)** هذا الحديث قد تقدم في أول الكتاب أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق عبيدة السلماني عن عمر، وتقدم الكلام عليه والذي روي عن أبي ذر بمعناه ولفظه: « يا أبا ذر لأن تغدو ولتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة » الحديث. هكذا أخرجه السيوطي في الجامع الكبير، وفي الذيل على الصغير من طريق ابن ماجه والحاكم في التاريخ. وقال ابن القيم، وذكر ابن عبد البرعن معاذ مرفوعاً: « لأن تغدو فتعلم باباً

مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم، ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم، وذهلوا عن طريق الذكر المحمود، واشتغلوا بالقصص التي تتطرف إليها الاختلافات والزيادة والنقص، وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها، فإن من القصص ما ينفع سماعه، ومنها ما يضر وإن كان صدقاً. ومن

من أبواب العلم خير لك من أن تصلي مائة ركعة» وهذا لا يثبت رفعه، ولكن المصنف تابع في أكثر ما يورده من الأحاديث صاحب القوت، فإنه هكذا أخرجه في كتابه فقال: وقد روينا حديث أبي ذر فذكره. وفي كتاب الإيمان من موضوعات السيوطي قال الذهبي في الميزان الجوبياري ممن يضرب به المثل بكذبه ومن طاماته عن إسحاق بن نجيج الكذاب، عن هشام بن حسان، عن رجالة: « حضور مجلس علم خير من حضور ألف جنازة ومن ألف ركعة ومن ألف حجة ومن ألف غزوة» اهـ.

قلت: وأخرجه سعيد بن منصور في سننه، وابن أبي داود في المصاحف، وأبو طالب المكي في القوت من طريق عون بن موسى عن معاوية بن قرة قال: سألت الحسن أعود مريضاً أحب إليك أو تجلس إلى قاص؟ فقال: عد مريضك. قلت: أشيع جنازة أحب إليك أو أجلس إلى قاص، فقال: شيع جنازتك. قلت: وإن استعان بي رجل على حاجة أعينه أو أجلس إلى قاص. قال: أذهب في حاجتك حتى جعله خيراً من مجالس الفراغ. قال صاحب القوت: فلو كانت مجالس الذكر عندهم هي مجالس القصاص وكان القصص هو الذكر لما وسع الحسن أن يثبط عنه ولا يؤثر عليه كثيراً من الأعمال لأن الذاكرين لله تعالى في أرفع مقام وحضور مجالس الذكر من مزيد الإيمان، ثم قال: **(وقال)** بعض السلف حضور مجلس ذكر يكفر عشر مجالس من مجالس الباطل. وأما **(عطاء)** فقال: **(مجالس ذكر يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو)**، وقد تقدم كلام هذا في أول الكتاب، **(فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث)** الواردة في فضل الذكر وأهله ومجالسه **(حجة على تزكية أنفسهم)** وتطهيرها عن أن يتطرق إليها الوصم، **(ونقلوا إسم التذكير إلى خرافاتهم)** التي يذكرونها والخرافات هي الأباطيل من الأحاديث، **(وذهلوا)** أي غفلوا **(عن طريق الذكر المحمود)**. وفي بعض النسخ: المقصود **(واشتغلوا بالقصص)** والحكايات عن الأمم السالفة **(التي يتطرق إليها الاختلاق والزيادة والنقصان)** فإن مثل ذلك مما يندر صحته خصوصاً ما ينقل عن بني إسرائيل. وفي قصة داود ويوسف من المحال الذي ينزه عنه الأنبياء بحيث إذا سمعه الجاهل هانت عنده المعاصي، **(وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فإن من القصص ما ينفع سماعه)**. وأخرج الخطيب البغدادي عن حنبل بن إسحاق قال: قلت لعمي في القصاص، فقال: القصاص الذين يذكرون الجنة والنار والتخويف ولهم نية وصدق الحديث، فأما هؤلاء الذين أحدثوا وضع الأخبار والأحاديث الموضوعة فلا أراه، **(ومنها ما يضر سماعه وإن كان صادقاً)** أخرج أحمد في الزهد عن أبي المليح قال: ذكر ميمون بن مهران القصاص فقال: لا يخطىء للقاص

فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار، فمن هذا نهي عنه، ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله: ما أحوج الناس إلى قاص صادق، فإن كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم، وكان القاص صادقاً صحيح الرواية فلست أرى به بأساً، فليحذر الكذب وحكايات أحوال، تومىء إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطي عليها، فإن العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذراً فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر، فكلنا بصدد المعاصي، فلا غرو إن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر مني ويفيده ذلك جرأة على الله تعالى من حيث لا يدري، فبعد الاحتراز عن هذين

ثلاثاً إما أن يسمر قوله بما يهزل دينه وإما عجب بنفسه، وإما أن يأمر بما لا يفعل فلهذا قال ﷺ القاص ينتظر المقت» **(ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن)** أجل **(هذا نهي عنه)** وفي بعض النسخ فعن هذا نهي، **(ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله: ما أحوج الناس إلى قاص صادق)** ويروى: صدوق لأنهم يذكرون الميزان وعذاب القبر. قيل له: أنت كنت تحضر مجالسهم؟ قال: لا. هكذا أورده صاحب القوت، وقد تقدم قريباً من رواية الطرطوشي. قال صاحب القوت: وأخبرونا عن محمد بن أبي هارون أن إسحاق بن حنبل حدثه قال: صليت مع أحمد بن حنبل صلاة العيد فإذا قاص يقص يلعن المبتدعة ويذكر السنّة، فلما قضينا الصلاة وصرنا ببعض الطريق ذكر أبو عبد الله القاص فقال: ما أنفعهم للعامة وإن كان عامة ما يحدثونه كذباً اهـ.

(فإن كانت القصة) التي يقصها القاص **(من قصص الأنبياء)** عليهم السلام **(فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقاً)** فيما ينقله **(صحيح الرواية)** غير مخلطها من طرق صحيحة**(فلست أرى به بأساً)** وليس بمذموم في نفسه لأن في ذلك اقتداء بصواب لمتبع، **(فليحذر)** القاص **(الكذب)** فيما ينقله عن الشيوخ وليحذر **(حكاية أحوال تومئ)** أي تشير. وفي نسخة: تؤدي **(إلى هفوات)** أي سقطات **(أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها)** فيفسد قلوبهم بذلك **(و)** يقصر فهمهم **(عن)** درك **(كونها هفوة نادرة)** الوقوع **(ومردفة)** أي متبعة **(بتكفيرات)** أي بما يكفرها **(ومتداركة بحسنات تغطي عليها)**. هذا هو المناسب في حضرات السلف، **(فإن العامي)** الجاهل حين يسمع **(يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته)** مع نفسه **(ويمهد لنفسه عذراً فيه)** فيقع في الخطأ **(ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن المشايخ وبعض الأكابر وكلنا بصدد المعاصي)** ومن الذي عصم منا، **(فلا غرو)** أي لا عجب **(ان عصيت الله فقد عصى أكبر مني)** مقاماً وحالاً **(ويفيده ذلك جرأة على الله تعالى من حيث لا يدري)**، وهذا الذي ذكره أحد الوجوه

المحذورين فلا بأس به، وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من الاخبار، ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات، ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق، فهذه من

الستة لكراهة بعض السلف القصص، وذكره بعد الكذب فهما وجهان من الوجوه الستة، وقد أفصح عنها ابن الجوزي في كتاب القصاص والمذكرين، وسيأتي للمصنف مزيد على ذلك في المهلكات في ذم الغرور، **(فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين)** وهما الكذب والمحالات **(فلا بأس به)** ولا يكون مذموماً، **(وعند ذلك ترجع القصص المحمودة إلى ما يشتمل عليه القرآن)**. أخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن ابن سيرين قال: بلغ عمر أن قاصاً يقص بالبصرة فكتب إليه: ﴿الر تِلْكَ آياتُ الكِتاب المبين★ إنا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون★ نحنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أحْسَنَ القَصَص﴾ [يوسف: ٣١] إلى آخر الآيات قال فعرف الرجل فتركه. وأخرج عبد بن حميد في تفسيره، عن قيس بن سعد قال: جاء ابن عباس حتى قام على عبيد بن عمير وهو يقص فقال: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صدِّيقاً نبياً﴾ [مريم: ٤١] ﴿واذكر في الكتاب اسماعيل﴾ الآية [مريم: ٥٤] ﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾ الآية [مريم: ٥٦] ذكرنا بأيام الله وأثن على من أثنى الله عليه، **(و)** إلى **(ما صح في الكتب الصحيحة من الأخبار)** كالكتب الستة الصحاح، ومن كتب التفاسير مع وقع الاتفاق على صحتها والوثوق بها.

قال الحافظ العراقي: الباعث على الخلاص من حوادث القصاص أنهم ينقلون حديث رسول الله ﷺ من غير معرفة بالصحيح والسقيم قال؛ وإن اتفق انه نقل حديثاً صحيحاً كان آثماً في ذلك لأنه ينقل ما لا علم به وان صادف الواقع كان آثماً باقدامه على ما لا يعلم قال: ونظر أحدهم في بعض التفاسير المصنفة لا يحل له النقل منها لأن كتب التفاسير فيها الأقوال المنكرة والصحيحة، ومن لا يميز صحيحها عن منكرها لا يحل له الأعتماد على الكتب قال: وليت شعري كيف يقدم من هذه حاله على تفسير كتاب الله أحسن أحواله أن لا يعرف صحيحه من سقيمه. قال: وأيضاً فلا يحل لأحد ممن هو بهذا الوصف أن ينقل حديثاً من الكتب، بل ولو في الصحيحين ما لم يقرأه على من يعلم ذلك من أهل الحديث. وقد حكى الحافظ أبو بكر بن خير اتفاق العلماء على أنه لا يصح لمسلم أن يقول قال رسول الله ﷺ: كذا حتى يكون عنده ذلك القول مروياً. ولو على أقل وجوه الروايات اهـ

قلت: فالذي تلخص مما ذكرنا أنه لا ينبغي أن يقص على الناس إلا العالم المتقن فنون العلم، الحافظ لحديث رسول الله ﷺ، العارف بصحيحه وسقيمه ومسنده ومقطوعة ومنفصلة، العالم بالتواريخ وبسير السلف، الحافظ لأخبار الزهاد، الفقيه في دين الله، العالم بالعربية واللغة ومدار كل ذلك على تقوى الله، وأنه يخرج الطمع في أموال الناس من قلبه. كذا حققه ابن الجوزي وسيأتي لذلك مزيد في ربع المهلكات إن شاء الله تعالى. **(ومن الناس من يستجيز)** أي يجوّز **(وضع الحكايات المرغبة في الطاعات)** المزهدة عن الدنيا وآفاتها، **(ويزعم أن قصده**

نزعات الشيطان، فإن في الصدق مندوحة عن الكذب، وفيما ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ غنية عن الاختراع في الوعظ، كيف وقد كره تكلف السجع وعدّ ذلك من التصنع. قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع: هذا الذي يبغضك إلي لا قضيت حاجتك أبداً حتى تتوب، وقد كان جاءه في حاجة، وقد قال ﷺ لعبدالله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات: « إياك والسجع يا ابن رواحة ».

فيه)حسن وهو **(دعوة الخلق إلى الحق)** وترغيبهم إليه وردعهم عن الدنيا الفانية، وأعظم من ذلك من جوّز وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ وأباح روايتها في الترغيب والترهيب تعلقاً بما ورد في بعض روايات حديث: « من كذب عليّ متعمداً ليضل به الناس فليتبوّأ مقعده من النار » فاعلم أن كل ذلك باطل باتفاق الأئمة. **(وهذا)** الذي صار إليه بما زعمه لا شك في انه **(من نزعات الشيطان)** سوّل لهم بذلك وحسنه، **(فإن في الصدق مندوحة عن الكذب)** أي سعة. ومنه حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه: إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب. أي في التعريض في القول من الأتساع ما يغني الرجل عن الأضطرار إلى الكذب المحض، وفي كتاب لحن العوام للزبيدي يقال له عن هذا مندوحة ومنتدح. أي: متسع وهو الندح أيضاً. وقال أبو عبيد: المندوحة الفسحة والسعة، **(وفيما ذكر الله سبحانه)** في كتابه العزيز من القصص العجيبة **(و)**ذكره **(رسوله)** ﷺ من الأحاديث التي نقلها الثقات **(غنية عن الأختراع)** أي الأبتداع **(في الوعظ)** والتذكير. **(كيف وقد كره تكلف السجع)** وهو الكلام المقفى الموزون **(وعد ذلك من التصنع)** أي التكلف.

(قال سعد بن أبي وقاص) مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري، فارس الاسلام وأحد العشرة. روى عنه بنوه إبراهيم وعمر ومحمد وعامر ومصعب وعائشة، أسلم سابع سبعة، توفي سنة ٥٥ **(لابنه عمر)** روى عنه ابنه إبراهيم، وأبو إسحاق، وأرسل عنه الزهري وقتادة. قال ابن معين: كيف يكون من قتل الحسين ثقة قتله المختار سنة ٦٧، **(وقد سمعه يسجع)** في كلام. وفي نسخة يتسجع **(هذا الذي يبغضك إليّ لاقضيت حاجتك أبداً)** إذ رأى ذلك بدعة حدثت في الأقوال، **(وقد كان جاءه في حاجة)** يتقضاها منه فقال عن رسول الله ﷺ: ما أوتي امرؤ شراً من طلاقة لسانه. أورده صاحب القوت، ثم قال **(وقد قال ﷺ العبد الله بن رواحة)**ابن ثعلبة الانصاري من بني الحرث بن الخزرج. أبو محمد الأمير بدري نقيب أستشهد بمؤتة روى عنه أنس ابن مالك، وابن عباس وأرسل عنه جماعة **(في سجع)** ونص القوت حين سجع فوالى **(بين ثلاث كلمات)** أي تابع بينها: **(إياك والسجع يابن رواحة)**. قال العراقي: لم أجده مرفوعاً، ولأحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين باسناد صحيح من رواية الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لكاتب: إياك والسجع، فإن النبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يسجعون. زاد ابن السني بعد قولها: اياك والسجع لا تسجيع، ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية الشعبي، عن ابن أبي السائب قاص

فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين، ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين: كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل، ومثل ذلك يطل. فقال النبي ﷺ: «أسجع كسجع الأعراب».

أهل المدينة قال، قالت عائشة فذكر كلاماً لها وفيه: واجتنب السجع من الدعاء، فإني عهدت النبي ﷺ وأصحابه يكرهون ذلك. وروى البخاري من رواية عكرمة، عن ابن عباس قال: حدث الناس كل جمعة مرة فذكر الحديث، وفيه: وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت النبي ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك اهـ.

وفي القوت: ومما أحدثوا السجع في الدعاء والتغريب فيه، وما لم يرد الكتاب به، ولا نقل عن الرسول ﷺ ولا الصحابة بل كانوا ينهون عن الأعتداء في الدعاء. وروينا عن رسول الله ﷺ: «إياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل» وسمع عبد الله بن مغفل ابنه يدعو بما يعمق فيه، فقال: يا بني إياك والحديث وإياك الاعتداء **(فكان السجع المحذور)** أي الممنوع **(المتكلف)** المتصنع فيه **(ما زاد على كلمتين)**، وأصل السجع صوت الحمامة وهديرها، وسمي السجع في الكلام لكونه مشبهاً بذلك لتقارب فواصله، وسجع الرجل كلامه كما يقال نظمه إذا جعل لكلامه فواصل كقوافي الشعر ما لم يكن موزوناً، وتقدم ذكر أقسامه وأنواعه في شرح الخطبة، **(ولذلك)** قال ﷺ **(لما قال ذلك الرجل)** من عصبة القاتلة؟ يقال: هو حمل بن النابغة الهذلي **(في دية الجنين كيف ندي)** أي نعطي دية **(من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل)** الاستهلال: أوّل صوت المولود **(ومثل ذلك يطل)** أي يهدر، **(فقال ﷺ: «اسجع كسجع الاعراب»)** وهم أهل البادية، وكانوا يستعملون الاسجاع في كلامهم. قال العراقي: ورد من حديث المغيرة بن شعبة، وأبي هريرة، وابن عباس، وجابر، وأسامة بن عمير الهذلي، وحمل بن مالك، وعويم بن ساعدة الهذلي رضي الله عنهم.

أما حديث المغيرة؛ فرواه مسلم، وأبو داود، والنسائي من رواية عبيد بن فضيلة الخزاعي عن المغيرة بن شعبة قال: ضربت أمرأة ضرتها بعمود فسطاط فذكر الحديث وفيه: فقال رجل من عصبة القاتلة انغرم دية من لا أكل ولا شرب ولا استهل. فمثل ذلك يطل. الحديث بلفظ مسلم، وفي رواية له: أندي من لا طعم ولا شرب ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل الحديث، وأصل الحديث عند البخاري، والترمذي، وابن ماجه، مختصراً دون ذكر السجع المذكور.

وأما حديث أبي هريرة؛ فرواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي من رواية ابن شهاب، عن ابن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: اقتتلت أمرأتان من هذيل الحديث وفيه: فقال حمل بن النابغة الهذلي يا رسول الله: كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يطل؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنما هذا من أخوان الكهان من أجل

سجعه الذي سجع » لفظ مسلم ولم يسم البخاري الرجل فإنما قال فقال ولي المرأة ولم يقل من أجل سجعه الذي سجع.

قلت: وأخرجه مسلم أيضاً من رواية معمر، عن الزهري وفيه: فقال قائل كيف نفعل ولم يسم حمل بن مالك اهـ.

ثم قال العراقي: ورواه الترمذي وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ففيه فقال الذي قضى عليه أنعطي من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل فمثل ذلك يطل، فقال النبي ﷺ: إن هذا ليقول بقول الشاعر.

وأما حديث ابن عباس؛ فرواه أبو داود والنسائي من رواية أسباط، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت إمرأتان جارتان كان بينهما صخب الحديث وفيه فقال أبو القاتلة: إنه والله ما أستهل ولا شرب ولا أكل فمثله يطل، فقال النبي ﷺ: «أسجع الجاهلية وكهانتها إن في الصبي غرة» قال ابن عباس: كانت أحداهما مليكة والأخرى أم عفيف لفظ النسائي ولم يقل أبو داود ولا أكل وقال فيه عن ابن عباس في قصة حمل فأدخله المزي في الأطراف في حديث حمل ولم يذكره في حديث ابن عباس وليس بجيد.

وأما حديث جابر؛ فرواه أبو يعلى في مسنده من رواية مجالد بن سعيد قال: حدثني الشعبي، عن جابر أن أمرأتين من هذيل قتلت أحداهما الأخرى الحديث. وفيه: فخاف عاقلة القاتلة أن يضمنهم قال: فقالوا يا رسول الله لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل، فقال رسول الله ﷺ: «أسجع الجاهلية» والحديث عند أبي داود وابن ماجه وليس فيه ذكر السجع المذكور.

وأما حديث أسامة بن عمير وهو والد أبي المليح؛ فرواه الطبراني باسناد جيد من رواية أيوب قال: سمعت أبا المليح عن أبيه، وكان قد صحب رسول الله ﷺ قال: كانت فينا إمرأتان ضربت إحداهما الأخرى الحديث. وفيه فقال رجل من أهل القاتلة: كيف نعقل يا رسول الله من لا أكل ولا شرب ولا صاح فاستهل فمثل ذلك يطل فقال رسول الله ﷺ: «أسجاعة أنت» الحديث. وفي رواية له من رواية سلمة بن تمام عن أبي المليح أن الذي قال السجع رجل يقال له عمران بن عويمر، فقال رسول الله ﷺ: «دعني من رجز الاعراب».

وأما حديث حمل بن مالك بن النابغة؛ فرواه الطبراني من رواية مجاهد عن الهذلي أنه كان عنده إمرأة فتزوّج عليها أخرى فذكر الحديث وفيه فجاء وليها فقال: أندي من لا أكل ولا شرب ولا أستهل فمثل ذلك يطل فقال: «رجز الاعراب».

وأما حديث عويم الهذلي: فرواه الطبراني من رواية محمد بن سليمان بن مسمول، عن عمرو بن تميم بن عويم، عن أبيه عن جده قال: كانت أختي مليكة وإمرأة منا يقال لها أم عفيف بنت مسروح تحت حمل بن النابغة فضربت أم عفيف مليكة بمسطح بيتها وهي حامل فقتلتها وذا

وأما الأشعار ؛ فتكثيرها في المواعظ مذموم ، قال الله تعالى : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ★ ألم ترَ أنهم في كل واد يهيمون ﴾ [الشعراء : ٢٤ ـ ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر وما

بطنها ، فقضى رسول الله ﷺ فيها بالدية وفي جنينها بالغرة عبداً وأمة فقال أخوها العلاء بن مسروح يا رسول الله : أنغرم من لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل فمثل هذا يطل فقال رسول الله ﷺ : « اسجع كسجع الجاهلية » . ورواه ابن منده في معرفة الصحابة ، ومحمد بن سليمان بن مسمول ضعيف ، وعمرو بن تميم وأبوه لم أجد لهما ذكراً في مظان وجودهما .

(**وأما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم**) قال السمين : الشعر في الأصل إسم للعلم الدقيق في قولهم ليت شعري ، وسمي الشاعر لفطنته ثم صار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام والشاعر المختص بصناعته ، وقوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ بَلِ افتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء : ٥٠] حمله كثير من المفسرين على إنهم رموه بكونه آتياً بشعر منظوم ومقفى حتى تأوّلوا ما جاء في القرآن من كل لفظ شبيه الموزون . وقال بعض المحصلين : لم يقصدوا هذا القصد فيما رموه به . وذلك أنه ظاهر من هذا الكلام أنه ليس من أساليب الشعر ولا يخفى ذلك عليهم ، وإنما رموه بالكذب فإن الشعر يعبِّر به عن الكذب والشاعر الكاذب حتى سموا الأدلة الكاذبة الشعرية . (**قال الله تعالى**) في وصف عامة الشعراء : (**والشعراء يتبعهم الغاوون الآية**) أي إلى آخرها وهو : ﴿ألم تَرَ أنهَم في كل واديهيمون★ وانهم يقولون ما لا يفعلون﴾ [الشعراء : ٢٤ ـ ٢٦] ولأن الشعر مقر الكذب . قالوا أحسَن الشعر أكذبه . وقال بعض الحكماء : لم ير متدين صادق اللهجة مفلقاً في شعره ، ولذا لما أسلم منهم جماعة وكانوا مفلقين ضعف شعرهم كحسان ولبيد ، وقد فطن حسان من نفسه ذلك اهـ .

والغاوون جمع غاو وهو الضال المنهمك في ضلاله لا يرده شيٌ وقد يعبر بالغي عن الجهل ، لأنه سببه . وقيل : الغواية شدة الجهل .

(**وقال تعالى : وما علَّمناه الشعر وما ينبغي له**) قال الراغب : انبغى مطاوع بغى ، فاذا قيل : ينبغي أن يكون كذا فهو باعتبارين . أحدهما يكون مسخراً للفعل نحو النار ينبغي أن تحرق الثوب ، والثاني : بمعنى الاستئهال نحو فلان ينبغي أن يعطى الكرامة وعلى المعنيين جاء قوله تعالى المتقدم ذكره . أي : لا يتسخر له ولا يستأهل قال : ألا ترى لسانه لم يكن يجري به . قال السمين : ولذلك كان إذا تمثل بشيٌ من الشعر أتى به على غير نظمه ، وقد نقل أنه تكلم بشيء من الشعر على سبيل الاتفاق ، واختلفوا في انه هل كان مصروفاً عن ذلك بطبعه أو كان في قدرته ، ولكنه لم يقله أقوال واختلفوا في ذم الشعر ومدحه ، وأحسن ما قيل فيه قول الأمام الشافعي رحمه الله حين سئل عن ذلك الشعر : كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح .

وقد روى مثل ذلك أيضاً عن عائشة رضي الله عنها . قال ابن السبكي في الطبقات : وقد سمع النبي ﷺ الشعر وأجاز عليه ، وذلك برهان على انه لم يكن يمنع من ذلك ، وكذلك نطق به

ينبغي له﴾ [يس : ٦٩] وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال ، وألم الفراق ، والمجلس لا يحوي إلا أجلاف العوام ، وبواطنهم مشحونة بالشهوات ، وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة ؛ فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتغل فيها نيران الشهوات ، فيزعقون ويتواجدون؛ وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد ، فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس ، وقد قال ﷺ : « إن من الشعر لحكمة » ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم

جماهير الصحابة وعدد بالغ من أحبار الأمة ، وأما ما ورد من الأحاديث في ذم الشعر ، فالمراد منه الشعر الذي هو هجو له ﷺ حملاً لمطلق الحديث على مقيده على انه قد ثبت في بعض طرق حديث أبي هريرة رفعه « لأن يملأ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلىء شعراً هجيت به » رواه ابن عدي في الكامل اهـ .

(وأكثر ما اعتاده الوعاظ من) إنشاد **(الأشعار)** في مواعظهم **(ما يتعلق بالتواصف في العشق)**وهو الإفراط في المحبة **(وجمال المعشوق)** وهو المحبوب **(وروح الوصال)** والتشوق إليه ، **(و)** التشكي من **(ألم الفراق)** وما يترتب عليه **(والمجلس)** ذاك **(لا يحوي)** أي لا يجمع غالباً **(إلا أجلاف العوام)** والأغبياء الطغام **(وبواطنهم)** غير متهيئة لتلقي أسرار الحقائق بل **(مشحونة بالشهوات)** النفسانية **(وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات)** والميل **(إلى الصور المليحة)**المستحسنة ، **(ولا تحرك)** تلك **(الأشعار من قلوبهم)** وخواطرهم **(إلا ما هي مستكنة)** أي مستترة **(فيها)** من الخبث **(فتشتعل فيها نيران الشهوات)** لا محالة بتسويل الشيطان ، **(فيزعقون)** أي يصيحون من غير اختيار ، ومنهم من يتمكن منه ذلك الخاطر فيغيب عن إحساسه **(ويتواجدون)** أي : يتراقصون ويكونون سبباً لضحكة الشيطان ، **(وأكثر ذلك أو كله يرجع الى نوع فساد)** في الدين تترتب به جمل من المضرات **(فينبغي)** للواعظ **(أن لا يستعمل)** في وعظه للعامة **(من)** إنشاد **(الشعر إلا ما فيه موعظة)** ظاهرة يرتدع بها عن خبث الباطن **(أو حكمة)** نادرة يتعظ بها في كشف السر الكامن **(كل ذلك على سبيل استشهاد)** لكلامه **(واستئناس)** لما يورد من أحكامه، **(وقد قال رسول الله ﷺ : « إن من الشعر لحكمة »)** قال العراقي : رواه البخاري من حديث أبيّ بن كعب اهـ .

قلت : وكذا الإمام أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه كلهم من رواية عبد الرحمن بن الأسود أن أبيّ بن كعب أخبره بلفظ : « إن من الشعر حكمة » ، وأخرجه أبو القاسم الحسين بن محمد بن ابراهيم الحنائي في جزء له من طريق هشام بن عروة ، عن جده ، عن أبيه الزبير رفعه ، وذكره الدارقطني في العلل فقال : يرويه شيخ يعرف بعبد الملك بن محمد البلخي ، عن أبي بزة ، عن هشام

بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم، فإن أولئك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق، فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع، ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلاً، فإن كثروا لم يتكلم، وما تم أهل مجلسه قط عشرين. وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له، تكلم فقد حضر أصحابك، فقال: لا ما هؤلاء أصحابي، إنما هم أصحاب المجلس، إن أصحابي هم الخواص.

قال: ووهم فيه، ورواه الشافعي مرسلاً عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث. ورواه الترمذي، وأبو يعلى من رواية عاصم عن أبي النجود، عن زر عن ابن مسعود، وقال الترمذي: غريب من هذا الوجه إنما رفعه أبو سعيد الأشج عن ابن عيينة. وروى غيره عنه موقوفاً. رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه من رواية سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس بلفظ: « إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً » قال الترمذي: حسن صحيح. وفي أوله: قصة عند أبي داود، ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ: حكمة. وفي الباب عن بريدة وعبدالله بن عمرو، وابن عمر، وأبي بكرة، وأبي موسى، وعائشة، وأنس، وعمرو بن عوف. **(ولو حوى المجلس الخواص)** من عباد الله العارفين المستكملين **(الذين وقع الاطلاع)** والاتفاق **(على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى)** أي امتلائها به **(ولم يكن معهم)** هناك **(غيرهم)** من الأجانب، **(فإذ ذاك)** وفي نسخة، فإن أولئك **(لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق)** بذكر الأوصاف المناسبة لهم من جمال ووصال وفراق، **(فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على قلبه)** بحسب المقامات فالألفاظ هي هي والمعاني مختلفة وكل إناء بالذي فيه يرشح، **(ولذلك كان)** أبو القاسم **(الجنيد)** وفي القوت، وقال بعض الشيوخ: كان الجنيد رحمه الله **(يتكلم على بضعة عشر)** ونص القوت على بضع عشرة **(رجلاً فإن كثروا لم يتكلم)**. قال: **(وما تم أهل مجلسه قط عشرين)** رجلاً. قال: وكان أبو محمد سهل رحمه الله يجلس إلى خمسة أو ستة إلى العشرة **(وحضر جماعة دار)** أبي الحسن محمد **(ابن سالم)** البصري أحد مشايخ أبي طالب المكي، **(فقيل له: تكلم فقد حضر أصحابك)**. قال في القوت: وقد حدثت عن أبي الحسن بن سالم شيخنا رحمه الله أن قوماً اجتمعوا في مسجده، فأرسلوا إليه بعضهم ان أخوانك قد حضروا ويحبون لقاءك والاستماع منك، فإن رأيت أن تخرج إليهم فعلت، وكان المسجد على باب بيته ولم يكن يدخل عليه في منزله، فقال للرسول بعد أن خرج إليه من هم فقال فلان وفلان وسماهم، **(فقال: لا ما هؤلاء أصحابي)** ونص القوت ليس هؤلاء من أصحابي **(إنما هم أصحاب المجلس، إن أصحابي هم الخواص)** ونص القوت: هؤلاء أصحاب المجلس ولم يخرج كأنه رآهم عموماً لا يصلحون لتخصيص علمه فلم يذهب وقته بوقتهم، وكذلك العالم وقته أعز عليه، فإن وافق خصوص إخوانه آثرهم على نفسه فكان ذلك مزيداً، وإن لم يوافق لهم لم يؤثر على خلوته ووقته غيره فيكون مناخاً للطالبين،

وأما الشطح: فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية.

(أحدهما): الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب، فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله:

وقد كان أبو الحسن رحمه الله يخرج لأخوانه ممن يراه أهلاً لمكان علمه فيجلس إليهم ويذاكرهم، وربما أدخلهم إليه نهاراً أو ليلاً، ولعمري إن المذاكرة تكون بين النظراء والمحادثة مع الإخوان والجلوس للعلم يكون للأصحاب، والجواب عن المسائل نصيب العموم، وكان عند أهل هذا العلم إن علمهم مخصوص لا يصلح إلا للخصوص والخصوص قليل، فلم يكونوا ينطقون به إلا عند أهله ويرون أن ذلك من حقه وأنه واجب عليه هذا كله كلام صاحب القوت.)

(وأما الشطح)؟ وهو عند أهل الحقيقة كلام يعبر عنه اللسان مقرون بالدعوى ولا يرتضيه أهل الطريقة من قائله وإن كان محقاً **(فنعني به صنفين من الكلام)** الذي **(أحدثه بعض الصوفية)** أي الغلاة منهم.

(أحدهما: الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال) به **(المغني عن الأعمال الظاهرة)** المكلف بها **(حتى ينتهي قوم)** منهم **(إلى دعوى)** الحلول و**(الاتحاد)** مع الله تعالى، وهو كفر صريح وضلال مبين، ولم يقل به أحد من المعتبرين وحاشاهم من ذلك، بل ما زال المعتبرون من الصوفية ينبهون على تضليل من قال به وتكفيره ويحذرون منه منهم المنصف، كما سيأتي له في باب السماع، ومنهم الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في أول الحلية، والقاضي تاج الدين البيضاوي في تفسير سورة المائدة، والقاضي عياض في الشفاء، وقال العز بن جماعة في شرح الكوكب: الوقاد يجب أن ينزه الله تعالى عن الحلول خلافاً للنصارى، وبعض الصوفية جل الله وتعالى عن قولهم علواً كبيراً **(و)** من دعاويهم **(ارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب)**. قال الجنيد: المشاهدة إقامة الربوبية بإزاء العبودية مع فقدان الكل دونه. قال: وهي على ثلاث طبقات مشاهدة بالحق وهي نظر الموجودات بوجوه الاستدلالات على وحدانية الذات ومشاهدة للحق وهي نظر الحق في قيام المصنوعات وتمام المبدعات وصيانتها عن الآفات ومشاهدة الحق وهي نظره قبل الأشياء ورؤيته سابقاً على الأشياء وهي رؤية خالية عن الكيف عارية عن الوصف عالية عن الكشف، وقال سهل بن عبدالله: المشاهدة التبرىء عما سواه، فهذه أقوال الأكابر الصوفية دالة على فساد دعاويهم **(فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور)** بن أبي بكر بن عمر بن عبد الله بن الليث بن أبي بكر بن أبي صالح الشامي بن عبدالله بن أبي أيوب الأنصاري، ابن مغيث، وأبي عبدالله **(الحلاج)** صحب الجنيد والنووي وغيرهما من

أنا الحق، وبما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: سبحاني سبحاني، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا

الطبقة، وإنما لقب بالحلاج لأنه سأل قطاناً حاجته فاعتذر بشغله، فقال: أنا أحلج عنك فلما عاد وجد قطنه كله محلوجاً، وقيل: لأنه كان حلاج الأسرار يعني يظهرها. ومن ولده بالبيضاء من أعمال فارس الشهاب أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الصمد بن الحسين عرب يعرب، وهم بيت رئاسة وجلالة. ومنهم بقية إلى الآن. واختلف الناس في شأن الحلاج فأفتى كثير من العلماء بإباحة دمه، وتوقف آخرون، ولما استفتى أبو العباس بن سريج عنه وكان من أقرانه قال: هذا رجل خفي على حاله فلا أقول فيه شيئاً كأنه لم يثبت عنده أنه ما قال تلك المقالة في صحو، قتل يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩. وكان آخر قوله حب الواحد إفراد الواحد له **(الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله: أنا الحق)**، وقد اعتذر عنه المشايخ بجواز أن يكون ذلك صدر منه في حال سكر وغيبة، وإن الله رفع التكليف عمن غاب عقله فلا يؤاخذ بذلك ولا يحل الوقيعة فيه بسبب ذلك، وإنما الإنكار على من يتلقى ذلك الكلام على ظاهره ويعتقده ويعتمده، فهذا ينكر عليه أشد النكير.

قال السيوطي: وهكذا الحال في كلام كثير ممن نسب إلى السداد والاستقامة ما يشعر بذلك، فإن حسن الظن بآحاد المسلمين واجب فضلاً عمن تواترت الألسنة بالشهادة له بالولاية، فإن ثناء الناس بذلك شاهد صدق كما نص عليه رسول الله ﷺ، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً اهـ.

(و) من ذلك **(ما يحكون)** وفي نسخة، وبما يحكون **(عن)** القطب **(أبي يزيد)** طيفور بن عيسى بن سروشان **(البسطامي)**. قال القشيري في الرسالة: وكان جده مجوسياً أسلم وكانوا ثلاثة أخوة آدم وطيفور وعلي، وكلهم كانوا زهاداً عباداً، وأبو يزيد كان أجلهم، قيل: مات سنة إحدى وستين، وقيل: أربع وستين ومائتين اهـ. **(أنه قال: سبحاني سبحاني)** وسيأتي الجواب عنه قريباً **(وهذا فن من الكلام)** أي ضرب منه **(عظم ضرره في العوام)** وتحيرت الأفهام **(حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة)** أي الزراعة **(فلاحتهم)**، وكذا أهل الصناعة صناعتهم **(وأظهروا مثل هذه الدعاوى)** تقليداً وتشبيهاً، **(فإن هذا الكلام يستلذه الطبع)** ويجد له راحة **(إذ فيه البطالة من الأعمال)** والاتكال على الأقوال **(مع تزكية النفس)** ونسبتها إلى الطهارة **(بدرك المقامات)** العلية **(والأحوال)** السنية التي لا يحصلها السالك إلا بعد رياضات ومجاهدات، **(ولا يعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم)** من غير مجاهدة سبقت لهم ولا فازوا بشهود مقامه **(ولا عن تلقف كلمات مختلفة المعنى)**. وفي نسخة مخبطة

عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة، ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا هذا إنكار مصدره العلم والجدل، والعلم حجاب، والجدل عمل النفس، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق، فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره، حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة.

وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى، وإن سمع ذلك منه،

(مزخرفة) الظاهر، **(ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا أن يقولوا أن هذا إنكار)** على أهل الحقيقة **(مصدره)** أي منشؤه **(العلم)** الظاهر **(والجدل و)** أن **(العلم حجاب)** عن معرفة مثل هذا **(والجدل عمل النفس، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق)** قال القطب القسطلاني في كتابه: اقتداء الفاضل باقتداء العاقل. أما قولهم، العلم حجاب الله وأن طلبه من أعظم الحجاب، فهي كلمة حق أريد بها باطل وصفة نقص تحلى بها من هو عن الكمال عاطل، وإنما ذكر أهل الطريق ذلك في قوم من صفتهم أنهم حصلوا ما تميزوا به عند أهل الشأن من علمي الشريعة والحقيقة، ففوتحوا من الغيب بما يشهد لهم بنجاتهم فهم بالله مع الله معرضون عن ملاحظة صفاتهم، فمن كان كذلك فإنه مشغول بما هو فيه عن النظر في العلم، وأما من هو عري عن علم الظاهر والباطن فحقه أن يعلم ما يحتاج إليه في الطريق التي يسلكها فإن أبى واستكبر فإنه بعيد عن الوصول إلى منهج السعادة اهـ. **(فهذا ونحوه)** وفي نسخة، وفنه **(مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم ضرره)** فليتنبه الفطن لذلك **(ومن تكلم)** وفي نسخة: ومن نطق **(بشيء منه فقتله افضل في دين الله من إحياء عشرة)** لما في إبقاء مثله من لحوق الضرر العظيم والفساد العميم للأمة المحمدية.

(وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى) لجواز أن يكون مدسوساً عليه إما من عدوّ حاسد مريد شينه بذلك وتنقيصه، كما وقع كثيراً للعلماء، وإما من زائغ ملحد أراد ترويج أمره ونصرة معتقده. فدس هذا الكلام ليأخذه الناس بالقبول لإحسانهم الظن بهؤلاء الأخيار.

قال السيوطي: وقد أخبرني بعض القضاة ممن أثق به أن الشيخ عبد الكبير الحضرمي أحد السادة الكبار وقد اجتمعت أنا به بمكة المشرفة في مرض موته سئل عن بيت من كلام ابن الفارض وهو قوله:

وإذا سألتك أن أراك حقيقة ... فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

فقال: ليس هذا من كلامه، فإن ابن الفارض عارف والعارف لا يقول مثل هذا، **(وان سمع ذلك منه)** وصح عزوه إليه من طريق صحيح **(فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام**

فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه، كما لو سمع وهو يقول: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني، فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية.

يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فإنه كان ينبغي أن لا يفهم ذلك منه إلا على سبيل الحكاية) قال السهروردي في عوارف المعارف في ذكر من إنتمى إلى الصوفية وليس منهم ما نصه: ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول والأتحاد ويزعمون أن الله تعالى في الاجسام ويسبق إلى مفهومهم قول النصارى في اللاهوت والناسوت، ومنهم من يستبيح النظر إلى المستحسنات إشارة إلى هذا الوهم ويتخايل له: إن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضمراً لشيء مما زعموه مثل قول الحلاج: أنا الحق، وما يحكى عن أبي يزيد من قوله سبحاني، وحاشى الله أن يعتقد في أبي يزيد إنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى، وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قول ذلك، ولو علمنا أنه ذكر هذا القول مضمراً لشيء من الحلول رددناه كما نردهم، وقد أتانا رسول الله ﷺ بشريعة بيضاء نقية يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز، والله تعالى منزه أن يحل بـه شيء أو يحل بشيء حتى لعل بعض المفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فيتألف له في فكره كلمات ينسبها إلى الله تعالى وأنها مكالمة الله تعالى إياه مثل أن يقول قال لي وقلت له، وهذا إما رجل جاهل بنفسه وحديثها جاهل بربه وبكيفية المكالمة والمحادثة، وإما عالم ببطلان ما يقول يحمله هواه على الدعوى بذلك ليوهم أنه ظفر بشيء وكل هذا ضلال، ويكون سبب تحريه على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين من مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتمسكهم بأصول القوم من صدق التقوى وكمال الزهد في الدنيا، فلما صفت أسرارهم تشكلت في سرائرهم مخاطبات موافقة للكتاب والسنّة نزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ولا يكون ذلك كلامـاً يسمعـونـه، بـل كحـديـث في النفس يجدونه ويرونه موافقاً للكتاب والسّنة مفهوماً عند أهله موافقاً للعلم، ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم إياه، فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية، فيضيفون ما يجدونه إلى نفوسهم وإلى مولاهم، وهم مع ذلك عالمون بأن ذلك ليس كلام الله تعالى، وإنما هو علم حادث أحدثه الله تعالى في بواطنهم، فطريق الأصحاء في ذلك الفرار إلى الله تعالى من كل ما تحدث نفوسهم به، حتى إذا برئت ساحتهم من الهوى وألهموا في بواطنهم شيئاً ينسبونه إلى الله تعالى نسبة الحادثات إلى المحدث لا نسبة الكلام إلى المتكلم ليصانوا عن الزيغ والتحريف اهـ.

وقال السيوطي في تأييد الحقيقة العلية: وأما التأويل فبأمور، ثم قال: الثالث أن يكون ما وقع في ألفاظهم مضافاً إلى أنفسهم، وهو مما يضاف إلى الله تعالى لم يقصدوا به حكاية عن أنفسهم، وإنما أوردوه مورد الحكاية عن الله، فان الكلام ينقسم إلى ما يحكيه المتكلم عن نفسه وإلى ما يحكيه عن غيره، وإن لم يصرح بالاضافة إليه كحديث البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما

(الصنف الثاني) : من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة، وفيها عبارات هائلة، وليس وراءها طائل، وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل مصدرها عن خلط في عقله وتشويش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر، وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة،

لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلى الجنة » فهذا إنما قاله ﷺ حكاية عن ربّه وان لم يصرح به. وقال تعالى ﴿وما مِنَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]فهذا على لسان الملائكة. وقال: ﴿وما نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤] فهذا على لسان جبريل. وهذا نوع لطيف حررت الكلام فيه في الاتقان، وأما حسن الظن وعدم الوقيعة فذاك هو الذي دلت عليه الآيات والأحاديث والآثار ونصوص العلماء، ولان يخطئ الانسان في عدم السّب خير من أن يخطئ في السب. وفي الحديث « لأن يخطئ الانسان في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة » والمقصد الشرعي من التحذير حاصل بالتنفير من ذلك الكلام من غير وقيعة فيمن نسب إليه، وقد قال بعض الائمة: لو عاش الانسان عمره كله لم يلعن إبليس فلا يسأله الله عن ذلك.

وقال السبكي في فتاويه: اعلم أنّا نستصعب القول بالتكفير لأنه يحتاج إلى تحرير المعتقد وهو صعب من جهة الاطلاع على ما في القلب وتخليصه عما يشبهه وتحريره، ويكاد الشخص يصعب عليه تحرير اعتقاد نفسه فضلاً عن غيره واعتراف الشخص به هيهات أن يحصل، وأما البينة في ذلك فصعب قبولها لانها تحتاج إلى ما قدمناه اهـ.

(الصنف الثاني: من الشطح) تلفيق **(كلمات غير مفهومة)** معانيها **(لها ظواهر رائقة)** معجبة، **(وفيها عبارات هائلة)** عظيمة تهول سامعها **(وليس وراءها طائل)** فائدة يستفاد منها، **(وذلك)** لا يخلو من حالين. **(إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل مصدرها)** أي منشؤها **(عن خلط في عقله)** وجهل في مقامه **(وتشويش)** أي تخبيط **(في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه)** وهذا هو الجهل بنفسه وحديثها والجهل بربه كما تقدم في كلام السهـروردي **(وهذا هو الأكثر)** من أحوالهم وإن علم من نفسه جهله بتلك الكلمات، وإنما حمله على ذلك هواه ليوهم أنه ظفر بشيئ فالمصيبة أعظم، **(وإما أن تكون)** تلك الكلمات **(مفهومة له)** متحققاً بمعانيها **(ولكنه لا يقدر على تفهيمها)** لغيره **(ولا)** على **(إيرادها)** والقائها **(بعبارة)** سهلة **(تدل على ضميره)** وفحواه، وذلك **(لقلة ممارسته العلم)** ومعاناته فيه **(وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني)** الدقيقة **(بالألفاظ)** الرائقة **(الرشيقـة)**، فـإن العبارة عن المعاني المدركة بالوجدان على ما هي عليه عسيرة جداً. ألا ترى أن الشخص لو أراد أن يصف لذة الجماع لمن لم يباشره بعبارة توصل ذلك إلى فهمه على حقيقته لم يستطع ذلك أبداً،

ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوّش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان، أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه. وقد قال ﷺ: «ما حدّث أحدكم قوماً بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم». وقال ﷺ: «كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون. أتريدون

وسيأتي للمصنف في الفناء. قال: إن العلماء به قصرت عباراتهم عن إيضاحه وبيانه بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلى الأفهام، وكما قال ابن عباد في مراتب الشهود: إن التفرقة بين حقائقها على ما هي تعسر العبارة عنه، وانه زلت بسبب ذلك أقدام كثير من الناس. وقال صاحب التعرف: مشاهدات القلوب ومشاهدات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تعلم بالمنازلات والمواجيد ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال اهـ.

(و) لكن (**لا فائدة لهذا الجنس من الكلام**) لما يترتب عليه من الزيغ لكثيرين، وهذا في حد ذاته لا بأس به في الجملة (**إلا أنه يشوش القلب ويدهش العقول ويحير الأذهان ويحمل**) الإنسان (**على أن يفهم منها معاني**) بتأويلات (**ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد**) منها (**على مقتضى هواه وطبعه**) وهذا كذلك يتسبب لضرر عظيم، كيف لا (**وقد قال ﷺ: «ما حدَّث أحدكم قوماً بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم»**) قال العراقي: أخرجه العقيلي في الضعفاء، وابن السنى وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث ابن عباس باسناد ضعيف، ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفاً على ابن مسعود نحوه. وقال في التخريج الكبير رواه أبو نعيم في رياضة المتعلمين من رواية عبد الرحمن بن ثابت بـن ثوبان، عن عثمان بن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس رفعه بلفظ: «ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة» وقد اختلف فيه عن ابن ثوبان، فقال ابن السنى في رياضة المتعلمين، والعقيلي في تاريخ الضعفاء من طريق ابن ثوبان قال: حدثني عثمان بن داود، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله مانسمع منك نحدث به كله. قال: «نعم إلاَّ أن تحدث قوماً لا تضبطه عقولهم فتكون على بعضهم فتنة». قال: ورواه ابن السنى أيضاً في الكتاب المذكور من رواية عباد بن كثير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رفعته: «من حدث بحديث لا يعلم تفسيره لا هو ولا الذي حدثه فإنما هو فتنة عليه وعلى الذي حدثه» ثم قال: وإنما يصح هذا الحديث موقوفاً على ابن مسعود كما رواه مسلم في مقدمة صحيحه من رواية عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن مسعود قال: فساقه كسياق حديث ابن عباس بعينه.

(**وقال ﷺ: «كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله**) قال العراقي: أخرجه البخاري موقوفاً على علي وهو الصواب بلفظ: «حدثوا الناس والباقي سواء» وهكذا رواه البيهقي في المدخل بتقديم أتريدون على حدثوا، ورفعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم، وسيأتي في آخر الباب الخامس من حديث ابن عمـر

أن يكذب الله ورسوله ». وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع، فكيف فيما لا يفهمه قائله، فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره. وقال عيسى عليه السلام: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء. وفي لفظ آخر: من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل، ومن منعها أهلها فقد ظلم، إن للحكمة حقاً وإن لها أهلاً فاعط كل ذي حق حقه.

موقوفاً: « أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » أي قدر ماتحتمله عقولهم وهو شاهد جيد، ويأتي الكلام عليه هنالك اهـ.

وقد ورد ما يقاربه من حديث المقدام مرفوعاً رواه البيهقي في المدخل بلفظ: « إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يغرب عنهم ويشق عليهم ». وعند ابن عدي في الكامل بما يفزعهم. (**وهذا فيما يفهمه صاحبه**) ولا يقدر أن يعبره بلسانه لقصوره في التعبير (**ولا يبلغه عقل المستمع، فكيف فيما لا يفهمه قائله، فإن كان يفهمه القائل دون السامع فلا يحل ذكره.**

وقال عيسى عليه السلام: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق) الذي (**يضع الدواء في موضع الداء**) هكذا أخرجه صاحب القوت قال؛(**وفي لفظ آخر : من وضع الحكمة في غير أهلها جهل، ومن منعها أهلها ظلم. إن للحكمة حقاً وإن لها أهلاً فاعط لكل ذي حق حقه**) وفي الحلية من طريق سفيان بن عيينة قال عيسى عليه السلام: إن للحكمة أهلاً فإن وضعتها في غير أهلها ضيعت، وإن منعتها من أهلها ضيعت. كن كالطبيب يضع الدواء حيث ينبغي اهـ.

وفي معنى ذلك رُوِيَ عن سفيان الثوري أنه سئل عن العالم من هو؟ قال: من يضع العلم موضعه ويؤتي كل شيء روي حقه. قال صاحب القوت، وقال بعض العارفين: من كلم الناس مبلغ علمه وبمقدار عقله ولم يخاطبهم بقدر حدودهم فقد بخسهم حقهم ولم يقم بحق الله تعالى فيهم، وحدثني بعض أشياخنا من هذه الطائفة عن أبي عمران وهو المزين الكبير المكي قال سمعته يقول لأبي بكر الكتاني وكان سمحاً بهذا العلم بذولاً له لجميع الفقراء فجعل أبو عمران يعاتبه وينهاه عن بذله وكثرة كلامه فيه إلى أن قال: أنا منذ عشرين سنة أسأل الله عز وجل أن ينسيني هذا العلم. قال: ولم؟. قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فسمعته يقول: « إن لكل شيء عند الله حرمة ومن أعظم الأشياء حرمة الحكمة فمن وضعها في غير أهلها طالبه الله تعالى بحقها ومن طالبه خاصمه ». وأورد أبو نعيم في الحلية في ترجمة محمد بن كعب القرطبي بسنده إليه قال: حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: « إن عيسى بن مريم قام في بني إسرائيل فقال يا بني إسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ».

وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح، وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الافهام فائدة، كدأب الباطنية في التأويلات، فهذا أيضاً حرام وضرره عظيم، فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ، وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ، فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به، والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى، وهذا أيضاً من البدع الشائعة العظيمة الضرر، وإنما قصد أصحابها الإغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له، وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم، كما حكيناه من مذاهبهم في كتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية،

(وأما الطامات) جمع طامة وهي المصيبة التي تطم على غيرها أي تزيد **(فيدخلها ما ذكرناه في الشطح)** أولاً **(و)** يدخلها **(أمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع)** الظاهرة **(عن ظواهرها المفهومة)** ومعانيها. وفي نسخة: عن ظواهر المفهوم **(إلى باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة)** وفي نسخة: شيْ يوثق به **(كدأب)** الطائفة **(الباطنية)** وهم جماعة من الملاحدة نسبوا أنفسهم إلى علم الباطن وحرفوا الألفاظ إلى معان أخر غير مفهومه إلا لهم بادعائهم في ذلك **(في التأويلات)** البعيدة **(وهو أيضاً حرام)** في الشرع **(وضرره عظيم)** على الأمة، **(فان الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه)** وتمسك **(بنقل)** صحيح **(عن صاحب الشرع)** ﷺ، أو عن أصحابه الذين شاهدوه رضي الله عنهم، **(و)** كذلك إذا صرفت **(من غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ)**، وقد تعبدنا الله سبحانه بالعمل بمفهوم ظاهر الألفاظ، **(فإن ما سبق منه إلى الفهم لا يوثق به)** إن خرج عن جادة الشريعة **(والباطن لا ضبط له)** ولا معوّل عليه فيما يخالف ظاهر الشرع **(بل تتعارض فيه الخواطر)** والهواجس **(ويمكن تنزيله على وجوه شتى)** بحسب اختلاف ما يطرأ عليها، **(وهذا أيضاً من البدع)** المنكرة **(الشائعة)** في البلاد **(العظيم ضررها)** وإفسادها على الأمة، **(وإنما قصد أصحابها الإغراب)** الاتيان بشئ غريب **(فإن النفوس)** على جبليتها **(مائلة إلى)** الأمر **(الغريب)** أي المستغرب الذي ما عهدته **(ومستلذة له)** أي واجدة به اللذة **(وبهذا الطريق)** وفي نسخه: وهذا الطريق **(توصل الباطنية)** أولئك الطائفة **(إلى هدم)** أركان **(جميع الشريعة بتأويل ظواهرها)** عن معانيها **(وتنزيلها)** على معان أخر **(على رأيهم)** الفاسد، **(كما حكيناه عن مذهبهم في كتاب المستظهري المصنف في الرد على)** دعاوى **(الباطنية)** ألفه باسم المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدر بالله أبي القاسم

ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه : ٢٤] إنه إشارة إلى قلبه، وقال: هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل إنسان، وفي قوله تعالى: ﴿وأن ألق عصاك﴾ [القصص : ٣١] أي كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل، فينبغي أن يلقيه. وفي قوله ﷺ : « تسحروا فإن في السحور بركة » . أراد به

عبد الله العباسي الثاني والعشرين من الخلفاء توفي سنة ٥١٣ وله كتاب آخر في الرد عليهم سماه مواهم الباطنية قد تقدم ذكرهما في أول هذا الكتاب ولما ألف السيوطي كتابه المتوكلي استغرب الناس هذا الاسم فاستشهد بأن القدماء من العلماء قد وقع لهم مثل ذلك. منهم: الامام الغزالي ألف باسم الخليفة كتاباً وسماه المستظهري (**ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى:﴿اذهب إلى فرعون انه طغى﴾ [طه: ٢٤] إنه أشار إلى قلبه**) أي نفسه الأمارة بالسوء (**وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان**) وهذا القول قد نقل عن القاشاني الذي ملأ تفسيره بأمثال هذه الطامات وقد طالعته كله فقضيت منه عجباً، (و) قالوا (**في قوله تعالى ﴿ألق عصاك﴾ [القصص : ٣١] أي كلما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله تعالى فينبغي أن يلقيه**) عنه، وكذا في قوله تعالى: ﴿اخلع نعليك﴾ [طه: ١٢] أي نفسك كل ذلك مما نقله القاشاني في تأويلاته، والمبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد بحيث أنه لو لاح له إشارة شاردة من بعيد اقتنصها أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع إليه، والملحد فلا تسأل عن الحاده في آيات الله تعالى وافترائه على الله تعالى ما لم يقله كقول بعضهم ﴿إن هي إلاَّ فتنتك﴾ [الأعراف: ١٥٥] ما على العباد أضر من ربهم تعالى الله علوّا كبيراً، ومن ذلك في قوله تعالى ﴿ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به﴾ [البقرة: ٢٨٦] انه الحب والعشق ومن ذلك قولهم في قوله: ﴿ومن شر غاسق إذا وقبَ﴾ إنه الذكر إذا قام. وقولهم في: ﴿من ذا الذي يشفع عنده﴾ [البقرة: ٢٥٥] معناه من ذل أي من الذل ذي إشارة إلى النفس يشف من الشفاء جواب وع أمر من وعى. وسئل البلقيني عمن فسَّر بهذا فأفتى بأنه ملحد، ثم أن التفسير هو كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل رد أحد المحتملين أي ما يطابق الظاهر. وقيل؛ التفسير شرح ما جاء مجملاً من القصص في الكتاب الكريم وتعريف ما تدل عليه ألفاظه الغريبة وتبيين الأمور التي أنزلت بسببها الآي، والتأويل هو تبيين معنى المتشابه والمتشابه ما لم يقطع بفحواه من تردد فيه وهو النص، وأما تفسير الغاسق بالذكر ووقوبه بقيامه: فقد نقله صاحب القاموس عن ابن عباس وجماعة من المفسرين وهو غريب، وذكر في وقب نقله عن الغزالي والنقاش وجماعة كلهم عن ابن عباس. وقال ابن الصلاح في فتاويه: وجدت عن الامام الواحدي انه قال: صنف السلمي حقائق التفسير إن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر، وقال النسفي في عقائده: النصوص تحمل على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد. وقال السعد في شرحه: سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنة. قال: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من

الاستغفار في الأسحار، وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوّله إلى آخره عن ظاهره

أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك منها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال العرفان ومحض الايمان. وقال ابن عطاء الله في لطائف المنن: أعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة ليست إحالة الظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان وثم افهام باطنه يفهم منه الآية والحديث من فتح الله عن قلبه. وقد جاء في الحديث: « لكل آية ظهر وبطن » فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل هذا احالة لكلام الله تعالى وكلام رسوله، فليس ذلك باحالة، وإنما يكون إحالة لو قال: لا معنى للآية إلا هذا وهم لا يقولون ذلك بل يفسرون الظواهر على ظاهرها مراداً بها موضوعاتها اهـ.

ـ (و) قالوا (في قوله ﷺ: « تسحروا فإن في السحور بركة ») قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس اهـ.

قلت: هو من رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس، وأخرجه هكذا الإمام أحمد في مسنده، ومسلم أيضاً والترمذي والنسائي، وابن ماجة كلهم في رواية قتادة عن أنس، وانفرد النسائي باخراجه عن أبي هريرة، وعن ابن مسعود، والإمام أحمد، عن أبي سعيد. أما حديث أبي هريرة؛ فرواه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان، وابن أبي ليلى فرقهما كلاهما عن عطاء عنه، ومن رواية يحيى بن سعيد بن أبي سلمة وقال: اسناده حسن. وأما حديث ابن مسعود: فرواه عن زرعة، ورواه أيضاً موقوفاً على ابن مسعود. وحكى المزي عنه في الأطراف أن الموقوف أولى بالصواب، وأما حديث أبي سعيد فرواه أحمد والطبراني في الأوسط من رواية ابن أبي ليلى عن عطية عنه، وروى أحمد أيضاً من رواية يحيى بن أبي كثير عن أبي رفاعة عن رفاعة عنه بلفظ: « السحور كله بركة فلا تدعوه ولو ان يجرع أحدكم بجرعة من ماء ». وفي الباب عن جابر، وابن عباس وعرباض. أما حديث جابر، فرواه ابن عدي في الكامل من رواية محمد بن عبيدالله العزرمي عن ابن المنكدر عنه، والعزرمي ضعيف. وأخرجه أئمة السنن الأربعة والبخاري في الأدب من حديث أنس: « تسحروا ولو بجرعة من ماء ». وأخرجه ابن عساكر، عن عبدالله بن سراقة « تسحروا ولو بالماء » وأخرج ابن عدي في الكامل عن علي « تسحروا ولو بشربة من ماء وافطروا ولو على شربة من ماء ». وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي الوليد عقبة بن عبد السلمي، وأبي الدرداء « تستحروا من آخر الليل هذا الغذاء المبارك ». (**أراد به الاستغفار بالأسحار**) وهو مردود بما ذكرناه في الأحاديث ولو بجرعة من ماء ولا ينطبق المعنى، (**وأمثال ذلك**) كقولهم في حديث الإيمان والإحسان: فإن لم تكن تراه أي إن أفنيت نفسك تشرفت بالرؤية مع مخالفته للقواعد العربية (**حتى حرفوا القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره**) كما هو مشاهد في تأويلات القاشاني وغيره (**وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر**

وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء ، وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً ، كتنزيل فرعون على القلب ، فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ، ودعوة موسى له كأبي جهل وأبي لهب وغيرهما من الكفار ، وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه ، وكذلك حمل السحور على الاستغفار ، فإنه كان ﷺ يتناول الطعام ويقول : « تسحروا وهلموا إلى الغذاء المبارك » .

العلماء) . أما تفسير ابن عباس فهو مختصر في مجلد ممزوج ، ومن أصحابه مجاهد بن جبر المكي الذي قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، واعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري ، ومن أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير عكرمة مولاه ، وطاوس ، وابن كيسان ، وعطاء ابن أبي رباح ، ومن هذه الطبقة أصحاب ابن مسعود وهم علماء الكوفة وغيرهم **(وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً كتنزيل فرعون على القلب)** أو النفس ، **(فإن فرعون شخص محسوس)** وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبي شمس بن هلوان بن ليث بن قاران من بني لاود بن سام بن نوح عليه السلام **(تواتر إلينا النقل بوجوده ، ودعوة)** نبي الله **(موسى)** ابن عمران **(عليه السلام له كأبي لهب)** عبد العزيز عبد المطلب كني به لجماله أو لماله **(وأبي جهل)** عمرو بن هشام كني به لطغيانه وعتوه وجهله **(وغيرهما من الكفار ، وليس)** فرعون **(من جنس الشياطين والملائكة وما لم يدرك بالحس حتى يتطرق إلى ألفاظها)** . وفي نسخة : ألفاظه . ولذلك شنع على الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدس سره ما ينسب إليه في كتابه الفصوص في الفص الموسوي القول بإسلام فرعون على الإطلاق ، وبالغوا في النكير عليه حتى زلت أقدام جماعة من فحول العلماء ، فألفوا رسائل في إثبات الإيمان له ، كالجلال الدواني وغيره نظراً إلى ظاهر قوله ، مع أن الشيخ رحمه الله لم يقصد بذلك معارضة القرآن ولا ما أجمع عليه أهل الإيمان مع الإجماع على صحة عقيدته التي ساقها في أول كتابه الفتوحات ، وإنما مراده إسلام فرعون النفس بدليل ما ذكر في الباب الثاني والستين من فتوحاته عند قوله : وقسم آخر أبقاهم الله في النار ، وهذا القسم هم أهل النار لا يخرجون منها ، فذكر منهم فرعون وأمثاله ممن ادعى الربوبية لنفسه ونفاها عن الله تعالى ، وحكى الله عنه في القرآن ، وقد أشار إلى كفره في كتابه عنقاء مغرب ، وفي شرح ترجمان الأشواق ، وفي تاج التراجم ، وقال في كتاب الأسفار له مشيراً لذلك ، فإن إله الخلق ربي قد قضى بموت عدوّ الدين في غمة البحر ، فكل ذلك يدل أنه إنما أراد بفرعون النفس ، وأبقى الآيات على ظاهرها ولم يحلها إلى ما يخالفها . وقد نبه على ذلك الشيخ كريم الدين الخلوتي نفع به في رسالة سماها البرهان القدسي ، **(وكذلك حمل)** لفظ **(التسحر على الإستغفار ، فإنه كان ﷺ يتناول الطعام)** مع أصحابه في ذلك الوقت كما روى البخاري من حديث أنس أن النبي ﷺ ، وزيد بن ثابت تسحرا . زاد ابن عاصم في كتاب الصوم فأكلا تمراً وشربا ماءً ، **(و)** كان **(يقول : « تسحروا)** فإن في السحور بركة » وتقدم

فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلاً، وبعضها يعلم بغالب الظن، وذلك في أمور لا يتعلق بها الإحساس، فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق، ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم، فلا يظهر لقوله ﷺ: «من فسر القرآن برأيه فليتبوّأ

مثله من حديث أنس وابن مسعود وأبي هريرة وجابر، وورد فيه أيضاً عن علي وابن عمرو وأبي سعيد وأبي أمامة وعتبة بن عبد وأبي الدرداء وميسرة الفجر.

(و) كان يقول: **(هلموا إلى الغذاء المبارك)** يعني السحور. قال العراقي: أبو داود، والنسائي، وابن حبان من حديث العرباض بن سارية وضعفه ابن القطان اهـ.

أي لضعف رواية الحرث بن زياد عن أبي رهم، عن العرباض. وقال ابن عبد البر: هو مجهول، ولكن ذكره ابن حبان في الثقات، وقوله: يعني السحور كأنه مدرج من الراوي. أخرجه كذلك الإمام أحمد، وابن حبان من حديث العرباض. وفي الباب عن المقدام بن معدي كرب، وعتبة بن عبد، وأبي الدرداء، وعائشة، وعمر بن الخطاب. ومعنى المبارك أي الكثير الخير لما يحصل بسببه من قوة وقدرة على الصّوم.

(فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلاً، وبعضها يعلم بغالب الظن، وذلك في أمور لا يتعلق بها الإحساس وذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق، و) قد زلت أقدام كثير في ذلك، فينبغي عدم الإلتفات إلى ما قالوا لأنه **(لم ينقل شيء من ذلك)** عن صاحب الشرع ولا **(عن الصحابة ولا عن التابعين)** مع سعة روايتهم وكثرة تلقيهم، **(ولا عن)** سيد التابعين **(الحسن)** ابن يسار **(البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم)**. قال صاحب القوت: ما زال يعي الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها، وقد لقي سبعين بدرياً ورأى ثلاثمائة صحابي، وكان كلامه يشبه بكلام رسول الله ﷺ، وكان أول من أنهج سبيل هذا العلم وفتق الألسنة به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف قناعه، وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه، **(ولا يظهر لقوله ﷺ: «من فسَّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»)** قال العراقي: أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه، وهو عند أبي داود في رواية ابن العبد وعند النسائي في الكبير اهـ.

قلت أخرجه الترمذي وصححه، وابن الأنباري في المصاحف، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب كلهم من رواية عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس بلفظ: «من قال في القرآن بغير علم» بدل قوله: «برأيه». وأخرجه أبو داود والترمذي وقال: غريب. والنسائي في الكبير، وابن جرير، والبغوي، وابن الأنباري، وابن عدي، والطبراني، والبيهقي كلهم من رواية سهيل بن أبي حزم القطفي، عن ابن عمران الجوني، عن جندب بن عبدالله: «من قال في القرآن

مقعده من النار » معنى إلا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه، ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية، ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر، فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة، ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبي ﷺ، فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع، فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر.

برأيه فأصاب فقد أخطأ ». وفي رواية للترمذي وغيره: « من قال في كتاب الله » وفي رواية « من تكلم في القرآن ». وفي الباب عن ابن عمرو جابر وأبي هريرة فحديث ابن عمر لفظه: « من فسر القرآن برأيه فأصاب كتبت عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لوسعتهم ». ولفظ حديث جابر: « من قال في القرآن برأيه فقد اتهمني » ولفظ حديث أبي هريرة: « من فسر القرآن برأيه وهو على وضوء فليعد وضوءه ». أخرج هؤلاء الثلاثة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وطرقهن ضعاف بل الأخير منكر جداً **(معنى إلا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر تحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية، ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالإستنباط والفكر في الآيات بل من الآيات)** وفي نسخة: فإن من الآيات **(ما نقل فيها عن الصحابة)** والتابعين **(و)** من بعدهم من **(المفسرين خمسة معان وستة وسبعة)** وأكثر، **(ونعلم أن جميعها غير مسموع من النبي ﷺ فإنها تكون متنافية)** مع بعضها **(لا تقبل الجمع، فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر)** . قال صاحب القوت: التأويل إذا لم يخرج عن الإجماع داخل في العلم والإستنباط إذا كان مستودعاً في الكتاب يشهد له المجمل ولا ينافيه النص فهو علم اهـ.

قال ابن الأثير: النهي يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفقه محتجاً به لغرضه ولو لم يكن له هوى لم يلح له منه ذلك المعنى، وهذا يكون تارة مع العلم كمن يحتج بآية منه على تصحيح بدعته عالماً بأنه غير مراد بالآية، وتارة يكون مع الجهل بأن تكون الآية محتملة فيميل فهمه إلى ما يوافقه غرضه ويرجحه برأيه وهواه فيكون فسر برأيه إذ لولاه لم يترجح عنده ذلك الإحتمال، وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن فيستدل بما يعلم أنه لم يرد به كمن يدعو إلى مجاهدة القلب بقوله: ﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه: ٢٤] ويشير إلى قلبه ويومىء إلى أنه المراد بفرعون، وهذا يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للسامع وهو ممنوع.

ولهذا قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ، ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخالق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله ﷺ لما هو في نفسه حق، ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقاً حديثاً عن النبي ﷺ، فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من

الثاني: أن يسارع إلى تفسيره بظاهر العربية بغير استظهار بالسماع والنقل يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة والإختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القرآن بغير علم، فالنقل والسماع لا بدَّ منها أولاً، ثم هذه تستتبع التفهم والإستنباط، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر اهـ.

قال الزمخشري: من حق تفسير القرآن أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليماً من القادح، وأما الذين تأيدت فطرتهم النقية بالمشاهدات الكشفية فهم القدوة في هذه المسالك ولا يمنعون أصلاً عن التوغل في ذلك.

(**ولهذا قال ﷺ لابن عباس**) رضي الله عنه فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من رواية عبيدالله بن أبي يزيد، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضوءاً قال: « من وضع هذا ؟ فأخبر، فقال (**اللهم فقهه في الدين** ») . ولم يقل مسلم في الدين. وزاد الإمام أحمد في مسنده، والحاكم من رواية عبيدالله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير (« **وعلمه التأويل** ») وقال الحاكم: صحيح الإسناد، قال العراقي: ووهم أبو مسعود الدمشقي في الأطراف حيث عزا للصحيحين هذه الزيادة.

قلت: وفي أول حديث هؤلاء زيادة وهي قول ابن عباس أن النبي ﷺ وضع يده على كتفي أو على منكبي شك شعبة، ثم قال: « اللهم » . الحديث. وعند البخاري من رواية عكرمة عنه ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: « اللهم علمه الحكمة » . وفي رواية له: « اللهم علمه الكتاب » . ورواه ابن ماجه فقال: « اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب » والتأويل هو التفسير على ما نقله ثعلب عن ابن الأعرابي: وقال آخرون: بالفرق بينهما وقد ذكر قريباً، (**ومن يستجيز**) أي يتجوز (**من أهل الطامات مثل هذه التأويلات**) البعيدة عن فحوى المراد (**مع علمه بأنها غير مرادة بألفاظ القرآن**) وإنما حمله عليه ميله إلى هواه، (**ويزعم**) بعد ذلك (**أنه يقصد به دعوة الخلق إلى الحق**) فمثله مثل من (**يضاهي**) أي يشابه (**من يستجيز الإختراع**) أي الإختلاق (**والوضع**) في الأخبار (**على النبي ﷺ بما هو في نفسه حق، ولكن لم ينطق به الشرع**) ولا ينقل عنه ذلك (**كمن يضع في كل مسألة يراها حقاً حديثاً عن النبي ﷺ**) كما فعله

قوله ﷺ : « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار ». بل الشر في تأويل هذه

الجويباري وغيره من الوضاعين، **(وذلك ظلم)** أي تعد عن الحدود **(وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله ﷺ : « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »)** قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلي وأنس اهـ.

قلت: هذا الحديث قد روي أيضاً عن الزبير، والمغيرة وسلمة بن الأكوع، وعبدالله بن عمرو، وابن مسعود، وجابر وأبي قتادة، وأبي سعيد، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، وسعيد بن زيد، ومعاوية بن أبي سفيان، وخالد بن عرفطة، وأبي موسى الغافقي، وعقبة بن عامر، وزيد بن أرقم، وقيس بن سعيد، وعمران بن حصين، والبراء بن عازب، وأبي موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل وعمرو بن مرة، ونبيط بن شريط، وعمار بن ياسر، وعمرو بن عتبة، وعمرو بن حريث، وابن عباس، وعتبة بن غزوان، والعرس بن عميرة، ويعلي بن مرة، وطارق ابن أشيم وسليمان بن خالد الخزاعي، وصهيب بن سنان، والسائب بن يزيد، وأبي أمامة، وأبي قرصافة، ورافع بن خديج، وأوس بن أوس الثقفي، وحذيفة بن اليمان، وأبي ميمون جابان، وبريدة بن الخصيب، وسعد بن الرحاس، وعمرو بن عوف، والمنقع التميمي، وعبدالله بن عمر، وأبي كبشة الأنماري، وأبي رافع، وواثلة بن الأسقع، وأبي الحمراء، وأسامة بن زيد، ومعاوية بن حيدة، وعبدالله بن الزبير، وأبي عبيدة بن الجراح، وسلمان الفارسي، وأبي ذر، وحذيفة بن أسيد وعبدالله بن أبي أوفى وأبي رمثة، ويزيد بن أسد، وعفان بن حبيب، وعائشة، وأم أيمن، والعباس ابن عبد المطلب، وسفينة، وزيد بن ثابت، وكعب بن قطبة، وجابر بن عابس، وعبدالله ابن زغب، ووالد أبي العشراء. فهؤلاء جميع من عُزِيَ إليهم هذا الحديث بألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربة المعنى، ونحن نسوق لك تفصيل ذلك حسبما استفدته من مقدمة ابن الجوزي وكتاب العراقي.

فأما حديث أبي هريرة فأخرجه الشيخان، والنسائي من رواية أبي عوانة، عن ابن حصين، عن أبي صالح عنه. ورواه ابن ماجه من رواية محمد بن عمر، وعن أبي سلمة عنه بلفظ: « من يقول عليّ ما لم أقل ».

وأما حديث علي: فرواه الشيخان، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه من رواية ربعي بن حراش عنه بلفظ: « فإنه من يكذب علي يلج النار » وقال البخاري: « من كذب ». ورواه أبو بكر بن الشخير بلفظ: الكتاب من رواية ابن أبي ليلى عن علي، وحديث أنس أخرجه الشيخان والنسائي من رواية عبد العزيز بن صهيب عنه بلفظ: « من تعمد علي كذباً » ورواه الترمذي، وابن ماجه من رواية الزهري عنه وزاد فيه، حسبته قال متعمداً. وقال الترمذي بيته بدل مقعده. وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. ورواه النسائي من رواية سليمان التميمي عنه بلفظ: الكتاب، ورجاله رجال الصحيح، وحديث الزبير رواه البخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه من رواية ابنه عبدالله عنه. وحديث المغيرة رواه الشيخان من رواية علي بن ربيعة عنه، وحديث سلمة

....

ابن الأكوع رواه البخاري، عن بكر بن إبراهيم، عن يزيد بن أبي عبيد عنه بلفظ: «من يقل على ما لم أقل» وهو أحد ثلاثياته. وحديث عبدالله بن عمرو، رواه البخاري والترمذي من رواية أبي كبشة السلولي عنه في أثناء حديث بلغوا عني، وقد روي الطبراني في الأوسط في أوله قصة هي سبب له من رواية عطاء بن السائب، عن أبيه، عن ابن عمر. وحديث عبدالله بن مسعود رواه الترمذي من رواية عاصم عن زرعنه، ورواه أبو بكر بن الشخير في العلم من رواية عاصم عن شقيق عنه، ورواه ابن ماجة من رواية سماك، عن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود، عن أبيه. ورواه البزار من رواية عمرو ابن شرحبيل عنه وزاد فيه ليضل به الناس، وحديث جابر رواه ابن ماجة من رواية ابن الزبير عنه. وحديث أبي قتادة رواه ابن ماجة من رواية ابن إسحاق عن سعيد بن كعب عنه بلفظ: «من تقول علي ما لم أقل». ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم. ورواه أيضاً من وجه آخر بلفظ الأصل، وحديث أبي سعيد رواه النسائي من رواية عطاء ابن يسار عنه، ورواه ابن ماجه من رواية عطية العوفي عنه. وحديث أبي بكر رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط من رواية جارية بن هرم، عن عبدالله بن بسر الحيراني، عن أبي كثبة الأنماري عنه، ورواه ابن الشخير في كتاب العلم من رواية القاسم بن عبدالله، عن ابن المنكدر، عن جابر، عن عائشة عنه، وفيه رواية صحابي عن صحابي عن صحابي. وحديث عمر بن الخطاب رواه أبو يعلى من رواية دحين بن ثابت اليربوعي، وأبو بكر بن الشخير في كتاب العلم من رواية عبد الرحمن بن ثابت كلاهما عن أسلم عنه. وحديث عثمان بن عفان رواه أحمد، والبزار، وأبو يعلى من رواية محمود بن لبيد عنه. وعند الآخرين من رواية عامر بن سعد عنه بلفظ: «من قال علي ما لم أقل». وحديث طلحة بن عبيدالله رواه أبو يعلى والطبراني من رواية سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيدالله بن عبيدالله، عن أبيه، عن جده، عن موسى بن طلحة، عن طلحة، ورواه الخطيب في التاريخ من رواية محمد بن عمر بن معاوية بن يحيي بن معاوية بن إسحاق بن طلحة بن عبيدالله، عن أبيه، عن جده، عن أبيه، عن جده. وحديث سعيد بن زيد رواه البزار، وأبو يعلى من رواية رباح بن الحرث عنه، وحديث معاوية بن أبي سفيان رواه أحمد والطبراني من رواية أبي الفيض عنه. وحديث: خالد بن عرفطة رواه أحمد أبو يعلى والطبراني من رواية مسلم مولاه عنه. وحديث أبي موسى الغافقي رواه أحمد والبزار والطبراني من رواية إسحاق بن ميمون الحضرمي عنه بلفظ: «من قال علي ما لم أقل». وحديث عقبة بن عامر رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني من رواية هشام بن أبي رقبة عنه، ورواه أحمد والطبراني أيضاً من رواية ابن عشانة عنه. وحديث زيد بن أرقم رواه أحمد والبزار والطبراني من رواية يزيد بن حبان عنه، ورواه الطبراني في الأوسط من رواية موسى بن عثمان الحضرمي عن إسحاق عنه. وحديث قيس بن سعد بن عبادة رواه أحمد وأبو يعلى من رواية ابن لهيعة، عن أبي هبيرة سمعت شيخاً من حمير انه سمع قيس بن سعد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كذب علي كذبه متعمداً فليتبوأ مضجعاً من النار» أو بيتاً في جهنم. وحديث عمران بن حصين رواه الطبراني من رواية عبد المؤمن بن سالم المسمعي، حدثنا

....

هشام، عن محمد بن سيرين عنه. وحديث البراء بن عازب رواه أبو يعلى في مسنده رواية ابن المقري من رواية محمد بن عبيدالله الفزاري وهو العزرمي، عن طلحة بن مصرف، عن عبد الرحمن بن عوسجة عنه. ورواه الطبراني في الأوسط من رواية موسى بن عثمان الحضرمي عن أبي إسحاق عنه، وعن زيد بن أرقم أيضاً وقد تقدم. وحديث أبي موسى الأشعري رواه الطبراني من رواية خالد بنَ نافع عن سعيد بن أبي بردة عنه. وحديث معاذ بن جبل رواه الطبراني في الأوسط، والخطيب في التاريخ من رواية عبدالله بن سلمة عنه. ورواه ابن الشخير من رواية خصيب بن جحدر عن النعمان بن نعيم، عن عبد الرحمن بن غنم عنه. وحديث عمرو بن مرة الجهني رواه الطبراني من رواية الهيثم بن عدي عن الضحاك بن زميل السكسكي، عن أبي أسماء السكسكي عنه. وحديث نبيط بن شريط رواه الطبراني في الصغير، عن أحمد بن إسحاق ابن إبراهيم بن نبيط بن شريط عن أبيه عن أبيه نبيط. وحديث عمار بن ياسر رواه الخطيب في التاريخ من رواية علي بن الحزور، عن أبي مريم قال: سمعت عمار بن ياسر يقول لأبي موسى: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «من كذب علي» الحديث. ورواه أبو يعلى والطبراني بلفظ ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول: وحديث عمرو بن عبسة رواه الطبراني من رواية محمد بن أبي النوار، عن بريد بن أبي مريم، عن عدي بن أرطأة عنه. وحديث عمرو بن حريث رواه الطبراني من رواية عبد الكريم بن أبي المخارق عن عامر بن عبد الواحد عنه وزاد فيه: «ليضل به». وحديث ابن عباس رواه الطبراني من رواية عبد الأعلى الثعلبي، عن سعيد بن جبير عنه. وحديث عتبة بن غزوان رواه الطبراني من رواية غزوان بن عتبة عن أبيه. وحديث العرس بن عميرة رواه الطبراني والبزار وابن عدي في مقدمة الكامل من رواية يحيى بن زهدم عن أبيه زهدم بن الحرث عنه، وقيل: يحيى عن أبيه عن جده عنه. وحديث يعلى بن مرة رواه الدارمي في مسنده، والطبراني وابن عدي من رواية عمرو بن عبدالله بن يعلى بن مرة عن أبيه عن جده. وحديث طارق بن أشيم والد أبي مالك الأشجعي رواه البغوي والطبراني في معجمي الصحابة من رواية خلف بن خليفة عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه طارق بن أشيم وإسناده صحيح. وحديث سليمان بن خالد الخزاعي رواه الطبراني من رواية عبدالله بن محمد بن الحنفية عنه. وحديث صهيب بن سنان رواه أبو يعلى والطبراني من رواية عمرو بن دينار عن بعض ولد صهيب عنه، ورواه أبو بكر بن الشخير في كتاب العلم من رواية الدفاع بن دغفل عن عبد الرحمن بن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده. وحديث السائب بن يزيد رواه الطبراني من رواية محمد بن يوسف عنه. وحديث أبي أمامة الباهلي رواه الطبراني من رواية شهر بن حوشب عنه بلفظ: «من حدث عني حديثاً كذباً متعمداً». ورواه أيضاً من رواية محمد بن الفضل بن عطية عن الأحوص بن حكيم عن مكحول عنه بلفظ «مقعده بين عيني جهنم». وحديث أبي قرصافة واسمه جندرة بن خيثنة رواه الطبراني من رواية عزة بنت عياض عنه بلفظ: «من كذب علي» أو قال: «على غير ما قلت بني له بيت في جهنم». وحديث رافع بن خديج رواه الطبراني من رواية أبي مدرك عن عباية بن رفاعة عنه بلفظ:

....

« وليتبوأ من كذب علي مقعده من جهنم ». وحديث أوس بن أوس الثقفي رواه الطبراني من رواية إسماعيل بن عياش، عن عبدالله بن محيريز عنه بلفظ: « من كذب على نبيه لم يرح رائحة الجنة ». وحديث حذيفة بن اليمان رواه الطبراني من رواية أبي بلال الأشعري، حدثنا شريك، عن منصور، عن ربعي عنه. ورواه أبو نعيم من رواية أبي عمار عن عمرو بن شرحبيل عنه. وحديث أبي ميمون الكردي واسمه جابان رواه الطبراني في الأوسط من رواية أبي خلوة عن ميمون الكردي عن أبيه وإسناده حسن. وحديث بريدة بن الخصيب رواه أبو يعلى وابن عدي في مقدمة الكامل من رواية صالح بن حيان عن أبي بريدة عن أبيه. وحديث سعد بن الدحاس رواه الطبراني من رواية ابن عائذ عنه، ورواه ابن منده أيضاً في الصحابة. وحديث عمرو بن عون المزني رواه ابن الشخير من رواية الفضل بن عطية عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عون عن أبيه عن جده. وحديث المنقع التميمي رواه البخاري في التاريخ الكبير من رواية سيف بن هارون سمع عصمة بن بشر سمع المقرع سمع المنقع. وحديث عبدالله بن عمر رواه أحمد، والبزار، والطبراني من رواية أبي بكر بن سالم عن أبيه عن جده، ورواه أبو بكر بن الشخير في كتاب العلم من رواية جابر بن نوح عن عبيدالله بن عمر، عن نافع عنه. وحديث أبي كبشة الأنماري رواه محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا عمرو بن مالك، حدثنا جارية بن هرم، حدثنا عبدالله بن بشر الجراني سمعت أبا كبشة وقد اختلف فيه على جارية مع ضعفه فقيل: هكذا وقيل: عن أبي كبشة عن أبي بكر وقد تقدم. وحديث أبي رافع مولى رسول الله ﷺ رواه ابن الشخير من رواية عاصم بن عبيدالله، عن عبدالله بن رافع، عن أبيه. وحديث واثلة بن الأسقع رواه الطبراني من رواية ابنته خصلة عنه بلفظ: « إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل عليّ ما لم أقل ». وحديث أبي الحمراء رواه ابن الشخير من رواية نفيع بن داود عنه. وحديث أسامة بن زيد رواه الطبراني من رواية علي بن ثابت الجزري عن الوازع بن نافع عن أبي سلمة عنه بلفظ: « من قال علي ما لم أقل ». وحديث معاوية ابن حيدة رواه أبو بكر بن المقري من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. وحديث عبدالله بن الزبير رواه الدارقطني من رواية الزبير بن خبيب عن أبيه عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه. وحديث أبي عبيدة بن الجراح رواه الخطيب من رواية ميسرة بن مسروق العبسي عنه، ورواه ابن الشخير من رواية أبي عبيدة بن فلان عنه. وحديث سلمان الفارسي رواه الطبراني من رواية هلال الوزان عن سعيد بن المسيب عنه. ورواه الخطيب في التاريخ من رواية أبي البحتري عنه. وحديث أبي ذر الغفاري رواه المحاملي من رواية عبد الرحمن ابن عمرو بن نضلة القسري عن أبيه عن جده عنه. وحديث حذيفة بن أسيد رواه ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات من طريق عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي، حدثنا المثنى بن سعيد، عن قتادة، عن أبي الطفيل عنه. وحديث عبدالله بن أوفى رواه ابن الجوزي أيضاً من طريق ابن قانع، حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، حدثنا سالم بن قادم، حدثنا علي بن إبراهيم، عن فائد بن أبي العوام عنه. وحديث أبي رمثة البلوي رواه الدارقطني في الإفراد من رواية موسى بن إسماعيل،

....

عن حماد بن سالم، عن عاصم بن عبيدالله. وحديث يزيد بن أسد القسري رواه الخطيب من رواية خالد بن يحيى بن سعيد بن خالد بن عبيدالله بن يزيد بن أسد القسري عن أبيه عن جده يزيد ابن أسد. وحديث عفان بن حبيب رواه الحاكم في تاريخ نيسابور من رواية ابنه داود ابن عفان عنه، وقال في عفان أنه كان ورد نيسابور مع عبدالله بن عامر. وحديث عائشة رواه ابن الشخير من رواية حصين الدمشقي عن أبي سلمة عنها. وحديث أم أيمن رواه الدارقطني من رواية بشر ابن عاصم عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عنها. وحديث سفينة رواه ابن المقري من رواية بريدة بـن عمر بن سفينة عن أبيه عن جده. وحديث زيد بن ثابت رواه ابن الشخير من رواية الفضل بن عبدالله الفارسي عن محمد بن جابر عن ابن المنكدر عنه. وحديث كعب بن قطبة رواه أبو نعيم من رواية علي بن ربيعة عنه. وحديث جابر بن عابس ويقال حابس العبدي رواه ابن منده في معرفة الصحابة من رواية حصين بن حبيب عن أبيه عنه بلفظ: « من قال علي ما لم أقل ». ورواه أبو نعيم فقال حصين بن عمير عن أبيه عن جابر بن عابس بالعين. وحديث عبدالله بن زغب رواه أبو نعيم من رواية عبد الرحمن بن عائذ عنه. وحديث والد أبي العشراء رواه تمام في جزء له جمع فيه حديث أبي العشراء من رواية أبي عمير الضرير، حدثنا حماد ابن سلمة، عن أبي العشراء الدارمي عن أبيه، واسمه مالك بن قهطم على المشهور، وقد روي الحديث أيضاً عن النعمان بن بشير، والعباس بن عبد المطلب، وغزوان، ومالك بن عتاهية. وذكر ابن منده في مستخرجه أنه ورد أيضاً من رواية سمرة بن جندب، والنواس بن سمعان، وعبدالله بن الحرث ابن جزء، وعبدالله بن جعفر الهاشمي، وعبدالله بن جراد، وأبي بن كعب، وسليمان بن صرد، وعمرو بن الحق، وعمرو بن العاصي، وجندب بن عبدالله، وجهجاه الغفاري، وسبرة ومرة البهزي وسنجرة، وأبي أسيد وأبي أيوب، وحفصة بنت عمر، وخولة بنت حكيم.

وذكر ابن الجوزي في نسخة الموضوعات الأولى. رواه أحد وستون من الصحابة وقال في النسخة الثانية وهي أطول من الأولى رواه ثمانية وتسعون من الصحابة.

قال العراقي: وحكى النووي في شرح مسلم عن بعضهم انه رواه مائتان من الصحابة.

قلت: وقد روي أيضاً من حديث الرجل الذي من أسلم رواه الطبراني، وقد تقدم في ترجمة سليمان بن خالد الخزاعي وفي أوّله قصة هي سبب للحديث، وحديث الرجل الآخر الذي لم يسم رواه أحمد من رواية عمرو بن مرة عنه، والظاهر أنه ابن مسعود وقد تقدم، وحديث الآخر الذي لم يسم رواه ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات من رواية خالد بن دريك عنه، وفيه عن رجل آخر لم يسم بلفظ آخر من رواية عبد الأعلى بن هلال الحمصي عنه، وبمجموع من ذكر يبلغ العدد إلى قريب من المائة.

الألفاظ أطم وأعظم لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ، وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من

قال ابن الجوزي في الموضوعات بإسناده إلى أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الوهاب الاسفرايني: ليس في الدنيا حديث اجتمع عليه العشرة غير هذا الحديث.

قلت: وهذا قد ردّه العراقي فقال: ليس كذلك فقد ذكر الحاكم والبيهقي في حديث رفع اليدين في الصلاة رواه العشرة وقال إنه ليس حديث رواه العشرة غيره. وذكر أبو القاسم بن منده أن حديث المسح على الخفين رواه العشرة أيضاً اهـ.

ثم قال ابن الجوزي: ما وقعت لي رواية عبد الرحمن بن عوف إلى الآن اهـ.

قلت: قال العراقي حديث عبد الرحمن بن عوف رويناه من رواية ابنه ابراهيم عنه. وفي إسناده أحمد بن منصور الشيرازي أحد الحفاظ إلاّ أن الدارقطني رماه بأنه كان يدخل على الشيوخ أحاديث بمصر اهـ.

قلت: أورده الذهبي في الميزان ولفظه: أدخل عليّ جماعة من الشيوخ بمصر وأنابها وكان يتقرب إليّ ويكتب إليّ كتباً. وهكذا ذكره في ديوان الضعفاء. قال السيوطي في تحذير الخوّاص: لا أعلم شيئاً من الكبائر قال أحد من أهل السنّة بتكفير مرتكبه إلّا الكذب على رسول الله ﷺ، فإن الشيخ أبا محمد الجويني من أصحابنا وهو والد إمام الحرمين قال: إن من تعمد الكذب عليه ﷺ يكفر كفراً يخرجه عن الملة. وتبعه على ذلك طائفة منهم. الإمام ناصر الدين بن المنير من أئمة المالكية، وهذا يدل على أنه أكبر الكبائر لأنه لا شيء من الكبائر يقتضي الكفر عند أحد من أهل السنة اهـ.

وقال ابن الصلاح في علوم الحديث: لا تحل رواية الحديث الموضوع لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مقروناً ببيان وضعه بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التي يحتمل صدقها في الباطن حيث جاز روايتها في الترغيب وقال بعد ذلك: يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد، ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الحديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال اهـ.

قال السيوطي: وقد أطبق على ذلك علماء الحديث فجزموا بأنه لا يحل رواية الحديث الموضوع في أي معنى كان إلا مقروناً ببيان وضعه بخلاف الضعيف، فإنه يجوز روايته في غير الأحكام والعقائد، وممن جزم بذلك الشيخ النووي في الارشاد والتقريب، والبدر بن جماعة في المنهل الروي، والطيبي في الخلاصة، والسراج البلقيني في محاسن الاصطلاح، والزين العراقي في ألفيته وشرحها. **(بل الشر في تأويل هذه الألفاظ)** وصرفها عن ظواهرها **(أطم)** أي أزيد وأكثر **(وأعظم لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ)** أي للوثوق بها، **(وقاطعة طريق الاستفادة والفهم**

القرآن بالكلية، فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودة إلى المذمومة فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامي، فإن اتبعت هؤلاء اعتماداً على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيماً، فإن إسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم في هذا العصر، وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ.

(اللفظ الخامس): وهو الحكمة، فإن اسم الحكم صار يطلق على الطبيب والشاعر

من القرآن بالكلية)، وإذا تأملت ما ذكرنا **(فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق)** جمع داعية وهو ما يدعو الإنسان إلى الشيء **(عن العلوم المحمودة إلى)** العلوم **(المذمومة، وكل ذلك بتلبيس علماء السوء)** وتخليطهم الحق بالباطل **(بتبديل الأسامي)** وتفسيرها، **(فإن تبعت هؤلاء)** وسلكت سننهم **(اعتماداً على الإسم المشهور)** عندهم **(من غير التفات إلي ما عرف في العصر الأوّل)** ونهجه أهل الطريق الاعدل **(كنت كمن طلب الشرف بالحكمة)** الإلهية **(باتباع من يسمى حكيماً فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم في هذا العصر، وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ.**

اللفظ الخامس، وهو الحكمة) إعلم أن لها تعريفاً عند أهل الشرع من الفقهاء، وتعريفاً عند أهل الحقيقة، وتعريفاً عند الحكماء.

فتعريفها عند الفقهاء قالوا: جاءت بإزاء معان كثيرة، فمنها النبوّة قال تعالى: ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾ [البقرة: ٢٥١]، قيل النبوة على المشهور. ومنها السنّة كما في قوله تعالى: ﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ [البقرة: ١٥١] على أحد الأقوال. وقيل المراد علوم القرآن، وعلى هذا هو نظير قوله تعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ [البقرة: ٢٦٩] على أحد الأقوال ومنها الموعظة كما في قوله تعالى: ﴿حكمة بالغة﴾ [القمر: ٥] ومنها الفهم المصيب كما في قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ [لقمان: ١٢] وهي تنقسم إلى قولية وفعلية، ولما أراد الله سبحانه أن يعرفنا كمال حكمته القولية ابتدأ سورة لقمان بقوله: ﴿آلم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ ناصاً بذلك على الحكمة القولية وأدرج في أثنائها ما يدل بالتصريح والتلويح على كمال الحكمة الفعلية، وبسط سبحانه عقب كل من الأمرين ما هو كالدليل على المذكور وكالشرح والبيان لمجمله فقال سبحانه عقب الجملة الأولى الدالة على الحكمة القولية ﴿هدى ورحمة للمحسنين ★ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة يوقنون ★ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ [لقمان: ٣ ـ ٥]، وهذا تقرير الاستدلال على كمال حكمته سبحانه في وصفي الحكمة القولية والفعلية. والحكيم من وضع الأشياء مواضعها.

وأما تعريفها عند أهل الحقيقة؛ فإنها تطلق عندهم على حقائق حكم سنية. **الأولى:** الحكمة المطلقة وهي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه من حيث هي هي. **الثانية:** الحكمة المنطوق بها

والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في شوارع الطرق، والحكمة هي التي أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى: ﴿يؤتي الحكمة مَن يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وقال ﷺ: «كلمة من الحكمة يتعلّمها الرجل خير

وهي العلوم الشرعية. **الثالثة:** الحكمة المسكوت عنها وهي أسرار الحقيقة. **الرابعة:** الحكمة المجردة وهي ما خفي علينا وجه الحكمة في إيجاده كإيلام بعض العباد وموت الأطفال والخلود في النار. **والخامسة:** الحكمة الجامعة وهي معرفة الحق والعمل به ومعرفة الباطل والاجتناب عنه.

وأما في اصطلاح الحكماء صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه وما عليه الواجب مما ينبغي أن يكتسب تعلمه لتشرف بذلك نفسه ويكمل ويصير عالماً فضولاً مضاهياً للعالم الموجود ويستعد للسعادة القصوى الأخروية، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية وهي قسمان، نظري وعملي مجرد. فالقسم النظري؛ هو الذي الغاية فيه الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا تتعلق وجوداتها بفعل الإنسان، ولكن المقصود حصول رأي فقط مثل علم التوحيد وعلم الهيئة. والقسم العملي: هو الذي ليس الغاية منه حصول الاعتقاد اليقيني بالموجودات فقط، وإنما يكون المقصود منه حصول رأي في أمر يحصل بالكسب ليكتسب ما هو الخير منه، فغاية النظري اعتقاد الحق وغاية العملي فعل الخير كل ذلك ذكره شيخ مشايخنا أبو الحسن الطولوني في أماليه على البخاري، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمة تاريخه تعريف الحكمة، وقسمها إلى العلمية والعملية والنظرية، وقسم كلاً منها إلى أقسام وذكر حكمة الإشراق والمشاءين وغير ذلك نقل ذلك كله يخرجنا عن المقصود، فمن أراد الزيادة فليراجع كتابه.

(**فإن اسم الحكيم صار يطلق**) الآن (**على الطبيب**) الماهر إذ الطب من جلة الصناعة النظرية (**والشاعر والمنجم**)، وكل هؤلاء من أقسام الفلسفة كما تقدم (**حتى على الذي يدحرج القرعة**) ويلقيها (**على أكف السوادية**) وهم الأكارون نسبوا إلى سواد الأرض وريفها لملازمتهم له (**في شوارع الطرق**) أي أسواقها، (**والحكمة**) في الحقيقة (**هي التي أثنى الله عز وجل عليها**) في كتابه العزيز على لسان نبيه ﷺ (**فقال: ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً**) وقد تقدم أن المراد بها علوم القرآن والسنّة أو الفهم المصيب والفطنة أو غير ذلك. قال صاحب القوت: النور إذا جعل في الصدر انشرح القلب بالعم ونظر باليقين فنطق اللسان بحقيقة البيان كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ [ص: ٢٠] أي الإصابة في القول فكأنه يوفقه للحقيقة عنده فحسن التوفيق والإصابة في العلم مواهب من الله عز وجل واثرة يخص بها من يشاء من عباده.

(**وقال ﷺ: «كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها»**) قال العراقي: تقدم بنحوه اهـ. وكأنه يشير إلى ما ذكره المصنف أولاً باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها، وذكر أنه موقوف على الحسن البصري أو إلى حديث كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة، وذكر أنه من مراسيل زيد بن أسلم،

له من الدنيا وما فيها». فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه، وإلى ماذا نقل، وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء، فإن شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين. إذ الشيطان بواسطتهم يتذرع إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق، ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ عن شر الخلق أبى وقال: «اللهم غفراً» حتى كرروا عليه فقال: «هم علماء السوء»، فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس وإليك الخيرة في أن تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور،

وقد أخرج الديلمي، عن أبي هريرة: كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة وسنده ضعيف. (**فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه**) في العصر الأول (**وإلى ماذا نقل**) الآن، (**وقس به بقية الألفاظ**) التي لم تذكر (**واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء**) وارهاصاتهم، (**فإن شرهم أعظم على الدين من شر الشياطين إذ الشيطان بواسطتهم**) أي بواسطة علماء السوء (**يتذرع**) أي يتخذ ذريعة أي وسيلة (**إلى انتزاع الدين**) وسلبه (**من قلوب الخلق**) أجمعين، (**ولهذا لما سئل ﷺ عن شر الخلق أبى**) أي امتنع من الجواب (**وقال: «اللهم غفراً»**) منصوب بفعل محذوف على أنه مفعول مطلق (**حتى كرر عليه**) في السؤال، (**ثم قال**) عليه السلام (**«هم علماء السوء»**). قال العراقي: أخرجه الدارمي بنحوه من حديث الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلاً وهو ضعيف، ورواه البزار في مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف اهـ.

قلت: قال الدارمي في مسنده: حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا بقية، عن الأحواص بن حكيم، عن أبيه قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشر فقال: «لا تسألوني عن الشر واسألوني عن الخير» يقولها ثلاثاً. ثم قال: «إلا إن شر الشر شرار العلماء، وإن خير الخير خيار العلماء» وأحوص بن حكيم حمصي رأى أنساً وسمع خالد بن معدان وطاوساً وعنه بقية ومحمد بن حرب وعدة ضعيف. كذا في الكاشف للذهبي، وأشار عليه لابن ماجه، وأما أبوه فهو حكيم بن عمير العنسي الحمصي روى عن عمر وثوبان. وعنه ابنه أحوص ومعاوية بن صالح صدوق.

وأما حديث معاذ فقد أخرجه صاحب الحلية فقال: حدثنا أحمد بن يعقوب بن المهرجان، حدثنا الحسن بن محمد بن نصر، حدثنا محمد بن عثمان العقيلي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطغاوي، حدثنا الخليل بن مرة، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن مالك بن يخامر، عن معاذ بن جبل قال: تصديت لرسول الله ﷺ، وهو يطوف فقلت: يا رسول الله، أرنا شر الناس. فقال: «سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر. شرار الناس شرار العلماء في الناس». ورواه البزار من رواية الخليل بن مرة وفيه تعرضت أو قال تصديت، وفيه وهو يطوف بالبيت، وفيه أي الناس شر، وفيه: اللهم غفراً سل عن الخير ولا تسأل عن الشر، والباقي سواء. والخليل بن مرة ضعيف. (**فقد عرفت العلم المحمود والمذموم**) وعرفت (**مثار الالتباس**) أي ما يوثر

وتتشبه بالخلف، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس، وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث، وقد صح قول رسول الله ﷺ: « بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء ». فقيل ومن الغرباء؟ قال: « الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي والذين يحيون ما أماتوه من سنتي ». وفي خبر آخر: « هم المتمسكون بما أنتم

به الاختلاط **(وإليك الخيرة)** أي الاختيار **(في أن تنظر لنفسك)**، وفي بعض النسخ بعد قوله: مثار الالتباس والشك والحيرة، فانظر الآن أترى خيراً لنفسك **(فتقتدي بالسلف)** الصالحين **(أو تتدلى)** أي تنزل إلى أسفل متمسكاً **(بحبل الغرور)** أي الاغترار بما يوهمك إعجاباً **(وتتشبه بالخلف)** المتأخرين **(فكل ما ارتضاه السلف من العلوم)** الجليلة **(قد اندرس)** أثرها وعفا، **(وما أكب الناس عليه)** مشتغلين بتحصيله **(فأكثره)** في الحقيقة **(مبتدع محدث)** لم يكن يعرف فيما سلف.

قال صاحب القوت: اعلم أن العلوم تسعة، أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين، وخمسة محدثة لم تكن تعرف فيما سلف، فأما الأربعة المعروفة، فعلم الايمان، وعلم القرآن، وعلم السنن، والآثار وعلم الفتاوى والأحكام. وأما الخمسة المحدثة؛ فالنحو والعروض وعلم المقاييس والجدل في الفقه وعلم المعقول بالنظر وعلم علل الحديث وتطريق الطرقات إليه وتعليل الضعفاء وتضعيف النقلة للآثار، فهذا العلم من المحدث إلا أنه علم لأهله يسمعه أصحابه منهم اهـ.

(وقد صح قول رسول الله ﷺ: « بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء ») هكذا رواه مسلم وابن ماجه من رواية يزيد بن كيسان عن حازم عن أبي هريرة، ورواه مسلم من رواية عاصم بن محمد العمري، عن أبيه، عن ابن عمر بلفظ: « إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى حجرها »، وقال فيه البزار: فطوبى للغرباء. وروى الطبراني من رواية عيسى بن ميمون، عن عون بن شداد، عن أبي عثمان، عن سلمان مختصراً هكذا في قوله: كما بدأ. وروي في الأوسط من رواية عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري مثله إلى قوله: فطوبى للغرباء. وروى ابن ماجه من رواية سنان بن سعد عن أنس هكذا مختصراً.

وقال السخاوي في المقاصد؛ وأخرج البيهقي في الشعب من حدث شريح بن عبيد مرسلاً وفيه زيادة وهي: « الا إنه لا غربة على مؤمن من مات في أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض ». **(فقيل: ومن الغرباء؟ قال: « الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي والذين يحيون ما أماتوه من سنتي »)** رويت هذه الزيادة من طرق. فأخرج الترمذي من رواية كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رفعه، فذكر الحديث وفيه: « إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي » وقال: هذا حديث حسن.

عليه اليوم» وفي حديث آخر: «الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير، مَن يبغضهم في الخلق أكثر ممن يحبهم». وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك

وروى عبدالله بن أحمد في زيادات المسند، والطبراني في الكبير من رواية إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة عن يوسف بن سليمان، عن جدته ميمونة، عن عبدالرحمن بن سنة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «بدأ الإسلام غريباً ثم يعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء». قيل: يا رسول الله؛ ومن الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس».

وأخرج الطبراني في معاجيمه الثلاثة من رواية بكر بن سليم الصواف، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي رفعه: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء». قالوا: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون عند فساد الناس».

وأخرج أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب صفة الغرباء والطبراني في الكبير من رواية عبدالله بن يزيد بن آدم الدمشقي، عن أبي الدرداء، وأبي أمامة، وواثلة وأنس رفعوه وفيه فقالوا: ومَن الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس».

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، والبزار في مسانيدهم من رواية أبي صخر، عن أبي حازم عن ابن سعد قال؛ وأحسبه عامر بن سعد. وقال أحمد وأبو يعلى سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الإيمان بدأ غريباً وسيعود» قال أحمد: غريباً ثم اتفقوا «كما بدأ فطوبى للغرباء يومئذ إذا فسد الناس» ولم يقل البزار يومئذ الخ. وقد عرف بمجموع ما سقناه أن قول المصنف والذين يحيون إلخ ليس في سياقهم للحديث المذكور ونظر المصنف أوسع.

وأخرج الترمذي، وابن ماجه من رواية أبي إسحاق عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود رفعه: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً». زاد الترمذي: «كما بدأ» ثم اتفقا «فطوبى للغرباء» زاد ابن ماجه قال قيل: ومن الغرباء؟ قال: «النزاع من القبائل» قال الترمذي: حسن صحيح غريب، أي الذين نزعوا عن أهلهم وعترتهم. قيل: وهم أصحاب الحديث فإن هذا المعنى صادق عليهم. قال المناوي: هو تخصيص بغير مخصص. وفي الباب عن عبدالله بن عمرو وأبي موسى الأشعري. **(وفي خبر آخر: «المتمسكون بما أنتم عليه اليوم»)** أي ورد ذلك في تفسير الغرباء المذكور في الحديث المتقدم. قال العراقي: لم أقف له على اسناد إلا أن في أثناء حديث أبي الدرداء وأبي امامة وواثلة وأنس، وفيما أخرجه الطبراني في الكبير، وأبو بكر الآجري في كتاب صفة الغرباء ذكر افتراق الأمم كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم. قالوا: ما السواد الأعظم؟ قال: «من كان على ما أنا عليه وأصحابي» الحديث اهـ.

قلت: وبه يصح حملهم على أهل الحديث كما لا يخفى.

(وفي حديث آخر: «الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم أكثر ممن يحبهم») قال العراقي: رواه أحمد في مسنده، قال: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة،

قال الثوري رحمه الله: إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم انه مخلط، لأنه إن نطق بالحق أبغضوه.

(بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة)

اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام: قسم هو مذموم قليله وكثيره، وقسم هو محمود قليله وكثيره، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل، وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما

حدثنا الحرث بن يزيد، عن جندب بن عبدالله أنه سمع سفيان بن عوف يقول: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يقول، قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: «طوبى للغرباء» فقيل؛ من الغرباء يا رسول الله؟ قال: «أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» وابن لهيعة مختلف فيه اهـ.

قلت: وهكذا أخرجه السيوطي في الجامع الكبير، عن ابن عمرو، وعزاه لأحمد بلفظ: «طوبى للغرباء أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم». **(وقد صارت تلك العلوم)** المشار إليها **(غريبة)** عن أهلها **(بحيث يمقت)** أي يبغض **(ذاكرها)** بينهم، **(ولذلك قال)** سفيان بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط)** هكذا نقله صاحب القوت عنه. زاد المصنف **(لأنه إذا نطق بالحق أبغضوه)**.

قال ابن الجوزي في ترجمة سفيان بسنده إلى سليمان بن داود، حدثنا يحيى بن المتوكل، سمعت سفيان الثوري يقول: إذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون فهو رجل سوء. قيل: كيف ذلك؟ قال: يراهم يعملون بالمعاصي فلا يغير عليهم ويلقاهم بوجه طلق.

وقال فضيل بن عياض: سمعت سفيان يقول: إذا رأيت القارىء محبباً إلى اخوانه محموداً في جيرانه، فاعلم أنه مداهن. وفي القوت، وقال أيضاً: إذا رأيت الرجل محبباً إلى اخوانه محموداً في جيرانه فاعلم أنه مراء. وفي تاريخ الذهبي قبيصة عن سفيان قال: كثرة الاخوان من سخافة الدين.

(بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة):

(اعلم أن العلم بهذا الاعتبار) الذي عرفته ينقسم على **(ثلاثة أقسام)** منها: **(قسم هو مذموم قليله وكثيره)** وقد ذكر ابن ساعد في إرشاد القاصد أن العلم من حيث هو علم ليس بمذموم، وإنما ذمه لعدم اعتبار الشروط التي تجب مراعاتها في العلم والعلماء، فإن لكل علم حداً لا يجاوز، ولكل عالم ناموس لا يخل به. **(قسم هو محمود قليله وكثيره)** نظراً إلى موضوعه وغاياته **(و)** هذا القسم **(كل ما كان أكثر كان أحسن وأفضل)** فإن ما حمدت عواقبه فالكثرة منه فضيلة حسنة. **(و)** منها **(قسم يحمد منه مقدار الكفاية)** لا غير **(ولا يحمد**

يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال، ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق، ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال، فإن التبذير لا يحمد فيه وهو بذل، وكالشجاعة فإن التهوّر لا يحمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة، فكذلك العلم.

فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم، فبعضه لا فائدة فيه أصلاً، وصرف العمر الذي هو أنفس ما يملكه الإنسان إليه إضاعة، وإضاعة النفيس مذمومة. ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطرٍ في الدنيا، فإن ذلك لا يعتد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه.

الفاضل) أي الزائد **(عليه)** ولا يحمد **(الاستقصاء فيه)** أي بذل الجهد لتحصيله على أقصى مراتب الكمال، **(وهو)** هذه الأقسام الثلاثة مثلها **(مثل أحوال البدن)** من الإنسان **(فإن منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال)**. قال صاحب المصباح: الصحة في البدن حالة طبيعية تجري أفعاله معها على المجرى الطبيعي اهـ. والجمال رقة الحسن ذكره سيبويه. وقال الراغب: هو الحسن الكثير، **(و)** منه **(ما يذم قليله وكثيره كالقبح)** أي قبح الصورة **(وسوء الخلق)** فإنهما مذمومان كذلك، فالقبح ذمه نظراً إلى الظاهر وسوء الخلق نظراً إلى الباطن كما أن الجمال محمود مطلقاً نظراً إلى الظاهر وهو يقتضي غالباً حسن الخلق وصحة البدن نظراً إلى الباطن، **(ومنه ما يحمد الاقتصاد)** أي التوسط. **(فيه كبذل المال)** أي صرفه، **(فإن التبذير)** وهو بذله في غير موضعه **(لا يحمد فيه)** أي في المال **(وهو بذل)** في الجملة، **(وكالشجاعة)** وهي هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها، **(فإن التهور)** وهو الوقوع في أمر بقلة مبالاة وفكر **(لا يحمد)** لكونه على غير بصيرة فيه **(وإن كان من جنس الشجاعة)**، وقال بعض: الشجاعة ما بين التهور والجبن، **(فكذلك العلم)** فإن القدر المذموم منه ولو كان من جنسه إلا أنه لا يحمد.

(فالقسم المذموم قليله وكثيره ما لا فائدة فيه) ولا عاقبة حميدة **(في دين ولا دنيا إذ فيه ضرر)** إما بصاحبه أو بغيره **(يغلب نفعه كعلم الطلسمات والسحر والنجوم)** والكيمياء والسيمياء والشعبذة وما أشبهها، **(فبعضه لا فائدة فيه أصلاً وصرف العمر الذي هو أنفس ما يملكه الإنسان إليه)** أي إلى تحصيل مثله **(إضاعة)** له وقالوا: الوقت سيف إن لم تقطعه في الخير قطعك، **(وإضاعة النفائس مذمومة)** عند أهل الحق، **(ومنه ما فيه ضرر يزيد)** ويظهر **(على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر)** أي حاجة أو نفع **(في الدنيا فإن ذلك لا يعتد به)** ولا يعتبر **(بالإضافة)** أي بالنسبة **(إلى الضرر الحاصل منه)**. قال ابن ساعد: ومن الوجوه الموهمة كون العلم ضاراً أن يظن بالعلم فوق غايته، أو فوق مرتبته، أو أن يقصد بالعلم غير غايته وأن يتعاطاه من ليس من اكفائه.

وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله، وسنّته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب، فإنه البحر الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم، وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم

(**وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء، فهو العلم بالله سبحانه وبصفاته وأفعاله وسننه في خلقه وترتيب الآخرة على الدنيا**)، وهو علم اليقين والمعرفة والتبصر في فقه القلوب، وكان سهل يقول: العلم ثلاثة. علم بالله، وعلم لله، وعلم بحكم الله. أشار بالأول إلى علم اليقين، وبالثاني الى علم الإخلاص والأحوال والمعاملات، وبالثالث إلى تفصيل الحلال والحرام، (**فإن هذا علم مطلوب لذاته**) لشرف موضوعه وأشار إلى سرّ غايته بقوله. (**وللتوصل إلى سعادة الآخرة**) الباقية (**وبذل المقدور**) أي صرفه (**فيه**) أي في تحصيله (**إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب، فإنه البحر**) الزاخر (**الذي لا يدرك**) آخره ولا يسبر (**غوره وإنما يحوم**) أي يدور ويطوف (**المحومون**). وفي نسخة: الحائمون. يقال: حام على الماء إذا ورده، وكذلك حوّم (**على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم، وما خاض أطرافه**) المنتهية (**إلا الأنبياء**) صلوات الله عليهم وسلامه (**والأولياء**) في عباده الصالحين (**والراسخون في العلم**).

قال أبو يزيد البسطامي خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله. قال أبو العباس المرسي: إنما يشكو بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض. أي: فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا. قال ابن عطاء الله: وهذا الذي فسّر به الشيخ كلام أبي يزيد هو اللائق بمقام أبي يزيد، فإن المشهور عنه التعظيم لمراسم الشريعة والقيام بكمال الأدب، ثم ان هذه العبارة التي ذكرها المصنف من ذكر الأولياء بعد الأنبياء وتقديمهم على العلماء الراسخين سيأتي نظيرها في ذكر معرفة الله والعلم به أن الرتبة العليا في ذلك للأنبياء، ثم للأولياء العارفين، ثم للعلماء الراسخين، ثم للصالحين، فقدم الأولياء على العلماء وفضلهم عليهم، وقد سئل عن ذلك العز بن عبد السلام هل هو صحيح أم لا ؟ فأجاب: لا يشك عاقل أن العارفين بما يجب لله من أوصاف الجلال ونعوت الكمال أفضل من العارفين بالأحكام، فإن العارفين بالله أفضل من أهل الفروع والأصول، وكيف يسوي بين العارفين والفقهاء والعارفون أفضل الخلق وأتقاهم لله سبحانه، وأما قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨]، فإنما أراد العارفين به وبصفاته وأفعاله دون العارفين بأحكامه، ولا يجوز حمل ذلك على علماء الأحكام، لأن الغالب عليهم عدم الخشية وخبر الله تعالى صدق، ولا يحمل إلا على من عرفه وخشيه هذا حاصل ما قاله في الجواب

على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوّتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم، وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب، ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة، كما سيأتي علامتهم هذا في أوّل الأمر ويعين عليه في الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد، ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد، فالمجاهدة مفتاح الهداية، لا مفتاح لها سواها.

(على اختلاف درجاتهم) عند الله تعالى **(بحسب اختلاف قربهم)** منه سبحانه **(وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم، وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب)** وهو المشار إليه في الحديث المتقدم إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله» الحديث. وهذا من جملة المواضع التي أنكر عليه أبو عبدالله المازري وغيره من المالكية وتقدم الجواب عنه في مقدمة الكتاب **(ويعين على التنبه له)** والتفطن لأسراره **(التعلم)** من أهله بشروطه **(ومشاهدة أحوال علماء الآخرة)**. قال صاحب القوت: وكان ذو النون يقول اجلس إلى من تعلمك أفعاله ولا تجلس إلى من يخاطبك مقاله، وقد كان طائفة يصحبون كثيراً من أهل المعرفة للتأدب والنظر إلى هديهم وأخلاقهم، وإن لم يكونوا علماء لأن التأدب يكون بالأفعال، والتعلم يكون بالمقال. **(هذا في أول الأمر)** وابتدائه حين شروعه في السلوك **(ويعين عليه في الآخر)** أي آخر الأمر **(المجاهدة)** في النفس **(والرياضة)** الشرعية بمنعها عن كل ما تميل إليه من المباحات **(وتصفية القلب)** عن الأوصاف الذميمة **(وتفريغه)** أي تخليته **(عن علائق الدنيا)** وشواغلها الصارفة عن الحضور مع الله تعالى **(والتشبه فيه)**. وفي نسخة: فيها **(بأنبياء الله تعالى وأوليائه)** والصالحين من أخصائه **(ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه)** أي مطلوبه **(بقدر الرزق)** أي بقدر ما رزقه الله تعالى ويسّر له في نصيبه من الأزل **(لا بقدر الجهد)** والاستطاعة، **(ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد)** وبذل الوسع **(فالمجاهدة مفتاح الهداية)** قال الله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] **(لا مفتاح لها)** أي لا بواب الهداية الربانية **(سواها)** أي سوى المجاهدة، ولنذكر هنا ما يتعلق بالمجاهدة والجهاد ونبين مراتب ذلك ليكون السالك على بصيرة.

قال ابن القيم في الهدي النبوي: الجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين. فجهاد النفس؛ أربع مراتب أيضاً، **إحداها:** أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح له ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين. **الثانية:** أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها. **الثالثة:** أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه لمن لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله. **الرابعة:** أن

وأما العلوم التي لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص، فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات، فإن في كل علم منها اقتصاراً وهو الأقل، واقتصاداً وهو الوسط،

يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله، وإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه، فمن علم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماء.

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان. **إحداهما:** جهاده على رفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان، **والثانية:** جهاده على دفع ما يلقى إليه من الإرادات والشهوات، فالجهاد الأول يكون بعد اليقين، والثاني بعد الصبر قال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤]، فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين، فبالصبر تدفع الشهوات والإرادات واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

وأما جهاد الكفار والمنافقين؛ فأربع مراتب بالقلب واللسان والمال والنفس. وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص بالبيان. وأما جهاد أرباب الظلم والمنكرات والبدع فثلاثة مراتب. الأولى باليد إذا قدر فإن عجز انتقل إلى اللسان فإن عجز جاهد بقلبه، فهذه ثلاث عشرة مرتبة من الجهاد، ثم قال: وفرض عليه جهاد نفسه في ذات الله وجهاد شيطانه وهذا كله فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد. وأما جهاد الكفار والمنافقين فقد يكتفي فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصوده وأكمل الخلق عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تعالى تفاوتهم في مراتب الجهاد، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله تعالى خاتم أنبيائه ورسله، فإنه كمل مراتب الجهاد وجاهد في الله حق جهاده ﷺ، ثم قال: والمقصود إن الله تعالى اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها ويخلصها بكثير الامتحان كالذهب الذي لا يصفو ولا يخلص من غشه إلا بالامتحان إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية، فإن خرج في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم، فإذا هذب العبد ونقي أذن له في دخوله الجنة اهـ.

وهذا هو الذي أشار إليه الشيخ بالمجاهدة والرياضة ليكون بها أهلاً للدخول في حضرة المشاهدة، ومن جاهد في الله هدي إلى صراط مستقيم وفاز بالنعيم المقيم.

(**وأما العلوم التي لا يحمد منها**) للمشتغل (**إلا مقدار مخصوص**) لا يتجاوز عنه، (**فهي العلوم التي أوردناها**) ببيانها (**في فروض الكفايات**) في أول الباب، (**فإن في كل علم**) وفي بعض النسخ فإن لكل علم (**منها اقتصاراً**) على القدر الواجب (**هو الأقل**) مما يحتاج إليه (**واقتصاداً هو الوسط**) بتحريك السين وهو ماله طرفان متساويا القدر، ويقال ذلك في الكمية المتصلة كالجسم الواحد، وفي الكمية المنفصلة كشيء يفصل بين جسمين والطرفان قد يكونان مذمومين فيستعمل استعمال القصد المصون من الإفراط والتفريط فيمدح به، وتارة

واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مردّ له إلى آخر العمر، فكن أحد رجلين: إما مشغولاً بنفسك وإما متفرغاً لغيرك بعد الفراغ من نفسك، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك، فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك، وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم، وإنما الأهم الذي أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم، إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها، وجميع ذلك مهلكات، وإهمالها مع الاشتغال بالأعمال الظاهرة

يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر، **(واستقصاء وراء الاقتصاد)** وهي المرتبة الثالثة **(لا مردّ له إلى آخر العمر)** أي شيء لا نهاية له يعجز العمر عن تحصيله، **(فكن أحد رجلين)** وفي نسخة: أحد الرجلين **(إما)** رجل **(مشغول بنفسك)** في إصلاحها **(وإما)** رجل **(متفرغ إلى غيرك بعد الفراغ من نفسك)** وفي بعض النسخ أما مشغولاً وإما متفرغاً بالنصب فيهما **(وإياك)** ثم إياك **(أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك)**، فإن إصلاح النفس مقدم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول. قال صاحب القوت: العبد يسئل غداً فيقال ماذا عملت فيما علمت ولا يقال له فيما علم غيرك اهـ. فالاشتغال بما يصلح علم الغير قبل الاشتغال بما يصلح النفس مضر مهلك كيف، وقد قال الله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾ [الروم: ٥٦] ففرق بينهما فمن أوتي إيماناً ويقيناً أوتي علماً كما أن من أوتي علماً نافعاً أوتي إيماناً، وهذا لا يحصل إلا بمعرفة خواطر النفس وإزالة ما يهلكها، **(فإن كنت مشغولاً بنفسك)** بإصلاحها، وفي نسخة: فإن كنت المشغول بنفسك **(فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عليك)** ما فرض الله عليك **(بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة)** المتعلقة بالجوارح **(من تعلم الصلاة والطهارة والصوم)** وما يصحح كلا من ذلك وما يفسده وقدم الصلاة هنا في الذكر لكونها المقصود الأعظم، وإن كانت الطهارة تتقدمها تقدم الوسائل، وكذا تعلم الحج إن وجب عليه وغير ذلك، **(وإنما الأهم الذي أهمله الكل)** وأعرضوا عنه **(علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم)** إذ علم الألسنة والفتيا مردود إلى علم القلوب وقد درس معرفة هذا العلم فصار كل من نطق بكلام غريب على السامعين لا يعرف حقه من باطله سمي عالماً، وكل كلام مستحسن زخرف رونقه لا أصل له يسمى صاحبه عالماً لجهل العالم بالعلم أي شيء هو. **(إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة)** التي ركبت فيه **(من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها)** مما سيأتي بيانها في المهلكات، **(وجميع ذلك)** صفات **(مهلكات)** للإنسان **(وإهمالها)** رأساً **(مع الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي)** أي يشابه **(الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب)** والحكة

يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون بإخراج المادة بالفصد والإسهال، وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن، وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بإفساد منابتها وقلع مغارسها من القلب، وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب، كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الأمراض، فإن كنت مريداً للآخرة وطالباً للنجاة وهارباً من الهلاك الأيدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات، ثم ينجر بك ذلك إلى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة، فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود، والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف

(والدماميل) جمع دمل وهو الخرّاج **(والتهاون باخراج المادة)** التي نشأ منها ذلك العارض **(بالفصد)** وهو إخراج الدم وفي معناه الحجامة بحسب اختلاف أمزجة البلاد **(والإسهال)** بالأدوية المناسبة لإخراج تلك المادة **(وحشوية العلماء)** وهم الذين يقتنعون بالقشر عن اللباب وينظرون إلى ظاهر الأمور دون الاطلاع على الأسرار الباطنة **(يشيرون بالأعمال الظاهرة)** ويحثون الناس على تحصيلها **(كما يشير الطرقية من الأطباء)** وهم الذين يجلسون على الطرق ويداوون الناس على جهل منهم **(بطلاء ظاهر البدن)** فيما لا يتم النفع به، **فهؤلاء** علماء الدنيا الذين يتأكلون الدين بالدنيا، **(و)** أما **(علماء الآخرة)** فإنهم **(لا يشيرون)** على الناس **(إلا بتطهير الباطن)** كما أن الكمل من الأطباء لا يشيرون على المرضى إلا بمداواة الباطن، **(وقطع مواد الشر بإفساد مبانيها)** وفي نسخة: منابتها **(و)** هو المناسب لقوله: **(قلع مغارسها)** والضمير فيها راجع إلى مواد الشر **(من القلب)**، ثم اعتذر عنهم فقال: **(وإنما فزع الأكثرون)** من العلماء والتجأوا **(إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلب)** وتزكيته **(لسهولة أعمال الجوارح)** على كل أحد **(واستصعاب أعمال القلوب)** لتوقفها على وجود مرشد كامل يريه الطرق، **(كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة)** المنفرة **(فلا يزال)** من حاله كذلك **(يتعب في الطلاء)** الظاهر **(وتتزيد المواد)** وتجتمع في أعماق البدن **(وتتضاعف الأمراض)** فيكون سبباً لإهلاك البدن بالمرة، **(فإن كنت مريداً للآخرة وطالباً للنجاة)** من الهلاك **(وهارباً من هلاك الأبد فاشتغل بعلم العلل الباطنة)** وكيف طروّها على القلب، **(و)** معرفة **(علاجها)** في إزالتها **(على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر ذلك بك إلى)** معرفة **(المقامات المحمودة المذكور في ربع المنجيات)** والتحلي بها **(لا محاله، فإن القلب إذا فرغ)** أي خلا **(من)** الخلق **(المذموم امتلأ بالمحمود)** كما قالوا: القلب إذا خلا من الكفر دخله الإيمان وضرب لذلك مثلاً لأجل فهم العامة فقال:

الزروع والرياحين، وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك، فلا تشتغل بفروض الكفاية لا سيما وفي زمرة الخلق من قد قام بها، فإن مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه، فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همّت به. وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدناً لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك ـ فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها، فابتدىء بكتاب الله تعالى ثم بسنّة رسوله ﷺ، ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ، والمفصول والموصول، والمحكم

(**فالأرض إذا نقيت**) ونظفت (**من الحشيش**) الذي يضر بالأرض ويأخذ قوتها ولا ينتفع به (**نبتت فيها**) أي صلحت لأن تنبت فيها (**أصناف الزروع**) المنتفع بها، (**و**) أنواع (**الرياحين**) الطيبة، (**فإن لم يفرغ**) أي إن لم يخل القلب (**من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات**) اشتغالاً كلياً (**لاسيما وفي الخلق من قد قام به**) كثيراً وهي فيها صلاح الغير، (**فإن مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه**) ناقص العقل والرشد (فما أشد **حماقة**) أي فساداً في العقل (**منْ دخلت الأفاعي**) وهي الحيات (**والعقارب داخل ثيابه وهمت**) أي قصدت (**بقتله**) بالنهش واللسع (**وهو يطلب**) لنفسه (**مذبة**) وهي بكسر الميم المنشة (**يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه**) ولا يخلصه (**مما يلاقيه من**) ضرر (**تلك الحيات والعقارب إذا هممن**) وقصدت إتلافه، (**فإن تفرغت من**) النظر إلى (**نفسك وتطهيرها وقدرت**) بتوفيق الله تعالى وحسن إعانته (**على ترك ظاهر الإثم وباطنه**). قال السمين: ظاهر الإثم ما يطلع عليه الخلق وباطنه ما يختص بعلمه تعالى (**وصار ذلك ديدناً لك وعادة متيسرة**) أي مسهلة (**فيك وما أبعد ذلك**) عنك إلاَّ أن صادفتك العناية الربانية، (**فاشتغل بفروض الكفايات**) حينئذ (**وراع التدريج**) والترتيب (**فيها**) وقدم الأهم فالأهم بحسب الاقتضاء، (**فابدأ بكتاب الله تعالى**) بالترتيل والتدبير في معانيه وحكمه وإشاراته، (**ثم سنّة رسول الله** ﷺ) بتلقيها عن أربابها حفظاً في كل منها وضبطاً، (**ثم بعلم التفسير**) بما تيسر لك من الكتب المؤلفة فيه كما سيأتي بيانها وإياك ثم إياك من مطالعة مثل الكشاف وتفسير الفخر، ففي كل منهما إشكالات وتشكيكات لا ينبغي سماعها، فإنها تحير وتمرض وتردي ولا تشفي غليلاً، وأقوال السلف في التفسير مليحة لكنها ثلاثة أقوال وأربعة أقوال، فيضيع الحق بين ذلك، فإن الحق لا يكون في جهتين، وربما احتمل اللفظ معنيين فأكثر عبر كل منهم عن واحد منها فهذا لا بأس به. (**وسائر علوم القرآن**) المتعلقة به (**من علم الناسخ والمنسوخ**). قال الراغب: النسخ إزالة شيء بشيء يعقبه، فتارة يفهم منه الإزالة، وتارة يفهم منه الاثبات، وتارة الأمران ونسخ الكتاب إزالة حكم بحكم يعقبه. وقال الأصوليون:

والمتشابه وكذلك في السنّة، ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون

النسخ رفع الحكم الشرعي بخطاب، وقد ألف في ناسخ القرآن ومنسوخه مكي بن أبي طالب القيسي، وأبو جعفر النحاس، وأبو بكر بن العربي، وأبو داود السختياني، وأبو عبيدة القاسم بن سلام، وأبو سعيد عبد القاهر بن طاهر التميمي، وأبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي المفسر، وأبو الحسين بن المناوي، والجلال السيوطي وغيرهم **(والمفصول والموصول)** وقد ألف فيه مكي بن أبي طالب القيسي وغيره، **(والمحكم والمتشابه)** المحكم ما خلا المراد به على التبديل والتغيير أي التخصيص والتأويل والنسخ كقوله تعالى: ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ [العنكبوت: ٦٢] والنصوص الدالة على ذات الله وصفاته لأن ذلك لا يحتمل النسخ، فإن اللفظ إذا ظهر منه المراد، فإن لم يحتمل النسخ فمحكم وإلَّا فإن لم يحتمل التأويل فمفسر، وإلاَّ فإن سيق الكلام لأجل ذلك المراد فنص، وإلاَّ فظاهر وإذا خفى فإن خفي لعارض أي لغير الصيغة فخفي وان خفي أي لنفس الصيغة وأدرك عقلاً فمشكل أو نقلاً فمهمل أو لم يدرك أصلاً فمتشابه، وأوّل من ألف في متشابه القرآن الكسائي كما قاله السيوطي في الاتقان، وقد نظمه أبو الحسن السخاوي المقري، ومن الكتب المؤلفة فيه البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للبرهان أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المقري الشامي المعروف بتاج القراء، ودرة التأويل في متشابه التنزيل لأبي القاسم حسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصبهاني، ودرة التنزيل وغرة التأويل للإمام فخر الدين الرازي، وكشف المعاني للبدر بن جماعة، وقطف الأزهار للجلال السيوطي وغيرها، وكل ذلك من فروع علم التفسير، لكن آكدها وأهمها معرفة علم الناسخ والمنسوخ. **(وكذلك في السنّة)** من الناسخ والمنسوخ والمتشابه، فممن ألف في ناسخ الحديث ومنسوخه أبو محمد قاسم بن أصبغ القرطبي، وأبو بكر محمد بن عثمان المعروف بالجعد الشيباني أحد أصحاب ابن كيسان، وأحمد بن إسحاق الأنباري، وأبو جعفر النحاس، وأبو بكر الحازمي، وأبو القاسم هبة الله بن سلامة المفسر، وأبو حفص عمر بن شاهين البغدادي، والإمام أبو القاسم القشيري، ومحمد بن بحر الأصبهاني، وبدل بن أبي المعمر التبريزي وآخرون. وممن جمع بين متشابه القرآن والحديث شمس الدين محمد بن اللبان في مجلد صغير نافع في بابه قال: بدل بن أبي المعمر في كتابه المذكور أوّل من دوّن في علم ناسخ الحديث ومنسوخه الزهري، ثم لا نعلم أحداً جاء بعده تصدى لهذا الفن ولخصه إلاَّ ما يوجد من بعض الإيماء في عوص الكلام عن آحاد الائمة حتى جاء الإمام أبو عبدالله الشافعي، فإنه كشف أسراره واستفتح بابه، ثم ذكر بسنده إلى عبد الرحمن السلمي أنه مرَّ على قاص فقال: تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال هلكت وأهلكت، ومثل ذلك قد روي عن ابن عباس أيضاً، ثم قال: والآثار في هذا الباب كثيرة، وإنما أوردنا نبذة منها لتعلم شدة اعتناء الصحابة بمعرفة الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ إذا شأنها واحد، **(ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه)** مما يتعلق بالعبادات الظاهرة، ومما تحتاج إليه **(دون)** السلم والكفارات والإيمان والنذور والظهار والإجارة ودون **(الخلاف)** والجدل مع مخالفى المذهب، **(ثم أصول الفقه)** على قدر مسيس

الخلاف، ثم بأصول الفقه، وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت، ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلباً للاستقصاء، فإن العلم كثير والعمر قصير، وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها، وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه، فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به، ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث، ودع التعمق فيه، واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنّة فما من علم إلَّا وله اقتصار

الحاجة، وهذا إن تطلعت نفسك إلى مرتبة الاجتهاد وانفت التقليد لإمامك، وأما إن زعمت أن الاجتهاد قد انقطع فلا فائدة في تعلم هذا العلم إلا لمن يصير محصله مجتهداً به، فإذا عرفه ولم يفك تقليد إمامه لم يصنع شيئاً، بل أتعب نفسه وركب على نفسه الحجة في مسائل وإن كان تحصيله لأجل الوظائف وليقال، فهذا من الوبال وضرب من الخبال والكتب المؤلفة فيه كثيرة تغني شهرتها عن ذكرها، فمن الكتب المتوسطة فيه المنار للنسفي، وجمع الجوامع لابن السبكي، والمنهاج للبيضاوي. **(وهكذا إلى بقية العلم على ما يتسع لك العمر ويساعد فيه الوقت)** وتحتاج إليه مع زيادة ونقص حسب اقتضاء الحال، **(ولا تستغرق عمرك في فن واحد منه)** أي مما ذكر حاله كونك **(طالباً الاستقصاء)** فيه والبلوغ إلى نهايته، **(فإن العلم كثير)** بأقسامه وأنواعه **(والعمر قصير)** فخذ من كل شيء أحسنه **(وهذه العلوم)** التي ذكرناها كلها **(آلات)** ووسائل **(ومقدمات)** يصل بها الإنسان إلى المقاصد، **(وليست)** هي **(مطلوبة بعينها)** أي لذاتها **(بل لغيرها)** التي هي المقاصد **(وكلما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب)** الأعظم **(ويستكثر منه فاقتصر من علم اللغة على)** قدر **(ما تفهم به كلام العرب وتنطق به)**، فعليك بمطالعة مختصر الصحاح للرازي والمصباح للفيومي، وإن أردت الزيادة فلا تعدون عيناك عن الصحاح للجوهري، أو العباب للصاغاني، أو المجمل لابن فارس، وإن أردت الزيادة فالقاموس المحيط للفيروزابادي الجامع للغات العرب فصحيحه وغريبه وحواشيه أو التهذيب للأزهري أو المحكم لابن سيده، **(و)** اقتصر **(من غريبه)** أي علم اللغة **(على غريب القرآن وغريب الحديث)**. قال الخطابي: الغريب من الكلام هو الغامض البعيد من الفهم وهو على وجهين. **أحدهما**: أن يراد به انه بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر، **والثاني**: أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من كلامهم استغربناها اهـ.

ومن الكتب المؤلفة في غريب القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى والعزيزي، وأما غريب الحديث فقد اعتني كثيرون بتأليفه وتهذيبه أشهرهم الحرمي، وأبو عبيد، وأبو موسى المديني، وممن جمع بينهما أبو سليمان الخطابي، وأبو عبيد الهروي، وابن الأثير صاحب النهاية، والزمخشري في الفائق وغير هؤلاء. **(ودع التعمق فيه)** فإنه لا نهاية له **(واقتصر من)** علم **(النحو على**

واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها ، فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار ، كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن، كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مردّ له إلى انتهاء العمر .

وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخه على رجل خبير بعلم متن الحديث .

ما يتعلق بالكتاب والسنّة) بقراءة كتاب صغير فيه كمقدمة الآجرومية مثلاً ، وان أردت الزيادة فيه فالكافية لابن الحاجب ، أو الالفية لابن مالك ، ثم مراجعة شروح كل من ذلك ، وأما الإكثار منه فإنه يـورث الجمود في القلب كما نقله صاحب القوت. وقال الذهبي : الاكثار منه يورث التحامق والتكبر على الناس **(فما من علم إلاَّ وله)** ثلاث مراتب **(اقتصار واقتصاد واستقصاء)** وفي الأولين جناس محرف، **(ونحن نشير إليها)** أي إلى تلك المراتب **(في الحديث والتفسير والفقه والكلام)** ذكر الثلاثة الأول لشرفها ، وذكر علم الكلام لشهرته أو نظراً إلى الأصل باعتبار الموضوع وهو أشرف من علم الفقه **(ليعبر بها عن غيرها)** وفي بعض النسخ لتقيس بها غيرها ، **(فالاقتصار في)** علم **(التفسير)** تحصيل **(ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار)** ، وفي بعض النسخ : ما يبلغ في المقدار ضعف القرآن وفي أخرى نصف القرآن وهو خطأ **(كما صنفه)** الشيخ الإمام أبو الحسن **(علي)** بن أحمد بن محمد بن علي **(الواحدي)** المفسر **(النيسابوري)** أصله من ساوة كان واحد عصره في التفسير لازم أبا إسحاق الثعلبي المفسر ، وأخذ العربية عن أبي الحسن القهنوزي الضرير ، واللغة عن أبي الفضل العروضي صاحب الازهري ، وسمع الحديث عن أبي محمش الزيادي ، وأبي بكر الحيري ، وخلق روى عنه أحمد بن عمر الأرغياني ، وعبد الجبار بن محمد الخواري وآخرون. صنف التصانيف الثلاثة في التفسير البسيط والوسيط والوجيز ، وأسباب النزول والتبحير في شرح الأسماء الحسنى ، وشرح ديوان المتنبي ، وكتاب الدعوات ، وكتاب المغازي ، وكتاب الأعراب في الإعراب ، وكتاب تفسير النبي ﷺ ، وكتاب نفي التحريف عن القرآن الشريف توفي بنيسابور في جمادى الأخيرة سنة ٤٦٨ . **(وهو الوجيز)** أحد كتبه الثلاثة وعلى نمطه تفسير الجلالين **(والاقتصاد)** فيه **(ما يبلغ ثلاثة أضعاف)**. وفي نسخة: أرباع **(القرآن)** في المقدار ، **(كما صنفه من الوسيط فيه)** وهو الكتاب الثاني من كتبه ، وعلى أسماء هذه الكتب الثلاثة سمى المصنف كتبه الثلاثة في الفقه كما سيأتي بيانها **(وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مردّ له إلا انتهاء العمر)** وفي نسخة إلى آخر العمر ، وهذا الذي ذكره بالنظر إلى زمانه ، وأما الآن فلا يعرف من تلك الكتب شيء فالاقتصار الآن فيه تفسير الجلالين ، والتوسط فيه تفسير الخطيب الشربيني ، وتفسير ملاّ علي ، ومن أراد الزيادة فيه فتفسير أبي السعود ، والمدارك للنسفي ، وتفسير القاضي البيضاوي .

(وأما) علم **(الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين)** صحيح الإمام أبي

وأما حفظ أسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك، ولك أن تعوّل على كتبهم، وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلاً تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة، وأما الاقتصاد فيه فان تضيف إليها ما خرج عنها مما ورد في المسندات الصحيحة، وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم.

وعبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه الجعفي مولاهم البخاري، وصحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رحمهما الله تعالى، ويعرفان بالصحيحين لاتفاق الأمة على قبول ما فيهما (**بتصحيح نسخة**) منهما (**على رجل خبير**) من الحفاظ أو المحدثين (**بعلم متن الحديث**) على أحد رواه الكتابين. أما البخاري؛ فاتصلت رواية كتابه من طريق المستملي، والسرخسي، والكشميهني، وابن علي بن السكن، والأخسيكني، وأبي زيد المروزي، وأبي علي بن شبويه، وأبي أحمد الجرجاني، والكشاني وهو آخر من حدّث عن الفربري بالصحيح، وأما مسلم، فالمشهور من رواة كتابه إبراهيم بن سفيان الزاهد، ورواه عنه أيضاً مكي بن عبدان وأبو حامد بن الشرقي، وأبو محمد القلانسي.

(**وأما حفظ أسامي الرجال**) المذكورة فيهما (**فقد كفيت فيه ما تحمله غيرك**) وفي بعض النسخ قد يكفيك فيه ما حمله عنك (**من قبلك**) كأبي طاهر المقدسي وغيره ممن صنف في أسماء رجالهما (**ولك أن تعوّل**) وتعتمد (**على كتبهم**) في المراجعة عند الاشتباه (**وليس يلزمك**) أيضاً (**حفظ متون الصحيحين**) على ظهر قلبك، (**ولكن**) المطلوب (**أن تحصله تحصيلاً تقدر**) به (**على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة**) وهو في كتاب مسلم أسهل من كتاب البخاري لتفريقه الحديث الواحد في مواضع شتى. (**وأما الاقتصاد فيه؛ فإن تضيف إليها ما خرج عنها مما أورد في المسندات الصحيحة**) وفي نسخة: في مسندات الصحيح أي كبقية السنن الأربعة والمستخرج عليها للحافظ أبي نعيم وللإسماعيلي، ولابن منده. (**وأما الاستقصاء**) فيه (**فما وراء ذلك إلى استيفاء**). وفي نسخة إلى استيعاب (**كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم**) والمتواتر والمشهور والحسن والصالح والمضعف والمرفوع والمسْنَد والموقوف والموصول والمرسل والمقطوع والمعضل والمعلق والغريب والمعلل والعالي والنازل، (**مع معرفة الطرق الكثيرة**) للحديث الواحد (**في النقل ومعرفة أحوال الرجال**) جرحاً وتعديلاً (**و**) معرفة (**أسمائهم**) وكناهم وبلدانهم (**وأوصافهم**)، فكل ذلك داخل في حد الاستقصاء. وبما ذكره المصنف في حدّ الاقتصار والاقتصاد لا يسمى المشتغل بهما محدثاً، فقد قال ابن السبكي في كتابه (**معيد النعم ومبيد النقم**) المحدث من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وسمع الكتب الستة، ومسند الإمام أحمد، وسنن البيهقي، ومعجم الطبراني، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء

وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزني رحمه الله، وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر، والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذي أوردناه في

الحديثية كان هذا أقل درجاته، فإذا سمع ما ذكرناه وكتب الطباق ودار على الشيوخ وتكلم في العلل والوفيات والأسانيد عدّ في أوّل درجات المحدثين، ثم يزيد الله تعالى من شاء ما شاء اهـ.

قال السخاوي في الجواهر والدرر: والمقتصر على السماع لا يسمى محدثاً، ويروى عن مالك، أن المقتصر على السماع لا يؤخذ عنه العلم. وقال الإمام أبو شامة: علوم الحديث الآن ثلاثة. **أشرفها:** حفظ متونه ومعرفة غريبها وفقهها. **والثاني:** حفظ أسانيدها ومعرفة رجالها وتمييز صحيحها من سقيمها، وهذا كان مهماً وقد كفيه المشتغل بالعلم بما صنف وألف في ذلك فلا فائدة تدعو إلى تحصيل ما هو حاصل. **الثالث:** جمعه وكتابته وسماعه وتطريفه وطلب العلو فيه والرحلة بسببه إلى البلدان والمشتغل بهذا مشتغل عما هو الأهم من علومه النافعة، فضلاً عن العمل فيه الذي هو المطلوب الأوّل اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا في بعضه نظر، لأن قوله: وهذا قد كفيه المشتغل بالعلم بما صنَّف فيه قد أنكره العلامة أبو جعفر بن الزبير وغيره، ويقال عليه إن كان التصنيف في الفن يوجب الاتكال على ذلك وعدم الاشتغال به، فالقول كذلك في الفن الأوّل، فإن فقه الحديث وغريبه لا يحصى كم صنف فيه، بل لو ادعى مدع أن التصانيف التي جمعت في ذلك أجمع من التصانيف التي جمعت في تميز الرجال، وكذا في تميز الصحيح من السقيم لما أبعد، بل ذلك هو الواقع، فإن كان الاشتغال بالأوّل مهماً، فالاشتغال بالثاني أهم إلى آخر ما قاله، وسيجيء لنا بحث إن شاء الله تعالى في ذم غرور المحدثين ونوسع الكلام هناك.

(**وأما الفقه؛ فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر**) الإمام أبي إبراهيم إسماعيل بن يحي ابن عمرو بن إسحاق (**المزني**) ولد سنة ١٧٥، وحدّث عن الشافعي، ونعيم بن حماد وغيرهما. روى عنه خزيمة، والطحاوي، وزكريا، وأبو الساجي، وابن جوصاء، وابن أبي حاتم. قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي، ومن تأليفه هذا المختصر، والجامع الكبير، والجامع الصغير، والمنثور، والمسائل المفيدة، والترغيب في العلم، وكتاب الوثائق، وكتاب نهاية الاختصار. وتوفي لست بقين من رمضان سنة ٢٦٤. ومختصره هذا أكثر الكتب المتداولة السائرة في كل الأمصار على ما ذكره النووي في التهذيب، وقد شرحه كثير من العلماء، كابن سريج، وأبي الطيب الطبري، وأبي الفتوح بن عيسى، وأبي إسحاق المروزي، وأبي حامد المروزي، وابن سراقة، وأبي عبدالله المسعودي، وأبي علي الطبري، وأبي بكر الشاشي، وأبي علي السنجي، وابن عدلان، والشرف يحي للمناوي، وزكريا الأنصاري وغيرهم. (**وهو الذي رتبناه في**) كتابنا المسمىّ (**خلاصة المختصر**) وهو مفيد جداً ملخص من أصله مع زيادات نافعة (**ويسمى خلاصة الوسائل إلى علم المسائل**) كما تقدم، وهو غير عنقود المختصر ونقاوة المقتصر للمصنف أيضاً (**والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله**) في المقدار (**وهو القدر الذي أوردناه في**) كتابنا

الوسيط من المذهب، والاستقصاء ما أوردناه في البسيط إلى ما وراء ذلك من المطوّلات.

(**الوسيط من المذهب**) وهو ملخص من بسيطه مع زيادات وأحد الكتب الخمس المتداولة بين الشافعية ذكره النووي في تهذيبه، وقد شرحه تلميذه الخبوشاني وسماه (**المحيط**) في ستة عشر مجلداً، وابن الرفعة في ستين مجلداً سماه (**البحر المحيط**) والموفق الحموي سماه (**منتهى الغايات**) والظهير الترمنتي، ومحمد بن عبد الحاكم، والعز المدلجي، وأبو الفتوح العجلي، وابن أبي الدم، وابن الصلاح على الربع الأوّل. في جزأين، وابن الاستاذ في أربع مجلدات، ويحيى بن أبي الخير اليمنى وغير هؤلاء، وخرج أحاديثه السراج بن الملقن في مجلد، (**والاستقصاء**) فيه (**ما أوردناه في**) كتابنا المسمى (**البسيط**) وهو كالمختصر لنهاية المطلب في رواية المذهب لشيخه إمام الحرمين الذي جمعها بمكة وأتمها بنيسابور. قال ابن خلكان في حق النهاية ما صنف في الإسلام مثله (**إلى ما وراء ذلك من المطولات**).

وقال ابن ساعد في ارشاد القاصد: من كتب الشافعية المختصرة التعجيز والتنبيه والتحرير ومختصر الوسيط للبيضاوي، ومن المتوسطة المهذب والوسيط والروضة للنواوي، ومن المبسوطة الحاوي للماوردي، والكافي والوافي والبسيط وبحر المهذب والنهاية، وشرح الوجيز

ومن كتب الحنفية المختصرة: البداية والنافع ومختار الفتوى ومختصر القدوري وله تكملة مهمة، ومن المتوسطة الهداية والمشتملة، ومن المبسوطة المحيط والمنسوط والتحرير.

ومن كتب المالكية المختصرة التلقين والجلاب، ومختصر ابن الحاجب، ومن المتوسطة نظم الدر للشارمساحي، والتهذيب، ومن المبسوطة الذخيرة. وابن يونس والبيان والتحصيل.

ومن كتب الحنابلة المختصرة العمدة والنهاية الصغرى لابن رزين، ومن المتوسطة المقنع والكافي، ومن المبسوطة المغني لابن قدامة اهـ.

وهذا الذي ذكره كالمصنف بالنظر إلى زمانهم، فأما الآن فالاعتماد في مذهب الشافعي من الكتب المختصرة على مختصر أبي شجاع وشروحه، ومتن الزبد وشروحه، والارشاد لابن المقري، ومن المتوسطة على الروض والمنهج كلاهما لشيخ الإسلام زكريا، وعلى شرح الأخير للرملي ولابن حجر، فالأوّل عليه اعتماد المصريين، وعلى الثاني اعتماد الحرمين. وفي مذهب أبي حنيفة من الكتب المختصرة على الكنز للنسفي والملتقى لابن نجيح وشروحهما والمقدمة وشروحها. وفي مذهب مالك من المختصرة على رسالة ابن تركي، ومختصر خليل وشروحهما. وفي مذهب سيدنا أحمد من المختصرة على دليل الطالب للشيخ مرعي الحنبلي والاقناع وغيرهما، وهذا كله يختلف باختلاف البلدان في المذاهب، فرب كتاب يكون كثير الاستعمال والانتفاع في بلد لم يشتهر في بلد آخر، وهذا ظاهر ثم إن المقتصر على ما ذكر، وكذا المقتصد لا يكون فقيهاً كما إن المقتصر

وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنّة من السلف الصالح لا غير، وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور مـن غير طريقتها، ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر، وهو القدر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب، والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة، وهو الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد، ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي، وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم، وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً فقلما ينفع معه الكلام، فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جواباً

على سماع الصحيحين لا يسمى محدثاً، فقد قال ابن السبكي: إن المقتصر على ما عليه الفتيا هو المضيع للفقه، فإن المرء إذا لم يعرف الخلاف والمآخذ لا يكون فقهياً إلى أن يلج الجمل في سم الخياط، وإنما يكون رجلاً قلاً نقلاً محيطاً حامل فقه إلى غيره لا قدرة له على تخريج حادث بموجود، ولا قياس مستقبل بحاضر، ولا إلحاق شاهد بغائب، وما أسرع الخطأ إليه وأكثر تزاحم الغلط عليه وأبعد الفقه لديه اهـ.

(**وأما**) علم (**الكلام فمقصوده حماية**) أي حفظ المعتقدات التي نقلها أهل السنة) والجماعة (**من السلف**) الصالحين (**لا غير ما وراء ذلك**) فإنه (**طلب لكشف حقائق الأمور**) وإفشاء لسر الربوبية (**من غير طريقه**) من إيراد نقل البراهين والحجج وجلب الكلام من كل جهة، (**ومقصود حفظ السنة تحصل رتبة الإقتصار منه بمعتقد مختصر وهو الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد**) وهو الكتاب الثاني (**من جملة هذه الكتب**) العشرة من الإحياء، وسيأتي بيانه. (**والإقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة**) في المقدار (**وهو الذي أوردناه في كتاب**) لنا يسمى (**الإقتصاد في الإعتقاد**) ذكره ابن السبكي وغيره من جملة كتبه، كما مرت الإشارة إليه في مقدمة هذا الشرح، وأما الآن فاشتغالهم الكثير في المختصر على أم البراهين لمحمد بن يوسف السنوسي وهو مختصر مفيد، وعلى شروحه للمصنف وللشهاب القاسمي، وعلى الجوهرة للشيخ إبراهيم اللقاني وشروحه الثلاثة وشروح ولده الشيخ عبد السلام، (**ويحتاج إليه**) أي إلى الإقتصاد فيه (**لمناظرة مبتدع**) ودفع شبهه (**ومعارضة بدعته**) التي يورد حججها (**بما يفسدها**) وبنقضها (**وينزعها عن قلب العامي**) الذي لم ينظر في العلوم، (**وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم**) في الدين، (**أما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل**) ويتعلم طرق المناظرة (**ولو شيئاً يسيراً**) أي قليلاً (**فقلما ينفـع معـه الكلام**) في المعتقـدات، (**فإنك إن أفحمته**) أي أسكته بإيراد البراهين عليه (**لم يترك مذهبه**) الذي إليه يذهب، ولا مورده الذي إليه يرد ومنه يشرب، (**وأحال بالقصـور**) عـن الجواب (**على نفسـه وقـدر أن عنده جواباً وهو عاجز عنه**) أي عن بيانه. وفي بعض النسخ. وقال إن عند غيره جواباً ما

ما وهو عاجز عنه، وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة، وأما العامي إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للأهواء، فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم، إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من آفات العلماء السوء، فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار، فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه، ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة - لا في معرض التعصب والتحقير - لنجحوا فيه، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم، وسموه ذباً عن الدين ونضالاً عن المسلمين، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس.

هو عاجز عنه، **(وإنما أنت ملبس بقوة المجادلة عليه)** هكذا شأن المبتدعة إذا أفحموا، **(وأما العامي إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه)** أي إلى الحق **(بمثله)** ولكن ذلك **(قبل أن يشتد التعصب)** منه **(للأهواء)** المتصلة بفراغ قلبه عن الهوى وتزلزله، فأي معتقد ورد عليه قبله ثم عن قريب إذا رد إلى شيء آخر قبله، كذلك **(فإذا اشتد تعصبهم)** للأهواء ومرنوا على ذلك وتمكن فيهم ذلك المعتقد الفاسد **(وقع اليأس منهم)**، ولم ينفع العلاج فيهم **(إذ التعصب سبب)** قوي **(يرسخ)** أي يثبت **(العقائد في النفوس)** ويركزها فيها، **(وهذا أيضاً من آفات العلماء السوء)** الآكلين بدنياهم **(فإنهم يبالغون للتعصب للحق)** أي لإظهاره **(وينظرون إلى المخالفين)** لهم **(بعين الازدراء والاستحقار)** والإنكار الشديد، **(فينبعث)** أي يتحرك **(منهم)** من المخالفين **(الدواعي)** المهيجة **(بالمكافأة)** أي المجازاة **(والمقابلة)** فيسبوا الله عدواً بغير علم، **(وتتوفر بواعثهم على نصرة باطلهم)**. وفي نسخة: نصرة الباطل. **(ويقوي غرضهم)** وقصدهم **(في التمسك بما نسبوا إليه)** من فساد العقيدة، وهذا منشؤه من سوء النظر في البحث وتشنيعهم عليهم في المجالس على ملأ من الناس، **(ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة)** والشفقة عليهم مع خلوص القلب من التعصبات **(والنصح في الخلوة)** عن الناس، **(لا في معرض التعصب)** عليهم **(والتحقير)** لشأنهم **(لنجحوا فيه)** وأفادوا، **(ولكن لما كان الجاه لا يقوم)** ركنه **(إلا بالاستتباع)** أي طلب الاتباع **(ولا يستميل)** خواطر **(الإتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم)** والإزدراء بهم بكل ما أمكن، **(واتخذوا التعصب عادتهم)** وتساوى في ذلك صغارهم وقادتهم **(و)** جعلوا ذلك **(آلتهم)** وحرفتهم، **(وسموه)** بحسب ظنهم الفاسد **(ذباً عن الدين)** أي دفعاً عنه **(ونضالاً)** أي مناضلة ومدافعة **(عن المسلمين، وفيه على التحقيق)** إذا تأملوا **(هلاك الخلق)** لتقليدهم إياه في ذلك **(ورسوخ البدعة في النفوس)** فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما الخلافيات التي أحدثت في هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فإياك وأن تحوم حولها، واجتنبها اجتناب السم القاتل فإنها الداء العضال وهو الذي ردّ الفقهاء كلهم إلى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها. وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال: الناس أعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك، فعلى الخبير سقطت، فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زماناً، وزاد فيه على الأوّلين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلاً وبياناً، ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه، فلا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف، فإن علل المذهب مذكورة في

(**وأما الخلافيات**) وهي المسائل التي فيها خلاف المذاهب (**التي أحدثت في هذه الأعصار**) أي الأزمان (**المتأخرة**) وهو القرن الرابع (**وأبدع فيها من التحريرات**) المستقصية (**والتصنيفات**) المستفيضة (**والمجادلات**) الهائلة (**ما لم يعهد مثلها**) ولم يعرف (**في**) أيام (**السلف**) المتقدمين، (**فإياك**) أيها السالك طريق الآخرة (**وأن تحوم حولها**) وتتعب في تحصيلها وتعول عليها، (**فاجتنبها اجتناب السم القاتل**) ولو حسنت عباراتها وراقت معانيها فإنما مثل من يحاولها كمن يحاول حية نظر اللين بجسها وحسن شكلها فيجعلها طوقاً في عنقه فتلدغه، (**فإنه الداء العضال**) الذي لا برء له (**وهو الذي رد الفقهاء كلهم**) وصرفهم بسببه (**إلى طلب المنافسة**) والإعجاب والكبر (**والمباهاة**) أي المفاخرة مع التعصب الشديد (**على ما سيأتيك تفصيل غوائلها**) أي مهلكاتها (**وأفاتها**) في كتاب ذم الغرور. (**وهذا الكلام ربما يسمع من قائله**) المنكر لذلك (**فيقال: الناس أعداء ما جهلوا**) فينزل قائله غير منزلته وينسبه إلى الجهل والتسفيه وعدم الذوق السليم من الفطرة وهي كلمة حق أريد بها باطل، (**فلا تظن ذلك**) بالقائل فإن بعض الظن إثم، (**فعلى الخبير**) العارف الماهر (**سقطت**) أي نزلت (**فيه**) وهو مثل مشهور، (**واقبل هذه النصيحة**) المحضة (**ممن ضيع العمر**) ونقد صرفه (**فيه زماناً**) واشتغل به كثيراً (**وزاد فيه على الأولين**) ممن سبق في كل فن (**تصنيفاً وتحقيقاً جدلاً وبياناً**) حتى في علم السحر والسيمياء والنجوم والكيمياء، كما هو معروف لمن أمعن في ترجمته، (**ثم ألهمه الله رشده**) وبصره بنفسه (**وأطلعه على عيبه**) بتوفيق من الله تعالى وحسن عنايته، وذلك بعد رجوعه من أرض الحرمين (**فهجره**) أي تركه كله وساح وتجرد (**واشتغل بنفسه**) باستعمال الرياضات والمجاهدات والإقتناع باقل الأقوات مع كثرة من يعظمه من أرباب الدنيا ويأتون إليه بالأموال، فلم يرفع رأسه إليهم ولا إليها، ومضى على ذلك إلى آخر عمره على جميل وسداد وهو يشير إلى قول من قال: سل المجرب ولا تسأل طبيباً، (**ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع**) وركنه الذي يأوي إليه (**ولا تعرف علله**) الخفية (**إلا بعلم الخلاف**) ولا تظهر ثمرتها إلا به، (**فإنه علل المذهب**

المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأوّلون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم، بل هي مع انها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه، فإن الذي يشهد له حدس المفتي إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في أكثر الأمر، فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعـن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه، وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب، وقد ينقضي عليه العمر ولا تنصرف همته إلى علم المذهب، فكن من شياطين الجن في أمان، واحترز من شياطين الانس، فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال، وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر

مذكورة في) كتب **(المذهب)** لم يغادر شيئا منها **(والزيادات عليها مجادلات)** وخصومات **(لم يعرفها الأولون)** من السلف في عصر إتباع التابعين ومن فوقهم عصر التابعين **(ولا الصحابة)** رضوان الله عليهم، بل كانوا ينكرون على ما يجادل ويحسمون مادة الخلافيات كما هو مشهور من سيرتهم **(وكانوا أعلم الناس بعلل الفتاوى من غيرهم)** لتنور بصائرهم واقتباسهم من مشكاة النبوة **(بل هي)** أي علل الفتاوى **(مع أنها غير مفيدة في علم المذهب)** لعدم احتياجه إليها **(فهي ضارة)** للفقيه **(مفسدة لذوق الفقه)** وسره، **(فإن الذي يشهد له حدس المفتي)** وتخمينه **(إذا صح ذوقه في الفقه)** وتمكن منه **(لا يمكن تمشيته على شروط الجدل)** التي يذكرونها **(في أكثر الأمر فمن ألف طبعه)** من أصل جبلته **(رسوم الجدل)** وتعلق بها **(أذعـن ذهنه)** وإنقاد **(لمقتضيات الجدل)** والخلافيات **(وجبن)** أي تأخر ونكص **(عن الإذعان لذوق الفقه)** والإنقياد له، **(و)** الحق **(إنما يشتغل به)** صارماً عمره إليه **(من يشتغل بطلب الصيت)** وشهرة الإسم **(و)** تحصيل **(الجاه)** والمنزلة عند الأمراء والملوك **(ويتعلل)** للناس **(بأنه يطلب علل المذهب)** لا غير، وإن قصده بذلك رفع عماد المذهب ونصرته، **(وقد ينقضي عليه العمر)** النفيس **(ولا يصرف همته إلى علم المذهب)** إلا قليلاً **(فكان من شياطين الجن في أمان)** فإنهم ينطردون عنك بالآيات والإذكار، ولا يقربونك بمضرة، وعداوتك وعداوتهم لك ظاهرة، فيمكن دفعهم بأيسر شيء **(واحترز من شياطين الإنس)** وهم العلماء السوء، **(فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب)** والمشقة **(في الأغواء والإضلال)**، ولكثرة مخالطتهم مع الناس وكونهم على سمة العلماء ولا يمكن الإحتراز عنهم فيستفيد معاشرهم الإنحياد عن السلوك السوي ويقع في مخاطرة عظيمة، وأعلم أن الشياطين على نوعين نوع يرى عياناً وهو شيطان الإنس وهم العلماء السوء، ونوع لا يرى هو شيطان الجن، وقد أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يكتفي من شيطان الإنس بالإعراض عنه والعفو والدفع بالتي هي أحسن، ومن شيطان الجن بالإستعاذة بالله منه، وجمع بين النوعين في سورة الأنعام وسورة فصلت، والإستعاذة والقراءة والذكر أبلغ في دفع شياطين الجن والإعراض، والدفع بالإحسان أبلغ في دفع شياطين الإنس:

نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار، وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك، ودع عنك ما سواه والسلام.

وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له: ما خبر تلك العلوم التي

فما هـو إلا الإستعـاذة ضـارعـاً   أو الدفع بـالحسنى هما خير مطلـوب
فهذا دواء الدين من شر مـن تـرى   وذاك دواء له مـــن شر محجـــوب

(**وبالجملة**): أي حاصل الكلام (**فالمرضى**) المقبول (**عند العقلاء**) العرفاء (**الأكياس أن تعد**) وفي بعض النسخ: أن تقدر (**نفسك في العالم وحدك مع الله تعالى**) إنه العليم البصير المطلع على أمورك وحركاتك وسكناتك (**وبين يديك الموت**) كأنه اقترب (**والعرض**) بين يديه كأنك وقفت له (**والحساب**) على القليل والكثير (**والجنة والنـار**) كـأنهما قـد أزلفتـا. (**وتأمل**) بفكرك (**فيما يعينك**) في تلك الأهوال الكائنة (**فيما بين يديك**). وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما قال له ابن عباس عند موته كأنه يزيل جزعه ويهون عليه الأمر بذكر محاسنه: لو أن تلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلع، كما رواه البخاري من حديث ابن أبي مليكة عنه. وأخرج الخطيب في اقتضاء العلم من طريق يزيد بن إبراهيم سمعت الحسن يقول: قال أبو الدرداء: ابن آدم اعمل كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى واتق دعوة المظلوم، (**ودع عنك ما سواه**) فإنه مضمحل وآيل إلى البطلان، وهذه الكلمة القليلة جامعة لمحاسن علم التصوف ولقد أحسن من قال:

دع ما سوى الله فالأكـوان قـاطبـة   ظـل يـزول فلا تغـررك زينتهـا

وقال آخر:

إذا رمـــت مـــن تهـــوى   دع الدنيـــا وأهلهـــا

وقال آخر

فمـن سره أن لا يـرى مـا يسـوءه   فلا يتخـذ شيئـاً يخاف لـه فقـدا

(**والسلام**) على أهل التسليم.

(**وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء**) ونص القوت: ورأى بعض أهل الحديث بعض فقهاء أهل الكوفة بعد موته (**في المنام فقال له**). ونص القوت قال فقلت له: ما فعلت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي قـال فكـره وجهه وأعرض عني وقال: ما وجدناه شيئاً ولا حمدنا عاقبته. وحدثونا عن نصر بن علي الجهضمي عن أبيه قال: رأيت الخليل بن أحمد في النوم بعد موته فقلت: ما أحد أعقل من الخليل لاسألته فقال لي رأيت ما كنا فيه فإني لم أره شيئاً ما رأيت أنفع من قول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وحدثونا عن بعض الأشياخ قال: رأيت بعض العلماء في المنام فقلت: (**ما خبر**) ونص القوت: ما فعلت (**تلك العلوم التي**

كنت تجادل فيها وتناظر عليها؟ فبسط يده ونفخ فيها وقال: طاحت كلها هباء منثوراً وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل.

وفي الحديث: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ [الأعراف: ٥٨]. وفي الحديث في معنى قوله تعالى: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ [آل عمران: ٧] الآية. هم أهل الجدل الذين عناهم الله

كنت تجادل فيها وتناظر عليها)، ونص القوت كنا نجادل فيها ونناظر عليها. قال (**فبسط يده ونفخ فيها وقال: طاحت**) أي ذهبت (**كلها هباء منثوراً ما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل**) وفي القوت: حصلتا لي، وهذا الذي أوردناه عن صاحب القوت في سياق قصة الخليل فقد أخرجه الحافظ أبو بكر الخطيب في كتاب الإقتضاء من وجهين. أحدهما من طريق عبدالله بن أحمد، حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثني محمد بن خالد، حدثني علي ابن نصر يعني أباه قال: رأيت الخليل فساقه كما هو في القوت، ومن طريق أحمد بن عبدالله الترمذي سمعت نصر بن علي يقول: سمعت أبي يقول رأيت الخليل بن أحمد في المنام فقلت له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي. قلت: بما نجوت؟ قال: بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قلت: كيف وجدت علمك أعني العروض والأدب والشعر. قال: وجدته هباء منثوراً.

(**وفي الحديث: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ: ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون**) [الأعراف: ٥٨] هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد. وقال العراقي: أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي أمامة. قال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: أخرجاه من رواية حجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أمامة، وأبو غالب اسمه حزور، وقيل: سعيد بن خرور، وقد أخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في التفسير وصححه، والطبراني في الكبير، والضياء المقدسي في المختارة، واللالكائي في السنة. كلهم من رواية أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه واقتصروا على الحديث وليس في سياقهم ثم قرأ الخ إلا اللالكائي. فإنه ساقه بتمامه، وأقره الذهبي في التلخيص. قال المناوي: يعن من ترك سبيل الهدى وركب سنن الضلال لم يمش حاله إلا بالجدل أي الخصومة بالباطل. وقال القاضي في تفسيره: المراد التعصب لتخريج المذاهب الفاسدة والعقائد الزائغة لا المناظرة لإظهار الحق. واستكشاف الحال واستعلام ما ليس معلوماً عنده، فإنه فرض كفاية خارج عما نطق به الحديث اهـ.

(**وفي الحديث في معنى قوله تعالى: فأما الذين في قلوبهم زيغ**) [آل عمران: ٧] فيتبعون ما تشابه منه (**قال: هم أهل الجدل الذين عناهم الله تعالى بقوله: فاحذرهم**). هكذا أورده صاحب القوت بلا سند، وقال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها اهـ.

بقوله تعالى: ﴿ فاحذرهم ﴾ ، وقال بعض السلف: يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل. وفي بعض الأخبار أنكم في زمان ألهمتم فيه العمل، وسيأتي قوم يلهمون الجدل. وفي الخبر المشهور: « أبغض الخلق إلى الله تعالى الألد الخصم » وفي الخبر: « ما أوتي قوم المنطق إلا منعوا العمل » والله أعلم.

قلت: وكذا أبو داود والترمذي كلهم من رواية ابن أبي مليكة عن القاسم عنها بلفظ: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب إلى قوله أولوا الألباب قالت قال رسول الله ﷺ: « إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم ». وقد رواه ابن ماجه من رواية أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة وفيه فقال: « يا عائشة إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم » الحديث فلم يذكر بين ابن أبي مليكة وعائشة القاسم. والزيغ: الميل عن الإستقامة والجدل هو المخاصمة والمقاومة على سبيل المغالبة، وأصله من جدلت الحبل إذا فتلته محكماً فكان كلا المتجادلين يفتل صاحبه عن قوله إلى قوله، وقيل أصله من الجدل وهو القوة فكان كلا المتجادلين يقوي قوله ويضعف قول صاحبه، وقيل أصله من الجدالة وهي الأرض فكان كلا منهما يريد أن يصرع صاحبه ويجعله بمنزلة من يلقيه بالجدالة.

(وقال بعض السلف: يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل) أورده صاحب القوت هكذا ونصه: وعن بعض السلف يكون في آخر الزمان علماء بدل قوم والباقي سواء. **(وفي بعض الأخبار أنكم في زمان ألهمتم فيه، وسيأتي قوم يلهمون الجدل)** هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً اهـ.

ومن شواهده ما أخرجه الخطيب في الإقتضاء من طريق العباس بن الوليد بن مزيد قال: أخبرني أبي سمعت الأوزاعي يقول: إذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل، وأخرج اللالكائي في السنة من رواية يحي بن معين قال: حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا بكر بن مضر، عن الأوزاعي فساقه إلا أنه قال: ألزمهم الجدل والباقي سواء. وأخرج الخطيب من طريق عبدالله بن حنيف، سمعت إبراهيم البكاء يقول: سمعت معروف بن فيروز الكرخي يقول: إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد بعبد شراً فتح له باب الجدل وأغلق عنه باب العمل.

(وفي الخبر المشهور) عن رسول الله ﷺ قال: **(أبغض الخلق إلى الله الالد الخصم »)** قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها اهـ.

قلت: هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد، وقد أخرجه أيضاً الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي كلهم من رواية ابن جريج، عن ابن أبي مليكة عن عائشة وسياقهم كلهم أبغض الرجال وقال الترمذي: حديث حسن. قال المناوي: وإنما خص الرجال لأن اللدد فيهم أغلب، ولأن

غيرهم تبع لهم في جميع المواطن، والألد هو الشديد الخصومة بالباطل الآخذ في كل لدد. أي: في كل شق من المراء والجدال والخصم المولع بالجدال الماهر فيه، الحريص عليه المتمادي فيه بالباطل، وهو يظهر أنه على الحسن الجميل ويوجه كل شيء من خصامه وجهاً بحيث صار ذلك عادته، فالأوّل ينبىء عن الشدة، والثاني عن الكثرة.

(وفي الخبر: «ما أوتي قوم المنطق إلا منعوا العمل») قال العراقي: لم أجد له أصلاً اهـ.

قلت: أورده صاحب القوت من طريق الحكم بن عيينة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رفعه.

قلت: عبد الرحمن بن أبي ليلى تابعي عالم الكوفة. روى عن أبيه، وعمر، ومعاذ وعنه ابنه عيسى وحفيده عبدالله وثابت. مات سنة ٨٣، والصحبة لابن أبي ليلى فهذا الحديث مرسل.

الباب الرابع

في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها:

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة

الباب الرابع

في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

أما علم الخلاف فهو علم يعرف به كيفية إيراد الحجج الشرعية ودفع الشبهة وقوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية، وهو الجدل الذي هو قسم من المنطق، إلا أنه خص بالمقاصد الدينية وقد يعرف بأنه علم يقدر به على حفظ أي وضع وهدم أي وضع كان بقدر الإمكان، ولهذا قيل: الجدل إما مجيب يحفظ وضعاً أو سائل يهدم وضعاً. وذكر ابن خلدون في مقدمة تاريخه: إن الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وانظارهم، خلافاً لا بد من وقوعه واتسع في الملة اتساعاً عظيماً وكان للمقلدين أن يقلدوا من شاءوا، ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة وكانوا بمكان من حسن الظن اقتصر الناس على تقليدهم، فأقيمت هذه الأربعة أصولاً للملة، وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه يجري على أصول صحيحة ويحتج بها كل على صحة مذهبه، فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك وأبو حنيفة يوافق أحدهما. وتارة بين غيرهم كذلك، وكان في هذه المناظرات بيان مآخذ هؤلاء، فيسمى الخلافيات ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليه المجتهد الأول، والمجتهد يحتاج إليها للاستنباط، وصاحب الخلاف يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل من أن يهدمها المخالف بأدلته وهو علم جليل الفائدة. وكتب الحنفية والشافعية أكثر من تآليف المالكية لأن أكثرهم أهل المغرب وهو بادية. وللغزالي فيه كتاب المأخذ، ولأبي بكر ابن العربي كتاب التلخيص جاء به من المشرق، ولأبي زيد الدبوسي كتاب التعليقة، ولابن القصار من المالكية عيون الأدلة اهـ.

ومن الكتب المؤلفة فيه أيضاً المنظومة النسفية، وخلافيات الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي جمع فيه المسائل المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة.

وأما علم الجدل: فهو علم باحث عن الطرق التي يقتدر بها على إبرام ونقض، وهو أحد أجزاء

....

علم المنطق لكنه خص بالعلوم الدينية ومبادئه بعضها نظرية وبعضها خطابية وبعضها أمور عادية، وله استمداد من علم المناظرة المشهور بآداب البحث، ولا يبعد أن يقال إن علم الجدل هو علم المناظرة لأن المآل منهما واحد، إلا أن الجدل أخص منهما. ويؤيده كلام ابن خلدون في مقدمه كتابه حيث قال: الجدل هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول المستفاد من الإستدلال ما يكون صواباً وما يكون خطأً، فاحتاج إلى وضع آداب وقواعد يعرف منه حال المستدل والمجيب، ولذلك قيل فيه: إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الإستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره وهو طريقان. طريق البزدوي وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والإستدلال، وطريق ركن الدين العميدي وهي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان والمغالطات فيه كثيرة، وإذا اعتبر بالنظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي إلا أن صور الأدلة والأقيسة فيه محفوظة مراعاة تتحرى فيها طرق الإستدلال كما ينبغي، وهذا العميدي أول من كتب فيها ونسبت الطريقة إليه ووضع كتابه المسمى بالإرشاد مختصراً، وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره وكتب في الطريقة التآليف وهي لهذه العهد مهجورة لنقص العلم في الأمصار وهي مع ذلك كمالية وليست ضرورية اهـ.

وقال المولى أبو الخير: وللناس فيه طرق أحسنها طريق ركن الدين العميدي، وأول من صنف فيه من الفقهاء أبو بكر القفال الشاشي المتوفي سنة ٣٣٦. وقال بعض العلماء: إياك أن تشتغل بهذا الجدل الذي ظهر بعد انقراض الأكابر من العلماء، فإنه يبعد عن الفقه ويضيع العمر ويورث الوحشة والعداوة وهو من إشراط الساعة كذا في حديث ولله درّ القائل:

أرى الفقهاء في ذا العصر طراً ... أطاعوا العلم واشتغلوا بلم لم
إذا ناظرتهم لم تلق منهم ... سوى حرفين لم لم لا نسلم

وأما علم المناظرة المعروف الآن بآداب البحث، فقد ذكر ابن طاشكبري في مفتاح السعادة، والمولى لطفي في موضوعاته أنه علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين وموضوعه الأدلة من حيث أنها يثبت بها المدعي على الغير ومبادئه أمور بيِّنة بنفسها، والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث فيتضح الصواب. وفي الخاقانية لابن صدر الدين وهذا العلم كالمنطق يخدم العلوم كلها، لأن البحث والمناظرة عبارة عن النظر في الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب وإلزاماً للخصم، إلا أنه بشرائط معتبرة وإلا كان مكابرة غير مسموعة فلا بد من قانون تعرف به مراتب البحث على وجه يتميز به المقبول عما هو المردود، وتلك القوانين هي آداب البحث اهـ.

وفيه مؤلفات أكثرها مختصرات وشروح للمتأخرين، وأول من صنف فيه الشمس محمد بن

علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه، وكانوا مشتغلين بالفتاوى في الأقضية، فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادراً في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها، وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا، وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم، كما نقل من سيرهم، فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام، اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم،

شرف الحسين السمرقندي المتوفي سنة ٦١٠. والعلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الدلَجي المتوفي سنة ٧٥٦.

(**أعلم أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ تولاها الخلفاء الراشدون**) وهم الخلفاء الأربعة، وعمر بن عبد العزيز، (**وكانوا أئمة**) على الحق (**وعلماء بالله تعالى**) أي بذاته وصفاته (**فقهاء في أحكامه**) وأوامره (**مشتغلين**) بأنفسهم (**بالفتاوى في الإقضية**) أي الأحكام، (**فكانوا لا يستعينون بالفقهاء**) من الصحابة (**إلا نادراً في**) بعض (**وقائع**) ونوازل (**لا يستغنى فيها عن المشاورة**) كمسألة الجد والاخوات وغيرها، كما سيأتي فكان الذي يتولى أمور الناس هو الذي يفتي في الأحكام (**فتفرغوا**) وفي نسخة: فتفرع العلماء (**لعلم الآخرة**) كعلم الإيمان واليقين المستفادين من القرآن والحديث (**وتجردوا له**) بهممهم وكليتهم، (**وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا**). قال صاحب القوت: وروينا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من أحد يسأل عن حديث أوفتيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك. وفي لفظ آخر: كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر، ويردها الآخر إلى الآخر حتى ترجع إلى الذي سئل عنها أول مرة. وسيأتي أنهم كانوا يتدافعون أربعة أشياء. الإمامة، والوديعة، والوصية، والفتوى. وكان شغلهم في خمسة أشياء قراءة القرآن، وعمارة المساجد، وذكر الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (**واقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم**) أي خالصة وحقيقته (**كما نقل من سيرهم**) وشمائلهم، ومن طالع كتاب الحلية لأبي نعيم وجد ما يشفي الغليل، (**فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام**) تغلبوا عليها بالمال والجاه (**وتولوها بغير إستحقاق**) لها، ولا أهلية للقيام بأركانها (**ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام**) الشرعية لغلبة الجهل عليهم أو لاشتغالهم باللذات النفسية (**اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء**) واحتاجوا لهم (**وإلى استصحابهم**) ومرافقتهم (**في جميع أحوالهم**) سفراً وحضراً (**لاستفتائهم في مجاري أحكامهم**). وفي القوت قال عبد الرحيم الأسود وغيره من العلماء: إن علم الأحكام والفتاوى كان الولاة والأمراء يقومون به، وترجع العامة إليهم فيه، ثم ضعف الأمر وعجزت الولاة عن ذلك لميلهم إلى الدنيا وشغلهم بالحروب عنها، فصاروا يستعينون على ذلك بعلماء الظاهر بالمفتين

وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأوّل وملازم صغو الدين ومواظب على سمت علماء السلف، فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا، فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات، فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم، فاشرأبـوْا لطلب العلم توصلاً إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة، فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة، وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم، فمنهم من حرم ومنهم من أنجح، والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال، فأصبح الفقهاء ـ بعد أن كانوا

في الجوامع، وكان الأمير إذا جلس للمظالم قعد عن يمينه وشماله مفتيان يرجع إليهما في القضاء والأحكام ويأمر الشرط بمثل ذلك، فكان من الناس من يتعلم علم الفتيا والقضاء ليستعين بهم الولاة على الأحكام والقضاء، حتى كثر المفتون رغبة في الدنيا وطلبا للجاه والرئاسة، ثم أخلق الأمر بعد ذلك حتى تركت الولاة الإستعانة بالعلماء اهـ. **(وكان قد بقي من)** طبقة **(علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول)** أصل الطراز علم الثوب ثم استعير للنمط والطريقة، وبه فسر قول حسان:

بيض الوجـه كـريمة أحسـابهم ... شم الأنـوف مـن الطـراز الأول

(وملازم صغو الدين) هو بكسر الصاد المهملة وسكون الغين المعجمة الجانب والناحية **(ومواضب على سمت)** أي طريقة **(علماء السلف)** من الصحابة، **(وكانوا إذا طلبوا)** لتوليه القضاء والفتيا في الأحكام **(هربوا)** من بلد إلى بلد، ومنهم من أظهر الجنون والتحامق **(واعرضوا)** عن ذلك بالكلية، كما سيأتي تفصيله عن زيد بن أبي خراش أن الثوري لقي شريكاً فقال بعد الفقه والخير تلي القضاء قال يا أبا عبدالله: وهل بد للناس من قاض؟ فقال سفيان: وهل بد للناس من شرطي؟ **(واضطر الخلفاء)** والأمراء **(إلى الإلحاح)** والحث في طلبهم **(لتوليه القضاء والحكومات)** في أمور الخلق فلم يمكنهم ذلك، ومنهم من أدرك وولي كرهاً، **(فرأى أهل تلك الأعصار)** الموجودين **(عز العلماء)** بالله تعالى **(وإقبال الائمة والولاة عليهم)** والإصغاء لقولهم **(مع إعراضهم عنهم)** وعدم التفاتهم إليهم، كما هو معلوم لمن طالع تراجم الإمام أبي حنيفة، وسفيان الثوري، ومن في عصرهما من الأئمة، **(فاشرأبوا)** أي مالت نفوسهم **(لطلب العلم)** أي علم الفتيا والأحكام **(توصلاً إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة)** والحكام، **(فاكبوا)** أي واظبوا. وفي نسخة: فاقبلوا **(على علم الفتيا)** وما يتعلق به تحصيلاً واكتساباً **(و)** حين توشحوا بذلك **(عرضوا بأنفسهم)** وفي نسخة: نفوسهم **(على الولاة)** ليولوا تلك المناصب، **(وتعرفوا إليهم)** بالـوسـائـط والشفـاعـات **(وطلبـوا الولايات)** للأعمال **(والصلات)** أي العطايا **(منهم، فمنهم من حرم)** قصده أي منع، **(ومنهم من أنجح)** أي أعطيَ له ما تمناه، **(والمنجح)** منهم **(لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الإبتـذال)**

مطلوبين ـ طالبين، وبعد أن كانوا أعزة بالاعراض عن السلاطين أذلة بالاقبال عليهم، إلاَّ من وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله، وقد كان أكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات، ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يستمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها. فغلبت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فانكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف، ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات، وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة، كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أمور المسلمين ـ إشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم

لأنها لوازم السائل، (**فأصبح**) السادة (**الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن**) الملوك و (**السلاطين**) والأمراء يقربون منهم (**أذلة بالإقبال عليهم**) والإتصال بحواشيهم، وكم من فرق بين المطلوب والطالب والعزيز والذليل، (**إلا من وفقه الله عز وجل في كل عصر من علماء دينه**). وفي نسخة: من العلماء بالله تعالى، وهذا في زمانه وأما الآن فقد أخلق الأمر جداً وتضعضع ركن العلماء، فصاروا أذل من كل ذليل وترك الإستعانة بهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان.

(**وقد كان أكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والأقضية**) دون غيره (**لشدة الحاجة**) أي حاجة الأمراء (**إليها في الولايات والحكومات**) والعامة تبع لهم، (**ثم ظهر بعدهم من الصدور**) أي الأكابر الذين يتصدرون في المجالس (**والأمراء من سمع مقالات الناس**) أي أقاويلهم (**في قواعد العقائد**) الإسلامية (**ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها**) والتطلع إلى أقوال المخالفين والرد على كلامهم بالبراهين. (**فغلبت رغبته إلى المناظرة**) أي ميله إلى المباحثة على قواعد النظر (**والمجادلة**) على قواعد الجدل (**في الكلام فانكب الناس**) أي اجتمعوا مشتغلين (**على علم الكلام**) وتحصيله (**واكثروا فيه التصانيف**) وفي نسخة: التعاليق، (**ورتبوا فيه طرق المجادلات**) على طريقة ركن الدين العميدي (**واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات**) بتكثير الكلام فيها، (**وزعموا**) قائلين (**أن غرضنا**) من هذا (**الذب**) أي الدفع (**عن دين الله عز وجل**) وحماية حوزته (**والنضال**) أي المدافعة (**عن السنّة**) الشريفة (**وقمع**) الطائفة (**المبتدعة**) من المعتزلة والقدرية وغيرهما من الفرق الضالة، (**كما زعم من قبلهم**) من المشتغلين (**أن غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين**) حسبة لله تعالى (**وتقلد أمور المسلمين**) بحسن التوسط بينهم (**إشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم**) وربما تعلقوا بحديث النصح لكل مسلم ونزلوا معناه على أفعالهم. (**ثم ظهر بعد**

يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه. لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى اهراق الدماء وتخريب البلاد، ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص. وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل

ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض) أي لم يرَ الخوض **(في الكلام وفتح باب المناظرة)** والمجادلة **(فيه)** صواباً **(لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة)** والحميات الشيطانية **(والخصومات الفاشية)** الظاهرة. وفي نسخة الناشئة بالنون **(المفضية)** أي الموصلة **(إلى إهراق الدماء وإخراب البلاد)**. ومن أعظمها فتنة الوزير أبي نصر منصور بن محمد الكندي الذي كان معتزلياً خبيث العقيدة متعصباً للكرامية والمجسمة في زمن السلطان طغرلبك السلجوقي فأدت إلى خروج إمام الحرمين، والحافظ البيهقي، والإمام أبي القاسم القشيري وغيرهم من أئمة السنة من نيسابور، وقد طار شرر هذه الفتنة فملأ الآفاق، وطال ضررها فشمل خراسان والشام والحجاز والعراق، وعظم خطبها ونهبت البلاد وأخرجت البلدان. وفي ذلك صنف القشيري رسالة إلى البلاد سماها (شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة). وقد جالت هذه الرسالة في البلاد وانزعجت نفوس أهل العلم بسببها حسبما أوردها مع تفصيل الفتنة ابن السبكي في طبقاته، فراجعه إن شئت **(ومالت نفسه)** لذلك **(إلى المناظرة في الفقه)** فقط بالرد والنقض على المخالفين **(و)** اختار من ذلك **(بيان الأولى)** والأرجح **(من مذهب)** الإمام **(الشافعي)** والإمام **(أبي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص)** لشهرتهما وكثرة من قلد مذهبهما في غالب الأقطار، **(فترك الناس الكلام وفنون العلم وأقبلوا)**. وفي نسخة: انثالوا **(على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص)**. وقد تقدم عن ابن خلدون قال في مقدمة تاريخه: لما انتهى الأمر إلى الأئمة الأربعة وكانوا بمكان من حسن الظن اقتصر الناس على تقليدهم، فأقيمت هذه الأربعة أصولاً للملة وأجري الخلاف بين المتمسكين بها فجرى الخلاف في النصوص الشرعية وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه يجري على أصول صحيحة ويحتج بها كل على صحة مذهبه اهـ.

(وتساهلوا في الخلاف مع مالك رحمه الله) لأن أكثر مقلدي مذهبه مغاربة وهم بادية، فلذلك لم يصنفوا فيه كتباً إلا ما كان من المتأخرين منهم **(وسفيان)** بن سعيد الثوري **(وأحمد)** بن حنبل لقلة مقلدي مذهبهما بالنسبة إلى الأولين **(وغيرهم)** من الأئمة. **(وزعموا أن غرضهم)** من ذلك **(استنباط)** أي استخراج **(دقائق الشرع)** وبيان المأخذ **(و)** معرفة القواعد التي يعرف منها **(تفريع)** وفي نسخة: تقرير **(علل المذهب وتمهيد**

المذهب وتمهيد أصول الفتاوى، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه إلى الآن، ولسنا ندري ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار؟ فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضاً معهم، ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين.

أصول الفتاوى) مع المحافظة عليها من هدم مخالف أو نقض مصادم، **(فأكثروا فيها التصانيف)** والتعاليق منظومة ومنثورة. **(والاستنباطات)** الغريبة **(ورتبوا فيها أنواع المجادلات)** والخصومات **(والتصنيفات)**، فمن ذلك تعليقة أبي زيد الدبوسي من الحنفية، وخلافيات الحافظ البيهقي وغير هؤلاء. **(وهم مستمرون عليه إلى الآن)** أي إلى زمان تأليف الكتاب وهو سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ولسنا ندري ما الذي قدر الله تعالى فيما بعدنا من الأعصار).

قلت: ثم تعاظم الأمر في ذلك وأوسعوا فيه الكلام ومالوا إليه مرة واحدة، بحيث لا يعد العالم فيما بينهم إلا إذا استكمل الخلاف والجدل، وحصلت المناظرات بين الحنفية والشافعية وترتب على ذلك تخريب بعض البلاد وإجلاء بعض العلماء، ومن أعظمها ما حصل بمرو أم مدن خراسان بسبب ابن السمعاني وغيره، **(فهذا)** الذي ذكرت **(هو الباعث)** لهم **(على الإكباب)** والإقدام **(على الخلافيات والمناظرة)** والجدل **(لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا)** وأمرائها **(إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة)** غير من ذكروا **(أو إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضاً معهم)**، كما اتفق لملوك الروم وميلهم إلى علوم الفلاسفة، فاشتغل الناس بتحصيلها من كل وجه، وامتلأت المدارس الشرعية بمن يحصلها وأوسعوا فيها من التآليف، ووقعت الحكومات والمنافسات وأعطوا على ذلك أموالاً، فوجب صرف العناية إليها ولم تندثر تلك العلوم من بلاد الروم إلا عن قريب، وهذا كما قيل: الناس على دين ملوكهم، **(ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم)** من تحصيله **(سوى التقرب إلى رب العالمين)** وقد أخطأوا فيما زعموا.

وكل يدّعي وصلاً بليلى ... وليلى لا تقرّ لهم بذاك

ثم ان الشيخ رحمه الله تعالى ذكر سبب الإقبال على علم الخلاف والانكباب عليه، ولم يذكر الأسباب الموجبة للخلاف في هذه الملة وهي ثمانية. **الأول:** اشتراك الألفاظ والمعاني. **الثاني:** الحقيقة والمجاز. **والثالث:** الافراد والتركيب. **والرابع:** الخصوص والعموم. **والخامس:** الرواية والنقل. **والسادس:** الاجتهاد فيما لا نص فيه، **والسابع:** الناسخ والمنسوخ، **والثامن:** الإباحة والتوسيع وتفصيل ذلك في كتاب ألفه أبو محمد عبدالله بن السيد البطليوسي وهو حسن في بابه فراجعه إن شئت.

(بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف) :

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح، فإن الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر، هكذا كانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في مشاوراتهم كتشاورهم في مسألة الجد والأخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ، كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفاً من عمر رضي الله عنه، وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبي يوسف، وغيرهم من

(**بيان التلبيس**): أي التخليط (**في تشبيه هذه المناظرات**) التي تجري بينهم (**بمشاورات الصحابة رضي الله عنهم ومفاوضات السلف**) الصالحين.

(**اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك**) أي يأخذونهم على طريق الاستدراج (**بأن غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق**) والتفحص عنه لنتبعه (**وليتضح**) وضوحاً كلياً، (**فإن الحق مطلوب**) لا محالة (**والتعاون على النظر**) أي طلب المعنى بالقلب من جهة الفكر كما يطلب إدراك المحسوس بالعين (**وتوارد الخواطر**) بعضها على بعض (**مفيد ومؤثر**) تأثيراً بليغاً (**و**) يزعمون أنه (**هكذا كانت عادة الصحابة**) الكرام رضي الله عنهم (**في مشاوراتهم**) مع بعضهم في مسائل إذا اختلف فيها (**كتشاورهم**) أي كما تشاوروا (**في مسألة الجد والاخوة**)، فأفتى فيها أبو بكر الصديق بمشاورة الصحابة بأن أنزله أباً، وبه أفتى ابن الزبير لأهل الكوفة كما في البخاري في مناقب الصديق، وبه أخذ الإمام أبو حنيفة، وأفتى زيد بن ثابت بأن له مع الأخوة خير الأمرين من المقاسمة وأخذ ثلث المال، وبه أخذ الشافعي وباقي الأئمة. (**وحد شرب الخمر**) فقيل: أربعين كما في صحيح مسلم، وقيل ثمانين كما في البخاري وفي مسلم أن عبدالله بن جعفر جلد الوليد بن عقبة بين يدي عثمان، وكان أخاً لأمه وعلي يعده حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك. ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعثمان ثمانين. وكل سنة وهذا أحب إليّ. (**ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ**) في اجتهاده، (**كما نقل من إجهاض**) أي إلقاء (**امرأة جنينها**) من بطنها لغير تمام (**خوفاً من عمر**) رضي الله عنه فوداه من عنده، (**وكما نقل في مسائل الفرائض**) وهي كثيرة (**وغيرها**) مما تشاور فيه الصحابة رضي الله عنهم، (**وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن**) الشيباني (**ومالك**) بن أنس (**وأبي حنيفة**) النعمان (**وأبي يوسف**) يعقوب، (**وغيرهم من العلماء**) كأحمد، وإسحاق بن راهويه، وأبي ثور في مناظراتهم مع بعضهم، وبعض ذلك مذكور في الطبقات الكبرى لابن السبكي، فهذا هو الذي أوقع الناس في التلبيس. (**ويطلعك على هذا**

العلماء رحمهم الله تعالى. ويطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان.

الأوّل: ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان، ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب. ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول: غرضي أستر عورة من يصلي عرياناً ولا يجد ثوباً، فإن ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن، كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرات مهملون لأمور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وأحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به، فلا يكفي في كون الشخص مطيعاً كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب.

الثاني: أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة، فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره

التلبيس ما أذكره لك) مفصلاً **(وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين)**. وقد ورد في الحديث «طلب الحق غربة». **(ولكن له شروط وعلامات)** بها ينتظم أمره وبها يظهر حقه من باطله.

(الأول): من الشروط **(أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات)** كما تقدم **(من لم يتفرغ عن)** تحصيل **(فروض الأعيان)** الواجبة عليه، **(ومن)** كان **(عليه فرض عين)** فتركه **(واشتغل بفرض كفاية وزعم ان مقصوده)** طلب **(الحق فهو كذاب)** وفي نسخة: كاذب **(ومثاله)** مثال **(من يترك الصلاة)** المفروضة عليه **(في نفسه ويتجرأ)**. وفي نسخة: يتجرد **(في تحصيل الثياب ونسجها)** وخياطتها **(ويقول: غرضي به ستر عورة من يصلي عرياناً ولا يجد ثوباً)** يستتر به، **(فإن ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن)** في الخارج، **(كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن)** الوقوع **(والمشغولون في المناظرة مهملون)** وفي بعض النسخ: والمستغرق بالمناظرة مهمل **(لأمور)** أي تارك لها **(هن)** وفي نسخة: هي أي تلك الأمور **(فرض عين)** عليه **(بالاتفاق، ومن توجه عليه ردّ وديعة في الحال)** وترك ذلك **(فقام يحرم بالصلاة)** وفي نسخة فقام وتحرم بالصلاة **(التي هي أقرب القربات إلى الله تعالى)** مع بقاء وقتها **(عصى)** الله **(بذلك، فلا يكفي في كون الشخص مطيعاً)** لله تعالى **(كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت)** الذي يؤدي فيه **(والشرط)** الذي يتم به **(والترتيب)** الذي به يقبل.

(الثاني): من الشروط **(أن لا يرى فرض كفاية)** من فروض الكفايات التي ذكرت

عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء، فاشتغل بتعلم الحجامة، وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس، وإذا قيل له في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول: هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية. فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها، فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها، وأقربها الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعوّل فيه على قول الطبيب شرعاً، ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به، وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات، وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته

(أهم من المناظرة) وأكثر اعتناء منها، **(فإن رأى ما هو أهم عصى بفعله)** هذا **(وكان مثاله)** مثال **(من رأى جماعة من العطاش)** جمع عطشان قد **(أشرفوا على الهلاك)** لعدم الماء **(وقد أهملهم الناس)** أي تركوهم **(وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء)** وترك ذلك، **(فاشتغل بتعليم الحجامة)** مثلاً، **(وزعم انه من فروض الكفايات)** وانه مما ينبغي الاعتناء بها **(و)** أنه **(لو خلا البلد عنها لهلك الناس، وإذا قيل له في البلد جماعة من الحجامين)** قد قاموا بهذا العلم **(وفيهم غنية)** وكفاية **(فيقول)** مناظراً: **(وهذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية، فحال من يفعل هذا ويهمل)** أي يترك **(الاشتغال بالواقعة الملمة)** أي الحادثة النازلة **(لجماعة العطاش من المسلمين)** وقد أشرفوا على الهلاك **(كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد)** جملة من **(فروض كفايات مهملة)** متروكة **(لا قائم بها)** ولا سائل عنها، **(وأما الفتوى فقد قام بها جماعة)** من العلماء **(ولا يخلو بلد)** من البلاد **(عن جملة من الفروض المهملة)** قد تركوها **(ولا يلتفت الفقهاء إليها)** أصلاً، **(وأقربها)** وفي نسخة: وأكبرها **(الطب)** فقد ضيعوه رأساً **(إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم)** عارف ماهر **(يجوز اعتماد شهادته فيما)** يصف من الأدوية و **(يعوّل فيه على قول الطبيب فيه شرعاً)** كما هو مشاهد في هذه الأزمان والبلاد، **(ولا يرغب أحد من العلماء في الاشتغال به)** لما تقدم انه لا تحصل به المشيخة والرئاسة ولا الوصايا وحيازة الأموال. قال صالح جزرة عن الربيع، قال الشافعي: لا أعلم بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه. وقال حرملة: كان الشافعي يلتهف على ما ضيع المسلمون من الطب ويقول: ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى، **(وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات)** كما تقدم، **(وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهداً للحرير مفروشاً وملبوساً)**، وهو من جملة المنكرات الشرعية، ولكن في المفروش

مشاهداً للحرير ملبوساً ومفروشاً وهو ساكت ويناظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقعت قام بها جماعة من الفقهاء، ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات. وقد روى أنس رضي الله عنه أنه قيل يا رسول الله: متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فقال عليه السلام: «إذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحوّل الملك في صغاركم والفقه في أراذلكم».

خلاف لأبي حنيفة كما سيأتي بيانه فيما بعد. **(وهو ساكت)** لا ينهى عن ذلك. وروى أبو محمد البستي السختياني نزيل مكة: حدثني الحرث بن شريح قال: دخلت مع الشافعي على خادم الرشيد وهو في بيت قد فرش بالديباج، فلما وضع الشافعي رجله على العتبة أبصره فرجع ولم يدخل، فقال له الخادم: ادخل، فقال: لا يحل افتراش هذا فقام الخادم متبسماً حتى دخل بيتاً له فرش بالأرمني، فدخل الشافعي ثم أقبل عليه، فقال: هذا حلال وذاك حرام وهذا أحسن من ذاك وأكثر ثمناً منه فتبسم الخادم وسكت، **(و)** الحال أنه **(يناظر في مسألة)** نادرة **(لا يتفق وقوعها وإن وقعت قام بها جماعة من الفقهاء)** وكفوه مؤنتها، **(ثم يزعم)** في معتقده **(أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفرض الكفاية)**.

قلت[1]: هكذا أورده ابن عبد البر من طريق ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن أبي أمية وأورد أبا أمية في الصحابة وذكر هذا الحديث له وقال لا أعرفه بغير هذا وقال ذكره بعضهم في الصحابة وفيه نظر.

وأخرج الخطيب في كتاب الاقتضاء فقال: أخبرنا أبو نصر أحمد بن علي بن عبدوس الاهوازي إجازة قال: سمعت محمد بن ابراهيم الأصبهاني يقول: سمعت عبدالله بن الحسين الملطي يقول: سمعت محمد بن هارون يقول: سمعت ابن أبي أويس يقول: حضر رجل من الأشراف عليه ثوب حرير قال، فتكلم مالك بكلام لحن فيه. قال، فقال الشريف: ما كان لأبوي هذا درهمان يعلمانه النحو. قال، فسمع مالك كلام الشريف، فقال: لأن تعرف ما يحل لبسه مما يحرم عليك خير لك من ضرب عبدالله زيداً وضرب زيد عبدالله.

(وقد روى أنس) رضي الله عنه **(قيل: يا رسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: «إذا ظهرت المداهنة)** وفي رواية: إذا ظهر الادهان أي الملاينة وترك المجادلة، وأصل ذلك من الدهن الذي يمسح به الرأس، ثم جعل عبارة عما ذكرنا **(في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في أرذالكم»)**. وفي نسخة في رذالكم وفي أخرى: في أراذلكم. قال العراقي: أخرجه ابن ماجه باسناد حسن، وقال في التخريج الكبير رواه أحمد، وابن ماجه، وابن عبد البر في بيان آداب العلم واللفظ له باسناد حسن من رواية

---

(١) هذه الزيادة من قوله: قلت إلى قوله وأخرج الخ لا معنى لها هنا والصواب اسقاطها كما في بعض النسخ اهـ. مصححة.

الثالث: أن يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وأفتى بما ظهر له، كما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم والأئمة، فأما من ليس له رتبة الاجتهاد، وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتي فيما يسئل عنه ناقلاً عن مذهب صاحبه. فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له أن يتركه، فأي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له

أبي معبد حفص بن غيلان عن مكحول عن أنس بزيادة في أوله. وقال ابن ماجه: إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم قالوا: يا رسول الله، وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: «الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رذالكم» قال زين بن يحيى أحد رواة الحديث معنى والعلم في رذالكم إذا كان العلم في الفساق اهـ.

قلت: ويروى هذا الحديث عن عائشة وجدته في الأول من مشيخة أبي يوسف يعقوب بن سفيان القوسي قال: حدثنا الحسن بن الخليل بن يزيد المكي، حدثنا الزبير بن عيسى، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: يا رسول الله؛ متى لا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر؟ قال: «إذا كان البخل في خياركم، وإذا كان العلم في رذالكم، وإذا كان الادهان في كباركم، وإذا كان الملك في صغاركم» اهـ.

ومن شواهد هذا ما أخرجه البخاري في أول صحيحه من حديث أبي هريرة رفعه: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». وفي الرقاق منه: إذا أسند. قال الحافظ: فيه إشارة إلى أن اسناد الأمر إلى غير أهله، إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الاشراط. ومعناه أن العلم ما دام قائماً ففي الأمر فسحة، وكأنه أشار إلى أن العلم إنما يؤخذ من الاكابر تلميحاً لما رُوي عن أبي أمية الجمحي رفعه قال: «من أشراط الساعة أن يلتمس العام عند الأصاغر».

(**الثالث: أن يكون المناظر**) في مباحثته (**مجتهداً**) الاجتهاد عرفاً استفراغ الفقيه وسعه لتحصيل ظن بحكم شرعي (**يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما**) من الأئمة (**حتى إذا ظهر له الحق**) في مثله بعد ارتياض الفكر فيه (**من مذهب أبي حنيفة**) مثلاً (**ترك ما يوافق**) مذهب إمامه (**الشافعي**) مثلاً، (**وأفتى بما ظهر له**) من استنباطه، (**كما كان يفعله الصحابة**) رضوان الله عليهم لتلقيهم من أنوار النبوة (**والأئمة**) المتقدمون، (**فأما من ليس له رتبة الاجتهاد**) وهو الاستقلال في الاجتهاد وهو شيء قد عدم منذ إعصار. تلك أمة قد خلت. (**وهو حكم أهل هذا العصر**) أي عصر المصنف (**وإنما يفتي فيه ناقلاً**) بطريق التقليد (**عن مذهب صاحبه**) وإمامه الذي قلده، (**فلو ظهر له**) فيما تأمله (**ضعف مذهبه لم يجز له أن**) ينسب الضعف إليه ولا أن (**يتركه**) والعمل به والافتاء للناس، (**فأي فائدة له في المناظرة**) مع خصمه (**ومذهبه معلوم**) مدون (**ليس له الفتوى بغيره**) لتقيده

الفتوى بغيره؟ وما يشكل عليه يلزمه أن يقول: لعل عند صاحب مذهبي جواباً عن هذا، فإني لست مستقلاً بالاجتهاد في أصل الشرع، ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه، فإنه ربما يفتي بأحدهما فيستفيد من البحث ميلاً إلى أحد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية فيها قط، بل ربما ترك المسألة التي فيها وجهان أو قولان وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مثبوتاً.

فيه؟ **(وما يشكل عليه)** من المسألة ويتوقف فيه **(يلزمه أن يقول)** لم يظهر لي الآن وجه الصواب في هذه المسألة: **(ولعل عند صاحب مذهبي)** أي إمامي الذي أقلده **(جواباً)** واضحاً **(عن هذا، فإني لست مستقلاً بالاجتهاد)** أي لست مجتهداً مستقلاً **(في أصل الشرع)** وقواعده فيتعلل بذلك، وقوله: هذا صحيح واعتذاره ظاهر، **(ولو كانت مباحثته)** في مناظراته **(عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه)** كما هو مشاهد في كثير من المسائل في مذهبي أبي حنيفة والشافعي **(لكان أشبه)** بالصواب، **(فإنه ربما يفتي بأحدهما فيستفيد من البحث)** مع صاحبه **(ميلاً إلى أحد الجانبين)** وركوناً إلى أحد القولين واستناداً إلى أحد الوجهين، **(و)** أنت **(لا ترى المناظرات)** والمباحثات الآن **(جارية فيها قط)** لأن مثل تلك المسائل عندهم كأنها لا طائل تحتها. **(بل ربما ترك المسألة التي فيها وجهان أو قولان)**، والوجه في المسألة أن تكون المسألة غير مصرح بها في نصوص إلا أنها مقاسة على أصول قواعد المذهب. وأما القول فما كان مصرحاً به من الإمام. فهذا الفرق بين الوجه والقول **(وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مثبوتاً)** لكثرة الكلام وصحبة المجادلة مع المخالفين. وسيأتي بيان ذلك قريباً بعد هذا، وبيان هذا المحل يستدعي إلى بسط في العبارة ليكون المناظر عند معرفتها على بصيرة، فنقول:

ذكر العماد أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلي السكري مدرس منازل العز في كتابه الارشاد إلى طريق الاجتهاد ما نصه: إن رعاع الفقهاء وضعفة الطلبة يخيل إليهم أن النظر في مسائل الشرع قد انسدت طرقه وعميت مسائله، وأن الغاية القصوى عندهم أن يسأل واحد منهم عن مسألة فيقول فيها وجهان أو قولان. وقال الشافعي في القديم كذا، وفي الجديد كذا، وقال أبو حنيفة كذا، ومالك كذا. ويرى أنه علم قد أبرزه وتراهم أبداً يقدحون في المجتهدين ويجادلون لطالبين ويحثون على تحصيل الأم للشافعي أو لباب المحاملي أو غير ذلك من الكتب المبسوطة حتى إذا وقعت واقعة كشف الكتاب، فإن رأى المسألة مسطورة حكم بها وإن رأى مسألة أخرى فزعم أنها تشابهها حكم بحكم تلك المسألة فهم حشوية الفروع، كما أن المشبهة حشوية الأصول، والعجب أنهم لا يقنعون بقصورهم حتى يضيفوا القصور إلى من سبق من الأئمة ويقول بعضهم: ما بقي بعد الشافعي مجتهد، ويقول: ما بقي بعد ابن شريح مجتهد، فانظروا إلى قدح هؤلاء في الأئمة المبرزين وأنهم كانوا يقدمون على ما لا يعلمون، فإن الأئمة ما زالوا في جميع الأقطار يراجعون في الفتاوى ويفتون باجتهادهم مع اختلاف أصنافهم كالمعروفين بنشر مذهب الشافعي

....

كأبي إسحاق صاحب المهذب وأشياخه من أئمة العراق كلهم مبرزون مفتون، وكذلك أئمة خراسان كإمام الحرمين وأشياخه وتلاميذه أبي حامد الغزالي والكيا والخوافي، وكذلك أتباعهم كمحمد بن يحيى، ومن كان في درجته من أصحاب الغزالي وكلهم قد طبق فتاويهم وجه الأرض مع صريح من فقه الشافعي، ومن تأمل فتاويهم رأى ما ذكرناه. وكذلك الأئمة المشهورون في مذهب مالك وأبي حنيفة لم يزالوا يفتون ويجتهدون في جميع الأقطار والمناكرة في ذلك مكابرة، ثم قال: واعلم انه لا يجوز الكلام في أحكام الله تعالى بمحض الشهوة والرأي، بل لا بد من طريق نصبها الشارع، وللشارع طريقان نصبهما طريق في حق المجتهد، وطريق في حق العامي المقلد، وطريق المجتهد النظر في الأدلة الشرعية المنصوصة من قبل الشارع والتوصل بها إلى أحكام الله تعالى، كما كان دأب الصحابة والتابعين، وطريق في حق العوام هو تقليد أرباب الاجتهاد كما كان في زمن الصحابة والتابعين، وهذان متفقان على نصبهما، ثم أطال العبارة وذكر مسائل مهمة لا بدّ من معرفتها.

الأولى: إذا نقلت لكم أقوال الشافعي في الواقعة الواحدة أتعملون بكل قول أم بالبعض دون البعض؟ فإن قالوا: نعمل بكل قول سقطت مقالتهم، فإن الفعل الواحد كيف يكون حلالاً حراماً في وقت واحد من وجه واحد بالنسبة إلى شخص واحد، فهذا مما لا يمكن أن يقال به، فإن قالوا: نعمل بالمتأخر دون المتقدم. فنقول: ما بالكم تنقلون المتقدم وتقولون في أكثر محاوراتكم يصح على قول، وبيع الغائب صحيح على قول الشافعي، وتعتمدون عليه. وهذا لا يجوز أن يفعل على هذا الوجه، بل ينبغي إذا نقلتموه لمن ساءلكم أن تقولوا هو قول مرجوع عنه لا يجوز الاعتماد عليه، وإنما ذكرناه لفقهه لا لحكمة فيكونون ملتبسين بهذا الإطلاق مع أني رأيت بعضهم إذا أنكر عليه أمر فعله اعتذر بأنه قول الشافعي.

الثانية: العمل بالأرجح، فالأرجح من الأقوال، فيقول: الترجيح طرف من أطراف الاجتهاد فلا حظ لك فيه لأنك اعترفت أنك من جملة العوام المقلدين وترجيح أحد القولين على الآخر إن كنت تنقله عن الشافعي أو من عندك، ولا يمكنك نقل الترجيح إلى الشافعي فلزم الثاني، فأنت إذاً تعمل باجتهادك لا باجتهاد الشافعي، ولعل الإمام ترجح عنه القول الآخر بترجيح آخر لم تطلع عليه أنت، ولعله لا يدري ما ذكرته مرجحاً. فقد تعذر عليهم تقليد الشافعي في مثل هذه المسائل، ووجب عليهم الكف عن الحكم فيها، فإنهم ليسوا مجتهدين وقد تعذر عليهم التقليد. وكذلك الكلام في المسائل ذوات الوجوه المنقولة عن الأصحاب، وعند ذلك يجب عليهم الكف عن الكلام في معظم مسائل المذهب، ثم أن قولهم ترجيح أحد القولين على الآخر على الاطلاق خطأ، فإن الترجيح لا يتصوّر في المذاهب بوجه من الوجوه، فإن كون هذا حراماً أو مباحاً فما في التحريم نقصان ولا في الاباحة زيادة ولا يتصوّر الزيادة والنقصان في الأحكام بوجه من الوجوه، وإنما يكون الترجيح بزيادة في أحد الأمرين لم يوجد في الثاني، وهذا

....

إنما يتصور في الأدلة بأن يختص أحدهما بزيادة تؤكد الظن الحاصل فيه، ولم توجد في الآخر فإن أرادوا هذا المعنى فقد أصابوا في المراد وأخطأوا في الاطلاق، وإذا آل الأمر إلى الترجيح في الأدلة، فلا بد للمرجح من معرفة الدليل وشروطه وأوصافه، وبعد هذا يتحقق عنده مقابل الأدلة وإلاّ كيف يتصور ممن لا يعرف الأدلة وشروطها أن يكون بحكم مقابلها، ثم يخوض بعد ذلك في ترجيح بعضها على بعض، وأنتم قد حكمتم على أنفسكم بالعجز عن استخراج الأدلة، وإذا فقد معرفة الأدلة التي هي شرط معرفة الترجيح لزم ضرورة انتفاء الشرط وهي معرفة الترجيح، ثم إن المسألة إذا كان فيها قولان مختلفان يحرم على العامي العمل بها إذا لم يعرف المتقدم من المتأخر وتصير في حقه كأن لم يكن للمنقول فيها عند قول أصلاً وتعين عليه أن يراجع المنقول عنه إن أمكن أو تقليد غيره ممن يجوز الاعتماد عليه والمسائل التي قد نقل فيها قولان عن أبي حنيفة والشافعي كثيرة، وربما يكون معظم المذهب وكان يجب عليكم الكف عن الكلام فيها. ولو فعلتم ذلك لذهبت شهامتكم واختلت مناصبكم ونسبتم إلى قلة العلم.

فـان قيل: كيف يجوز لكم الفتوى فيما لم ينقل عن مقلدكم فيه حكم وأنتم لستم بأهل الاجتهاد باعترافكم؟ قالوا: نقيسها على مسألة مسطورة وربما تحدث فيحدث، ويقول: أصول الشافعي تقتضي كذا في هذه المسألة: فيقال لهم: أتردّون الحكم إلى اجتهادكم أو إلى اجتهاد الشافعي؟ الأوّل: لا تعرفون به، وأما الثاني فيقال عليه قد افتريتم على الشافعي، فإنه لم يتكلم في هذه المسألة فكيف يحل لكم أن تنسبوا إليه ما لم يقل؟ فإن قالوا: نعني بكونها منسوبة إليه أنها مقاسة على ما نص عليه، فاعلم أن في هذا الاطلاق تدليساً فإنه يفهم منه حكم الشافعي، وقد علمتم أن سائلكم إنما سأل عما ذكره الإمام الشافعي، فيحق لكم أن لا تطلقوا النسبة إليه، وأيضاً قولكم هذا إن كان عن اجتهاد فلا يمكنكم أو عن تقليد فلا يمكن أيضاً لأنه انطوى بساط الاجتهاد بالشافعي أو بابن سريج كما زعمتم فما بعدهما لا يجوز الاعتماد على اجتهاده، ثم قال: اعلم أن الإجتهاد جنس تندرج تحته أنواع متعددة فإن الاجتهاد في المسائل القياسية غير الاجتهاد في المسائل التي مستندها ألفاظ الشارع وغير الاجتهاد في المسائل التي مستندها أفعال النبي ﷺ، وكل نوع من هذه الأنواع يمكن العلم به مع عـدم العلم بغيره، فيمكـن أن يكـون الواحـد مـاهـراً في القيـاس وشروطه ومراتبه وموارده، ولا يكون عالماً بتفاصيل الاخبار ولا مطلعاً على صحيحها وفاسدها، وبالعكس هذا بالنظر إلى جملة الأنواع، وكل نوع مشتمل على صور أيضاً، فإن القياس يستعمل في مسائل متعددة في البيوع والنكاح والقصاص فيمكن أن يكون الواحد منا مطلعاً على مسائل النكاح عالماً بأقيستهـا معتنياً فيها، ولا يكون مطلعاً على مسائل البيع، فليس الاجتهاد خطة واحدة لا تتعدد أنواعه ولا تتكثر مسائله، فعند هذا يمكن أن يكون الواحد مجتهداً في بعض المسائل مجيباً عن البعض ولا يكون عالماً بالبعض، فليس من شرط المجتهد أن يكون مجيباً عن كل ما يُسْأَل عنه، ولذلك توقف كثير من الائمة في الجواب عن بعض المسائل، فلا يجوز لأحد أن يفتي في مسألة من المسائل إلّا إذا كان محيطاً بأدلتها وما لا فيمسك عن الفتيا فيها ولا يبقى

....

بعد هذه الحالة إلا تحصيل الأدلة الجزئية في آحاد المسائل من نصوص أو أقيسة، **فإذا اطلع على** دليل مسألة كان من أهل الفتيا في تلك المسألة ولا يضره كونه غير مطلع على دليل المسألة الأخرى، ثم قال: واعلم أن الاجتهاد عبارة عن بذل الجهد في طلب حكم من الأحكام الشرعية ممن هو عارف بسلوك طرقها وله شروط وهي قسمان. قسم في المنظور فيه، وقسم في الناظر. أما المنظور فيه فيشترط فيه أن لا يكون في محل القطع، فإن محال القطع لا مجال للاجتهاد فيها كأصل وجوب الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما يحكم فيه بأدلة قطعية لا يسوغ خلافها. وأما الناظر فيشترط فيه أمران. **أحدهما**: أن يكون عارفاً بقوانين الأدلة وشروطها وكيفية استخراجها. **والثاني**: أن يكون متمكناً من استخراج الدليل خاصاً في المسألة التي يجتهد فيها، ثم أطال الكلام في ذلك ونحن قد اختصرنا لك ما ناسب في هذا المقام، وعلى نمطه ألف السيوطي كتاب **(الأصعاد إلى رتبة الاجتهاد)**. وذكر الشهاب أحمد بن محمد بن الهائم المصري نزيل بيت المقدس في كتابه **(نزهة النفوس)** ما نصه فائدة قال أبو عمرو بن الصلاح: المفتون قسمان. مستقل وغيره، ثم بيّن المستقل قال وهو شيء قد عدم من اعصار.

والقسم الثاني الذي ليس بمستقل وهذا أيضاً قد عدم من دهر طويل وصارت الفتوى إلى المنتسبين إلى المذاهب المتبوعة، وللمفتي المنتسب أربعة أحوال.

أحداها: أن لا يكون مقلداً لإمامه لا في المذهب ولا في دليل لاتصافه بصفة المستقل وإنما ينسب إليه لسلوك طريقته في الاجتهاد، ثم حكى من قال ذلك من أئمة أصحابنا، ثم قال: ودعوى انتفاء التقليد عنهم مطلقاً لا يستقيم ولا يلائم المعلوم من حالهم أو حال أكثرهم. قال: ثم فتوى المفتي في هذه الحالة كفتوى المستقل في العمل بها في الإجماع والخلاف. قال الاذرعي: وهذا شيء قد انطوى أيضاً.

الحالة الثانية: أن يكون مجتهداً مقيداً في مذهب إمامه مستقلاً بتقرير أصوله بالدليل غير أنه لا يتجاوز في أدلته أصول إمامه وقواعده وشرطه، كونه عالماً بالفقه وأصوله وأدلة الأحكام تفصيلاً بصيراً بمسالك الأقيسة والمعاني تام الارتياض في التخريج والاستنباط قيّماً بالحاق ما ليس منصوصاً لإمامه بأصوله ولا يعرى عن شوب تقليد له لا خلاله ببعض أدوات المستقل إلى أن قال: وهذه صفة أصحاب الوجوه ولكنه فقيه النفس حافظ مذهب إمامه عارف بأدلته قائم بتقريرها يصور ويحرر ويقرر ويمهل ويزيف ويرجح، لكنه قصر عن أولئك لقصوره عنهم في حفظ المذهب أو الارتياض في الاستنباط أو معرفة الأصول أو نحوها من أدواتهم. وهذه صفة كثير من المتأخرين إلى أواخر المائة الرابعة الذين رتبوا المذهب وحرروه وصنفوا فيه تصانيف فيها معظم اشتغال الناس اليوم ولم يلحقوا الذين قبلهم في التخريج[1].

---

(١) الحالة الثالثة ساقطة من الأصل.

الرابع: أن لا يناظر إلا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالباً، فإن الصحابة رضي الله عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفرائض، ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلـوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي يتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر، وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسألة خبرية أو هي من الزوايا وليست من الطبوليات، فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار أو لأنها

الحالة الرابعة: أن يقدم المذهب ونقله وفهمه في الواضحات والمشكلات، ولكن عنده ضعف في تقرير أدلته وتحرير أقيسته، فهذا يعتمد نقله وفتواه فيما يحكيه من مسطورات مذهبه من نصوص إمامه وتفريع المجتهدين فيه وما لا يجده منقولاً إن وجد في المنقول معناه بحيث يدرك بغير كبير فكر أنه لا فرق بينهما جاز إلحاقه به والفتوى به، وهكذا ما يعلم اندراجه تحت ضابط ممهد في المذهب، وما ليس كذلك يجب إمساكه عن الفتوى فيه. قال النووي: فهذه أصناف المفتين وكل صنف منها يشترط فيه حفظ المذهب وفقه النفس، فمن تصدى للفتيا وليس بهذه الصفة باء بأمر عظيم. قال ابن الهائم بعد نقله هذا الكلام: وليـت ابـن الصلاح أثبت حالة خامسة على طريق الرخصة بحسب همم أهل هذا العصر وقصور قواهم عن بلوغ هذه المرتبة الرابعة، فلا تكاد تجد مفتياً بالشرط الذي اعتبره في المرتبة الرابعة اهـ.

(**الرابع: أن لا يناظر إلا في مسألة واقعة**) أو نازلة مهمة احتاج الأمر إلى الكشف عن حقيقتها ومعانيها اضطراراً (**أو**) في مسألة (**قريبة الوقوع غالباً**) بحيث يخاف أنها تقع فيحتاج إلى التنبيه لوقوعها، وهذا هو الشرط الأكمل لمن يناظر بالاخلاص وحسن النية، (**فإن الصحابة**) رضوان الله عليهم (**ما تشاوروا**) مع بعضهم برد الفتوى إليهم (**إلا فيما تجدد من الوقائع**) والنوازل (**أو ما يغلب وقوعه كالفرائض**)، وقد تقدمت الإشارة إليه، وأما في غير ذلك فإنهم كانوا يفتون بما اقتبسوه من مشكاة النبوّة ولا يمتنع أحد منهم من إباحة العلم أشار لذلك العماد السكري في الارشاد، (**وأنت**) الآن (**لا ترى المناظرين يهتمون**) ويفتون (**بانتقاد المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها**) ولا يحومون حولها (**بل يطلبون**) المسائل (**الطبوليات**) التي يدق لها بالطبل وهي كناية عن الاشتهار والاجتماع لها وهي (**التي يتسع مجال الجدل**) ومثار نقع الخلاف (**فيها كيفما كان الأمر**) لأجل الشهرة فقط، وأن يقال فلان مناظر جدلي عالم كبير فيرتفع قدره عند عوام الناس لأجل تكالبه على حطام الدنيا، (**وربما يتركون**) البحث في (**ما يكثر وقوعه**) في الزمان ويقولون (**هذه مسألة خبرية**) قد أخبر بها فلان من الشيوخ ونص عليها فلان في الكتاب الفلاني (**أو هي من**) مسائل (**الزوايا**) التي من شأنها أن لا يحدث به إلا في الخلوة وما دروا كم في الزوايا من خبايا، (**و**) يقولون أنها (**ليست من**) مسائل (**الطبـول**) التي يضرب لها بـالطبـل، (**فمـن العجـائـب أن يكـون**

ليست من الطبول فلا نطوّل فيها الكلام والمقصود في الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول.

الخامس: أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين، فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق، وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقاً كان أو مبطلاً، وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه، وربما يقترح عليه فلا يجيب وإذا ظهر مقدم

المطلب) والمقصد بذلك البحث **(هو)** تحقيق **(الحق)** في نفس الأمر **(ثم تترك المسألة لانها خبرية و)** الحال ان **(مدرك الحق)** ومقطعه **(الأخبار)** عما جاء من السلف الصالحين **(أو)** تترك **(لأنها)** من مسائل الزوايا و **(ليست من الطبول: فلا نطول فيها الكلام)** مع الخصم لوقوف كل منهما عند النصوص، وليس من شرط الناظر المجتهد المناقشة في مجال القطع إذ لا مجال للاجتهاد فيها كما تقدم. **(و)** الحال أن **(المقصود في)** اظهار **(الحق)** والصواب عند العارفين **(أن يقصر الكلام)** ويقل الجدال **(ويبلغ)** مع ذلك **(الغاية)** التي يريدها من تلك المسألة بالوُقوف على ما هو الحق فيها سواء وافق مقلده أو لم يوافق **(لا أن يطول)** وبالميدان يجول لأنه قلما مناظر طال كلامه في بحثه إلا وخرج عن حد الاعتدال، واحتاج إلى إيراد الغث والسمين، ومن كان بهذه الأوصاف بعيد عن إخلاص النية وحسن الطوية أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه آمين.

(الخامس: أن تكون المناظرة في الخلوة) عن الناس **(أحب إليه)** حباً لازماً **(وأهم من)** المناظرة في **(المحافل)** جمع محفل وهو مجمع الناس **(و)** من **(بين أظهر الأكابر)** من الأمراء **(والسلاطين)** والملوك أي في حضورهم وبين أيديهم، **(فإن الخلوة أجمع للفهم)** وفي نسخة: للهم أي تجمع هم المرء ولا تشتته **(وأحرى)** أي أليق **(بصفاء التفكر)** لجلاء الذهن فيها **(و)** أقرب إلى **(درك الحق)**. وقد أشار إلى ذلك التقي السبكي في كتاب إلى ولده التاج يحرضه بذلك ويشير إلى ما في الخلوة من الفوائد ويمنعه عن مباحثته في المحاضر فإنها تشتت الأذهان، **(وفي حضور الجمع)** الكثير والجماء الغفير **(ما يحرك دواعي الرياء)** أي ما يستدعيه إلى ارتكاب المراآة والمباهات **(ويوجب الحرص)** والميل **(على نصرة كل واحد لنفسه)** حتى لا يقال بين هؤلاء أفحم فلان في مناظرته عن فلان **(محقاً كان أو مبطلاً)**، وربما إذا كان محقاً ونوى نصرة نفسه فإنه كذلك وبال عظيم، **(وانت أعلم)** الآن **(أن حرصهم)** وميلهم **(على حضور المحافل والمجامع)** والمحاضر لا يناظرون إلا فيها **(وان الواحد)** منهم **(يخلو بصاحبه مدة فلا يكلمه)** ولا يعتني به، **(وربما يقترح عليه)** مسألة **(فلا يجيب)** ولا يبدي فيه ولا يعيد، **(فإذا ظهر مقدم)** مصدر ميمي أي قدوم أحد من

أو انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعاً حتى يكون هو المتخصص بالكلام.

السادس: أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق، كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر، فإنه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به، فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى أن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال: أصابت امرأة وأخطأ رجل. وسأل رجل علياً رضي الله عنه

الرؤساء فاجتمعوا لملاقاة القادم (**أو انتظم مجمع**) الناس كالولائم والدعوات وحضور الجنائز والموالد (**لم يغادر**) أي لم يترك (**في قوس الاحتيال**) أي الحيلة (**منزعاً**) إلا نزعه (**حتى يكون هو المتخصص بالكلام**) من غير أن يلقى الله أو يقترح عليه. يقال: نزع في القوس ينزعها نزعاً ومنزعاً إذ مدّها بالوتر أو جذب الوتر بالسهم.

(**السادس: أن يكون**) المناظر (**في طلب الحق**) وانشاده حيث كان (**كمنشد ضالة**) أي كطالبها. والضالة: كل متاع ضل للإنسان أي غاب بعيراً أو غيره والجمع ضوال (**لا يفرق**) يحسن إخلاصه (**بين أن تظهر**) تلك الضالة (**على يده**) فيبينها (**أو على يد من يعاونه**) على وجدانها، (**ويرى رفيقه**) الذي يناظره (**معيناً**) له في الحقيقة على طلب الحق (**لا خصماً**) يجادله (**ويشكره إذ عرفه**) في تقريره (**الخطأ**) عن الصواب أو الغفلة (**وأظهر له الحق**)، فقد ورد لا يشكر الله من لا يشكر الناس، وتعريفه الخطأ لصاحبه نعمة جليلة حيث نبهه عليه وأرشده، فلذا ألزمه الشكر وهو ظاهر ثم أوضح ذلك بمثال فقال: (**كما لو أخذ**) أحدكم (**طريقاً**) وسار (**في طلب ضالته**) مع كمال حيرته (**فنبهه صاحبه**) الناصح (**على ضالته**) المطلوبة (**في موضع آخر، فإنه**) لا محالة (**بشكره**) على هذه النعمة (**ولا يذمه**) وهذا أقل الدرجات (**أو يفرح به ولا يكرهه**) وهذا أقل الدرجات، (**فهكذا كانت مشاورات الصحابة**) ومفاوضاتهم رضوان الله عليهم (**حتى ردت أمرأة**) من قريش (**على**) أمير المؤمنين (**عمر**) بن الخطاب رضي الله عنه في مسألة صداق النساء (**ونبهته على الحق**) فيها (**وهو**) على المنبر (**في خطبته على ملأٍ من الناس فقال**) منصفاً ولم يتوقف: (**أصابت امرأة وأخطأ رجل**).

قال السخاوي في المقاصد: رواه الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبدالله عن جده قال، قال عمر: لا تزيدوا في مهور النساء فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، ثم ذكر ردّ أمرأة عليه وفيه فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ.

قلت: وليس فيه ذكر المنبر والخطبة. وقرأت في مناقب عمر للحافظ الذهبي ما نصه مجالد عن الشعبي عن مسروق قال: خطب عمر فقال: ما إكثاركم في صدقات النساء، فقد كان رسول

فأجابه فقال: ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا، فقال: أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم. واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما فقال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم، وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال: هو في الجنة. وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال: أعده على الأمير فلعله لم يفهم فأعادوا عليه فأعاد الجواب، فقال ابن

الله ﷺ وأصحابه والصدقات فيما بين أربعمائة درهم فما دونها فلأعرفن ما زاد رجل في صداق على ذلك فنزل، فاعترضته امرأة من قريش فقال: أنهيت الناس أو يزيدوا النساء في صداقهن على أربعمائة أو ما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأين ذلك؟ قالت: ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾ [النساء: ٢٠] فقال: اللهم غفراً كل انسان أفقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر وقال أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة فمن شاء أن يعطي ما أحب فليفعل اهـ.

وقال السخاوي في مقصاده: رواه أبو يعلى في مسنده الكبير من طريق مجالد وفي آخره قال أبو يعلى وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل وسنده جيد وهو في سنن البيهقي من هذا الوجه بدون مسروق، ولذ قال عقبة: إنه منقطع ولفظه قريب من الأوّل.

وأخرجه عبد الرزاق من جهة أبي العجاء السلمي قال: خطبنا عمر فذكر نحوه فقامت امرأة فقالت له ليس ذلك لك يا عمر إن الله يقول: ﴿وآتيتم احداهن قنطاراً﴾ الآية. فقال إن امرأة خاصمت عمر فخصمته. ورواه ابن المنذر من طريق عبد الرزاق أيضاً بزيادة قنطاراً من ذهب. قال؛ وكذلك في قراءة ابن مسعود اهـ.

ويقرب من ذلك ما ذكره السمين في عمدة الحفاظ، ويحكى أن عمر سمع رجلاً يقول في دعائه: اللهم اجعلني من عبادك القليل. فقال يا أخي: ما هذا الدعاء؟ فقال: يا أمير المؤمنين سمعت الله يقول: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ: ١٣] فأنا أطلب أن أكون من أولئك القليل، فقال: كل الناس أعلم من عمر، (و) من ذلك (**سأل رجل علياً**) عن مسألة (**فأجاب**) بما ظهر له (**فقال: ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا، فقال: أصبت**) أنت في فهمك (**وأخطأت**) أنا في جوابي (**وفوق كل ذي علم عليم. واستدرك**) عبدالله (**ابن مسعود**) الهذلي (**على أبي موسى الأشعري**) رضي الله عنهما، وأبو موسى على الكوفة. (**فقال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم، وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل**). ونص القوت عن رجل قتل نفسه في سبيل الله مقبلاً غير مدبر أين هو: (**فقال: هو في الجنة**) ونص القوت قال في الجنة. (**وكان**) أبو موسى (**أمير الكوفة**) أي متولياً عليها بالإمارة. (**فقال ابن مسعود**) للسائل: (**أعد على الأمير**) فتياك (**فلعله لم يفهم فأعاد**) السائل وقال أيها الأمير: ما قولك في رجل قاتل في

مسعود: وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة، فقال أبو موسى: الحق ما قال. وهكذا يكون إنصاف طالب الحق. ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال: لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق، فإن ذلك معلوم لكل أحد، فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسودّ وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه، وكيف يخجل به، وكيف يجتهد في مجاحدته بأقصى قدرته، وكيف يذم من

سبيل الله فقتل مقبلاً غير مدبر أين هو؟ **(وأعاد)** أبو موسى الجواب وقال هو في الجنة، فقال ابن مسعود: أعد على الأمير فلعله لم يفهم فأعاد عليه ثلاثاً كل ذلك يقول أبو موسى في الجنة، ثم قال: ما عندي غير هذا فما تقول أنت؟ **(فقال ابن مسعود)**: لكن لا أقول هكذا. قال: فما قولك؟ قال: **(أنا أقول إن قتل)** في سبيل الله **(فأصاب الحق فهو في الجنة، فقال أبو موسى: هو ما قال)**. وفي القوت صدق لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر بين أظهركم. هكذا ذكره صاحب القوت بتمامه.

قلت: وفي الحلية من طريق مجالد عن عامر قال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر فيكم يعني ابن مسعود، ونظير هذه القصة ما قال أبو داود في سننة: حدثنا عبد السلام بن مظهر أن سليمان بن المغيرة حدثهم عن أبي موسى، عن أبيه، عن ابن لعبدالله بن مسعود عن ابن مسعود قال: لارضاع إلا ما شد العظم وأنبت اللحم، فقال أبو موسى: لا تسألونا وهدا الحبر فيكم. قال صاحب القوت: فهؤلاء أصحاب النبي ﷺ يردون الأمور في الفتيا في علم اللسان إلى من هو دونهم في القدر والمنزلة، وهو في علم التوحيد والمعرفة والإيمان فوقهم درجات، فهذا كما قيل: العلم نور يقذفه الله تعالى في قلوب أوليائه فقد يكون ذلك تفضيلاً للنظراء بعضهم على بعض، وقد يكون تخصيصاً للشباب على الشيوخ ولمن جاء بعد السلف من التابعين، وربما كان تكرمة للخاملين المتواضعين لينبه عليهم ليرفعوا اهـ.

(فهكذا يكون إنصاف صاحب الحق) يرد العلم إلى أهله ولا يستأنف، **(ولو ذكر الآن مثل هذا لأقل فقيه)** له دراية في العلم **(لأنكر)** ذلك **(واستبعد)** وانتصب للخصام **(وقال: لا يحتاج)** الأمر **(إلى ان يقال أصاب الحق)** أي لا حاجة إلى ذكر هذا القيد، **(فإن ذلك معلوم)** بديهة **(لكل أحد)**، ثم إن هذا القيد الذي أتى به ابن مسعود هو المفهوم من قوله ﷺ على ما أخرجه البخاري: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في الجنة». وقد فهم أبو موسى ذلك فرجع عن اطلاق القول بأن القتل قد يكون رياء وقد يكون سمعة وقد يكون لغير ذلك، وهذا القيد هو مناط الفائدة والجواب الذي يصح عليه السكوت فمن قال باستبعاده وكونه معلوماً مجادلة فتأمل. **(فانظر)** الآن **(إلى مناظري زمانك)** إذا اجتمعوا في محفل وتكلم بعضهم على بعض **(كيف يسود وجهه)** من تغير طبعه **(إذا اتضح الحق على لسان خصمه)** وعلم الحاضرون ذلك، **(وكيف يخجل به)** باحمرار لونه عندهم، **(وكيف يجتهد)**

أفحمه طول عمره، ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تعاونهم على النظر في الحق؟

السابع: أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل، ومن إشكال إلى إشكال، فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة

على الإمكان (**في مجاحدته**) ومناكرته على طريق المكابرة (**بأقصى قدرته**) أي نهاية ما يقدر عليه، (**وكيف يذم**) لساناً وقلماً (**من أفحمه**) في المجلس وأسكته (**طول عمره**) ويعاديه ويقع في مقاتله، (**ثم لا يستحي**) هذا (**من تشبيه نفسه**) الخسيسة (**بالصحابة**) والسلف الصالحين (**في تعاونهم على النظر في الحق**) وتفاوضهم فيما بينهم هيهات كيف تقاس الملائكة بالحدادين.

(**السابع: أن لا يمنع معينه في النظر**) وهو الذي يبحث معه وهو المعين له في صورة الخصم (**من الانتقال من دليل إلى دليل**) آخر، والدليل عند الاصوليين ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري أي فإذا أورد دليلاً على إقامة مسألة فوجده منقوضاً فانتقل إلى دليل آخر ليس لخصمه أن يمنعه من ذلك، (**و**) كذا ليس له أن يمنعه من الانتقال (**من إشكال إلى إشكال**) آخر إذ المراد طلب الضالة فبأي وجه طلب لا يمنع فيه، (**فهكذا كانت مناظرات السلف**) الصالحين، فمن ذلك مناظرة إسحاق بن راهويه مع الشافعي وأحمد بن حنبل حاضر قرأت في كتاب الناسخ والمنسوخ للحافظ أبي الحسن بدل بن أبي المعمر التبريزي الشافعي ما نصه: وأخبرني أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي الخطيب، أخبرنا يحي بن عبد الوهاب العبدي، أخبرنا محمد بن أحمد الكاتب، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ قال: حكي أن إسحاق بن راهويه ناظر الشافعي وأحمد بن حنبل حاضر في جلود الميتة إذا دبغت، فقال الشافعي: دباغها طهورها، فقال له إسحاق. ما الدليل؟ فقال: حديث الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس عن ميمونة أن النبي ﷺ قال: « هلا انتفعتم بإهابها » فقال له إسحاق: حديث ابن عكيم كتب إلينا النبي ﷺ قبل موته بشهر: أن لا تنتفعوا من الميتة لا بإهاب ولا عصب، فهذا يشبه ان يكون ناسخاً لحديث ميمونة لأنه قبل موته بشهر، فقال الشافعي: هذا كتاب وذاك سماع، فقال إسحاق: إن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر فكانت حجة بينهم عند الله فسكت الشافعي، فلما سمع بذلك أحمد ذهب إلى حديث ابن عكيم وأفتى به، ورجع إسحاق إلى حديث الشافعي.

قلت: وقد حكى الخلال في كتابه أن أحمد توقف في حديث ابن عكيم لما روى تزلزل الرواة فيه. وقال بعضهم: رجع عنه وطريق الانصاف فيه أن يقال إن حديث ابن عكيم ظاهر الدلالة في النسخ لو صح، ولكنه كثير الاضطراب ثم لا يقاوم بحديث ميمونة في الصحة. وقال أبو عبد الرحمن النسوي. أصح ما في هذا الباب حديث ميمونة، وروينا عن ابن عباس أنه قيل ليحيى بن معين: أيما أعجب إليك من هذين الحديثين؟ فاشار إلى حديث ميمونة اهـ.

فماله ولقوله: هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الأوّل فلا يقبل منك، فإن الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله. وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها. فيقال له: ما الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة؟ فيقول: هذا ما ظهر لي، فإن ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه، فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها إذ لا يلزمني ذكرها، ويقول المستدل: عليك إيراد ما

وهذه المناظرة قد أوردها التاج السبكي في طبقاته كما سقناه وقال في آخر ذلك: فانظر إلى سكوت الشافعي ومحبته لظهور الحق، وربما يظن فيه قاصر الفهم ان الشافعي انقطع فيها مع إسحاق، ولو تأمل رجوع إسحاق إليه لظهر له الحق، وتحقيق هذا ان اعتراض إسحاق فاسد الموضع لا يقابل بغير السكوت بيانه أن كتاب عبدالله بن عكيم كتاب عارضه سماع ولم يتيقن انه مسبوق بالسماع، وإنما ظن ذلك ظناً لقرب التاريخ ومجرد هذا الأمر لا ينهض بالنسخ، وأما كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر فلم يعارضها شيء فعضدتها القرائن وساعدتها بالتواتر الدال على أن هذا النبي ﷺ جاء بالدعوة إلى ما في هذا الكتاب فلاح بهذا أن السكوت من الشافعي تسجيل على إسحاق بان اعتراضه فاسد الموضع فلم يستحق عنده جواباً. وهذا شأن الخارج عن البحث عند الجدليين، فإنه لا يقابل بغير السكوت ورب سكوت أبلغ من نطق، ومن ثم رجع إليه إسحاق فافهم. (**ويخرج من كلامه**) الذي يقرره (**جميع دقائق الجدل المبتدعة**) على طريقة العميدي أو البزدوي (**فماله ولقوله**) فيما بعد (**هذا**) القول (**لا يلزمني ذكره**) في هذا البحث، (**وهذا**) إن تأملت (**يناقض كلامك الأوّل فلا يقبل منك**) والانتقال من دليل إلى دليل قد يوجد فيه ذلك، (**فإن الرجوع إلى الحق أبداً يكون مناقضاً للباطل ويجب قبوله**) ولا عبرة بمناقضة الكلام الثاني الأول والجدلي لا يسلم ذلك. (**وأنت ترى أن جميع المجالس**) في زمانك (**تنقضي**) على غير طائل (**في المدافعات والمجادلات**) مع الخصوم لألفتهم في العنادة وضراوة الاعتياد على داعية المخالفة (**حتى يقيس المستدل على أصل**) من الأصول (**بعلة**) موجبة له (**يظنها فيقال له: وما الدليل أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة**). قال المناوي؟ العلة عند الأصوليين المؤثر للحكم وقيل المؤثر بذاته بإذن الله تعالى، وقيل: الباعث عليه والعلة القاصرة عندهم هي التي لا تتعدى محل النص اهـ.

وقد أورد ما يتعلق بالعلة ومسائلها المصنف في كتاب مستقل سماه شفاء الغليل في بيان مسائل التعليل، وذكر فيه أن العلة القاصرة صحيحة عند الشافعي باطلة عند أبي حنيفة؟ (**فيقول: هذا ما ظهر لي**) في هذا الحكم (**فإن ظهرلك**) فيه (**ما هو أوضح وأولى منه فاذكره**) لي (**حتى أنظر فيه**) فإن كان حقاً تبعه، (**فيصر**) أي يبقى مصراً (**للتعرض**) أي على التعرض وفي نسخة: فيصر المعترض (**ويقول فيه معان**) أخرى (**سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها**) لك أو يقول (**ولا يلزمني ذكرها**) لك، (**ويقول المستدل عليك**

تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على أنه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله: إني أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمني كذب على الشرع، فإنه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها، وإن كان صادقاً فقد فسق بإخفائه ما عرفه من أمر الشرع، وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه، فإن كان قوياً رجع إليه وإن كان ضعيفاً أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم، ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله: لا يلزمني أي في شرع الجدل الذي أبدعناه بحكم التشهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني وإلاَّ فهو لازم بالشرع، فإنه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق، فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضي الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس، وهل منع

ابراز) إظهار **(ما تدعيه)** وفي نسخة: ادعيته **(وراء هذا ويصر المعترض على أنه لا يلزمه)** ابرازه **(ويترجى)** وفي نسخة: ويتوخى وفي أخرى، **(فتنقضي مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله)** ويتبجح بذلك بين اقرانه المناضلين **(ولا يعرف هذا المسكين)** في عقله وفهمه **(أن قوله أني أعرف ولا أذكره أو لا يلزمني)** ذكره **(كذب)** محض **(على الشرع فإنه إن كان لا يعرف معناه)**، حقيقة **(وإنما يدعيه)** ادعاء **(ليعجز خصمه)** ويسكته، **(فهو)** حينئذ **(فاسق)** في فعله **(عصى الله تعالى وتعرض لسخطه)** ومقته **(بدعواه معرفة)** معنى **(هو خال)** منها وعار **(عنها، وإن كان صادقاً)** فيما يقول **(فقد فسق باخفائه ما عرفه من أمر الشرع)**، فكيف يكتم علماً **(وقد سأله أخوه المسلم)** استشفاء لغليله **(ليفهم وينظر)** نظر تدبر، **(فإن كان قوياً)** راجحاً **(رجع إليه وإن كان ضعيفاً)** مرجوحاً **(أظهر له ضعفه)** وبيّن له مرجوحيته، **(وأخرجه عن ظلمة الجهل)** والحيرة **(إلى)** مقام **(نور العلم)** فكان مرشداً له لا محالة، **(ولا خلاف أن اظهار ما علم من علم الدين)** وتعليمه **(بعد السؤال)** والبحث عنه **(واجب لازم)**. وقد ورد في كتمان العلم للسائلين وذمه أحاديث تقدم ذكرها في أوّل الكتاب، **(فمعنى قوله: لا يلزمني أي في شرع الجدل الذي أبدعناه)** وجعلنا له أركاناً وقواعد **(بحكم التشهي)** النفساني **(والرغبة)** المردية إلى مهاوي الضلال **(في طريق الاحتيال)** والمكر **(والمصارعة بالكلام)** أي المواثبة به **(لا يلزمني)** ذكره، **(وإلاَّ فهو لازم في الشرع)** المحمدي، **(فإنه بامتناعه عن الذكر إما كاذب)** في قوله **(وأما فاسق)** فعله، **(فتفحص)** رحمك الله **(عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف)** رحمهم الله تعالى **(هل سمعت فيها ما يضاهي)** أي يشبه **(هذ الجنس)** من المجادلات، **(وهل منع أحد من الانتقال من دليل إلى دليل)** آخر، **(ومن قياس)** عقلي

أحد من الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية؟ بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه.

الثامن: أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفاً من ظهور الحق على ألسنتهم، فيرغبون فيمن دونهم طمعاً في ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة، ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر لله ومن يناظر لعلة. واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستولٍ على قلبه وهو أعدى عدوّ له ولا يزال يدعوه إلى

(إلى أثر نبوي، ومن خبر إلى آية) ؟ كلا: والله **(بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون)** ما عندهم **(كلما يخطر لهم)** في افهامهم **(كما يخطر وكانوا ينظرون فيه)** نظر تدبر، فإن رأوا حقاً رجعوا إليه. وانظر رجوع إسحاق بن راهويه إلى قول الشافعي بعد مناظرته في إهاب الميتة المدبوغة واستدلاله بحديث ابن عكيم كما تقدم له ظهر له الحق فيه وتصمم أحمد فلم يرجع، ثم لما ظهر له ترجيح حديث ميمونة رجع إليه كما نقل عنه.

(الثامن: أن يناظر) مع **(من يتوقع)** أي يرجو **(الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم)** كامل الأحوال عارف الأصول الدينية متمحض في خدمة العلم غير راكن إلى الدنيا وأربابها **(والغالب)** على مناظري الزمان **(أنهم يحترزون)** ويتجنبون **(من مناظرة الفحول)** من العلماء **(والأكابر)** من الفضلاء **(خوفاً من ظهور الحق على لسانهم)**، فلا محالة من اتباعه وترك مذهب مقلده أو خوفاً من تبكيته والتسجيل عليه بكونه صار مغلوباً، **(ويرغبون فيمن دونهم)** من أوساط الطلبة وصغارهم **(طمعاً في ترويج الباطل عليهم)** وهم لقصور أفهامهم لا يطيقون على رد ذلك الباطل فيدخلون عليهم بهذه التمويهات المزخرفة فيتحيرون ويروج عليهم ذلك الكلام، فهذه شروط في المناظرة ثمانية. **(ووراء هذا شروط)** أخر **(دقيقة)** يطول الكلام في بيانها، **(ولكن في هذه الشروط الثمانية)** المذكورة **(ما يهديك)** ويرشدك **(إلى)** الفرق بين **(من يناظر لله)** تعالى وقصده ظهور الحق واتباعه، **(و)** بين **(من يناظر لعلة)** دنيوية وأغراض فاسدة، ثم لما فرغ من بيان الشروط الثمانية شرع في ذكر الآفات التي تحدث في المناظرة بمناسبة لطيفة ودخول غريب فقال: **(واعلم بالجملة)** فإن التفصيل مما يمل منه **(أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه)** بوساوسه وشركه **(وهو أعدى أعدائه)** وأكبر خصمائه، إعلم أن جهاد أعداء الله في الخارج فرع على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال ﷺ: « المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله والمهاجر من هجر عما نهى الله عنه » ولذلك كان جهاد النفس مقدماً على جهاد العدو في الخارج وإضلاله، فإنه ما لم يجاهد أولاً نفسه ويناظرها لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه، ويحاربها في الله لم يمكنه جهاد عدوه في

هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل التي المجتهد فيها مصيب، أو مساهم للمصيب في الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين، ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفاصيلها، فنسأل الله حسن العون والتوفيق.

(بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق):

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدوّ الله إبليس، ونسبتها إلى الفواحش

الخارج، وكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه، **(ولا يزال يدعوه)** ويحمله **(إلى هلاكه)** ملاحظ له في حركاته وسكناته لا ينفك عنه ولا يفتر إما بسلب إيمانه إن أمكنه، وإلاّ بإلقائه في المعاصي التي هي بريد الكفر، ثم يثبطه عن التوبة، فمن لم يناظره في الله لم يمكنه مناظرة عدوه في الخارج، فهذان عدوان قد امتحن العبد بجهادهما ومناظرتهما، وبينهما عدوّ ثالث لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده وهو واقف بينهما يخذل العبد عن جهادهما ولا يزال يحيل له الخداع والمكر ويحسن له اللذات والشهوات، فكان جهاده ومناظرته هو الأصل بجهادهما وهو الشيطان، قال الله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ [فاطر: ٦] فالأمر باتخاذه عدواً تنبيه على استفراغ الوسع في مجاهدته فإنه عدوه لا يفتر ولا يقصر عن محاربته العبد على عدد الأنفاس، فمن ترك الجهاد والمناظرة مع هذا العدو الخبيث، **(ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل)** معلومة **(المجتهد فيها مصيب)** الأجر **(أو يساهم)** أي يشارك في السهم **(للمصيب في الأجر فهو ضحكة للشياطين)** أي يضحكون عليه ويستهزؤن به، والضحكة بضم فسكون من يضحك عليه، وأما الضحكة بضم ففتح هو من يضحك على الناس كثيراً **(وعبرة للمخلصين)** يعتبرون بأحواله، **(ولذلك شمت)** أي فرح **(الشيطان به بما غمسه فيه)** وأغرقه **(في)** بحار **(ظلمات الآفات)** العشرة التي **(نعددها ونذكر تفصيلها)** إن شاء الله تعالى.

(بيان آفات المناظرة وما يتولد منها:)

في الجانبين **(من مهلكات الأخلاق)** وقواتلها.

إعلم) أيها الانسان **(وتحقق)** في نفسك **(أن المناظرة الموضوعة)** التي ابتدعوها الآن **(لقصد الغلبة)** على الخصم **(والإفحام)** أي الإسكات **(وإظهار الفضل)** والمزية **(والتشرف)** وفي نسخة: والشرف **(عند الناس)** في المحافل **(وقصد المباهاة)** أي المفاخرة **(والمماراة)** أي المخاصمة **(واستمالة)** أي طلب ميل، وصرف **(وجوه الناس)** بالالتفات **(هي منبع جميع الأخلاق المذمومة)** المعكوسة **(عند الله)** تعالى **(المحمودة عند عدو الله**

الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة، وكما أن الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره، فكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى اضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة، وهذه الأخلاق ستأتي أدلة مذمتها من الاخبار والآيات في ربع المهلكات، ولكنا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة.

فمنها: الحسد وقد قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار

إبليس) لعنه الله، والشيء قد يكون محموداً ومذموماً باختلاف النسب والإضافات، **(ونسبتها)** أي المناظرة **(إلى الفواحش الباطنة)** المعقولة **(من)** نحو **(الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية لنفس وحب الجاه وغيرها)** على ما سيأتي بيانها في المهلكات.

(نسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة) المحسوسة **(من)** نحو **(الزنا والقذف والقتل والسرقة)** وغيرها، **(وكما أن الذي خيَّر بين الشرب)** أي بين أن يشرب الخمر **(و)** بين ارتكاب **(سائر الفواحش)** كقتل وزنا وغير ذلك **(استصغر الشرب)** أي عدّه صغيراً **(فأقدم عليه)** فشربه، **(فدعاه ذلك)** وحمله **(إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره)** فزنى وقتل وفعل ما فعل، وذلك لكونه جماع الإثم ومفسد العقل ومفسداً للدنيا والدين، وقد ورد في شربه أحاديث يأتي بيانها في مواضعها، **(وكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه)** عند ذويه **(والمباهاة به دعاه ذلك)** وجره **(إلى إضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه)** أي في الانسان **(جميع الأخلاق)** الرذيلة **(المذمومة)** المعكوسة. **(وهذه الأخلاق)** بتمامها **(سيأتي)** بيانها وتأتي **(أدلة مذمتها)** المستنبطة **(من الأخبار)** الواردة **(والآيات في ربع المهلكات)** إن شاء الله تعالى **(ولكنا نشير الآن)** بحسب المقام **(إلى مجامع ما تهيجه المناظرة)** وتبعثه عليه.

فمنها: الحسد) وهو تسخط قضاء الله والاعتراض عليه وهو مذموم، قال الله تعالى: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [الفلق: ٥] **(وقد قال ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»)** لأنه اعتراض على الله فيما لا عذر للعبد فيه لأنه لا يضره نعمة الله على عبده، فالله لا يعبث ولا يضع الشيء في غير محله، فكأنه نسب ربه للجهل والسفه ولم يرض بقضائه. والحاسد معاقب بالغيظ الدائم في الدنيا وفي الآخرة بإحباط الحسنات. قال العراقي: أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة. قال البخاري: لا يصح، وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن اهـ.

قلت: أما أبو داود فأخرجه من رواية إبراهيم بن أبي أسيد عن جده عن أبي هريرة بلفظ

الحطب »، ولا ينفك المناظر عن الحسد فإنه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره. فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوّة العلم والنظر أو يظن انه أحسن منه كلاماً وأقوى نظراً فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه. والحسد نار محرقة فمن بلي به فهو في العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشدّ وأعظم، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: - خذوا العلم

« إياكم والحسد فإن الحسد » فذكره. وجده قال الذهبي لعله سالم البراد ثقة. وقول البخاري لا يصح هو في تاريخه الكبير. وأما حديث أنس الذي أخرجه ابن ماجه فمن رواية عيسى الحناط عن أبي الزناد عنه، وعيسى الحناط ضعيف. وفي ترجمته رواه ابن عدي في الكامل وقال: هو متروك الحديث. وفي هذا الحديث زيادة في آخره « والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار والصلاة نور المؤمن والإيمان جنة من النار ». وقال ابن عدي في الكامل ورواه واقد بن سلامة وقيل: سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس هكذا. ورواه الليث بن سعد، عن محمد بن عجلان، عنه، عن بريد. ورواه ابن لهيعة عن محمد بن واقد عن أنس ولا يصح. قال أبو بكر بن أبي داود، والصواب عن يزيد عن أنس وفيه زيادات ذكر الصلاة والصيام والصدقة اهـ.

ورواه الخطيب في تاريخ بغداد وليس فيه عيسى الحناط. وفي الباب عن ابن عمر، ومعاوية ابن حيدة، فحديث ابن عمر رواه الدارقطني في غرائب مالك من رواية مالك والليث عن نافع عنه وقال: باطل. ورواية معاوية أخرجه الديلمي عن معاوية بن حيدة « الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل » وفي الباب أيضاً حديث الزبير أخرجه ابن عبد البر في كتاب العلم بلفظ: « دب اليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ». **(ولا تنفك المناظرة عن الحسد فإنه)** أي المناظر **(تارة يغلب)** على خصمه **(وتارة يغلب)** منه، **(وتارة يحمد كلامه وأخرى)** وفي نسخة: وتارة **(يحمد كلام غيره)** بحسب المقامات، **(فما دام يبقى في الدنيا واحد)** أي في الحياة **(يذكر بقوة العلم و)** حدة **(النظر)** وحسن الفهم **(أو يظن أنه أحسن منه كلاماً)** **وسياقاً** وسرداً **(أو أقوى نظراً)** في المسائل، **(فلا بد أن يحسده)** ويتسخط عليه باطناً **(ويحب زوال النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب عنه إليه)**، بل يحب هلاكه كيف أمكن ليخلو له الميدان وهذا محسوس مشاهد، **(والحسد)** في الحقيقة **(نار محرقة)** وإليه يشير قول الشاعر:

اصبر على غصص الحسو د فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

(من بلي به فهو في العذاب الدائم في الدنيا) معاقب بغيظه لا ينفك عنه **(ولعذاب الآخرة أشد وأعظم)** بإحباط الحسنات، ومن ثم كان من الكبائر، وقال بعضهم: ينشأ من الحسد إفساد الطاعات وفعل المعاصي والشرور والتعب والهم بلا فائدة وغم القلب حتى لا يكاد

حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض، فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزّريبة.

ومنها: التكبر والترفع على الناس، فقد قال ﷺ: «من تكبّر وضعه الله ومن

يفهم حكماً من أحكام الله تعالى والحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراد، **(ولذا قال ابن عباس)** رضي الله عنه فيما روى من قوله: **(خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض، فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة)**. رواه ابن عبد البر في كتاب العلم بلفظ: استمعوا قول القراء ولا تصدقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في زروبها. قال: وعن مالك بن دينار يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم في بعض اهـ.)

وقال ابن السبكي: رأيت في كتاب معين الحكام لا بن عبد البر المالكي وقع في المبسوطة عن قول عبدالله بن وهب أنه لا يجوز شهادة القارىء على القارىء يعني العلماء لأنهم أشد الناس تحاسداً وتباغضاً وقاله سفيان ومالك بن دينار اهـ.

قال ابن السبكي: وليس هذا على الإطلاق، ولكن من ثبتت عدالته لا يلتفت فيه إلى قول من تشهد القرائن بأنه متحامل عليه. إما لتعصب مذهبي أو غيره اهـ.

قلت: والجملة الأولى من قول ابن عباس لها شاهد قوي من قوله فيما رواه سليمان بن معاذ عن عكرمة عنه: خذوا الحكمة ممن سمعتموه.

وفي المدخل للبيهقي من رواية حسن بن صالح عن عكرمة عند خذ الحكمة ممن سمعت، وأما قول مالك بن دينار فأورده أبو نعيم في الحلية بسنده إليه قال: تجوز شهادة في كل شيء إلا شهادة القراء بعضهم على بعض، فإنهم أشد تحاسداً من التيوس في الزروب، وأخرج في ترجمة كعب الأحبار من قوله يوشك أن تروا جهال الناس يتباهون في العلم ويتغايرون عليه، كما تتغاير النساء على الرجال فذلك حظهم من العلم اهـ.

والتغاير تفاعل من الغيرة. والزريبة: حظيرة للغنم تتخذ من خشب كالزرب والجمع الزرائب وجمع الزرب الزروب.

(ومنها: التكبر) أن يرى نفسه أكبر من غيره وفي نسخة: ومنها الكبر **(و)** في معناه **(الترفع على الناس)** وأعظم التكبر التكبر على الله تعالى بالامتناع من قبول الحق والإذعان، وأصل التكبر يقال على وجهين. **أحدهما**: أن تكون الأفعال حسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعليه وصف الله بالمتكبر. **الثاني**: أن يكون متكلفاً لذلك متشبعاً، وذلك وصف عامة الناس، ومن وصف بالتكبر على الوجه الأول فمحمود، وعلى الثاني فمذموم، **(وقد قال ﷺ: «من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله»)** قال العراقي: أخرجه الخطيب من

تواضع رفعه الله ». وقال ﷺ حكاية عن الله تعالى: « العظمة إزاري والكبرياء ردائي

حديث عمر بإسناد صحيح وقال: غريب من حديث الثوري، ولابن ماجه نحوه من حديث أبي سعيد بسند حسن اهـ.

قلت: هو في تاريخ الخطيب بلفظ: « خفضه الله » مكان « وضعه » وفي الأوسط للطبراني « قصمه الله » مكان وضعه. أخرجاه هكذا من رواية عابس بن ربعة قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: أيها الناس تواضعوا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكراه. وقال الخطيب غريب، ولفظ ابن ماجه من رواية ابن لهيعة، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد: « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ». وهكذا اورده أيضاً أحمد وأبو يعلى في مسنديهما.

وقال ابن حجر في الفتح خرَّجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد رفعه بلفظ: « من تواضع لله رفعه الله حتى يجعله في أعلى عليين » قال: وصححه ابن حبان، بل خرجه مسلم في الصحيح، والترمذي في الجامع بلفظ: « ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » هكذا خرجاه معاً عن ابي هريرة مرفوعاً. ورواه أحمد والبزار عن عمر بلفظ: « من تواضع لله رفعه الله ». وقال: انتعش نعشك الله فهو في أعين الناس عظيم وعند الله كبير. وفي الأوسط للطبراني من رواية أبي معشر، عن المقري، عن أبي هريرة: « من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله ومن ارتفع عليه وضعه الله ».

وأخرجه أبو نعيم، وكذا القضاعي كلاهما عن أبي هريرة مرفوعاً، وزاد أبو نعيم في الحلية في رواية: « ومن تكبر على الله وضعه الله حيث يجعله في أسفل سافلين » ووجدت أيضاً في الحلية في ترجمة سلمان من طريق الأعمش، عن أبي ظبيان، عن جرير قال: قال سلمان يا جرير: « تواضع لله فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة ».

وفي الباب عن طلحة، وابن عباس، ومعاذ بن جبل، وأوس بن خولي ثم معنى قوله: تواضع لله أي لأجل عظمة الله تواضعاً حقيقياً، وهو كما قال ابن عطاء الله ما كان ناشئاً عن شهود عظمة الحق وتجلي صفته، فالتواضع للناس مع اعتقاد عظمة في النفس واقتدار ليس بتواضع حقيقي، بل هو بالتكبر أشبه، وقيل، التواضع لله أن يضع نفسه حيث وضعها الله من العجز وذل العبودية تحت أوامره سبحانه بالامتثال، وزواجره بالانزجار، وأحكامه بالتسليم للأقدار ليكون عبداً في كل حال فيرفعه بين الخلائق وإن تعدى طوره وتجاوز حده وتكبر وضعه بين الخلائق.

(وقال) ﷺ (حكاية عن الله عز وجل: « العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته ») هكذا في النسخ، وفي بعضها بتقديم الكبرياء على العظمة وهي نسخة العراقي. قال العراقي: أخرجه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان من حديث أبي هريرة، وهو عند مسلم بلفظ: « الكبرياء رداؤه » من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد اهـ.

وفي المقاصد أخرجه مسلم، وابن حبان، وأبو داود، وابن ماجه كلهم عن أبي هريرة مرفوعاً يقول الله: « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما ألقيته في النار ». ولفظ ابن ماجه في جهنم، وعند أبي داود قذفته في النار، وعند مسلم عذبته، وقال: رداؤه وإزاره بالغيبة، وزاد مع

فمن نازعني فيهما قصمته ». ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى أنهم ليقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضائق الطرق. وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بأنه يبغي صيانة عز العلم، وأن المؤمن منهي عن الإذلال لنفسه. فيعبر عن التواضع الذي أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل

أبي هريرة أبا سعيد، ورواه الحاكم في مستدركه من وجوه أخر بلفظ: **قصمته** وبدون ذكر العظمة. وقال صحيح على شرط مسلم.

وممن أخرجه بلفظ الترجمة القضاعي في مسنده من حديث عطاء بن السائب، عن أبيه، عن أبي هريرة بزيادة: « يقول الله » وللحكيم الترمذي، عن أنس رفعه: « **يقول الله عز وجل لي العظمة** والكبرياء والفخر والقدر سري فمن نازعني واحدة منهن كببته في النار » اهـ.

قلت: أخرجه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه من رواية الأغر بن مسلم، عن أبي هريرة إلا أن لفظها « فمن نازعني واحداً منهما ». وقد رواه أحمد من رواية الثوري، عن عطاء بن السائب، عن أبيه بلفظ: « ألقيته في النار » والحاكم رواه من رواية ابن المسيب، عن أبي هريرة. وفي الباب، عن ابن عباس، وعبدالله بن عمرو، وعلي بن أبي طالب. **(ولا تنفك المناظرة)** والمباحثة **(عن)** لحوق وصف **(التكبر على الأقران)** من مناظريه **(والأمثال)** منهم **(والترفع)** في حالاته **(إلى فوق قدره)**، فيقع في التجاوز عن الحدود **(حتى أنهم)** أي أولئك المناظرين **(ليقاتلون)** ويدافعون بمناكبهم **(على مجلس من المجالس)** وتراهم **(يتنافسون فيها)** ويتفاخرون **(في الارتفاع)** في جلوسهم **(والانخفاض)** عن مرتبتهم **(و)** يتباهون **(في القرب من وسادة الصدور)** وإلا كابر، وهو الموضع الذي يتوسد فيه الصدور ويتكىء عليه، والمراد به صدر المجلس، **(و)** يتنزهون عن **(البعد منه)** ويرون ذلك ازدراء لشأنهم واحتقاراً لهم **(و)** تراهم يؤثرون **(التقدم في الدخول)** في المجالس **(عند مضائق الطرق)** ومصاعبها، فيختارون أن لا يتقدم عليهم أحد في حالة مشيهم، **(وربما يتعلل)** وفي نسخة، يتغابى **(الغبي)** الذي أشرب قلبه هوى الجاه والرفعة **(أو المكاثر الخداع منهم)** الذي كثر كلامه وإرهاصاته وخدع الناس بظاهر حاله. وفي نسخة: والمكار الخداع وهو قريب في المعنى ويحتج في فعله هذا **(بأنه يبغي)** أي يطلب **(صيانة العلم)** وحفظ حوزته وحمايته. وفي نسخة: صيانة عن العلم، **(وأن المؤمن منهي عن إذلال نفسه)** . ورد ذلك من حديث حذيفة، وعلي، وأبي بكرة، وابن عمر.

أما حديث حذيفة: فرواه الترمذي، وابن ماجه من رواية علي بن زيد، عن الحسن، عن جندب عنه رفعه: « **لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه** » قال الترمذي: حسن صحيح غريب قاله العراقي.

وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفاً للاسم واضلالاً للخلق به، كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما.

قلت: وكذلك رواه الإمام أحمد وزاد أبو يعلى في مسنده، والضياء في المختارة قيل: كيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق، وفي بعض رواياتهم لا ينبغي للمسلم.

وأخرجه ابن عدي في الكامل فقال: حدثناه محمد بن عبد السلام البصري السلمي، عن هدبة ابن خالد، عن حماد بن سلمة، عن الحسن، عن جندب، عن حذيفة فذكره. قال؛ وهذا ليس عند هدبة إنما يعرف هذا لعمرو بن عاصم، عن حماد، وقد ادعاه عمر بن موسى الحارثي عن الكديمي وهو ضعيف، وابن عبد السلام أبطل روايته هذا الحديث عن هدبة عن حماد اهـ.

وأما حديث علي، فرواه الطبراني في الأوسط من رواية عاصم بن ضمرة عن علي رفعه: «ليس للمسلم أن يذل نفسه قالوا يا رسول الله: وكيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق» وقال: لا يروى عن علي إلا بهذا الإسناد. تفرّد به الجارود.

وأما حديث أبي بكرة؛ فرواه الحرث بن أبي أسامة، عن الخليل بن زكريا، عن حبيب بن الشهيد، عن الحسن عنه رفعه «ليس للمؤمن أن يذل نفسه» والخليل بن زكريا البصري ضعيف.

وأما حديث ابن عمر، فرواه ابن عدي في الكامل في ترجمة ابي حفص عمر بن موسى بن سليمان الحارثي، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد عنه رفعه «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه» وقال: ضعيف يسرق الحديث. قال: وهذا يعرف بعمرو بن عاصم عن حماد فسرقه منه عمر هذا.

قال العراقي: وله طريق آخر رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط من رواية مجاهد عن ابن عمر مثله وزاد فيه

قلت يا رسول الله: كيف يذل نفسه؟ الحديث وإسناده جيد.

قلت: وقد روي أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري، رواه أبو يعلى في مسنده أشار له الجلال في جامعه الكبير، وقرأت في الحلية لأبي نعيم في ترجمة الفضيل بن عياض قال له الفضل بن الربيع، وهو مع هرون الخليفة ودق عليه الباب فلم يفتح أليس قد روي عن النبي ﷺ أنه قال «ليس للمؤمن أن يذل نفسه» فنزل ففتح الباب اهـ.

(**فيعبر عن التواضع الذي أثنى الله**) عليه في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [الفرقان: ٦٣] (**وسائر أنبيائه**) عليهم الصلاة والسلام كما هو مشهور في أقوالهم وكلماتهم (**بالذل**) على حسب زعمه (**ويعبر عن التكبر**) الوارد في ذمه أحاديث (**الممقوت**) أي المبغوض (**عند الله**) أشد البغض (**بعز الدين**). وهذا من فساد معقوله (**تحريفاً للاسم**) وتغييراً لمعانيه ووضعه إياه في غير مواضعه (**وإضلالاً للخلق به**) وإهلاكاً لهم بهذا الوصف الذميم، (**كما**

ومنها: الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه، وقد قال ﷺ: «المؤمن ليس بحقود». وورد في ذم الحقد ما لا يخفى. ولا ترى مناظراً يقدر على أن لا يضمر حقداً على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف في كلامه، فلا يقابله بحسن الاصغاء، بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتربيته في نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه إلى الظاهر لا محالة في غالب الأمر، وكيف ينفك عن هذا ولا يتصوّر اتفاق جميع المستمعين على ترجيج كلامه واستحسان جميع أحواله في ايراده وإصداره؟ بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر.

ومنها: الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ولا يزال المناظر مثابراً على أكل الميتة فإنه

فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرها) كالوعظ والتذكير والفقه على ما عرف في أول الكتاب.

(ومنها): أي ومن آفات المناظرة **(الحقد)**؛ وهو الانطواء على العداوة والبغضاء **(ولا يكاد المناظر)** وفي نسخة: ولا تكاد المناظرة **(يخلو عنه، وقد قال ﷺ «المؤمن ليس بحقود»)** قال العراقي: لم أقف له على أصل اهـ. وتبعه على ذلك الحافظ السخاوي في مقاصده **(و)** قد **(ورد في ذم الحقد)** من الأحاديث **(ما لا يخفى)** على المتبصر، وسيأتي ذكر شيء من ذلك في الربع الثالث، **(و)** أنت **(لا ترى مناظراً)** في مجلس من المجالس **(يقدر على أن لا يضمر)** أي يكتم في نفسه **(حقداً على من يحرك رأسه)** ويشير به **(على كلام خصمه)** الذي يناظره **(ويتوقف في كلامه)** ولو كان صريحاً **(فلا يقابله)** وفي نسخة: ولا يقابله **(بحسن الإصغاء)** والاستماع لما يورده، **(بل يضطر إذا شاهد ذلك)** منه ولم يجد محيصاً **(إلى إضمار الحقد وترتيبه في النفس)** أي تسكينه فيها. وفي نسخة: وتزيينه من الزينة **(وغاية تماسكه)** عن إظهار ما في نفسه **(الإخفاء بالنفاق)** المذموم المنهي عنه، **(ويترشح منه)** أي من هذا الحال من باطنه **(إلى الظاهر لا محالة في غالب الأمر)** من كلامه وحركاته وسكناته، فمن أسر سريرة ألبسه الله رداءها، **(وكيف ينفك)** المناظر **(عن هذا)** الوصف **(ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين)** حوله **(على ترجيح كلامه)** على المخالف **(واستحسان جميع أحواله في)** حالتي **(إيراده وإصداره)** لا بد من نقص في ذلك إلا من عصمه الله، **(ثم لو صدر من خصمه)** في حالة مناظرته **(أدنى تشبث)** كذا في النسخ. وفي أخرى: أدنى تشتيت من الشت وهو الخلاف والتباعد، وفي أخرى: أدنى سبب **(فيه قلة مبالاة)** وفي نسخة: واعتناء بكلامه **(انغرس في صدره)**. وثبت. وفي نسخة: في قلبه **(حقد لا تقطعه يد الدهر)** أبداً **(إلى آخر العمر)** نسأل الله السلامة من ذلك بمنه وكرمه.

(ومنها): أي ومن آفات المناظرة **(الغيبة)**؛ أن تذكر أخاك بما يكرهه أو ذكر العيب

لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته، وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية عنه، فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة، فأما الكذب، فبهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة.

ومنها: تزكية النفس قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢] وقيل لحكيم: ما الصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء على نفسه. ولا يخلو المناظر من الثناء

بظهر الغيب، **(وقد شبهها الله تعالى)** في كتابه العزيز **(بأكل الميتة)** فقال: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾ وقال تعالى: ﴿هماز مشاء بنميم﴾ [القلم: ١١] وسيأتي ما يتعلق بذلك في الربع الثالث. **(ولا يزال المناظر)** في المجالس **(مثابراً)** أي مجتهداً صابراً **(على)** هذا الوصف الذميم الذي هو **(أكل الميتة)** واستذواق الجيفة، **(فإنه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه)** وإيراده إياه في المجلس **(ومذمته)** إياه، **(وغاية تحفظه)** وتماسكه **(أن يصدق عليه)** فيما ينقله عنه ويحكيه، **(ولا يكذب في الحقيقة فيحكى عنه لا محالة ما يدل على قصور)** فهمه وفتور **(كلامه وعجزه)** في تقريره **(ونقصان فضله و)** هذا **(هو الغيبة)** التي مر تعريفها، **(فأما الكذب فبهتان)** أي إن كان فيه ذلك الوصف الذي ذكره فقد اغتابه وإلا فقد بهته أي قال عليه ما لم يفعله، **(وكذلك لا يقدر)** المناظر **(على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه)** ولا يميل إليه **(ويصغي إلى خصمه ويقبل عليه)** بأنواع الوقيعة بلسانه والمذام **(حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة)** أي: فساد العقل **(وقلة الفهم والبلادة)**، ولو كان هو على صريح الحق نعوذ بالله من الخذلان.

(ومنها): أي ومن آفات المناظرة **(تزكية النفس)**؛ وهو نماؤها بمدحها **(قال الله تعالى)** في كتابه العزيز: ﴿فلا تزكوا أنفسكم) هو أعلم بمن اتقى﴾ [النجم: ٣٢] أي لا تنسبوها إلى التطهير المقتضى لأن تكونوا عدولاً أتقياء ولذلك قال: ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾ [النساء: ٤٩] أي ينسب من يشاء من عباده إلى ذلك، ومن هذا قال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠] فهذه والله التزكية قاله السمين. **(وقيل لحكيم)** من الحكماء: **(ما الصدق القبيح)**؟ مع أن الصدق لا يوصف بالقبح، ولكن قد يكون ذلك. **(فقال: ثناء المرء على نفسه)** فإنه في الجملة صدق مطابق لما هو الواقع إلا أنه لنفسه قبيح، وفي الذريعة: وأما ثناء المرء على نفسه فشناعة وفظاعة، فقد قيل لحكيم: ما الذي يحسن وإن كان حقاً؟ فقال: مدح الرجل نفسه. وقال معاوية رضي الله عنه لرجل: من سيد قومك؟ قال: أنا. قال: لو كنته لما قتلته، ولقد أحسن ابن الرومي حيث اعتذر عن مدح نفسه قصداً إلى الدلالة على مكانه فقال:

على نفسه بالقوّة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في أثناء المناظرة عن قوله: لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور، وأنا المتفنن في العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه. ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعاً وعقلاً.

ومنها: التجسس وتتبع عورات الناس، وقد قال تعالى: ﴿ولاَ تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢] والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر إلى بلده، فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة

وعزيز عليَّ مدحي لنفسي غير أني حسمته للدلالة
وهو عيب يكاد يسقط فيه كل حر يريد إظهار آله

(**ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه**) بحسن أوصافه وكثرة كمالاته (**بالقوة**) في العلم (**والغلبة**) على الخصم (**والتقدم على الأقران**) والأمثال أبداً (**بالفضل، ولا ينفك في أثناء المناظرة من قوله**) إذا قال له خصمه قولاً ينبهه عليه أو دليلاً لم يخطر بباله: (**لست ممن يخفى عليه هذه الأمور**) ينسب بذلك إلى نفسه الكمال والإجلال (**ويقول**) في أثناء كلامه: (**أنا المتفنن في العلوم**) العقلية والنقلية، (**وأنا المستقل بالأصول**) الدينية أي حامل أعبائها على وجه الاستقلال، (**و**) أنا المتوحد في (**حفظ الأحاديث**) النبوية، (**وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف**) والتكبر، (**وتارة للحاجة**) الداعية (**إلى ترويج**) أي تزيين (**كلامه، ومعلوم أن**) كلاً (**من الصلف والتمدح**) وفي نسخة: البذخ (**مذموم شرعاً وعقلاً**)، فينبغي التجنب عن ذلك، نسأل الله الإعانة والتوفيق.

ومنها): أي ومن آفات المناظرة (**التجسس**)، وهو التعبير عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر، ولذلك يقال: الجاسوس لصاحب سر الشر. (**و**) قيل: التجسس هو (**تتبع عورات الناس**) ومساوئهم (**وقد قال تعالى: ولا تجسسوا**) [الحجرات: ١٢] أي لا تتبعوا عورات الناس ولا تطلعوا على سرائرهم، وقال مجاهد في تفسيره: خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله. وورد في الحديث «لا تجسسوا ولا تحسسوا» بالجيم والحاء (**والمناظر**) في أغلب حالاته (**لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه**) والعثرة ما يسقط الإنسان في عثار قال الشاعر:

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجلِ

(**وتتبع عورات خصومه**). والعورة: هو ما يلحق الانسان العار عند ظهورها (**حتى أنه ليخبر**) أي يعطي خبراً (**بورود مناظر إلى بلده**) قادماً (**فيطلب**) من الناس (**من يخبره**) (**بواطن أحواله**) من حال نشأته (**ويستخرج بالسؤال**) والبحث (**مقابحه**) ومذامه (**حتى يعده ذخيرة لنفسه**) يدخرها عنده إلى حين حضوره في مجلس المناظرة (**في إفضاحه**) على

لنفسه في إفضاحه وتخجيله إذا مست إليه حاجة، حتى أنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره، ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به إن كان متماسكاً ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الافصاح به إن كان متبجحاً بالسفاهة والاستهزاء، كما حكي عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم.

ومنها: الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ومن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين، فكل من طلب المباهاة بإظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه في الفضل، ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر، فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها

رؤوس الأشهاد (**وتخجيله**) وتبكيته (**إذا مست إليه حاجته**) ودعت ضرورته (**حتى أنه ليستكشف**) ويبحث (**عن أحوال صباه**) ونشأته (**وعن عيوب**) في (**بدنه فعساه**) ولعله (**يعثر**) أي يطلع (**على هفوة**) نادرة (**أو على عيب**) في بدنه (**من قرع**) وهو بالتحريك سقوط شعر الرأس وهو عن علة (**أو غيره**) كبرص وما أشبهه من الأمراض الخفية تحت الثياب، (**ثم إذا أحس**) وعلم (**بأدنى غلبة من جهته عرض به**) أي حكاه من باب التعريض (**إن كان متماسكاً**) في نفسه، (**ويستحسن ذلك منه**) عند من حضر (**ويعد من لطائف التسبب**). وفي نسخة: التشذيب بل يعد. بعض العوام إلهاماً وكرامة (**ولا يمتنع عن الإفصاح**) تصريحاً. وفي نسخة: عن الإفصاح بالمهملة (**إن كان متبجحاً**) مفتخراً (**بالسفاهة**) وطول اللسان (**والاستهزاء**) والاحتقار، (**كما يحكى عن جماعة من أكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم**) الأجلة، فإنه نقلت عنهم في مناظراتهم الطامات من التسافه والتفاحش فاللائق بعلماء الآخرة الاعراض عن ذلك نسأل الله الهداية والتوفيق.

(**ومنها**): أي ومن آفات المناظرة (**الفرح بمساءة الناس**)، أي بما يسوءهم (**و**) حصول (**الغم**) والكذب (**مما يسرهم**)، وذلك لأن خصمه إن بهت في مناظرته واسكت فخصمه يفرح لذلك، وإن اسكت هو فذلك مما يسر خصمه فيضيق صدره لذلك وليس ذلك من صفات المؤمنين، (**ومن لا يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه**) من الخير (**فهو بعيد من أخلاق المؤمن**) الكامل. وفي نسخة: المؤمنين لما ورد في الصحيحين: «من الإيمان أن تحب لأخيك كل ما تحب لنفسك» (**وكل من يطلب المباهاة**) والمفاخرة (**بإظهار الفضل**) والكمال (**يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه في الفضل**). وهذه حال المناظرين في الأغلب (**ويكون التباغض بينهم**) جارياً (**كما بين الضرات**) جمع ضرة وتجمع أيضاً على الضرائر، (**وكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتها**) مقبلة (**ارتعدت**) اضطربت (**فرائصها**) جمع فريصة. وهي اللحمة المتدلية على القلب وتسمى البوادر أيضاً (**واصفر

واصفرّ لونها، فهكذا ترى المناظر إذا رأى مناظراً تغير لونه واضطرب عليه فكره، فكأنه يشاهد شيطاناً مارداً أو سبعاً ضارياً، فأين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء، حتى قال الشافعي رضي الله عنه: العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل؟ فلا أدري كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة! فهل يتصوّر أن ينسب الانس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات، وناهيك بالشر شراً أن يلزمك أخلاق المنافقين ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين.

ومنها: النفاق فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون إليه، فإنهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بداً من التودد إليهم باللسان وإظهار

لونها) وتغير حالها، **(فكذا ترى المناظر إذا رأى مناظراً)** من بعيد **(يربد)** أي يتغير **(لونه ويضطرب عليه فكره)** لما داخله منه خوف المغلوبية، **(وكأنه شاهد)** في صورته هذه **(شيطاناً)** مارداً **(أو سبعاً ضارياً)** أي لهجاً بأخذ الصيد، **(فأين الاستئناس)** مع الاخوان على صراط الحب المستقيم **(والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين)** في الخلوة والمحافل **(عند اللقاء)** مع بعضهم، فكانوا يرتاحون بمذاكرة العلم ويستأنسون بها معهم ويحب أحدهم لا يفارق صاحبه مدى الدهر، **(وما نقل عنهم)** في سيرهم **(من المؤاخاة)** والمؤازرة والتعاون **(والتناصر والتساهم)** أي التقاسم **(في)** حالتي **(السراء والضراء)** والمنشط والمكره، **(حتى قال)** الامام **(الشافعي)** رحمه الله تعالى: **(العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل)**. والرحم في الأصل ما يشتمل على الولد من أعضاء التناسل، ومنه استعير للرحم بمعنى القرابة لخروجهم من رحم واحد، فمعنى قول الإمام: إن العلم هو سبب القرابة والمؤانسة بينهم فصاروا في الاتصال كأنهم خرجوا من رحم واحدة. **(ولا أدري كيف يدعي)** بزعمهم **(الاقتداء)** أي الاتباع **(بمذهبه جماعة صار العلم بينهم)** بتباغضهم **(عداوة قاطعة)** ومجافاة مانعة، **(فهل يتصور أن يستتب)** أي يستتم **(الانس)** والحب **(مع طلب)** الغلو و **(الغفلة والمباهاة)** والترفع. **(هيهات هيهات)** بعيد منهم ذلك **(فناهيك)** أي كافيك بالشر **(شراً)** وبعداً ومقتاً **(أن يلزمك)** ويورثك **(أخلاق المنافقين)** والكاذبين، **(ويبرئك)** أي يبعدك **(عن أخلاق المؤمنين والمتقين)** من أهل اليقين.

(ومنها): أي ومن آفات المناظرة **(النفاق)** وهو إبطان غير الظاهر، وقيل: هو الدخول في الشرع من باب والخروج من باب آخر وفي تسمية المنافق منافقاً وجوه ثلاثة ذكرها أئمة اللغة، **(ولا يحتاج إلى ذكر الشواهد)** المتعلقة به وما ورد **(في ذمه)** فإنه كثير والكتب مشحونة بذكره **(وهم)** أي المناظرون **(مضطرون)** أي محتاجون **(إليه)** ضرورة، **(فإنهم يلقون الخصوم ومحبيهم)** ومن تودّد إليهم **(وأشياعهم)** أي أتباعهم الملازمين لهم بوجه طلق، **(ولا**

الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم، ويعلم ذلك المخاطَب والمخاطِب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور، فإنهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله العظيم منه، فقد قال ﷺ: «إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم» رواه الحسن. وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة.

يجدون بداً من التودد) إليهم **(باللسان)** واللين في الكلام وأنواع المؤانسات **(وإظهار الشوق)** في أثناء المحاورات **(والاعتداد)** أي الاعتبار **(بمكانهم)** وشأنهم **(و)** سائر **(أحوالهم)** بغاية التفحص والاعتناء، **(ويعلم المخاطب)** بفتح الطاء **(والمخاطب)** بكسرها **(وكل من يسمع ذلك منهم)** أي من المتخاطبين وأشياعهم **(أن ذلك)** أي إظهار التودد والبشاشة **(كذب)** منهم غير مطابق لسانهم بما في قلوبهم **(وزور)** محض **(ونفاق)** خالص **(وفجور)** هو شق ستر الديانة قاله الراغب، **(وانهم متواددون بالألسنة)** في الظواهر **(متباغضون بالقلوب)** في البواطن **(نعوذ بالله منه)**، فإنه وصف قبيح لا يتحلى به مؤمن يخشى الله تعالى. كيف وقد **(قال ﷺ: «إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم»)** فهذا حال النفاق وترك العمل بما علم وإظهار ما يخالف باطنه من الحب والبغض ومقاطعة الأرحام التي أمروا بوصلها وهي أرحام العلم، فالمتصف به يستحق الطرد والبعد من رحمة الله وقوله: فاصمهم أي عن استماع الحق، وأعمى أبصارهم أي عند رؤية الحق **(رواه الحسن)** أي البصري، فإنه هو المراد عند إطلاقه عند المحدثين فالحديث مرسل. وقال العراقي: أخرجه الطبراني من حديث سلمان بإسناد ضعيف نحوه اهـ.

وقال في التخريج الكبير، وقد ورد متصلاً من حديث سلمان وابن عمر.

أما حديث سلمان فأخرجه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط من رواية الحجاج بن مرافعة عن ابن عمر، وعن سلمان رفعه: «إذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسن وتباغضت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم الله وأعمى أبصارهم» واسناده حسن. وقد رويناه في الخبر الثالث من حديث أبي عمرو بن حمدان من وجه آخر وفي اسناده محمد بن عبدالله بن علاثة مختلف فيه، ورواه البيهقي في المدخل موقوفاً على سلمان ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً.

وأما حديث ابن عمر روينا في الجزء الثالث المذكور من رواية أبي عمر وعنه بلفظ: «يوشك أن يظهر العلم ويخزن العمل ويتواصل الناس بألسنتهم ويتباعدون بقلوبهم فإذا فعلوا ذلك طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم». وفي سنده بشر بن ابراهيم الخلوع ضعيف جداً. وفي ترجمته رواه ابن عدي في الكامل.

ومنها: الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى أن أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق، ومهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية، فلا يسمع كلاماً إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع، فيضرب البعض منها بالبعض، والمراء في مقابلة الباطل محذور إذ ندب رسول الله ﷺ إلى ترك المراء بالحق على الباطل؛ قال ﷺ: «من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتاً في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً في أعلى الجنة». وقد سوّى الله تعالى بين من افترى على الله كذباً

قلت: وهكذا أخرجه الديلمي أيضاً في مسند الفردوس عن ابن عمر. **(وقد صح ذلك)** أي ما ذكرناه **(مشاهدة)** فلا مجال للإنكار فيه وفي نسخة بمشاهدة الحال.

(ومنها): أي ومن آيات المناظرة **(الاستكبار عن)** قبول **(الحق)** والامتناع منه **(وكراهته)** له **(والحرص على المعاداة)** أي المخاصمة **(فيه حتى ان أبغض شيء)** يكون **(إلى المناظر أن يظهر الحق)** الصريح **(على لسان خصمه)** ويأبى ذلك **(ومهما ظهر)** الحق على لسان خصمه **(تشمر)** أي تهيأ **(لجحده وإنكاره)** ومنعه **(بأقصى)** أي نهاية **(جهده)** وطاقته، **(وبذل)** أي صرف **(غاية امكانه على المخادعة)** والمراوغة **(و)** أنواع **(المكر و)** نصب **(الحيلة لدفعه)** وإزالته ويستمر على ذلك زماناً **(ثم تصير المماراة)** والمجادلة بهذا الوجه **(عادة)** مستمرة له **(طبيعية)** غريزية جبلية، **(فلا يسمع كلاماً)** من الخصم فيما يورده **(إلا وينبعث)** أي يعتور ويتحرى من طبعه **(داعية الاعتراض عليه)** من كل الجهات **(حتى يغلب ذلك على قلبه)** ويستمر عليه فينشأ من ذلك الخوض والمماراة **(في أدلة القرآن)** الظاهرة **(وألفاظ الشرع)** الباهرة التي هي مقاطع الحق، **(فيضرب البعض منها بالبعض)** ويركض على هذا المنوال أي ركض، **(والمراء في مقابلة الباطل محذور)** وغوائله كثيرة **(إذ ندب رسول الله ﷺ)** وحث أمته **(إلى ترك المراء بالحق على الباطل)** فكيف في المراء في مقابلة الباطل **(فقال: «من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة»)** الربض: محركة الساحة. قال العراقي: أخرجه الترمذي، وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف. **قال الترمذي**: حديث حسن اهـ.

قلت: هكذا أخرجاه من رواية سلمة بن وردان عن أنس بلفظ: «من ترك الكذب وهو باطل بني له بيت في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في وسطها ومن حسن خلقه بني له في أعلاها» وحسنه الترمذي وقال: لا نعرفه، إلا من حديث سلمة بن وردان عن أنس، وضعفه ابن عدي في الكامل. وأخرجه ابن منده، عن مالك بن أوس بن الحدثان عن أبيه.

وبين من كذب بالحق فقال تعالى: ﴿ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً أو كَذّبَ بالحقِّ لما جاء﴾، وقال تعالى: ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذَّب بالصَّدْقِ إذْ جَاءَهُ﴾. [العنكبوت: ٦٩].

ومنها: الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم. والرياء هو الداء العضال الذي يدعو إلى أكبر الكبائر ـ كما سيأتي في كتاب الرياء ـ والمناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه، فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي إلى

وأخرجه أبو داود بسند جيد من حديث أبي امامة رفعه: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً وببيت في وسطها لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه».

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس رفعه: «أنا الزعيم ببيت في رباض الجنة، وببيت في أعلاها وببيت في أسفلها لمن ترك الجدال وهو محق وترك الكذب وهو لاعب وحسن خلقه».

وأخرج الطبراني في الكبير من رواية عبدالله بن يزيد الدمشقي قال: حدثني أبو الدرداء، وأبو امامة، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك قالوا: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن نتمارى فذكر حديثاً فيه: «ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة في رباضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق» الحديث. **(وقد سوى الله تعالى)** في كتابه العزيز **(بين من افترى على الله كذباً)** بأن نسب إليه ما لا يليق بجلاله وعظمته **(وبين من كذب بالحق)** المنزل **(فقال: ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه)** ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ [العنكبوت: ٦٩] **(وقال)** في موضع آخر من كتابه العزيز **(فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه)**.

(ومنها): أي ومن آفات المناظرة **(الرياء و)** وهو الفعل المقصود به **(ملاحظة الخلق)** ورؤيتهم غفلة عن الخالق وعماية عنه **(و)** في معنى بذل **(الجهد في استمالة)** أي طلب ميل **(قلوبهم وصرف وجوههم)** إليه، **(والرياء)** على ما سيأتي في الربع الثالث **(هو الداء العضال)** أي الشديد من أعضل الأمر إذا اشتد **(الذي يدعو)** ملتبسه **(إلى أكثر الكبائر)** والفواحش **(كما سيأتي)** تفصيله **(في كتاب الرياء)** من المهلكات **(والمناظر)** غالباً **(لا يقصد إلا الظهور)** والشهرة **(عند الخلق)** بتبجحاته وترهاته **(وإطلاق ألسنتهم بالثناء عليه)** بأنه أعلم العلماء وسيد المناظرين والمناضلين، **(فهذه)** التي ذكرت **(عشر خلال من أمهات الفواحش الباطنة)** وأصولها وهي مخفية عن عيون الناس راسخة في الطبائع **(سوى ما يتفق)** غيرها **(لغير المتماسكين منهم)** والمستقلين باعباء العلوم الراسخين فيها **(من)** خلال ذميمة، كذلك نحو **(الخصام المؤدي)** أي الموصل **(إلى الضرب)** بآلات الحرب **(واللكم)**

الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والأخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الأستاذين والقذف الصريح، فإن أولئك ليسوا معدودين في زمرة الناس المعتبرين، وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر، نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته، ولا ينفك أحد منهم عنه مع إشكاله المقارنين له في الدرجة. ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطوّل بذكرها وتفصيل آحادها مثل: الأنفة، والغضب، والبغضاء، والطمع، وحب طلب المال، والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة، والأشر، والبطر، وتعظيم الأغنياء والسلاطين

باليد، والفرق بينه وبين اللطم أن اللطم ما كان بالكف مبسوطة وقد يطلق أحدهما على الآخر توسعاً (**وتخريق الثياب**) وتمزيقها بالتجاذب. (**والأخذ باللحى**) جمع لحية معروفة (**وسب الوالدين**) بما لا يليق بهما (**وشتم الاستاذين**) أي المشايخ والاستاذ لفظة أعجمية (**والقذف الصريح**). وأصل القذف الرمي البعيد ثم استعير للشتم والعيب، (**فإن أولئك**) أي المتصفين بهذه الأوصاف (**ليسوا معدودين**) محسوبين (**في زمرة**) أي جماعة (**المعتبرين**) من العلماء والأشياخ (**وإنما الأكابر**) جمع كبير على غير قياس أو جمع أكبر (**والعقلاء**) ذوو الفطانة (**منهم لا ينفكون**) أي لا يفارقون (**عن هذه الخصال العشرة**) المذكورة.

فإن قال قائل: هذا الذي ذكره على اطلاقه غير متجه فإنا نرى بعضاً منهم لا يظهر عليه عند المناظرة أثر من هذه الخلال.

فأجاب بقوله: (**نعم قد يسلم بعضهم عن بعضها**) أي بعض تلك الخلال، لكن (**مع من هو ظاهر الانحطاط**) أي النزول (**عنه**) في المرتبة (**أو ظاهر الارتفاع عليه**) في المنزلة (**أو**) مع من هو (**بعيد عن بلده**) في المسافة (**أو**) بعيد (**عن أسباب معيشته**) فإن غالب التقاطع لا يكون إلا عن حسد في المعايش من جهة القلة والكثرة (**ولا ينفك أحد منهم عنه**) أي عن ذلك الخصام (**مع اشكاله**) وأشباهه (**المقارنين له**) المحاذين (**في الدرجة**) والمنزلة، كالمدرسين مع المدرس، والمفتين مع المفتي، وشيخ مدرسة مع شيخ مدرسة أخرى، (**ثم يتشعب**) أي يتفرع. وفي نسخة: يتشعب وفي أخرى: ينبعث (**من كل واحدة من هذه الخصال العشر**) المذكورة (**عشرة أخرى من الرذائل**) المستقبحة (**لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها**)، وإنما نلم على تعديدها على سبيل الاجمال وهي (**مثل الأنفة**) محركة هي الحمية، (**والغضب**) نسباً إلى الأنف وهي الجارحة حتى قالوا: شمخ فلان بأنفه للمتكبر، (**والبغضاء**) هو نفور النفس عن الشيء الذي يرغب عنه، (**والطمع**) وهو نزوع النفس إلى الشيء شهوة له، (**وحب طلب المال والجاه**) عند الرؤساء، (**والتمكن من الغلبة**) على الاخصام، (**والمباهاة**) أي المفاخرة، (**والأشر**) وهو كفر النعمة، (**والبطر**) ويقال: الأشر شدة البطر، والبطر أبلغ من الفرح إذ الفرح وإن كان مذموماً غالباً فقد يحمد على قدر ما يجب. وفي الموضع الذي يجب

والتردد إليهم، والأخذ من خزائنهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المخطورة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء، والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما صلّى وما الذي يقرأ ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة، مع انها لا تنفع في الآخرة: من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تحصى. والمناظرون

فبذلك فليفرحوا، وذلك لأن الفرح قد يكون من سرور بحسب قضية العقل، والأشر لا يكون إلا فرحاً بحسب قضية الهوى **(وتعظيم الأغنياء)** من ذوي الأموال نظراً لما بيدهم **(و)** تعظيم **(السلاطين)** ومن في حكمهم من النواب والوزراء نظراً إلى جاههم وشوكتهم **(والتردد إليهم)** لحصول ذلك **(والأخذ من خزائنهم)** من الأموال وأنواع البر والصلة **(والتجمل)** أي التزين **(بالخيول)** المسوّمة **(والمراكب)** الفارهة. وفي حكمها البغال المثمنة **(والثياب المخطورة)** أي ذوات الخطر وهي المثمنة وفي حكمها لبس الفراوي والتشاريف السلطانية **(واستحقار الناس)** واستصغارهم **(بالفخر والخيلاء)** أي التكبر **(والخوض)** أي الدخول **(فيما لا يعني)** من الكلام، **(وكثرة الكلام)** من غير داع ولا موجب، **(وخروج الرحمة)** أي رقة القلب، **(والخشية)** أي الخوف من الله تعالى **(من القلب واستيلاء الغفلة)** وتحكمها **(عليه)** أي على القلب **(حتى لا يدري المصلي منهم)** إذا دخل **(في صلاته)** مفروضة كانت أو نافلة كم صلى و **(ما الذي يقرؤه)** في صلاته **(ومن الذي يناجيه)** في توجهه ويخاطبه، **(ولا يحس)** أي لا يدرك **(بالخشوع)** الذي هو روح العبادة **(من قلبه)** فإذا كان هذا حاله في الصلاة يمضي غافلاً فهو في غيرها أشغل من ذات النحيين[1] **(واستغراق العمر)** واستيفائه **(في)** تحصيل **(العلوم)** العقلية النظرية **(التي تعين)** وتساعد **(في المناظرة)** مع الخصم فيتقنون النحو والمنطق والكلام والجدل والفرائض والحساب، لأنها هي التي تفتق ألسنتهم في المحافل ويلقون العلوم الشرعية سواها وراء ظهورهم، **(مع أنها)** أي تلك العلوم التي يحصلونها **(لا تنفع في الآخرة)** أصلاً، وإنما هي وبال على صاحبها. وقد مضت حكاية نصر بن علي الجهضمي حين رأى الخليل بن أحمد في المنام وجوابه له، وكذلك حكاية بعض المحدثين حين رأى بعض فقهاء الكوفة في منامه وجوابه له، **(حتى تحسين العبارة)** وتلخيصها إذا كان بتكلف وأعمال نظر، **(وتسجيع اللفظ)** حتى في الدعاء كما مرت إليه الإشارة، وما ورد فيه من النهي الصريح، فإن كل ذلك مما يمنع منه **(وحفظ النوادر)** والحكايات الغريبة مما توجد في المجالس بقصد الاستغراب منثورة أو منظومة **(إلى غير ذلك في أمور لا تحصى)** يدركها المتأمل الحاذق، **(والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم)** ورتبهم **(ولهم درجات**

---

(١) من أمثال العرب. والنحيان تثنية نحي بكسر النون وهو الزق الذي يجعل فيه السمن خاصة (انظر جمهرة أمثال العرب للعسكري: ج٢ ص ٢٥٥).

يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى، ولا ينفك أعظمهم ديناً وأكثرهم عقلاً عن جمل من مواد هذه الأخلاق، وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها.

واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضاً للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران. وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة، فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد، ولذلك قال ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه». فلقد ضره مع أنه لم ينفعه، وليته نجا منه رأساً برأس،

شتى) عالية ونازلة، **(فلا ينفك أعظمهم ديناً)** أي معرفة فيه **(وأكثرهم عقلاً)** وذكاء **(عن)** تحمل **(جمل)** كثيرة **(من مواد هذه الأخلاق)** المذكورة **(وإنما غايته)** التي ينتهي إليها **(اخفاؤها)** في النفس **(ومجاهدة النفس فيها)**، فإن غلب عليها نجا من تلك الرذائل وإن غلبت عليه أخلدته إلى الهون والمقاتل. نسأل الله سبحانه الإعانة عليها والتوفيق لما يرضاه.

(واعلم) أيها السالك **(أن هذه الرذائل)** التي ذكرت ليست خاصة في حق المناظرين فقط، بل **(لازمة للمستقل بالتذكير والوعظ)** على الكراسي على ملأ من الناس **(أيضاً إذا كان قصده طلب القبول)** والشهرة عند الناس **(وإقامة)** ركن **(الجاه)** والحشمة **(ونيل الثروة)** أي الغنى **(والعز)** من ذوي الأموال، **(وهي لازمة أيضاً للمشتغل بعلم)** فقه **(المذهب و)** كتابة **(الفتاوى إذا كان قصده)** بذلك **(طلب)** منصب **(القضاء والفتاوى وولاية الأوقاف)** السلطانية. وفي حكم ذلك مشيخة المدارس والزوايا **(والتقدم على الأقران)** والنظراء، ولا يخفى أن الذي يشتغل بعلم المذهب الآن، فإنه لا يتصور منه الانفكاك عن هذه النيات. **(وبالجملة هي لازمة لكل من طلب بالعلم)** أي بتحصيله **(غير ثواب الآخرة)** الموعود به آجلاً، **(والعلم)** من حيث هو هو من خواصه أنه **(لا يهمل)** أي لا يترك **(العالم)** أي حامله المتلبس به، **(بل)** إما أن **(يهلكه هلاك الأبد)** إذا لم يعمل بما علم **(أو يحييه حياة الابد)** إذا عمل بما علمه، **(ولذلك قال ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه»)** قد تقدم هذا الحديث في المقدمة، وأنه أخرجه الطبراني في الصغير، والبيهقي في شعب الايمان، عن أبي هريرة باسناد ضعيف ولفظهم: «لم ينفعه الله بعلمه». وأخرجه ابن عدي أيضاً ولفظه: «لم ينفعه علمه». وقال الحافظ ابن حجر: غريب الاسناد والمتن، وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة عثمان بن عقيم وهو ضعيف. قال ابن عدي: حديثه لا يتابع عليه اسناداً ومتناً، ولكن للحديث أصل أصيل قد روى الحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس مرفوعاً: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي والمصوّرون وعالم لا ينتفع بعلمه». قال المناوي: لأن عصيانه عن علم، ولذا كان المنافقون في

وهيهات هيهات فخطر العلم عظيم، وطالبه طالب الملك المؤبد، والنعيم السرمد، فلا ينفك عن الملك أو الهلك، وهو كطالب الملك في الدنيا، فإن لم يتفق له الإصابة في الأموال لم يطمع في السلامة من الإذلال، بل لا بد من لزوم أفضح الأحوال.

فإن قلت: في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لولا حب الرئاسة لاندرست العلوم. فقد صدقت فيما ذكرته من وجه، ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب، وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة، ولولا حب الرئاسة لاندرس العلم. ولا يدل ذلك على

الدرك الأسفل لكونهم جحدوا بعد العلم، وكان اليهود شراً من النصارى لكونهم أنكروا بعد المعرفة؛ قال عبد الحق: ومفهوم الحديث أن أعظمهم ثواباً عالم ينفعه علمه، (**فلقد ضره**) علمه ضرراً كثيراً حيث كان أشد الناس عذاباً (**مع انه لم ينفعه**) لعدم انفتاح عين بصيرته مع عذاب الحجاب عن مشاهدة الحق تعالى، فعذاب الحجاب إنما يحصل للعلماء الذين تنبهوا للذة لقاء الله في الجملة ولم يتوجهوا إلى تحصيل ذلك واتبعوا الشهوات الحسية المانعة لذلك، (**وليته نجا منه رأساً برأس**) لا عليه ولا له، (**وهيهات**) ذلك (**فخطر العلم عظيم**) ووباله جسيم، وإليه الإشارة بقولهم: العلم حجاب الله الأكبر. أي للذي لم ينتفع به فإنه مانع له عن مشاهدته وعذابه أعظم من عذاب الجحيم، (**وطالبه طالب آلة الملك المؤبد والنعيم السرمد**) أي الدائم (**فلا ينفك عن الملك أو الهلك**) وفي بعض النسخ. وطالبه طالب الملك المؤبد أو العذاب السرمد لا ينفك عن الملك أو الهلك (**وهو يطلب**) وفي بعض النسخ: وهو كطلب (**الملك في الدنيا فإن لم يتفق الاصابة**) له فيها (**لم يطمع في سلامة الارذال**) أي الذين يعيشون سالمين من الأكدار لعدم توجه الأعين إليهم، (**بل لا بد من فضوح الأحوال**) في ذلك اليوم الشديد الأهوال وفي نسخة: بل لا بد من لزوم أفضح الأحوال فنسأل الله السلامة.

(**فإن قلت**): قد بالغت في النكير على المناظرة والمناظرين ومن يختار هذه الطريقة مع أن (**في الرخصة في المناظرة فائدة**) ظاهر (**وهو ترغيب الناس**) وتنشيطهم (**في طلب العلم**) وتحصيله وكثرة الطلبة وإظهار كلمة الحق (**إذ لولا حب الرئاسة**) في مناصب العلوم (**لاندرست العلوم**) وانطمست آثارها.

(**قلت: فقد صدقت فيما ذكرته**) وأوردته (**من وجه**) أي من هذا الوجه فقط (**ولكنه غير مفيد**) ولا محمود (**إذ لولا الوعد**) أي وعد الآباء أو المعلمين للصبيان (**بالكرة والصولجان**) الكرة: هي العصاة يضرب بها الصولجان وهو يكبب من غزل أو خرق أو غير ذلك يلعب بها الصبيان، وكانت هذه من ملاعب الجاهلية وبقيت رسومها في بلاد العجم (**واللعب بالعصافير**) والحمام (**ما رغب الصبيان في**) دخولهم (**المكتب**) وهو محل قراءتهم، ويقال له أيضاً الكتاب، (**وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة**) لكونه باعثاً

أن طالب الرئاسة ناج بل هو من الذين قال ﷺ: « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ». وقال ﷺ: « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » فطالب الرئاسة

لتعليم الأطفال بل هو مذموم من وجوه كثيرة، ومع النظر إلى هذه الوجوه الكثيرة الدالة على ذمه لا ينظر إلى هذا الوجه الواحد لقلته وندرته، (و) قولك (**لولا حب الرئاسة لاندرس العلم**) صحيح، (و) لكنه (**لا يدل**) وفي نسخة: وليس فيه دليل (**على أن طالب الرئاسة ناج**) خالص من عذاب الله كلا والله (**بل هو من الذين قال**) في حقهم رسول الله (ﷺ: « **إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم** ») يؤيد أي يقوّي وينصر من الأيـد وهو القوة كأنه يأخذ معه بيده في الشيء الذي يقوى فيه، وذكر اليد مبالغة في تحقق الوقوع وهذا الدين أي الدين المحمدي والخلاق في الأصل ما اكتسبه الإنسان بخلقه من الفضيلة واستعير لمطلق الحظ والنصيب وقيده بعضهم بالنصيب الوافر قاله السمين.

وهذا الحديث لم يذكره العراقي في تخريجه وهو موجود في سائر النسخ الموجودة من الإحياء، وقد أخرجه ابن عدي في الكامل من طريق جعفر بن جبير بن فرقد، عن أبيه، عن الحسن، عن أبي بكرة قال: وجعفر هذا يروي المناكير وأبوه ضعيف.

وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة مالك بن دينار عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: « ليؤيدن الله هذا الدين بقوم لا خلاق لهم » قلت: يا أبا سعيد، عمن؟ قال: عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ وله شاهد قوي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أخرجه الطبراني في الكبير ولفظه: « إن الله تعالى ليؤيد الإسلام برجال ما هم من أهله. (**وقال**) ﷺ: (« **إن الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر** ») وهو الشاق ستر الديانة.

أخرجه الطبراني في الكبير، عن عمرو بن النعمان بن مقرن المزني. قال ابن عبد البر: له صحبة وأبوه من أجلة الصحابة قتل النعمان شهيداً بوقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين، ولما جاء نعيه خرج عمر فنعاه على المنبر وبكى. هكذا هو في الجامع الصغير للسيوطي قال المناوي في شرحه. وظاهر صنيعه أن هذا لا يوجد مخرجاً في الصحيحين ولا أحدهما وهو ذهول شنيع وسهو عجيب، فقد قال الحافظ العراقي: أنه متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ: « إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » رواه البخاري في القدر، وفي غزوة خيبر، ورواه مسلم مطوّلاً، وممن رواه الترمذي في العلل عن أنس مرفوعاً، ثم ذكر أنه سأل عنه البخاري فقال حديث حسن، حدثناه محمد بن المثنى اهـ فعزو المصنف الحديث للطبراني وحده لا يرتضيه المحدثون فضلاً عمن يدعي الاجتهاد اهـ.

وقد رد عليه شيخ مشايخ شيوخنا الحافظ شهاب الدين العجمي فقال: هو غير متجه من وجوه أولاً، فإنه لم يقل ما رواه إلا الطبراني بصيغة الحصر ولم يلتزم في كل حديث أن يذكر جميع من رواه، وثانياً أن ما نقله عن العراقي أنه متفق عليه إنما هو من حديث أبي هريرة فهو في

في نفسه هالك، وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا، وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف، ولكنه يضمر قصد الجاه، فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه،

الصحيحين لا من حديث عمرو بن النعمان، وثالثاً: إن المصنف نفسه قد نسبه في درر البحار للصحيحين من حديث أبي هريرة، وللطبراني من حديث عمرو المذكور، ومن حديث ابن مسعود فأفاد فيه أن الحديث رواه ثلاثة من الصحابة، وبذلك تضمحل جميع هذه الخرافات والله أعلم بالنيات. قال: ثم رأيت في المشارق للصغاني هذا الحديث من رواية البخاري، عن أبي هريرة والنعمان بن مقرن وقال شارحه ابن عبد الملك انفرد البخاري برواية هذا الحديث عن النعمان بن مقرن اهـ.

قلت: حديث أبي هريرة اتفقا عليه فأخرجه البخاري في الجهاد وغزوة خيبر والقدر، ومسلم في الإيمان. وأما حديث النعمان بن مقرن فليحرر أين أخرجه البخاري، فإنه ليس في الأطراف ولا في جمع عبد الحق ومختصره اهـ.

قلت: أخرجه البخاري ومسلم من رواية الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة في أثناء حديث الرجل الذي قال فيه: انه من أهل النار فتلخص من مجموع ذلك ان هذا الحديث روي من طرق خمسة من الصحابة أبي هريرة، وابن مسعود، وأنس، وعمرو بن النعمان، وأبيه النعمان بن مقرن. هكذا وقع عمرو بن النعمان، والنعمان هو ابن مقرن، وقيل: النعمان بن عمرو بن مقرن كما وقع عند الطبراني هنا في الاسناد وسماه في الترجمة عمرو بن النعمان بن مقرن وهو وهم نبه عليه العراقي، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمة عمرو بن النعمان من الاصابة ان روايته عن النبي ﷺ مرسلة قاله أبو حاتم الرازي وطريق ابن مسعود ظفرت به في الكامل لابن عدي رواه حميد بن الربيع، عن أبي داود الحضري، عن الثوري، عن عاصم، عن ذر، عن عبدالله قال ابن عدي وهذا بهذا الاسناد غير محفوظ لا يرويه غير حميد بن الربيع وهو كذاب، وقد رواه الطبراني أيضاً في الكبير وفي اسناده ضعف، وورد هذا الحديث أيضاً عن كعب بن مالك وهو أيضاً في المعجم الكبير للطبراني، (**وطالب الرئاسة**) الدنيوية (**في نفسه هالك**) بمرة (**وقد يصلح بسببه**) وعلى يده. وفي نسخة: بسعيه (**غيره**) وهو لا يخلو عن حالتين (**فإن كان**) بعلمه (**يدعو**) غيره ويرغبه (**إلى ترك الدنيا**) ودواعيها، (**وذلك فيمن حاله**) وديدنه (**في ظاهر الأمر حال علماء السلف**) الماضين، فإنهم كانوا كذلك في أحوالهم (**ولكنه يضمر**) في نفسه قصد (**الجاه**) وطلب الرئاسة (**فمثاله الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره**). وقد أخرج الطبراني في الكبير من طريقين، والضياء المقدسي في المختارة، عن جندب رضي الله عنه رفعه: «مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه» أي يضيء للناس في الدنيا ويحرق نفسه في الآخرة (**فصلاح غيره في هلاكه**) هذا إذا لم يدع إلى طلب الدنيا، (**فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا**) والرئاسة

فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها، فالعلماء ثلاثة. إما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها، وإما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً، وإما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه، فانظر من أي الأقسام أنت، ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له؟ فلا تظنن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل، وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك الريبة فيه إن شاء الله تعالى.

(**فمثاله النار المحْرقة التي تأكل كل نفسها وغيرها، فالعالم**) وفي نسخة: فالعلماء (**ثلاثة. إما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا**) الداعون إليها (**والمقبلون عليها**) سعياً واهتماماً في تحصيلها، (**وإما منقذ**) أي مخلص (**نفسه وغيره وهم الراغبون إلى الله تعالى**) بحسن اخلاصهم في أعمالهم (**المعرضون عن الدنيا**) ودواعيها (**ظاهراً وباطناً**) سراً وجهراً، (**وإما مهلك نفسه**) بميله إليها باطناً (**منقذ غيره**) بتعليمه الأحكام (**وهو الذي يدعو إلى الآخرة**) ويشوّق إليها (**وقد رفض الدنيا**) وتركها (**في ظاهره و**) لم يعمل بعلمه إنما (**قصده في الباطن**) حصول (**قبول**) له من (**الخلق وإقامة**) ركن (**الجاه**) واستمالة وجوه الناس إليه، وهذا وعيد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وكان علماء الصحب على غاية من الخوف والوجل، ولذلك قالت عائشة لفتى اختلف إليها يسألها وتحدثه، فجاءها ذات يوم فقالت: أي شيء عملت بعدما سمعت؟ قال: به. قالت: فما تستكثر من حجج الله علينا وعليك. (**فانظر من أي الأقسام أنت**) وإلى أي طائفة ملت، (**ومن الذي اشتغلت بالاعتذار له**) وهو عالم سرك ونجواك، (**ولا تظن أن الله يقبل غير الخالص لوجهه**) الكريم (**من العلم والعمل**) إنما لكل امرىء ما نوى. (**وسيأتيك في كتاب الرياء**) خاصة (**بل في جميع ربع المهلكات**) من الأقوال الصريحة (**ما ينفي**) ويزيل (**عنك الريبة**) والشك (**فيه إن شاء الله وحده**) جل جلاله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم.

الباب الخامس

في آداب المتعلم والمعلم

(أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل) :

(الوظيفة الأولى) : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف. إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى، وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والاخباث، فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وانجاس الأوصاف. قال ﷺ : « بني الدين على النظافة ». وهو كذلك ظاهراً وباطناً، قال الله

الباب الخامس

من هذا الكتاب (**في**) بيان (**آداب المتعلم والمعلم**) مما ينبغي لهما أن يستعملاه.

(**أما المتعلم**) وتقديمه باعتبار الأوّلية والسابقية لأنه مبدأ حال المعلم وكل معلم فقد كان متعلماً (**فآدابه ووظائفه كثيرة**) اختصت بالتأليف، (**ولكن ينظم تفاريعها**) أي أقسامها المفرعة منها (**تسع جمل**)[1] وما عداها يرجع إليها.

(**الوظيفة الأولى:**) وأصل الوظيفة ما يوظفه الإنسان أي يقدره لآخر في زمان معين من طعام أو رزق أو علف للدابة ذكره شراح الشفاء. قال شيخنا: ويبقى النظر هل هو عربي أو مولد والأظهر الثاني والجمع وظائف (**تقديم طهارة النفس**) وتنظيفها (**عن رذائل الاخلاق**) المعنوية (**ومذموم الأوصاف**)، من نحو شهوة وكبر وحسد وميل إلى الدنيا وبغض وحقد وغل وغش، وغير ذلك مما تقدم ذكر بعضها ويأتي ذكر بقيتها. (**إذ العلم**) من حيث هو هو (**عبادة القلب**) وعمارته (**وصلاة السر وقربة الباطن**) الذي لا يصل (**إلى الله تعالى**) إلاّ به، (**وكما لا تصح الصلاة**) المعروفة (**التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة**) نظراً إلى القيام والقعود والقراءة (**إلا بتطهير الظاهر**) من بدن المصلي (**عن الأحداث**)، وسيأتي الفرق بينهما في كتاب أسرار الطهارة، (**فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وإنجاس الأوصاف**)، وهذا ظاهر (**قال عليه**) الصلاة و(**السلام « بني الدين على النظافة »**) . قال العراقي: لم أجد هكذا، وفي الضعفاء لا بن

---

(١) ترك المصنف الوظيفة العاشرة كما سيتبين لك ذلك في تضاعيف الكتاب.

تعالى: ﴿ إنَّما المشركون نَجسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] تنبيهاً للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس، فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر، أي باطنه ملطخ بالخبائث. والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه،

حبان من حديث عائشة: « تنظفوا فإن الإسلام نظيف ». وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود « تخللوا فإنه نظافة والنظافة تدعـو إلى الإيمان » اهـ.

قلـت: وأورد الجلال في جامعه ورمز للخطيب عن عائشة: « أن الإسلام نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف » والمعنى الإسلام نقي من الدنس فنقوا ظواهركم من دنس نحو مطعم وملبس حرام وملابسة قذر وبواطنكم بإخلاص العقيدة ونفي الشرك ومجانبة الأهواء وقلـوبكـم من غل وحقد وحسد، فإنه لا يدخل الجنة إلا طاهر الظاهر والباطن، ومن لم يكن كذلك طهرته ثم لا بد من حشر عصاة الموحدين مع الابرار في دار القرار، فالمنفي الدخول الأوّلي قاله المناوي، وأشار إلى ضعف الحديث.

قال السخاوي: وعند الطبراني في الاوسط والدارقطني في الافراد من حديث نعيم بن موزع، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعاً « الإسلام نظيف » ثم ساق كما عند الخطيب ونعيم ضعيف.

وأخرج الترمذي وغيره من حديث مهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه مرفوعاً: « ان الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة كريم يحب الجود » وقال غريب، وللدارقطني من حديث عبدالله بن إبراهيم الغفاري عن المنكدر بن محمد بن أبيه، ومن حديث عبدالله بن أبي بكر بن المنكدر، عن عمه محمد بن جابر مرفوعاً. « إن الله يحب الناسك النظيف » ولأبي نعيم من حديث الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن محمد بن المنكدر عن جابر أن النبي ﷺ رأى رجلاً وسخة ثيابه فقال: « أما وجد هذا شيئاً ينقي به ثيابه ». ورأى رجلاً شعث الرأس فقال: « أما وجد هذا شيئاً يسكن به شعره ». وفي لفظ: « رأسه » وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة شواهد لما ذكره المصنف، **(وهو كذلك ظاهراً)** من الأحداث والأخباث **(وباطناً)** من تطهير الأخلاق. **(وقال)** الله **(تعالى: ﴿ إنما المشركون نجس﴾)** [التوبة: ٢٨] أي ذو نجس، وقيل: جعلهم نجساً مبالغة، والنجس كل مستقذر **(تنبيهاً للعقول)** السليمة **(على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس)**، ولذا قال بعضهم: النجاسة ضربان. ضـرب يدرك بالحاسة، وضرب يدرك بالبصيرة. وعلى الثاني وصف الله المشركين بالنجاسة، **(فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن)** في الظاهر، **(ولكنه نجس الجوهر أي باطنه متلطخ بالخبائث)** من الشرك بالله وفساد العقيدة، **(والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه)** نظراً إلى أصل المعنى، ثم أطلق على القذارة لكونها مما يطلب البعد منها، **(وخبائث صفات الباطن)** من نحو غل وحسد وكبر وكفر **(أهم بالاجتناب)** والردع

وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فإنها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل. ولذلك قال ﷺ: « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب »، والقلب بيت هو منزل الملائكة

عنها **(فإنها مع خبثها في الحال)** الراهن **(مهلكات في المآل)** في آخر الأمر، **(ولذلك قال عليه)** الصلاة و**(السلام « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب »)** ونص الذريعة حق المترشح لتعلم الحقائق أن يراعى ثلاثة أمور. الأول: أن يطهر نفسه من رديء الاخلاق تطهير الأرض للبذر من خبائث النبات، وقد تقدم أن الطاهر لا يسكن إلا بيتاً طاهراً وان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب اهـ.

فانظر هذا الكلام المختصر المفيد وقد زاد عليه المصنف في تقريره وبسطه كما ترى، والحديث قال العراقي متفق عليه من حديث أبي طلحة الأنصاري اهـ.

قلت: وبقية الحديث ولا صورة، وهكذا أخرجه أيضاً الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه كلهم من طريق أبي طلحة. وأخرجه الطبراني في الكبير والضياء في المختارة، عن أبي أيوب رفعه مثله، وعند أبي داود والنسائي والحاكم عن علي مرفوعاً « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب ». وعند الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس عن أبي طلحة « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل ». وفي الباب عن ابن عمر وعائشة وميمونة وابن عباس وأسامة وبريدة وابن عمرو وأبي أمامة وأبي رافع. قال المناوي: المراد بالملائكة ملائكة الرحمة والبركة والطائفون على العباد للزيارة واستماع الذكر لا الكتبة فإنهم لا يفارقون المكلف فهو عام أريد به الخصوص، والمراد بالكلب ولو لنحو زرع أو حرث كما رجحه النووي خلافاً لما جزم به القاضي لأن كلب وصورة نكرتان في سياق النفي اهـ.

وقد أورد المصنف هذا الحديث في كتابه الذي سماه الإملاء على الاحياء إذ كتب على أسئلة وردت عليه في مواضع معينة من مشكلاته وانجر إلى هذا البحث استطراداً في الجواب عن أوّل الأسئلة، ونحن نورده لك ممزوجاً بكلامه هنا حسب المناسبة. قال؛ فإن قلت فما الذي ضر هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر والبحث حتى يعلموا أو عن الاعتقاد حتى يخلصوا من عذاب الله، وهم في الظاهر قادرون على ذلك، وما المانع الخفي الذي أبعدهم عنه وهم يعلمون أن ما عليهم في ذلك كبير مؤنة ولا عظيم مشقة، واعلم أن هذا السؤال يفتح باباً عظيماً ويجر قاعدة كبرى يخاف من التوغل فيها أن نخرج عن المقصود، ولكن لا بد إذ وقع في الاسماع ووعته قلوب الطالبين واشرأبت إلى سماع الجواب عنه أن نورد في ذلك قدر ما يقع به الكفاية وتقنع به النفوس بحول الله عز وجل. نعم ما سبق في العلم القديم لا تجري المقادير بخلافه في الحديث منعهم من ذلك اراد الله عز وجل واختصاص قلوبهم بالاخلاق الكلابية والشيم الذئابية والطباع السبعية وغلبتها عليها والملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب، **(والقلب بيت)** تولى الله بناءه بيده و**(هو منزل الملائكة)** الكرام **(ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم)** أعده أن

ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب ناجحة فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ [الشورى : ٥١] ، وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون والمطهرون المبرؤن عن الصفات المذمومات ، فلا يلاحظون إلاَّ طيباً ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلاَّ طيباً طاهراً . ولست أقول المراد بلفظ « البيت » هو

يكون خزانه علمه ومسرب مكنوناته ومغشى أنواره ومهب نفحاته ومحل مكاشفاته ومجرى رحمته وهيأه لتحصيل المعرفة (**والصفات الرديئة**) والاخلاق المذمومة (**مثل الغضب والشهوة الحقد والحسد والكبر والعجب**) والغل والغش (**وأخواتها كلاب نابحة**) وذئاب عادية وسباع ضارية ، (**فأنّى**) وفي نسخة : فلا (**تدخله الملائكة وهو مشحون**) أي مملوء (**بالكلاب**) أي بصفاتها أي متى كان فيها شيء من تلك الاخلاق لم تدخله الملائكة ولم ينزل عليه شيء من الخير من قبله (**ونور العلم لا يقذفه الله في القلب إلا بواسطة الملائكة**) إذ هي الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات والواصلون إليه وعنه بالباقيات الصالحات . قال الله عز وجل : (**﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاَّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه﴾**) [الشورى : ٥١] أي ما يرد عن الله عز وجل إما بواسطة ملك أو القاء في روع أو مكاشفة بحقيقة أو ضرب لمثل مع العلم بتأويله ، (**فهكذا**) وفي نسخة : وهكذا في جميع (**ما يرسل من رحمة العلوم**) المفاضة (**إلى القلوب وإنما يتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون**) من الأدناس (**المبرأون عن المذمومات فلا يلاحظون**) بوارداتهم (**إلاَّ طيباً**) من الأصل ؛ (**ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا ظاهراً**) في الباطن والظاهر قال : ولولا تلك الاخلاق المذمومة التي حلت فيهم وهي التي ذم الكلب لأجلها لما احترمت الملائكة بإذن الله عز وجل عن حلولها فيها ، وهي لا تخلو من خير تنزل به ويكون معها بحيث ما حلت حل الخير في ذلك القلب بحلولها ، وإنما هي مرتصدة لها ، فحيثما وجدت قلباً خالياً ولو حيناً من الدهر وزمناً نزلت عليه ودخلته وثبت ما عندها من الخير حوله ، فإن لم يطرأ على الملائكة ما يزعجها عنه من تلك الأخلاق بواسطة الشياطين الذين هم في مقابلة الملائكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه ، وعمرته بقدر سعة البيت وانشراحه من الخير ، فإن كان البيت كبير الاتساع أكثرت فيه من متاعها واستعانت بغيرها حتى يمتلىء القلب من متاعها وجهازها ، وهو الإيمان والصلاح وضروب المعارف النافعة عند الله تعالى ، فإذا طرق ذلك البيت المعمور طارق شيطان ليسرق من ذلك الخير الذي هو متاع الملك ، ونكت فيها خلقاً مذموماً لا يوجد إلا في الكلب وهو متاع الشيطان قابله الملك وطرده عن ذلك المحل ؛ فإن جاء للشيطان مدد من

القلب. « وبالكلب » هو الغضب والصفات المذمومة، ولكني أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تغيير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر، ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار، إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبه لكونه أيضاً عرضة للمصائب، وكون الدنيا بصدد الانقلاب، فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى

الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصرة من عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخلى البيت ونهب المتاع وخرب بعد عمارته وأظلم بعد إنارته وضاق بعد انشراحه. وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى واهتدى وضل قال.

فإن قلت: كيف آمن من كفر، وأطاع من عصى، واهتدى من ضل إذ كانت الشياطين لا تفارق قلب الكافر والعاصي والضال بما يبثون فيه من الأخلاق المذمومة وأصناف الخير إنما ترد من الله عز وجل بواسطة الملائكة وهي لا تدخل موضعاً يحل فيه شيء مما ذكر، وإذا لم تدخل لم يصل إلى الخير الذي يكون معها ولم تصل إليه، فعلى هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله، ومن لم يخلق مؤمناً معصوماً فلا سبيل له إلى الإيمان على هذا المفهوم.

فالجواب: إن للشياطين غفلات وللأخلاق المذمومة عزفات، كما أن للملائكة غيبات ولتواتر الخير عليها فترات، فإذا وجد الملك قلباً خالياً ولو زمناً فرداً حل فيه وأراه ما عنده من الخير، فإن صادف منه قبولاً ولما عرض عليه تشوّقاً ونزوعاً أورده عليه ما يملؤه ويستغرق لبه، وإن صادف منه ضجراً وسمع منه لجنود الشياطين استغاثة وبالاخلاق الكلابية استعانة رحل عنه وتركه. (**ولست أقول المراد بلفظ «البيت»**) في الحديث (**هو القلب وبالكلب هو الغضب و**) بقية (**الصفات**) المذمومة، (**ولكن أقول: هو**) أي ما ذكر من التأويل (**تنبيه عليه**) لأهل الباطن (**وفرق بين تغيير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر**) على ما هي عليها، وعلى هذا (**بفارق الباطنية**) وهم طائفة من الملاحدة (**بهذه الدقيقة**). وقد ذكر شيء مما يتعلق بتأويلاتهم في أوّل الكتاب، (**فإن هذا طريق الاعتبار وهو مسلك**) السادة من (**العلماء والأبرار**)، ومن نحا منهجهم من أهل الأسرار. (**إذ معنى الاعتبار أن يعبر**) أي يتجاوز (**مما ذكر إلى غيره ولا تقتصر عليه**). هذا هو الأصل نظراً إلى أنه افتعال من العبور (**كما يرى العاقل مصيبة**) نزلت (**بغيره فيكون له فيها عبرة بأن يعبر منها إلى**) حال (**التنبه**) من الغفلة (**لكونه أيضاً عرضة**) أي معروضاً (**للمصائب**) والتوازل، (**وكون الدنيا بصدد الانقلاب**) والزوال ولقد أجاد من قال: من حلقت لحية جاره★ فليسكب الماء على لحيته. (**فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة**) عند أهل الحق، (**فاعتبر أنت**

أصل الدنيا عبرة محمودة، فاعبر أنت أيضاً من البيت الذي هو بناء الخلق إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى، ومن الكلب الذي ذم لصفته ـ لا لصورته ـ وهو ما فيه من سبعية ونجاسة إلى الروح الكلبية وهي السبعية.

من) لفظ **(البيت الذي هو بناء الخلق)** من اللبن والطين **(إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله سبحانه)** ومهبط أنواره وملائكته، **(و)** اعتبر أيضاً **(من)** لفظ **(الكلب الذي هو ذم لصفته لا لصورته)** الظاهرة، **(وهو ما فيه من سبعية ونجاسة إلى روح الكلبية وهي السبعية)** وقد أورود الشيخ المصنف رحمه الله هذا البحث في إملائه الذي تقدم ذكره فقال:

فإن قلت: فأي بيت فهم عن النبي ﷺ في الخطاب، وأي كلب أراد هل بيت القلب وكلب الخلق أو بيت اللبن وكلب الحيوان؟

فاعلم ان الحديث خارج على سبب ومعناه وجلته أن المقصود بالأخبار بيت اللبن وكلب الحيوان المعلوم، ولا شك في ذلك، ولكن يستقرأ منه ما قلناه لك، ويستنبط من مفهومه ما نبهناك عليه وتتخطى منه إلى ما أشرنا لك نحوه، ولا نكير في ذلك إذ دل عليه العلم وجلة الاستنباط ولم تمجه القلوب المستفتاة ولم يصادم به شيء من أركان الشريعة، فلا تكن جامداً ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من نفور مقلد، وكثيراً ما ورد شرع مقرون بسبب، فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه إلى ما هو في معناه ومشابه له من الجهة التي يصلح أن يتعدى بها إليها، ولولا ذلك ما قال عليه الصلاة والسلام: «رب مبلغ علم أوعى من سامع، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

ثم قال: فإن قلت: قد علم السبب الذي جاء هذا الحديث عليه وفيه فهل يعدى عن سببه ويترقى منه إلى مثل ما ترقى من الحديث الآخر؟

فالجواب نعم يترقى منه إلى قريب من ذلك وشبهه ويكون هذا الحديث منبهاً عليه، وهو أن الصورة المنحوتة قد اتخذت آلهة وعبدت من دون الله عز وجل، وقد نبه الله تعالى قلوب المؤمنين على عيب فعل من رضي بذلك ونقص إدراك من دان به. قال تعالى مخبراً عن إبراهيم ﷺ: ﴿أتعبدون ما تنحتون★ والله خلقكم وما تعلمون﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦] فكان امتناع دخول الملائكة من دخول بيت فيه صورة لأجل أن فيه ما عبد من دون الله تعالى أو ما يكون به ما هو على مثاله ويترقى من ذلك المعتبر إلى أن القلب الذي هو بيت بناه الله تعالى ليكون مهبط الملائكة ومحلاً لذكره ومعرفته وعبادته وحده دون غيره، وإذا أدخل فيه معبود غير الله تعالى وهو الهوى لم تقربه الملائكة أيضاً.

فإن قيل: فظاهر الحديث يقتضي منافرة الملائكة لكل صورة عملوها وما ذكرته الآن تعليلاً ينبغي أن لا يقتضي إلا منافرة ما عبدوا ما نحت على مثاله.

قلت: إن مشابهة الصورة المنحوتة كلها في المعنى الذي قصد بها المقصور من أجله وهو

واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتكلب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور. والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها. وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني، فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية. « فيحشر الممزق لاعراض الناس كلباً ضارياً والشره إلى أموالهم ذئباً عادياً والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرئاسة في صورة أسد ». وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والأبصار.

مضارعة ذوات الأرواح وما نحت للعبادة إنما قصد به تشبيه ذوي روح، فلما كان هذا المعنى هو الجامع لها وجب تحريم كل صورة ومنافرة الملائكة لها.

فإن قيل: فما وجه الترخيص فيما هو رقم في ثوب؟

قلت: إن ذلك لأجل انها ليست مقصودة في نفسها وإنما المقصود الثوب الذي رقمت فيه، هذا آخر ما أورد المصنف في إملائه فتأمل.

(**واعلم أن القلب المشحون**) أي المعلق (**بالغضب والتشرف**) أي التطلع. وفي نسخة: والشره (**إلى الدنيا والتكلب عليها**) أي على تحصيلها (**والحرص على التمزيق**) أي التشقيق (**لأعراض الناس كلب في المعنى**) لاشتماله على هذه الصفات الثلاثة المذمومة فهو اياه نظراً إلى ذلك (**وقلب في الصورة**) الظاهرة (**ونور البصيرة**) الذي تقذف فيه (**يلاحظ المعاني**) المعقولة (**دون الصورة**) المحسوسة، (**والصورة في هذا العالم**) بفتح اللام (**غالبة على المعاني**) لظهورها (**والمعاني باطنة فيها**) بطون الماء في العود، (**وفي**) عالم (**الآخرة**) تكشف الحجب (**وتتبع الصور المعاني وتغلب المعاني**) عليها، (**فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية**) التي مات عليها (**فيحشر الممزق لأعراض الناس**) في الدنيا (**كلباً ضارياً**) أي على صورته، (**و**) يحشر (**الشره**) النهم (**إلى أموالهم**) أخذاً واختلاساً. وفي نسخة: وآخذ أموالهم (**ذئباً عادياً و**) يحشر (**المتكبر عليهم في صورة نمرو**) يحشر (**طالب الرئاسة**) فيهم (**في صورة أسد**) واختص كل حيوان بهذه الأوصاف، فمن وجدت فيه صفة وفارق الدنيا عليها ولم ينفصل عنها حشر على صورته، ويشير إلى ذلك ما رواه ابن ماجه عن جابر رفعه: « يحشر الناس على نياتهم ». (**وقد وردت بذلك الأخبار**) والآثار (**وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والأبصار**). قال العراقي: أما حديث حشر الممزق لأعراض الناس كلباً ضارياً فقد أخرجه الثعلبي في التفسير من حديث البراء بسند ضعيف وقال في تخريجه الكبير: لم أجد لذلك أصلاً إلا ما رواه الثعلبي في التفسير باسناد ضعيف من حديث البراء بن عازب بنحو من ذلك اهـ.

قلت: وقد وجدت في حشر المتكبر حديثاً إلا أنه ليس كما أورده المصنف أنه في صورة نمر

(فإن قلت): كم من طالب رديء الأخلاق حصل العلوم فهيهات ما أبعده عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة، فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي سموم قاتلة مهلكة، وهل رأيت من يتناول سماً مع علمه بكونه سماً قاتلاً

وذلك فيما رواه الإمام أحمد والترمذي وحسنه من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه. عن جده رفعه: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى يولس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال».

وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة كعب الأحبار من ثلاثة طرق. إحداهن عن معمر، عن أبي مصعب، عن أبيه، عن كعب بنحو هذا السياق. والثانية والثالثة من رواية موسى بن عقبة، عن عطاء بن أبي غروان، عن أبيه عن كعب: «والذي فلق البحر لموسى أن فيما أنزل الله في التوراة أنه يحشر المتكبرون يوم القيامة» فساق نحوه.

(**فإن قلت: كم من طالب رديء الأخلاق**) ذميم الأوصاف اجتهد في هذا الطريق و(**حصل العلوم**) وفي نسخة: العلم وسمى عالماً واقتدى به الناس، (**فهيهات ما أبعده عن**) معرفة (**العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة**) الكبرى، (**فإن من أوائل ذلك**) وعلاماته الصادقة (**أن يظهر له**) بتوفيق من الله تعالى (**أن المعاصي**) في اعسالها (**سموم مهلكة**) قتالة لا تقبل البرء، (**وهل رأيت**) في العقلاء (**من يتناول سماً**) باختياره (**مع علمه بكونه سماً**) قاتلاً، فهذا الذي حصله من العلوم مما بعثه على تحصيل الحطام الفاني لا مما قربه وأدناه إلى الحبيب الداني. وقد أورد هذا الحديث ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة بأبسط من هذا فقال: فضيلة الشيء تعرف بضده ولا ريب أن الجهل أصل كل فساد وكل ضرر يلحق، فهو نتيجة الجهل وإلَّا فمع العلم التام بأن هذا الطعام مثلاً مسموم من أكله قطع أمعاءه في وقت معين لا يقدم على أكله، وإن قدر أنه أقدم عليه بغلبة جوع أو استعجال وفاة فهو لعلمه بموافقة أكله لمقصوده الذي هو أحب إليه من العذاب بالجوع أو بغيره، ثم ذكر الاختلاف في مسألة هل العلم يستلزم الاهتداء أم لا؟ اختلف المتكلمون وأرباب السلوك واحتجت كل فرقة بدليل من الآيات والأحاديث، ثم قال: المقتضي قسمان. قسم لا يتخلف عن موجبه ومقتضاه لقصوره في نفسه، بل يستلزمه استلزام العلة التامة لمعلولها ومقتض غير تام يتخلف عنه مقتضاه لقصوره في نفسه عن التمام أو لفوات شرط اقتضائه أو قيام مانع منع تأثيره، فإن أريد بكون العلم مقتضياً للاهتداء الاقتضاء التام الذي لا يتخلف عنه أثره بل يلزمه الاهتداء بالفعل. فالصواب قول الطائفة الثانية وأنه لا يلزم من العلم الاهتداء المطلوب وإن أريد كونه موجباً أنه صالح للاهتداء مقتض وقد تخلف عنه مقتضاه لما ذكر، فالصواب قول الطائفة الأولى، ثم ذكر أسباب التخلف وهو نفيس فراجعه. (**وإنما الذي تسمعه من المترسمين**) الآخذين برسوم العلم الظاهرية وفي

إنما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بألسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى، وليس ذلك من العلم في شيء. قال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نور يقذف في القلب. وقال بعضهم: إنما العلم الخشية لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]، كأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم، ولذلك قال بعض المحققين: معنى قولهم: « تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله » إن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته، وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه.

نسخة: المتوسمين (**حديث تلقفوه**) أي أخذوه بأفواههم ولقف الفم شدته. وفي نسخة، بألسنتهم وبقلوبهم بصيغة الجمع فيها (**وليس ذلك من العلم**) النافع الموصل (**في شيء**) أصلاً. (**قال**) الإمام الجليل عبدالله (**ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**ليس العلم بكثر الرواية وإنما العلم نور يقذف في القلب. وقال بعضهم: إنما العلم الخشية إذ قال الله تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر: ٢٨].**)

قلت: الذي في الحلية لأبي نعيم في ترجمة عبدالله بن مسعود ما نصه: حدثنا أبو أحمد الغطريفي، حدثنا أبو خليفة، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا قرة بن خالد، عن عون بن عبدالله قال، قال عبدالله: ليس العلم بكثرة الرواية لكن العلم الخشية، فعلم من سياقه أن الجملتين من كلام ابن مسعود، فيكون المراد من قوله: وبعضهم هو هو وقوله إذ قال تعالى الخ هذه الزيادة ليست عند أبي نعيم، وقوله: إنما العلم نور الخ قد أورده صاحب القوت في سياق كلامه في أحوال السلف ما نصه، فهذا كما قيل: العلم نور يقذفه الله تعالى في قلوب أوليائه كما تقدم ذلك في سادس شروط المناظرة أي فليس كل قلب يقذف فيه النور، (**وكأنه**) أي صاحب هذا القول (**أشار**) بذلك (**إلى أخص ثمرات العلم**) وأعلاها وأنماها، كما دل على ذلك الحصر بإنما، وقد تقدم البحث في معنى الآية والخشية في أول الكتاب، (**ولذلك قال بعض المحققين**) من السلف: أن (**معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله**)، وطالما كنت أسمع الشيوخ يعزون هذه المقالة إلى المصنف، وأنه أبو عذرتها وكنت أفهم من تقاريرهم في معناها أن تعلمنا في المبادىء لم يكن يخلو من عدم الإمحاض في تحصيله، فأبى الا أن يجرنا إلى طريق السلوك والهداية إلى الله تعالى، وتقدم في أثناء ترجمة المصنف حين أمره وأخاه وصيهما أن ينزلا مدرسة من المدارس ليتقوتا فيها ويحصلا العلم وكان ما كان، فقال المصنف: هذا الكلام إذ ذاك والآن قد ظهر في سياق المصنف أن المقالة المذكورة لأحد من المتقدمين ليست له، وإنما هو ناقل بل هو مقلد لصاحب القوت فإنه هو الذي نقلها هكذا وفسرها بما يأتي وأن تفسيرها (**أي أن العلم أبى وامتنع علينا**) بحسب قصورنا في الإجتهاد وعجزنا عن كثير من الشروط، (**فلم تنكشف لنا حقيقته**) من حيث هو هو (**وإنما حصل لنا حديثه**) الظاهر (**وألفاظه**) ومثله ورسومه فقط، فهذا تأويل آخر لتلك المقالة غيرها كنا نسمعه من الشيوخ ونفهمه.

(فإن قلت): **إني أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والأصول وعدّوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها؟ فيقال: إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علماً، وإنما غناؤه من حيث كونه عملاً لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى، وقد سبقت إلى هذا إشارة. وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى.**

(الوظيفة الثانية): أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا يبعد عن الأهل والوطن، فإن العلائق شاغلة وصارفة و ﴿ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَين في جـوفـه﴾ [الأحـزاب: ٤].

(فإن قلت: إني أرى جماعة) كثيرة **(من الفقهاء المحققين)** المدققين **(برزوا في الفروع والأصول)** أي ظهروا على الناس في معرفتها واستباط الأحكام الشرعية منها **(وعدّوا)** بذلك **(من جملة الفحول و)** مع ذلك **(أخلاقهم)** التي جبلوا عليها **(ذميمة)** ردية، **(ولم يتطهروا منها)** ولم يتخلصوا من أدناسها؟ **(فيقال)** في الجواب عن ذلك: **(إذا عرفت مراتب العلوم)** النافعة **(وعرفت مقاديرها)** بميزان الاخلاص **(بحكم الآخرة)** لا بحكم الدنيا **(استبان)** أي ظهر **(لك أن ما اشتغلوا به)** وتعبوا عليه كثير العناء **(قليل الغناء)** أي الجدوى **(من حيث كونه علماً وإنما غناؤه)** وفائدته **(من حيث كونه عملاً لله تعالى)** موصلاً إليه **(إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى)** لا ما إذا قصد به غير الله من نحو تحصيل جاه أو حطام دنيوي أو مباهاة أو غير ذلك. **(وقد سبقت إلى هذه إشارة)** في عدة مواضع. **(وسيأتيك فيه بيان مزيد وايضاح)** إن شاء الله تعالى في ذكر العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة في مواضع أخر غيرها، والله أعلم.

(الوظيفة الثانية: أن يفرغ) المتعلم بعد تقديم طهارة النفس **(علائقه)** جمع علاقة بكسر العين. وفي بعض النسخ: أن يقلل علائقه **(من أشغال الدنيا)** جمع شغل بالضم وهو ما يشغله. وفي بعض النسخ: من اشتغال الدنيا أي من الاشتغال وهو صرف نفائس الأوقات في أمورها، وعلى النسخة الأولى أمر بتفريغه للعلائق الدنيوية بحيث لا يشغله منها شيء، وهذا أوفق للمتجرد. وعلى النسخة الثانية أمر بقطع الاطماع في أمورها فيقلل منها على التدريج وهذا أوفق للمتزوّج، **(و)** على كل حال لا يتمكن من ذلك كل منهما حتى **(يبعد عن الأهل)** والأقارب **(والوطن)** والدار والرباع ويهاجر عنهم وعنها حتى يثبت له أجر المهاجرة، وفي ذلك قال بعض المقادسة:

مـا للمعيـل وللمعـالي إنمـا ... يسعـى اليهـن الفـريـد الفـارد

(فإن العلائق) وهي على قسمين ظاهرية وباطنية وهي بأنواعها **(شاغلة وصارفة)** عن

ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق، ولذلك قيل: « العلم لا يعطيك بعضه

تحصل المطلوب، (و) قد قال الله تعالى في كتابه العزيز في سورة الأحزاب ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ [الاحزاب: ٤] أصل الجوف الخلاء، ثم استعير لما يقبل الشغل والفراغ فقيل جوف الدار لداخلها وباطنها وجوف الإنسان بطنه، واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال الحافظ السيوطي في الدر المنثور: وأخرج أحمد، والترمذي، وحسنه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والضياء في المختارة عن ابن عباس قال: قام النبي ﷺ يوماً يصلي فخطر خطرة فقال: « المنافقون الذين يصلون معه ألا ترى أن له قلبين قلباً معكم وقلباً معهم » فأنزل الله هذه الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق حصين عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة قالوا: كان رجل يدعى ذا القلبين فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، عن ابن عباس قال: كان رجل من قريش يسمى من دهائه ذا القلبين فأنزل الله هذا في شأنه. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال: كان رجل على عهد رسول الله ﷺ يسمى ذا القلبين كان يقول نفسي تأمرني ونفسي تنهاني فأنزل الله فيه.

وأخرج الفريابي وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: إن رجلاً من بني فهر قال: إن في جوفي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ﷺ فنزلت.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له جميل بن معمر.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: ﷺ صلاة فنسي فيها فخطرت منه كلمة فسمعها المنافقون وأكثروا، فقالوا: إن له قلبين ألم تسمعوا إلى قوله وكلامه في الصلاة إن له قلباً معكم وقلباً مع أصحابه فنزلت: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ إلى قوله: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ [الأحزاب: ١ ـ ٤].

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، عن الزهري قال: بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثلاً تقول ابن رجل آخر ابنك ونص الذريعة الثاني أن يقلل من الأشغال الدنيوية ليتوفر فراغه عن العلوم الحقيقية، وقد قال الشاعر:

فما صاحب التطواف يعمر منهلاً   وربعاً إذا لم يخل ربعاً ومنهلا

وقد قال الله تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل﴾ الآية، (**ومهما توزعت**) أي تقسمت (**الفكرة**) المستبعة في نفسها وهي القوة المطرقة للعلم (**قصرت عن درك الحقائق**) العلمية وفهمها واشتغال البال بالعلائق من أعظم الموانع لطلب العلم، (**ولذلك قيل**) فيما مضى: (**العلم لا**

حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر ». والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزارع.

(الوظيفة الثالثة) : أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم، بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق. وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته. قال الشعبي: « صلى

يعطيك بعضه) أي بعضاً من حقائقه وثمراته **(حتى تعطيه كلك)** أي تتوجه إلى تحصيله بكليتك غير ناظر إلى أهل ووطن ولا مال وجاه مع جوع وعري وغربة، **(فإذا أعطيته كلك)** أي صرفت إليه همتك الكلية **(فأنت من اعطائه إياك بعضه على خطر)** إما أن تحصله أولا، فإذا لم تعطه كلك لم تظفر منه بشيء أبداً. أورده صاحب الذريعة هكذا قال وكأنما عنى من قال:

خدم العلى فخدمته وهي التي ... لا تخدم الأقوام ما لم تخدم

(والفكرة المتوزعة) أي المنقسمة **(على أمور متفرقة)** إنما مثلها عند الإعتبار **(كجدول)** وهو نهر صغير يسقي الحائط **(تفرق ماؤه)** في أماكن شتى وليس بمجتمع في موضع واحد **(فتنشف الأرض بعضه)** لقلته **(واختطف الهواء)** من الجو **(بعضه ولا يبقى منه ما يجتمع)** مع بعضه **(ويبلغ المزارع)** المطلوب سقيها. ونص الذريعة والفكرة متى توزعت تكون كجدول يفرق ماؤه فيشفه الحر وتشربه الأرض فلا يقع به نفع، وإن جمع بلغ المزروع فانتفع به اهـ.

ولذا كرهوا للمتعلم من الإشتغال في درسين في علمين مستقلين لئلا تتوزع الفكرة، ومن الإنتقال من فن إلى فن آخر قبل إستكمال الأول كما يأتي بيانه.

(الوظيفة الثالثة: أن لا يتكبر) المتعلم **(على العلم)** نفسه بأن يراه بعين الأزدراء ولا تقع مهابته وشرفه وكرامته عنده موقعاً **(ولا يتأمر)** أي لا يصير أميراً **(على المعلم)** فإنه ثمرة عدم معرفة حقه **(بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية)**، وأصل الزمام ما يزم به البعير بحبل فيقاد، والمراد هنا تدبير أموره **(في كل تفصيل)** وإجمال **(ويذعن)** أي ينقاد **(لنصحه)** وما يبديه من إشاراته **(إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق)** في صنعته، وإنما قيد المريض بالجاهل لأن العارف من المرضى ربما خالف طبيبه في دواء من الأدوية فلم يتلق منه بالقبول فلا ينجع فيه ذلك الدواء، وقيد الطبيب بوصفين الإشفاق والحذق، ولعمري هما وصفان جليلان لا يوجدان في أكثر الأطباء، وإنما ضرب المثل في ذلك لأن المعلم يشفيه من أمراضه الباطنة التي أعظمها الجهل، كما أن الطبيب يداويه لإذهاب الأمراض العارضة في الظاهر، وإذا وجد في المعلم الكمال في نفسه وتهذب لتكميل الغير مع الإشفاق والفطانة وجب على المتعلم أن يكون بين يديه

زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد : خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء . فقبّل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا ان نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ » . وقال ﷺ : « ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم » . فلا ينبغي

مثل ذلك المريض الجاهل، بل كالميت بين يدي الغاسل أو القشة في جرية الماء . **(وينبغي أن يتواضع)** بعين قلبه **(لمعلمه)** ومرشده **(ويطلب الثواب)** والأجر **(والشرف)** الأكبر والسعادة العظمى **(بخدمته)** والملازمة لسدته . **(قال)** الإمام المتفق على ورعه وجلالة قدره أبو عمرو عامر بن شراحيل **(الشعبي)** من شعب همدان. قال مكحول: ما رأيت أفقه منه مات بعد المائة وله نحو من ثمانين. أخرج حديثه الجماعة **(صلى زيد بن ثابت)** ابن الضحاك بن لوذان الأنصاري النجاري أبو سعيد وأبو حارثة صحابي مشهور كتب الوحي. قال مسروق: كان من الراسخين في العلم مات سنة ثمان أو خمس وأربعين، وقيل: بعد الخمسين **(على جنازة)** هي جنازة أمه كما وقع التصريح بذلك في الرواية الآتية ، **(فقربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس)** رضي الله عنهما **(فأخذ بركابه)** تبركاً وتشرفاً ، **(فقال زيد : خل عنه)** وفي رواية ذر **(يا ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء)** والكبراء أي ذوي الأسنان والشيوخ **(فقبل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعلُ بآل بيت رسول الله ﷺ)** . قال العراقي. في التخريج الصغير أخرجه الطبراني، والحاكم، والبيهقي في المدخل إلا أنهم قالوا : هكذا نفعل. قال الحاكم صحيح الإسناد على شرط مسلم اهـ.

وقال في التخريج الكبير رواه الطبراني في الكبير ، وابن السني ، وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين، والبيهقي في المدخل من رواية رزين الرماني، عن الشعبي أن زيد بن ثابت كبر على أمه أربعاً وناشدها خيراً ، ثم أتى بدابته فأخذ ابن عباس بالركاب، فقال زيد بن ثابت : دعه أو ذر ، فقال ابن عباس: هكذا نفعل بالعلماء الكبراء لفظ الطبراني وإسناده صحيح، ورواه الحاكم في المستدرك من رواية أبي سلمة عن ابن عباس أنه أخذ بركاب زيد بن ثابت ، فقال له: تنح ابن عم رسول الله ﷺ فقال: إنا هكذا نفعل بكبرائنا وعلمائنا وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه اهـ.

وقد تقدم الكلام على هذا في أول الكتاب. ورزين الرماني هو رزين بن حبيب الجهني الكوفي بياع الانماط أخرج له الترمذي ووثقه أحمد وابن معين.

وقال ﷺ : **(« ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم »)** قال العراقي: أخرجه ابن عدي من حديث معاذ ، وأبي أمامة بإسنادين ضعيفين اهـ.

وقال ابن القيم قال ابن قتيبة: جاء في الحديث: « ليس الملق من أخلاق المؤمن إلا في طلب العلم » ثم قال: وهذا أثر عن بعض السلف.

....

قلت: قال ابن الجوزي في الموضوعات فيه عن معاذ وأبي أمامة وأبي هريرة.

فأما حديث معاذ فأخرجه ابن عدي من طريق الحسن بن واصل، عن الخصيب بن حجدر، عن النعمان بن نعيم، عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ رفعه بالسياق السابق.

قلت: هكذا هو بزيادة عبد الرحمن بن غنم بين النعمان ومعاذ في نسخ الموضوعات، وفي بعضها بإسقاطه وهو الأشبه، وهكذا رواه بإثباته أبو بكر بن السني من رواية بقية بن الوليد عن إسماعيل بن عياش، عن الحسن بن دينار وهو الحسن بن واصل الذي في نص ابن الجوزي، ودينار زوج أمه فنسب إليه واسم أبيه واصل. قال ابن الصلاح: وكان هذا خفي على ابن أبي حاتم حيث قال: الحسن بن دينار بن واصل. قال العراقي: وعكس ذلك أبو العرب في كتاب الضعفاء فروى عن يحي بن محمد بن يحي بن سلام عن أبيه. قال الحسن بن واصل بن دينار ودينار جده وهذا وهم. ورواه الديلمي من طريق أبي نعيم من رواية عمر بن إبراهيم الكردي، عن الحسن بن صالح، عن النعمان بن نعيم. ورواه القضاعي في مسند الشهاب من رواية عبد العزيز أبان، عن الحسن بن دينار، عن النعمان ابن نعيم، ثم قال ابن الجوزي:

وأما حديث أبي أمامة فأخرجه ابن عدي أيضاً من طريق عمر بن موسى الوجيهي، عن القاسم، عن أبي أمامة رفعه مثله.

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه ابن عدي أيضاً من طريق ابن علاثة، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً لا حسد ولا ملق إلا في طلب العلم» قال: ليس شيء من هذه الأحاديث يصح.

أما الأول فمداره على الخصيب وقد كذبه شعبة والقطان وابن معين، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات.

قلت: وأيضاً الحسن بن واصل ضعيف جداً منسوب إلى الكذب.

وأما الثاني: فإن عمر بن موسى الوجيهي قال النسائي، والدارقطني: متروك.

وأما الثالث فإن ابن علاثة اسمه محمد بن عبدالله بن علاثة لا يحتج به. قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات قال الحافظ السيوطي في كتابه اللآلىء المصنوعة بعد نقله لما تقدم: ابن علاثة روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه ووثقه ابن معين، وقال أبو سعيد: ثقة إن شاء الله تعالى وقال أبو زرعة: صالح. وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال الذهبي هذا الحديث لعل آفته من عمرو فإنه متروك قال؟ وقد أورد لابن علاثة أحاديث حسنة، وقال: أرجو أنه لا بأس به، وقال الأزدي: حديثه يدل على كذبه. قال الخطيب أفرط الأزدي وأحسبه وقعت إليه روايات عمرو بن الحسين عنه فكذبه لأجلها، وإنما الآفة من ابن الحصين، فإنه

لطالب العلم أن يتكبر على المعلم، ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة، فإن العلم سبب النجاة والسعادة، ومن يطلب مهرباً من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب مشهور أو خامل، وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع، فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها إليه كائناً من كان، فلذلك قيل:

كذاب، وأما ابن علاثة فقد وصفه يحيى بن معين بالثقة. قال: ولم أحفظ لأحد من الائمة خلاف ما وصفه به يحيى اهـ.

وهذا الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وقا: هذا الإسناد ضعيف، وكذا حديث معاذ وقال ضعيف. قال: وقد روي من أوجه كلها ضعيفة اهـ.

وورد هذا الحديث أيضاً عن ابن عمر. قال العراقي: روي من طريق هشام بن بشير، وأزهر ابن سعد السمان، عن عبدالله بن عون، عن محمد بن سيرين، عن ابن عمر قال ابن طاهر في الكشف عن أخبار الشهاب وهو منكر من حديث ابن عون. قال: والحمل فيه على من قبل هشام، فإنهم إلى الجهالة أقرب اهـ.

وقال السيوطي: قد أورد الديلمي في مسند الفردوس من طريق ابن السني، حدثنا الحسين بن عبدالله القطان، عن عامر بن سيار، عن أبي الصباح، عن عبد العزيز بن سعيد، عن أبيه، عن النبي ﷺ: «من غض صوته عند العلماء كان يوم القيامة من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى من أصحابي ولا خير في التملق والتواضع إلا ما كان في الله أو طلب العلم» اهـ.

وإذا عرفت ذلك (**فلا ينبغي للطالب**) في طريق الحق (**أن يتكبر على المعلم**) بوجه من الوجوه، بل يتملق له ويتواضع بمخالفته للنفس والهوى في ذلك (**ومن**) جملة (**تكبره على المعلم أن يستنكف**) أي يتكبر ويأنف (**عن الاستفادة**) والأخذ (**إلا عن المرموقين**) أي المنظور إليهم من المشهورين من أهل التدريس والجاه (**وهو عين الحماقة**) أي فساد العقل نقله الأزهري، (**فإن العلم**) من حيث هو هو (**سبب النجاة**) من عذاب الجهل والضلال (**و**) سبب (**السعادة**) الكبرى في الدنيا والأخرى، (**ومن يطلب مهرباً**) أي هروباً (**من سبع ضار**) رام أن (**يفرسه**) وينشب فيه مخالبه (**لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب**) والخلاص منه (**مشهور أو خامل**) الذكر، وذلك معلوم بالضرورة لكل أحد، (**وضراوة سباع النار**) أي ولعهم ولهجهم (**بالجهال بالله عز وجل أشد**) وأقوى (**من ضراوة كل سبع**) في كل وقت، (**والحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها**). والجملة الأولى وقعت في حديث رواه الترمذي في أواخر باب العلم من جامعه من طريق إبراهيم بن الفضل عن سعيد المقري عن أبي هريرة رفعه: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها» وقال: انه غريب وإبراهيم يضعف، وعند البيهقي في المدخل من حديث سعيد بن أبي بردة قال: كان يقال: «الحكمة

العلم حـــرب للفتى المتعـــالي كالسيل حرب للمكـان العـالي

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ في ذلك لذِكرى لِمَنْ كانَ له قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] . ومعنى كونـه ذا قلـب أن يكـون قـابلاً

ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها » وقد تقدم شيء من ذلك في أول الكتاب . وفي شرح المناوي على الجامع الصغير قال النووي رحمه الله في الحكمة أقوال كثيرة مضطـربـة اقتصر كل مـن قـائليهـا على بعض صفاتها ، وقد صفا لنا منها أنها عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس والأخلاق وتحقيق الحق والعمل به والصد عن إتباع الهوى والباطل والحكيم من له ذلك اهـ .

(ويتقلد المنة) أي الشكر **(لمن ساقها إليه)** أي أوصلها له **(كائناً من كان)** وقد روى العسكري من حديث عتبة بن عبد الرحمن عن شبيب بن بشير عن أنس رفعه « العلم ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها » . وعند القضاعي في آخر هذا الحديث : « حيثما وجد المؤمن ضالة فليجمعها إليه » ويروى عن ابن عمر رفعه « خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت » ونحو هذا يروى عن قول علي رضي الله عنه . قال العسكري : أراد ﷺ أن الحكيم يطلب الحكمة أبداً وينشدها فهو بمنزلة المضل ناقة يطلبها ، ثم أسند عن مبارك بن فضالة . قال : خطب الحجاج فقال أن الله أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مؤنة الدنيا فليته كفانا مؤنة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا ، فقال الحسن : ضالة المؤمن عند فاسق فليأخذها . وعن يوسف بن أسباط قال : كنت مع سفيان الثوري وحازم بن خزيمة يخطب فقال في خطبته : إن يوماً أسكر الكبار وشيب الصغار ليوم عسير شره مستطير ، فقال سفيان : حكمة من جوف خرب ، ثم أخرج سريحة يعني لوحاً فكتبها . نقله السخاوي في المقاصد ، ومن كلام علي رضي الله عنه انظر إلى ما قال . ولا تنظر إلى من قال ، ومن أمثالهم المشهورة : العق العسلَ ولا تسل ، **(ولذلك قيل)** فيما مضى :

(العلم حـــرب للفتى المتعـــالي كالسيل حرب للمكـان العـالي)

أي أن العلم عدو المتكبر حرب عليه لا يجتمعان معاً والمتعالي هو المفتخر المتكبر بما عنده ، كما أن السيل عدو المكان المرتفع المحدودب ، فإنه لم يزل بأمواجه وهيجانه حتى يوطئه وذلك مشاهد ، **(فلا ينال)** العلم يا أخي **(إلا بالتواضع)** والتملق والإنقياد للمعلم **(والقاء السمع)** . وهذا شرط ثان بعد التواضع فإنه إذا انقاد وتملق له ولكنه لم يلق سمعه لما يقوله لم يستفد شيئاً . **(قال الله تعالى)** في كتابه العزيز : **(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)** [ق : ٣٧] قال الراغب ، والسمين في تفسير قوله : ﴿لمن كان له قلب﴾ أي عقل وفهم وقد يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من العلم ، وعليه خرجت الآية وإلقاء السمع هو الإصغاء بإذن قلبه ، وهو شهيد أي يشهد ما يسمعه بقلبه على حد من قيل فيهم أولئك ينادون من مكان بعيد اهـ .

....

وقال ابن القيم: تأمل ما تحت هذه الألفاظ من كنوز العلم وكيف تفتح مراعاتها للعبد أبواب العلم والهدى، وكيف ينغلق باب العلم عنه من إهمالها وعدم مراعاتها فإنه سبحانه ذكر أن آياته المسموعة والمرئية المشهورة إنما تكون تذكرة لمن كان له قلب، فإن من عدم القلب الواعي عن الله لم ينتفع بكل آية تمر عليه ولو مرت به كل آية، فإذا كان له قلب كان بمنزلة البصير إذا مرت به المرئيات فهو يراها، ولكن صاحب القلب لا ينتفع بقلبه إلا بأمرين. أحدهما: أن يحضره ويشهد لما يلقي إليه فإذا كان غائباً عنه مسافراً في الأماني والشهوات والخيالات لا ينتفع به، فإذا أحضره وأشهده لم ينتفع إلا بأن يلقي سمعه ويصغي بكليته إلى ما يوعظ به. قال ابن عطية: القلب هنا عبارة عن العقل إذ هو محله. وقال بعض المتأولين في معنى وهو شهيد أي شاهد مقبل على الأمر غير معرض عنه. وقال قتادة: هي إشارة إلى أهل الكتاب. كأنه قال لمن سمعها من أهل الكتاب فشهد بصحتها لعلمه بها، فشهد على الأول من المشاهدة وعلى الثاني من الشهادة، وهذا القول عن قتادة نقله ابن عطية، وأشار له الزجاج والزمخشري ولم يختلفوا في أن المراد بالقلب القلب الواعي، وان المراد بإلقاء السمع إصغاؤه وإقباله على الذكر، وإنما اختلفوا في الشهيد على أربعة أقوال.

أحدها: أنه من المشاهدة وهي الحضور وهذا أصح الأقوال، ولا يليق بالآية غيره.

والثاني: أنه من الشهادة وفيه على هذا ثلاثة أقوال. **أحدها:** أنه شاهد على صحته بما معه من الإيمان. **الثاني:** أنه شاهد من الشهداء على الناس يوم القيامة. **الثالث:** أنه شهادة من الله عنده على صحة نبوة رسول الله ﷺ بما علمه من الكتب المنزلة، والصواب القول الأول فإن قوله وهو شهيد جلة حالية، والواو فيها واو الحال أي ألقى السمع في هذه الحال، وهذا يقتضي أن يكون حال القائه السمع شهيداً وهذا هو المشاهدة والحضور، ولو كان المراد به الشهادة في الآخرة وفي الدنيا لما كان لتقييدها بالقاء السمع معنى. إذ يصير الكلام أن في ذلك لآية لمن كان له قلب أو ألقى السمع حال كونه شاهداً بما معه في التوراة أو حال كونه شهيداً يوم القيامة، ولا ريب أن هذا ليس هو المراد بالآية، وأيضاً فالآية عامة في كل من له قلب وألقى السمع، فكيف يدعي تخصيصها بمؤمني أهل الكتاب الذين عندهم شهادة في كتبهم على صفة النبي ﷺ، وأيضاً فالسورة مكية والخطاب فيها لا يجوز أن يختص بأهل الكتاب، ولا سيما مثل هذا الخطاب الذي علق فيه حصول مضمون الآية ومقصودها بالقلب الواعي وإلقاء السمع، فكيف يقال هي في أهل الكتاب؟

فإن قيل: المختص بهم قوله وهو شهيد، فهذا أفسد وأفسد لأن قوله وهو شهيد يرجع الضمير فيه إلى جملة من تقدم وهو من له قلب أو ألقى، فكيف يدعي عوده إلى شيء غايته أن يكون بعض المذكور أولاً ولا دلالة في اللفظ عليه، فهذا في غاية الفساد، وأيضاً فإن المشهود به محذوف ولا دلالة في اللفظ عليه، فلو كان المراد وهو شاهد بكذا لذكر المشهود به إذ ليس في

للعلم فهماً، ثم لا تغنيه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقي إليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة. فليكن المتعلم لمعلمه كأرض رمثة نالت مطراً غزيراً فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية

اللفظ ما يدل عليه، وهذا بخلاف ما إذا جعل من الشهود وهو الحضور فإنه لا يقتضي مفعولاً مشهوداً به، فيتم الكلام بذكره وحده، وأيضاً فإن الآية تضمنت تقسيماً وترديداً بين قسمين. أحدهما **(من كان له قلب)** والثاني: من ألقى السمع وحضر بقلبه ولم يغب فهو حاضر القلب شاهد لا غائب، وهذا والله أعلم سر الإتيان بأو دون الواو اهـ.

وإلى هذا أشار المصنف حيث قال: **(ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعلم)** بإستعداده الأزلي ومحلاً له **(فهما)** بحسن إدراكه وتصوره قادراً عليه، **(ثم لا تغنيه القدرة على الفهم)** أي لا يكفيه مجرد إستعداده وإدراكه لما يلقى إليه **(حتى يلقي السمع)** بحسن اصغائه مع التدبر **(وهو شهيد)** أي **(حاضر القلب)** غير غائبه **(يستقبل)** بثواقب أذهانه الصافية **(كل ما ألقي إليه)** من المعلم **(بحسن الإصغاء)** أي الإستماع **(والضراعة)** أي التواضع **(والشكر)** في مقابلة هذه النعمة بل النعم، فإن الطالب إذا تفكر في نفسه بأن الله تعالى أراد به خيراً حيث وفقه من الأزل لطلب ما ينجيه من عذابه ويوصله إليه، ثم يتفكر بأنه أنعم عليه بالعقل والفهم وتوجه القلب إلى تعليم ذلك فيجدها كلها نعماً جليلة مطوية في مضمرها نعم أخرى **(و)** إذا انصبغ بهذا المعنى ظهرت عليه أمارات **(الفرح)** والسرور اللذين هما صقيلا الفهم، فإن الطالب إذا فهم بين يدي معلمه ما يقوله ظهر السرور في وجهه وهذه علامة وقوعه على القلب وقبوله له من حيث الفهم، ويحكى أن جالينوس كان يقرر يوماً في مسألة مشكلة والطلبة به محدقون فقال لهم: فهمتم؟ قالوا: نعم. قال: لا لو فهمتم لظهر السرور على وجوهكم. **(وقبول المنة)** من المعلم باب كبير للمتعلم وهو في معنى الضراعة للمعلم، فإنه إن لم يقبل منه استاذه بقي على جهله، **(فليكن المتعلم لمعلمه)** أي بين يديه كالريشة الملقاة في الفلاة تقلبها الرياح كيف شاءت أو الحشيشة اليابسة في الماء الجاري تجري بها الأمواج حيث أرادت، أو الميت بين يدي الغاسل يحركه كيف شاء، **(أو كارض ميتة)** أي جدبة **(نالت مطراً غزيراً فشربته بجميع أجزائها)** وعروقها **(وأذعنت)** أي انقادت **(بالكلية لقبوله)** وهذا يستدعي إلى فراغ ذهنه عما يخالفه على حد قولهم:

فصادف قلباً خالياً فتمكن.

حتى يتم التشبيه بما ذكره الشيخ ونص الذريعة.

الثالث: أن لا يتكبر على معلمه ولا على العلم.

فالعلم حرب للفتى المتعالي   كالسيل حرب للمكان العالي

ولهذا قيل: العلم لا يعطيك بعضه الخ. وهذه الجملة بتمامها قد ذكرها المصنف في التي قبلها،

لقبوله. ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه، فإن خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوّته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لا خبرة له به. وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر: ﴿إنّكَ لَنْ تستطيعَ معي صبراً وكَيفَ

ثم قال الراغب: ومتى لم يكن المتعلم من معلمه كأرض رمثة نالت مطراً غزيراً فتتلقاه بالقبول لم ينتفع به، فحقه أن يتفرغ له كما قال تعالى: **﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾** أي لمن له بنفسه علم يستغني به أو تذلل لاستماع الحق واقتباسه من عنـد المعلم. وقال بعض العلماء في قوله عليه السلام: «اليد العليا خير من اليد السفلى» إشارة إلى فضل المعلم على المتعلم وفي تبيين فضل المعلم حث المتعلم على الإنقياد له اهـ.

(**ومهما أشار عليه المعلم**) وفي معناه المرشد في المواضع كلها (**بطريق**) من الطرق (**في التعليم**) خاص به أو عام (**فليقلده**) وليهتد به (**وليدع**) أي يترك (**رأيه**) وإن كان صواباً، (**فإن خطأ مرشده**) على الفرض والتقدير (**أنفع له من صوابه في نفسه**) بحسب الظاهر (**إذ التجربـة**) في الأشياء كلها (**تطلـع**) الإنسـان (**على دقـائـق**) ونكـات (**يستغـرب سماعها**)، ولذلك قيل: من جرب المجرب حلت به الندامة. وقال آخر: سل المجرب ولا تسأل طبيباً. وقالوا: أكبر منك بشهر أعقل منك بسنة. (**مع أنه يعظم نفعها**) في الحقيقة، (**فكم من مريض محرور**) المزاج إذ أصابه المرض (**يعالجه الطبيب**) الحاذق (**في بعض أوقاته بالحرارة**) أي بالأدوية الحارة (**ليزيد في قوته إلى**) أن يصل إلى (**حد يحتمل صدمة العلاج**) فيعالجه بما يزيل الحرارة ويقطعها عنه استئصالاً. وذلك لأن الأدوية المبردة إذا وردت على حرارة ضعيفة صدمتها فجأة ولم تحتملهـا، فـربما أورث ذلـك إلى أمـراض أخـر عسرة البرء (**فيتعجب منه من لا خبرة له**) ولا علم في دقائق الطب والأطباء ونص الذريعة، وكما أن من حق المريض أن يكل إلى الطبيب الناصح الذي وقف على دائه ليطلب الطبيب دواءه وعزله، فإنه إن يشته لم يشته إلا ما فيه دواؤه ولم يختر إلا ما فيه شفاؤه، كذلك حق المتعلم إذا وجد معلماً ناصحاً أن يأتمر له ولا يتأمر عليه ولا يراده فيما ليس بصدد تعلمه اهـ.

(**وقد نبه الله تعالى**) في كتابه العزيز على الحرص على لقاء العالم وعلى التعلم منه، ثم على آدابه التي يستعلمها عند لقائه (**بقصة الخضر وموسى عليهما السلام**) ونص الذريعة وكفى على ذلك تنبيهاً ما حكى الله تعالى عن العبد الصالح أنه قال لموسى الخ اهـ.

وذلك فيما روي أن موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخول مصر خطبة بليغة فأعجب بها، فقيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال: لا. فأوحى الله إليه بلى عبدنا

تَصْبِر على ما لم تُحِطْ به خُبْراً ﴾ [الكهف : ٦٧ ، ٦٨] ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال : ﴿ فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾ [الكهف : ٧٠] ثم لم يصبر ،

الخضر وهو بمجمع البحرين ، وكان الخضر في أيام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى . وقيل : أن موسى سأل ربه : أي عبادك أحب إليك ؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني قال : فأي عبادك أقضى ؟ قال : الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى . قال : فأي عبادك أعلم ؟ قال : الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ، فقال : إن كان في عبادك أعلم مني فدلني عليه . قال : أعلم منك الخضر . قال : أين أطلبه ؟ قال : على الساحل عند الصخر . قال : كيف لي به ؟ قال : تأخذ حوتاً في مكتل فحين فقدته فهو هناك . **(حيث قال الخضر)** عليه السلام حين رحل إليه سيدنا موسى عليه السلام ليزداد علماً إلى علمه . وقال لفتاه ﴿ أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً ﴾ [الكهف : ٦٠] حرصاً منه على لقائه والتعلم منه ، فلما لقيه سلك مسلك المتعلم مع معلمه فبدأ بعد السلام بالإستئذان على متابعته وأنه لا يتبعه إلا بإذنه وقال له : ﴿ **هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً** ﴾ [الكهف : ٦٦] فلم يجيء مستمحناً ولا متعنتاً وإنما جاء متعلماً مستزيداً علماً إلى علمه فلما لقيه وعرفه بنفسه قال له الخضر : **(إنك لن تستطيع معي صبراً)** نفي عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله : **(وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا)** أي كيف تصبر وأنت نبي على ما أتولى من أمور ظواهرها مناكر وبواطنها لم يحط بها خبرك ، وحينئذ قال في الجواب : ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ﴾ أي معك غير منكر عليك ﴿ **ولا أعصى لك أمراً** ﴾ [الكهف : ٦٩] فعلق وعده بالمشيئة إما للتيمن أو لعلمه بصعوبة الأمر ، فإن مشاهدة الفاسد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلاف فيه ، **(ثم شرط عليه السكوت والتسليم)** والاذعان كما هو عادة المعلم مع متعلمه ، **(فقال : فإن اتبعتني)** كما أمرتك **(فلا تسألني)** أي لا تفاتحني بالسؤال **(عن شيء)** أنكرته مني ولم تعلم وجه صحته **(حتى أحدث لك منه ذكراً)** أي حتى ابتدأك ببيانه ، **(ثم)** لما انطلقا إلى الساحل يطلبان السفينة فلما ركباها أخذ الخضر فأساً فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها **(لم يصبر)** على ذلك حتى سأله فاعتذر له وقال : ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ [الكهف : ٧٣] أي لا تعترض على بنسياني إياها وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها ، وقيل : أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة ، وقيل : هو من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه ، **(ولم يزل في مراددته)** ثانياً وثالثاً بقتل الغلام وإقامة الجدار بغير أجرة وإنكاره عليه فيها . ثم طلب العذر من قبله لما خالفه ثلاث مرات بعدم مصاحبته له **(إلى أن كان ذلك سبب فراق ما بينهما)** وهو المفهوم من قوله تعالى : ﴿ قال هذا فراق بيني وبينك ﴾ [الكهف : ٧٨] الإشارة إلى الفراق الموقور بقوله : فلا

ولم يزل في مرادَدته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما . وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأياً واختياراً دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران .

(فإن قلت) : فقد قال الله تعالى : ﴿ فاسألوا أهْلَ الذِّكْر إنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُـونَ ﴾ [النحل : ٤٣] ، فالسؤال مأمور به ؟ (فاعلم) أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم في السؤال عنه ، فإن السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم ، ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال : أي دع السؤال قبل أوانه ، فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبـأوان الكشـف . ومـا لم

تصاحبني أو إلى الاعتراض الثالث أو الوقت وإضافة الفراق إلى البين إضافـة المصـدر إلى الظـرف على الإتساع .

ويروى عن النبي ﷺ قال : « رحم الله أخي موسى استحيي فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب » . قال ابن القيم : وكفى بهذا شرفاً وفضلاً للعلم فإن نبي الله وكليمه سار ورحل حتى لقي النصب في سفره في تعلم ثلاث مسائل من رجل عالم ، ولما سمع به لم يقر له قرار حتى لقيه وطلب متابعته وتعليمه وفي قصها عبر وآيات وحكم ليس هذا موضع ذكرها .

(وبالجملة) . أي حاصل الكلام أن **(كل متعلم)** في أي علم كان إن **(إستبقى لنفسه رأياً واختياراً)** يراه ويختاره **(دون اختيار المعلم فاحكم عليه)** قطعاً **(بالاخفاق)** أي الخيبة والحرمان **(والخسران)** نعوذ بالله من الخذلان .

(فإن قلت) : إن المتبادر إلى الأذهان في قصة الخضر وموسى عليهما السلام عدم السؤال حيث شرط الخضر على موسى السكوت والتسليم ، وقوله : فلا تسألني عن شيْ حيث دل على عدم المفاتحة بالسؤال وهذا على ظاهره غير متجه ، **(فقد قال الله تعالى)** في موضع آخر من كتابه العزيز : **(فاسألوا أهل الذكر)** أي أهل العلم **(﴿ إن كنتم لا تعلمون ﴾ [النحل : ٤٣] فالسؤال مأمور به)** بمقتضى هذه الآية . وكذلك الخبر الذي من طريق أهل البيت العلم خزائن ومفتاحها السؤال ، والخبر الآخر لا ينبغي للجاهل أن يستقر على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه . وقال ذو النون المصري : حسن سؤال الصادقين مفتاح قلوب العارفين . **(فاعلم)** أيها السالك **(انه كذلك)** أي ما ذكرته صحيـح وأن السـؤال مطلـوب لما ورد شفـاء العـي السـؤال ، **(ولكـن)** ليس في كـل حـال بل **(فيما يأذن)** به **(المعلم في السؤال عنه)** ويرى شفاء جهله به ، **(فإن السؤال إلى ما لا تبلغ)** عداه بإلى يتضمن السؤال معنى الاحتياج أي عما لا تصل **(رتبتك)** ومقامك **(إلى فهمه)** وإدراكه **(مذموم)** كالعويصات والغوامض التي لا يدركها إلا العارفون الكاملون وليس للمبتدىء الخوض في مسالكها ، **(ولذلك)** أي لهذا السر **(منع الخضر موسى)** عليهما السلام **(عن السؤال)** أي عن مفاتحته ، فان إفشاء سر الربوبية صعب **(أي دع السؤال قبل أوانه)** فمن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه ، ولذلك قيل : لو صبر موسى عليه السلام لأبصر أعجب العجائب كما ورد ، **(فالمعلم أعلم بما أنت أهله)** لتلقيه **(وبأوان الكشف)** عن

يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه، وقد قال علي رضي الله عنه: إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب، ولا تلح عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفشي له سراً، ولا تغتابن أحداً عنده، ولا تطلبن عثرته وإن زلّ قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه

مضاربه،(**ومالم يدخل أوان الكشف**) عن الأسرار (**في كل درجة من مراقي الدرجات**) في الحضرات الإلهية (**لا يدخل أوان السؤال**) فلا يؤذن للمعلم بالكشف عن تلك الأحوال، ونص الذريعة. وقول الله تعالى فقال: ﴿لا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ [الكهف: ٧٠] نهي عن المراجعة وليس ذلك نهياً عن الذي حث تعالى عليه بقوله: ﴿فاسألوا أهلَ الذكر إن كنتُم لا تعلمون﴾ [النحل: ٤٣] وذلك النهي إنما هو نهي عن نوع من العلم لم يبلغ منزلته بعد والحث إنما هو عن السؤال تفاصيل ما خفي عليه من النوع الذي هو بصدد تعلمه وحق من هو بصدد تعلم علم من العلوم أن لا يصغي إلى الأختلافات المشككة ما لم يتهذب في قوانين ما هو بصدده لئلا تتولد له شبهة تصرفه عن التوجه فيه فيؤدي إلى الارتداد اهـ. كيف (**وقد قال علي**) ابن أبي طالب (**رضي الله عنه**) وكرم وجهه فيما رُويَ عنه فيما يجب على المتعلم لمعلمه (**إن من حق العالم**) الكامل المرشد إلى الله تعالى بأنوار علومه (**أن لا تكثر عليه في السؤال**) لأن كثرة السؤال تسقط حرمته عنده، بل يكون سبباً لغرور النفس ولا سيما إذا كان على الملأ (**ولا تعنته في الجواب**) أي لا تشدد عليه فيه وتلزمه بما يصعب عليه . هذا معنى التعنت في الأصل كما قاله ابن الانباري، (**ولا تلح عليه**) من الإلحاح (**اذا كسل**)وفتر عن أداء الجواب لعذر ما أو هو بالجيم من اللجاج والمعنى صحيح (**ولا تأخذ بثوبه**) أي طرف ردائه وما أشبه ذلك (**إذا نهض**) إلى القيام فإنه يؤدي إلى التضجر والتبرم (**ولا تفش له سراً**) عمن لا يحبه، ولذلك قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين سأله أن يتزوج ابنته حفصة حين تأيمت من خنيس بن حذافة السهمي،فصمت ولم يجب وفي آخره لم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ أي لأنه سمعه يذكرها. وقد أخرجه البخاري في النكاح وفي غزوة بدر، وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية الشعبي عن ابن عباس قال: قال لي أبي أي بني: أرى أمير المؤمنين يقربك ويدعوك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله ﷺ فاحفظ عني ثلاث خصال. اتق لا يجربن عليك كذبه، ولا تفشين له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً. قال الشعبي: فقلت كل واحدة خير من ألف، فقال: كل واحدة خير من عشرة آلاف، (**ولا تغتابن عنده**) أي في مجلسه سواء كان الخطاب له أو لغيره ممن في مجلسه (**أحداً**) من المسلمين لا تصريحاً ولا تعريضاً، (**ولا تطلبن عثرته**) أي سقوطه أي لا تكون رقيباً تعد عثراته في سائر أحواله (**وإن ذّل**) عن إصابة الحق (**قبلت معذرته**) وحملته على العادة البشرية، (**وعليك أن توقره**) وتبجله (**وتعظمه لله تعالى**) لا لعلة أخرى (**ما دام يحفظ أمر الله تعالى**) متأدباً بآداب الشريعة، (**ولا تجلس**) في حضرته (**أمامه**) إلا عند التلقي ولا فوقه إلا لعذر (**وإن كانت له حاجة**) عرضت من

لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى، ولا تجلس أمامه وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته.

(الوظيفة الرابعة): أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة؛ فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع، بل ينبغي أن يتقن أوّلاً الطريقة الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه، ثم بعد ذلك يصغي إلى المذاهب والشبه. وإن لم يكن أستاذه مستقلاً باختيار رأي واحد، وإنما عادته نقل

المهمات الدينية أو الدنيوية **(سبقت القوم إلى خدمته)** وقضاء حاجته، فهذه اثنتا عشرة جملة تضمنت الآداب وكشفت عن وجه الحق النقاب، والمقصود من إيراد هذا الكلام هو الجملة الأولى المشتملة على النهي عن كثرة السؤال عليه، ومفهومها أن كثرة السؤال ليس بممنوع، وإنما الممنوع منه الكثرة الموجبة لملل المعلم ولحدوث الغرور في نفس المتعلم، والمفهوم من سياق المصنف عدم المفاتحة بالسؤال عليه مطلقاً فيما لم يأن أوانه، ولعله فهم من قول سيدنا علي في النهي عن كثرة السؤال في مثل هذا واضرابه فتأمل. وأما بقية الجمل فإنها دلت كذلك على جملة من الآداب ساقها بتمامها لما فيها من الحكم والنصائح، وقد اندرج بيانها في أثناء هذه الوظائف التسعة، وقد اقتصر صاحب الذريعة على هذه الوظائف الثلاثة وزاد المصنف عليه ما سيأتي ذكره.

(الوظيفة الرابعة) من الوظائف التسعة **(أن يحترز الخائض في العلم)** أي الواغل في تحصيله وقد تقدم مراراً أن أصل الخوض هو الدخول في الماء ثم استعير لغيره **(في مبدأ الأمر)** أي في أوّله **(عن الأصغاء)** أي الاستماع والميل **(إلى اختلافات الناس)** وتشعب آرائهم **(سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا)** كهذه العلوم التي ولع المتأخرون بتحصيلها وسموها بزعمهم أسباباً موصلة إلى علوم الآخرة، **(أو علوم الآخرة)** كعلم معرفة القلب وما يرد عليه وعلم محاسبة النفس والدقائق وغير ذلك، **(فان ذلك)** أي النظر إلى اختلاف الناس فيه **(يذهل)** وفي نسخة: يذهب **(عقله)** بتشتته **(ويحير ذهنه)** بالوساوس **(ويفتر رأيه)** عن الاقبال إلى الحق **(ويؤيسه عن الأدراك)** الحقيقي **(والأطلاع)** لما هو بصدده، وكل من الذهول والتحير وفتور الرأي واليأس من أسباب الحرمان للطالب، **(بل ينبغي أن يتقن أولاً الطريقة الواحدة)** أي يحكمها في عقله بقوة همته وصرف جهده إلى تحصيلها وهي **(المرضية عند أستاذه)** المقبولة لديه، **(ثم بعد ذلك)** أي بعد اتقانها وحلولها في القلب قبل كل شيء كالأساس المحكم على حد قولهم:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلباً خالياً فتمكنا

(يصغي إلى) معرفة اختلافات **(المذاهب)** وكيفية حججها ودلائلها **(والشبه)** وتقريرها

المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه، فإن إضلاله أكثر من إرشاده، فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم، ومن هذا حاله فهو يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل، ومنع المبتدىء عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار، وندب القوي إلى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار، ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له. ومن الغفلة عن هذه الدقيقة

وكيف ردها، **(وإن لم يكن أستاذه)** أي معلمه **(مستقلاً باختيار رأي واحد)** ولا متضلعاً في تلك الطريقة التي يتعلمها منه، **(وإنما عادته)** وطريقته **(نقل المذاهب)** إلى أقوالها **(وما قيل فيها)** من الحجج والبراهين، **(فليحذر منه)** الطالب ولا يصاحبه **(فإن إضلاله أكثر من إرشاده)** فإن كل متعلم يحذو حذو معلمه، فإذا كان المعلم بذلك الوصف فهو كالمتحير الذي لم يبصر الطريق فمتى حذاه المتعلم وصار ينقل طريقته فهو في الحيرة أكثر فاستمر الاضلال إلى ما شاء الله تعالى، ولذا منع فيما سبق من الزمان من تدريس العلوم من لم يتدرب بين يدي الرجال ولم يتقنه الابطال خوفاً بأن يضر العوام ويهلك بجهله الطغام، **(فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم)** أي لا يصلح الجاهل لارشاد الجهال ولذلك قيل

ومن عجب الدنيا طبيب مصفر وأعمش كحال وأعمى منجم

(ومن هذا حاله فهو يعد في عمى الحيرة ورتبة الجهل) فلا يصلح منه الارشاد والتسليك بحال من الاحوال، ولهذا فسد الاوان وعم الطغيان، وقد ورد في الحديث « إذ وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة » **(ومنع المبتدئ)** في العلوم **(من الشبه)** والغوامض **(يضاهي)** أي يشبه **(منع الحديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار)** ومجالستهم كيلا يسري إليه بعض تهويلاتهم فيتمكن في قلبه لضعفه، **(وندب القوي)** في العلم أي حثه وحمله **(إلى النظر في الاختلافات)** مع كثرتها **(يضاهي حث القوي)** الكامل أداة سلاحه **(على مخالطة الكفار)** إذ قد تمكن فيه العلم بالله تعالى فلا تزلزله عقائد الكفار، فلو خالطهم لم يضروه بتمويهاتهم وتهويلاتهم، **(ولذلك يمنع العاجز)** وهو عادم القوة الجبان **(عن التقحم)** أي الدخول، وفي نسخة: عن التهجم **(على صف الكفار)** وهم أقوياء **(ويندب الشجاع له)** أي للتقحم لشجاعته وقوته، وهذا السياق في كتاب الذريعة ونصه: وحق من هو بصدد تعلم علم من العلوم أن لا يصغي إلى الاختلافات المشكلة والشبه الملبسة ما لم يتهذب في قوانين ما هو بصدده لئلا يتولد له شبهة تصرفه عن التوجه فيه فيؤدي ذلك إلى الارتداد، ولذلك نهى الله سبحانه من لم يكن بقوي في الاسلام عن مخالطة الكفار، فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا﴾ [آل عمران: ١١٨] وقال: ﴿لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة: ٧٦] ومن أجل ذلك كره للعامة أن يجالسوا أهل الأهواء لئلا يغووهم، والعامي إذا خلا بذوي البدع كالشاة إذا خلت بالسبع. وقال بعض الحكماء: إنما

ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز، ولم يدرِ أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء. وفي ذلك قال بعضهم: من رآني في البداية صار صديقاً ومَن رآني في النهاية صار زنديقاً. إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض، فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل

حرم الله تعالى في الابتداء لحم الخنزير لأنه تعالى أراد أن يقطع العصمة بين العرب وبين الذين كانوا يشككونهم باجتماعهم معهم من اليهود والنصارى، فحرم على المسلمين ذلك إذ هو معظم مأكولاتهم، وعظم الأمر في تناوله ومسه لينتهي المسلمون عن الاجتماع في المؤاكلة والانس. وقال عليه السلام في المؤمن والكافر لا تتراءى ناراهما لذلك، وأما الحكيم فإنه لا بأس بمجالسته أياماً فإنه جار مجرى سلطان ذي عدة وأجناد وعتاد لا يخاف عليه العدو وحيثما توجه الاستماع إلى الشبه، بل أوجب عليه أن يتبع بقدر جهده كلامهم ويسمع شبههم ليجاهدهم ويدافعهم، فالعالم أفضل المجاهدين الذابين عن الدين، فالجهاد جهادان. جهاد باللسان وجهاد بالبنان، ولما تقدم سمى الله تعالى الحجة سلطاناً في غير موضع من كتابه كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿إنّي آتيكم بسلطان مبين﴾ اهـ. [الدخان: ١٩]

(**ومن الغفلة**) الظاهرة (**عن هذه الدقيقة**) الفاخرة (**ظن بعض الضعفاء**) أي ضعفاء العقول (**أن الاقتداء**) أي الإتباع (**بالاقوياء**) أي أصحاب القوى الراسخة (**فيما ينقل عنهم**) ويروى، (**من المساهلات**) في الأعمال والأقوال (**جائز ولم يدر**) وفي نسخة: ولم يدرك (**أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء**)، وذلك بحسب اختلاف مقاماتهم وقربهم من الحضرة وبعدهم، فكما لا يقاس أحدهما بالآخر فكذلك لا تقاس وظائفهما، (**ولذلك قال بعضهم**) أي من العارفين: (**من رآني**) أي أبصرني بعين إعتباره مع الاتباع لطريقتي (**في البداية**) أي في أوّل السلوك (**صار صديقاً**) أي بلغ هذه المرتبة العلية وهي مرتبة التكاليف الشاقة، (**ومن رآني في النهاية**) أي في منتهى سلوكي (**صار زنديقاً**) ثم علله بقوله: (**إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن**) فتكون العبادة كلها تفكراً. ونقل السراج البلقيني في شرحه على البخاري قولاً لبعض: في أن عبادته ﷺ كانت الفكر، وقال غيره: معنى قولهم (**أن النهاية ترد الأعمال إلى الباطن**) أي يشتغل السالك حينئذ بالاذكار القلبية والافكار في الصفات الالهية والمصنوعات الآفاقية والانفسية والتهذيب بالأخلاق السنية والشمائل البهية من الرحمة والتحمل والصبر والشكر والرضا والتفويض والتوكل بحال الفناء ومقام البقاء، وهذا مقام كمل الاصفياء (**وتقبض الجوارح**) وفي نسخة: وتسكن عن سائر الأعمال الشاقة (**إلا عن رواتب الفرائض**)، وقد قيل بداية الأنبياء نهاية الأولياء. هذا هو المعروف عند السادة الصوفية، وأما ما نقل عن بعضهم في أن بداية الولي نهاية النبي، فإنما هو باعتبار التكاليف الشرعية من الأوامر الفرضية في الزواجر المنهية فلما لم يتصف السالك بما إنتهى أمر دينه ﷺ لم يدخل في باب الولاية ولا يكون له حظ من حسن الرعاية وحفظ الحماية، وهو تأويل حسن إن صح هذا القول عنهم،

وإهمال، وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهي اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة في كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقى في البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز، ولا يدري المسكين أن البحر بقوّته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته،

ويشير إليه قول الجنيد رحمة الله تعالى كما سبق طريقتنا هذه مربوطة بالكتاب والسّنة، ومن هنا قال بعض السادة: بدايتنا نهاية غيرنا **(فيتراءى للناظر)** في أوّل وهلته **(انها)**أي تلك الحالة **(بطالة وكسل)** وفتور عن الأعمال المأمور بها، **(واهمال)** لأصل العبادات، **(وهيهات فذلك)** الذي هو عليه هو بعينه **(مرابطة للقلب)** الصنوبري عن حضور ما سوى الله تعالى **(في عين الشهود)** الإلهي **(والحضور)** القربى، فهو قائم مع الحقيقة وملحظه الفضل والتزام الحرمة كما هو شأن أهل النهاية، كما أن شأن أهل البداية القيام مع الشريعة ومبنى أمرهم على المجاهدة والخدمة، وشتان بين مقامي المجاهدة والمنّة، فصاحب المجاهدة غارق في الفرق وهو بمعاملته محجوب، وصاحب المنة غارق في الفضل وهو في سائر حركاته وسكناته محبوب إن نطق فبالله وإن عمل فلله وإن رجع فمن الله وإن ذهب فإلى الله، فهو بالله ولله ومن الله وإلى الله لا يعرف إلا الله ولا يشهد إلا الله كما قيل: من عرف الله شهده في كل شيء فيستوحش من كل شيء ويأنس به كل شيء صار مشهوداً له معنى: ﴿فأينما تولوّا فثّم وجهُ الله﴾ [البقرة: ٧٥] سجية وحقيقة ﴿وهو معكم أينما كُنتم﴾ [الحديد: ٤] منطوية في قلبه **(وملازمته للذكر)** والتفكير **(الذي هو أفضل الاعمال)** للعبد **(على الدوام)** لما ورد من طرق ضعيفة تفكر ساعة خير من عبادة الثقلين، وهذه هي العبادة الباطنية التي كانت عليها كمل الأصفياء: ﴿وترَى الجبالَ تَحسبُها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السَّحاب﴾ [النحل: ٨٨] ولقد كانت الصحابة رضوان الله عليهم يتفكرون ويتذكرون. وقد روى الاصبهاني في ترغيبه، وأبو نعيم في الحلية من طريق شهر ابن حوشب، عن ابن عباس انه ﷺ خرج على أصحابه فقال: « إجتمعنا نذكر ربنا ونتفكر في عظمته. فقال: « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره. » **(وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى من ظاهره أنه هفوة)** ونقص مقام **(يضاهي)** أي يشابه **(اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة)** أي قليلة **(في كوز ماء)** مثلاً **(بأن أضعاف هذه النجاسات)** على كثرتها **(قد يلقى في البحر)** ويرمى فيه فلا يكدره، **(و)** لا شك أن **(البحر أعظم من الكوز)**جرماً وأكثر ماء **(فما جاز للبحر)** من عدم حمله للنجاسة **(فهو للكوز أجوز)** أي أكثر جوازاً. ولعمري هذا قياس لكنه باطل **(ولا يدري المسكين أن البحر لقوّته)** وسعته **(يحيل النجاسة ماء)** بتلاشي أجزائها **(فتنقلب النجاسة باستيلائه)** أي غلبته وقوّته يعني البحر **(إلى صفته)** أي البحر التي هي الطهورية في نفسه والتطهير لغيره، **(والقليل من النجاسة يغلب)** الماء الذي في **(الكوز)** لضعفه **(ويحيله إلى صفته)** التي هي

والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته، ولمثل هذا جوّز للنبي ﷺ ما لم يجوّز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة، إذ كان له من القوّة ما يتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن، وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما بينهنّ من الضرار إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى في طلبه رضاهن. فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين.

(الوظيفة الخامسة) : أن لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من

التنجس في نفسه، فقد بأن بذلك بطلان قياس القائس، **(وبمثل هذا جوّز النبي ﷺ)** خاصة مما يتعلق به **(ما لم يجوز لغيره)** من سائر أمته **(حتى أبيح له)** الجمع بين **(تسع نسوة)** بنكاح صحيح وهو معروف. قال العراقي: وفي الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبي ﷺ تسع نسوة كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة. ورواه النسائي كذلك. كلهم من رواية ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال؛ وأخرج البخاري والنسائي من رواية سعد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة. وفي رواية لهما من رواية هشام الدستوائي عن قتادة: كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة في الليل والنهار وهن إحدى عشرة. قلت لانس: أكان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين. **(إذ كان له)** ﷺ **(من القوّة)** التي أعطيها **(ما تتعدى)** أي تتجاوز **(منه صفة العدل)** الذي هو أحسن الصفات، وهو الأمر المتوسط بين الافراط والتفريط **(إلى نسائه وإن كثرن)**، وأما ما اشتهر عند العامة من أنه ﷺ شكا إلى جبريل من ضعف الباه، فانزل له من السماء الكفيت وهي قدر فيها هريسة فأكل منها فعادت قوّته، فهذا شيٌ لا أصل له ولا يعتمد عليه، وأما القوّة المطلقة من غير أن تتعدى صفة العدل فقد أعطيها جماعة من آحاد أمته، كما بلغنا عن شيخ من السادة النقشبندية وهو حي الآن انه غاب عن زوجته أياماً، فلما رجع طالبته بحقها في الجماع، فقال لها: كم نقص لك من العدد؟ قالت أربعين فجامعها أربعين مرة على التوالي من غير نقص ولا فتور، **(وأما غيره فلا يقدر على العدل)** والمساواة، **(بل يتعدى ما بينهن من الضرار)** أي المضارة **(إليه حتى ينجر)** الحال منه **(إلى)** إرتكاب **(معصية الله)** تعالى **(في طلب رضاهن)** وهذا مشاهد. وروى أصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه من رواية عبد الله بن يزيد عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل فيقول: «اللهم هذه قسمتي فيما أملك ولا تلمني فيما تملك ولا أملك» لفظ الترمذي وقال: ومعنى قوله فيما تملك ولا أملك إنما يعني به الحب والمودة. **(فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين)** شتان بينهما .ووجدت في هامش النسخة بخط الشمس الحريري ما نصه: المراد بالحدادين المشاعلي الذي يقيم الحد، أو الجان أو على ظاهره أقوال.

(الوظيفة الخامسة: أن لا يدع) أي لا يترك **(طالب العلم فناً من)** فنون **(العلوم**

أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلاَّ اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية، فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله، فإن الناس أعداء ما جهلوا. قال تعالى: ﴿وإذْ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾. [الأحقاف: ١١].

المحمودة) الذي تقدم ذكرها **(ولا نوعاً من أنواعه)**، والفن في الأصل إسم للغصن من الشجرة ويطلق ويراد به النوع فهما مترادفان **(إلا وينظر فيه)** بتدبر وتأمل **(نظراً يطلع به على مقصده)** الذي اشتمل ذلك الفن عليه **(وغايته)** التي ينتهي إليها، وإنما اقتصر عليهما لأنه بهما يدرك شرف الفن، فتارة بالمقصد، وتارة بالغاية فلا بد من الاطلاع عليهما؟ **(ثم إن ساعده العمر)** بأن طال والوقت بأن صفا **(طلب التبحر)** أي التوسع **(فيه)** ولا بأس بذلك **(وإلا)** أي إن لم ير مساعدة العمر والوقت بأن خاف على نفسه بالموت العاجل أو ابتلى بالمحن والأكدار **(اشتعل بالاهم)** فالأهم **(فاستوفاه)** فهماً وحفظاً ومدارسة **(وتطرف من البقية)** أي أخذ منها الطرف والنوادر المحتاج إليها في حال طلبه، **(فإن العلوم)** وإن تفاوتت **(متعاونة)** يعين بعضها بعضاً **(وبعضها مرتبط بالبعض)** إرتباطاً كلياً تارة. وجزئياً أخرى **(ويستفيد من ذلك في الحال)** أي عند معرفته ولو على المشاركة **(الانفكاك)** أي الانفصال **(عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله)** وهذا أقل المراتب فيه، **(فان الناس أعداء ما جهلوا)** يروى ذلك من قول سيدنا علي رضي الله عنه. **(قال الله تعالى: وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفْكٌ قديمٌ)** [الأحقاف: ١١]. المراد بهم قريش، وقيل: بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع، وقيل: اليهود على اختلاف في ذلك، والاهتداء هنا التوفيق أي إذ لم يوفقوا بالإيمان وبما أتى به محمد ﷺ فسيقولون **(هذا إفك قديم)** والافك لغة صرف الشيء عما يحق أن يكون عليه، والمراد هنا أشد الكذب. والقديم: السابق. وهو مثل قولهم **(أساطير الأوّلين)**.

وفي كتاب الذريعة للراغب حق الانسان أن لا يترك شيئاً من العلوم أمكنه فيه واتسع العمر له وينجر بشمه عرفه وبذوقه طيبه، ثم إن ساعده القدر على التغذي به، وإلاَّ لم يصر بجهله بمحله وغباوته عن منفعته إلا معادياً له بطبعه، كما قال القائل وأنشد البيت الآتي ثم قال: ومن جهل شيئاً عاداه والناس أعداء ما جهلوا، بل قال الله تعالى: ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾.

وحكي عن بعض فضلاء القضاة أنه رؤي بعدما طعن في السن وهو يتعلم أشكال الهندسة، فقيل له في ذلك. فقال: وجدته علماً نافعاً فكرهت أن أكون بجهلي معادياً له، ولا ينبغي للعاقل أن يستهين بشيْ من العلوم، بل يجب أن يجعل لكل واحد حظه الذي يستحقه، ومنزله الذي يستوجبه، ويشكر من هداه لفهمه وصار سبباً لعلمه، فقد حكي عن بعض الحكماء انه قال: يجب

قال الشاعر:

ومن يك ذا فم مرٌّ مريض   يجد مرًّا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى، أو معينة على السلوك نوعاً من الإعانة، ولها منازل مرتبة في القرب والبُعد من المقصود والقوّام بها حفظة كحفاظ

أن نشكر أيادي الذين ولدوا لنا الشكوك إمتناناً لمن حرك خواطرنا بالنظر في العلم عن شكر من أفادنا طرفاً من العلم، ولولا مكان فكر من تقدمنا لأصبح المتأخرون حيارى قاصرين عن معرفة مصالح دنياهم. فضلاً عن مصالح أخراهم، فمن تأمل حكمة الله تعالى في أقل آلة يستعملها الناس كالمقراض جمع بين سكينين مركباً على وجه يتوافى أحدهما على نمط واحد للقرض أكثر تعظيم الله وشكره وقال: ﴿سُبحانَ الَّذي سخّر لنا هذا وما كُنّا لهُ مُقْرنين﴾ [الزخرف: ١٣].

(**وقال الشاعر**) وهو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الكوفي في قصيدة له لامية خمسون بيتاً يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الاسدي، وقبل هذا البيت:

أرى المتشاعرين عزوا بذمي   ومن ذا يحمد الداء العضالا

(ومن يكُ ذا فم مرٍّ مريضٍ   يجد مرّاً به الماء الزلالا)

أي لا يعادي الانسان شيئاً إلا بعلة ناشئة منه هي المانعة له عن محبته إياه. ألا ترى إلى الماء الزلال وهو البارد العذب الصافي إذا شربه من به غلبة الصفراء أو مريض آخر يغير لذة الفم، فانه يجده مراً على غير صفته، فهذا الوجدان راجع إلى الشارب والمشروب على صفته لم يتغير. وقال شارح الديوان: هذا مثل ضربه يقول مثلهم معي كمثل المريض مع الماء الزلال يجده مراً لمرارة فمه، كذلك هؤلاء يذمونني لنقصانهم وجهلهم لفضلي، فالنقص فيهم لافيَّ ولو صحت حواسهم لعرفوا فضلي.

(**فالعلوم**) كلها (**على**) تفاوت (**درجاتها**) على أقسام (**إما سالكة بالعبد إلى الله عز وجل**) سلوكاً حقيقياً كعلم معرفة الله سبحانه وما يتعلق به، (**أو معينة له على السلوك**) إلى الله تعالى كل الأعانة، أو (**نوعاً من الأعانة**).

فالأول: كمعرفة الخواطر وما يرد عليها من الهواجس الملكية والشيطانية إذ بتفريغ باطنه عن الهواجس تكون فيه القابلية لمعرفة الله تعالى.

والثاني: كعلم الأعراب (**ولها منازل**) ودرجات (**مرتبة**) ترتيباً غريباً (**في القرب والبعد من المقصود**) الأعظم، فمنها ما يقرب من المقصود قرباً كلياً لشدة الارتباط بينهما، ومنها ما يقرب قرباً جزئياً، وكذلك في البعد، ولكل من هذه المراتب مراتب (**والقوّام بها**) أي القائمون بخدمتها وتحصيلها (**حفظة**) لحوزتها يمنعون عن تطرق الخلل والفساد إليها فهم قائمون بازائها واقفون على حدودها (**كحفظة الرباطات والثغور**) وهي المواضع التي فيها المجاهدون

الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى.

(الوظيفة السادسة) : أن لا يخوض في فنّ من فنون العلم دفعة، بل يراعي الترتيب ويبتدىء بالأهم. فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمة ويصرف جمام قوّته في الميسور من علمه، إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة. أعني قسمي المعاملة

حفظاً لحوزة الإسلام كيلا يهجم عليه العدو غرة، **(ولكل واحد)** من هؤلاء الطلبة **(رتبة)** معلومة **(وله بحسب درجته)** واجتهاده **(أجر)** عند الله **(في الآخرة اذا قصد به وجه الله)** تعالى، فان قصد به المباهاة أو مفاخرة أو التوثب في المجالس فليس له ثواب عند الله تعالى وتعبه ضائع، وهذا السياق بعينه لصاحبه الذريعة كما سيأتي نص حروفه في آخر الوظيفة التي تليها، وقد فرقها المصنف في الموضعين كما ترى وستقف عليه أن شاء الله تعالى.

(الوظيفة السادسة)، من وظائف المتعلم التسعة. اعلم **(أن العمر)** ولو طال **(إذا كان لا يتسع لجميع العلوم)** أي لتحصيلها على طريق الحصر والاستيعاب **(غالباً)** كما هو مشاهد ولو مارسه ألف سنة، **(فالحزم)** كل الحزم أي الرأي الوثيق **(أن يأخذ)** الطالب في اثناء طلبه **(من كل شيْ أحسنه)**، والأخذ أعم من التلقي والكتابة والحفظ، فيتلقى من كل علم أحسنه، ويكتب منه أحسن ما يكتب مما ينتفع به هو وغيره، ويحفظ منه أحسن ما يحفظ وأنفعه، وإليه يشير قول القائل:

ما حوى العلم جميعاً أحد ... لا ولو مارسه ألف سنة

إنما العلم كبحر زاخر ... فخذوا من كل شيْ أحسنه

(ويكتفي منه بشمة) أي بقليل مما يكون له معيناً وزاد للآخرة، وفي الذريعة للراغب: من كان قصده الوصول إلى جوار الله تعالى وتوجه نحوه كما قال تعالى: ﴿ففرُّوا إلى الله﴾ [الذاريات: ٥٠] وكما في الحديث: « سافروا تغنموا » فحقه أن يجعل أنواع العلم كزاد موضوع في منازل السفر، فتناول منه في كل منزل قدر البلغة فلا يعرج على تقصيه واستفراغ ما فيه فتقصي الانسان نوعاً واحداً من العلوم على الاستقصاء يستفرغ عمراً بل أعماراً، ثم لا يدرك قعره ولا يسبر غوره، وقد نبهنا الباري تعالى على أن نفعل ذلك بقوله: ﴿الذين يستمعُون القول فيتبعون أحسنه﴾ [الزمر: ١٨] وقال علي رضي الله عنه: العلم كثير فخذوا من كل شيء أحسنه. وقال الشاعر:

قالوا خذ العين من كل فقلت لهم ... في العين فضل ولكن ناظر العين

(ويصرف جمام قوته) بكسر الجيم أي كل قوته وتمامها **(في الميسور من علمه)** أي مما تيسر منه **(إلى)** متعلق بيصرف أي يصرف جمام قوته إلى **(استكمال العلم الذي هو أشرف**

والمكاشفة، وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى، ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العامي وراثة أو تلقفاً، ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين الكلام من مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم، بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث، حتى ينتهي إلى رتبة إيمان أبي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر ﷺ. فما

العلوم) أي إلى تحصيله بطريق الاستيعاب والتكميل، **(وهو علم الآخرة)** وأشرفيته باعتبار ما يؤول إليه من ثمراته وغاياته، ثم فسره بقوله: **(أعني)** أي أقصد بذلك العلم أي هو أشرف العلوم **(قسمين المعاملة والمكاشفة)**، ولما كان شرفهما بالغايات أشار لذلك بقوله: **(فغاية المعاملة المكاشفة، وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى)** من غير افتقار إلى تأمل البرهان، **(ولست أعني به)** أي بغاية المكاشفة **(الاعتقاد الذي تلقفه)** من التلقف وهو الأخذ بالفم، وفي نسخة تلقنه بالنون وهو الأصح **(العامي وراثة)** من شيوخه **(وتلقفاً)** من فم إلى فم، **(ولا)** أعني أيضاً **(طريق تحرير الكلام)** بالبراهين الدالة على مقصوده **(والمجادلة)** بأقيسة ظنية **(في تحصين ذلك)** الاعتقاد وحمايته **(من مراوغات الخصوم)** ومطاولاتهم **(كما هو غاية)** حال **(المتكلم)** عند استكماله، **(بل)** أعني به **(نوع يقين)** هو رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان أو مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب، بل ملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار **(وهو ثمرة نور)** رباني **(يقذفه الله تعالى)** بواسطة ملائكته **(في قلب عبد)** أحبه الله قد **(طهر)** ظاهره عن الأحداث المذمومة **(بالمجاهدة)** الحقيقية والخروج عن المألوفات النفسية ونزه **(باطنه)** المعمور بأسرار الله المغمور بأنواره **(عن الخبائث)** الإبليسية والرذائل الخسيسة **(حتى ينتهي)** في سيره مع الملازمة على مجاهدته **(إلى رتبة إيمان)** أمير المؤمنين **(أبي بكر)** الصديق رضي الله عنه **(الذي)** ما سبق الناس بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في صدره وهو الذي **(لو وزن)** إيمانه **(بإيمان العالمين)** أجمعين **(لرجح كما شهد له به سيد البشر ﷺ)**. قال العراقي: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح أخرجه ابن عدي من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عمر بإسناد صحيح اهـ.

قلت: الذي رواه البيهقي في الشعب من قول عمر لفظه!! لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح أيمان أبي بكر» وهكذا هو في مسند إسحاق بن راهويه، قال الحافظ السخاوي، وراويه عن عمر هزيل بن شرحبيل.

قلت: وهو الأودي الكوفي ثقة مخضرم من رجال البخاري والأربعة اهـ.

قال وهو عند ابن المبارك في الزهد، ومعاذ بـن المثنى في زيادات مسند مسدد اهـ.

ورأيت في ذخيرة الحناط لابن طاهر المقدسي الذي رتب فيه الكامل لابن عدي وهو بخط المصنف ما نصه: «لو وزن أيمان أبي بكر بأيمان أهل الأرض لرجح» رواه عبدالله بن

عندي أن ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي إلا في صنعة الكلام، ولأجله سميت صناعته كلاماً كان يعجز عنه عمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم، حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ

عبد العزيز بن أبي رواد، عن أبيه، عن نافع، عن ابن عمر. وعبدالله لم يتابع عليه، وهذا الذي أشار له العراقي أنه بإسناد ضعيف، ولكن ليس فيه **(بإيمان العالمين)** وكذا أخرجه ابن عدي في ترجمة عيسى بن عبدالله بن سليمان العسقلاني، عن رواد بن الجراح، عن عبدالعزيز بن أبي رواد، عن نافع وعيسى ضعيف الحديث ولفظه: « لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها ».

قلت: وقد رواه الديلمي أيضاً في مسند الفردوس من هذه الطريق بهذا اللفظ، وقول السخاوي أن عيسى، وإن كان ضعيفاً، لكنه لم ينفرد به، فقد أخرجه ابن عدي من طريق آخر اهـ.

كأنه يشير إلى طريق عبدالله بن عبد العزيز بن أبي رواد، فربما يفهم من سياق هذا أنه طريق صحيح وليس كذلك، فإن عبدالله لم يتابع عليه كما تقدم، فعلى كل حال حديث ابن عمر من طريقيه لا يخلو من ضعف فتأمل.

قال الحافظ السخاوي: وله شاهد في السنن أيضاً عن أبي بكرة مرفوعاً إن رجلاً قال يا رسول الله: « رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت ثم وزن أبو بكر بمن بقي فرجح » الحديث. **(فما عندي)** أي ليس عندي **(أن ما يعتقده العامي)** أي يجعله عقيدة له **(ويرتبه المتكلم)** ترتيباً بالبراهين والأدلة **(الذي لا يزيد على العامي)** في عقيدته **(إلا في الكلام)** من البحث في ذات الله وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد، **(ولهذا سميت صناعته كلاماً)** إشارة إلى وجه تسميته، وقد تقدم ما يتعلق به في أول الكتاب **(كان يعجز عنه عمر وعلي وسائر الصحابة)** رضوان الله عليهم أجمعين، ولكنهم لم يكونوا ملتفتين لمثل ذلك، وإنما كانوا في حضرة الشهود والكشف الأتم، فلو كلفوا إيراد مثل هذه الدقائق التي أبدتها المتكلمون في محاولاتهم لأعجبوا، وشتان بين من توحيده عن كشف وعيان، وبين من هو رهين أسر البراهين، **(حتى كان)** وفي نسخة: حين كان **(يفضلهم)** سيدنا **(أبو بكر)** رضي الله عنه **(بالسر الذي وقر في صدره)** إشارة إلى ما ورد: « ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه » قال العراقي: لم أجده مرفوعاً. وقال السخاوي: وهو عند الحكيم الترمذي في نوادره من قول بكر بن عبدالله المزني، وقد سبق الإيماء الى ذلك. **(والعجب ممن يسمع هذه الأقوال)** مثل وزن إيمان أبي بكر وسبقه على الناس ورجحانه بما أعطيه **(من صاحب الشرع صلوات الله عليه)** وسلامه، **(ثم يزدري)** أي يحتقر، وفي نسخة:

ثم يزدري ما يسمعه على وفقه يزعم أنه من ترهات الصوفية، وان ذلك غير معقول فينبغي أن تتئد في هذا فعنده ضيعت رأس المال، فكن جريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب.

وعلى الجملة، فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره، وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم، وقد روي أنه رؤي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد أحدهما رقعة فيها. إن

ثم يرد (**ما يسمعه على وفقه**) ولا يعتبره ولا يقيم له رأساً، (**ويزعم أنه من ترهات الصوفية**) وخرافاتهم، والترهات: الأباطيل، (**وإن ذلك غير معقول**) أي غير داخل في العقل، وفي نسخة: غير مقبول، (**فينبغي**) لك أيها الطالب (**أن تتئد**) أي تتأنى (**في هذا**) المقام والق سمعك لفهمه (**فعنده ضيعت**) وفي نسخة: ضيعة (**رأس المال**) وهو مثل ضربه فإن من ضيع رأس ماله لم يستفد شيئاً، (**فكن**) أيها الطالب (حريصاً **على معرفة ذلك السر**) الذي فضل به أبو بكر على العالمين (**الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين**) لكونه غير محتاج إلى تركيب الأدلة والبراهين، وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من شاء من عباده بعد تطهيره من الخبائث الظاهرية والمعنوية. ونقل صاحب القوت عن بعض العارفين قال: من نظر في توحيده إلى عقله لم ينجه توحيده من النار، ومن كان توحيده في الدنيا معلقاً بمعقوله لم يحمل توحيده معه إلى اليقين، (**فلا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب**) وهمتك في إنشاد هذه الضالة ممن درج ودب.

(**وعلى الجملة فأشرف العلوم**) على الإطلاق (**وغايتها**) التي تنتهي إليها الهمم (**معرفة الله عز وجل**) عارية عن شوائب الحجج والبراهين (**وهو بحر لا يدرك منتهى قعره**) قد تاهت فيه ألباب العارفين، وكل منهم نال فيه مقاماً بحسب همته وقوته وتطهيره وتقربه وليس كل معرفة معرفة، ألا ترى إلى الذي رأى الله تعالى سبعين مرة فقيل له: لو رأيت أبا يزيد لأغناك عن رؤيتك الله تعالى، فتعجب من هذا القول، فلما وقع بصره عليه ظهر له سر المعرفة على غير الوجه الذي كان عرف فاندهش ولم يتحمل فمات لوقته، وسبب هذا صدقه في مقام المعرفة وسيأتي هذا للمصنف في آخر الكتاب وتقدم الإيمان إليه في خلال فصول المقدمة. (**وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء**) صلوات الله عليهم إذ هم الفائزون بالقدح المعلى في ذلك، (**ثم الأولياء**) ودخل فيهم الصديقون، (**ثم الذين يلونهم**) من العلماء على حسب درجاتهم ومقاماتهم، فأولئك الذين صفى قلبهم بنور اليقين، وأيد عقلهم بالتوفيق والتمكين، وتجرد هممهم من تعلق الخلق وتأله سرهم بالعكوف على الخالق، وخلت نفوسهم عن الهوى، وسرت أرواحهم فجالت في الملكوت الأعلى فشهدوا على الكشف أوصاف ما عرفوا فقاموا حينئذ بشهادة ما عرفوا. (**وقد**) روي أنه (**رؤي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين**)

أحسنت كل شيء فلا تظنن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء. وفي يد الآخر: كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب.

أي فيما سبق من الزمان وكأنهم من حكماء اليونان. وفي نسخة: المتعبدين **(في مسجد)** أي في معبد من معابدهم. ونص الذريعة والنهاية من العلوم النظرية معرفة الله تعالى على الحقيقة المصدوقة والعلوم كلها خدم لها وحي حرة. وروى أنه رؤي صورة حكيمين من القدماء المتألهين في بعض مساجدهم **(في يد أحدهما رقعة)** مكتوبة **(وفيها)** ما نص ترجمته **(إن أحسنت كل شيء)** أي اتقنت في صنعته **(فلا تظنن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله)** حق معرفته، **(وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء)**. وهذا هو التوحيد الخالص فكأنه يقول منتهى المعارف كلها معرفة الله بوحدانيته، ومن لا يصل إليه فلا يظن في نفسه أنه أحسن شيئاً حتى تعرف الله) حق معرفته، **(وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء)**. وهذا هو التوحيد الخالص فكأنه يقول منتهى المعارف كلها معرفة الله بوحدانيته، ومن لا يصل إليه فلا يظن في نفسه أنه أحسن شيئاً، **(وفي يد الآخر)** رقعة فيها مكتوب: **(كنت قبل أن عرفت الله سبحانه أشرب فأظمأ)** فلا يحصل لي الري **(حتى إذا عرفته رويت بلا شرب)** زاد في الذريعة بعد هذا ما نصه: بل قد قال الله تعالى ما أشار به إلى ما هو أبلغ من حكمة كل حكيم: ﴿قل الله ثم ذرهم﴾ أي اعرفه حق المعرفة ولم يقصد بذلك أن يقول قولاً باللسان اللحمي، فذلك قليل الغناء ما لم يكن عن طوية خالصة ومعرفة حقيقية، وعلى ذلك قوله عليه السلام: « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » اهـ.

قلت: وقول الحكيم رويت بلا شرب هذا هو الشرب المعنوي الذي لا ظمأ بعده والعارف بالله تعالى ريان دائماً وإن لم يشرب ومن لم يعرفه فهو ظمآن دائماً وإن شرب وفي ذلك قيل:

من عرف الله فلم تغنه	معرفة الله فذاك الشقي
يزعم أن العز في ماله	والعز كل العز للمتقي

وفي القوت قال بعضهم: في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى شيء ولم يتسوحش، قيل: وما هي؟ قال: معرفة الله تعالى. ويروى عن علي رضي الله عنه: ما يسرني أن الله تعالى أماتني طفلاً وأدخلني الدرجات العلى من الجنة، قيل: ولم؟ قال: لأنه أحياني حتى عرفته. وقال مالك بن دينار: خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء منها، قيل: وما هو؟ قال: المعرفة ثم أنشأ يقول:

إن عرفان ذي الجلال لعز	وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين أيضاً بهاء	وعليهم من المحبة نور
فهنيئاً لمن عرفك إلهي	هو والله دهره مسرور

(الوظيفة السابعة) : أن لا يخوض في فنّ حتى يستوفي الفنّ الذي قبله ، فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض ، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج . قال الله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكِتَاب يَتلونه حَقّ تلاوته ﴾ [البقرة : ١٢١] ، أي لا يجاوزون فناً حتى يحكموه علماً وعملاً وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقي إلى ما هو فوقه ، فينبغي أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا بخط واحد أو آحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل ، فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها ، وقد مضى كشف هذه الشبه في كتاب (معيار العلم) وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد ، وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر . والكل خطأ بل ينبغي أن يعرف الشيء في نفسه ، فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص ، ولذلك قال علي رضي الله عنه : لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله .

(الوظيفة الثامنة) : أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم ، وان ذلك يراد به شيئان . **أحدهما :** شرف الثمرة ، **والثاني :** وثاقة الدليل وقوته ، وذلك كعلم الدين وعلم الطب ، فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخر الحياة الفانية ، فيكون علم الدين أشرف . ومثل علم الحساب وعلم النجوم ، فإن علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته

(الوظيفة السابعة)[1] من وظائف المتعلم التسعة **(أن تعرف السبب الذي به)** أي بتحصيله **(يدرك شرف العلوم)** وكمالها ومزيتها **(وأن ذلك يراد به شيئان)** لا غير ، **(أحدهما)** وهو أفضلها **(شرف الثمرة)** والنتيجة **(والثاني : وثاقة الدليل)** أي متانته **(وقوته)** عطف تفسير ، قال الحراني : الوثاقة شد الربط وقوة ما به يربط ، **(وذلك كعلم الدين)** وعلوم الدين ثلاثة . التفسير ، والحديث ، والفقه . **(وكعلم الطب)** بأنواعه ، **(فإن ثمرة أحدهما)** الوصول إلى **(الحياة)** الأبدية وهو علم الدين **(وثمرة الآخر)** الوصول إلى الحياة الدنيوية المنقطعة **(الفانية)** وهو علم الطب لأنه به يحصل تعديل المزاج وتقويمه ليجري على مجاري الصحة وينقطع ذلك بالموت بخلاف علوم الدين ، فإن ثمراتها لا تنقطع ، **(فيكون علم الدين أشرف)** نظراً إلى ذلك **(و)** من القسم الثاني وهو الذي يراد به وثاقة الدليل) مثل علم الحساب بأنواعه **(وعلم النجوم)** بقسميه المأذون في الاشتغال بها دون باقي الأقسام على ما

---

(١) وجد هنا في نسخ المتن المنقول منها الهامش زيادة الوظيفة السابعة ولعلها نسخة لم يطلع عليها الشارح فلذا لم يكتب عليها . ونبه آخراً أن المتن أسقط الوظيفة العاشرة اهـ .

وقوتها، وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته، والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى، ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين. وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله، والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم، فإياك وإن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه.

تقدم، وفي نسخة: وعلم النحو **(فإن)** علم **(الحساب أشرف)** نظراً **(لوثاقة أدلته وقوتها)** وترتيبها على قواعد مضبوطة، **(وإذا نسب)** علم **(الحساب إلى)** علم **(الطب كان)** علم **(الطب أشرف من)** علم **(الحساب باعتبار ثمرته)** التي هي الحياة، **(و)** علم **(الحساب أشرف)** من علم الطب **(باعتبار)** وثاقة **(أدلته)** ومتانتها، **(و)** لا يخفى أن **(ملاحظة الثمرة أولى)** من النظر إلى وثاقة الدليل، **(ولذلك كان)** علم **(الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين)** والحدس والتجارب قد تخطئ مع اختلاف الأمزجة والأهوية في الذريعة، ورب علم يوفى على غيره في أحد وجهين، وذلك الغير يوفى عليه بالوجه الآخر كالطب مع الحساب، فالطب شريف الثمرة إذ هو يفيد الصحة والحساب وثاقة الدلالة إذ كان العلم به ضرورياً غير مفتقر إلى التجربة اهـ.

(وبهذا يتبين) ويتضح **(أن أشرف العلوم)** مطلقاً علم الدين بأنواعه وأجلها **(العلم بالله)** تعالى أي: بوحدانيته وقيوميته وأنه موجد الأشياء كلها ومسبب الأسباب بأسرها **(وملائكته)** بأنهم عباد الله المعصومون لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة وأنهم الوسائط في الإفاضات **(وكتبه)** بتصديق ما أنزل فيها من الأحكام والقصص والأمثال **(ورسله)** بأنهم أمناء الله على خلقه في تبليغ ما أمروا به، **(والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم)** فإن حكم ذلك كحكم أصله، **(فإياك وأن ترغب إلا فيه)** وأن تميل إلا إليه **(و)** أن **(تحرص إلا عليه)**، وأن تحوم إلا حول حماه فهو رأس مالك وإليه مآلك، وأورد ابن القيم هذا البحث في كتابه مفتاح دار السعادة بأبسط من ذلك فقال: شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا ريب أن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومات، فكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها، كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق ومفتقر إليه في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم كما أنه سبحانه رب كل شيء ومليكه وموجده، ولا ريب أن كمال العلم بالسبب التام وكونه سبباً يستلزم العلم بمسببه، كما أن العلم بالعلة التامة ومعرفة كونها علة مستلزم العلم بمعلولها، وكل موجود سوى الله فهو مستند في وجوده إليه استناد المصنوع الى صانعه والمفعول إلى فاعله، فالعلم بذاته سبحانه وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل اهـ.

(الوظيفة التاسعة): أن يكون قصد المتعلم في الحال تخلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين، ولا يقصد به الرئاسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران، وإذا كان هذا مقصوده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة، ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم، أعني علم الفتاوى وعلم النجو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنّة وغير ذلك مما أوردناه في المقدمات والمتمات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية، ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم، فالمتكلفون بالعلم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها، والغزاة المجاهدين في سبيل الله،

(**الوظيفة الثامنة**) من الوظائف التسعة: (**أن يكون قصد المتعلم في الحال**) صحيحاً بصدق نية وخلوص عزم وبقصد **تخلية باطنه**) من الشوائب النفسية (**وتجميله**) وفي نسخة: تحليته (**بالفضيلة**) والأوصاف النفسية (و) أن يكون قصده (**في المآل القرب من الله تعالى**) أي بما يوصله إليه (**والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين**) من عباده (**ولا يقصد به الرئاسة**) في الدنيا (و) جمع (**المال**) وتحصيل الجاه (**ومماراة السفهاء**) ومجاراتهم في كلامهم، وفي نسخة: مباراة (**ومباهاة الأقران**) ، فإن كلاً من ذلك يجر إلى الذنب ويركنه الى حبها والسعي في تحصيلها فيحرم من الوصول الى المقصود الأعظم، (**وإذا كان هذا مقصده**) يعني الوصول الى الله تعالى (**طلب لا محالة**) أي البتة (**الأقرب إلى مقصوده**) والمعين على أصوله (**وهو علم الآخرة**) وما يتعلق به وما يوصله اليه، (**ومع هذا فلا ينبغي**) له (**أن ينظر بعين الحقارة**) والنقص (**إلى سائر العلوم**) التي هي سوى علم الآخرة (**أعني علم الفتاوى**) والأقضية (**وعلم النحو و**) علم (**اللغة**) بأنواعها (**المتعلقين بالكتاب والسنة**) تعلقاً شديداً بحيث لا طريق إلى وصول الفهم فيهما إلا بهما، (**وغير ذلك**) من العلوم (**مما أفردناه**) وذكرناه (**في المقدمات والمتمات من ضروب العلم الذي هو فرض كفاية**). وقد ذكر الشهاب السمين في مقدمة تفسيره: إن أصح علوم القرآن وآكدها بعد تجويد ألفاظه بالتلاوة خمسة علوم. علم الأعراب، وعلم التصريف، وعلم اللغة، وعلم المعاني والبيان وهي متجاذبة شديدة الاتصال بعضها ببعض لا يحصل للناظر في بعضها كبير فائدة بدون الاطلاع على باقيها، فإن من عرف كون هذا فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ مثلاً ولم يعرف كيفية تصريفه ولا اشتقاقه ولا كيف موقعه من النظم لم يحل بطائل، وكذا لو عرف موقعه من النظم ولم يعرف باقيها اهـ.

أقول: وآكد هذه الخمسة أولاً التصريف، ثم الإعراب، ثم اللغة، ثم المعاني، ثم البيان على هذا الترتيب. (**ولا يفهمن**) فاهم (**من غلونا**) أي تجاوزنا (**في الثناء على علم الآخرة**) وتحسينه بالإجمال تارة وبالتفصيل أخرى (**تهجير هذه العلوم**) التي ذكرت أي تشييهنا والحط عليها، (**فالمتكفلون بالعلوم**) التي ذكرت أي الحاملون لها (**كالمتكفلين**) أي المحافظين (**للثغور**)

فمنهم المقاتل، ومنهم الردء، ومنهم الذي يسقيهم الماء، ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم، ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم، فكذلك العلماء. قال الله تعالى: ﴿يرفَعُ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١]. وقال تعالى: ﴿هم درجات عند الله﴾ [آل عمران: ١٦٣]، والفضيلة نسبية. واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين،

الإسلامية التي تحاذي الكفار (**والمرابطين لها**)، ولما كانت هذه العلوم صارت الآن مقصودة بالذات سمى المغاربة طالب العلم مرابطاً نظراً الى هذا المعنى وهو غريب، (**والغزاة**) كلهم (**مجاهدون في سبيل الله**) لإعلاء كلمة الله، (**ومنهم المقاتل**) بنفسه، (**ومنهم الردء**) أي العون لهم والمدد، (**ومنهم الذي يسقيهم الماء**)، ومنهم الذي يربط على جراحاتهم ويداويها، (**ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدها**) كيلا تنفر، ومنهم الذي يحفظ أثاثهم وأمتعتهم وخيامهم كيلا يكسبها العدو، (**ولا ينفك واحد منهم عن أجر**) وثواب من الله (**إذا كان قصده**) صحيحاً وهو (**إعلاء كلمة الله**) عز وجل (**دون حيازة الغنائم**) ودون الرياء والسمعة ودون إظهار الشجاعة ليقال إنه شجاع، كما صرح بذلك الحديث الصحيح الذي تقدم ذكره، (**وكذلك العلماء**) بمراتبهم ودرجاتهم يتفاوتون تفاوت الغزاة في سبيل الله وبين تلك المراتب مسافات وغايات تنقطع دونها الأكباد.

كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبال ودونهن حتوف

(**قال الله تعالى**) في كتابه العزيز في سورة المجادلة: (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ [المجادلة: ١١] قال ابن عباس في تفسيره فيما أخرجه ابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في المدخل عنه قال: يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات، وعن ابن مسعود فيما أخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه قال: يرفع الله الذين آمنوا منكم وأتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات. وأخرج ابن المنذر، عن ابن مسعود أيضاً قال: ما خص الله العلماء في شيء من القرآن كما خصهم في هذه الآية. فضل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم.

(**و**) قال تعالى في سورة آل عمران ﴿أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط مِنَ اللهِ ومأوَاهُ جَهَنَّم وبئسَ الْمَصيرِ. هم دَرَجَات عِند اللهِ والله بصير بما يعملون﴾ [آل عمران: ١٦٣] قال البيضاوي شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب أو هم ذوو درجات اهـ.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أنه سئل عن هذه الآية فقال: للناس درجات في أعمالهم من الخير والشر. وأخرج ابن المنذر عن الضحاك: هم درجات عند الله قال: أهل الجنة بعضهم فوق بعض فيرى الذي فوق فضله على الذي أسفل منه، ولا يرى الذي أسفل منه أنه فضل عليه أحد، (**والفضيلة**) بين هؤلاء (**نسبية**) إضافية، (**واستحقارنا**) طائفة (**الصيارفة**) الذين

فلا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر، بل الرتبة العليا للأنبياء، ثم الأولياء، ثم العلماء الراسخين في العلم، ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم.

وبالجملة؛ ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره★ ومَن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ومَن قصد الله تعالى بالعلم أي علم كان نفعه ورفعه لا محالة.

ينقدون الدراهم والدنانير ويميزون بين جيدها ورديئها (**عند قياسهم بالملوك**) والأمراء وأحوالهم (**لا يدل على حقارتهم**) ونقص منزلتهم (**إذا قيسوا بالكناسين**) والزباليّن مثلاً، (**ولا تظنن**) في نفسك (**أن ما نزل عن المرتبة القصوى**) في الدرجة (**ساقط القدر**) والمنزلة مطلقاً، (**بل الرتبة العليا**) في معرفة الله سبحانه التي هي أشرف المعلومات (**للأنبياء**) صلوات الله عليهم، (**ثم الأولياء**) العارفين، (**ثم العلماء الراسخين**) في علومهم، (**ثم الصالحين**) من عباده (**على تفاوت درجاتهم**) بحسب اختلاف قربهم منه سبحانه. وهذا السياق أعني تقديم ذكر الأولياء على العلماء مرّ له في بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة استشكلوه على المصنف، وسئل عنه العز بن عبد السلام، فأجاب بصحة العبارة بما تقدم اجماله وهو بطوله في كتاب (**تأييد الحقيقة العلية**) للحافظ السيوطي.

(وبالجملة) ﴿**من يعمل مثقال ذرة خيراً يره★ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. الذرة: النملة الصغيرة، وقيل: الهباء. قيل: أراد بهما حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر انهما تؤثران في نقص الثواب والعقاب، وقيل: الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة أو الأولى مخصوصة بالسعداء، والثانية بالاشقياء لقوله: أشتاتاً قاله البيضاوي. وهذه الآية هي الفاذة الجامعة كما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الدر المنثور للسيوطي أخرج ابن مردويه، عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه يأكلان إذ نزلت هذه السورة فأمسك رسول الله ﷺ يده عن الطعام، ثم قال: «من عمل منكم خير فجزاؤه في الآخرة ومن عمل منكم شراً يره في الدنيا مصيبات وأمراضا ومن يكن فيه مثقال ذرة من خير دخل الجنة».

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن زيد بن أسلم أن النبي ﷺ دفع رجلاً إلى رجل يعلمه فعلمه حتى بلغ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. قال: حسبي، فقال النبي ﷺ: «دعه فقد وفق» (**ومن قصد الله**) عز وجل أي أراد السلوك إلى معرفته (**بالعلم أي علم كان**) بشرط الاخلاص فيه (**نفعه**) في دنياه وآخرته (**ورفعه**) فيهما (**لا محالة**) البتة. وهذا الفصل أيضاً بتمامه في كتاب الذريعة ونصه: العلم طريق إلى الله تعالى ذو منازل قد وكل الله بكل منزل منها حفظة كحفظة الرباطات والثغور في طريق الحج والغزو، فمن منازله معرفة اللغة التي عليها مبنى الشرع، ثم حفظ كلام رب العزة، ثم سماع الحديث، ثم الفقه، ثم علم الاخلاق والورع، ثم علم المعاملات، وما بين ذلك من الوسائط من معرفة أصول البراهين والادلة، ولهذا

(الوظيفة العاشرة) : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد ، والمهم على غيره ، ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك إلا شأنك في الدنيا والآخرة ، وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان ، فالأهم ما يبقى أبد الآباد ، وعند ذلك تصير الدنيا منزلاً والبدن مركباً والأعمال سعياً إلى المقصد ، ولا مقصد إلا لقاء الله

قال تعالى : ﴿هم درجات عند الله﴾ [آل عمران : ١٦٣] وقال تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ وكل واحد من هؤلاء الحفظة إذا عرف مقدار نفسه ومنزلته ودنا ووفى حق ما هو بصدده فهو في جهاد يستوجب من الله لحفظ مكانه ثواباً على قدر عمله ، لكن قلما ينفك كل منزل منها من شرير في ذاته وشره في مكسبه وطالب في رئاسته وجاهل معجب بنفسه بصير لاجل تنفق سلعته صارفاً عن المنزل الذي فوق منزلته من العلم وعائباً له ، فلهذا ترى كثيراً ممن حصل في منزل من منازل العلوم دون الغاية عائباً لما فوقه وصارفاً عنه من رآه فإن قدر أن يصرف عنه الناس بشبهة من صرفه فعل من قال الله تعالى فيهم : ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ الآية [فصلت : ٢٦] . وما أرى من هذا صنعه إلّا من الذين وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ . [ابراهيم : ٣] .

(الوظيفة التاسعة) من وظائف المتعلم التسعة : **(أن يعلم بنسبة العلوم)** كلها **(إلى المقصد)** الأعظم ويميز بين كل من ذلك **(كيما يؤثر)** أي يختار **(الرفيع القريب على البعيد)** الوضيع ، **(والمهم)** المقصود بالذات **(على غيره ومعنى المهم)** لغة **(ما)** يهمك أي يحزنك فيما نويته وأردته وعزمت عليه في نفسك **(ولا يهمك إلا شأنك)** الذي أنت فيه وعليه **(في الدنيا والآخرة)** أي فيما يتعلق بها ، ولذا أجاب الشافعي حين قال : ما أفلح سمين قط إلا محمد بن الحسن ، وسئل عن ذلك أن المرء لا يخلو إما أن يكون مهتماً في أمور دنياه أو أمور آخرته ولا خير في غيرهما وهما لا يبقيان شحماً . هكذا ذكره غير واحد . وأورده الخطيب في تاريخه ، ولذا كان أصدق الأسماء همام والحرث ، **(وإذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة)** لأن ملاذ الدنيا زائلة فمن آثرها على نفسه حرم نعيم الآخرة فهما كالمتضادين لا يجتمعان بحسب الكمال فما نقص من الملاذ الدنيوية زيد له في النعيم الأخروي ، ومن اختار النعيم الأخروي لم ينظر الى ملاذ الدنيا ، وهذه أغلبية وإلا فمنهم من يجمع الله له بينهما فهو سعيد الدنيا والآخرة كما أن منهم من يشقى فيهما جميعاً فأحرق دنياه وآخرته **(كما نطق به القرآن)** في غير ما موضع **(وشهد له)** أي لصدقه **(من نور البصائر ما يجري مجرى العيان)** والمشاهدة **(فالأهم)** في الحقيقة **(ما يبقى)** نفعه **(أبد الآباد)** بلا نفاد ، **(وعند ذلك تصير الدنيا)** في التشبيه والتمثيل **(منزلاً)** نزله ليتجاوز إلى غيره **(و)** هذا **(البدن)** الذي ركب فيه الروح **(مركباً ركبه)** ليوصله إلى مراده **(والأعمال)** الصادرة منه **(سعياً)** يسعى بها **(إلى المقصد)** الأعظم ، **(ولا مقصد)** في الحقيقة **(إلا لقاء الله تعالى)**

تعالى ففيه النعيم كله، وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأقلون. والعلوم بالإضافة إلى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم أعني النظر الذي طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى فهم العوام. والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال، وهو أن العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له: إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعاً، وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل. **الأول:** تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة. **والثاني:** السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلاً بعد منزل. **والثالث:** الاشتغال بأعمال الحج ركناً بعد ركن ثم بعد

والفناء فيه دونه تقطع الأعناق ويضيق عن وصفه النطاق (**ففيه النعيم كله**) وما عداه زائل لا يعتد به، (**وإن كان لا يعرف في هذا العلم**) كما ينبغي. وفي نسخة: في هذا العالم قدره (**إلا الأقلون**) وقليل ما هم، (**والعلوم بالإضافة**) والنسبة (**إلى سعادة لقاء الله عز وجل**) في دار كرامته ورضوانه (**والنظر إلى وجهه الكريم**) من غير حجاب (**أعني**) أي أريد بالنظر (**النظر الذي طلبه الأنبياء**) صلوات الله عليهم بما يليق بمقاماتهم العلية (**وفهموه**) إرشاداً من الله الكريم وهي المعرفة الخاصة بعد الفحص (**دون ما سبق الى فهم العوام والمتكلمين**). قال بعضهم: استعمال النظر في البصر وهو تقليب الحدقة وتوجيهها إلى المنظور إليه أكثر عند العامة وفي البصيرة أكثر عند الخاصة فنظر الخواص غير نظر العوام (**على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال**) أي: بضرب مثال يوازنها ليكون أدخل في الأذهان وأسرع إلى معرفتها، (**وهو أن العبد**) مثلاً (**الذي علق عتقه**) من الرقبة (**وتمكينه من الملك**) بضم الميم (**بالحج**) متعلق بقوله علق، (**و**) قد فسر ذلك بقوله (**قيل له**) أي لذلك العبد (**إن حججت**) بيت الله الحرام (**وتممت**) المناسك كلها أداء (**وصلت إلى العتق والملك جميعاً**) أي الى المقصدين العظيمين، (**وإن ابتدأت**) شرعت السفر (**بطريق الحج والاستعداد له**) بإحضار الزاد والراحلة (**وعاقك**) أي منعك (**في الطريق مانع**) وفي نسخة: عائق وهو بمعناه (**ضروري**) اضطرك الى ذلك (**فلك العتق فقط و**) هو (**الخلاص من شقاء الرق**) وتعبه (**دون سعادة الملك**) وبين السعادة والشقاء تضاد، (**فله**) أي لهذا العبد المذكور (**ثلاثة أصناف من الشغل**) الشغل. (**الأول: تهيئة الأسباب**) والاستعداد لها (**بشراء الناقة**) أو ما في حكمها (**وخرز الراوية**) لحمل الماء أو شرائها مخروزة (**وإعداد الزاد**) ما يقوت به نفسه في الطريق على قدر الحال، فمجموع ما ذكر أول أشغاله وتندرج في تلك أشغال أخرى والآخر أي الشغل. **الثاني** (**السلوك**) أي المشي (**ومفارقة الوطن**) والأهل والأصحاب (**بالتوجه إلى**) سمت (**الكعبة**) المشرفة (**منزلاً بعد منزل**) ومنهلاً بعد منهل. (**الثالث: الاشتغال**

الفراغ والنزوع عن هيئة الإحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة، وله في كل مقام منازل من أوّل اعداد الأسباب إلى آخره، ومن أول سلوك البوادي إلى آخره، ومن أول أركان الحج إلى آخره. وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في إعداد الزاد والراحلة، ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه، فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام: قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة، وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا. وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الأوّلون والآخرون إلا الموفقين، فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله. وكما لا يغني علم المنازل

بأعمال الحج) جميعاً **(ركناً بعد ركن)** على الترتيب المعروف، **(ثم بعد النزوع)** أي الخروج والفراغ **(عن هيئة الإحرام وطواف الوداع)** وهو آخر أركان الحج، وهل هو داخل فيه أم لا؟ فيه خلاف يأتي بيانه في ربع العبادات **(استحق)** الخلاص من الرق و **(التعرض للملك والسلطنة)** اي: استحق الوصول لهذين المقصدين **(وله في كل مقام)** من هذه المقامات **(منازل)** ومراتب **(من أول إعداد الأسباب إلى آخره)** وذلك أول الشغل، **(ومن أول سلوك البوادي)** والقفار **(إلى آخره)** وهو الشغل الثاني، **(ومن أول أركان الحج الى آخرها)** وهو الشغل الثالث، **(وليس قرب من ابتدأ في أركان)** وفي نسخة: بأركان **(الحج)** وشرع في تمام المناسك **(من السعادة)** الكبرى **(كقرب من هو بعد في إعداد الزاد والراحلة)** وهو الشغل الأول، **(ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك)** في الفيافي وهو الشغل الثاني **(بل أقرب منه)** لأن تلك وسائل للوصول الى هذه المقاصد، **(فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام. قسم)** أول من ذلك **(يجري مجرى)** أي يقوم مقام **(إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة)** كذا في سائر النسخ وكأنه عطف تفسير لما قبله، **(وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا)** فإن كلاً من ذلك وسائل، فعلم الطب به صلاح البدن الذي لا تقوم العبادات إلا به، وعلم الفقه فيه صلاح الظاهر من جهة التطهير وغيره، **(وقسم)** ثان **(يجري مجرى سلوك البوادي)** جمع بادية وهي الصحراء **(وقطع العقبات)** وهي الثنايا بين الجبال **(وهو تطهير الباطن)** بالرياضيات **(عن كدورات الصفات)** الذميمة **(وطلوع تلك العقبات الشامخة)** أي المرتفعة العالية **(التي عجز عنها)** أي عن رقيها **(الأولون والآخرون إلا الموفقون)** الذين وفقهم الله تعالى لقطعها بلطف الهداية وخفي العناية في كل عصر لا يخلو منهم وقت ولا زمان، **(فهذا سلوك الطريق)** الباطني والظاهر عنوان الباطن **(وتحصيل علمه)** أي علم تطهير الباطن **(كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله)** وشعابه ومناهله وأوديته وما توصل السالك وما تضله، **(وكما لا يغني علم المنازل)** والمجاهل (و) علم **(طرق**

وطرق البوادي دون سلوكها، كذلك لا يغني علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب، ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن. وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله، وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة، وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى، وهم المقربون المنعمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم، وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل: ﴿فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان * وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩١]. وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له أو

البوادي) المضلة **(دون سلوكها)** وقطع رسومها، فكذلك **(لا يغني علم تهذيب الأخلاق)** وتصفيتها من الرذائل **(دون مباشرة التهذيب)** بتدريب من المرشد الناصح اللبيب، **(لكن المباشرة)** في أمر **(دون العلم)** به أولاً **(غير ممكن)**، ولذلك أجري علم الطب والفقه مجرى إعداد الزاد والراحلة. **(وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه)** الذي هو المقصود لذاته من إعداد الزاد وقطع البوادي، **(وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وأفعاله)** وما في ذلك من الأسرار الغريبة والمشاهد العجيبة، بل **(وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا)** أيها السالك **(نجاه)** من الهلاك **(وفوز بالسعادة)** الأبدية أي فالتنكير فيها إشارة للتقليل **(والنجاة حاصلة لكل سالك)** في هذا **(الطريق)** بعد المباشرة **(إذا كان غرضه المقصد وهو السلامة)** من الهلاك الأبدي، **(وأما الفوز بالسعادة)** الكبرى **(فـ)** ـإنه **(لا يناله إلا العارفون)** المتمكنون في معرفتهم باعتبار المقامات وبحسب الدرجات **(فهم المقربون)** في حضرة الله جل جلاله وهم السابقون المشار إليهم بقوله: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم﴾ **(المنعمون في جوار الله)** وكنفه **(بالروح)** الاستراحة، وقرئ بالضم وفسر بالرحمة لأنها كالسبب لحياة المرحوم، وفسر أيضاً بالحياة الدائمة وبالفرج من الغم والتعب، **(والريحان)** الرزق والطيب، وقيل: ريحان الجنة **(وجنة النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال)** أي لم ينهضوا إلى تحصيله بالكلية فمنعوا من الوصول **(فلهم النجاة والسلامة)** من العذاب والمقت، **(كما قال تعالى: فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة)** ذات **(نعيم)**، ثم إن المراد بالسابقين الذين ثبت لهم التقريب هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان أو سبقوا في حيازات الفضائل والكمالات أو هم الأنبياء صلوات الله عليهم فإنهم متقدمو أهل الأديان، **(وأما إن كان من أصحاب اليمين)** أصحاب المنزلة السنية أو الذين يؤتون صحفهم بإيمانهم **(فسلام لك)** يا صاحب اليمين أي نجاة لك **(من أصحاب اليمين)** [الواقعة: ٨٨ - ٩١] من إخوانك وأصحاب اليمين هم الذين

انتهض إلى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية، بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم.

واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع،

أخبر الله عنهم في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال تأتيه الملائكة من قبل الله تعالى وتسلم عليه وتخبره أنه من أصحاب اليمين. وأخرج عبد ابن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سلام من عذاب الله وتسلم عليه ملائكة الله. **(وكل من يتوجه إلى المقصد)** نوع توجه **(ولم ينتهض له)** بكليته ووسع رحمانيته **(أو انتهض إلى جهته)** بكليته لكن **(لا على قصد الامتثال والعبودية)** وهو الانقياد والتذلل لأوامر الله تعالى، **(بل لغرض عاجل)** وعلة دنيوية **(فهو من أصحاب الشمال)** الذين هم مشائيم على أنفسهم بمعصيتهم منزلته خسيسة، بل **(ومن)** المكذبين **(الضالين)** الذين ضل سعيهم **(وله نزل)** وهو ما يقدم بين يدي الضيف **(من حميم)** ماء حار يكلف بشربه لا يقدر على إساغته **(وتصلية جحيم)** أي إدخال في جحيم النار.

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقالت عائشة رضي الله عنها: إنا لنكره الموت. فقال: «ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه وأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشّر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره عليه مما أمامه وكره لقاء الله وكره الله لقاءه».

وأخرج ابن مردويه، والديلمي عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «ما من ميت يموت إلا وهو يعرف غاسله ويناشد حامله إن كان بخير فروح وريحان وجنة نعيم أن يعجله وإن كان بشر فنزل من حميم وتصلية جحيم أن يحبسه».

(واعلم أن هذا) قد بيّن المشار إليه فيما بعد بقوله، أعني إلخ **(هو حق اليقين)**، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ [الواقعة: ٩٥] أي المذكور في السورة لهو حق الخبر اليقين. وعن ابن عباس إن هذا أي ما قصصناه عليك في هذه السورة لحق اليقين. **(أعني أنهم أدركوه بمشاهدة)** ومطالعة **(من)** أنوار **(الباطن)** بعد تصفيته، وهو **(أقوى وأجلى)** أي أكثر جلاء عند أهل الاعتبار **(من مشاهدة الأبصار)** ومطالعتها **(وترقوا فيه)** على قدر هممهم على مراتب علياء ووسطى **(عن حد التقليد)** المحض **(بمجرد السماع)** من غير تلعثم ولا توان. وهذا من افاضة الحق سبحانه عليهم حيث أهلهم لوصول هذا المقام،

وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فحقق، وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان. فالسعادة وراء علم المكاشفة، وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات، وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات، وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن، ومساعدة أسباب الصحة. وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه. وأما أسباب الصحة ففي ناصية الطبيب ومن قال: «العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان» وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة.

(وحالهم) عند التحقيق **(حال من أخبر)** عن الشيء مثلاً **(فصدق)** أولاً **(ثم شاهد)** بعين بصيرته **(فتحقق)** بفحواه وانصبغ بمعناه، وكم بين التخلق التقليدي والتحقق الشهودي وإليه أشار بقوله: **(وحال غيرهم)** من السالكين **(حال من قبل)** الحكم مثلاً **(بحسن التصديق والإيمان)**، كأنه أراد بذلك الإذعان لما صدقه إشارة إلى ما ذكره السعد في شرح العقائد: أنه ليس حقيقة التصديق تصديق حكم الخبر أو المخبر، بل الاذعان لذلك كما سيأتي البحث في ذلك عند ذكر الايمان والاسلام. **(ولم يحظَ بالمشاهدة والعيان)** أي لم يحظ بهذا المقام بتخصيص من الله المنان إذ الله يختص برحمته من يشاء، **(والسعادة)** الكبرى والنيل بها **(وراء علم المكاشفة)** وتحصيله، **(وعلم المكاشفة)** عند أهل السلوك **(وراء)** علم **(المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة)** قيده بذلك لئلا يتوهم من المعاملة ما هو المشهور بين الناس من سلوك الطرق التي عليها مدار أمور الدنيا **(وقطع عقبات الصفات)** بمراتبها **(وسلوك طريق محق)**. وفي نسخة: محو **(الصفات المذمومة وراء)** تحصيل **(علم الصفات وعلم طريق المعالجة)** لإزاحة تلك الصفات المذمومة **(وكيفية السلوك)** والتحلي به بعد ذلك التخلي **(وذلك)** أي معرفة ما ذكر **(وراء علم)** أي معرفة ما به **(سلامة البدن ومساعدة أسباب)** تتحصل بها **(الصحة)** للمزاج، **(وسلامة البدن)** من الآفات المانعة على أنواعها **(بالاجتماع والتعاون الذي يتوصل به إلى)** تحصيل **(الملبس والمطعم والمسكن)**، وقدم الملبس الذي به ستر العورات على المطعم لشدة الاحتياج إليه في حال الاجتماع وما بعده على المسكن لأنه به قوام البدن والمشرب داخل فيه لكونه من لوازمه غالباً **(وهو منوط بالسلطان)** الأعظم أو من ينوب منابه **(وقانونه)** الشرعي والعرفي **(في ضبطه)** أحوال **(الناس)** على اختلافها **(على نهج العدل)** والاستقامة **(والسياسة)** الشرعية التي بها يحصل انتظام أمر الملك والرعية **(في ناحية الفقيه)**، فإنه الذي يعرفهم بقوانينها. **(وأما أسباب الصحة ففي ناحية الطبيب)** فهو الذي يعرفهم بقوانين ذلك من تشخيص أمراض ومعرفة العلل وإزالتها بالأدوية، **(ومن قال)** في تفسير القول المشهور

(فإن قلت) : لم شبهت علم الطب والفقه باعداد الزاد والراحلة ؟ فاعلم أن الساعي إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ، ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ، ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة ، والشرع يعبّر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر ، وبواسطته صار جميع البدن مطية وآل لتلك اللطيفة ، وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره ، وغاية المأذون فيه أن

الدائر على الألسنة : (**« العلم علمان : علم الابدان وعلم الأديان »**) والمشهور أنه حديث إلا أنه موضوع كما في الخلاصة . نقله منلا علي في موضوعاته ، والصحيح أنه من قول الإمام الشافعي نقله غير واحد ، (**وأشار**) بالجملة الأخيرة (**إلى**) علم (**الفقه**) إنما (**أراد به العلوم الظاهرة الشائعة**) في المدارس المبوّبة في المصنفات من السلم والظهار والاجارة والكفارات وغيرهما ، (**لا العلوم العزيزة الباطنة**) مما يؤول نفعها في تصفية القلب وسلوك طريق الآخرة .

(**فإن قلت : لم شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة**) تحرير السؤال ، حيث ذكرت أن العلم بأنواعه منحصر في الاثنين فدل مقتضاه على أنهما أشرف العلوم وأساسها ، فما السر في تشبيههما في أوّل كلامك باعداد الزاد والراحلة فإن ما كان مشبهاً به جدير أن يكون خير مقصود للذات ؟

(**فاعلم أن الساعي**) في سلوكه باجتهاده (**إلى**) الوصول لمعرفة (**الله**) جل وعز (**لينال**) بذلك (**قربه هو القلب**) خاصة (**دون البدن**) كما يرى في الظاهر ، (**ولست أعني بالقلب**) الساعي (**اللحم**) الصنوبري (**المحسوس**) المشاهد ، (**بل**) هو (**سر من أسرار الله تعالى**) غامض (**لا يدركه الحس**) لقصوره عن إدراكه ، (**ولطيفة من لطائفه**) المعنوية لا تعتورها الأفهام إلا بعد التوقيف من مرشد كامل (**وتارة يعبر عنه بالروح**) الإنساني ، وبه فسر قوله تعالى : ﴿ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [الحج : ٤٦] وهذا هو الظاهر في تفسيره . وقيل : العقل . وأنكره الراغب ، وتحقيق المقام أن القلب لغة التصريف سمي به لكثرة تقلبه ويعبّر به عن المعاني التي تختص به الروح والعلم والشجاعة ، فمن الأوّل قوله تعالى : ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ [الأحزاب : ١٠] ومن الثاني قوله تعالى : ﴿لمن كان له قلب﴾ [ق : ٣٧] أي علم وفهم . ومن الثالث قوله تعالى : ﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾ [الأنفال : ١٠] أي تثبت به شجاعتكم ، (**وأخرى**) يعبر (**بالنفس المطمئنة**) أي الساكنة لما علمت من رضا ربها بامتثال أمره واجتناب نهيه ، والأنفس ثلاثة . أمارة ولوّامة ومطمئنة . وأعلاها الثالثة وأدناها الأولى ، وسيأتي التفصيل في ذلك عند ذكر النفوس ، (**والشرع يعبر عنه بالقلب**) لنكتة خاصة وهي (**لأنه المطية الأولى لذلك السر**) الذي لا يدركه الحس (**وبواسطته صار جميع البدن مطية**) لسريان سره فيه (**وآلة لتلك اللطيفة**) يتوصل إلى معرفتها بسببه ، (**وكشف الغطاء**) باللسان (**عن ذلك السر**) الغامض (**من**) جلة (**علم المكاشفة وهو مضنون به**) أي مبخول به في الذكر ، (**بل**

يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية، وإنما هو أمر إلهي كما قال تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥] وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى، ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن، فلله الخلق

لا رخصة في ذكره). وقد روي عن الحسن، عن حذيفة سألت النبي ﷺ عن علم الباطن ما هو؟ فقال: «سألت جبريل عنه فقال عن الله هو سر بيني وبين أحبائي وأوليائي وأصفيائي أودعه في قلوبهم لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل»، وقد تكلم في سماع الحسن عن حذيفة وحكم على هذا الحديث بالوضع، **(وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز)**. أراد بالجوهر المعنى اللغوي لمناسبة ما بعده لا المعنى الذي ذكره الحكماء هو انه ماهية إذا كانت في الأعيان كانت لا في موضوع وحصروه في خمسة هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل **(أشرف من هذه الأجرام)** أي المشاهدة والأجرام الأجساد، وقد يطلق الجرم على اللون أيضاً كقولهم: نجاسة لا جرم لها، **(وإنما هو أمر إلهي كما قال تعالى)** في سورة بني اسرائيل **(ويسألونك عن الروح)** قال البيضاوي: أي الروح الذي يحيا به بدن الإنسان وتدبره **(قل الروح من أمر ربي)** [الاسراء: ٨٥] من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة تولد من أصل كأعضاء جسده أو وجد بأمره وحدث بتكوينه عن السؤال من قدمه وحدوثه. وقيل: ما استأثر الله بعلمه لما روي أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح، فإن أجاب عنها وسكت فليس بنبي، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي، فبيَّن لهم قصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة. وقيل: الروح جبريل، وقيل خلق أعظم من الملك، وقيل القرآن ومن أمره معناه من وحيه اهـ.

وقال ابن الكمال: الروح الإنساني اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني نازل من عالم الأمر تعجز العقول عن إدراك كنهه، وتلك الروح قد تكون مجردة وقد تكون منطبعة على البدن، وأما الروح الحيواني فجسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجساد البدن، والروح الأعظم الذي هو الروح الإنساني مظهر الذات الالهية من حيث ربوبيتها، ولذلك لا يمكن أن يحوم حولها حائم ولا يروم وصلها رائم لا يعلم كنهها إلا الله، ولا ينال هذه البغية سواه وهو العقل الأول والحقيقة المحمدية والنفس الواحدة والحقيقة الاسمائية، وهو أول موجود خلقه الله تعالى على صورته وهو الخليفة الأكبر وهو الجرم النوراني. جوهريته مظهر للذات النورانية وسمي باعتبار الجوهرية نفساً واحدة وباعتبار النورانية عقلاً أولاً، وكما ان له مظاهر وأسماء من العقل الأول والعلم الأعلى والنور والنفس الكلية واللوح المحفوظ، وغير ذلك له في العالم الصغير الإنساني مظاهر بحسب ظهوراته ومراتبه في اصطلاح أهل الله، وهي السر والخفاء والروح والقلب والكلية والفؤاد والصدر والعقل والنفس فتأمل ذلك ترشد. **(و)** إن قال قائل: **(كل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى)** فما وجه تخصيصه بالإضافة إليه فأجاب بقوله: **(ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء**

والأمر جميعاً، والأمر أعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الأمر، ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدومها، فإن القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول، فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده. والمقصود أن هذه اللطيفة هي الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها وإليه مرجعها، وأما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها، فالبدن لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في طريق الحج، وكالراوية الخازنة للماء الذي يفتقر

البدن)، فالإضافة هنا تشريفية كما يقال: بيت الله وناقة الله، **(ولله)** عز وجل **(الخلق والأمر جميعاً)** لا يشاركه أحد فيهما سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤]، أي فإنه الموجد والمتصرف خلق العالم على ترتيب قويم وتدبر حكيم، فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب، وعمد إلى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسماً قابلاً للصور المتبدلة والهيئات المختلفة، ثم قسمها لصور نوعية متضادة الآثار والأفعال، ثم نشأ المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولاً وتصويرها ثانياً، ثم لما تم له عالم الملك عمد إلى تدبيره، فدبر الأمر من السماء إلى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والأيام، ثم صرح بما هو فذلكة التقدير ونتيجته فقال: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ **(والأمر أعلى من الخلق)** نظراً إلى ما ذكرنا. **(وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى)** قيل: هي كلمة التوحيد، وقيل العقل، وقيل: الطاعة قاله الحسن. وقيل: العبادة، وقيل: حروف التهجي، وقيل: غير ذلك **(المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرض والجبال إذ أبين)** أي امتنعن **(أن يحملنها)** لثقلها **(وأشفقن منها)** أي خفن بمهابة **(من عالم الأمر)**، ولذا أضيف إلى الله تعالى **(ولا يفهم من هذا)** الذي أوردناه **(تعريضاً)** وتلويحاً **(بقدمه)** أي الروح نظراً إلى كونه من أمر الرب، **(فالقائل بقدم الأرواح)** كالفلاسفة ومن على قدمهم **(مغرور)** في زعمه **(جاهل)** فيما يبديه **(لا يدري ما يقول)** ولا يميز خطأه من صوابه، ولما أطال في بحث هذه المسألة أداه تحقيقه لها إلى الخروج عن أصل كلامه الذي أبداه فأشار لذلك وقال: **(ولنقبض عنك البنان)** أي نمسك **(عن)** التوغل في **(هذا الفن)** الذي هو الكلام **(فهو وراء ما نحن بصدده)** أي طلبه وبيانه، **(والمقصود)** من ذلك كله **(أن هذه اللطيفة)** الحاملة لأمانة ربها **(هي الساعية إلى قرب الرب)** عز وجل **(لأنه من أمر الرب)** تعالى، **(فمنه مصدره وإليه مرجعه)** ومآله، **(وأما البدن فمطيته التي تركبها)** في قطع بوادي السلوك **(وتسعى بواسطتها)** إلى ملك الملوك، **(فالبدن لها)** أي للروح **(في)** سلوك **(طريق الله)** عز وجل **(كالناقة)** مثلاً **(للبدن في طريق الحج أو كالراوية الحاوية)** أي الحاملة. وفي نسخة: الخازنة **(للماء الذي يفتقر)** أي يحتاج **(إليه البدن)** في حفظ صحته،

إليه البدن، فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية. ولا يخفى أن الطب كذلك، فإنه قد يحتاج إليه في حفظ الصحة على البدن، ولو كان الإنسان وحده لاحتاج إليه، والفقه يفارقه في انه لو كان الإنسان وحده ربما كان يستغني عنه، ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسعي وحده في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والخبز والطبخ، وفي تحصيل الملبس والمسكن، وفي إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى المخالطة والاستعانة، ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا

(فكل علم مقصده) الأعظم **(صحة)** وفي نسخة: مصلحة **(البدن فهو من جملة مصالح)** تلك **(المطية)** المذكورة، **(ولا يخفى أن)** علم **(الطب كذلك فإنه يحتاج إليه)** أحياناً **(في حفظ الصحة على البدن)** إذا خالف المزاج، **(ولو كان الإنسان وحده لاحتاج إليه)** في حفظ الصحة **(و)** علم **(الفقه يفارقه في أنه لو كان الإنسان وحده)** مثلاً **(ربما كان يستغني عنه)** ولا يحتاج إليه، **(ولكنه)** أي الإنسان **(خلق)** مدني الطبع **(على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده)** لا بد من افتقاره إلى الغير **(إذ)** من المعلوم البين أنه **(لا يستقل)** أي لا ينفرد بنفسه **(بالسعي)** والاهتمام **(في تحصيل طعامه)** الذي يتناوله **(بالحراثة والزرع والخبز والطبخ)**، فافتقر إلى أكار وزراع وخباز وطباخ، وكأنه أراد بالحراثة حفر الأرض وتهيئتها للزرع، فلذلك قلنا إلى أكار وإلا فهي والزرع من واد واحد. **(وفي تحصيل الملبس والمسكن)** الذي يأوي إليه **(وفي)** تحصيل **(اعداد آلات ذلك كله)** فلحفر الأرض آلات من حديد فاحتاج إلى الحداد ومن خشب كالجبان ونحوه، فاحتاج إلى نجار، وللطبخ آلات متعددة أعظمها الأواني إن كانت من طين فإلى فخار أو من نحاس فإلى نحاس، وآلات الملبس والمسكن كثيرة ويندرج بعضها في بعض، **(فاضطر)** قطعاً **(إلى المخالطة)** مع الناس **(والاستعانة)** في أموره بهم.

وهذا البحث قد أورده صاحب الذريعة في الفصل السادس منه فقال: لما صعب على كل أحد أن يحصل لنفسه أدنى ما يحتاج إليه إلا بمعاونة عدة له فلقمة طعام لو عددنا عدد تحصيلها من الزرع والطحن والخبز وصناع آلاتها لصعب حصره، فلذلك احتاج الناس أن يجتمعوا فرقة متظاهرين ولأجل ذلك قيل الإنسان مدني بالطبع لا يمكنه التفرد عن الجماعة لعيشه، بل يفتقر بعضهم إلى بعض في مصالح الدين والدنيا، وعلى ذلك نبه عليه السلام بقوله: « المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وقوله: « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا تألم بعضه تداعى سائره » وقيل: الناس كجسد واحد متى عاون بعضه بعضاً استقل ومتى خذل بعضه بعضاً اختل اهـ.

(ومهما اختلط الناس) بعضهم ببعض على اختلاف مراتبهم **(وثارت)** أي هاجت

أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج، كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل، وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل، وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج، وعلم طريق اعتدال الاخلاط طب، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس في المعاملات والأفعال فقه. وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية، فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها شراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج. والمستغرق عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها تستحكم الخيوط التي تخرز بها الراوية للحج. ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكي طريق الحج أو ملابسي أركانه فتأمل هذا أولاً

(**شهواتهم**) التي جبلوا عليها (**تجاذبوا أسباب الشهوات**) وتعاوروها بمقتضى بشريتهم من ترفع وتكبر تحاسد، (**وتنازعوا**) لذلك وتخاصموا بل (**وتقاتلوا**) بالأسلحة (**وحصل من قتالهم**) مع بعضهم (**هلاكهم**) بزهاق الأرواح من الأجساد (**بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط**) الأربعة (**من داخل**) أي من داخل البدن، (**وبالطب**) أي بمعرفته (**يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل**) البدن، (**وبالسياسة والعدل**) أي بمعرفتها (**يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال الاخلاط**) وجريها على نهج الصحة (**طب**) اصطلاحاً، (**وعلم طريق اعتدال أحوال الناس**) بتباينها (**في المعاملات**) الدنيوية (**والأفعال**) الصادرة منهم (**فقه**) إذ به حراستهم عن الوقوع فيما لا ينبغي، (**وكل ذلك لحفظ البدن**) إما من داخل أو من خارج (**الذي هو مطية**) للوصول في السير، (**فالمتجرد**) بهمته (**لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه**) بالرياضات الشاقة (**ولم يصلح قلبه**) بإخلائه عما سوى الله تعالى (**كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها**) وما تحتاج إليه، (**وشراء الراوية وخرزها**) ودهنها (**إذا لم يسلك بادية الحج**) بنفسه، (**و**) مثل (**المستغرق عمره**) الباذل جهده (**في**) تحصيل (**دقائق الكلمات**) ونكاتها ومشكلاتها (**التي تجري في مجادلات الفقه**) ومباحثاته (**كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها تستحكم الخيوط**) والسيور (**التي**) بها (**تخرز**) أي تخاط (**راوية الحج ونسبة هؤلاء**) أي المشتغلين بالفقه (**من السالك لطريق إصلاح القلب**) بالرياضات الشرعية (**والواصل إلى علم المكاشفة**) في منتهى سيره (**كنسبة أولئك**) أي المشتغلين بشراء الناقة والراوية (**إلى سالكي طريق الحج أو ملابسي أركانه**). الأول: بالنسبة إلى اصلاح القلب، والثاني بالنسبة إلى علم المكاشفة، (**فتأمل**) بفكرك الصحيح (**هذا أولاً**) مع قطع النظر عن الحال التي درج عليها مشايخك ولا تقل ﴿إنا وجدنا آباءنا﴾ هكذا ﴿وإنا على آثارهم مقتدون﴾

واقبل النصيحة مجاناً ممن قام عليه ذلك غالباً ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجرأة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة، فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم.

(بيان وظائف المرشد المعلم) :

اعلم أن للإنسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال، إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسباً وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنياً عن السؤال، وحال

[الزخرف: ٢٣] **(واقبل النصيحة)** الخالصة **(مجاناً)** بلا عوض **(ممن)** أي من مرشد مخلص مجرب **(قام عليه)** أي على وجدانه. وفي نسخة: قامت عليه **(غالباً)** على نفسه **(ولم يصل إليه إلا بعد جهد شديد)** ومعاناة الأمور **(وجرأة تامة)** أي إقدام كامل **(على مباينة الخلق)** من **(الخاصة والعامة في النزوع)** أي الاقلاع **(من تقليدهم)** المحض **(بمجرد الشهوة)** النفسية، وهذا في زمانه والشريعة رطبة غضة والدين غاص بأركانه واعلامه، فما بالك في زماننا الآن والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(فهذا القدر) الذي حررناه **(كاف في وظائف المتعلم)** لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وقد ترك المصنف وظيفة أخرى من وظائف المتعلم ذكرها صاحب الذريعة وهي انـه يجب أن لا يخوض في فن حتى يتناول من الفن الذي قبله على الترتيب بلغته ويقضي منه حاجته فازدحام العلم في السمع مضلة الفهم وعلى هذا قال الله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ [البقرة: ١٢١]، أي لا يتجاوزون فناً حتى يحكموه علماً وعملاً، فيجب أن يقدم الأهم، فالأهم من غير إخلال في الترتيب وكثير من الناس منعوا الوصول لتركهم الأصول وحقه أن يكون قصده من كل علم يتحراه التبلغ به إلى ما فوقه حتى يبلغ النهاية، ثم شرع في بيان وظائف المعلم فقال:

(بيان وظائف المعلم المرشد) :

وفي بعض النسخ بتقديم المرشد على المعلم، وفي أخرى وبواو العطف وإنما وصفه بالمرشد لأن القصد من التعليم في الحقيقة هو الارشاد في سبيل الله تعالى، ومتى فارقه لم ينفعه وذهب نصبه مجاناً، وقد يكون المراد بالعلم لطريق الظاهر وبالمرشد لطريق الباطن وجمع بينهما ليعم جميع أنواع التعليم.

(اعلم أن للإنسان في علمه) إذا أراد تحصيله ونص الذريعة في استفادة العلم وإفادته **(أربعة أحوال)** لا يخلو منها، **(كما أن له في اقتناء الأموال)** وتحصيلها أربعة أحوال أيضاً **(إذ لصاحب المال حالة استفادة)** من أي وجه كان، **(فيكون)** بها **(مكتسباً و)** له أيضاً **(حال ادخار)** وجمع **(لما اكتسبه)** وحصله، **(فيكون به غنياً عن السؤال)** أي يحصل له

إنفاق على نفسه فيكون منتفعاً، وحال بـذل لغيره فيكون به سخياً متفضلاً وهو أشرف أحواله، فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب، وحال تحصيل يغني عن السؤال، وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به، وحال تبصير وهو أشرف الأحوال، فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيمًا في ملكوت السموات، فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها، وكالمسك الذي يطيب

بذلك حالة عفة عن التطلع إلى الغير، **(وحال انفاق على نفسه)** بصرفه فيما يحتاج إليه من مطعم ومشرب وملبس ومنكوح ومسكن ومركوب **(فيكون به منتفعاً)** قاصراً ذلك على نفسه. وفي معناه إذا أنفق على عياله فيما يحتاجون إليه لأنهم في الحقيقة بمنزلة نفس الإنسان **(وحال بذل لغيره)** من المستحقين وذوي الحاجات، ونص الذريعة وحال إفادته غيره **(فيكون به سخياً متفضلاً)** والسخاء إعطاء ما ينبغي لما ينبغي وتحته أنواع والتفضل هو التطوع زاد المصنف **(وهو أشرف أحواله)** وأكملها وأجلها التعدي نفعه إلى الغير قاله صاحب الذريعة، **(فكذلك العلم يقتنى)** ويجمع **(كالمال فله)** أي للعلم أربعة أحوال أيضاً **(حال طلب واكتساب)** من هنا ومن هنا، **(وحال تحصيل)** وادخار **(يغني عن السؤال)** والالتفات إلى الغير، **(وحال استبصار)** واستنارة **(وهو التفكر)** والتدبر **(في المحصل)** أي فيما حصله **(والتمتع)** أي الانتفاع **(به وحال تبصير)** لغيره وهو التعليم وهو بمنزلة انفاق المال للغير، **(وهو أشرف الأحوال)** وأكملها التعدي نفعه. أما شرف العلم فظاهر بما سبق، وأما شرف العمل فإن العلم إنما يراد له فإنه بمنزلة الدليل للسائر فإذا لم يسر خلف الدليل لم ينتفع بدلالته فنزل منزلته من لم يعلم شيئاً، كما ان من ملك ذهباً وفضة وجاع وعريَ ولم يشترِ منهما ما يأكل ويلبس فهو بمنزلة الفقير العادم كما قيل:

ومن ترك الانفاق عند احتياجه ... مخافة فقر فالذي فعل الفقر

فإذا ثبت للمرء العلم والعمل وهما شريفان، فالتعليم أشرف كما قال، وقد أشار إلى مقام التحصيل والتمتع والتبصير بقوله: **(فمن علم)** أي حصل العلم باكتسابه **(وعمل)** أي انتفع به بعد تحصيله **(وعلم)** أي انفقه على غيره **(فهو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماء)** وهذا قد تقدم للمصنف في باب فضيلة التعليم وعزاه إلى سيدنا عيسى عليه السلام، وذكرنا هنالك أن العراقي لم يخرجه ولم يشر إليه، وقد أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب في كتاب العلم من طريق عبد العزيز بن ظبيان قال: قال المسيح عيسى بن مريم: من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماء، **(فإنه كالشمس)** المنيرة **(تضيء لغيرها)** بأنوارها **(وهي مضيئة في نفسها)**. وقد كثر تشبيه العلماء العاملين المفيدين بالشمس وبالقمر في كلامهم وسياقاتهم نظماً ونثراً. **(وكالمسك)** أيضاً وهو طيب معروف، وقد ورد: أطيب الطيب المسك **(الذي يطيب)** غيره بمجرد المجاورة ولو لم يلامسه **(وهو طيب)** في نفسه، واقتصر في تشبيهه لهم بالشمس

غيره وهو طيب، والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم، وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع، والإبرة التي تكسو غيرها وهي عارية، وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كما قيل:

ما هو إلا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً، فليحفظ آدابه ووظائفه.

والمسك لكون كل منهما أشرف في جنسه وأعم نفعاً، فالشمس أشرف الأجرام العلوية ونفعها بيّن، والمسك أشرف الروائح الطيبة ومنافعه مشهورة، وأما تضرر بعضهم منه فلضعف المزاج. ونص الذريعة: ومن أصاب مالاً فانتفع به ونفع مستحقيه كان كالشمس تضيء غيرها وهي مضيئة، والمسك الذي يطيب وهو طيب وهذا أشرف المنازل ثم بعده من استفاد علماً فاستبصر به، **(والذي يعلم)** أي يحصّل العلم **(ولا يعمل به)** فإنه **(كالدفتر)** كجعفر. وحكي كسر الدال عن الفراء وحكاه كراع عن اللحياني وهو عربي صحيح. كما في المصباح فيلحق بنظائر درهم وهو جماعة الصحف المضمومة. وقال الجوهري: واحد الدفاتر وهي الكراريس، وفي القاموس جماعة الصحف المضمومة. وقال ابن دريد ولا يعرف له اشتقاق، وبعض العرب يقول: تفتر بالتاء على البدل، وقيل: هو جريدة الحساب، ونص الذريعة. فأما من أفاد غيره علمه ولم ينتفع هو به كالدفتر **(الذي يفيد غيره)** بالمطالعة فيه والاستفادة منه **(وهو خال عن العلم)** بنفسه. ونص الذريعة: يفيد غيره الحكمة وهو عادمها، ثم قال: وهو أيضاً **(مثل المسن)** بكسر الميم حجر معروف يسن عليه الحديد جمعه مسان **(الذي يشحذ)** أي يسن **(غيره)** من الحديد **(ولا يقطع)** بنفسه ولذلك قيل:

فما أنت إلا كشبه المسن يسن الحديد ولا يقطع

(و) هو أيضاً مثل: **(الابرة)** وهي المخيط **(التي تكسو غيرها)** بعملها **(وهي عارية)** دائماً. ونص الذريعة: وكالمغزل يكسو ولا يكتسي، ثم قال **(و)** هو أيضاً مثل **(ذبالة المصباح)** بالضم أي فتيلته وفي معناه ذبالة الشمع **(تضيء لغيرها)** بأنوارها **(وهي تحترق)** بنفسها من غير فائدة لها **(كما قيل)** في معناه: **(ما هي إلا ذبالة وقدت)**. وفي مختصر الأصل للمراغي:

صرت كأني ذبالة نصبت **(تضيء للناس وهي تحترق)**

وقد أخرج الطبراني في الكبير، وابن ماجه، والضياء المقدسي في المختارة من حديث جندب رضي الله عنه رفعه: « مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه ». وأخرج الطبراني أيضاً، والبزار عن أبي برزة الأسلمي بسند فيه ضعف « مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة التي تضيء للناس وتحرق نفسها ». وقد ترك المصنف قسماً ثالثاً ذكره صاحب الذريعة وهو: من استفاد علماً ولم ينتفع به هو ولا غيره فإنه كالنخل يشرع شوكاً لا يذود به عن حمله كف جار ولا منتهب. **(ومهما اشتغل بالتعليم)** بعد

(الوظيفة الأولى): الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه، **قال** رسول الله ﷺ: « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده » بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم

تهذيب نفسه بالعلم **(فقد تقلد أمراً عظيماً)** أي تحمل أمراً يعظم وقعه في النفوس **(وخطراً جسيماً)** الخطر بالتحريك في الأصل السبق يتراهن عليه، ثم استعير للشرف والمزية وقدر الرجل، ويقال: هو على خطر عظيم أي اشراف على الهلاك، والجمع الاخطار. **(فليحفظ آدابه)** اللازمة له **(و)** يستعمل **(وظائفه)** التي تذكر هنا.

(الوظيفة الأولى): من الوظائف السبعة **(الشفقة على المتعلمين)** بصرف الهمة إلى إزالة المكروه عنهم، **(وانه يجريهم مجرى بنيه)** في تلك الشفقة. **(قال ﷺ: « إنما أنا لكم مثل الوالد)** قال العراقي: أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ونص أبي داود في سننه في باب كراهة استقبال القبلة عند الحاجة حدثنا عبدالله بن محمد النفيلي، حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه » وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة. قال الحافظ المنذري في مختصره: وأخرجه أيضاً مسلم مختصراً والنسائي وابن ماجه تاماً اهـ.

قلت، قال السيوطي في جامعه أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان أي كلهم في الطهارة عن أبي هريرة. قال المناوي وفيه محمد بن عجلان وفيه كلام اهـ.

قلت: وفي ترتيب الكامل لابن عدي للحافظ أبي طاهر المقدسي رواه معدان بن عيسى، عن محمد بن عجلان، عن القعقاع عن أبي صالح، عن أبي هريرة. ومعدان هذا قال ابن عدي لا أعرفه حدث عن محمد بن عجلان بأحاديث الكبار، حدثنا عنه أبو عيسى الدارمي محمد بن غسان بن خالد، ولا أعلم حديث عنه غيره. وهذه أحاديث صفوان بن عيسى عن محمد فحدثنا بها أبو عيسى قال: حدثنا معدان ولم يتهيأ له أن يذكر صفوان بن عيسى، لأنه لم يلحق أيامه فقال معدان بن عيسى اهـ.

قال المناوي في شرح هذا الحديث: إنما أنا لكم أي لأجلكم بمنزلة الوالد في الشفقة والحنو لا في الرتبة والعلو، فعليّ تعليم ما لا بد منه فكما يعلم ولده الأب فأنا أعلمكم ما لكم وما عليكم. وقدم هذا إمام المقصود إعلاماً بأنه يجب عليه تعليمهم أمر دينهم، كما يلزم الوالد وايناساً للمخاطبين لئلا يحتشموا عن السؤال عما يعرض لهم ومما يستحيا منه اهـ.

وقوله: **(« لولده »)** ليس في سياق النسائي وابن حبان كذا قاله العراقي.

قلت: وكذا ليس في سياق أبي داود **(بأن يقصد انقاذهم)** أي تخليصهم **(من)** عذاب

من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية. ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة. أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا، فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه، وكما

(**نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الأبوين ولدهما من نار الدنيا**) أي من مشاقها، (**ولذلك صار حق المعلم**) لطريق الخير (**أعظم من حق الوالدين**) إذا تعارضا، (**فإن الولد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية**) وهما يضمحلان، (**والعلم سبب الحياة الباقية**) الأبدية. (**ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب**) وفي نسخة: من جهة الوالدين (**إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة**) والسبب الأكبر للانعام عليه بتلك الحياة والخلود في دار النعيم، فأبو الافادة أقوى من أبي الولادة وهو الذي أنقذه الله به من ظلمة الجهل إلى نور الإيمان. وقال ابن الحاج في المدخل: أمة النبي ﷺ في الحقيقة أولاده، لأنه السبب للانعام عليهم بالنعمة السرمدية، فحقه أعظم من حقوق الوالدين. قال عليه الصلاة والسلام: «ابدأ بنفسك» فقدم نفسه على غيره والله قدمه في كتابه على نفس كل مؤمن، ومعناه إذا تعارض حقان حق لنفسه وحق لنبيه فأكرمها وأوجبها حق النبي ﷺ، ثم يعجل حق نفسه تبعاً للحق الأول، وإذا تأملت الأمر في الشاهد وجدت نفع المصطفى ﷺ أعظم من نفع الآباء والأمهات وجميع الخلق، فإنه أنقذك وأنقذ آباءك من النار، وغاية أمر أبويك انهما أوجداك في الحس فكانا سبباً لإخراجك إلى دار التكليف والبلاء والمحن اهـ.

ويلحق به ﷺ كل معلم لطريقته على وجه الإرشاد والإصلاح والهداية، وبهذا التقرير يظهر لك سر كلام المصنف وبدؤه بحديث أبي هريرة، فتأمل ذلك ترشد. وعبارة الذريعة: حق المعلم أن يجري متعلميه مجرى بنيه، فإنه في الحقيقة لهم أشرف الأبوين، كما قال الاسكندر وقد سئل عن ذلك: أمعلمك أكرم عليك أم أبوك؟ فقال: معلمي لأنه سبب حياتي الباقية ووالدي سبب حياتي الفانية، وقد نبّه النبي ﷺ على ذلك بقوله: «إنما أنا لكم مثل الوالد» فحق معلم الفضيلة أن يقتدي بالنبي ﷺ إذ هو في ارشاد الناس خليفة ويشفق عليهم اشفاقه ويتحنن عليهم تحننه كما قال الله تعالى في وصفه عليه السلام: ﴿حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨] اهـ.

(**أعني**) بذلك (**معلم علوم الآخرة**) على وجه الإرشاد والتربية والتسليك على طريقته ﷺ وسلم إذا العلماء ورثة الأنبياء فهم من مقام إرشاد الأمة، (**أو**) معلم (**علوم الدنيا على قصد**) الوصول إلى ما ينفع في (**الآخرة لا على قصد**) الوصول إلى حصول أمور (**الدنيا، فأما التعليم**) والتعلم (**على قصد**) تحصيل حطام (**الدنيا**) والتمكن في زينتها والتفاخر بها في الملابس والمآكل والراكب (**فهو هلاك**) في نفسه (**وإهلاك**) لغيره. (**نعوذ بالله منه**) آمين،

أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها، فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد، ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصدهم الآخرة، ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا، فإن العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا، وسنوها وشهورها منازل الطريق، والترافق في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التواد والتحاب، فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى والترافق في طريقه؟ ولا ضيق في سعادة الآخرة، فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا، فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم، والعادلون إلى طلب الرئاسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] وداخلون في مقتضى قوله تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين﴾ [الزخرف: ٦٧].

(**وكما أن حق أبناء الرجل الواحد**) من الأب والأم (**أن يتحابوا**) بالألفة المعنوية (**ويتعاونوا على المقاصد**) غير متحاسدين، (**فحق تلامذة الرجل الواحد**) جمع تلميذ وهو المتعلم (**التحاب**) مع البعض والتواد، (**ولا يكون**) الحال (**إلا كذلك إن كان مقصودهم**) من اجتماعهم على الشيخ الإستفادة والإهتداء إلى طريق (**الآخرة ولا يكون إلا التحاسد والتباغض**) وقطع الاعراض والاعراض مع المفاخرة (**إن كان مقصدهم**) طلب (**الدنيا، فإن العلماء**) بالله تعالى (**وأبناء الآخرة مسافرون**) على مطايا هممهم (**إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق**) على تباين مراتبهم في سلوكهم قوة وضعفاً (**من الدنيا وسنوها**) جمع سنة (**وشهورها**) وجمعها (**منازل الطريق**) بمثابة منازل الحج المعلومة، (**والترافق في الطريق**) بمقتضى الرفيق قبل الطريق (**بين المسافرين**) سفراً ظاهرياً (**إلى الأمصار**) والقرى لأغراض معلومة (**سبب التواد والتحاب**) لأنه الذي يجمع كلمتهم ويضم شملهم. هذا حال السفر في منازل الدنيا، (**فكيف**) حال (**السفر**) المعنوي الذي يحتاج إلى اهتمام زائد إلى عالم البرزخ أولاً ثم إلى الجنة ثم (**إلى الفردوس الأعلى**) الذي هو أعلى منازلها، وقد ورد إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى، (**و**) انظر كيف يكون (**الترافق في طريقه**) والتعاون على الوصول إليه (**ولا ضيق في سعادات الآخرة**) لكونها إفاضات والمهيع واسع، (**فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع**) ولا تنافس، وكل وارد على ذلك المهيع على قدر اجتهاده (**ولا سعة في سعادات الدنيا**) لكونها مشوبة بالأكدار ممزوجة بركوب الأخطار، (**فلذلك لا ينفك**) أبداً (**عن ضيق التزاحم**) والتنافس والتوثب على البعض بموجب الشهوات النفسية على قلة وكثرة واختلاف مراتب حسب الدواعي، (**والعادلون**) أي المائلون (**إلى طلب الرئاسة**) والوجاهة ومتاع الدنيا الزائلة (**بالعلوم**) أي بتحصيلها (**خارجون عن موجب قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون اخوة**) فاصلحوا بين أخويكم﴾

(الوظيفة الثانية) : أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكراً، بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه، ولا يرى لنفسه منّة عليهم، وإن كانت المنة لازمة عليهم، بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها، كالذي يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة، فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب

[الحجرات: ١٠] قال السمين وفي الآية إشارة إلى الحق وتشاركهم في الصفة المقتضية لذلك. وقال ابن عرفة: الأخوة إذا كانت في غير الولادة كانت المشاركة والإجتماع في الفعل **(داخلون في مقتضى قوله تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾)** [الزخرف: ٦٧] والموجب المقتضي واحد إذ أن مقتضى النص ما لا يدل اللفظ عليه ولا يكون ملفوظاً، لكن يكون من ضرورة اللفظ أعم من أن يكون شرعياً أو عقلياً. ونص الذريعة: كما أن من حق أولاد الأب الواحد أن يتحابوا فيتعاضدوا ولا يتباغضوا، كذلك حق بني المعلم بل بني الدين الواحد أن يكونوا كذلك، فاخوة الفضيلة فوق أخوة الولادة، ولذلك قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون اخوة﴾ وقال تعالى: ﴿الأخلاَّء يوم بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين﴾ اهـ.

فهذا أصل العبارة. وزاد المصنف عليه كما ترى.

الوظيفة الثانية: من الوظائف السبعة **(أن يقتدي)** المعلم **(بصاحب الشرع صلوات الله عليه)** وسلامه في تبليغه وإفادته **(فلا يطلب على إفادة العلم أجراً)** أي عوضاً لما ورد في النهي عن أخذ الأجرة على التعليم أحاديث. منها ما أخرجه الحسين بن محمد التفليسي في كتاب الاعداد بسند فيه مجاهيل عن أنس رفعه « ألا أحدثكم عن أجر ثلاثة » فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: « أجر المعلمين والمؤذنين والأئمة حرام ». وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وسكت عليه الحافظ السيوطي. **(ولا يقصد به جزاء)** يصل إليه من قبل المتعلم وهذا أعم مما قبله **(ولا شكراً)** أي ثناء بلسانه في مقابلة تلك النعمة التي هي الإفادة. وقال الراغب: الجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وفيه إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾ [الإنسان: ٩] **(بل يعلم)** وقصده في تعليمه **(لوجه الله)** تعالى أي لذاته **(وطلبا)** لمرضاته وحسن مثوبته، و**(للتقرب إليه)** بهذه الوسيلة العظيمة **(ولا يرى لنفسه)** في نفسه **(منة عليهم)** يمتن بها، **(وإن كانت المنة لازمة عليهم)** لزوم الأطواق على الأعناق لأنه السبب الأكبر لهدايتهم إلى الحق، **(بل يرى الفضل)** والمنة **(لهم إذ هدفوا)** أي رموا **(قلوبهم)** إليه بكمال الإنقياد **(لأن تتقرب إلى الله)** تعالى **(بزراعة العلوم فيها)** أي في تلك القلوب المشبهة بالأراضي، وأراد بزراعة العلوم وضعها فيها كما توضع الحبة في الأرض **(كالذي يعيرك الأرض)** أي يعطيكها على سبيل العارية **(لتزرع فيها لنفسك)** والأرض له **(زراعة)** تنتفع بها. ولا ريب أن **(منفعتك بها)** أي بالقلوب بوضع

الأرض، فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى؟ ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلاَّ من الله تعالى، كما قال عز وجل: ﴿ويَا قَوم لاَ أسْأَلُكُمْ عَلَيْه مالاً إن أجْرِيَ إلاَّ عَلَى اللهِ﴾ [هود: ٢٩] فإن المال وما في الدنيا خادم البدن، والبدن مركب النفس ومطيتها، والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس. فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه، فجعل المخدوم خادماً والخادم مخدوماً، وذلك هو الانتكاس على أم الرأس، ومثله هو الذي يقوم في العرض

العلم فيها (**تزيد على منفعة صاحب الأرض**) التي أعارها لغيره، وشتان بينهما (**وكيف تقلد به**) أي بالتعليم (**منة**) تمنن بها (**وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله**) تعالى لما ورد في ذلك أحاديث تقوي بعضها؟ (**ولولا المتعلم**) وجلوسه بين يديك (**ما نلت هذا الثواب**) الموعود به. وفي الذريعة: وأي عالم لم يكن له من يفيده العلم صار كعقيم لا نسل له فيموت ذكره بموته، ومتى استفيد علمه كان في الدنيا موجوداً وإن فقد شخصه كما قال علي: العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة. وقال بعض الحكماء في قوله تعالى: ﴿هب لي من لدنك ولياً ★ يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ [مريم: ٥، ٦] إنه سأله نسلاً يرث علمه لا من يرث ماله، فاعراض الدنيا أهون عند الأنبياء أن يشفقوا عليها وكذا قوله تعالى: ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ [مريم: ٥] أي خفت أن لا يراعوا العلم، وعلى هذا قال عليه السلام: « العلماء ورثة الأنبياء » اهـ.

(**ولا تطلب الأجر إلا من الله**) تعالى فإنه الذي وعدك به وهو الذي يثيبك عليه. (**قال الله تعالى**) في كتابه العزيز: (**قل**) يا محمد (**لا أسألكم عليه**) أي على تبليغ الرسالة وأداء الأمانة (**أجراً**) [الشورى: ٢٣] أي عوضاً وفي الذريعة: ومن حق المعلم مع من يفيده العلم أن يقتدي بالنبي ﷺ فيما علمه الله تعالى حيث قال: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾ فلا يطمع في فائدة من جهة من يفيده علماً ثواباً لما يوليه اهـ.

(**فإن المال**) بأجناسه وأنواعه بل (**وما في الدنيا خادم البدن**) وتابعه في مصالحه، (**و**) قد تقدم أن (**البدن مركب النفس**) الروحاني (**ومطيته**) التي بها يبلغ إلى الوصول (**والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس**) وكماله، وقد ثبتت مخدومية العلم على المال وما في الدنيا بمرتبتين لأنه مخدوم النفس، والنفس مخدوم البدن، والبدن مخدوم المال، (**فمن طلب العلم بالمال**) فقد قلب الموضوع و(**كان كمن مسح أسفل مداسه ونعله**) عطف مرادف واختلف في ميم المداس فقيل زائدة وهو الأشبه، وقيل أصلية (**بمحاسنه**) هكذا في سائر النسخ، وفي بعضها. بوجهه وإليه يعود معنى المحاسن (**لينظفه**) عما تكون به، (**فجعل المخدوم**) الذي هو الوجه (**خادماً والخادم**) الذي هو النعل (**مخدوماً**) وفي الذريعة: ونبه أن من باع علماً بعرض دنيوي فقد صادم الله تعالى في ذلك إن الله تعالى جعل المال خادماً للمطاعم

الأكبر مع المجرمين ناكسي رؤوسهم عند ربهم. وعلى الجملة، فالفضل والمنة للمعلم، فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما؟ فإنهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف إليهم، ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حماراً له في حاجاته ومسخراً بين يديه في أوطاره، فإن قصر في

والملابس، وجعل المطاعم والملابس خادماً للبدن، وجعل البدن خادماً للنفس، وجعل النفس خادمة للعلم، والعلم مخدوم غير خادم، والمال خادم غير مخدوم، فمن جعل العلم ذريعة إلى اكتساب المال فقد جعل ما هو مخدوم غير خادم خادماً لما هو خادم غير مخدوم اهـ.

(**وذلك**) إذا تأملت (**هو الإنتكاس**) أي السقوط منكوساً (**على أم الرأس**) أي الدماغ (**ومثله**) أي الذي يفعل ذلك (**هو الذي يقوم**) يوم الحشر (**في العرض الأكبر مع المجرمين**) أي المذنبين حالة كونهم (**ناكسي رؤوسهم**) وهو إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم (**عند ربهم**) [السجدة: ١٢] قال السمين: أي مميلوها مطرقين بها ذلاً وخجلاً، وأصل النكس القلب وهو أن تجعل أعلى رجل الإنسان إلى فوق ورأسه إلى تحت، فبولغ في وصف المجرمين بذلك، ويجوز أن يكونوا كذلك حقيقة. (**وعلى الجملة**) مع قطع النظر عن التفصيل (**فالفضل**) الأوفى (**والمنة**) الكبرى (**للمعلم وانظر كيف انتهى أمر الذين يزعمون**) في أنفسهم (**أن مقصدهم التقرب إلى الله**) ورفع الدرجات (**بما هم فيه من علم الفقه والكلام**) بالإكباب على كل منهما باختلاف انظارهم (**والتدريس فيهما وفي غيرهما**) كالمنطق والمعاني والبيان، وربما تجد اشتغالهم بالكلام في بعض البلاد كالمغرب ومصر أكثر من اشتغالهم بالفقه وغيره، (**فإنهم يبذلون**) أي يصرفون (**المال**) بأنواعه (**والجاه ويتحملون أصناف الذل**) والترمي على الأبواب (**في خدمة السلاطين**) وفي معنى ذلك الأمراء ومن دونهم من ذوي الجاه (**لاستطلاق الجرايات**) لخلوصها على إسمه طلقاً من غير مشاركة والجراية بالكسر ما يجري من الرواتب المعلومة على الإنسان من نقد وغلة وغير ذلك، (**ولو تركوا ذلك**) أي الدخول إلى بيوت الأمراء (**لتركوا**) أي تركهم الناس (**ولم يختلف إليهم**) كما هو مشاهد، (**ثم**) من البلايا الموقعة في الهلاك أن (**يتوقع المعلم**) أي يرجو الوقوع (**من المتعلم أن يقوم له**) ومعه (**في كل نائبة**) أي واقعة شديدة وقعت له دنيوية (**وينصر**) فيها (**وليه**) الذي يواليه ولو على غير الحق، (**ويعادي**) فيها (**عدوّه**) ولو على الحق، (**و**) يطلب منه في حالاته كلها أن (**ينتهض**) أي يقوم (**حماراً له**) أي بمنزلة الحمار (**في**) التردد إلى (**حاجاته**) الواقعة (**ومسخراً**) أي مذللاً (**بين يديه في أوطاره**) وسائر شؤونه، (**فإن قصر منه**) وفي بعض النسخ فيه ولو في حاجة واحدة (**ثار عليه**) أي قام عليه منكراً ومشدداً

حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه، فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحـي من أن يقول: غرضي من التدريس نشر العلم تقرباً إلى الله تعالى ونصرة لدينه؛ فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاغترارات.

(الوظيفة الثالثة): أن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً، وذلـك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرئاسة والمباهاة والمنافسة، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده،

ومفشيا عيوبه في المجالس **(وصـار)** بـذلـك **(مـن أعـدى أعـدائـه)** أي أكبر مبغضيـه، **(فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة)** الخسيسة ويطمئن إليها **(ثم يفرح بها)** مفتخراً على أقرانه **(ثم لا يستحي)** من الله ورسوله **(من أن يقول)** مصرحاً: إنما **(غرضي من التدريس)** والتعليم **(نشر العلم)** وإفادته **(تقرباً إلى الله تعالى ونصرة لدينه)** وطلباً لمرضاته، **(فانظر)** أيها المتأمل **(إلى الأمارات)** الدالة على قبح سيرتهم وفساد النيات **(كيف ترى)** فيها **(صنوف الإغترارات)** الشيطانية المهلكات أعاذنا الله منها.

(الوظيفة الثالثة: أن لا يدخر) أي لا يبقى المعلم **(من نصح المتعلم شيئاً)** ما والتنكير للتقليل، **(وذلك بأن يمنعه من التصدي)** أي التعرض **(لرتبة قبل إستحقاقها)** أي قبل الإستئهال لها كالتدريس مثلاً لما في الحديث: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». **(والتشاغل بعلم)** من العلوم **(خفي)** المدرك بعيد الغور **(قبل الفراغ من)** العلم **(الجلي)** وتحصيله، وذلك كأن يتشاغل بمعرفة دقائق أسرار الشريعة قبل تكميل ظواهرها، وكذلك التعرض لأسرار الحقيقة لمن لم يتهذب في ظاهر العلوم، وهذا ضرر كبير فسد به جلة من الطـالبين ومنعوا عن الوصول إلى المطلوب، وهذا الذي يقال فيه: ظفر ظفرة النظام وتزبب قبل أن يتحصرم، **(ثم)** على المعلم **(أن ينبهه)** مرة بعد مرة **(على أن مطلب العلوم)** والمقصد من تحصيلها إنما هو **(القرب من الله)** تعالى والوصول إليه **(دون الرئاسة)** الظاهرية **(والمباهاة)** والمفاخرة **(والمنافسة)** مع الاقران في مجالس الأمراء والكبار ليقال: إنـه عـالم وإنـه مبرَّز وإنـه فارس الميدان، **(ويقدم تقبيح ذلك في نفسه)** أي المتعلم **(بأقصى ما يمكن)** ونهاية ما يستطيع بلطف تدبير وحسن احتيال في إيصال ذلك إلى ذهنه إذ النفوس بجبلتها مائلة إلى الرئاسة ومشغوفة بتحصيل الشهرة، فلا يمكن إخراج ذلك منه إلا بما ذكرنا وهذا هو عين الإرشاد، **(فليس ما يصلح العالم الفاجر)** وهو الشاق ستر الديانة أو الذي يباشر الأمور على خلاف الشرع والمروءة **(بأكثر مما يفسده)** لأن طلب الرئاسة هلاك في نفسه، وصاحبها إذا صلح على يده غيره فهو نادر بالنسبة إلى ما يترتب على فساده وإفساده من التداعي إلى الدنيا والجاه ظاهراً أوإلى تركها ظاهراً وحبها باطناً وكلاهما مهلكان، وقد تقدم شيء من ذلك في كلام المصنف في

فإن علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه، فإن كان هو علم الخلاف في الفقه، والجدل في الكلام، والفتاوى في الخصومات والأحكام، فيمنعه من ذلك، فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها: «تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله» وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث. وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها، فإذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه، فإنه يتشمر له طمعاً في الوعظ والاستتباع، ولكن قد يتنبه في أثناء الأمر أو آخره إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة، وذلك يوشك أن يؤدي إلى الصواب في الآخرة حتى

أثناء آفات المناظرة. وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة وهيب بن المورز المكي بسنده إليه قال: بلغنا أن العلماء [١] ثلاثة. فعالم يتعلمه لنفد به عند التجار وعالم يتعلمه لنفسه لا يريد به إلا أنه خاف ان يعمل بغير علم فيكون ما يفسد أكثر مما يصلح، (**فإن علم**) المعلم (**من باطنه**) أي المتعلم (**أنه لا يطلب العلم**) ويشتغل به عليه (**إلا للدنيا**) أي تحصيلها وفي معناه طلب الرئاسة والجاه فإن عليهما مدار حصول الدنيا (**نظر**) المعلم (**إلى العلم الذي يطلبه**) ويشتغل به، (**فإن كان هو علم الخلاف في الفقه**) أي علم خلاف فقهاء الأمصار أو فقهاء المذهب خاصة، وهو علم الفروع (**و**) علم (**الجدل في الكلام**) الذي يتوصل بمعرفته إلى معرفة مذاهب الموافق والمخالف والردود على الفرق الضالة التي أفسدت عقائدها، (**و**) علم (**الفتاوى في الخصومات**) الحاصلة بين الناس، (**و**) معرفة (**الأحكام**) المتعلقة بذلك، (**فيمنعه من ذلك**) باللطف والتدريج، (**فإن هذه العلوم**) التي ذكرت (**ليست من العلوم التي قيل فيها**) فيما سلف (**«تعلمنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله»**). وقد تقدم هذا القول في كلام المصنف، وذكرنا ما يتعلق به، (**وإنما ذلك**) العلم (**علم التفسير وعلم الحديث**) ومتعلقاتها (**وما كان الأولون**) من السلف (**يشتغلون به**) من العلوم النافعة (**وعلم**) معرفة (**الآخرة**) وأحكامها (**و**) علم (**معرفة أخلاق النفس**) ممدوحها ومذمومها (**وكيفية تهذيبها**) بالرياضات الشرعية، (**فإذا تعلمه الطالب**) واشتغل به (**و**) لكن (**قصده**) حصول متاع (**الدنيا فلا بأس أن يتركه**) وفي نسخة: أن يترك أي على قصده، (**فإنه يتشمر له**) أي يتهيأ لتحصيله (**طمعاً في الوعظ**) أي يكون واعظاً (**والإستتباع**) أي طلب تبع الناس له، (**ولكن قد يتنبه**) من غير قصد منه (**في أثناء الأمر**) وتضاعيفه (**أو آخره**) على اختلاف نيته (**إذ فيه العلوم المخوفة**) أي في مجموع ما ذكر علوم تورث الخوف والخشية من الله (**المحقرة للدنيا**) ومتاعها (**المعظمة للآخرة**) وما أعد الله فيها، (**وذلك يوشك**) بكسر الشين وفتحها لغة ضعيفة أي يقرب (**أن يرد**) وفي نسخة: يؤدي (**إلى الصواب في**

---

(١) قوله ثلاثة هكذا في النسخ بإسقاط الثاني ولينظر ما هو اهـ مصححه.

يتعظ بما يعظ به غيره، ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير، وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل، وخلق أيضاً حب الجاه ليكون سبباً لاحياء العلوم، وهذا متوقع في هذه العلوم، فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة، فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها إلا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتمادياً في الضلال وطلباً للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية، ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة، فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان. وقد رؤي سفيان الثوري رحمه الله حزيناً فقيل له:

الآخرة) وفي نسخة: بالآخرة **(حتى يتعظ)** بنفسه **(بما يعظه به غيره)** عملا بما يعلم غيره، **(ويجري)** بذلك **(حب القبول)** في الخلق **(والجاه)** عندهم **(كالحب الذي ينثر)** ويرمى **(حوالي الفخ)** الذي ينصب **(ليقتنص به الطير)** أي يصطاد، **(وقد فعل الله)** عز وجل **(ذلك بعباده)** حكمة بالغة **(إذ خلق الشهوة)** في أصل التركيب وأودعها فيه **(ليصل الخلق بها)** وفي نسخة: به وهو خلاف الظاهر **(إلى بقاء)** نظام العالم بوجود **(النسل)** والذرية، **(وخلق أيضاً حب الجاه)** والقبول وركزها في بعض النفوس **(ليكون سبباً لإحياء العلوم)**، ولولا ذلك لاندرست، وهذه العبارة منتزعة من سياق القوت ولفظه، وقال الحسن رحمه الله: يتعلم هذا العلم قوم لا نصيب لهم منه في الآخرة يحفظ الله بهم العلم على الأمة لئلا يضيع. وقال المأمون: لولا ثلاث لخربت الدنيا. لولا الشهوة لانقطع النسل، ولولا حب الجمع لبطلت المعايش، ولولا طلب الرئاسة لذهب العلم اهـ.

(وهذا متوقع) ومرجو **(في هذه العلوم)** التي ذكرت، **(فأما)** معرفة **(الخلاف المحض ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة)** من المسائل الفقهية الفرعية **(فلا يزيد التجرد لها)** والإهتمام بها **(مع الإعراض)** الكلي **(عن غيرها إلا قسوة في القلب)** وظلمة **(وغفلة عن الله)** تعالى، لأن هذه العلوم لا تكاد أن يوجد فيها ذكر الله ورسوله ﷺ ما عدا الخطب **(وتمادياً في الضلال وطلب الجاه)** وتطاولاً فيها **(إلا من تداركه الله تعالى برحمته)** فعصمه من الغفلة والقسوة **(أو مزج به غيره من العلوم الدينية)** غير متفرد عليه، **(ولا برهان على هذا)** أي الذي ذكرت **(كالتجربة)** في نفسه **(والمشاهدة)** في علماء عصره وأقرانه. **(فانظر يا أخي واعتبر)** بفكرك **(واستبصر)** بعين قلبك **(لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد)** مع اختلافهم وتباينها **(والله المستعان)** وعليه التكلان.

(وقد رؤي) الإمام الزاهد الورع **(سفيان)** بن سعيد بن مسروق **(الثوري)** رحمه الله تعالى **(حزيناً)** أي مغموماً **(فقيل)** أي: قال له بعض أصحابه: **(مالك)** أي لأي شيء أراك

ما لك؟ فقال: صرنا متجراً لأبناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاضياً أو عاملاً أو قهرماناً.

(الوظيفة الرابعة): وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على

محزوناً؟ **(فقال: صرنا متجراً لأبناء الدنيا فيلزمنا أحدهم)** في طلب علم الحديث، **(حتى إذا تعلم)** رغب إلى الدنيا ورغب إليه الناس، فإما **(جعل عاملاً)** على الخراج السلطاني **(أو قاضياً)** يقضي بالأحكام **(أو قهرماناً)** يلي أمور السلطان. أخرجه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في مناقب سفيان بالسند، وهي في حلية الأولياء لأبي نعيم الحافظ في ترجمته، وأوردها كذلك صاحب القوت، وعنه أخذ المصنف ولفظه. قال بعض أصحاب الحديث: رأيت سفيان الثوري حزيناً فسألته، فقال وهو مبرم: ما صرنا إلا متجراً لأبناء الدنيا، فقلت: وكيف؟ قال: يلزمنا أحدهم حتى إذا عرف بنا وحمل عنا جعل عاملاً أو جابياً أو قهرماناً.

(الوظيفة الرابعة): من وظائف المعلم **(وهي من دقائق صناعة التعليم)** تستدعي المحافظة عليها **(وهي أن يزجر المتعلم)** وينهاه **(عن)** ارتكاب **(سوء الأخلاق)** لكن **(بطريق التعريض ما أمكن)** بأن يفهمه مراده بكناية **(ولا يصرح و)** يورد زجره **(بطريق الرحمة)** والشفقة عليه **(لا بطريق التوبيخ)** وهو اللوم والتقريع الشديد العنيف، **(فإن التصريح)** باللوم **(يهتك حجاب الهيبة)** خصوصاً إذا كان على ملأ من الناس، **(و)** ربما **(يورث الجرأة)** والإقدام **(على الهجوم بالخلاف)** على مقتضى الجبلة البشرية المنطوية على الكبر، **(و)** ذلك **(يهيج الحرص)** ويثيره **(على الإصرار)** والبقاء على ما لم عليه. ونص الذريعة: وحق المعلم أن يصرف من يريد إرشاده عن الرذيلة إلى الفضيلة بلطف في المقال وتعريض في الخطاب، فالتعريض أبلغ من التصريح لوجوه.

أحدها: أن النفس الفاضلة لميلها إلى استنباط المعنى تميل إلى التعريض شغفاً باستخراج معناه بالفكر، ولذلك قيل: رب تعريض أبلغ من تصريح.

الثاني: أن التعريض لا تنهتك به سجف الهيبة ولا يرتفع ستر الحشمة.

الثالث: أن ليس للتصريح إلا وجه واحد وللتعريض وجوه، فمن هذا الوجه يكون أبلغ.

الرابع: للتعريض عبارات مختلفة فيمكن إيراده على وجوه مختلفة، ولا يمكن إيراد التصريح إلا على وجه واحد إذ ليس له إلا عبارة واحدة.

والخامس: أن صريح النهي داع إلى الإعتداء، ولذلك اللوم إغراء قال الشاعر:

دع اللوم إن اللوم يغري وإنما ‎ ‎ ‎ ‎ أراد صلاحاً من يلوم فافسدا

الاصرار إذ قال ﷺ وهو مرشد كل معلم: « لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء » وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه، فما ذكرت القصة معك لتكون سمراً بل لتتنبه بها على سبيل العبرة، ولأن التعريض أيضاً يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه، فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته.

(**قال رسول الله ﷺ وهو مرشد لكل معلم**) إذ به عرف طريق التعليم والإرشاد بنصحه لأمته وشفقته عليهم: (**« لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا نهينا عنه إلا وفيه شيء »**) ونص الذريعة: لو نهي الناس والباقي سواء. قال العراقي: لم أجده إلا من حديث الحسن مرسلاً وهو ضعيف. رواه ابن شاهين اهـ.

قلت: ووجدت بخط الداودي ما نصه: ولفظ ابن شاهين: « لو منع الناس فت الشوك لقالوا فيه الند ». وفي المعنى حديث أبي حجيفة: « لو نهيتم أن تأتوا الحجون لأتيتموها » الحديث اهـ.

قلت: للسيوطي في الجامع الكبير « لو نهيت رجالاً أن يأتوا الحجون لأتوها وما لهم بها حاجة ». أخرجه أبو نعيم عن عبدة بن حرب اهـ.

قلت: رواه الطبراني من رواية أبي إسحاق عن أبي حجيفة قال: كان رسول الله ﷺ قاعداً ذات يوم وقدامه قوم يصنعون شيئاً يكرهونه من كلامهم ولغطاً، فقيل يا رسول الله: ألا تنهاهم؟ فقال: « لو نهيتهم عن الحجون لأوشك أحدهم أن يأتيه وليست له حاجة ». قال العراقي: ورجاله ثقات إلا أنه اختلف فيه على الأعمش، فقيل عنه عن أبي إسحاق هكذا، وقيل عن أبي إسحاق وعن عبدة السوائي. ورواه الطبراني أيضاً وعبدة السوائي مختلف في صحبته. (**وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه**) بقوله تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ [البقرة: ٣٥] وقول الشيطان: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ [الأعراف: ٢٠] ومن هذه القصة يؤخذ حديث الحسن، ونص الذريعة: وكفى بذلك شهادة ما كان من أمر آدم وحواء في نهي الله تعالى إياهما عن أكل الشجرة اهـ.

(**فما ذكرت القصة معك لتكون سمراً**) أي يحكى بها في المسامرة، (**بل لتتنبه بها على سبيل العبرة**) أي الإعتبار. وفي الذريعة: سئل بعض الحكماء عن الفكرة والعبرة. فقال: الفكرة أن تجعل الغائب حاضراً والعبرة أن تجعل الحاضر غائباً، (**ولأن التعريض**) أي إفهامه المراد بالكناية (**أيضاً يميل النفوس الفاضلة**) هي المهذبة بالآداب الشرعية المجملة بالإفاضات الرحمانية (**والأذهان الذكية**) هي المصقلة بالأنوار المحفوفة بالأسرار (**إلى استنباط**) أي استخراج (**معانيه**) واستكشاف غوامضه المبهمة (**فيفيد فرح التفطن لمعناه**) والسرور بذلك أبداً (**رغبة في العمل به**) أي بمقتضاه (**ليعلم أن ذلك مما لا يعزب**) أي لا يغيب (**عن

(الوظيفة الخامسة) : إن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير ، وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول: ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن ؟ فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره ، وإن كان متكفلاً بعلوم ، فينبغي أن يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة .

فطنته) الوقادة وقريحته المستجادة، وهذا الذي ذكره المصنف أحد وجوه أبلغيه التعريض على التصريح كما تقدم نقلاً عن الذريعة، وهذا كما قاله المصنف من دقائق هذه الصناعة والله الموفق للصواب.

الوظيفة الخامسة: من وظائف المعلم **(أن يعلم)** المعلم **(أن المتكفل)** أي الحامل والمشتغل **(ببعض العلوم)** أي بتحصيلها وإحاطتها بالمعرفة الصحيحة **(لا ينبغي أن يقبح في نفس المتعلم)** أي يرى قبيحاً مذموماً **(العلوم التي وراءه)** أي ما عداه **(كمعلم)** علم **(اللغة)** والمشتغل به **(إذ عادته تقبيح)** علم **(الفقه)** والازدراء بحال مشتغله، **(ومعلم)** علم **(الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير)** مع أنهما مأخذاه **(و)** يقول في أثناء ذلك: **(إن ذلك نقل محض)** . قال مالك، قال الشافعي، قال أبو حنيفة **(وسماع)** فلان عن فلان **(وهو شأن العجائز)** أين النسوة العاجزات عن كثير من الأمور **(و)** أن **(لا نظر)** ولا مجال **(للعقل فيه)** فالمشتغل بها معقول بعقال النقل لا يتجاوزه، **(ومعلم)** علم **(الكلام)** والجدل **(ينفر عن)** الإشتغال في **(الفقه)** وينهاه **(ويقول: ذلك فرع)** والكلام أصل والإشتغال بالأصل أولى من الفرع، **(و)** يقول أيضاً هو مع كونه فرعاً **(كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن)** جل جلاله، وما يجب في حقه وما يستحيل، ثم أن تقبيح تلك الطوائف بعضهم بعضاً إنما يخرج مخرج الغالب، وقد يوفق الله من يتكلف ببعض العلوم ثم يعلي شأن علوم أخر ليس له بها اشتغال ولا ميل. **(فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين)** لا يكون المتصف بها مرشداً في الحقيقة، **(وينبغي أن يجتنب)** تلك الأخلاق حتى يكون تعليمه على الحق الرضي والنهج العدل السوي، **(بل المتكفل بعلم واحد)** أي علم كان **(ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعليم في غيره)** بأن يريه من يتعلم عليه، **(وإن كان)** بنفسه **(متكفلاً بعلوم)** كثيرة **(ينبغي أن يراعي التدريج)** والترتيب **(في ترقية المتعلم)** وتكميله **(من رتبه إلى رتبة)** فازدحام العلم في السمع مضلة الفهم ووجد هنا في بعض النسخ زيادة قوله **(والله أعلم)** أتى به للتبرك.

(الوظيفة السادسة) : أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره، أو يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر ﷺ حيث قال: « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم ». فليبث إليه

الوظيفة السادسة: من وظائف المعلم **(أن يقتصر)** المعلم **(بالمتعلم على قدر فهمه)** وذلك هو الجلي اللائق بحاله من تقريراته، **(فلا يلقي عليه ما لا يبلغه عقله)** ولا ينتهي إليه ولا يسعه لصعوبته ودقته **(فينفره)** فيكون ذلك سبباً لقطعه عن طريق العلم، **(أو يخبط عليه عقله)** فيقع في مقام الحيرة والذهول **(اقتداء في ذلك)** وإتباعاً **(بسيد البشر ﷺ حيث قال: « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازهم ونكلم الناس على قدر عقولهم »)** قال العراقي: رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث ابن عمر أخصر منه. وعند أبي داود من حديث عائشة « انزلوا الناس منازلهم » اهـ.

فهما حديثان مقلان أوردهما المصنف في سياق واحد، وربما يوهم أنهما حديث واحد. وربما يوهم أنهما حديث واحد. قال الحافظ السخاوي في كتابه **(الجواهر والدرر في مناقب شيخه الحافظ ابن حجر)** بعد أن ساق لفظ المصنف ما لفظه ما وقفت عليه بهذا اللفظ في حديث واحد، بل الشق الأول في حديث عائشة كما سيأتي بيانه، والثاني رويناه في الجزء الثاني من حديث ابن الشخير من حديث ابن عمر مرفوعاً « أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس عى قدر عقولهم » اهـ.

أما حديث عائشة ففي الحلية لأبي نعيم من طريق ابن هشام الرفاعي، وفي جزء لأبي سعد الكنجرودي من طريق إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قالا: واللفظ لابن الشهيد يحي ابن يمان. عن الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب قال: جاء سائل إلى عائشة رضي الله عنها فأمرت له بكسرة، وجاء رجل ذو هيبة فاقعدته معها، فقيل لها: لم فعلت ذلك؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم. قال الحافظ السخاوي: هذا حديث حسن أورده مسلم في مقدمة صحيحه بلا إسناد حيث قال: ويذكر عن عائشة الخ. فقال النووي نقلاً عن ابن الصلاح ما معناه: إن ذلك لا يقتضي الحكم له بالصحة نظراً لعدم الجزم في إيراده ويقتضيه نظراً لاحتجاجه بروايته لا يراده إيراد الأصول والشواهد اهـ.

قال السخاوي: لكن قد جزم الحاكم بتصحيحه في النوع السادس عشر من معرفة علوم الحديث له فقال: صحت الرواية عن عائشة وساقها بلا إسناد، وكذا صححه ابن خزيمة حيث أخرجه في كتاب السياسة من صحيحه، وكذا أخرجه البزار في مسنده كلاهما عن إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد. وأخرجه أبو داود في الأدب من سننه عن علي بن إسماعيل وابن أبي خلف ثلاثتهم عن ابن يمان به، ثم قال أبو داود: وميمون لم يدرك عائشة. وأخرجه أبو أحمد العسكري في كتاب الأمثال له عن عبد الوهاب بن عيسى وصالح بن أحمد فرقهما كلاهما عن

الحقيقة إذا علم انه يستقل بفهمها. وقال ﷺ: «ما أحد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم». وقال علي رضي الله عنه، وأشار إلى صدره: «إن ههنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حملة» وصدق رضي الله عنه، فقلوب الابرار قبور

محمد بن يزيد الرفاعي هو أبو هشام. ورواه أبو يعلى في مسنده عن أبي هشام. ورواه البيهقي في الأدب من طريق أبي هريرة محمد بن أيوب الجبلي، عن يحي بن يمان بالمتن فقط.

قلت: ومن طريق أبي هريرة هذا أخرجه أبو نعيم في الحلية بسياق يأتي للمصنف نظيره في أثناء الكتاب يذكر هناك إن شاء الله تعالى. وقال البزار عقب تخريجه لهذا الحديث: ويروى عن عائشة من غير هذا الوجه موقوفاً. قال السخاوي: ويشير إلى ما رواه أبو أسامة بن زيد، عن عمر بن مخراق عن عائشة، لكن قد أخرجه الخطيب في المتفق والمفترق والجامع كلاهما له، والبيهقي في الشعب والطبراني كلهم من طريق أحمد بن راشد البجلي الكوفي، والبيهقي والطبراني أيضاً من طريق محمد بن عمار الموصلي، والبيهقي وحده من طريق مسروق بن المرزبان ثلاثتهم عن يحي بن يمان، عن الثوري، عن أسامة مرفوعاً. وقال الإمام أحمد: إن رواية عمر عن عائشة مرسلة، وكذا قال البيهقي في الشعب. وقال السخاوي عمر بن مخراق عن رجل عن عائشة مرسل روى عنه أسامة. وقال البيهقي في الأدب: وكان يحي رواه على الوجهين جميعاً.

قال السخاوي: وفي الباب عن معاذ وجابر رضي الله عنهما. فأما الأول فرواه الخرائطي في مكارم الأخلاق له من رواية عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ رضي الله عنه رفعه: «أنزل الناس منازلهم من الخير والشر وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة» ولا يصح إسناده.

وأما الثاني، فرويناه في جزء الفسوي بسند ضعيف ولفظه: «جالسوا الناس على قدر أحسابهم، وخالطوا الناس على قدر أديانهم، وأنزلوا الناس على قدر منازلهم، وداروا الناس بعقولكم». وفي مسند الفردوس من حديث جابر «أنزلوا الناس على قدر مروءاتهم» (**فليبث**) أي يظهر (**إليه**) أي المتعلم (**الحقيقة إذا علم أنه يستقل فهمه لها**) أي يتحمله فهمه لمعرفتها.
(**قال ﷺ: «ما أحد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم»**)
قد تقدم هذا الحديث عند ذكر الصنف الثاني من الشطح. وقال العراقي: هناك ما لفظه: أخرجه العقيلي في الضعفاء، وابن السني، وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث ابن عباس باسناد ضعيف، ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفاً على ابن مسعود نحوه.

قلت: لفظ الحديث الذي تقدم في الباب الثالث «ما حدث أحدكم قوماً بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم» ولفظ حديث ابن عباس «ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة» (**وقال علي كرم الله وجهه**) في حديث طويل يأتي ذكره قريباً، ثم تنفس الصعداء (**وأشار إلى صدره**) الشريف وقال: هاه (**إن ههنا علوماً جمة**) أي كثيرة.

الأسرار، فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلم إلى كل أحد. هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلاً للانتفاع به. فكيف فيما لا يفهمه؟ وقال عيسى عليه السلام: «لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير، فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير». ولذلك قيل: كلْ لكل عبد بمعيار عقله وزِنْ له بميزان فهمه حتى تسلم

ونص القوت: علماً جماً (**لو وجدت لها حملة**) ونص القوت: لو أجد لها حملة أي من يحملها ويفهمها ويعمل بها، وهذا في زمانه مع كثرة العارفين ووفرة أنوارهم وإخلاصهم، ثم قال رضي الله عنه: بل أجد لَقِناً غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا، ويستطيل بنعم الله تعالى على أوليائه، ويستظهر بحججه على خلقه أو منقاداً لأهل الحق منزوع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له وليسا من وعاة الدين في شيء لا ذا ولا ذلك إلى آخر ما قال. (**وصدق عليه السلام**) في قوله هذا، (**فقلوب الأبرار قبور الأسرار**). وهذه الجملة رويت كذلك من جملة كلماته البديعة أي أن الأسرار المكتومة التي أفاض الله بها على قلوب عبيده الأبرار والمتقين الأخيار قد قبرت ودفنت في تلك الصدور لعدم حامليها، فدثرت لذلك من غير إفشائها، (**فلا ينبغي أن يفشي**) أي يظهر (**العالم كل ما يعلمه**) من معلوماته الى كل أحد. هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلاً للانتفاع به، فكيف (**فيما لا يفهمه**) هكذا في النسخ وفي بعضها: هذا إذا كان من يفهمه من المستقلين، ولم يكن أهلاً للانتفاع به، والباقي سواء وهو قريب من الأول وهذا الذي أورده المصنف منتزع من سياق عبارة القوت فإنه قال بعدما أورد من انقباض شيخه أبي الحسن بن سالم من الاجتماع ما لفظه: وقد كان أبو الحسن رحمه الله تعالى يخرج إلى أخوانه ممن يراه أهلاً لمكان علمه فيجلس إليهم ويذاكرهم، وربما أدخلهم إليه نهاراً أو ليلاً، ولعمري أن المذاكرة تكون بين النظراء والمحادثة مع الاخوان والجلوس للعلم يكون للأصحاب، والجواب عن المسائل نصيب العموم وكان عند أهل هـذا العلم أن علمهم مخصوص لا يصلح إلا للخصوص والخصوص قليل فلم يكونوا ينطقون به إلا عند أهله، ويرون أن ذلك من حقه وأنه واجب عليه كما وصفهم علي رضي الله عنه في قوله: حتى يودعوه أمثالهم ويزرعوه في قلوب أشكالهم، وكذلك جاءت الآثار بذلك عن نبينا ﷺ. (**وقال عيسى**) ونص القوت: وفي حديث عيسى (**عليه السلام: «لا تعلقوا الجواهر**) ونص القوت: الجوهر (**في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير»**)، ونص القوت: من الخنزير، وهكذا هو في نسخة أيضاً.

وأخرج الخطيب عن كعب قال: اطلبوا العلم لله وتواضعوا له ثم ضعوه في أهله، فإنه قال بعض الأنبياء: لا تلقوا دركم في أفواه الخنازير يريعني بالدر العلم، كذا في اللآلئ المصنوعة للسيوطي، وأورد صاحب القوت هنا قولاً آخر لسيدنا عيسى عليه السلام وهو: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها الخ. قد تقدم ذكره للمصنف عند الصنف الثاني من الشطح مع ذكر أحاديث أخر مناسبة للمقام. وذكر صاحب القوت عن أبي عمران المكي أنه رأى النبي

منه وينتفع بك، وإلاَّ وقع الإنكار لتفاوت المعيار، وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل: أما سمعت رسول الله ﷺ قال: «من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار»؟ فقال: اترك اللجام واذهب، فإن جاء من يفقه وكتمته فليلجمني فقد قال الله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ [النساء: ٥] تنبيهاً على أن حفظ العلم

ﷺ في المنام فسمعه يقول: «إن لكل شيء عند الله حرمة ومن أعظم الأشياء حرمة الحكمة فمن وضعها في غير أهلها طالبه الله بحقها ومن طالبه خصمه». وقد سبق شيء من ذلك وذكر أيضاً بعد نقله قول سيدنا عيسى المتقدم ذكره ما لفظه. وكان بعض هذه الطائفة يقول نصف هذا العلم سكوت ونصفه تدري أين تصنع. وقد قال بعض العارفين: من كلم الناس مبلغ علمه وبمقدار عقله ولم يخاطبهم بمقدار حدودهم فقد بخسهم حقهم ولم يقض بحق الله تعالى فيهم، ثم إن المراد بالجوهر في قول سيدنا عيسى عليه السلام علم الباطن، وقد أخرج الخطيب في تاريخه من طريق يحي بن عقبة بن أبي الغرار، عن محمد بن جحادة، عن أنس رفعه: «لا تعلقوا الدر في أعناق الخنازير» وفي لفظ «لا تطرحوا الدر في أفواه الكلاب» يعني العلم ويحي ضعيف. وله متابع عند الخليلي في الإرشاد من طريق شعبة العياب عن محمد بن جحادة عن أنس ولفظه: «لا تطرحوا الدر في أفواه الخنازير» يريعني العلم. وعند ابن ماجه «وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر والدر والذهب». (**ولهذا قيل**) ونص القوت وكان يحي بن معاذ يقول: اغرف لكل واحد من نهرك واسقه بكأسه، ونحن نقول بمعناه (**كل لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان علمه**) وفي بعض النسخ: بميزان فهمه (**حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار**) هذا كله نص القوت، وعلم بذلك أن المراد بهذا القائل هو صاحب القوت، لأنه قال: ونحن نقول بمعناه أي معنى قول يحي بن معاذ الرازي أحد العارفين الأكابر وإليه يشير قول الحريري صاحب المقامات:

وكلت للخل كما كال لي ... على وفاء الكيل أو بخسه
ولم أخسره وشر الورى ... من يومه أخسر من أمسه

وفي القوت (**سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب**) عنه، (**فقال السائل: أما سمعت رسول الله ﷺ قال**) أي أما بلغك قوله: (**«من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار» فقال**) في جوابه (**اترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقه**) وفي نسخة: يفهمه ثم سألني (**وكتمته فليلجمني**). فإن إيداع الأسرار لا يكون إلا لمن تلقن بفهم ثم انتفع به، (**فقد قال الله عز وجل**) في كتابه العزيز ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ [النساء: ٥] التي جعل الله لكم قياماً، والسفيه من لا يعرف رشده فلا يمكن بالأموال فإنه يتصرف فيها بالتبذير وسوء التدبير، فإذا كانت الأموال وهي عوار ظاهرة منعت عن تمكن السفهاء فيها فالعلوم الإلهية التي من عمل الباطن بطريق الأولى، ومن هنا ظهر أن السائل إنما سأله عن دقيقة من دقائق

....

الحقيقة ولما لم يجده أهلاً لتحملها قال ما قال، ثم رأيت هذا الفصل برمته في كتاب الذريعة للراغب الأصبهاني، وفيه فوائد زوائد، والمنصف إنما انتزعه من كتاب القوت ولا بأس أن نلم بكلام الذريعة فإن سياقه أتم من سياق القوت. قال: واجب على الحكيم والعالم النحرير أن يقتدي بالنبي ﷺ فيما قال: « إنا معاشر الأنبياء » فذكر الحديث وأن يتصور ما قاله علي للكميل بن زياد وأومأ بيده إلى صدره، فذكره، وروى هو عن النبي ﷺ « كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون » إلى آخر الحديث. وقال ﷺ « ما أحد يحدث قوماً الخ. وقال عيسى عليه السلام: لا تضعوا الحكمة الخ. وقيل: تصفح طلاب علمك كما تتصفح طلاب حرمك، وبهذا ألم أبو تمام:

وما أنا بالغيران من دون جارتي إذا أنا لم أصبح غيوراً على العلم

وقيل لبعض الحكماء: ما بالك لا تطلع كل أحد على حكمة يطلبها منك؟ فقال: اقتداء بالباري عز وجل حيث قال ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ [الأنفال: ٢٣] فبين أنه منعهم لما لم يكن فيهم خير وبين أن في أسماعهم ذلك مفسدة لهم، وسأل جاهل حكيماً مسألة من الحقائق، فأعرض عنه ولم يجبه، فقال: أما سمعت قول النبي ﷺ: « من كتم علماً » الخ فقال: نعم. سمعته اترك اللجام هنا واذهب فإذا جاء من ينفعه ذلك وكتمته فليلجمني به. وقال بعض الحكماء في قوله عز وجل: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ [النساء: ٥] الآية أنه نبه به على هذا المعنى، وذلك أنه لما منعنا عن تمكين السفيه من المال الذي هو عارض حاضر يأكل منه البر والفاجر تعادياً أنه ربما يؤديه إلى الهلاك الدنيوي، فكان يمنع من تمكينه من حقائق العلوم الذي إذا تناوله السفيه أداه إلى ضلال وإضلال وهلاك وإهلاك أولى فإنه:

إذا ما اقتنى العلم ذو شره تضاعف ما ذم من مخبره
وصادف من علمه قوة يصول بها الشر من جوهره

وكما أنه واجب على الحكام إذا وجدوا من السفهاء رشداً أن يدفعوا إليهم أموالهم، فواجب على الحكماء إذا وجدوا من المسترشدين قبولاً أن يدفعوا إليهم العلوم بقدر استحقاقهم، فالعلم قنية يتوصل بها الى الحياة الأخروية، كما أن المال قنية في المعاونة على الحياة الدنيوية اهـ.)

والحديث قال العراقي: أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد، فلفظه عند السيوطي في الجامع الكبير. « من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ».

وأما حديث أبي هريرة الذي تقدم فلفظه: « من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه. وقال الترمذي: حديث حسن، وقد تقدم الكلام عليه في أول الكتاب، وقد أخرجه أيضاً ابن النجار في تاريخه عن عبدالله بن عمرو بهذا اللفظ والإسناد مصريون. وفي الباب عن جابر وابن مسعود وابن

ممن يفسده ويضره أولى، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق (شعر):

أأنثر دراً بين سارحة النعم ... فأصبح مخزوناً براعية الغنم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره ... فلا أنا أضحى أن أطوّقه البهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه ... وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
نشرت مفيداً واستفدت مودة ... وإلاّ فمخزون لديّ ومكتتم
فمن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

(الوظيفة السابعة): أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقي إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه، فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوّش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق. فما من

عباس وأنس تقدم بيان ألفاظهم في أول الكتاب عند ذكر حديث أبي هريرة فليراجع، وفي لفظ ابن مسعود: « من كتم علماً عن أهله » وتنكير علم في حيز الشرط يوهم شمول العلوم لكل علم حتى غير الشرعي وفي رواية ابن ماجه تقييده بنافع وخصه بعضهم بالشرعي، والمراد به ما أخذ من الشرع أو توقف هو عليه توقف وجود أو كمال، والحديث نص في تحريم الكتم وخصه آخرون بما يلزمه تعليمه وتعين عليه، **(فنبه على أن حفظ العلم)** وصيانته **(ممن يفسده)** أي يفسد حاله **(ويضره)** لعدم استئهاله له **(أولى)**، بل واجب دل على ذلك قوله في بعض الروايات المتقدمة عن أهله **(وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأولى)**. وفي بعض النسخ: بأقل **(من الظلم في منع المستحق)** ولله در القائل:

فمن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

قال المناوي: وجعل بعضهم حبس كتب العلم من صور الكتم سيما أن عزت نسخة، وأخرج البيهقي عن الزهري: إياك وغلول الكتب. قيل: وما غلولها ؟ قال: حبسها اهـ.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية حماد بن عبدالله قال: سمعت الشعبي يقول: لا تمنعوا العلم أهله فتأثموا ولا تحدثوا غير أهله فتأثموا.

(الوظيفة السابعة): من وظائف المعلم **(أن المتعلم القاصر)** فهمه **(ينبغي)** للمعلم **(أن يلقى إليه الجلي)** الواضح المبين **(اللائق به)** اي بحاله وحال امثاله، ويكتفي بما ألقاه إليه **(ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً)** وتحقيقاً غير ما ذكره **(و)** يوهمه في مطاوي كلامه **(أنه يدخره)** ويكتمه **(عنه)** لعدم تأهله بحمله، **(فإن ذلك يفتر)** أي يسكن **(رغبته في)** ما هو **(الجلي ويشوش قلبه)** ويصرف همته **(ويوهم إليه البخل به)** أي: إنما ادخره عنه ضناً به وبخلاً عليه **(إذ يظن كل أحد)** في نفسه **(أنه أهل كل علم دقيق)**، ولو كان في الحقيقة

أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله، وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله. وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سيرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك، فلا ينبغي أن يشوّش عليه اعتقاده، بل ينبغي أن يُخلّى وحرفته، فإنه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص، فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطاناً مريداً يهلك نفسه وغيره. بل لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة، بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة

قاصر الفهم (**فما من أحد إلا وهو راض عن الله عز وجل في كمال عقله**) قد أقامه الله على ذلك، ولولا ذلك لفسد نظام الكون. (**وأشدهم حماقة**) أي فساداً في العقل (**وأضعفهم**) وفي نسخة: وأصغرهم (**عقلاً هو أفرحهم**) أشدهم فرحاً (**بكمال عقله**) وتصويب رأيه (**وبهذا يعلم**) هذه العبارة منتزعة من كتاب الذريعة للراغب قال: وإذا ثبت ذلك وجب (**أن يكون من تقيد من العوام**)، ولفظ الذريعة: من العامة (**بقيد الشرع**) بحسب حاله (**ورسخ**) أي ثبت (**في نفسه**) اعتقاد (**العقائد المأثورة**) المنقولة (**عن السلف**) الصالحين (**من غير تشبيه**) فيه بما لا يليق ولا تعطيل (**ومن غير تأويل**) لظاهر ما ورد (**وحسن مع ذلك سيرته**) وطريقته (**ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك**) لقصوره، (**فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده**) فإن ذلك موجب لحرمانه، (**بل ينبغي أن يُخلّى**) أي يترك (**وحرفته**) أي صنعته التي هو فيها وطريقته التي هو سالكها، (**فإنه لو ذكر له تأويلات الظواهر**) وما اختلف فيها بالدلائل والبراهين (**انحل عنه عقد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص**) فبقي مذبذباً بين هؤلاء وهؤلاء، (**فيرتفع عنه الستر**) وفي نسخة: السد (**الذي بينه وبين المعاصي**) فيرتكبها متهاوناً بها فيقع في محظور (**وينقلب**) في أفعاله (**شيطاناً مريداً**) متمرداً، وحينئذ (**يهلك نفسه**) بما يصدر منه من المخالفات (**و**) يهلك (**غيره**) لأنهم يرونه فيقتدون به فيهلكون، (**بل لا ينبغي أن يخاض**) أي يفاوض (**بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة**) مداركها، وهذا مشاهد في عوام الصوفية إذ يسمعون من مشايخهم بعض كلمات دقيقة في علم الحقيقة فيتمشدقون بها فيهلكون ويهلكون، (**بل يقتصر معهم**) الخائض (**على تعليم العبادات**) الدينية كالصلاة والصوم والحج والزكاة ومتعلقات كل ذلك من غير تدقيق في مسائلها ولا اختلاف في نقولها، (**و**) بعد ذلك يفاوضهم (**في تعليم الأمانة**) خاصة (**في الصناعة التي هو بصددها**) ليكون ذلك أوقع في قلوبهم وأنفع بحسب ما هم فيه، (**و**) في أثناء ذلك (**يملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة بالجنة والنار**) أي بذكر كل منهما بما فيهما من النعيم المقيم الأبدي والعقاب الأليم السرمدي، (**بما نطق به القرآن**) وصرحت به الأحاديث

والرهبة في الجنة والنار، كما نطق به القرآن. ولا يحرك عليهم شبهة، فإنه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك، وبالجملة؛ لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص.

(الوظيفة الثامنة): أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر. فإذا خالف العمل

والآثار ممزوجة بأقاويل السادة الأخيار، **(ولا يحرك عليه شبهة)** أي لا يفتح عليه في خلال ذلك باب شبهة ورد وإشكال، **(فإنه ربما تعلقت الشبهة بقلبه)** لخلوه **(ويعسر عليه حلها)** والجواب عنها، **(فيهلك)** أي فيكون سبباً لهلاكه **(ويشقى)** أي سبباً لشفاوته. **(وبالجملة لا ينبغي أن يفتح للعوام)** عامة **(باب البحث)** والجدال **(فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق)** ونظامهم **(و)** بها **(دوام عيش الخواص)** لافتقارهم ضرورة إلى تلك الصناعات، وعبارة الذريعة وجب على من تقيد بقيد العامة أن لا يصرف عما هو بصدده فيؤدي ذلك إلى انحلاله عن قيده، ثم لا يمكن أن يقيد بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين الشرور، ومن اشتغل بعمارة الأرض من بين تجارة أو مهنة فحقه أن يقتصر به من العلم على مقدار ما يحتاج إليه من هو في مرتبته في عبادة الله المعافية، وأن يملأ نفسه من الرهبة والرغبة الوارد بهما القرآن، ولا يولد له الشبه والشكوك وإن اتفق اضطراب نفس بعضهم إما بانبعاث شبهة تولدت أو ولدها ذو بدعة دفع إليه، فتاقت نفسه الى معرفة حقيقتها فحقه أن يختبره، فإن وجده ذا طبع للعلم موافق وفهم ثاقب وقصد صائب خلى بينه وبين التعلم وسوعد عليه بما يوجد من السبيل إليه، فإن وجد شر يراً في طبعه أو ناقصاً في فهمه منع أشد المنع، ففي اشتغاله بما لا سبيل له إلى إدراكه مفسدتان تعطله عما يعود بنفع إلى العباد والبلاد، واشتغاله بما تنتشر منه شبهة وليس فيه نفعة. وكان بعض الأمم السالفة إذا ترشح أحدهم ليتخصص بمعرفة الحكم وحقائق العلوم والخروج من جملة العامة الى الخاصة اختبره، فإن لم يوجد خيراً في الخلق أو غير متهيئ للعلم منعه أشد المنع، فإن وجده كذلك شورط أن يقيد قيداً في دار الحكمة ويمنع أن يخرج حتى يحصل له العلم أو يأتي عليه الموت، ويزعمون أن من شرع في حقائق العلوم ثم لم يفرغ منها تولدت له الشبه وكثرت، فيصير ضالاً مضلاً فيعظم على الناس ضرره وبهذا النظر تعوذ بالله من نصف متكلم.

(الوظيفة الثامنة): من وظائف المعلم **(أن يكون المعلم)** بنفسه **(عاملاً بعلمه)** ظاهراً أثر ذلك على جوارحه، **(فلا يكذب قوله فعله)**، ولا يخالف باطنه ظاهره **(لأن العلم)** نور إلهي **(يدرك بالبصائر)** وهو محجوب عن الإحساس، **(والعمل)** شغل الجوارح وهو **(يدرك)** ظاهراً **(بالأبصار، وأرباب الأبصار)** المشاهدون بإحساساتهم **(أكثر)** من أرباب البصائر، **(فإذا خالف العمل العلم)** ولو في بعض الجزئيات **(منع الرشد)** في نفسه والإرشاد لغيره لا محالة. ونص الذريعة: والواعظ ما لم يكن مع مقاله فعاله لا ينتفع به، وذلك أن عمله

العلم منع الرشد، وكل من تناول شيئاً وقال للناس: لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه، فيقولون: لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به، ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج؟ ولذلك قيل في المعنى:

يدرك بالبصر وعلمه يدرك بالبصيرة، وأكثر الناس أصحاب الأبصار دون البصائر، فيجب أن تكون عنايته بإظهار عمله الذي يدركه جماعتهم أكثر من عنايته بالعلم الذي لا يدرك إلا بالبصيرة اهـ.

(ومن) المعلوم **(كل من تناول شيئاً)** وتعاطاه واختاره لنفسه **(وقال للناس لا تتناولوه)** ولا تقربوا منه **(فإنه سم مهلك)** يضرّ بآخرتكم أو دنياكم **(سخر الناس به)** استهزأوا به **(واتهموه)** في دينه وعلمه وورعه **(وزاد حرصهم عليه)** أي: على تناول المنهي عنه، وكذلك بالعكس إذا نهي عن شيء ثم ارتكبه وهذا أصل أصيل في إرشاد الطالبين وتسليك المبتدئين، ولا سيما في الوعظ ومجالس العامة، فإن الائتمار بما سيأمره لهم أولاً والانصباغ به أوقع في قلوب السامعين وأقرب إلى أذهان الراغبين، ولذلك كان بعض الوعاظ لا يذكر لهم في فضائل العتق حتى أمكنه الله من شراء رقيق فأعتقه فذكر لهم فضل من أعتق لله تعالى حتى يكون له تأثير في قلوبهم، ومن لم يكابد الليل وسهره وقيامه فكيف يسمع منه فضل من قامه وأحياه؟ ومتى اختار لنفسه وصفاً ونهاهم عن ارتكابه يعجبون **(فيقولون لولا أنه أعظم الأشياء وألذها)** عنده **(لما كان يستأثر به)** ويختص لنفسه. ونص الذريعة. ومنزلة الواعظ من الموعوظ منزلة المداوي من المداوى، فكما أن الطبيب إذا قال للناس: لا تأكلوا هذا فإنه سم ثم رأوه آكلاً له عد سخرية وهزواً، كذلك الواعظ إذا أمر بما لا يعمله، وبهذا النظر قيل يا طبيب طب نفسك، **(و)** إنما **(مثل المعلم المرشد من)** المتعلم **(المسترشد مثل النقش من الطين)** الذي يبنى به الجدار ونحوه، **(و)** مثل **(العود)** أي عود الشجرة **(من الظل وكيف ينقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج فإذا اعوج العود اعوج الظل)** وفي الذريعة: وأيضاً فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع، فكما أنه محال أن ينطبع الطين على الطابع بما ليس منتقشاً به، كذلك محال أن يحصل في نفس الموعوظ ما ليس بموجود من الواعظ، فإذا لم يكن الواعظ إلا ذا قول مجرد من الفعل لم يتلق عنه الموعوظ إلا القول دون الفعل، وأيضاً، فإن الواعظ يجري مجرى الظل من ذي الظل، وكما أنه محال أن يعوج ذا الظل والظل مستقيم كذلك محال أن يعوج الواعظ ويستقيم الموعوظ اهـ.

وقال ابن السمعاني: قرأت في كتاب كتبه الغزالي إلى أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل فقال في خلال فصوله: أما الوعظ فلست أرى نفسي أهلاً له لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ، فمن لا

لا تنه عن خُلُق وتأتي مثله عار عليك إذ فعلت عظيم

وقال الله تعالى: ﴿أتأمرون النَّاس بالبرِّ وتَنْسَوْن أنفسكم﴾ [البقرة: ٤٤]، ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر من وزر الجاهل، إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به. ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها. ولذلك قال علي رضي الله عنه: قصم ظهري

نصاب له كيف يخرج الزكاة، وفاقد النور كيف يستنير به غيره، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج إلى آخر ما ذكر. وقد ذكر في خلال فصول المقدمة وسيأتي شيء من ذلك في الباب السادس، ولا يخفى أن هذا وما في الذريعة في مورد الوعظ. وقاس المنصف عليه التعليم والإرشاد لقرب منزلتها وقوله: متى يستقيم الخ مصراع بيت كامل جرى مجرى الأمثال المشهورة المفيدة **(ولذلك قيل في المعنى)**:

لا تنه عن خلُق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿أتأمرون الناس بالبر) قال البيضاوي: تقرير مع توبيخ وتعجيب، والبر يتناول كل خير **(وتنسون أنفسكم)** وتتركونها. قال ابن عباس: نزلت في أحبار المدينة كانوا يأمرون سراً من نصحوه باتباع محمد ﷺ ولا يتبعونه، وأنتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله **(وأنتم تعلمون)** أي تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد ومخالفة القول العمل، ومثله في قوله عز وجل بذم الشعراء فقال ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾) [الشعراء: ٢٢٦] وكذلك قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون★ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٢، ٣] وأخرج عبد بن حميد عن أبي خالد الوالي قال: جلسنا عند خباب ابن الأرت فسكتنا فقلنا: ألا تحدثنا فإنما جلسنا إليك لذلك؟ فقال: أتأمرون أن أقول ما لا أفعل **(ولذلك كان وزر العالم)** بكسر اللام **(في معاصيه)** إذا ارتكبها **(أكثر)** من وزر الجاهل لما سيأتي من قول أبي الدرداء رضي الله عنه: ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات. **(إذ يزل بزلته عالم فيقتدون به)** مقرين عليه، ومنه زلة العالم زلة العالم وفي العالم والعالم جناس كامل، **(و)** قد ورد **(من سَنَّ)** في الإسلام **(سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها)** وهي قطعة من حديث وتمامه: « من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً أخرجه الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه من طرق، والدارمي، وأبو عوانة، وابن حبان كلهم عن جرير، وأوله: « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً » وفي الباب عن حذيفة وأبي جحيفة وأبي هريرة ووائلة رضي الله عنهم، وقد تقدم في خطبة هذا الشرح إيماء إلى ذلك فراجعه، ولم يذكره الحافظ العراقي في تخريجه، وكأنه لعدم ذكر المنصف في أوله قال رسول الله ﷺ بل ساقه مساق كلامه وإلا فلا يخفى مثل ذلك عليه، وقد ساق صاحب الذريعة هذا السياق وفيه زيادة لم يذكرها المنصف فقال: وأيضاً فكل شيء له حالة يختص بها، فإنه يجر غيره إلى نفسه بقدر وسعه بإرادة

رجلان. عالم متهتك وجاهل متنسك، فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه. والله أعلم.

منه أو غير إرادة كالماء الذي يحيل ما يتلقاه من العناصر إلى نفسه بقدر وسعه، وكذلك النار والأرض والهواء، فالواعظ إذا كان غادياً جر بفيه غيره إلى نفسه، فمن ترشح للو ظ ثم فعل فعلاً قبيحاً اقتدى به غيره، فقد جمع وزره ووزرهم، كما قال عليه السلام «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» وقال تعالى: ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ [النحل: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم﴾ [العنكبوت: ١٣] الآية اهـ.

(ولذلك قال علي رضي الله عنه: قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بنسكه، والعالم ينفرهم بتهتكه) هذا الأثر لم أجده في الحلية بلفظه. وفي القوت: وروينا عن علي رضي الله عنه: ما قطع ظهري في الإسلام إلا رجلان عالم فاجر ومبتدع ناسك، فالعالم الفاجر يزهد الناس في علمه لما يرون من فجوره، والمبتدع الناسك يرغب الناس في بدعته لما يرون نسكه اهـ.

ونص الذريعة حق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ، ويبصر ثم يبصر، ويهتدي ثم يهدي ولا يكون دفتراً يفيد ولايستفيد، ومسنا يشحذ ولا يقطع، بل يكون كالشمس التي تفيد القمر الضوء ولها أفضل مما تفيده، وكالنار التي تحمي الحديد ولها من الحمو أكثر مما تفيد، ويجب أن لا يخدج مقاله بفعاله ولا يكذب لسانه بحاله، فيكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله﴾ [البقرة: ٢٠٤] الآية ونحو ما قال علي رضي الله عنه: **قصم ظهري** فساقه الخ ولكن بتقديم الجاهل على العالم والباقي سواء.

الباب السادس

في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء، وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذاباً يوم القيامة. فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة، ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها، قال ﷺ: « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ». وعنه ﷺ أنه قال: « لا يكون

الباب السادس

في آفات العلم:

والعلماء (**وبيان علامات**) فارقة بين (**علماء الآخرة و**) بين (**العلماء السوء**) وهم علماء الدنيا.

فاعلم أنه (**قد ذكرنا**) فيما سبق بعض (**ما ورد**) في الآيات والأحاديث والآثار (**في فضائل العلم والعلماء**) بالله بما فيه مقنع للطالب المجد، (**و**) الآن عن لنا أن نذكر شيئاً مما يتعلق بعلماء الدنيا، فاعلم أنه (**قد ورد في**) حق (**العلماء السوء تشديدات**) وتهديدات (**عظيمة**) في الآيات والأحاديث والآثار (**دلت على أنهم أشد الخلق عذاباً يوم القيامة**) كما سيأتي بيانه. (**فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة**) المميزة (**بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة**) ليكون السامع لما يتلى عليه من ذلك على بصيرة تامة، **فلا يحمل ما ورد في علماء** الآخرة من الفضائل على علماء الدنيا، (**ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء**) وصفهم بذلك لخسة منزلتهم عند الله تعالى ودناءة همتهم حيث استعملوا ما به يمدح فيما يذم، وهم (**الذين قصدهم من**) تحصيل (**العلم التنعم بالدنيا**) والترفه بزخارفها بتزيين المنازل بالفرش الطيبة وتعليق الستور عليها وتزيين الملابس الفاخرة والتجمل بالمراتب الفارهة (**والتوصل**) بذلك (**إلى الجاه والمنزلة**) الرفيعة (**عند أهلها**) أي الدنيا.

(**قال ﷺ: « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه »**) قد تقدم في خطبة الكتاب الكلام على تخريج هذا الحديث، وأنه رواه أبو هريرة رضي الله عنه وما يتعلق به من المعنى، وهو أول حديث ذكره في الخطبة وقد كرره في ثلاثة مواضع هذا ثالثها. (**ويروى**

المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً ». وقال ﷺ : « العلم علمان: علم على اللسان، فذلك حجة الله تعالى على خلقه، وعلم في القلب فذلك العلم النافع ». وقال ﷺ : « يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق ». وقال ﷺ : « لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء

عنه ﷺ : **« لا يكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً »)** قال العراقي في التخريج الكبير: لم أجده مرفوعاً. ورواه ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهقي في المدخل موقوفاً على أبي الدرداء بزيادة في أوله إنك لن تكون عالماً حتى تكون متعلماً ولن تكون عالماً حتى تكون لما علمت عاملاً اللفظ للبيهقي وفيه انقطاع اهـ.

قلت: وأخرج الخطيب في كتاب الاقتضاء من رواية هشام الدستوائي، عن برد، عن سليمان قاضي عمر بن عبد العزيز قال، قال أبو الدرداء: « لا تكون عالماً حتى تكون متعلماً، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً » وأما ما عزاه العراقي لابن حبان والبيهقي، فقد أخرجه الخطيب في الكتاب المذكور من رواية وكيع عن جعفر بن برقان، عن فرات بن سلمان، عن أبي الدرداء.

(وقال ﷺ : « العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله عز وجل على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع ») أورده صاحب القوت في خلال كلامه فقال: روينا عن الحسن البصري، يروى عن رسول الله ﷺ قال: « العلم علمان فعلم باطن في القلب فذاك هو النافع وعلم ظاهر على اللسان فذلك حجة الله على خلقه » اهـ.

وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم من رواية قتادة عن أنس رفعه: « العلم علمان فعلم ثابت في القلب فذلك العلم النافع، وعلم في اللسان فذلك حجة الله على عباده » وفي إسناده أبو الصلت الهروي اسمه عبد السلام بن صالح اتهمه الدارقطني بالوضع، وبنحو هذا أخرجه الخطيب في تاريخه باسناد جيد من رواية الحسن عن جابر رفعه، وأعله ابن الجوزي برواية يحي بن اليمان. قال أحمد: ليس بحجة، ولكن قال العراقي في تخريجه: احتج به مسلم. وقال يحي بن معين: ثقة. وقال ابن المديني: صدوق. قال العراقي: وقد جاء من حديث الحسن مرسلاً دون ذكر جابر باسناد صحيح رواه الحكيم الترمذي في النوادر، وابن عبد البر في العلم من رواية هشام عن الحسن، عن النبي ﷺ.

قلت: وكذلك ابن أبي شيبة في المصنف قال: وفي الباب عن علي، وعائشة رضي الله عنها.

(وقال ﷺ : « يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق ») هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية يوسف بن عطية، عن ثابت، عن أنس رفعه، ثم قال: هذا حديث ثابت لم نكتبه إلا من حديث يوسف بن عطية، عن ثابت وهو قاض بصري في حديثه نكارة اهـ.

وأخرجه كذلك من طريقه الحاكم في الرقاق من المستدرك، وابن عدي في الكامل ولفظها « وعلماء فسقة » وابن النجار في تاريخه كما في الكبير للسيوطي ولفظه: « وقراء فسقة ». وقال الحاكم: صحيح، وشنع عليه الذهبي والعراقي. قال الأول: يوسف بن عطية الصفار هالك، وقال

ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار».

الثاني: مجمع على ضعفه. وفي الميزان عن البخاري منكر الحديث، وساق له هذا الخبر، وفي الديوان قال أبو زرعة، والدارقطني: ضعيف. ورواه البيهقي في الشعب من هذا الوجه، وقال: يوسف كثير المناكير، ومن شواهده ما أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر من رواية أبان عن أنس رفعه: «يكون في آخر الزمان ديوان القراء فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم وهو الانتنون». وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي عن أسامة رفعه إلاّ أنه قال: ذئبان القراء بدل ديوان. وقال: غريب من حديث سليمان أفادناه الدارقطني الحافظ، ونقل القرطبي عن مكحول: «يأتي على الناس زمان يكون عالمهم أنتن من جيفة حمار» وأخرج الخطيب، عن أبي هريرة «يكون في آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة وقضاة خونة وفقهاء كذبة فمن أدركهم فلا يكوننن لهم عريفاً ولا جابياً ولا خازناً ولا شرطياً.

(وقال ﷺ: «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء وتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار»). أخرجه ابن ماجه من رواية بشير بن ميمون، عن أشعث بن سوار، عن ابن سيرين، عن حذيفة رضي الله عنه رفعه ولفظه: «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو لتماروا به السفهاء أو لتصرفوا والباقي سواء». قال العراقي: وبشير ابن ميمون الخراساني متهم بالوضع قال البخاري، وأشعث بن سوار مختلف فيه، ولكن أخرج ابن ماجه أيضاً من رواية ابن جريج عن أبي الزبير، عن جابر رفعه: «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتجترؤا به في المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار» قال العراقي: واسناده على شرط مسلم.

قلت: وأخرجه كذلك الحاكم، وابن حبان، والضياء المقدسي في المختارة، وبه يتقوى حديث حذيفة السابق. قال العراقي: وفي الباب عن عبدالله بن عمرو، وكعب بن مالك، وأبي هريرة، ومعاذ، وأنس، وأم سلمة رضي الله عنهم.

فحديث ابن عمر رواه ابن ماجه من رواية أبي كرب الازدي عن نافع عنه رفعه: «من طلب العلم ليماري به االسفهاء أو ليباهي به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار» وأبو كرب مجهول وروى الترمذي من حديث خالد بن دريك، عن ابن عمر رفعه: «من تعلم علماً لغير الله وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار» وإسناده جيد.

وأما حديث كعب بن مالك، فرواه الترمذي من رواية إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيدالله قال: حدثني ابن كعب بن مالك عن أبيه رفعه: «من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار». وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. واسحاق بن يحيى تكلم فيه من قبل حفظه.

قلت: وأخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، والطبراني في هذا الطريق ولفظها «من طلب العلم

لإحدى ثلاث ليجاري به العلماء آو ليماري به السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار ».

وأما حديث أبي هريرة؛ فرواه ابن ماجه أيضاً من رواية عباد بن سعيد المقبري، عن جده عنه رفعه: « من تعلم العلم ليباهي به العلماء ويباري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم ». وعباد بن سعيد المقبري ضعيف قاله العراقي.

وأما حديث معاذ، فرواه الطبراني من رواية شهر بن حوشب، عن عبدالرحمن بن غنم عنه رفعه: « من طلب العلم ليبباهي به العلماء ويباري به السفهاء في المجالس لم يرح رائحة الجنة ». وشهر بن حوشب مختلف فيه.

وأما حديث أنس، فرواه أبو بكر البزار، والطبراني في الأوسط من رواية سليمان بن زياد بن عبدالله: حدثنا سفيان أبو معاوية، عن قتادة عن أنس رفعه: « من طلب العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار ». قال البزار: لا نعلمه يروي عن أنس إلا بهذا الاسناد، تفرّد به سليمان ولم يتابع عليه، ورواه عنه غير واحد قاله العراقي.

قلت: وأخرجه أيضاً ابن عساكر في تاريخه، وأبو نعيم في المعرفة من هذا الطريق إلاّ انهما قالا: « ليماري به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه فليتبوّأ مقعده من النار». وأخرجه ابن أبي عاصم في الوجدان، والدارقطني في الأفراد، والديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ولفظهم: « من تعلم العلم والباقي سواء ». وأخرج ابن عساكر أيضاً من رواية نافع بن مالك أبي سهل عم مالك بن أنس قال: قلت للزهري: أما بلغك أن رسول الله ﷺ قال: « من طلب شيئاً من هذا العلم الذي يراد به وجه الله ليطلب به شيئاً من عرض الدنيا دخل النار »، فقال الزهري: لا ما بلغني. فساقه وفيه قصة تقدمت في خاتمة الفصول.

قال العراقي: وأما حديث أم سلمة؛ فرواه الطبراني من رواية عبد الخالق بن زيد، عن أبيه، عن محمد بن عبد الملك بن مروان، عن أبيه عنها رفعته: « من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء فهو في النار ». وعبد الخالق بن زيد بن واقد منكر الحديث قاله البخاري. وعبدالملك بن مروان أورده الذهبي في الميزان وقال: أنى له العدالة وقد سفك الدماء وفعل الأفاعيل.

قلت: عبد الخالق المذكور قال الذهبي في الديوان، قال النسائي: ليس بثقة، وقوله: أنى له العدالة الخ صحيح، ولكن قد يقال يحتمل أنه تحمل هذا الحديث في حال استقامته قبل ان تصدر منه الأفاعيل. وهكذا أخرجه تمام الرازي في فوائده أيضاً. وأخرج ابن النجار في تاريخه، عن أم سلمة « من طلب علماً ليباهي به العلماء فهو في النار وأخرجه ابن عساكر أيضاً ولكن عنده من طلب علماً يباهي به الناس والباقي سواء ». وأخرجه الدارمي في مسنده من رواية مكحول عن ابن عباس رفعه « من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه أدخله الله جهنم ».

وقال ﷺ: « من كتم علماً عنده ألجمه الله بلجام من نار ». وقال ﷺ: « لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال، فقيل: وما ذلك؟ فقال: من الأئمة المضلين ». وقال ﷺ: « من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً ». وقال عيسى

(وقال ﷺ: « من كتم علماً عنده ألجم بلجام من نار ») تقدم هذا الحديث قريباً. وفي الباب الأوّل من هذا الكتاب دون قوله « عنده ». قال العراقي: وهذه اللفظة في بعض طرق حديث أبي هريرة رواها ابن الجوزي في العلل المتناهية، وأعلها باسماعيل بن عمرو، وذكر قول الدارقطني فيه أنه ضعيف إلا ان ابن حبان ذكره في الثقات.

(وقال ﷺ: « لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل: وما ذاك؟ فقال من الائمة المضلين »). وفي نسخة: فقال: « أئمة مضلون » أخرجه الإمام أحمد من رواية أبي تميم الجيشان واسمه عبدالله بن مالك قال: سمعت أبا ذر يقول: كنت مخاصر النبي ﷺ إلى منزله فسمعته يقول: « غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال » فلما خشيت ان يدخل قلت يا رسول الله أي شيء أخوف على أمتك من الدجال؟ قال « الائمة المضلون ». قال العراقي، في إسناده عبدالله بن لهيعة مختلف فيه، ورواه أبو يعلى من رواية جابر، عن عبدالله بن يحيى، عن علي بن أبي طالب رفعه « غير الدجال أخوف عليكم أئمة مضلون ». وجابر هو أبو يزيد الجعفي ضعفه الجمهور. وروى أحمد من طريق أبي المخارق زهير بن سالم، عن عمير بن سعد الأنصاري أن عمر قال لكعب: ما أخوف شيء تخوّفه على أمة محمد ﷺ؟ قال: أئمة مضلون. قال عمر: صدقت قد أسر إلى ذلك وأعلمنيه رسول الله ﷺ، وأبو المخارق ذكره ابن حبان في الثقات، وعمير بن سعد معدود في الصحابة، والظاهر أنه منقطع بينه وبين أبي المخارق.

وأخرج مسلم وأصحاب السنن من رواية جبير بن نفير عن النواس بن سمعان في حديثه الطويل في الدجال وفيه فقال « غير الدجال أخوفني عليكم ».

وأخرج الإمام أحمد، والطبراني في الكبير، عن أبي الدرداء رفعه: « إن أخوف ما أخاف على أمتي الائمة المضلون ». قال الهيثمي: فيه راويان لم يسميا. وأخرج العلائي بسنده إلى ابن عمر قيل له: ما يهدم الإسلام؟ قال: زلة عالم وجدال منافق وحكم الائمة المضلين وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية صفوان بن عمر، وعن أبي المخارق، عن كعب، عن عمر رفعه: « أخوف ما أخاف على أمتي الائمة المضلون » فقال كعب فقلت: والله ما أخاف على هذه الأمة غيرهم. قال الشيخ: غريب من حديث كعب تفرّد به صفوان رواه عنه بقية بن الوليد والقدماء.

(وقال ﷺ: « من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلاّ بعداً ») أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق موسى بن إبراهيم، عن موسى بن جعفر الصادق، عن آبائه عن علي رضي الله عنه رفعه إلا انه قال: « ولم يزدد في الدنيا زهداً » مكان « هدى ». كذا في الجامع الكبير للسيوطي. وأشار له العراقي وقال: وقد روينا من طريق إبراهيم بن

عليه السلام: إلى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين، فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم، فإن العالم إما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد، وأنه بالخوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة.

عبدالله، عن عبدالله بن الحسن، عن أبيه، عن جده رفعه: «من ازداد بالله علماً ثم ازداد بالدنيا حباً ازداد الله عليه غضباً» قال: والمشهور أن هذا الحديث من قول الحسن البصري رواه ابن حبان في روضة العقلاء، وابن عبد البر في بيان العلم بلفظ. «من ازداد علماً ثم ازداد على الدنيا حرصاً لم يزدد من الله إلا بعداً» لفظ ابن حبان. وقال ابن عبد البر: «بغضاً» بدل «بعداً» وزاد ولم يزدد من الدنيا إلا بعداً. قال: وقد روي مثل قول الحسن هذا مرفوعاً، وكأنه أشار إلى حديث علي المتقدم.

قلت: وحديث عليّ المتقدم سنده ضعيف لأن موسى بن إبراهيم قال الذهبي؛ قال الدارقطني: متروك كذا قاله المناوي، وعندي في ذلك نظر لأن الذي قال فيه الدارقطني متروك وهو مروزي يروي عن ابن لهيعة كما هو نص الديوان للذهبي، والذي يروي عن موسى ابن جعفر رجل من أهل البيت فتأمل. والحديث الذي بعده رواه أبو الفتح الازدي في الضعفاء. ومن الشواهد ما أخرجه أبو نعيم في الحلية، حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا الحسن بن إبراهيم بن يسار، حدثنا سليمان بن داود، حدثنا ابن عيينة قال: كان يقال: إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة لم يزدد على الكثير منها إلا شراً. وفي معنى ذلك قول مالك بن دينار: من لم يؤت من العلم ما يقمعه فما أوتي من العلم ما ينفعه.

(وقال عيسى عليه السلام) فيما أخرجه الخطيب في اقتضاء العلم العمل له: حدثنا محمد بن أحمد بن رزقويه، حدثنا جعفر بن محمد الخلدي، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا عباس العنبري، حدثني عبد الصمد قال: سمعت سعيد بن عطارد وكان بكى حتى قرح قال قال عيسى ابن مريم: **(إلى ستى تصفون الطريق)** أي إلى الله تعالى **(إلى المدلجين)** ولفظ الخطيب إلى الدالجين أي لهم وهم السائرون بالليل، والمراد بهم الزهاد السالكون إلى الله تعالى **(وأنتم مقيمون)** أي بأعمالكم **(مع المتحيرين)** الواقفين أي: فلا يصح وصف الطريق إلا من المتصف بالسير والسلوك في طريق الحق، زاد الخطيب بعد قوله: المتحيرين إنما ينبغي من العلم القليل ومن العمل الكثير، **(فهذا)** الذي ذكرناه لك **(وغيره من الأخبار)** الكثيرة **(يدل على عظيم خطر العلم و)** على **(أن العالم)** من حيث هو هو **(متعرض)** بعلمه **(إما لهلاك الأبد)** فيكون أشقى الأشقياء **(أو لسعادة الأبد)** فيكون أسعد السعداء **(وأنه بالخوض)** والاشتغال **(في العلم قد حرم)** منع **(السلامة)** من الهلاك **(إن لم يدرك السعادة)** بمنة من الله تعالى وتوفيق منه.

وتحقيق هذا المقام أن أصل العلم [illegible]بة وثمرته السعادة، وأصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة،

(وأما الآثـار): فقد قال عمر رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قالوا: وكيف يكون منافقاً عليماً؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل.

فإذا اقترن العلم والزهد فقد تمت السعادة وعمت الفضيلة، وإن افترقا فيا ويح مفترقين ما أضر افتراقهما وأقبح انفرادهما. وقد فصل المصنف في ذلك تفصيلاً حسناً يأتي في أثناء كتابة الناس في طلب العلم ثلاثة. رجل طلبه ليتخذه زاده إلى المعاد لم يقصد إلا وجه الله، فهذا من الفائزين، ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال به الجاه والمال، ومع ذلك يعتقد خسيسة مقصده وسوء فعله، فهذا من المخاطرين فإن عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه سوء الخاتمة وان وفق لها فهو من الفائزين، ورجل استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة إلى التأثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الاتباع وهو مع ذلك يضمر أنه عند الله بمكان لا تسامه بسمة العلماء، فهذا من الهالكين المغرورين إذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين.

(وأما الآثار فقد قال عمر) بن الخطاب **(رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قالوا: كيف يكون منافقاً عليماً؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل)**. اتخذ العلم حرفة يتأكل بها وهيئة وأبهة يتعزز بها، يدعو الناس إلى الله ويفر هو منه ويستقبح عيب غيره ويفعل ما هو أقبح منه، ويظهر للناس النسك والتعبد ويسارر ربه بالعظائم، ذئب من الذئاب لكن عليه ثياب، فهذا هو الذي حذر منه الشارع ﷺ حذراً من أن يخطفك بحلاوة لسانه ويحرقك بنار عصيانه ويقتلك بفتن باطنه وجنانه. وقال الطيبي: أضاف أفعل إلى ما وهي نكرة موصوفة ليدل على أنه إذا استقصى الأشياء المخوفة لم يوجد أخوف منه.

قال العراقي: وهذا الذي ذكره أثراً فقد ذكره أحمد مرفوعاً من حديث عمر بإسناد صحيح من رواية أبي عثمان النهدي قال: إني لجالس تحت منبر عمر بن الخطاب وهو يخطب الناس فقال في خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان».

قلـت: وهذا قد أخرجه ابن عساكر في تاريخه من رواية مالك بن دينار، عن ميمون الكردي، عن أبي عثمان النهدي قال: خطبنا عمر بن الخطاب قال: حذرنا رسول الله ﷺ «كل منافق عليم» اهـ.

ثم قال العراقي: وصح أيضاً من حديث عمران بن حصين رواه الطبراني من رواية عبدالله ابن بريدة عنه رفعه: «إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان» اهـ.

قلـت: وبمثل رواية أحمد رواه أيضاً البزار وأبو يعلى. قال المنذري: رواتهم محتج بهم في الصحيح. وقال الهيثمي: رجاله موثوقون في بعض نسخ المسند «على أمتي» بدل «هذه الامة» وفي القوت: وعن عمر وروينا مسنداً أيضاً اتقوا كل منافق عليم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل

وقال الحسن رحمه الله: لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء. وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه: أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه؛ فقال: كفى بترك العلم إضاعة له. وقيل لإبراهيم بن عتبة: أيّ الناس أطول ندماً؟ قال: أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره، وأما عند الموت فعالم مفرط. وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة، رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأيقظوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فارشدوه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه

ما تنكرون. وكان المصنف لم ينظر إلى قوله: وروينا مسنداً أيضاً تقوية لجانب الموقوف وسيأتي عن الدارقطني إنه قال: الموقوف أشبه بالصواب.

(وقال) أبو محمد **(الحسن)** بن سعيد البصري: **(لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء)** أي: ممن عمله يخالف قوله فإنه عين الهلاك. **(وقال رجل لأبي هريرة)** رضي الله عنه: **(أريد أن أتعلم وأخاف أن أضيعه، فقال: كفى بترك العلم إضاعة له)**. هذا موقوف على أبي هريرة رضي الله عنه، ويعضده ما يروى عن الأعمش معضلاً: «آفة العلم النسيان واضاعته أن تحدث به غير أهله» أخرجه الدارمي في مسنده، والعسكري في الأمثال، وابن عدي من عدة طرق، ويروى عن علي مرفوعاً «آفة العلم النسيان» أخرجه الدارقطني في مسنده، وابن عدي في الكامل، ويروي ذلك عن ابن مسعود أيضاً موقوفاً أشار له البيهقي في المدخل والنسيان ترك ضبط ما استودع. **(وقيل لإبراهيم بن عتبة)** أحد الزهاد: **(أي الناس أطول ندماً؟ قال: أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره)** أي لا يجازيه على معروفه ولو بالثناء، **(وأما عند الموت فعالم مفرط)**. أي الذي فرط في نفسه في عدم عمله لما علمه.

(وقال) إمام النحو واللغة **(الخليل بن أحمد)** بن عبد الرحمن الفراهيدي البصري شيخ العربية والعروض أحد الاعلام. روى عن أيوب، وعاصم الأحول، والعوام بن حوشب، وغالب القطعان، وجماعة. وعنه سيبويه، والأصمعي، والنضر بن شميل، وهارون بن موسى، ووهب بن جرير، وعلي بن نصر الجهضمي، وكان رأساً في علم اللسان خيراً متواضعاً ذا زهد وعفاف. ولد سنة مائة وتوفي سنة سبعين ومائة. وقيل: ستين، وقيل خمس وسبعين، وقيل: غير ذلك. كذا في تاريخ الذهبي: **(الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري)** المراد به العامل بعلمه فإنه إذا درى أنه عالم لزمه اتباع علمه ضرورة **(فذلك عالم)** حقاً **(فاتبعوه)** واستفيدوا منه، **(ورجل يدري)** في نفس الأمر **(ولا يدري أنه يدري)** بل شبه عليه **(فذلك نائم)** أي غافل **(فأيقظوه)** أي نبهوه، **(ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري)** أي جاهل جهلاً بسيطاً **(فذلك مسترشد)** أي طالب الرشد **(فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري**

لا يدري فذلك جاهل فارفضوه. وقال سفيان الثوري رحمه الله: يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل. وقال ابن المبارك: لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذلّ،

فذلك جاهل) جهلاً مركباً **(فارفضوه)** أي اتركوه. وتحقيق هذا المقام ما أورده أبو القاسم الراغب في كتاب الذريعة ما لفظه: وأما التقصير فأربعة أشياء.

الأوّل: أن يكون انساناً لا يعرف الحق من الباطل والجميل من القبيح فيبقى غفلاً ودواؤه سهل وهو التعليم الصائب.

الثاني: أن يكون من قد عرف ذلك لكن لم يتعوّد فعل الصالح وزين له سوء عمله فرآه حسناً فتعاطاه وأمره أصعب من الأوّل، لكن يمكن أن يقهر على العادة الجميلة حتى يعوّدها وإن كان قد قيل ترك العادة شديد.

والثالث: أن يعتقد في الباطل والقبيح أنه حق وجميل فتربى على ذلك ومداواة ذلك أصعب جداً، فقد صار ممن طبع على قلبه إذ قد ينقش بنقش خسيس ككاغد كتب فيه ما يؤدي حذفه إلى خرقه وفساده.

والرابع: أن يكون مع جهله وتربيه على الفساد شديداً في نفسه يرى الخلاف وقهر النفس فضيلة، وذلك أصعب الوجوه وإلى نحوه قصد من قال: من التعذيب تأديب الذيب ليتهذب وغسل المسح ليتبيض، فالأوّل من هؤلاء الأربعة يقال له جاهل، والثاني يقال له جاهل وضال، والثالث يقال له جاهل وضال وناسق، والرابع يقال له جاهل وضال وفاسق وشديد.

(وقال) سفيان بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله: **(يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلاَّ ارتحل)**. وعزاه صاحب القوت إلى سهل التستري، وأورده الخطيب في كتاب الاقتضاء من وجهين. **الأوّل:** من طريق الحرث بن عبيدالله قال: سمعت ابن أبي ذئب يحدث عن ابن المنكدر قال: العلم يهتف بالعمل مثل لفظ الثوري، **والثاني:** من طريق أبي الفرج عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي عن آبائه مسلسلاً بالسماع، عن علي رضي الله عنه قال: هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلاَّ ارتحل. قال الخطيب: عدد الآباء تسعة.

(وقال) أبو عبد الرحمن بن عبدالله **(ابن المبارك)** بن واضح المروزي تقدمت ترجمته. **(لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل)**، ووجهه أنه إذا ظن في نفسه أنه صار عالماً كسل عن طلب العلم وهو عمل، فانقطع عن العمل فصار علمه منفكاً عن العمل وهذا جهل.

(وقال) الإمام الزاهد أبو علي **(الفضيل)** بن عياض بن منصور بن بشر التميمي المروزي المكي. روى عن الأعمش وابن المعتمر. أدرك أنس بن مالك، وعبدالله بن أبي أوفى رضي الله

وغني قوم افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا. وقال الحسن: عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة. وأنشدوا:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدين أعجبُ
وأعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال ﷺ: «إن العالم ليعذب عذاباً يطيف به أهل النار استعظاماً لشدة عذابه»،

عنها، ومنهم عطاء بن السائب، وحصين بن عبد الرحمن، ومسلم الأعور، وأبان بن أبي عياش، وكلهم أدركوا أنس بن مالك. روى عنه الأئمة الثوري، وابن عيينة، ويحي بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، والحسين بن علي الجعفي، ومؤمل بن إسماعيل، وعبدالله بن وهب المصري، وأسد بن موسى، وثابت بن محمد العابد، ومسدد، ويحي بن يحي النيسابوري، وقتيبة ابن سعيد في أشكالهم ونظرائهم، وترجمته في الحلية طويلة. وفي تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ثقة عابد إمام مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل: قبلها بمكة، وقبهر بالمعلى مشهور خرّج حديثه الجماعة ما عدا ابن ماجه: (**إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذلّ، وغنياً افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا**). وهذا قد روي مرفوعاً من حديث ابن عباس وأنس وأبي هريرة. أما حديث ابن عباس؛ فأخرجه ابن عدي من طريق وهب بن وهب، عن ابن جريج، عن عطاء عنه ولفظه: «ارحموا ثلاثة عزيز قوم ذلّ وغني قوم افتقر وعالماً يتلاعب به الصبيان». وأما حديث أنس؛ فاخرجه الخطيب من طريق سمعان بن مهدي عنه ولفظه: «ارحموا ثلاثة غني قوم افتقر، وعزيز قوم ذل، وفقيهاً يتلاعب به الجهال». وأخرج ابن حبان من طريق عيسى بن طهمان عنه ولفظه مثل الأوّل إلا أنه قال: وعالماً بين جهال، وقد حكم ابن الجوزي على هذه الاحاديث بالوضع فقال: وهب كذاب، وسمعان مجهول، وعيسى ينفرد بالمناكير عن المشاهير ولا يحتج به، وإنما يعرف هذا من قول الفضيل بن عياض اهـ.

وأما حديث أبي هريرة؛ فأخرجه الديلمي من طريق ابن علية، عن أيوب، عن الحسن عنه ولفظه «بكت السموات السبع ومن فيهن ومن عليهن لعزيز ذل، وغني افتقر، وعالم تلعب به الجهال». هكذا أورده السيوطي في اللآلىء المصنوعة، وهو شاهد قوي لما تقدم واسناده جيد (**وأنشدوا في**) هذا (**المعنى لبعض الشعراء**):

(**عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدين أعجبُ**)

والابتياع: هو الشراء، وأشار صاحب هذا القول إلى عالم السوء الذي يأكل دينه بدنياه.

(**وقال ﷺ: إن العالم ليعذب عذاباً يطيف به أهل النار استعظاماً لشدة عذابه**) قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ وهو بمعنى حديث أسامة بن زيد الآتي بعده. (**أراد به العالم الفاجر**) أي أن اللام في العالم ليست للجنس وإنما هي للعهد.

أراد به العالم الفاجر. وقال أسامة بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون: مالك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه». وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصى عن علم، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] لأنهم جحدوا بعد العلم،

(**وقال أسامة بن زيد**) بن حارثة بن شراحيل الكلبي الأمير أبو محمد وأبو زيد حب رسول الله وابن حب رسول الله صحابي مشهور مات سنة أربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين (**سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون: مالك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه»**). وفي بعض النسخ بعد قوله: «اقتابه» يعني أمعاءه وهو مدرج من الراوي. قال العراقي: أخرجه البخاري ومسلم من رواية أبي وائل شقيق ابن سلمة عن أسامة بن زيد، واللفظ لمسلم إلا أنه قال: «يؤتى بالرجل» وقال «اقتاب بطنه» وقال «فيجتمع إليه الناس فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه». ولفظ البخاري: «يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن بها كما يطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان ألست كنت تأمر بالمعروف». فذكره إلا أنه قال: ولا أفعله وقال وأفعله. وفي رواية لأحمد في مسنده فيقولون: مالك يا فلان ما أصابك. وفي رواية له: يؤتى بالرجل الذي يطاع في معاصي الله الحديث وفيه فيقول: كنت آمركم بأمر وأخالفكم إلى غيره اهـ.

قلت: وأخرج أبو نعيم في الحلية، عن أسامة بن زيد «يجاء بالأمير يوم القيامة فيلقى في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار بطاحونته فيقال له: ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: بلى، ولكن لم أكن لأفعله». كذا في الذيل للسيوطي.

وأخرج أبو نعيم في ترجمة الشعبي من الحلية من طريق سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي قال: «يشرف قوم دخلوا الجنة على قوم دخلوا النار فيقولون: ما لكم في النار وإنما كنا نعمل بما تعلموننا فيقولون إنما نعلمكم ولا نعمل به». وأخرج في ترجمة منصور بن زاذان بسنده إليه قال: نبئت أن بعض من يلقى في النار يتأذى أهل النار بريحه فيقال له: ويلك ما كنت تعمل أما يكفينا ما نحن فيه من النتن حتى ابتلينا بك وبنتن ريحك؟ فيقول: كنت عالماً لم أنتفع بعلمي». (**وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصى عن علم، ولذلك قال**) الله (**عز وجل**) في كتابه العزيز: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء: ١٤٥] قال صاحب القاموس في البصائر: الدرك إسم في مقابلة الدرج وبمعنى أن الدرج مراتب باعتبار الصعود، والدرك مراتب باعتبار الهبوط، ولهذا عبروا عن منازل الجنة بالدرجات، وعن منازل

وجعل اليهود شراً من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً ولا قالوا : أنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله : ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة : ١٤٦] . وقال تعالى : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ [البقرة : ٨٩] . وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء : ﴿ واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾ [الأعراف : ١٧٥] ، حتى قال : ﴿ فَمَثَلَه كَمَثَلِ الكَلْبِ إنْ

جهنم بالدركات، وقول الله تعالى السابق قرأ الكوفيون غير الأعمش والبرجمي بسكون الراء والباقون بفتحها (**لأنهم حجدوا**) أي أنكروا (**بعد العلم**) والمعرفة. (**وجعل اليهود شراً من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً**) أي أكثرهم، ولو أنه قال بعضهم في عُزير هو ابن الله لما رأوه حفظ التوراة عن ظهر قلبه، (**ولا قالوا ثالث ثلاثة**) . وهذا القول خاصة للنصارى، (**ولكن أنكروا**) النبي ﷺ (**بعد المعرفة إذا قال تعالى يعرفونه**) أي النبي ﷺ (**كما يعرفون أبناءهم**) أي غاية المعرفة، ﴿وقال عز وجل: فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) [البقرة : ٨٩]. وقد تقدم للمصنف أن من لم ينفعه علمه لا ينجو به رأساً برأس هيهات فخطره عظيم ووباله جسيم.

(**وقال تعالى في**) حق (**بلعم بن باعوراء**) ابن برم بن برهم بن مازر بن هاران بن تارح بن تاحور بن سروع بن ارغو بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام من عشيرة سيدنا لوط بن هاران عليه السلام، ونقل السهيلي عن ابن عباس ومجاهد هو بلعم بن باعوراء ويقال بلعام وأصله من بني إسرائيل اهـ.

وقال محمد بن علي الأوسي في كتابه التكميل لتعريف السهيلي الأظهر أنه لم يكن من بني إسرائيل. وحكى المسعودي في نسبه أنه بلعام بن باعور بن سموم بن فرستم بن ماب بن لوط بن هاران وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام. وقال الأوسي ويقال فيه بلعام بن عابر، ويقال آبر، وسيأتي للمصنف في أثناء هذا الكتاب، وسمعت بعض العلماء يقول: إنه كان في أول أمره بحيث يكون في مجلسه إثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه العلم، ثم صار بحيث كان أول ما صنف كتاباً أن ليس للعالم صانع نعوذ بالله من ذلك وذلك بميله إلى الدنيا واتباعه للهوى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى: (**واتل عليهم**) أي على اليهود (**نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منه**) أي من الآيات بأن كفر بها أو أعرض عنها، فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين، وهذا الذي ذهب إليه المصنف أنه في حق بلعم المذكور هو قول ابن عباس ومجاهد وغيرها. ويروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن الآية نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكان قد قرأ التوراة والإنجيل في الجاهلية، وكان يعلم بأمر النبي ﷺ قبل بعثته فطمع أن يكون هو فلما بعث رسول الله ﷺ وصرفت النبوّة عن أمية حسد وكفر (**حتى قال**) بعد قوله: ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه (**فمثله**) أي صفته التي هي مثل في الخسة (**كمثل الكلب**) كصفته في أخس أحواله (**إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**) ﴿ذلك

تَحْمل عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾. فكذلك العالم الفاجر. فإن بلعام أوتي كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات فشبه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات.

وقال عيسى عليه السلام: مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع، ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى، فهذه

مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون★ ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون★ من يهدِ الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٨] (**وكذلك العالم الفاجر**) المعرض عن آيات الله بعد معرفته بها، (**فإن بلعم**) المذكور (**أوتي كتاب الله عز وجل**). وقال البيضاوي: أوتي علم بعض كتاب الله. وقال السهيلي: كان أوتي اسم الله الأعظم. وقال محمد بن علي الأوسي، وكانت لـه حمارة إذا ركبها وذكر الإسم الأعظم الذي علمه الله سارت مسيرة خمسمائة يوم في يوم واحد. ويروى في ساعة واحدة ذكره الطبري، وكان بحيث إذا نظر يرى العرش. وقال السهيلي: وكان مع الجبارين فسألوه أن يدعو على موسى وجيشه فأبى وأرى في المنام أن لا يفعل فلم يزالوا به حتى فتنوه فقلب لسانه، فأراد الدعاء على موسى فدعا على قومه وخلع الإيمان من قلبه ونسي الإسم الأعظم (**فأخلد إلى الشهوات**) أي مال إليها واتبع هواه في إيثار الدنيا واسترضى قومه وأعرض عن مقتضى الآيات (**فشبه بالكلب**) الذي هو أخس الحيوانات (**أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث**) وإيماء (**إلى الشهوات**) كالكلب يلهث دائماً سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده، واللهث: إدلاع أي إخراجه من العطش. قال البيضاوي: والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثاً في الحالتين. وقال السمين: مثل الله تعالى حال بلعام بحال كلب هذه صفته، فإذا كان لاهثاً لم يملك دفع ضر ولا جلب نفع، فلم يكتفِ بأن جعل مثله مثل الكلب بل مثل كلب متصف بما ذكر، فقوله: ﴿أن تحمل عليه﴾ في محل الحال لا ان الكلب لا يزال كذلك دائماً فنبهك بذلك لأن بعض الناس قد توهمه اهـ.

(**وقال عيسى عليه السلام**) ونص القوت وروينا عن عيسى عليه السلام: (**مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي شربت**) وفي القوت: لا هي تشرب (**الماء ولا هي تترك الماء يخلص**) أي يصل (**إلى الزرع**)، وكذلك علماء الدنيـا قعـدوا على طـريـق الآخرة فلا هم نفذوا ولا تركوا العباد يسلكون إلى الله تعالى. وأخرج الخطيب في كتابه الاقتضاء بسنده إلى محمد بن يزيد بن خنيس قال: سمعت وهيب بن الورد يقول: ضرب مثل للمعلم السوء فقيل: إنما مثل العالم السوء كمثل حجر وقع في ساقية فلا هو يشرب من الماء ولا هو يخلي عن الماء فيحيا به الشجر اهـ.

قال: (**ومثل علماء السوء مثل قناة الحش**) أصل الحش النخل المصطف، ثم استعير لموضع

الأخبار والآثار تبين أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخس حالاً وأشد عذاباً من الجاهل، وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات:

فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه، فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها، ويعلم أنهما متضادتان، وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، وانهما

قضاء حاجة الإنسان **(ظاهرها جص)** أي مطليّ بالنورة **(وباطنها نتن)** أي نجس قذر، ومنه قول الحريري: فما أنت في جثة باطنك إلا كروث مفضض أو كنيف مبيض. **قال: (و) مثل** علماء السوء **(مثل القبور)** المشيدة **(ظاهرها عامر)** بالبناء والتراكيب والستور والقناديل **(وباطنها عظام الموتى)** إلى هنا كلام سيدنا عيسى عليه السلام على ما أورده صاحب القوت، وأورده كذلك في مواضع أخر ولفظه: وكان عيسى عليه السلام يمثل علماء الدنيا بالكنف فيقول: ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن ويلكم علماء السوء، إنما أنتم مثل قبور مشيدة ظاهرها مشيد وباطنها عظام الموتى. يا علماء الدنيا إنما أنتم مثل شجرة الدفلى نورها حسن وطعمها مر، أو قال سم يقتل. يا علماء الدنيا مثلكم مثل صخرة في فم النهر فذكره، وأورد أبو نعيم في الحلية في ترجمة الفضيل بن عياض بسنده إلى عبد الصمد قال: سمعت الفضيل يقول: إذا ظهرت الغيبة ارتفعت الأخوة في الله إنما مثلكم في ذلك الزمان مثل شيء مطلي بالذهب والفضة داخله خبيث وخارجه حسن. **(فهذه الأخبار)** الشريفة **(والآثار)** المنيفة **(تبين)** وتصرح لك **(أن العالم الذي من أبناء الدنيا)** وعلمه لأجل تحصيلها **(أخس)** الناس **(حالاً)** وأرادهم **(وأشد عذاباً)** يوم القيامة **(من الجاهل)**. وقال بعض السادة الصوفية: وإنما كان عذابه أشد لأنه مضاعف فوق عذاب مفارقة الجسد بقطعه عن اللذات الحسية المألوفة ولعدم وصوله إلى ما هو أكمل منها لعدم انفتاح بصيرته، مع عذاب الحجاب عن مشاهدة الحق تعالى، فعذاب الحجاب إنما يحصل للعلماء الذين تنبهوا للذة لقاء الله في الجملة ولم يتوجهوا لتحصيل ذلك واتبعوا الشهوات الحسية المانعة لذلك، وأما غيرهم فلا يعذب عذاب الحجاب الذي هو أعظم من عذاب الجحيم لعدم تصوّرهم له بالكلية وعدم ذوقهم له رأساً، **(وإن الفائزين)** بمشاهدة الحق تعالى **(المقربين)** عنده **(هم علماء الآخرة ولهم علامات)** تميزهم عن غيرهم. ذكر المصنف اثني عشر علامة.

(فمنها: أن لا يطلب الدنيا بعلمه) والدنيا أعم من أن تكون مالاً أو جاهاً، **(فأقل درجات العالم)** المتبين في أمره **(أن يدرك)** بفهمه **(حقارة الدنيا)** عند الله عز وجل **(وخستها)** ودناءتها **(وانصرامها)** وانصرام لذتها **(و)** أن يدرك **(عظم)** أمر **(الآخرة)** وما أعدّ لله فيها **(ودوامها وصفاء نعيمها)** من الكدر **(وجلالة ملكها)** الأبدي، **(و)** أن **(يعلم أنهما)** أي الدنيا والآخرة **(متضادتان)** يستحيل اجتماعها كالخير والشر والسواد

ككفتي الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى، وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر، وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلىء يفرغ الآخر. فإن من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل، فإن المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك، فكيف يكون من العلماء من لا عقل له؟ ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان، فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له

والبياض، وشرط في المتضادين أن يكونا تحت جنس واحد وينافي كل الآخر في أوصافه الخاصة، ثم بين ذلك بقوله: (**وأنهما كالضرتين**) ومن شأنهما أنك إن (**أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى**). أخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة وهب بن منبه بسنده إليه قال: مثل الدنيا والآخرة كمثل ضرتين إن أرضيت إحداهما سخطت الأخرى، ثم زاد إيضاحاً فقال: (**وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى، وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت من الآخر**). وهذه الثلاثة الأمثال في الدنيا من كلام علي رضي الله عنه كما قاله الراغب في الذريعة، (**وانهما كقدحين أحدهما مملوء**) من الماء مثلاً (**والآخر فارغ**) منه، (**فبقدر ما تصبه في الآخر حتى يمتلىء يفرغ الآخر**). وهذه الجملة الأخيرة وجدتها في القوت في آخر المجلد الأول ما لفظه: وكان ابن عمر يقول: إذا ذكر الدنيا والآخرة والله إنهما بمنزلة قدحين ملىء أحدهما فما هو إلا أن تفرغ أحدهما في الآخر. قال صاحب القوت: يعني انك إن امتلأت بالدنيا تفرغت من الآخرة، وإن امتلأت بالآخرة فرغت من الدنيا، وإن كان لك ثلث قدح الآخرة أدركت ثلثي قدح الدنيا، وإن كان لك ثلثي قدح الآخرة يكون لك ثلثه في الدنيا، وحينئذ قال: وهذا تمثيل حسن وتعديل صحيح اهـ.

وهذه أمثلة ضربها في مباينة الدنيا مع الآخرة ومباينة سالكيها، وإن كانت الدنيا جعلت وسيلة للآخرة فما يصح عليه وصف الضدية الذي هو شغل العبد عن مولاه وقطعه عن السلوك إليه وما لا فليس بضد فإن من أمورها ما يتوسل به إلى الله تعالى، وقد تقدم تحقيقه في أثناء كلام المصنف في أوائل الكتاب، (**فإن من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها**) الحسية (**بألمها**) الأبدي (**ثم انصرام ما يصفو منها**) سريعاً (**فهو فاسد العقل**) محتاج إلى الارشاد والتهذيب، (**فإن المشاهدة**) بعين البصر (**والتجربة**) من أهلها (**ترشد إلى ذلك**) ولا برهان أعظم منها، (**فكيف يكون من العلماء**) أي كيف يعد في زمرتهم (**من لا عقل له**) صحيح؟ (**ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها**) وانصرام أمور الدنيا بأجمعها (**فهو**) إذاً (**كافر مسلوب الايمان**) أي قد نزع منه الإيمان وانسلخ عن أموره باتباعه لشهوات نفسه وايثاره الدنيا على الآخرة، (**فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له**). وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة محمد بن كعب القرظي بسنده إليه عن أبي هريرة رفعه: «لا

ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع؟ فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم، بل هو كافر بالقرآن كله من أوّله إلى آخره، فكيف يعد من زمرة العلماء؟ ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من خرب العلماء من هذه درجته؟

وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى: إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي، يا داود لا تسأل عني عالماً قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي، يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً، يا داود من رد إليَّ هارباً كتبته جهبذاً، ومن كتبته جهبذاً لم أعذبه

إيمان لمن لا عقل له ولا دين لمن لا عقل له». **(ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة و)** من لا يعلم **(أن الجمع بينهما طمع في غير مطمع)** أي في غير محله، وفيه رد على من يزعم أنه يجمع بينهما مع إعطاء كل منهما حقه. كلا والله **(فهو جاهل بشريعة الأنبياء عليهم السلام كلهم)** أي بأسرارها وإذ قد ركز في قلبه ذلك فإزالته مستصعب إلا بتوفيق من الله وعنايته، **(بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره)**، لأنه مصرح من أوله إلى آخره بأحكامه وقصصه وأمثاله ومواعظه على حقارة الدنيا وعظم أمر الآخرة، فهو يقرأه باللسان ولا يجاوز إلى قلبه، **(فكيف يعد)** هذا الذي شأنه كذا **(من زمرة العلماء)** الأبرار. كلا والله حتى يلج الجمل في سم الخياط. **(ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير)** حبائل **(الشيطان)** مغرور في نفسه قد مسخه الله تعالى لا يبالي الله به بالة بأي واد هلك **(قد أهلكته شهوته)** النفسانية بغلبتها عليه وأوثقته معاصيه، **(وغلبت عليه شقوته)** فلا يقبل العلاج، **(فكيف يعد من أضراب العلماء من هذه درجته)** عند الله وهذه رتبته ومنزلته:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

(وفي أخبار) النبي **(داود)** بن إيشا بن عبيد بن بهيس بن قارب بن يهوذا بن يعقوب عليهم السلام، وذلك فيما أورده صاحب القوت ما لفظه: إن الله تعالى أوحى إليه يا داود **(إن أدنى ما أصنع بالعلم إذا آثر)** أي اختار **(شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالماً)** ولفظ القوت: لا تسألن عني عالماً قد **(أسكرته الدنيا)** أي جعلته كهيئة السكران **(فيصدك)** أي يمنعك **(عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي)** ولفظ القوت: قطاع طريق عبادي المريدين. **(يا داود، إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً يا داود: من رد إليَّ هارباً كتبته)** عندي **(جهبذاً)** هو بالكسر النقاد الخبير بغوامض الأمور البارع العارف بطرق النقد، وهو معرب صرح به الشهاب الخفاجي وابن التلمساني. كذا في شرحي على القاموس، وفي عبارات بعضهم هو الحاذق الكيس، **(ومن كتبته جهبذاً لم أعذبه**

أبداً، ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة، ولذلك قال يحي بن معاذ: إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا. وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص، وقال عمر رضي الله عنه: إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم، فإن كل محب يخوض فيما أحب، وقال مالك بن دينار رحمه الله. قرأت في بعض الكتب السالفة أن الله تعالى يقول: إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه. وكتب رجل إلى أخ له: إنك قد أوتيت علماً فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم، وكان يحي بن معاذ

أبداً). هذا كله نص القوت إلا أنه بتقديم الجملة الثانية على الأولى، **(ولذلك قال الحسن رضي الله عنه)**: كذا في النسخ. فالمراد به الحسن بن علي بن أبي طالب **(عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة)**، والأشبه أن يكون هذا من كلام الحسن البصري **(وقال يحي بن معاذ)** الرازي الآتي ترجمته **(إنما يذهب بهاء العلم والحكمة)** أي نورهما **(إذا طلبت الدنيا بهما. وقال عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه: إذا رأيتم العالم محباً للدنيا)** أي مائلاً إليها **(فاتهموه على دينكم)** الذي تستفيدونه منه **(فإن كل محب يخوض فيما أحب)**، فإن حبك للشيء يعمي ويصم، **(وقال مالك بن دينار)** البصري أحد الزهاد المشهورين. كنيته أبو يحي أخرج له البخاري في التاريخ والأئمة الأربعة. قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب: هو من موالي بني ناجية أبوه من سبي سجستان، وقيل: من كابل. روى عن أنس بن مالك، والحسن، وابن سيرين، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبي غالب صاحب أبي أمامة وغيرهم. روى عنه أخوه عثمان، وأبان بن يزيد العطار، وسعيد بن أبي عروبة، وعبدالسلام بن حرب وآخرون. قال النسائي: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٣٠. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بن جعفر، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن ابراهيم، حدثني محمد بن عبدالله العبدي، حدثنا جعفر عن مالك **(قرأت في بعض الكتب)** أي التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه عليهم السلام، ونص الحلية: إن في بعض الكتب **(أن الله عز وجل يقول: إن أهون ما أصنع)** ونص الحلية: ما أنا صانع **(بالعلم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه)**، ونص الحلية: حلاوة ذكري وكأنه عنى به ما خاطب الله تعالى به داود عليه السلام كما تقدم قريباً. **(وكتب رجل إلى أخ له إنك قد أوتيت)** من الله **(علماً فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم)**، وهذا بعينه قد تقدم للمصنف في ترجمة الشافعي **(وكان يحي بن معاذ)** بن جعفر أبو زكريا الرازي أوحد وقته في زمانه أقام ببلخ مدة، ثم عاد إلى نيسابور ومات بها سنة ٢٥٨. قال صاحب القوت: وهو أول من جلس على كرسي للوعظ في

الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا: يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية، وبيوتكم كسروية، وأثوابكم طاهرية، وأخفافكم جالوتية، ومراكبكم قارونية، وأوانيكم فرعونية، ومآتمكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية، فأين الشريعة المحمدية؟ قال الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها   فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

(وقال آخر):

يا معشر القراء يا ملح البلد   ما يصلح الملح إذا الملح فسد؟

مصر **(يقول لعلماء الدنيا)** متعجباً من حالهم: يا أصحاب العلم **(قصوركم قيصرية)** أي عالية تشبه قصور قيصر ملك الروم وفيها جناس اشتقاق، **(وبيوتكم كسروية)** أي مثل بيوت كسرى ملك الفرس في زخارفها، **(وأثوابكم)** جمع ثوب **(طاهرية)** منسوبة إلى عبدالله بن طاهر بن الحسين الوزير، وكان يتغالى في الثياب أي رفيعة، **(وأخفافكم جالوتية)** أي مزينة كاخفاف جالوت، وكان جباراً من الجبابرة جاء ذكره في القرآن، **(ومراكبكم قارونية)** أي كمراكب قارون في التفاخر بها لكونها مزينة بالذهب والفضة والحرير، **(وأوانيكم فرعونية)** أي فاخرة ثمينة كأواني فرعون، **(ومآتمكم جاهلية)** أي من أفعال الجاهلية. وفي بعض النسخ: موائدكم، **(ومذاهبكم شيطانية)** تتبعون النفس والهوى والشيطان فتذهبون إلى ما مالت به النفوس، فبإطاعة الشيطان صارت مذاهبكم منسوبة إليه. **(فأين)** الطريقة **(المحمدية)**؟ فإن اعلاء القصور وزخرفة المساكن والتزين بالمراكب والملابس والفرش والأواني كل ذلك من أفعال الجبابرة والمترفهين المؤثرين الدنيا على الآخرة. ليس شيء من ذلك في طريقته ﷺ يؤثر الخمول على نفسه ويقنع بالقليل ويزهد في الدنيا وجُدر حجرته الشريفة لم تبلغ ما فوق القامة ويركب الحمار بإكاف وغير إكاف، ويردف خلفه إنساناً، وكان فراشه أدم حشوه ليف، وكان له قدح من خشب يشرب منه، إلى غير ذلك من أحواله وأموره ﷺ يعرفها من مارس كتب الحديث، فمن كان مدعياً اتباع سنته السنية فعليه أن يتبع طريقته ويتبع أحواله حتى يكون محمدياً وفي أحواله مرضياً. **(وأنشدوا)** في هذا المعنى:

(وراعي الشاة يحمي الذئب عنها   فكيف إذا الرعاة لها ذئاب)

أي: إن العلماء هم الرعاة للناس يصلحون من أمورهم ما أفسدوا، فإذا تلبست العلماء بأمور الدنيا وتفاخروا بها كانوا ذئاباً، وكيف تصلح الذئاب أن تكون رعاة أصلاً. **(وقيل)** في معنى ذلك **(أيضاً)**:

(يا معشر القراء يا ملح البلد   ما يصلح الملح إذا الملح فسد)

المراد بالقراء العلماء شبههم بالملح بجامع الإصلاح، وأخرج أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا عبدالله بن أبي داود، حدثنا عمرو بن عثمان ومحمود بن خالد قالا: حدثنا الوليد، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير قال: العلماء مثل الملح هو صلاح كل شيء،

وقيل لبعض العارفين: أترى أن من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله؟ فقال: لا أشك ان من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة انه لا يعرف الله تعالى. وهذا دون ذلك بكثير، ولا تظنن أن ترك المال يكفي في اللحوق بعلماء الآخرة، فإن الجاه أضر من المال. ولذلك قال بشر: «حدثنا» باب من أبواب الدنيا، فإذا سمعت الرجل يقول «حدثنا» فإنما يقول: أوسعوا لي. ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قمطرة

فإذا فسد الملح لم يصلحه شيء، وينبغي أن يوطأ بالاقدام ثم يلقى، وقال في ترجمة سفيان بن عيينة: حدثنا أبو بكر، حدثنا عبدالله، حدثني أبو معمر، عن سفيان قال، قال عيسى عليه السلام: إنما أعلمكم لتعلموا ليس لتعجبوا يا ملح الأرض لا تفسدوا فإن الشيء إذا فسد إنما يصلح بالملح، وإن الملح إذا فسد لم يصلح بشيء **(وقيل لبعض العارفين: أترى إن من تكون المعاصي قرة عينه: لا يعرف الله)** تعالى أي معرفة كاملة أو لا يذوق لذة معرفته. **(قال)** مجيباً **(ما أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر)** أي أخص **(من الآخرة لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير)** أي: فكيف يعرف الله تعالى من كانت المعاصي قرة عينه، فإن ايثار الدنيا دون من أقر عينه بعصيان. وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة هشام الدستوائي بسنده إليه قال: قرأت في كتاب بلغني انه من كلام عيسى عليه السلام فقال: كيف يكون من أهل العلم من دنياه آثر عنده من آخرته وهو في دنياه أفضل رغبة، **(ولا تظنن)** في نفسك **(أن ترك المال)** صامتاً أو ناطقاً هو ترك الدنيا وأنه **(يكفي في اللحوق بعلماء الآخرة)**، وقد وقع في ذلك كثير من العلماء، فظنوا أن اللحوق بأهل الآخرة يتم بالزهد عما ملكت يد الإنسان والتخلي عنه، وركنوا إلى ذلك فأبطأوا في سيرهم ولم يعرفوا أن هناك ما هو أضر منه، **(فإن الجاه)** عند الأمراء والملوك والأغنياء **(أضر من المال)** يفسد الأعمال، **(ولذلك قال)** الإمام أبو نصر **(بشر)** بن الحرث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال المروزي نزيل بغداد الشهير بالحافي، الزاهد الجليل المشهور ثقة عابد قدوة، روى عن حماد بن زيد، وابراهيم بن سعد، وفضيل بن عياض، ومالك وأبي بكر بن عياش، وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم. وعنه أحمد بن حنبل، وابراهيم الحربي، وابراهيم بن هانيء، وعباس العنبري، ومحمد بن حاتم، وأبو خيثمة وخلق. وقال ابن سعد: طلب الحديث وسمع سماعاً كثيراً ثم أقبل على العبادة واعتزل عن الناس فلم يحدث. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ثوري المذهب في الفقه والورع. وقال الدارقطني: ثقة زاهد ليس يروي إلا حديثاً صحيحاً مات سنة سبع وعشرين ومائتين، وله ست وسبعون. أخرج له أبو داود في كتاب المسائل له، والنسائي في كتاب مناقب علي له **(حدثنا)** وأخبرنا **(باب من أبواب الدنيا)** هكذا نقله صاحب القوت عنه، **(و)** قال أيضاً **(إذا سمعت الرجل يقول حدثنا)** وأخبرنا **(فإنما يقول أوسعوا لي)** نقله صاحب القوت عنه، ويروى عن علي أو ابن مسعود أنه مرّ على رجل يتكلم فقال: هذا يقول اعرفوني **(ودفن بشر)**، ولفظ القوت: وحدثنا عن بعض أشياخنا عن بعض شيوخه قال دفنا له **(بضعة عشر ما بين قوصرة وقمطرة من**

وقوصرة من الكتب، وكان يقول: أنا أشتهي أن أحدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت، وقال هو وغيره: إذا اشتهيت أن تحدث فاسكت فإذا لم تشته فحدث. وهذا لأن التلذذ بجاه الإفادة ومنصب الإرشاد أعظم لذة من كل تنعم في الدنيا. فمن أجاب

الكتب)، ولفظ القوت: كتباً لم يحدث منها بشيء إلا ما سمع منه نادراً في الفرد إلى هنا نص القوت. وقال الخطيب في تاريخه: كان كثير الحديث إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية كان يكرهها، ودفن كتبه لأجل ذلك وكل ما سمع منه، فإنما هو على طريق المذاكرة اهـ.

والقوصرة بتشديد الراء وتخفف وعاء للتمر من قصب، وقيل: من البواري، وقيّد صاحب المغرب بأنها قوصرة ما دام بها التمر ولا تسمى زنبيلاً في عرفهم. هكذا نقله شيخنا في حاشية القاموس.

قلت: وهو المفهوم من كلام الجوهري والقمطر بكسر ففتح فسكون شبه سفط يسوّى من قصب يصان فيه الكتب كالقمطرة، وأنشد الخليل بن أحمد:

ليس بعلم ما حواه القمطر إنما العلم ما حواه الصدر

وبالتشديد شاذ. **(وكان)** بشر **(يقول: أنا أشتهي أن أحدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت)** هكذا نقله عنه صاحب القوت وزاد ما نصه: وأنا أجاهد نفسي منذ أربعين سنة. **(وقال هو وغيره)** أيضاً **(إذا اشتهيت أن تحدث فلا تحدث، وإذا لم تشته)** أن تحدث **(فحدث)** هكذا نقله صاحب القوت.

وأخرج الخطيب في كتاب شرف أصحاب الحديث قال: أخبرنا أبو بكر البرقاني قال: قرأت على محمد بن علي بن النضر، حدثكم أحمد بن عمرو بن عثمان، حدثنا عبدالله بن أبي سعد، حدثنا محمد بن عبدالله بن علوان قال: قلت لبشر بن الحرث ألا تحدث؟ قال: أنا أشتهي أحدث وإذا اشتهيت شيئاً تركته اهـ.

وزاد صاحب القوت، وقال رحمه الله مرة: الحديث ليس من زاد الآخرة اهـ.

وأخرج الخطيب في كتاب اقتضاء العلم العمل بسنده إلى عباس بن عبد العظيم العنبري قال: قال بشر بن الحرث: إن أردت أن تنتفع بالحديث فلا تستكثر منه، ولا تجالس أصحاب الحديث، وأخرج أيضاً فيه بسنده إلى إسحاق بن الضيف قال، قال لي بشر بن الحرث: إنك قد أكثرت مجالستي ولي إليك حاجة إنك صاحب حديث، فأخاف أن تفسد علي قلبي فأحب أن لا تعود عليّ فلم أعد إليه. **(وهذا لأن التلذذ بجاه الإفادة ومنصب الإرشاد)** والتعليم **(أعظم من كل نعيم في الدنيا)**، فقد أخرج الخطيب في كتاب شرف أصحاب الحديث بسنده إلى القاضي يحي بن أكتم قال، قال لي الرشيد: ما أنبل المراتب؟ قلت: ما أنت فيه. قال: لكني اعرفه رجل في حلقة يقول: حدثنا فلان عن فلان قال، قال رسول الله ﷺ قال، قلت: يا أمير

شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ، ولذلك قال الثوري : فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد ، وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين ﷺ : ﴿ولولا أن ثبتناك لَقَدْ

المؤمنين، هذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله ﷺ وولي عهد المسلمين. قال: نعم ويلك هذا خير مني لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ﷺ لا يموت أبداً نحن نموت ونفنى والعلماء باقون ما بقي الدهر. وأخرج أيضاً بسنده إلى عمر بن حبيب العدوي القاضي قال، قال لي أمير المؤمنين المأمون: ما طلبت مني نفسي شيئاً إلا وقد نالته ما خلا هذا الحديث فإني كنت أحب أن أقعد على كرسي ويقال: من حدثك؟ فأقول: حدثني فلان قال: فقلت: يا أمير المؤمنين فلم لا تحدث؟ قال: لا تصلح الخلافة مع الحديث للناس. قال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان المأمون أعظم خلفاء بني العباس عناية بالحديث كثير المذاكرة به شديد الشهوة لروايته، مع أنه قد حدث أحاديث كثيرة لمن كان يأنس به من خاصته، وكان يحب إملاء الحديث في مجلس عام يحضر سماعه كل أحد، وكان يدافع نفسه بذلك حتى عزم على فعله. وأخرج أيضاً بسنده إلى الحرث بن أبي أسامة قال: قال بعض أصحابنا سمعت يحي بن أكثم القاضي يقول: وليت القضاء وقضاء القضاة والوزارة، وكذا وكذا ما سررت بشيء كسروري بقول المستملي من ذكرت رضي الله عنك، (**فمن أجاب شهوته فيه فهو في أبناء الدنيا**) لأنه أعطى النفس مشتهاها، (**ولذلك قال**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى: (**فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد**)، وكانت رابعة العدوية تقول: نعم الرجل سفيان لولا أنه يحب الحديث. وقالت مرة: لولا أنه يحب الدنيا يعني اجتماع الناس حوله للحديث. هذا نص القوت بتمامه.

وأخرج الخطيب في شرف أصحاب الحديث، أخبرنا محمد بن الحسين القطان، حدثنا عبدالله بن جعفر بن درستويه، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثني أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن يمان قال: سمعت سفيان يقول: فتنة الحديث أشد من فتنة الذهب والفضة، ونقل مثل ذلك عن بشر بن الحرث فيما أخرجه الخطيب في كتاب الاقتضاء بسنده إلى حمزة بن الحسين بن عمر قال: سمعت ابراهيم بن هانيء النيسابوري يقول: سمعت بشر بن الحرث يقول: ما لي وللحديث ما لي وللحديث، إنما هو فتنة إلا لمن أراد الله به، ومثل كلام رابعة في سفيان يروى عن يحي بن سعيد انه قال: ما أخشى على سفيان شيئاً في الآخرة إلا حبه للحديث، ويروى عن محمد بن هارون بن شيبة الحربي قال: لقيني بشر بن الحرث في الطريق فنهاني عن الحديث وأهله وقال: أقبلت إلى يحي بن سعيد القطان فبلغني أنه قال: أنا أحب هذا الفتى وأبغضه، فقيل له: لم تحبه وتبغضه؟ فقال: أحبه لمذهبه وأبغضه لطلبه الحديث. كل ذلك في كتاب الاقتضاء للخطيب، وفي كتاب شرف أصحاب الحديث له بسنده إلى علي بن قادم قال: سمعت الثوري يقول: لوددت أني لم أكن دخلت في شيء منه يعني الحديث، ولوددت أني أفلت منه لا عليّ ولا لي. وقال محمد بن بشر: سمعت سفيان يقول: ليتني أنجو منه كفافاً يعني الحديث، (**وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر** ﷺ : **ولولا إن ثبتناك**) وقرنا صدرك بنور اليقين (**لقد كدت تركن**)

كِدتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِم شيئاً قليلاً ﴾ [الإسراء : ٧٤] . وقال سهـل رحمه الله : العلم كلـه دنيـا

أي تميل (إليهم شيئاً قليلاً) [الإسراء : ٧٤] . وقد رويت مثل مقالة سفيان وبشر أخبار عن أساطين العلماء ، فربما أشكلت على سامعيها ، ونحن نبين لك ونجيب عنه على حسب الاختصار ، فمن ذلك يذكر عن الفضيل قال ، قال المغيرة : ما طلب أحد هذا الحديث إلا قلّت صلاته ، ويروى عن شعبة بن الحجاج أن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون . ويروى عن الشعبي أنه قال : لوددت أني لم أتعلم من هذا العلم شيئاً . ويروى عن الأعمش : لأن أتصدق بكسرة أحب إلي من أن أحدث بسبعين حديثاً . ويروى عنه أيضاً ما في الدنيا شر من أصحاب الحديث . قال أبو بكر بن عياش الراوي عنه فأنكرتها عليه حتى رأيت منهم ما أعلم ، ويروى عن محمد بن هشام العيشي قال : كنا نأتي أبا بكر بن عياش ، فإذا كان طيب النفس قال حين رآنا خير قوم على وجه الأرض يحيون سنة النبي ﷺ ، فإذا أتيناه على غير ذلك يقول ، شر قوم على وجه الأرض عقوا الآباء والأمهات وتركوا الصلوات في الجماعات إلى غير ذلك من أقوال رويناها بالأسانيد .

أما الجواب عن كلام بشر بن الحرث فقد تقدم في ترجمته أنه دفن كتبه وترك الحديث وأقبل على العبادة فلكراهته ذلك قال ما قال ، وأخرج الخطيب في شرف أصحاب الحديث بسنده إلى محمد بن نعيم بن الهيصم قال : رأيت بشر بن الحرث وقد جاء أصحاب الحديث فقال لهم بشر : ما هذا الذي أرى معكم قد أظهرتموه ؟ قالوا : يا أبا نصر ، نطلب العلم لعل الله ينفع به قوماً . قال : علمتم أنه يجب عليكم فيه زكاة كما يجب على أحدكم إذا ملك مائتي درهم خمسة دراهم ، فكذلك يجب على أحدكم إذا سمع مائتي حديث فليعمل منها بخمسة أحاديث ، وإلا فانظروا إيش يكون هذا عليكم غداً .

وأخرج أيضاً في كتاب الاقتضاء بسنده إلى أبي بكر عبدالله بن جعفر قال : سمعت أحمد بن حنبل ، وسئل عن رجل يطلب الحديث فيكثر قال : ينبغي أن يكثر العمل به على قدر زيادته في الطلب ، ثم قال : سبيل العلم سبيل المال إن المال إذا زاد زادت زكاته ، فذم بشر للحديث وطلبه ليس لذاته ، بل لما يعرض له من عدم القيام بحقوق واجباته .

وأما سفيان فإنما قال ما قال منعاً للناس عن الشهوة الخفية والركون إليها ، وخوفاً على نفسه أن لا يكون قام بحق الحديث والعمل به ، فخشي أن يكون ذلك حجة عليه ، كما خاف من ذلك بشر بن الحرث ، وكان حب الإسناد وشهوة الرواية غلبا على قلب سفيان حتى كان يحدث عن الضعفاء ومن لا يحتج بروايته ، فخاف على نفسه من هذا ومن ذلك قول شعبة نعم الرجل سفيان لولا أنه يقمش يعني يأخذ من الناس كلهم ، وكأنه أراد بقوله ذم من يطلب شواذ الحديث وغرائبه والإكثار من طلب الأسانيد الغريبة والطرق المستنكرة ، وليس يجوّز الظن بالثوري أنه قصد بقوله الذي قاله صحاح الحديث ومعروف السنن ، وكيف يكون ذلك وهو القائل : أكثروا من الأحاديث فإنها سلاح ، وقال : ينبغي للرجل أن يكره ولده في طلب الحديث ، فإنـه مسـؤول

والآخرة منه العمل به. والعمل كله هباء إلا الاخلاص. وقال: الناس كلهم موتى إلا

عنه. وقال: ما أعلم شيئاً يطلب به الله هو أفضل من الحديث فقال له إنسان، فإنهم يطلبونه بغير نية. قال: طلبهم له نية، وكان ربما حدث بعسقلان وصور فيبتدؤهم ثم يقول: انفجرت العيون انفجرت العيون يعجب من نفسه، وربما حدث الرجل فيقول له: هذا خير لك من ولايتك عسقلان وصور.

وأما قول المغيرة فإنه خرج منه على حال نفسه ولعله كان يكثر صلاة النوافل، فإذا سعى في طلب الحديث الى المواضع البعيدة كان ذلك قاطعاً له عن بعض نوافله، ولو أمعن المغيرة النظر لعلم أن سعيه في طلب الحديث أفضل من صلاته، كيف وقد قال ابن المبارك: لو علمت أن الصلاة أفضل من الحديث ما حدثتكم ومرّ عن الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

وأما قول شعبة؛ فقد سئل عنه ابن حنبل فأجاب لعل شعبة كان يصوم فإذا طلب الحديث وسعى فيه يضعف فلا يصوم فهو أخبر عن حال نفسه، وليس يجوز لأحد أن يقول أن شعبة كان يثبط عن طلب الحديث، وكيف يكون ذلك وقد بلغ من قدره أن سمي أمير المؤمنين في الحديث كل ذلك لأجل طلبه له واشتغاله به، ولم يزل على ذلك حتى مات على غاية الحرص فيجمعه لا يشتغل بشيء سواه، ويروى عنه أنه قال: إني لأذكر الحديث فيفوتني فأمرض.

وأما الأعمش، فإنه مع جلالة قدره وصدقه وحفظه فإنه كان سيء الخلق جداً عسراً على استماع الحديث وأخباره في ذلك مشهورة، فالذي قاله تبرأمن طلبة الحديث، فلذا كان يستقبلهم بالذم، ثم يصالحهم بعد بالأسماع كيف ويروى عنه أنه قال: من لم يطلب الحديث أشتهي أن أصفعه بنعلي، وقال سفيان: سمعت الأعمش يقول: لولا هذه الأحاديث لكنا مع البقالين بالسوية، ولو كنت باقلانياً لاستقذرتموني.

وأما أبو بكر بن عياش فإنه كان عسراً في إسماع الحديث كالأعمش، فلما أضجره أصحاب الحديث قال ما قال، وقد يروى عنه قول ظاهر بفضلهم، قال حمزة بن سعيد المروزي: سمعت أبا بكر بن عياش وضرب بيده على كتف يحي بن آدم فقال: ويلك يا يحي في الدنيا قوم أفضل من أصحاب الحديث، فهذا الذي ذكرناه مختصراً كاف في الجواب عما عسى أن يستشكل من أقوال بعض الأئمة وبالله التوفيق.

(وقال) الإمام أبو محمد **(سهل)** بن عبدالله بن يونس التستري سكن البصرة، صاحب كرامات، صحب ذا النون المصري بمكة سنة خروجه للحج توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل ثلاث وسبعين: **(العلم كله دنيا إلا ما أُريدَ به الآخرة)**، كذا في نسختنا، وفي بعضها والآخرة منه العمل به. وهكذا أخرجه الخطيب في كتاب الاقتضاء فقال: أخبرنا محمد بن الحسن الأهوازي، سمعت ابن دينار الصوفي يقول: سمعت محمد بن المنذر يقول: سمعت سهل بن عبدالله يقول: العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به، وهكذا هو في القوت أيضاً، لكن من غير

العلماء والعلماء سكارى إلا العاملين، والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين، والمخلص على وجل حتى يدري ماذا يختم له به. وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: إذا طلب الرجل الحديث أو تزوّج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا، وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذي لا يحتاج إليه في طلب الآخرة،

إسناد. ويروى عنه أيضاً فيما أخرجه الخطيب بالسند إلى بشر بن حسن الصابوني قال، قال سهل: العلم أحد لذات الدنيا، فإذا عمل به صار للآخرة، وزاد صاحب القوت بعد قوله السابق: **(والعمل كله هباء إلا الإخلاص)**. وهذه الزيادة لم أجدها في قول سهل، وإنما هي في قوله الآتي فيما بعد، والمنصف تابع في إيراده صاحب القوت إلا أنه بدون لفظة كله، **(وقال)** سهل أيضاً: **(الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء سكارى إلا العاملين، والعاملون مغرورون إلا المخلصين، والمخلصون على وجل حتى يعلم بما يختم لهم به)** هكذا أورده القوت إلا أنه قال: والمخلص على وجل حتى يختم له به، وقال الخطيب في كتاب الاقتضاء: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الخلال، أخبرنا أبو المفضل الشيباني قال: سمعت عبد الكريم بن كامل الصواف يقول: سمعت سهل بن عبدالله التستري يقول: الناس كلهم سكارى إلا العلماء، والعلماء كلهم حيارى إلا من عمل بعلمه، ثم قال: أخبرنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد النيسابوري بالري، أخبرنا أبو أحمد الغطريفي، حدثنا أبو سعيد العبدي بالبصرة قال، قال سهل بن عبدالله: الدنيا جهل وموات إلا العلم والعلم كله حجة إلا العمل به، والعمل كله هباء إلا الإخلاص.

(وقال) الإمام الزاهد) **(أبو سليمان)** عبد الرحمن بن أحمد بن عطية **(الداراني)** منسوب إلى داريا قرية بغوطة دمشق من رجال الرسالة واسطي سكن دمشق وروى عن الربيع بن صبيح وأهل العراق. وعنه صاحبه أحمد بن أبي الحواري، والقاسم الجويحي. مات سنة خمسة عشر ومائتين.

قلت: وهو غير أبي سليمان الداراني الكبير، فإن هذا اسمه عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون العنسي الدمشقي له رحلة في الحديث: روى عن الأعمش، وليث بن أبي سليم، ويحي بن سعيد الأنصاري، واسماعيل بن أبي خالد، وعنه هشام بن عمار، وعبدالله بن يوسف التنيسي، وصفوان بن صالح، وجماعة وثقه رحيم. قال الذهبي: بقي إلى قرب التسعين ومائة؛ **(إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا)** هكذا أورده صاحب القوت، ولفظه: من تزوج أو طلب الحديث أو طلب معاشاً، وفي موضع آخر أو سافر كما للمصنف، ولم يذكر في طلب المعاش، والباقي سواء زاد المصنف في تفسيره، **(وإنما أراد به الأسانيد العالية)** أي إنما أراد بطلبه للحديث طلب أسانيده العالية الغريبة والاستكثار من الطرق المستنكرة كأسانيد حديث الطائر، وحديث المغفر، وغسل الجمعة، وقبض العلم، ومن كذب ولا نكاح إلا بولي، وغير ذلك مما يتتبع أصحاب الحديث طرقه ويعتنون بجمعه، والصحيح من طرقه أقلها وأكثر من يجمع ذلك الأحداث منهم فيحتفظون بها ويتذاكرون، ولعل

وقال عيسى عليه السلام: كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه، وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به؟

أحدهم لا يعرف من الصحاح حديثاً وتراه يذكر من الطرق الغريبة والأسانيد العجيبة التي أكثرها موضوع وجلها مصنوع مما لا ينتفع به، وهذه العلة هي التي قطعت أكثر العلماء عن التفقه واستنباط الأحكام كفعل من رغب عن سماع السنن من المحدثين وشغلوا أنفسهم بتصانيف المتكلمين، فكلا الطائفتين ضيع ما يعنيه وأقبل على ما لا فائدة فيه، ثم إن علو الإسناد عند حذاق المحدثين إنما يعتبر بعدالة رجال الإسناد لا القرب مطلقاً وإلا فقد يكون نزولاً، ففي مشيخة عبد الرحمن بن علي الثعلبي تخريج الحافظ العراقي بسنده إلى ابن المبارك قال: ليس جودة الحديث قرب الإسناد، جودة الحديث صحة الرجال، وأنشد الحافظ أبو طاهر السلفي لنفسه:

ليس حسن الحديث قرب رجال ... عند أرباب علمه النقاد
بل علو الحديث بين أولي الحفـ ... ـظ والإتقان صحة الإسناد
وإذا ما تجمعا في حديث ... فاغتنمه فذاك أقصى المرادِ

(وتطلب الحديث) الشاذ المنكر، وإليه يشير قول عبدالله بن إدريس: كنا نقول الإكثار من الحديث جنون. قال الطنافسي الراوي عنه صدق وكذا تطلب **(الذي لا يحتاج إليه في طريق الآخرة)**. قال ابن وهب: يذكر عن مالك قال: ما أكثر أحد من الحديث فانجح. وقال عبد الرزاق: كنا نظن أن كثرة الحديث خير، فإذا هو شر كله. وقال المروزي: سمعت أحمد ابن حنبل يقول: تركوا الحديث وأقبلوا على الغرائب ما أقل الفقه فيهم، وقد سبق إنكار ابن القيم قول الداراني هذا وتقرير المصنف إياه، وسبق أيضاً الجواب عنه في خلال فصول المقدمة. **(وقال)** أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبي حدثنا محمد بن إبراهيم بن الحكم، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدوركي، حدثنا سعيد بن عامر، حدثنا هشام صاحب الدستوائي قال: قرأت في كتاب بلغني أنه من كلام **(عيسى)** بن مريم **(عليه السلام)** تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل، ويلكم علماء السوء الأجر تأخذون والعمل تضيعون، يوشك رب العمل أن يطلب عمله **(كيف يكون من أهل العلم من سيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه)** وما يضره أشهى إليه، أو قال أحب إليه مما ينفعه. **(و)** قال أبو نعيم أيضاً: حدثنا أبي، حدثنا ابراهيم بن محجن بن الحسن، حدثنا الفضل بن الصباح، حدثنا أبو عبيدة الحداد، عن هشام الدستوائي قال: كان عيسى عليه السلام يقول: معشر العلماء **(كيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به)** و **(لا)** يطلبه **(ليعمل به)**، والعلم فوق رؤوسكم والعمل تحت أقدامكم فلا أحرار كرام ولا عبيد أتقياء. **(وقال صالح بن كيسان أبو الحرث (البصري)** كذا في النسخ، والصواب النضري بفتح النون والضاد المعجمة المحركة منسوب إلى بني النضير قاله ابن أبي حاتم، وهو مدني نزيل البصرة، روى عن أبيه وغيره، ومحمد بن كعب، وهشام بن عبدة وغيرهم، وعنه سعيد بن محمد الوراق، وعابد بن

وقال صالح بن كيسان البصري: أدركت الشيوخ وهم يتعوّذون بالله من الفاجر العالم بالسنّة.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من طلب علماً مما يبتغي به وجه الله تعالى ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة». وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم، ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد، فقال عز وجل في علماء الدنيا: ﴿وإذ أخَذَ الله ميثاقَ ٱلَّذين أوتوا الكِتابَ لتبيننَّه للناس وَلاَ

حبيب، وعبد الحميد الحماني، وأبو داود الحفري قال ابن عدي: بعض أحاديثه فيها إنكار وهو إلى الضعف أقرب. وقال الحافظ ابن حجر: له ذكر في مقدمة مسلم ونقل عن ابن حبان أنه كان صاحب قينات وسماع وممن يروي الموضوعات عن الإثبات: **(أدركت الشيوخ)** أي بالمدينة وغيرها **(وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة)** هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال أدركت المشيخة والفجور كما تقدم خرق ستر الديانة، وهو مثل قول سيدنا عمر رضي الله عنه السابق أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان.

(وروى أبو هريرة) رضي الله عنه، واسمه عبد الرحمن بن صخر في أشهر الأقوال، وهو من مكثري الصحابة رواية وزهداً وورعاً وترجمته واسعة **(أنه ﷺ قال: «من طلب علماً مما يبتغي به وجه الله ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»)** قال العراقي: رواه أبو داود، وابن ماجه من رواية سعيد بن يسار، عن أبي هريرة بلفظ: «من تعلم» وقال: «لا يتعلمه إلا ليصيب» وإسناده صحيح رجاله رجال البخاري اهـ.

قلت: وقد رواه كذلك الإمام أحمد، والحاكم، والبيهقي وأخرج الديلمي في مسند الفردوس، عن أبي سعيد رفعه: «من تعلم الأحاديث ليحدث بها الناس لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام». قال العراقي: وفي الباب عن ابن عمر رواه الترمذي، وابن ماجه. وقول المنذري في مختصر السنن أن الترمذي روى حديث أبي هريرة وهو إنما روى حديث ابن عمر ولفظهما مختلف فيه اهـ.

قلت: الذي عن ابن عمر في هذا المعنى: «من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار» رواه الترمذي وقال: حسن غريب، ولعل هذا الحديث الذي أشار له العراقي، **(و)** في القوت ما نصه: **(قد وصف الله تعالى)** في كتابه **(علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم)** أي بأكلهم إياها به وطلبهم بتحصيله إياها، **(ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد)**. قال الليث: الخشوع قريب المعنى من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في القلب والبصر والصوت اهـ.

والزهد في الشيء قلة الرغبة فيه والقناعة بقليله **(فقال في)** حق **(علماء الدنيا: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيينه للناس ولا تكتمونه﴾ إلى قوله ﴿ثمناً قليلاً﴾ الى**

تكتمونَهُ فنبذُوه وراءَ ظُهُورِهِمْ واشتَرَوْا بهِ ثمناً قليلاً ﴾ [آل عمران : ١٨٧] . وقال تعالى في علماء الآخرة : ﴿ إنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنْ باللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم خَاشِعِينَ للهِ لاَ يَشْتَرُونَ بآياتِ اللهِ ثمناً قليلاً أولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُم عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٩٩] . وقال بعض السلف : العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء ، والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين . وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه .

وروى أبو الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء : قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا

قوله : (**فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً ﴾ فبئس ما يشترون** [آل عمران : ١٨٧] فقوله ﴿ فنبذوه ﴾ أي تركوه ورموه وراء ظهورهم ولم يعملوا به ولبوا به متاع الدنيا الفانية ، فهذا أكلهم الدنيا بالعلم . (**وقال في**) وصف (**علماء الآخرة : وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم**) أي من الأحكام وغيرها (**خاشعين لله إلى قوله أجرهم عند ربهم**) أي قوله : ﴿ لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم ﴾ [آل عمران : ١٩٩] وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ﴾ [البقرة : ٤١] قال : لا تأخذ على ما علمته أجراً فإنما أجر العلماء والحكماء والحلماء على الله ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم يا ابن آدم علم مجاناً كما علمت مجاناً . وقال صاحب القوت : ومما يدلك على الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة أن كل عالم بعلم إذا رآه من لا يعرفه لم يتبين عليه أثر علمه ولا عرف أنه عالم إلا العلماء بالله عز وجل ، فإنما يعرفون بسيماهم للخشوع والسكينة والتواضع والذلة ، فهذه صبغة الله لأوليائه ولبسة للعلماء به ﴿ ومن أحسن من الله صبغة ﴾ [البقرة : ١٣٨] كما قال : ما ألبس الله عز وجل لبسة أحسن من خشوع في سكينة هي لبسة الأنبياء وسيما العلماء ، فمثلهم في ذلك كمثل الصناع إذ كل صانع لو ظهر لمن لا يعرفه لم يعرف صنعته دون سائر الصنائع ، ولم يفرق بينه وبين الصناع إلا الصناع فإنه يعرف بصنعته لأنها ظاهرة عليه إذ صارت له لبسة وصفة لالتباسها بمعاملته فكانت سيماه .

(**وقال بعض السلف**) أي من العلماء المتقدمين (**العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء**) أي لكونهم ورثتهم ، (**والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين**) لكونهم حكاماً بين الناس فسبيلهم سبيل الملوك والسلاطين . هكذا أخرج هذا القول صاحب القوت . قال المصنف : (**وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه**) أي فيكون حشره مع السلاطين . وقال صاحب القوت : ومثل العالم مثل الحاكم وقد قسم النبي ﷺ الحكام ثلاثة أقسام . فقال : « القضاة ثلاثة » الحديث .

(**وروى أبو الدرداء**) عويمر بن عامر رضي الله عنه تقدمت ترجمته (**أنه ﷺ قال : أوحى الله إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل**

بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب، وألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرّ من الصبر إياي يخادعون وبي يستهزئون لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم حيراناً».

وروى الضحاك عن ابن عباس رضيَ الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «علماء

ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش) جمع مسك بالفتح فالسكون هو الجلد إشارة إلى لباس الصوف **(وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل)** أي في الفصاحة **(وقلوبهم أمر من الصبر إياي يخادعون وبي يستهزئون لأتيحن)** أي لأقدرن **(لهم فتنة تدر الحليم فيهم حيراناً)** قال العراقي: رواه ابن عبد البر في العلم بإسناد ضعيف فيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي، قال البخاري: تركوه. وقال يحي بن معين: ليس بشيء. وقال النسائي، والدارقطني: متروك اهـ.

قلت: هو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص أبو عمرو المدني ويقال له المالكي أيضاً نسبة إلى جده الأعلى أبي وقاص مالك مات في خلافة الرشيد، روى عن عمة أبيه عائشة، وابن أبي مليكة، والزهري، ومحمد الباقر، ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم، وعنه يونس ابن بكر الشيباني، وحجاج بن نصر، والهذيل بن إبراهيم الحمامي، وإسماعيل بن أبان الوراق، وصالح بن مالك الخوارزمي، ومحمد بن يعلى بن زنبور، وأبو عمر الدوري، ويحيى بن بشر الحريري وآخرون. روى له الترمذي حديثاً واحداً في ذكر ورقة بن نوفل، قال البخاري في التاريخ: سكتوا عنه، وجده عمر بن سعد من رجال النسائي نزيل الكوفة صدوق، لكنه مقته الناس لكونه كان أميراً على الجيش الذين قتلوا الحسين بن علي.

قال العراقي: وفي الباب عن أبي هريرة رواه ابن المبارك في الزهد نحوه دون ذكر كونه وحياً إلى بعض الأنبياء، وعن أنس رواه الطبراني في الكبير بلفظ آخر مختصراً وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: وجدت هذا الحديث في الحلية في ترجمة وهب بن منبه، ولفظه: حدثنا عبدالله، حدثنا علي، حدثنا حسين، حدثنا عبدالله بن المبارك أخبرنا بكار بن عبدالله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: قال الله عز وجل فيما يعتب به أحبار بني إسرائيل: «تتفقهون لغير الدين وتتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة تلبسون جلود الضأن وتخفون أنفس الذئاب وتنقون الغذاء من شرابكم وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال، ثم لا تعينونهم برفع الخناصر. تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب تقتنصون بذلك مال اليتيم والأرملة، فبعزتي حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأي ذوي الرأي وحكمة الحكيم» وأخرجه الخطيب في الاقتضاء فقال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، حدثنا محمد بن العباس الخراز، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد. قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي، أخبرنا ابن المبارك فذكره سواء.

(وروى الضحاك) ولفظ القوت، وقد روينا عن الضحاك **(عن ابن عباس)** رضي الله

هذه الأمة رجلان: رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً ولم يشترِ به ثمناً، فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين، ورجل آتاه الله علماً في الدنيا فَضَنَّ به على عباد الله وأخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً فذلك يأتي يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ينادي مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان ابن فلان آتاه الله علماً في الدنيا فضنّ به على عباده وأخذ به طمعاً واشترى به ثمناً فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس».

عنهما (عن النبي ﷺ أنه قال: «**علماء هذه الأمة رجلان: فرجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً**) أي أجرة (**ولم يشتر به ثمناً**) أي عوضاً (**فذلك**) الذي (**يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيامة سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين، ورجل آتاه الله علماً في الدنيا فضن به**) أي بخل به (**على عباد الله وأخذ به طمعاً واشترى به ثمناً**) فذلك الذي (**يأتي يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ينادي مناد على رؤوس الخلائق**). وفي نسخة الأشهاد (**هذا فلان ابن فلان آتاه الله علماً فضنّ به على عباده**). وفي نسخة: على عباد الله عز وجل (**وأخذ به طمعاً واشترى به ثمناً يعذب حتى يفرغ من حساب الناس**). وفي نسخة: الخلق هكذا أورده صاحب القوت.

وقال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من رواية عبدالله بن خراش، عن العوام بن حوشب، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ فذكره إلا أنه قال: «فذلك يستغفر له حيتان البحر ودواب البر والطير في جو السماء» ولم يقل «والكرام الكاتبون» وقال: فبخل وقال فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار. وقال: هذا الذي آتاه الله علماً فبخل به، وقال كذلك حتى يفرغ من الحساب. وعبدالله بن خراش بن حوشب متفق على ضعفه وشهر ابن حوشب مختلف فيه، وذكر المصنف أنه من رواية الضحاك عن ابن عباس، والمعروف رواية شهر بن حوشب عنه. وقال الطبراني: بعد تخريجه لم يرو هذا الحديث عن العوام إلا عبدالله بن خراش، ولا يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد اهـ.

قلت: قد علمت أن المصنف تبع في قوله هذا صاحب القوت، فلعله وقع له طريق إلى ابن عباس غير الذي أشار إليه الطبراني لكونه ثقة، والضحاك المذكور هو ابن مزاحم الهلالي أبو القاسم الخراساني، روى عن ابن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، وقد تكلم في سماعه عن ابن عباس، بل من الصحابة، وروى أيضاً عن الأسود بن يزيد النخعي، وعطاء، وأبي الأحوص، والنزال بن سبرة، وعبد الرحمن بن عوسجة، وعنه جويبر بن سعيد، وسلمة بن نبيط، وعبد العزيز بن أبي رواد، واسماعيل بن أبي خالد، وعمارة بن حفصة وأبو حباب الكبي، ومقاتل بن حيان وجماعة، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: لقي جماعة من

وأشد من هذا ما روي: «أن رجلاً كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول: حدثني موسى صفي الله، حدثني موسى نجي الله، حدثني موسى كليم الله، حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبراً حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام: أتعرف فلاناً؟ قال: نعم. هو هذا الخنزير فقال موسى: يا رب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله بِمَ أصابه هذا؟ فأوحى الله عز وجل إليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه، ولكن أخبرك لِمَ صنعت هذا به لأنه كان يطلب الدنيا بالدين». وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً في

التابعين ولم يشابه أحداً من الصحابة، ومن زعم أنه لقي ابن عباس فقد وهم. وقال ابن عدي: عرف بالتفسير، وأما رواياته عن ابن عباس وأبي هريرة ففيه نظر مات سنة ست ومائة.

(وأشد من هذا ما روي) ولفظ القوت: ومن أغلظ ما سمعت من أكل الدنيا بالعلم ما حدثونا عن عبيد بن واقد عن عثمان بن أبي سليمان قال: **(إن رجلاً)** ولفظ القوت: **(كان)** رجل **(يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول: حدثني موسى نبي الله، حدثني موسى كليم الله)** ولفظ القوت: صفي الله بدل نبي الله، وزاد: حثني موسى نجي الله قبل الجملة الأخيرة **(حتى أثرى وكثر ماله ففقده)**، وفي القوت: وفقده **(موسى عليه السلام فسأل عنه فلا يحس)** أي لم يجد **(له موسى خبراً)** ولفظ القوت: فجعل يسأل عنه فلا يحس منه أثراً **(حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير في عنقه حبل أسود فقال له يا موسى)** كذا في النسخ، ولفظ القوت: فقال له موسى عليه السلام: **(أتعرف فلاناً؟ قال)** الرجل: **(نعم هو هذا الخنزير)**. هكذا في القوت ونسخ الكتاب كلها. قال: نعم. قال: هو هذا الخنزير. وهذه الحكاية إنما أخذها المصنف من الكتاب المذكور، فالعهدة في الاختلاف عليه. **(فقال موسى عليه السلام: يا رب أسألك ان ترده إلى حاله حتى أسأله بما)** وفي القوت. فيا **(أصابه هذا فأوحى الله عز وجل إليه)** يا موسى. **(لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه، ولكن)** وفي القوت: ولكني **(أخبرك لم صنعت هذا به)**. وفي القوت: ولكني أخبرك صنعت هذا به لأنه **(كان يطلب الدنيا بالدين)** وفي عدم إجابة دعوة موسى عليه السلام فيه تغليظ على حال مثله. **(وأغلظ من هذا ما روي عن معاذ بن جبل)** رضي الله عنه **(موقوفاً)** عليه **(ومرفوعاً إلى النبي ﷺ)**، ولفظ القوت: وقد روينا في مقامات علماء السوء حديثاً شديداً نعوذ بالله من أهله، ونسأله أن لا يبلونا بمقام منه، وقد رويناه مرة مسنداً من طريق، ورويناه موقوفاً على معاذ بن جبل رضي الله عنه، وإنما أذكره موقوفاً أحب إليّ. حدثونا عن مندل بن علي، عن أبي نعيم السامي، عن محمد بن زياد، عن معاذ بن جبل يقول فيه، قال رسول الله ﷺ: ووقفته أنا على معاذ. **(قال: «من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه**

رواية عن النبي ﷺ قال: «من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع» وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ، وفي الصمت سلامة وعلم.

ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار، ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان إن رد عليه شيء من علمه أو تهوّن بشيء من حقه غضب، فذلك في الدرك الثاني من النار. ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلاً، فذلك في الدرك الثالث من النار. ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيافيفتي بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين، فذلك في الدرك الرابع من النار. ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه، فذلك في الدرك الخامس من النار. ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلاً وذكراً في الناس، فذلك في الدرك السادس من النار. ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فإن وعظ عنف وإن وعظ أنف، فذلك في الدرك السابع من النار. فعليك يا أخي بالصمت فبه تغلب الشيطان وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشي في غير أرب.

من الاستماع، وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم») كذا في النسخ، ومثله في القوت. وقد أصلح العراقيّ في نسخته التي قرأها عليه ولده وقال: سلامة وغنم.

(ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار) قد تقدم أن الدركات مثل الدرجات إلا أن الدرجات استعملت في الجنة والدركات في النار. **(ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فإن رد عليه شيء من علمه أو تهون بشيء من حقه غضب، فذلك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه)** ولفظ القوت: من يجعل حديثه في غرائب علمه **(لأهل الشرف واليسار)** أي النعمة **(ولا يرى أهل الحاجة)** أي الاحتياج والفقر **(له)** أي لاستماع حديثه ذاك **(أهلاً فذلك في الدرك الثالث من النار. ومن العلماء من ينصب نفسه للفتوى)** وفي القوت: للفتيا **(فيفتي بالخطأ، والله)** عز وجل **(يبغض المتكلمين فذلك في الدرك الرابع من النار. ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه، فذلك في الدرك الخامس من النار، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلاً وذكراً في الناس)** أي شهرة، **(فذلك في الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يستفزه)** أي يحمله **(الزهوّ)** أي التكبر **(والعجب فإن وعظ)** غيره **(عنف)** في وعظه **(وإن وعظ أنف)** أي استكبر عن قبول وعظه، **(فذلك في الدرك السابع من النار عليك بالصمت فبه)** أي بالصمت **(تغلب**

....

الشيطان وإياك أن تضحك من غير عجب) وقد يروى عن معاذ من المقت الضحك من غير عجب **(أو تمشي في غير إرب)** أي حاجة، هكذا أورده بطوله صاحب القوت.

قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم الأصبهاني قال: حدثنا أبو الهيثم أحمد بن محمد الكندي، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا جبارة بن المفلس، حدثنا مندل بن علي، عن أبي نعيم السامي، عن محمد بن زياد، عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ: «إن من فتنة العالم فذكره. وقال: فإن رد عليه شيء من قوله. وقال: من يجعل حديثه وغرائب علمه، وقال: من يتعلم من اليهود والنصارى: وجبارة بن المفلس ومندل بن علي ضعيفان، وأبو نعيم السامي مجهول ومحمد بن زياد الحمصي لم يدرك معاذاً، ورواه الديلمي أيضاً فيه من رواية خالد بن يزيد أبي الهيثم المقري، عن مندل بن علي مثله. وخالد بن يزيد ثقة احتج به البخاري. ورواه ابن الجوزي في الموضوعات، وهذا الكلام معروف من قول يزيد بن أبي حبيب رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق في الباب الثاني منه اهـ.

قلت: أخرجه ابن الجوزي فقال: أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه، أخبرنا محمد بن أحمد الحافظ، أخبرنا محمد بن عبدالله الشافعي، حدثنا جعفر الصائغ، حدثنا خالد ابن يزيد أبو الهيثم، حدثنا جبارة بن مفلس فذكره. فقول العراقي: ورواه ابن الجوزي في الموضوعات أي من رواية خالد بن يزيد، عن مندل بن علي كما يعطيه ظاهر سياقه فيه نظر. وقال ابن الجوزي: خالد كذاب، وجبارة ومندل ضعيفان اهـ.

وقال الذهبي في الديوان: خالد بن يزيد أبو الهيثم المكي. قال أبو حاتم كذاب فينظر هذا مع قول العراقي أنه ثقة واحتج به البخاري، وقوله أيضاً محمد بن زياد الحمصي لم يدرك معاذاً قد جاء وصفه بالسلمي، وعده الذهبي في المجاهيل، وقوله: وهذا الكلام معروف من قول يزيد بن حبيب الخ.

قلت: وقد روي من طريق يزيد بن أبي حبيب مرفوعاً وموقوفاً. إما مرفوعاً فقد أخرجه ابن مردويه فقال: حدثنا أحمد بن عبدالله، حدثنا علي بن الحسن، حدثنا أبو الأزهر النيسابوري، حدثنا فردوس الكوفي، حدثنا طلحة بن رجاء الحمصي عن عمرو بن الحرث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي يوسف المعافري عن معاذ فذكره بمعناه موقوفاً قاله ابن الجوزي أي موقوفاً على معاذ، ثم قال: باطل طلحة متروك.

قلت: لم أر له ذكراً في ديوان الضعفاء للذهبي، وشيخه عمرو بن الحارث بن الضحاك الزبيدي بالضم الحمصي مقبول من السابعة أخرج له البخاري في التاريخ وأبو داود. قال الحافظ السيوطي في اللآلئ المصنوعة: أخرج له المرهبي في فضل العلم قال: أخبرنا أبي قراءة عليه، حدثنا جبارة به، فزالت تهمة خالد، ثم قال: وأخرجه ابن المبارك في الزهد قال: أخبرنا رجل من أهل الشام، عن يزيد بن أبي حبيب قال: إن فتنة العالم فذكره موقوفاً على يزيد. وأخرجه ابن عبد

وفي خبر آخر: «أن العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة». وروي أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيساً بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز. وقال يا أبا سعيد: هذه نفقة وهذه كسوة، فقال الحسن: عافاك الله تعالى، ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له، وعن جابر رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً قال. قال رسول الله ﷺ: «لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى

البر في العلم من طريق ابن المبارك، ثم قال: روى مثل قول يزيد بن أبي حبيب هذا كله من أوله إلى آخره عن معاذ بن جبل من وجوه منقطعة اهـ.

(وفي خبر آخر أن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة). هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً بهذا اللفظ. وفي الصحيحين من رواية أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة رفعه: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة». اهـ.

قلت: قد تقدم في أول الكتاب عند ذكره حديث: «إن من العلم كهيئة المكنون» ما ذكره الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في ترجمة شيخ عتيق نقلاً عن قضيب البان الموصلي أنه قال: من الرجال من يرفع صوته ما بين المشرق والمغرب ولا يسوي عند الله جناح بعوضة. **(وروي أن)** ونص القوت: وروينا عن **(الحسن)** هو البصري أنه **(انصرف)** يوماً **(من مجلسه)** الذي كان يذكر فيه **(فحمل إليه رجل من خراسان)** ونص القوت: فاستأذن عليه رجل من أهل خراسان فوضع بين يديه **(كيساً فيه خمسة آلاف درهم و)** أخرج من حضنه رزمة فيها **(عشرة أثواب من رقيق البز)** أي بزخراسان، فقال الحسن: ما هذا؟ **(فقال يا أبا سعيد هذه نفقة)** وأشار إلى الدراهم، **(وهذه كسوة)** وأشار إلى الرزمة **(فقال)** له **(الحسن: عافاك الله ضم إليك كسوتك ونفقتك)** وفي القوت بتقديم نفقتك **(فلا حاجة لنا بذلك)** وفي القوت: لا حاجة بلافاء **(أنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيامة)**. وفي القوت: يوم يلقاه **(ولا خلاق له)** أي لا حظ له ولا نصيب له.

(وروي عن جابر) بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه **(موقوفاً)** عليه **(ومرفوعاً إلى رسول الله ﷺ)** ونص القوت: وروينا عن شقيق بن إبراهيم، عن عباد بن كثير، عن أبي الزبير، عن جابر ذكره عن رسول الله ﷺ ووقفته أنا على جابر **(أنه قال: «لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالماً يدعوكم من خمس)** خصال **(إلى خمس)** خصال يدعوكم **(من الشك إلى**

خمس: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة». وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ في

اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة) قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية من رواية شقيق عن عباد عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجلسوا مع كل عالم» فذكره. وقدم العداوة ثم الكبر على الرياء، وآخرها من الرغبة إلى الرهبة. وعباد بن كثير البصري نزيل مكة كان رجلاً صالحاً ولكنه متروك. قاله النسائي وغيره، وشقيق أحد الزهاد العباد من أهل المجاهدة والجهاد. قال صاحب الميزان: منكر الحديث، ثم قال لا يتصور أن نحكم عليه بالضعف لأن النكارة من جهة الرواة عنه اهـ.

قلت: نص أبي نعيم في الحلية أسند شقيق عن جماعة فما يعرف بمفاريده ما حدثنا أبو القاسم زيد بن علي بن أبي بلال، حدثنا علي بن مهروية، حدثنا يوسف بن حمدان، حدثنا أبو سعيد البلخي، حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد، حدثنا عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ فذكره، ثم أبو سعيد إسمه محمد بن عمرو بن حجر، ورواه أيضاً أحمد بن عبدالله، عن شقيق، حدثناه أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد الأدريسي، حدثنا أحمد بن نصر الأعمشي البخاري، حدثنا سعيد بن محمود، حدثنا عبدالله بن محمد الأنصاري، حدثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد، عن عباد بن كثير مثله. رواه يحي بن خالد المهلبي عن شقيق فخالفهما. حدثناه أبو سعد الأدريسي، حدثنا محمد بن الفضل القاضي بسمرقند، حدثنا محمد بن زكريا الفارسي ببلخ، حدثنا يحي بن خالد، حدثنا شقيق، حدثنا عباد، عن أبان، عن أنس، عن النبي ﷺ مثله. وفي هذا الحديث كلام. كان شقيق كثيراً ما يعظ به أصحابه والناس فوهم فيه الرواة فرفعوه وأسندوه اهـ كلام أبي نعيم.

قلت: قال الحافظ السيوطي نقلاً عن اللسان أحمد بن عبدالله هو الجويباري أحد الكذابين، ثم قال العراقي: ورواه ابن الجوزي في الموضوعات، ثم قال: ليس هذا من كلام رسول الله ﷺ ثم ذكر كلام أبي نعيم المذكور اهـ.

قلت: وقد وجدت لهذا الحديث طريقاً آخر. قال السيوطي قال ابن النجار، في تاريخه: أخبرنا أبو القاسم الأزجي، عن أبي الرجاء، أحمد بن محمد الكسائي قال: كتب إلي أبو نصر عبد الكريم بن محمد الشيرازي، حدثني أبو القاسم عمر بن حمد بن خزيم الخويبي، حدثنا أبو بكر عمر ابن يمني بن عيسى الخويبي، حدثنا أبو عبدالله الحسين بن هلال الخويبي، حدثنا أبو يوسف يعقوب ابن نعيم البغدادي، حدثنا يحي بن محمد بن أعين المروزي، حدثنا شقيق بن إبراهيم البلخي، أخبرنا عباد بن كثير، عن أبي الزبير، عن جابر مرفوعاً «لا تقعدوا مع كل ذي علم إلا عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس من الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى المحبة، ومن الجهل إلى العلم، ومن الغنى إلى التقلل». ووجدت له طريقاً آخر من طريق أهل

زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْل ما أوتِيَ قَارُونَ إنه لَذُو حظٍّ عظيم★ وقال الَّذين أوتوا العِلم ويلكم ثواب الله خيرٌ لمن آمن﴾ [القصص : ٧٩ ، ٨٠] الآية . فعرف أهل العلم بإيثار الآخرة على الدنيا .

ومنها : أن لا يخالف فعله قول بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أوّل عامل به . قال الله تعالى : ﴿أتأمرون الناس بالبرِّ وتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة : ٤٤] . وقال تعالى : ﴿كَبُرَ مقتاً عِند الله أن تَقُولوا مَا لاَ تَفْعَلُون﴾ [الصف : ٣] . وقال تعالى في قصة شعيب : ﴿وما

البيت . قال السيوطي ، وقال العسكري في المواعظ : حدثنا الحسن بن علي بن عاصم ، حدثنا الهيثم ابن عبدالله ، حدثنا علي بن موسى الرضى ، حدثني أبي ، عن أبيه جعفر ، عن أبيه محمد ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « لا تقعد إلا إلى عالم يدعوك من الخمس إلى الخمس من الرغبة إلى الزهد ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن المداهنة إلى المناصحة ، ومن الجهل إلى العلم » اهـ .

(**وقال**) الله (**تعالى**) في كتابه العزيز في قصة قارون : (**فخرج**) أي قارون (**على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليست لنا مثل ما أوتي قارون إنّه لذو حظ عظيم ★وقال الذين أوتوا العلم**) وهو علم القلوب والمشاهدات الذي هو نتيجة التقوى ، وعلم المعرفة واليقين الذي هو مزيد الإيمان وثمرة الهدى (**ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً**) ثم قال : ﴿ولا يلقاها إلا الصابرون[القصص : ٧٩ ، ٨٠] أي لا يلقى هذه الحكمة إلا الصابرون عن زينة الدنيا التي خرج فيها قارون (**فعرف**) الله عز وجل (**أهل العلم**) المشار إليه (**بإيثار الآخرة على الدنيا والزهد فيها**) والاستصغار لها ، ووصفهم بعمل الصالحات للإيمان بها ، كما وصف أهل الدنيا بالرغبة فيها والاستعظام لها .

(**ومنها**) : أي ومن علامات علماء الآخرة (**أن لا يخالف فعله قوله**) لأن مخالفة الفعل القول من جملة موانع الإرشاد ، (**بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به**) ليكون قوله أوقع في قلوب السامعين. (**قال الله تعالى**) في كتابه العزيز : (**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**) . [البقرة : ٤٤] أي تتركونها فتخالفون بأقوالكم أعمالكم . وقد تقدم في آخر الباب الخامس أن الآية نزلت في أحبار المدينة قاله ابن عباس . (**وقال عز وجل**) : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون (**كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**) [الصف : ٣] قال السيوطي في الدر المنثور : أخرج عبد بن حميد ، وابن المنذر ، عن ميمون بن مهران قيل له : أرأيت قول الله تعالى . هذا أهو الرجل يقرر نفسه فيقول : فعلت كذا وكذا من الخير أم هو الرجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن كان فيه تقصير فقال كلاهما ممقوت . وأخرج عبد بن حميد ، عن أبي خالد الوالي قال : جلسنا عند خباب بن الأرت فسكتنا فقلنا : ألا تحدثنا فإنا جلسنا إليك لذلك فقال : أتأمرون أن أقول ما لا أفعل . (**وقال تعالى في قصة**) سيدنا (**شعيب**) بن يوبب عليه

أريد أن أخالفكم إلى ما أنْهَاكم عنه﴾ [هود : ٨٨] . وقال تعالى : ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [البقرة : ٢٨٢] . وقال تعالى : ﴿واتقوا الله واعلموا﴾ [البقرة : ١٩٦] . ﴿واتّقوا الله واسمعوا﴾ [المائدة : ١٠٨] . وقال تعالى لعيسى عليه السلام : « يا ابن مريم عظ نفسك ، فإن اتعظت فعظ الناس وإلاّ فاستحي مني » . وقال رسول الله ﷺ : « مررت ليلة أُسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه » . وقال ﷺ : « هلاك أمتي

السلام : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) [هود : ٨٨] أي أمنعكم عنه . (وقال تعالى : واتقوا الله ويعلمكم الله) هما جملتان مستقلتان طلبية وهي الأمر بالتقوى وخبريه أي والله يعلمكم ما تتقون ، وليست جواباً للأمر ، ولو أريد الجزاء لأتى بها مجزومة من الواو . (وقال) تعالى : ﴿واتقوا الله واسمعوا﴾ [المائدة : ١٠٨] و ﴿اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾ [الأحزاب : ٧٠] فجعل مفتاح القول السديد والعلم الرشيد والسمع المكير التقوى وهي وصية الله عز وجل من قبلنا وإيانا إذ يقول سبحانه : ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ [النساء : ١٣١] هذه الآية قطب القرآن ومداره عليها كمدار الرحى على الحسبان . (وقال) الله (عز وجل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك) أي أولاً (فإن اتعظت) هي (فعظ الناس ، وإلا فاستحي مني) . قال ابن السمعاني قرأت في كتاب كتبه الغزالي إلى أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل فقال في خلال فصوله : أما الوعظ فلست أرى نفسي أهلاً له لأن الوعظ زكاة نصابه الإتعاظ ، فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة ، وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ، وقد أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام فذكره .

(وقال رسول الله ﷺ : « مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونأتيه ») قال العراقي : أخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية مالك بن دينار ، عن أنس رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالخير وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون » . قال ابن حبان رواه أبو عتاب الدلال ، عن هشام ، عن المغيرة ، عن مالك ابن دينار عن ثمامة عن أنس قال : ووهم فيه لأن يزيد بن زريع أتقن من مائتين من مثل ابن عتاب وذويه .

قال العراقي ، قلت : طريق ابن عتاب هذه رواه أبو نعيم في الحلية ، وأبو عتاب احتج به مسلم ، ووثقه أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم واسمه سهل بن حماد اهـ .

قلت : نص أبي نعيم في الحلية ، حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، حدثنا إبراهيم بن هشام ، حدثنا محمد بن المنهال ، حدثنا هشام الدستوائي ، عن المغيرة بن حبيب ، عن مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أتيت ليلة أسري بي إلى السماء فإذا أنا

عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء، وخير الخيار خيار العلماء». وقال

برجال تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هم خطباء من أمتك» تفرد به يزيد بن زريع عن هشام. ورواه أبو عتاب سهل بن حماد، عن هشام عن المغيرة، عن مالك، عن ثمامة، عن أنس بن مالك. كذلك. رواه صدقة عن مالك، حدثنا محمد بن أحمد ابن علي بن مخلد، حدثنا أحمد بن الهيثم الوزان، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا صدقة بن موسى، عن مالك بن دينار، عن ثمامة، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرأون كتـاب الله ولا يعلمـون» اهـ.

قلت: وأخرج الخطيب من طريق مسلم بن إبراهيم، عن صدقة والحسن بن أبي جعفر قالا: حدثنا مالك بن دينار عن ثمامة فذكره.

وأخرج في ترجمة إبراهيم بن أدهم الزاهد فقال: حدثنا أبو نصر النيسابوري، حدثنا إبراهيم أبو الحسن، حدثنا محمد بن سهل العطار، حدثنا أحمد بن سفيان النسائي، حدثنا ابن مصفى، حدثنا إبراهيم بن أدهم، حدثنا مالك بن دينار عن أنس قال قال رسول الله ﷺ فساقه بمثل سياق ابن حبان. وقال: مشهور من حديث مالك عن أنس غريب من حديث إبراهيم عنه، ثم قال العراقي: وللحديث طرق أخرى: **أحدها**: من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس رواه أحمد والبزار. **والثاني**: من رواية عيسى بن يونس، عن سليمان التيمي عن أنس رواه الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح. **والثالث**: من رواية عمر بن نبهان، عن قتادة، عن أنس رواه البزار اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الإمام أحمد وعبد بن حميد في مسنديهما وأبو داود الطيالسي وسعيد بن منصور وأبو يعلي والألفاظ كلهم متقاربة، ففي بعضها: مررت ليلة أسري بي على قوم، وفيها: قال خطباء من أهل الدنيا ويأمرون الناس بالبر بدل الخير والباقي سواء.

(وقال ﷺ: «هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء») قال العراقي: أما أول الحديث فلم أجد له أصلاً، وأما آخره فرواه الدارمي في مسنده من رواية بقية عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشر فقال: «لا تسألوني عن الشر وسلوني عن الخيـر» يقولها ثلاثا، ثم قال: «إن شر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء» وهذا مرسل ضعيف، فبقية مدلس وقد رواه بالعنعنة، والأحوص ضعفه ابن معين والنسائي وأبوه تابعي لا بأس به اهـ.

قلت: ومن الشواهد للجملة الأولى ما أورده صاحب القوت، وروينا عن عمر وغيره كم من عالم فاجر وعابد جاهل فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين.

الأوزاعي رحمه الله: شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله إليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: ويل

وأخرج أبو نعيم في ترجمة معاذ من رواية ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن مالك بن يخامر، عن معاذ قال: تصديت لرسول الله ﷺ وهو يطوف فقلت يا رسول الله: أرنا شر الناس. فقال: «سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر شرار الناس شرار العلماء في الناس». **ويروى معضلاً** من طريق سفيان عن مالك بن مغول **قال قيل يا رسول لله فأي الناس شر؟ قال:** «اللهم غفراً. قالوا: أخبرنا يا رسول الله. **قال:** «العلماء إذا فسدوا». **(وقال)** أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو **(الأوزاعي)** الفقيه الثقة الجليل مات سنة سبع وخمسين ومائتين **(شكت النواويس)** جمع ناووس هي القبور **(ما تجد من نتن جيف الكفار)** من الأذى **(فأوحى الله تعالى إليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه)** فلما سمعت ذلك سكتت. **(قال)** أبو علي **(الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان)**.

قلت: هذا قد جاء مرفوعاً. قال الطبراني: حدثنا موسى بن محمد بن كثير، حدثنا عبد الملك ابن إبراهيم الجدي، حدثنا عبدالله بن عبد العزيز العمري عن أبي طوالة عن أنس مرفوعاً: «للزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان» فيقولون يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان، فيقال لهم: «ليس من يعلم كمن لا يعلم».

وأخرج الجوزقاني من طريق قتيبة بن سعيد، حدثنا جابر بن مرزوق الجدي شيخ من أهل جدة حدثنا عبدالله بن عبد العزيز العمري الزاهد عن أبي طوالة عن أنس مرفوعاً «إذا كان يوم القيامة يدعى بفسقه العلماء فيؤمر بهم إلى النار قبل عبدة الأوثان ثم ينادي مناد ليس من علم كمن لا يعلم». قال ابن الجوزي موضوع. جابر ليس بشيء ولعل عبد الملك أخذه منه اهـ.

قال السيوطي: ولذا قال ابن حبان إنه باطل وجابر متهم حدث بما لا يشبه حديث الإثبات، ولم أر لعبد الملك ذكراً في الميزان ولا في اللسان، وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية، عن الطبراني وقال: غريب من حديث أبي طوالة عن أنس تفرد به العمري اهـ.

قلت: وهذا غريب من الحافظ السيوطي عبد الملك الجدي ثقة من رجال البخاري وأبي داود والترمذي والنسائي، فالصواب الحكم على حديث الطبراني بعدم البطلان لأن رجاله ثقات غير شيخ الطبراني موسى بن محمد بن كثير فقد ذكره الذهبي في الميزان، وأورد له هذا الحديث وقال منكر وله شاهد صحيح. رواه الترمذي وحسنه، وابن خزيمة، وابن حبان، عن أبي هريرة.

قلت: ومسلم أيضاً نحوه وأشار له الحافظ المنذري ثم قال السيوطي: وأخرج المرهبي في فضل العلم من رواية عمرو بن جميع بن جعفر، عن أبيه، عن علي بن الحسين ربعه «للزبانية إلى فسقة

لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات. وقال الشعبي: يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم: ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم؟ فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهي عن

حملة القرآن أسرع» فساقه كسياق حديث الطبراني إلا أن فيه يا رب بدىء بنا يارب سورع إلينا. وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من رواية عمرو بن الحارث، حدثنا عكرمة بن عمار، عن طاوس، عن ابن عباس رفعه «يدخل فسقه حملة القرآن قبل عبدة الأوثان بألفي عام». وأخرج الخطيب في الإقتضاء من طريق زكريا بن يحي المروزي، حدثنا معروف الكرخي قال: قال بكر بن خنيس إن في جهنم وادياً ثم ساق حديثاً طويلاً وفي آخره: يبدأ بفسقه حملة القرآن فيقولون أي رب بدىء بنا قبل عبدة الأوثان قيل ليس من يعلم كمن لا يعلم.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات)** قال الخطيب في كتاب الإقتضاء: حدثنا محمد بن أحمد، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا حسين بن أبي معشر، أخبرنا وكيع، عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران قال أبو الدرداء فذكره إلا أنه قال: «ويل للذي» بدل «لمن» في الموضعين. وأخرج من طريق عبدالله بن داود الحزيبي قال: حدثنا جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران قال قال أبو الدرداء: ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة وويل لم علم ولم يعمل سبع مرات، وقد يروى ذلك أيضاً عن عبدالله بن مسعود موقوفاً عليه أخرج أبو نعيم في ترجمته من طريق معاوية بن صالح عن عدي بن عدي قال قال ابن مسعود: ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن يعلم ثم لا يعلم سبع مرات، وقد يروى هذا القول مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ رفعه حذيفة بن اليمان فيما أخرجه الخطيب في كتابه المذكور من طريق أبي أحمد الزبيري قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان فيما أعلم قال قال رسول الله ﷺ: «ويل لمن لا يعلم وويل لمن يعلم ثم لا يعمل» ثلاثا. وكذا رفعه سليمان بن الربيع مولى العباس روى الخطيب بسنده إلى إسماعيل بن عمرو البجلي قال: حدثنا عوج ابن فضالة، عن سليمان بن الربيع مولى العباس عن رسول الله ﷺ قال: «ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات» وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق سفيان بن عيينة قال: سمعت الفضل بن عياض يقول: يغفر للجاهل سبعون ذنباً ما لم يغفر للعالم ذنب واحد.

(وقال) أبو عمرو بن شراحيل **(الشعبي)** الفقيه الفاضل المشهور: قال مكحول: ما رأيت أفقه منه مات بعد المائة وله نحو من ثمانين: **(يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهي عن الشر ونفعله)** أورد المصنف هذا القول موقوفاً على الشعبي، وهكذا أورده صاحب الحلية في ترجمته من طريق ابن حنبل قال: حدثنا علي بن حفص، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: يشرف قوم دخلوا الجنة على قوم

الشر ونفعله. وقال حاتم الأصم رحمه الله: ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو. وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا. وأنشدوا:

دخلوا النار فيقولون: ما لكم في النار، وإنما كنا نعمل بما تعلموننا فيقولون إنا كنا نعلمكم ولا نعمل به اهـ.

وقد جاء مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ من طريقه قال الخطيب في كتاب الإقتضاء: حدثنا أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد الأصبهاني قال: حدثنا أبو القاسم الطبراني، حدثنا أحمد بن يحيى بن جبلة الرقي، حدثنا زهير بن عباد، حدثنا أبو بكر الداهري، عن إسماعيل بن خالد عن الشعبي، عن الوليد بن عقبة قال قال رسول الله ﷺ: «إن أناساً من أهل الجنة يتطلعون إلى أناس من أهل النار فيقولون لم دخلتم النار، فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم. فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل». قال الطبراني: لم يروه عن ابن خالد إلا الداهري تفرد به زهير.

قلت: والوليد بن عقبة هو ابن أبي معيط القرشي أخو عثمان لأمه له صحبة وعاش إلى خلافة معاوية. وأخرج من طريق أبي الضياء قال: حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، عن ابن الزبير عن جابر رفعه «اطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فقالوا: بم دخلتم النار، وإنما دخلنا الجنة بتعليمكم. قالوا: إنا كنا نأمركم ولا نفعل».

قلت: وأخرجه أبو علي بن شاذان من هذا الطريق وقال فيه غريب تفرد به أبو الضياء عن أبي عاصم، والحديث في أول المشيخة الصغرى له، وهذا السياق أقرب إلى سياق المصنف الذي عزاه للشعبي.

(وقال) أبو عبد الرحمن **(حاتم)** بن علوان ويقال ابن يوسف **(الأصم)**. قال القشيري في رسالته: من أكابر مشايخ خراسان كان تلميذاً لشقيق وأستاذ أحمد بن خضرويه. قيل: لم يكن أصم إنما تصامم مرة فسمي به، وقال أبو نعيم في الحلية هو مولى للمثنى بن يحيى المحاربي قليل الحديث. **(ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك)**، ويشهد له ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه عن أنس رفعه: «أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه ورجل علم علماً فانتفع به من سمعه منه دونه». **(وقال مالك بن دينار)** فيما أخرجه الخطيب في كتاب الإقتضاء، أخبرنا أبو عبدالله أحمد بن عبدالله المحاملي، حدثنا عبد الرحمن بن العباس البزاز من لفظه، وأصله حدثنا محمد بن إبراهيم الخزاز، حدثنا عبدالله يعني ابن أبي زياد، حدثنا سيار عن جعفر، عن مالك قال: قرأت في التوراة: **(إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا)**، ثم قال: وأخبرنا أبو سعيد الحسن بن محمد الأصبهاني، حدثنا أحمد بن

يا واعظ الناسِ قد أصبحت متهماً ... إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً ... فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناساً راغبين لها ... وأنت أكثر منهم رغبة فيها

(وقال آخر):

لا تَنْهِ عَن خُلُق وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله: مررت بحجر بمكة مكتوب عليه: اقلبني تعتبر فقلبته فإذا عليه مكتوب: «أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم». وقال

جعفر السمسار، وحدثنا أبو بكر بن النعمان، حدثنا زيد بن عمرو، وحدثنا جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار، قال: «العالم الذي لا يعمل بمنزلة الصفا إذا وقع عليها القطر زل عنه **(ولذلك قيل:**

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً ... إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها)

أي أصبحت متهماً في دينك إذ نهيت الناس بما أتيت به فخالف قولك العمل. **(وقال آخر:**

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم)

وقد تقدم للمصنف إنشاد هذا البيت في الباب الذي قبله أعاده هنا لشدة المناسبة ولا ضرر فيه إذا كان المقصود الإفادة، وقال محمد بن العباس اليزيدي أنشدنا أبو الفضل الرقاشي:

ما من روى علماً ولم يعمل به ... فكيف عن وقع الهوى بأريب
حتى يكون بما تعلم عاملاً ... من صالح فيكون غير معيب
ولقلما تجدى إصابة صائب ... أعماله أعمال غير مصيب

(وقال) الإمام الزاهد أبو إسحاق **(إبراهيم بن أدهم)** بن منصور العجلي، وقيل: التميمي البلخي. صدوق مات سنة إثنين وستين ومائة **(مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فإذا عليه «أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم»)** والذي في كتاب الإقتضاء للخطيب، أنبأنا القاضي أبو العلاء الواسطي، أخبرنا أبو الفتح الموصلي، أنبأنا عبدالله بن علي العمري، أنبأنا الفتح بن شنجرف، حدثنا عبدالله بن خبيب قال: أنبأنا عبدالله ابن السفري السندي، عن إبراهيم بن أدهم قال: خرج رجل يطلب العلم فاستقبله حجر في الطريق فإذا فيه منقوش اقلبني ترى العجب وتعتبر. قال: فأقلبت الحجر فإذا فيه مكتوب «أنت بما تعلم لا تعمل كيف تطلب ما لا تعلم». قال: فرجع الرجل انتهى. وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم قال: وحدثني إبراهيم بن أدهم قال: مررت في بعض بلاد الشام فإذا حجر مكتوب عليه نقش بين بالعربية والحجر عظيم.

ابن السماك رحمه الله: كم من مذكر بالله ناس لله، وكم من مخوف بالله جريء على الله، وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله، وكم من داع إلى الله فارّ من الله، وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله؟ وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله: لقد أعربنا في كلامنا

كـــل حـــي وإن بقـــي فمـــن العيـش يستقـــي
فـــاعمـــل اليـوم واجتهـــد واحـــذر المـوت يـــا شقـــي

قال، فبينا أنا واقف أقرأه وأبكي، فإذا أنا برجل أشعث أغبر عليه مدرعة من شعر فسلم علي فرددت عليه السلام، ورأى بكائي فقال: ما يبكيك؟ فقلت: قرأت هذا النقش فأبكاني. قال: وأنت لا تتعظ وتبكي حتى توعظ ثم قال: سر معي حتى أقرئك غيره فمضيت معه غير بعيد، فإذا بصخرة عظيمة شبيهة بالمحراب فقال: اقرأ وابك ولا تعص، ثم قام يصلي وتركني، وإذا في أعلاه نقش بين عربي:

لا تبغين جاهاً وجاهـك ساقـط عند المليك وكـن لجاهـك مصلحاً

وفي الجانب الآخر:

مـا أزيـن التقـى ومـا أقبـح الخنـا وكـــل مـــأخـــوذ بما جنـــى

وعند الله الجزاء ★ وفي أسفل المحراب فوق الأرض بذراع أو أكثر ★ إنما العز والغنى ★ في تقى الله والعمل ★ فلما تدبرته وفهمته التفت إلى صاحبي فلم أره فلا أدري مضى أو حجب عني.

(وقال) أبو العباس محمد بن صبيح مولى بني عجل **(ابن السماك)** المذكر زاهد حسن الكلام. روى عن إسماعيل بن أبي خالد، وهشام والأعمش. وعنه أحمد وحسين بن علي الحنفي مات سنة ثلاث وثمانين ومائة. **(كم من مذكر بالله ناس لله، وكم من مخوف بالله جريء على الله، وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله، وكم من داع إلى الله فار من الله، وكم من تال لكتاب الله منسلخ عن آيات الله)**. أي: فلا ينفع التذكير والتخويف والتقريب والدعاء إلا بالتحلي بالأعمال الصالحة، كما أن تلاوة الكتاب لا تصلح للمنسلخ من آيات الله تعالى وحججه، فيكون مثل بلعام ابن باعوراء. وأخرج البخاري في تاريخه في ترجمة عمر بن الحسن المناطقي بسنده إليه قال: حدثنا جعفر بن محمد الخلدي، حدثنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا داود، حدثنا عباد، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر رفعه: «كم من عاقل عقل من أمر الله وهو حقير عند الناس ذميم المنظر ينجو غداً، وكم من ظريف جميل المنظر عند الناس يهلك غداً في القيامة».

(وقال إبراهيم بن أدهم) فيما أخرجه الخطيب في الإقتضاء فقال: حدثنا أبو القاسم الأزهري، حدثنا محمد بن العباس الخزاز، حدثنا ابن أبي داود، حدثنا عبدالله بن حنيف قال: سمعت شيخاً من أهل دمشق يقول قال إبراهيم بن أدهم: **(لقد)** هكذا هو في القوت، وليس هو عند الخطيب **(أعربنا في كلامنا فلم نلحن)** وعند الخطيب في الكلام: فما نلحن **(ولحنا في**

فلم نلحن ولحنا في أعمالنا فلم نعرب. وقال الأوزاعي: إذا جاء الاعراب ذهب الخشوع. وروى مكحول، عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال: حدثني عشرة من أصحاب رسول الله

أعمالنا فلم نعرب). وعند الخطيب: في الأعمال فما نعرب. وأخرج أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن الحسن، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا بعض إخواننا قال: دخلنا على إبراهيم بن أدهم فسلمنا عليه فرفع رأسه إلينا فقال: اللهم لا تمقتنا فاطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه فقال: إنه إذا لم يمقتنا أحبنا ثم قال تكلمنا أو نطقنا بالعربية فما نكاد نلحن، ولحنا بالعمل فما نكاد نعرب، وسياق المصنف أخرجه الخطيب بعينه لبعض الزهاد فقال بسنده إلى المرزباني قال أخبرني الصولي قال، قال بعض الزهاد: أعربنا في كلامنا فما نلحن ولحنا في أعمالنا فما نعرب. وأخرج أيضاً من طريق سلمة بن كلثوم قال: سمعت إبراهيم بن أدهم عن مالك بن دينار قال: تلقى الرجل وما يلحن حرفاً وعمله لحن كله وأنشد الخطيب:

لم نـــؤت مـــن جهـــل ولكننـــا	نستر وجـــه العلـــم بـــالجهـــل
نكـــره أن نلحـــن في قـــولنـــا	ولا نبـــالي اللحـــن في الفعـــل

وأنشد لهلال بن العلاء الباهلي:

سبيلي لسـان كـان نعـرب لفظــه	فيـا ليتـه في وقعــة العــرض يسلم
وما ينفع الإعراب إن لم يكــن تقـي	ومـا ضر ذا تقـوى لسـان معجـــم

وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى أحمد بن أبي الحواري قال: حدثنا مروان بن محمد قال، قيل لابراهيم بن أدهم: إن فلاناً يتعلم النحو. قال: هو إلى أن يتعلم الصمت أحوج، وأخرج الخطيب بسنده إلى الضحاك بن أبي حوشب قال: سمعت القاسم بن مخيمرة يقول تعلم أوّله شغل وآخره بغي. (**وقال**) أبو عمرو (**الأوزاعي**) رحمه الله تعالى: (**إذا جاء الاعراب ذهب الخشوع**). نقله صاحب القوت.

(**وروى**) أبو عبدالله (**مكحول**) الشامي فقيه ثقة كثير الإرسال مات سنة بضع عشرة ومائـة. (**عن عبد الرحمن بن غنم**) بن كريب بن هانئ بن ربيعة الأشعري. ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين قيل له صحبة ولم تثبت. وقال ابن عبد البر: كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ ولم يره، ولازم معاذ بن جبل إلى أن مات، وكان أفقه أهل الشام مات سنة ثمان وسبعين روى عن جماعة من الصحابة يأتي ذكرهم قريباً، وروى عنه ابنه وعطية بن قيس، ومالك بن أبي مريم، وأبو سلام الأسود، ومكحول، وشهر بن حوشب، ورجاء بن حيوة، وعبادة بن نسي، وصفوان بن سليم وجماعة (**أنه قال: حدثني عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ**) الذين سمع منهم من الصحابة عمر، وعثمان، وعلي، وأبو ذر،

ﷺ قالوا: كنا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا». وقال عيسى عليه السلام:

ومعاذ، وأبو عبيدة بن الجراح، وأنس بن مالـك الأشعري وأبو موسى الاشعري، وأبو هريرة، وعمرو بن خارجة، وشداد بن أوس، وعبادة بن الصامت، وثوبان، ومعاوية جملتهم أربعة عشر نفساً. **(إنا كنا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله عز وجل حتى تعملوا»)** قال العراقي: ذكره ابن عبد البر في بيان العلم هكذا من غير أن يصل إسناده، وقد رُوي من حديث معاذ، وابن عمر، وأنس.

أما حديث معاذ فرواه الخطيب في كتاب الاقتضاء من رواية عثمان بن عبد الرحمن الجمحي، عن يزيد بن جابر، عن أبيه، عن معاذ، عن النبي ﷺ فذكر مثله. وأخرجه أيضاً من رواية بكر بن خنيس عن حمزة النصيبي، عن يزيد بن يزيد بلفظ: «فلن ينفعكم مكان يأجركم» وهكذا رواه ابن عدى في الكامل، وأبـو نعيم في الحلية، ثم قال: وقد رواه الدرامي في مسنده، وابن المبارك في الزهـد والرقائق موقوفاً على معاذ باسناد صحيح اهـ.

قلت: الذي في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا علي بن إسحاق، حـدثنـا الحسين ابن الحسن، حدثنا عبدالله بـن المبارك، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن يزيد بن يزيد بن جابر قال: قال معاذ قال «اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلم حتى تعملوا قال الشيخ: رفعه حمزة النصيبي عن ابن جابر، عن أبيه، عن معاذ، ثم ساق سنده إليه كسياق الخطيب.

ثم قال العراقي، وأما حديث ابن عمر: فرواه الدارقطني في غرائب مالك ومن طريقه الخطيب في أسماء الرواة عن مالك بسند محمد بن روح وهو ضعيف، ولا يصح هذا عن مالك.

وأما حديث أنس: فروي عنه مرفوعاً وموقوفاً رواه ابن عبد البر في العلم من رواية عباد بن عبد الصمد عن أنس موقوفاً قال: وهو أولى من رواية من رواه مرفوعاً قال: وعباد متفق على تركه اهـ.

قلت: وقد أخرج ابن عساكر في التاريخ عن أبي الدرداء أشار له السيوطي وسياقه كسياق الخطيب، ورواه الحسن بن الأخرم المديني في أماليه عن أنس أشار لـه السيـوطـي وسيـاقـه كسيـاق الخطيب، وأخرج الخطيب في الاقتضاء من طريق وكيع، عن جعفر بن برقان، عن فرات بن سليمان، عن أبي الدرداء قال: إنك لن تكون عالماً حتى تكون متعلماً ولن تكون متعلماً حتى تكون بما علمت عاملاً. وأخرج من طريق هشام الدستوائي، عن برد، عن سليمان قاضي عمر بن عبد العزيز قال: قال أبو الدرداء: لا تكون عالماً حتى تكون متعلماً ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً. **(وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل إمرأة زنت في**

مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الاشهاد. وقال معاذ رحمه الله: احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته. وقال عمر رضي الله عنه: إذا زلّ العالِم زل بزلته عالَم من الخلق. وقال عمر رضي الله عنه: ثلاث بهن ينهدم الزمان إحداهن زلة العالِم. وقال ابن مسعود: سيأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء، فلا يوجد لها عذوبة، وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة، فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفىء مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم

السر فحملت فظهر حملها فافتضحت، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى يوم القيامة على رؤس الاشهاد) . نقله صاحب القوت. **(وقال معاذ)** رضي الله عنه: **(احذروا زلة العالم)** بكسر اللام **(لأن قدره عند الخلق عظيم)** أي يهابونه إجلالاً **(فيتبعونه على زلته)** لمهابته عندهم، وذكر له الطبراني في الأوسط مرفوعاً إني أخاف عليكم ثلاثاً وهي كائنات زلة عالم الحديث. كما سيأتي. ومن كلامه رضي الله عنه أيضاً واحذركم زيغة الحكيم فان الشيطان يقول عليّ في الحكيم كلمة الضلالة وقد يقول المنافق كلمة الحق فاقبلوا الحق فان على الحق نوراً. **(وقال عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه: إذا زلّ العالم زل بزلته عالم من الخلق)**، وبين العالم والعالم جناس. **(وقال)** أيضاً: **(ثلاث)** خصال **(بهن يهدم الاسلام)** فذكرهن وقال: **(إحداهن زلة العالم)** وهي أشدهن لأنه يقتدى به في الحلال والحرام، وقد جاء ذكر هذه الثلاثة في حديث معاذ. زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تفتح عليكم كما سيأتي قريباً، ومثله في حديث أبي الدرداء، ولكن فيه الثالث التكذيب بالقدر وسيأتي أيضاً.

(وقال) أبو عبد الرحمن عبدالله **(بن مسعود)** بن غافل بن حبيب الهذلي رضي الله عنه من السابقين الاوّلين صاحب علوم وأمرَّه عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثمانين أو في التي بعدها بالمدينة. **(سيأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب)** أي تنقلب حلاوة القلوب التي هي ثمرة الايمان الكامل مرارة وملوحة، **(فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه)** وإذا لم ينتفع **(فتكون قلوب علمائهم)** إذ ذاك **(مثل السباخ)** جمع سبخة وهي الأرض المالحة **(من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا توجد لها عذوبة)** وفي نسخة له. فكذلك إذا صادف القلوب التي نزعت منها حلاوة الايمان ثم بين ذلك بقوله: **(وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا)** أي والجاه والرئاسة **(وايثارها على الآخرة، فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة وتطفأ مصابيح الهدى من قلوبهم)** أي: فلا يكاد يصدر منهم

حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر في عمله، فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب، فوالله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى. وفي التوراة والإنجيل مكتوب: لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم. وقال حذيفة رضي الله عنه: إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك، وسيأتي زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين.

الأرشاد حينئذ **(فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله)** يقول ذلك **(بلسانه والفجور)** هو خرق ستر الديانة **(بين)** أي ظاهر **(في عمله فما أخصب الألسن يومئذ)** وأرطبها بالفصاحة وكثرة الكلام **(وأجدب القلوب)** وأيبسها: **(فوالله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلمين علموا)** العلم **(لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله)**. فحل بهم ما حل، وكأنه رضي الله عنه نطق بما هو واقع الآن بل وقبلنا بكثير فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رفعه: «كيف، أنتم إذا التبستكم فتنة فتتخذ سنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير وإذا ترك منها شيْ قيل تركت سنة. قالوا: متى ذلك يا رسول الله. قال: كثر قراؤكم وقلت علماؤكم وكثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الله». قال عبدالله. فأصبحتم فيها. قال الشيخ. كذا روي مرفوعاً والمشهور من قول عبد الله موقوف. **(وفي التوراة والانجيل مكتوب: لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم)** هكذا أورده صاحب القوت. وأخرج أبو نعيم في ترجمة محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس قال: رقي رسول الله ﷺ المنبر فقال: «قال موسى عليه السلام يا بني إسرائيل ورآهم يبكون فقال، كم تعملون ولا تعلمون وأنتم لا تعلمون ولا تعملون». وأخرج في ترجمة مالك بن دينار بسنده إليه قال: كنت مولعاً بالكتب أنظر فيها فدخلت ديراً من الديارات ليالي الحجاج فأخرجوا كتاباً من كتبهم فنظرت فيه، فإذا فيه يا ابن آدم: لم تطلب علم ما لم تعلم وأنت لما تعمل فيما تعلم. **(وقال حذيفة رضي الله عنه)** ولفظ القوت: وروينا عن حذيفة بن اليمان **(إنكم)** اليوم **(في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك، وسيأتي زمان)** ولفظ القوت: ويأتي بعدكم زمان **(من عمل فيه)** ولفظ القوت: من عمل منهم **(بعشر ما يعلم نجا)**. وقال صاحب القوت في موضع آخر، وفي حديث أبي هريرة: يأتي على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا، وفي بعضها بعشر ما يعلم. وفي حديث علي: يأتي على الناس زمان ينكر الحق تسعة أعشار أعشارهم لا ينجو منه يومئذ إلا كل مؤمن نؤمة يعني صموتاً متغافلاً. وذكر في موضع آخر قال بعض التابعين: من عمل بعشر ما يعلم علمه الله تعالى ما يجهل ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة، ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار اهـ.

وأخرج أبو نعيم في ترجمة العلاء بن زياد بسنده إليه قال: إنكم في زمان أقلكم الذي ذهب

واعلم أن مثل العالم مثل القاضي، وقد قال ﷺ: « القضاة ثلاثة: قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة، وقاضٍ قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو في النار، وقاضٍ قضى بغير ما أمر الله به فهو في النار ». وقال كعب رحمه الله: يكون في آخر

عشر دينه، وسيأتي عليكم زمان أقلكم الذي يبقى عشر دينه، (**وذلك لكثرة البطالين**) هكذا في النسخ، ولفظ القوت عقيب كلام حذيفة: هذا لقلة العاملين وكثرة الطالبين. وقال في موضع آخر، وقال بعض الخلف: أفضل العلم في آخر الزمان الصمت، وأفضل العمل النوم يعني لكثرة الناطقين بالشبهات، فصار الصمت للجاهل علماً ولكثرة الغافلين بالشهوات، فصار النوم عبادة البطال. ولعمري أن الصمت والنوم أدنى أحوال العالم وهما أعلى حال الجاهل.)

(**واعلم أن مثل العالم مثل القاضي**) وهذا مثل قوله فيما سبق قريباً وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا فاللام في العالم للعهد، وقد أخذ هذه العبارة من القوت ونصه: ومثل العالم مثل الحاكم. (**وقد**) قسم الحاكم على ثلاثة أقسام. (**وقال ﷺ: « القضاة ثلاثة: قاض قضى بالحق وهو يعلم فذاك في الجنة، وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو في النار، وقاضي قضى بغير ما أمر الله به فهو في النار »**) قال المناوي: قال في المطامح هذا تقسيم بحسب الوجود الحكم، ومعروف أن مرتبة القضاء شريفة ومنزلته رفيعة منيفة لمن اتبع الحق وحكم على علم بغير هوى وقليل ما هم، وقيل: معناه من كان الغالب على أقضيته العدل والتسوية بين الخصمين فله الجنة، ومن غلب على أحكامه الجور والميل إلى أحدهما فله النار، والحاصل أنه فيه إنذار عظيم للقضاة التاركين للعدل والأعمال والمقصرين في تحصيل رتب الكمال. قالوا: والمفتي أقرب إلى السلامة من القاضي لأنه يلزم بفتواه، والقاضي يلزم بقوله فخطره أشد فيتعين على كل من ابتلي بالقضاة أن يتمسك من أسباب التقوى بما يكون له جنة اهـ. بخ.

قال العراقي: رواه بريدة بن الخصيب، وعبدالله بن عمر. أما حديث بريدة فرواه أبو داود والترمذي والنسائي في الكبرى وابن بريدة عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: « القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة. رجل قضى بغير الحق فعلم ذاك فذلك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحق فذلك في الجنة » لفظ رواية الترمذي ورجالها رجال الصحيح وإسناد النسائي وابن ماجه أيضاً صحيح اهـ.

قلت: ورواه الحاكم كذلك وصححه. قال الذهبي والعهدة عليه، ولفظ الحاكم: « القضاة ثلاثة إثنان في النار وواحد في الجنة رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار » ورجل عرف الحق في الحكم فهو في النار » قال العراقي : وابن بريدة الذي لم يسم في روايتهم هو عبدالله بن بريدة كما ذكره ابن عساكر والمزني كلاهما في الأطراف، ثم قال وأما حديث ابن عمر، فرواه الطبراني في الكبير من رواية محارب بن دثار عن ابن عمر رفعه « القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة. قاض قضى بالهوى فهو في النار. وقاض قضى بغير علم فهو في النار، وقاض قضى بالحق فهو في الجنة » وإسناده جيد رجاله رجال الصحيح.

الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون، ويخوفون الناس ولا يخافون، وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم، ويؤثرون الدنيا على الآخرة، يأكلون بألسنتهم يقربون الأغنياء دون الفقراء، يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال، يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره، أولئك الجبارون أعداء الرحمن. وقال ﷺ: «إن الشيطان ربما يسوّفكم بالعلم»، فقيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال ﷺ يقول: «اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للعلم قائلاً وللعمل مسوّفاً حتى يموت وما

قلت: وكذا رواه أبو يعلي في معجمه، وقال الهيتمي رجاله ثقات. وقد أفرد الحافظ ابن حجر فيه جزء.

(وقال كعب) بن مانع الحميري ولقبه **(الأحبار)** على المشهور كنيته أبو إسحاق ثقة مخضرم. كان من أهل اليمن فسكن الشام مات في آخر خلافة عثمان، وقد زاد على المائة. قال الحافظ ابن حجر: وليس له في البخاري رواية ولا في مسلم إلا حكاية. ويروى كذلك عن علي وابن عباس **(يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم)**. ونص القوت: ولا ينهون ويؤثرون الدنيا على الآخرة **(يأكلون)** وفي القوت: ويأكلون الدنيا **(بألسنتهم)** أكلاً **(ويقربون الأغنياء دون الفقراء)**. ونص القوت: يقربون الاغنياء ويباعدون الفقراء **(يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال. يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره)** ذلك حظهم من العلم. هكذا أورده صاحب القوت، ثم يقال: وفي حديث علي رضي الله عنه: علماؤهم شر الخليقة منهم الفتنة وفيهم تعود. وفي حديث ابن عباس: **(أولئك الجبارون أعداء الرحمن)** فعلم من سياق القوت أن هذه الجملة الأخيرة ليست من كلام كعب. وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية ابن عبد الحكم أن ابن وهب أخبرهم، عن عبد الله بن عياش، عن يزيد بن قورد قال، قال كعب: يوشك أن تروا جهال الناس يتباهون بالعلم ويتغايرون عليه كما تتغاير النساء على الرجال، فذلك حظهم من العلم. وأخرج الخطيب في الاقتضاء من رواية سفيان الثوري، عن ثور بن فاختة عن يحي بن جعدة، عن علي قال: يا حملة العلم اعملوا به فإنما العالم من عمل وسيكون قوم يحملون العلم يباهي بعضهم بعضاً حتى ان الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره أولئك لا تصعد أعمالهم إلى السماء.

(وقد روي عنه ﷺ انه قال: «إن الشيطان ربما يسبقكم بالعلم) هكذا في نسخ الكتاب التي بأيدينا. وفي نسخة بخط الكمال الدميري ربما سبقكم بلفظ الماضي وهو هكذا نص القوت وعوارف المعارف، ووجدت في نسخة المغني للحافظ العراقي التي قرئت عليه وعليها خطه «ربما يسبعكم» بالعين المهملة مكان القاف وعليه التصحيح ولم أجد له معنى، **(فقيل يا رسول الله: وكيف ذلك قال: يقول «أطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلاً وللعمل**

عمل». وقال سري السقطي: (اعتزل رجل للتعبد كان حريصاً على طلب علم الظاهر فسألته فقال: رأيت في النوم قائلاً يقول لي: «إلى كم تضيع العلم ضيعك الله»؟ فقلت: إني لأحفظه، فقال: «حفظ العلم العمل به» فتركت الطلب وأقبلت على العمل). وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية) وقال الحسن: تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همتهم الرواية

مسوّفاً حتى يموت وما عمل) من شيء أورده صاحب القوت ولفظه، وقد روينا في خبر وفيه قلنا يا رسول الله كيف يسبقنا بالعلم والباقي سواء. وقال العراقي أخرجه الخطيب في كتاب الجامع لآداب الرواي والسامع من رواية عمرو بن عبد الجبار بن حسان السنجاري، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أنس رفعه ولفظه «إن الشيطان ليسبقكم بالعلم» قالوا: كيف يسبقنا يا رسول الله؟ قال «لا يزال العبد للعلم طالباً وللعمل تاركاً حتى يأتيه الموت» قال واسناده غريب وعمرو بن عبد الجبار ذكره ابن عدي في الكامل وأورد له أحاديث وقال: كلها غير محفوظة، والراوي محمد بن المغيرة أورده الذهبي في الميزان، وقال: روى خبراً باطلاً متنه في الجنة نهر يقال له رجب اهـ.

قلت: الذي ذكره الذهبي في الديوان في عمرو بن الجبار قال ابن عدي روى عن عمه مناكير وعنه علي بن حرب فمقتضى سياقه ان النكرة مقيدة فيما إذا روى عن عمه وهنا ليس كذلك، وقال في ذيل الديوان: محمد بن المغيرة بن بسام عن منصور بن يزيد، وعنه البخاري صاحب الصحيح حديث «في الجنة نهر يقال له رجب» وسكت عنه.

(وقال سري السقطي) بن المفلس تقدمت ترجمته **(اعتزل للتعبد رجل كان حريصاً على طلب العلم الظاهر فسألته)** ولفظ القوت: وحدثونا عن سري السقطي قال: كان شاب يطلب علم الظاهر ويواظب عليه، ثم ترك ذلك وانفرد واشتغل بالعبادة فسألت عنه فاذا هو قد اعتزل الناس وقعد في بيته يتعبد، فقلت: كنت حريصاً على طلب العلم الظاهر فما بالك انقطعت؟ **(فقال)** لي: **(رأيت في المنام قائلاً يقول إلى كم)** وفي القوت يقول لي كم **(تضيع العلم ضيعك الله؟ فقلت: إني لاحفظه. قال: حفظ العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على العمل)**. ولفظ القوت: وأقبلت على النظر فيه للعمل. **(وقال ابن مسعود)** ولفظ القوت: وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: **(ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية)** أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية قرة بن خالد، عن عون عبدالله قال، قال عبد الله فذكره إلا إنه قال «لكن» مكان «إنما» وهذا القول قد تقدم للمصنف في أثناء الوظيفة الأولى من وظائف المتعلم. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى فيما رواه صاحب القوت قال: كان يقول **(اعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا)** وهذا قد روي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ من حديث معاذ أخرجه أبو نعيم والخطيب كما تقدم، **(فان السفهاء همتهم**

والعلماء همتهم الرعاية. وقال مالك رحمه الله: إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية، ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فلا تؤثرون عليه شيئاً. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملاً، وسيأتي قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها. وفي مثله قوله

الرواية والعلماء همتهم الدراية). وهذه الجملة أخرجها الخطيب في الاقتضاء من رواية لوين قال: حدثني أبو محمد الإطرابلسي، عن أبي معمرٍ، عن الحسن قال: همة العلماء الرعاية وهمة السفهاء الرواية. وأخرج من طريق صالح بن رستم قال، قال قلابة لأيوب يا أيوب لا تكونن إنما همك أن تحدث به الناس، وفي القوت وقد كان الحسن يقول: إن الله لا يعبأ بصاحب رواية إنما بصاحب فهم ودراية. وقال أيضاً: من لم يكن له عقل يسوسه لم تنفعه كثرة رواية الحديث. **(وقال مالك)** بن أنس رحمه الله تعالى حين سئل عن حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم، فقال في الجواب: **(إن طلب العلم لحسن وان نشره لحسن إذا صحت فيه النية، ولكن أنظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى)** ومن حين تمسى إلى حين تصبح **(فلا تؤثرون عليه شيئا)**. وقد روي عنه هذا الكلام من ثلاثة طرق بألفاظ مختلفة والمعنى واحد من رواية ابن وهب، وابن الماجشون، ومحمد بن معاوية الحضرمي، وقد تقدم في أوّل الكتاب. أورده صاحب القوت في الفصل الثاني من كتاب العلم من رواية ابن وهب قال: ذكر طلب العلم عند مالك فقال فذكره. **(وقال)** أبو عبد الرحمن عبدالله **(بن مسعود)** رضي الله عنه: **(نزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملاً وسيأتي قوم يثقفونه)** أي يعدلونه باخراج الحروف من مخارجها **(مثل القنا)** أي الرمح حين يثقفه الرماح أولئك **(ليسوا بخياركم)**. هكذا أورده صاحب القوت قال: وفي لفظ آخر يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه. وأخرج الخطيب في كتاب الاقتضاء من رواية عبد الصمد بن يزيد قال: سمعت الفضيل يقول: إنما نزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس قراءته عملاً قال، قيل كيف العمل به؟ قال: أي ليحلوا حلاله ويحرموا حرامه ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه ويقفوا عند عجائبه. **(و)** مثل **(العالم الذي)** يعلم و **(لا يعمل)** بعلمه **(كالمريض الذي يصف الدواء)** بلسانه عن علم فيه ولا يستعمله، **(وكالجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة)** بأنواعها يصف كيفية صنعها وتركيبها **(ولا يجدها)** قال صاحب القوت: فمثل العالم يعلم غيره مثل الواصف لأحوال الصالحين العارف بمقامات الصديقين ولا حال له ولا مقام فليس يعود عليه من وصفه إلا الحجة بالعلم والكلام، وسبق العلماء بالله في الحجة بالأعمال والمقام **(وفي مثله قال تعالى: ولكم الويل مما تصفون)** [الأنبياء: ١٨] وقال تعالى: ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ [البقرة: ٢٠] لا يرجع إلى بصيرة في طريقه بما اشتبه عليه من ظلمات الشبه مما اختلف العلماء فيه ولا يتحقق

تعالى: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ [الأنبياء : ١٨]. وفي الخبر : إنما أخاف على أمتي زلة عالِم وجدال منافق في القرآن.

بوجه منه يجده عن حال ألبسها بوجده، وإنما هو واجد بتواجيد غيره فغيره هو الواجد وشاهد على شهادة سواه فالسوي هو الشاهد.

(وفي الخبر : مما أخاف على أمتي زلة العالم وجدال منافق في القرآن) قال العراقي : فيه عن أبي الدرداء، ومعاذ، وعمر، وعلي، وعمران بن الحصين. أما حديث أبي الدرداء فرواه الطبراني من رواية أبي ادريس الخولاني عنه رفعه: « أخاف على أمتي ثلاثاً زلة عالم وجدال منافق بالقرآن والتكذيب بالقدر ». وأما حديث معاذ فرواه الطبراني في معجمه الصغير والأوسط من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه رفعه « إني أخاف عليكم ثلاثاً وهن كائنات زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تفتح عليكم » ورواه في الأوسط من رواية عمرو بن مرة لم يسمع من معاذ، وذكره الدارقطني في العلل من رواية عبدالله بن سلمة بكسر اللام عن معاذ رفعه قال: « إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاث جدال منافق بالقرآن وزلة عالم ودنيا تقطع أعناقكم » وأعله ابن الجوزي في العلل المتناهية برواية المذكور. قال الدارقطني: وقد وقفه شعبة عن عمرو بن مرة يعني على معاذ قال: والوقف هو الصحيح.

وأما حديث عمر؛ رواه أحمد من رواية أبي عثمان النهدي عنه بلفظ « إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان» وقد ذكره المصنف فيما تقدم موقوفاً على عمر قال الدراقطني: والموقوف أشبه بالصواب.

قلت: حديث عمر هذا رواه عبد بن حميد وأبو يعلى مرفوعاً بلفظ « إنما أخاف عليكم كل منافق عليم يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور » ورواه إسحاق بن راهويه، والحرث بن أسامة ومسدد بسند صحيح عن عبدالله بن بريدة أن وفداً قدموا على عمر فقال لآذنه فساق الحديث وهو طويل، وفي آخره: ثم قال عمر: عهد الينا رسول الله ﷺ أن أخوف ما أخشى عليكم منافق عليم اللسان. واللفظ لمسدد، ثم رواه مسدد موقوفاً من طريق أبي عثمان النهدي سمعت عمر بن الخطاب يقول وهو على المنبر منبر رسول الله ﷺ: أكثر من أصابعي هذه إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قال؟ وكيف يكون منافق عليم يا أمير المؤمنين؟ قال: عالم اللسان جاهل القلب، وقال حماد، وقال ميمون الكردي، عن أبي عثمان عن عمر نحوه. وروى إسحاق في مسنده من رواية حماد عن أبي سويد عن الحسن قال: لما قدم أهل البصرة على عمر فيهم ألاحنف بن قيس سرحهم وحبسه عنده، ثم قال: أتدري لم حبستك إن رسول الله ﷺ حذرنا كل منافق عالم اللسان وإني أتخوف أن تكون منهم، وأرجو أن لا تكون منهم فالحق بأهلك.

ثم قال العراقي وأما حديث علي، رواه الطبراني في الصغير والأوسط من رواية الحرث الأعور عنه رفعه « إني لا أتخوف على أمتي مؤمناً مشركاً أما المؤمن فيحجزه إيمانه وأما المشرك فيقمعه

ومنها: أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة مجتنباً للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال. فمثال من يعرض عن علم الأعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيباً حاذقاً في وقت ضيق يخشى فواته، فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمة الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه. وقد روي «أن رجلاً جاء رسول

كفره ولكن أتخوف عليكم منافقاً عالم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون» وقال: لا يروى عن علي إلا بهذا الأسناد. والحرث الاعور ضعيف.

قلت: لكن وثقه ابن حبان، وكذلك رواه إسحاق بن راهويه في مسنده بسند ضعيف لجهالة التابعي، ورواه أيضاً من طريق إسحاق الفروي وهو ضعيف عن سعيد بن المسيب قال، قال رجل بالمدينة في حلقة: أيكم يحدثني عن رسول الله ﷺ حديثاً؟ فقال علي: أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره وفيه: ولكن رجلاً بينهما يقرأ القرآن حتى إذا دلق به يتأوّله على غير تأويله فقال ما تعلمون وعمل ما تنكرون فضل وأضل.

ثم قال العراقي وأما حديث عمران بن حصين: رواه أحمد وابن حبان من رواية عبد الله بن بريدة عنه رفعه بلفظ «أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان» اللفظ لأحمد. وقال ابن حبان: جدال منافق اللسان، وذكر الدارقطني في العلل انه رواه عن معاذ بن معاذ، عن حسين المعلم، عن ابن بريدة، عن عمران رفعه. قال: ووهم فيه. قال: ورواه عبد الوهاب بن عطاء، وروح بن عبادة وغيرهما عن حسين، عن ابن بريدة، عن عمر وهو الصواب في قصة طويلة. قال العراقي: وهو عند ابن حبان من رواية خالد بن الحرث عن حسين المعلم مثل معاذ اهـ.

قلت: تقدم رواية ابن بريدة عن عمر، وهكذا رواه إسحاق بن راهويه والحرث ومسدد.

(**ومنها**) أي: ومن العلامات المميزة بين علماء الدنيا والآخرة (**أن تكون عنايته**) وهمته (**بتحصيل العلم النافع في الآخرة**) لا غير، (**و**) كذلك العلم (**المرغب في الطاعة**) حالة كونه (**متجنباً للعلوم التي يقل نفعها**) ولا يحتاج إليها في أكثر الحالات (**و**) هي العلوم التي (**يكثر فيها الجدال**) والخصومات (**والقيل والقال**)، حتى يؤدي إلى تمزيق الثياب والمسافهة والمصافعة بالاكف والنعال، (**فمثال من يعرض عن علم الأعمال ويشتغل**) عنها (**بالجدال**) وعلم القيل والقال (**مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف**) أي وجد (**طبيباً حاذقاً**) أي ماهراً بفنه (**في وقت ضيق يخشى فواته**) بسفره أو غيره (**فاشتغل بالسؤال عن**) مسائل مثل (**خاصية العقاقير والادوية**) أي مفرداتها (**وغرائب الطب**) ونوادره التي لا يحتاج إليها (**وترك مهمة الذي هو**) مقصود له و(**مؤاخذ به**) لدفع علله، (**وذلك محض السفه**) وعين الحماقة وقلة الادراك في تصوره.

الله ﷺ فقال: علمني من غرائب العلم، فقال له: ما صنعت في رأس العلم؟ فقال: وما رأس العلم؟ قال ﷺ: هل عرفت الرب تعالى؟ قال: نعم. قال: فما صنعت في حقه؟ قال: ما شاء الله، فقال ﷺ: هل عرفت الموت؟ قال: نعم. قال: فما أعددت له؟ قال: ما شاء الله. قال ﷺ: اذهب فاحكم ما هناك ثم تعالَ نعلمك من غرائب العلم».

بل ينبغي أن يكون المتعلم من جنس ما روي عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخي رضي الله عنهما أنه قال له شقيق: منذ كم صحبتني؟ قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة.

(وروي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: علمني من غرائب العلم. فقال له: ما صنعت في رأس العلم؟ قال: وما رأس العلم؟ فقال له ﷺ: هل عرفت الرب سبحانه؟ قال: نعم. قال: فما صنعت في معرفته؟ قال: ما شاء الله. قال: هل عرفت الموت؟ قال: نعم. قال: فما أعددت له؟ قال: ما شاء الله. قال: اذهب فاحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم). قال العراقي: رواه أبو بكر بن السني، وأبو نعيم كل واحد في كتابه رياضة المتعلمين، وابن عبد البر في بيان العلم من رواية خالد بن أبي كريمة، عن عبدالله بن المسور قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أتيتك لتعلمني من غرائب العلم فذكره وهو مرسل ضعيف جداً. قال ابن أبي حاتم عبدالله بن مسور بن عبدالله بن عون بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي المدائني. سألت أبي عنه فقال: الهاشميون لا يعرفونه وهو ضعيف الحديث يحدث بمراسيل لا يوجد لها أصل في أحاديث الثقات. وقال أحمد بن حنبل: أحاديثه موضوعة كان يضع الحديث ويكذب اهـ.

قلت: وفي الديوان للذهبي عبد الله بن مساور تابعي مجهول. وأما الراوي عنه خالد بن أبي كريمة فمن رجال النسائي، وابن ماجه وثق. وقال أبو حاتم ليس بالقوي ثم أنه قد يكون المراد بغرائب العلم الأحاديث الغرائب التي لا خير في روايتها، وقد ورد عن جماعة من العلماء كراهية الاشتغال بها وذهاب الأوقات في طلبها، فقد أخرج الخطيب في مناقب شرف أصحاب الحديث له من طريق محمد بن جابر، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون غريب الكلام وغريب الحديث. وأخرج من طريق بشر بن الوليد قال: سمعت أبا يوسف يقول: لا تكثروا من الحديث الغريب الذي لا يجيء به الفقهاء، وآخر أمر صاحبه أن يقال كذاب. وأخرج من طريق المروزي قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: تركوا الحديث وأقبلوا على الغرائب ما أقل الفقه فيهم، فعلم من ذلك أن السؤال في غرائب الكلام والحديث مذموم والمدار على معرفة رأس العلم الذي هو معرفة الله سبحانه ثم ثم.

(بل ينبغي أن يكون التعلم) في العلم **(من جنس ما روي عن حاتم)** بن علوان **(الأصم تلميذ شقيق)** بن ابراهيم **(البلخي)** الزاهد رحمها الله تعالى **(أنه قال له شقيق منذ كم صحبتني)** أي في السلوك؟ **(قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة. قال: فما تعلمت مني في**

قال: فما تعلمت مني في هذه المدة؟ قال: ثماني مسائل. قال شقيق له: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثماني مسائل؟ قال يا أستاذ: لم أتعلم غيرها وإني لا أحب أن أكذب، فقال: هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها.

قال حاتم: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي، فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي، فقال: أحسنت يا حاتم فما الثانية؟

فقال: نظرت في قول الله عز وجل: ﴿وأمَّا من خَافَ مَقَامَ ربهِ ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى★ فإن الجنَّة هِي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى.

الثالثة: أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: ﴿ما عِنْدكُم ينْفد وما عِنْد الله باقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظاً.

الرابعة: إني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى

هذه المدة. قال: ثمان مسائل. قال شقيق: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل. قال يا أستاذ: لم أتعلم غيرها ولا أحب أن أكذب) في قولي، **(فقال)** شقيق **(هات هذه الثمان مسائل حتى أسمعها. قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوباً)** له **(فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل القبر فارقه)** ورجع إلى ما فيه **(فجعلت الحسنات محبوبي)** وهي الأعمال الصالحة **(فإذا دخلت القبر دخل معي محبوبي)** فهي لا تفارقني دنيا وأخرى.

(قال أحسنت يا حاتم فما الثانية؟ قال: نظرت في قول الله عز وجل: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى★ فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي) وكلفتها **(في دفع الهوى)** المذكور في الآية **(حتى استقرت)** وثبتت **(على طاعة الله تعالى)** واطمأنت بها.

(الثالثة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار عنده رفعه) في أحسن المحل **(وحفظه)** وصانه عن وصول اليد إليه، **(ثم نظرت في قول الله تعالى: ما عندكم ينفد)** أي يفرغ ﴿وما عند الله باقٍ﴾ [النحل: ٩٦] أي لا يفنى ولا ينفد **(فكلما وقع معي شيء له)** عندي **(مقدار وقيمة وجهته إليه)** ذخيرة **(ليبقى عنده محفوظاً)**.

(الرابعة: إني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع) في الكرم **(إلى**

الحسب والشرف والنسب، فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريماً.

الخامسة: إني نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضاً، وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ [الزخرف: ٣٢] فتركت الحسد واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عني.

السادسة: نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضاً فرجعت إلى قول الله عز وجل: ﴿إن الشيطان لَكُم عدوّ فاتخذوه عدوًّا﴾ [فاطر: ٦] فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدوّ لي فتركت عداوة الخلق غيره.

السابعة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض

المال) فيقتنيه ويضن به (و) إلى (**الحسب**) فيفتخر به، وفي نسخة: والنسب والشرف (**فإذا هو لا شيء ثم نظرت إلى قوله عز وجل: ﴿إن أكرمكم عندالله أتقاكم﴾**) [الحجرات: ١٣] وعرفت سره (**فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريماً**) وفي نسخة: شريفاً كريماً.

(**الخامسة: نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض بذكر المعايب والمخازي** (**ويلعن بعضهم بعضاً. وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: ﴿نحن قسّمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ [الزخرف: ٣٢] فتركت**) ما هو سبب لذلك وهو (الحسد) واجتنبت الخلق، (**وعلمت أن القسمة من الله تعالى وتركت عداوة الخلق عني**).

(**السادسة: نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض**) بالتعدي (**ويقاتل بعضهم بعضاً**) على حب المال والجاه والرئاسة (**فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدوٌّ فاتخذوه عدوّاً﴾ [فاطر: ٦] فعاديته وحده**) إذ هو رأس الاعداء وأصل كل بلاء، (**واجتهدت في أخذ حذري منه**) واتقيته (**لأن الله تعالى شهد عليه**) في كتابه العزيز (**أنه عدوّ لي فتركت عداوة الخلق**) وسلمت من شره.

(**السابعة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة**) من الخبز (**فيذل نفسه**) في تحصيلها (**ويدخل فيما لا يحل له**) الدخول فيه: (**ثم نظرت إلى قوله**

إلا على الله رزقها ﴾ [هود : ٦] ، فعلمت إني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى عليّ وتركت ما لي عنده.

الثامنة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق. هذا على ضيعته، وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه ـ وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله، فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ [الطلاق : ٣] فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي، قال شقيق: يا حاتم وفقك الله تعالى، فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة، فهذا الفن

تعالى: **﴿ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود: ٦] فعلمت)** أن الله قد تكفل بالرزق و **(أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله عليّ)** من الائتمار بأوامره والانتهاء عن مناهيه **(وتركت مالي عنده)** فاسترحت.

(الثامنة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد) منهم **(متوكلاً)** ومستنداً **(هذا على ضيعته)** أي قريته التي يستغل منها الرزق، **(وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه)** فيستغل بالأجرة **(وكل مخلوق متوكل على مخلوق)** معتمد عليه في حوائجه ومهماته **(فرجعت إلى قوله عز وجل: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾)** . أي كافيه عن غيره **(فتوكلت على الله وهو حسبي)** وتركت التوكل على المخلوق. **(قال شقيق: يا حاتم وفقك الله فإني نظرت في التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم وهم يدورون)** وفي نسخة: فهي تدور **(على هذه الثمان المسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة)** . هكذا أورده المصنف بهذا السياق.

وساقها أبو نعيم في الحلية في ترجمة حاتم الأصم بما يخالفه قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبدالله بن محمد بن زكريا، حدثنا أبو تراب قال: قال شقيق لحاتم الأصم: مذ أنت صحبتني أي شيء تعلمت؟ قال: ست كلمات. قال: ما أولهن؟ قال: رأيت كل الناس في شك من أمر الرزق وإني توكلت على الله تعالى قال: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ فعلمت أني من هذه الدواب واحد فلم أشغل نفسي بشيء قد تكفل لي به ربي. قال: أحسنت فما الثانية؟ قال: رأيت لكل إنسان صديقاً يفشي إليه سره ويشكو إليه أمره، فقلت أنظر من صديقي فكل صديق راح رأيته قبل الموت فأردت أن أعد صديقاً يكون لي بعد الموت، فصادقت الخير ليكون معي إلى الحساب ويكون معي على الصراط ويثبتني بين يدي الله عز وجل. قال: أصبت فما الثالثة؟ قال: رأيت كل الناس لهم عدوّ فقلت أنظر من عدوي، فأما من اغتابني فليس هو عدوي، وأما من أخذ مني شيئاً فليس هو عدوي، ولكن عدوي الذي إذا كنت في طاعة الله أمرني بمعصية الله، فرأيت ذلك إبليس وجنوده فاتخذتهم عدواً فوضعت الحرب بيني

من العلم لا يهتم بإدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة، فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام. وقال الضحاك بن مزاحم: أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام.

ومنها: أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الأثاث والمسكن، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى، ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك، وكلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد

وبينهم ووترت قوسي ووصلت سهمي فلا أدعه يقربني. قال: أحسنت. فما الرابعة؟ قال: رأيت كل الناس لهم طالب كل واحد منهم واحداً فرأيت ذلك ملك الموت ففزعت له نفسي حتى إذا جاء لا ينبغي أن أمسكه فأمضي معه. قال: أحسنت. فما الخامسة؟ قال: نظرت في هذا الخلق فأحببت واحداً وأبغضت واحداً فالذي أحببته لم يعطني والذي أبغضته لم يأخذ مني شيئاً، فقلت: من أين أتيت هذا فرأيت أني أتيت هذا من قبل الحسد، فطرحت الحسد من قلبي فأحببت الناس كلهم، فكل شيء لم أرضه لنفسي لم أرضه لهم. قال: أحسنت فما السادسة؟ قال: رأيت الناس كلهم لهم بيت ومأوى ورأيت مأواي القبر فكل شيء قدرت عليه من الخير قدمته لنفسي حتى أعمر قبري، فإن القبر إذا لم يكن عامراً لم يستطع القيام فيه، فقال شقيق: عليك بهذه الخصال الستة فإنك لا تحتاج إلى علم غيره انتهى.

(فهذا الفن) والنوع **(من العلم)** إنما **(يهتم بادراكه)** ويقوم بأود تحصيله **(والتفطن له)** والانصباغ به **(علماء الآخرة)** كحاتم واضرابه، **(وأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه)** والرئاسة **(ويهملون)** أي يتركون **(أمثال هذه العلوم)** النفيسة **(التي بعث بها الأنبياء والرسل كلهم عليهم)** الصلاة و **(السلام. وقال الضحاك)** بن مزاحم الهلالي أبو القاسم، ويقال: أبو محمد الخراساني صدوق كثير الإرسال مات بعد المائة **(أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع)** المراد عصر الصحابة، فإن الضحاك تابعي **(وهم اليوم يتعلمون الكلام)** ويتركون السؤال عن الورع وهذا القول أورده صاحب القوت.

(ومنها): أي ومن علامات علماء الآخرة **(أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم)** فيعطي للنفس منه مناها **(و)** لا **(التنعم في الملبس)** بأن يلبس رقاق الثياب ورفيعها وما يشار إليها بالبنان **(و)** لا **(التجمل في الأثاث)** فرش البيت **(والمسكن)** بسعته ورفعة بنائه وكذا التجمل في المركب وقد نهي عن كل من ذلك **(بل يؤثر)** يختار **(الاقتصاد)** أي التوسط **(في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف)** الصالحين، **(ويميل فيه بالاكتفاء بالأقل في جميع ذلك)**، فهذه علامة علماء الآخرة.

من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه. ويشهد لذلك ما حكي عن أبي عبدالله الخواص، وكان من أصحاب حاتم الأصم ـ قال: دخلت مع حاتم إلى الري ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلاً نريد الحج وعليهم الزرنبانقات وليس معهم جراب ولا طعام، فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة، فلما كان من الغد قال لحاتم: ألك حاجة فإني أريد أن أعُودَ فقيهاً لنا هو عليل؟ قال حاتم: عيادة

وقد أشار لذلك القطب سيدي علي وفا في بعض مؤلفاته وبين الاقتصاد في كل ذلك وزاد. فأفاد؛ قال رضي الله عنه: يكفيك من الغذاء ما تهن لتركه القوى، ومن الملبس ما لا يسفهك به العاقل ولا يزدريك به الغافل، ومن المركب ما حمل رحلك وأراح رجلك ولا يزدرى بركوبه مثلك، ومن المسكن ما واراك، عمن لا تريده أن يراك، ومن الحلائل الودود الولود، ومن الخدم الأمين المطيع، ومن الأصحاب من يعينك على كمالك في جميع أحوالك، ومن الأدب ما يقيك غضب الكريم والعالم وجرأة اللئيم والظالم، ومن العلم ما طابق الذوق الصحيح، ومن الاعتقاد ما يعينك على طاعة المعتقد من غير اعتراض، ومن معرفة الحق ما أسقط اختيارك لغيره، ومن معرفة الباطل ما منعك من اختياره، ومن المحبة ما حققتك بإيثار محبوبك على سواه، ومن حسن الظن بالخلق ما لا يقبل معه سوء التأويل ولا قول العائب بغير دليل، ومن الحذر ما يمنع من مراكنة تجر إلى مباينة، ومن الظن بالله ما لا يجر إلى معصيته ولا يؤيس من رحمته، ومن اليقين ما تعصم به من صرف وجه الطلب عن حيرة، ومن التوحيد ما لا يبقى معه أثر لغيره، ومن الفكر ما وصل إلى فهم مراده، ومن الخواطر ما بعث على تعظيم ما عظم وهضم ما هضم. وقد وضحت لك الأنوار فإن شئت فاقتبس، وقد بينت الأصول فافهم الجامع واتق المانع ثم قس انتهى. أوردته بتمامه تبركاً به وإن كانت الأنفاس متفاوتة لكن المآل إلى واحد.

(**وكلما ازداد إلى طرف القلة**) من جميع ذلك (**منزلة**) وفي نسخة: ميله (**ازداد من الله سبحانه قربة**) ومرتبة (**وارتفع في علماء الآخرة درجة**) وفضيلة (**ويشهد لذلك ما حكي عن أبي عبدالله الخواص**) فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة حاتم، ومن طريقة أخرجه الشهاب السهروردي بطوله في عوارف المعارف. قال أبو نعيم: حدثنا محمد بن أحمد بن محمد، حدثنا العباس بن أحمد الشاشي، حدثنا أبو عقيل الرصافي، حدثنا أبو عبدالله الخواص (**وكان من أصحاب حاتم الأصم**) وتلامذته (**قال: دخلت مع**) أبي عبدالله (**حاتم إلى الري**) وهي من أكبر مدن خراسان (**ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلاً نريد الحج**) إلى بيت الله الحرام (**وعليهم**) الصوف و(**الزرنبانقات**) بضم الزاي وفتح الراء وسكون النون وبعد الموحدة المفتوحة ألف ثم نون مكسورة ثم قاف هي الجيب من الصوف (**ليس معهم جراب ولا طعام**) أي على قدم التوكل، (**فدخلنا**) الري فدخلنا (**على رجل من التجار متقشف يحب المساكين**) ونص الحلية: متنسك يحب المتقشفين (**فأضافنا تلك الليلة، فلما كان من الغد قال لحاتم**) يا أبا عبد الرحمن: (**ألك حاجة فإني أريد أن أعود فقيهاً**) أي عالماً (**لنا**) أي في

المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضاً أجيء معك. وكان العليل محمد بن مقاتل - قاضي الري - فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرق حسن فبقي حاتم متفكراً يقول: باب عالم على هذه الحالة؟ ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء قوراء واسعة نزهة وإذا بزة وستور، فبقي حاتم متفكراً ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه، وإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة، فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس، فقال: لا أجلس. فقال: لعل لك حاجة فقال: نعم، قال: وما هي؟ قال: مسألة أسألك عنها. قال: سل. قال: قم فاستوِ جالساً حتى أسألك. فاستوى جالساً. قال حاتم: علمك هذا من أين أخذته؟ فقال: من

بلدنا (**هو عليل**) أي مريض. (**فقال حاتم: عيادة مريض فيها فضل**). ونص الحلية فقال حاتم: إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل. (**والنظر إلى الفقيه عبادة**). أما عيادة المريض؛ فقد ورد في فضلها أحاديث تدل على فضلها وكون النظر إلى الفقيه عبادة لأنه يذكر الله عز وجل (**وأنا أيضاً أجيء معك، وكان**) ذلك (**العليل محمد بن مقاتل**) الرازي (**قاضي الري**) حدّث عن وكيع ومحمد بن الحسن وجرير وأبي معاوية وغيرهم. روى عنه عيسى بن محمد المروزي، وأحمد بن عيسى الأشعري، ومحمد بن علي الحكيم الترمذي وغيرهم، وهو ضعيف سمع منه البخاري ولم يحدث عنه، فروى الخليل في الارشاد من طريق مهيب بن سليم سمعت البخاري يقول: حدثنا محمد بن مقاتل فقيل له الرازي فقال: لأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إليَّ من أن أحدث عن محمد بن مقاتل الرازي ذكره الخطيب في المتفق والمفترق، وأورده الحافظ في التقريب لأجل التمييز بينه وبين محمد بن مقاتل المروزي فقال التاجر مر بنا يا أبا عبد الرحمن، (**فلما جئنا إلى الباب**) أي باب محمد بن مقاتل، (**فإذا هو يشرق حسنه**) وفي نسخة: فإذا هو مشرق حسن وهكذا هو نص الحلية، (**فبقي حاتم متفكراً يقول: يا رب يا رب عالم على هذه الحال ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار قوراء**) أي واسعة (**وإذا بزة**) حسنة (**وأمتعة**) وفي الحلية: ومنعة (**وستور**) وجع (**فبقي حاتم متفكراً**) من هذه الحالة. (**ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه فإذا بفرش وطيئة**) أي لينة (**و**) إذا (**هو راقد عليها**) أي على تلك الفرش (**وعند رأسه غلام**) أي وضيء الوجه (**بيده مذبة**) بكسر الميم وهي المروحة، (**فقعد الزائر**) وهو التاجر (**عند رأسه وسلم**) وسأل، (**حاتم**) الأصم (**قائم**) لم يقعد (**فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس**). وفي الحلية: اقعد (**فقال: لا أجلس**). وفي الحلية: لا أقعد. (**فقال**) ابن مقاتل: (**لعل لك حاجة؛ قال: نعم. قال**) و (**ما هي؟ قال: مسألة أسألك عنها. قال: سل**). وفي الحلية: سلني. (**قال: قم فاستوِ جالساً**) وفي الحلية؛ قال: نعم فاستوِ (**حتى أسألك عنها**). وفي الحلية: حتى أسألكها (**فاستوى جالساً**) وفي الحلية: فأمر غلمانه فأسندوه (**قال**) وفي الحلية فقال له (**حاتم: علمك هذا من أين أخذته**) وفي الحلية: من

الثقات حدثوني به. قال: عمن؟ قال: عن أصحاب رسول الله ﷺ. قال: وأصحاب رسول الله ﷺ عمن؟ قال: عن رسول الله ﷺ، قال: ورسول الله ﷺ عمن؟ قال: عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل. قال حاتم: ففيما أدّاه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله ﷺ، وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وأصحابه إلى الثقات، وأداه الثقات، إليك هل سمعت فيه من كان في داره أشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر. قال: لا. قال: فكيف سمعت؟ قال: سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة. قال له حاتم: فأنت بمن اقتديت أبـالنبي الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله، أم بفرعون ونمروذ أوّل من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها، فيقول العالم على هذه الحالة: أفلا أكون أنا شراً منه. وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضاً، وبلغ أهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له: إن الطنافسي بقزوين أكثر توسعاً

أين جئت به؟ (**قال: من الثقات**) وفي الحلية: قال: الثقات (**حدثوني به قال: عمن؟ قال: عن أصحاب رسول الله ﷺ. قال، وأصحاب رسول الله ﷺ أخذوه عمن؟ قال: عن رسول الله ﷺ. قال ورسول الله ﷺ عمن؟ قال: عن جبريل عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى**). وفي الحلية: ورسول الله ﷺ من أين جاء به؟ قال: عن جبريل (**قال حاتم: ففيما أداه جبريل عن الله سبحانه وتعالى إلى رسول الله ﷺ، وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وأداه أصحابه إلى الثقات، وأداه الثقات إليك هل سمعت فيه**) وفي الحلية: في العلم (**من كان في داره أميراً**) وفي نسخة: من كانت داره دار أمير (**وكانت سعته أكثر كانت له عند الله المنزلة أكبر. قال: لا قال: فكيف سمعت؟ قال: من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة أكبر. قال حاتم: فأنت بمن اقتديت أبـالنبي ﷺ وأصحابه والصالحين، أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر**) إذ قال: ﴿يا هامان ابنِ لي صرحاً﴾ [غافر: ٣٦] (**يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكب**) وفي نسخة: المتكالـب (**على الدنيـا**). وفي نسخـة: الطـالـب للـدنيـا (**الراغب فيها، فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شراً منه**). قال هذا الكلام (**وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضاً**) على مرضه، (**وبلغ أهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا**) له يا أبا عبدالرحمن: (**إن الطنافسي**) بفتح الطاء والنون وكسر الفاء والسين نسبة إلى بيع الطنفسة (**بقزوين**) بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخاً، والمنسوب هكذا عبيد بن أبي أمية الكوفي الحنفي مولاهم حدث، وأولاده أبو حفص عمر المتوفي سنة سبع وثمانين ومائة وأبو عبدالله محمد الأحدب، ويعلى، وابراهيم، وإدريس حدثوا. قال الدارقطني:

منه فسار حاتم متعمداً فدخل عليه فقال: رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة؟ قال: نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأتي به فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: هكذا فتوضأ. فقال حاتم: مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد، فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعاً أربعاً، فقال الطنافسي: يا هذا أسرفت. قال له حاتم: فيماذا؟ قال: غسلت ذراعيك أربعاً. فقال حاتم: يا سبحان الله العظيم أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف، فعلم الطنافسي أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوماً، فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا: يا أبا عبد الرحمن: أنت رجل ألكن أعجمي وليس يكلمك أحد إلا قطعته، قال: معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي. أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه. فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل

كلهم ثقات، ولعل المراد من النسبة المذكورة أحد أولاد عبيد ممن تولى قضاء قزوين، وأكبر ظني انه محمد الأحدب فقد كان بقزوين وروى عنه من أهلها محمد بن رافع وغيره (**أكثر شأناً منه**) أي من قاضي الري قال، (**فسار حاتم**) إليه (**متعمداً**) أي قاصداً لنصحه، (**فدخل عليه فقال: رحمك الله. أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة. قال: نعم وكرامة**) لعينيك (**هات إناء فيه ماء فأتى به**) فأتاه فيه ماء. (**فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال**) يا هذا (**هكذا فتوضأ. قال حاتم: مكانك**) يرحمك الله (**حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد، فقام الطنافسي**) من موضعه (**وقعد حاتم فتوضأ**) ثلاثاً ثلاثاً (**ثم غسل**). وفي الحلية: حتى إذا بلغ غسل (**الذراعين**) غسل (**أربعاً أربعاً فقال**) له (**الطنافسي يا هذا أسرفت. قال له حاتم في ماذا؟ قال: غسلت ذراعيك أربعاً. فقال حاتم يا سبحان الله أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف**) وفي الحلية: وأنت في هذا الجمع كله لم تسرف وهكذا هو في نسخة أيضاً، (**فعلم الطنافسي أنه قصد ذلك دون التعلم**). وفي الحلية أنه أراده بذلك لم يرد أن يتعلم منه شيئاً (**فدخل**) إلى (**البيت فلم يخرج إلى الناس أربعين يوماً**) كأنه وجد لقوله تأثيراً عظيماً في قلبه فرجع إلى حال نفسه. قال أبو نعيم: فكتب تجار الري وقزوين بما جرى بينه وبين ابن مقاتل والطنافسي، (**فلما دخل بغداد اجتمع عليه**) وفي نسخة: إليه (**أهل بغداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت**) الكن (**أعجمي ليس يكلمك أحد إلا قطعته**) أي أسكته. (**قال: معي ثلاث خصال بهن أظهر**) أي أغلب (**على خصمي**). قالوا: أي شيء هي؟ قال: (**افرح إذا أصاب**) خصمي، (**واحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أن لا أجهل**). وفي الحلية أن لا أتجهل (**عليه فبلغ ذلك**) الإمام (**أحمد بن حنبل**) رحمة الله (**فقال: يا سبحان**

فقال: سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه، فلما دخلوا عليه قال له: يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا؟ قال يا أبا عبدالله: لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال: تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم، وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيساً، فإذا كنت هكذا سلمت ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال: يا قوم أية مدينة هذه؟ قالوا: مدينة رسول الله ﷺ. قال: فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أصلي فيه؟ قالوا: ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطىء بالأرض، قال: فأين قصور أصحابه رضي الله عنهم؟ قالوا: ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطِئة بالأرض. قال حاتم: يا قوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان، وقالوا: هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون، قال الوالي: ولـمَ ذلك؟ قال حاتم: لا تعجل عليَّ أنا رجل

الله ما أعقله)، ثم قال لأصحابه: **(قوموا بنا)** حتى نسير **(إليه، فلما دخلوا عليه قالوا له يا أبا عبد الرحمن: ما السلامة من الدنيا؟ قال)** حاتم **(يا أبا عبدالله)** يعني به الإمام أحمد: **(لا تسلم من الدنيا حتى تكون معك أربع خصال)**. قال: أي شيء هي يا أبا عبد الرحمن: قال. **(تغفر للقوم من جهلهم)** ولفظ الحلية: للقوم جهلهم وهكذا في نسخة أيضاً، **(وتمنع جهلك عنهم)** ومنه قول عنترة[1]:

ألا لا يجهلـــن أحـــد علينـــا   فنجهـل فــوق جهــل الجاهلينـا

(وتبذل لهم شيئك) أي تعطيهم ما ملكت يداك من المال وغيره، **(وتكون من شيئهم)** مما في أيديهم **(آيساً)** غير طامع فيه، **(فإذا كنت هكذا سلمت)** وفي نسخة: فإذا كان هكذا سلمت. ومثله في الحلية إلى هنا، ثم سياق عوارف المعارف. قال أبو نعيم: **(ثم سار)** حاتم من بغداد **(إلى المدينة)** المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام **(فاستقبله أهل المدينة فقال)** لما نظر إلى أبنيتها وقصورها **(يا قوم: أية مدينة هذه)** وفي الحلية: أي مدينة هذه؟ **(قالوا: مدينة رسول الله ﷺ. قال: فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أصلي فيه)** وفي الحلية: فأصلي فيه ركعتين. **(قالوا: ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطىء بالأرض)** أي لاصق بها. **(قال: فأين قصور أصحابه)** بعده؟ **(قالوا: ما كانت لهم قصور إنما كانت لهم بيوت لاطئة بالأرض. فقال حاتم: فهذه مدينة فرعون)** وجنوده، لكون فرعون أوّل من طبخ الطين وعمل الآجر، وبنى الصرح وأخرج أبو نعيم في ترجمة ابن عيينة قال بلغ عمر أن رجلاً بني بالآجر فقال ما كنت أحسب أن في هذه الأمة مثل فرعون قال يريد قوله: ﴿ابن لي صرحاً﴾ [غافر: ٣٦] ﴿وأوقد لي يا هامان على الطين﴾ [القصص: ٣٨]. وأخرج أيضاً في ترجمة من رواية إسحاق بن ابراهيم قال: سمعت سفيان يقول: بلغني أن الدجال يسأل بناء الآجر هل ظهر بعد، **(فأخذوه فذهبوا به إلى السلطان)** أي الأمير الذي يتولاها من طرف الخليفة، **(فقالوا: هذا الأعجمي يقول: هذه مدينة فرعون)** وجنوده. **(قال الوالي)** المذكور لحاتم: **(ولم**

---

(١) كذا بالأصل والصواب عمرو بن كلثوم، فالبيت المذكور له.

أعجمي غريب دخلت البلد فقلت: مدينة من هذه؟ فقالوا: مدينة رسول الله ﷺ، فقلت: فأين قصره وقص القصة، ثم قال وقد قال الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١]، فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله ﷺ أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه، فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى.

وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه. والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام، ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى

ذاك؟ قال) حاتم: (**لا تعجل علي أنا رجل أعجمي غريب دخلت البلد**) وفي الحلية: المدينة (**فقلت: مدينة من هذه؟ قالوا: مدينة رسول الله ﷺ . فقلت: أين**) وفي الحلية: قلت؛ فأين (**قصره حتى أصلي فيه**)؟ فقالوا: ما كان له قصر. (**وقص القصة**) أي: أوردها بتمامها. (**ثم قال**) حاتم: (**ولقد قال الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١] فأنتم بمن تأسيتم**) أي: اقتديتم (**أبرسول الله ﷺ**) وأصحابه، (**أم بفرعون**)؛ وفرعون (**أول من بنى بالجص والآجر**) فأسكتهم (**فخلوا عنه وتركوه**) وفي الحلية: وعرفوه بدل وتركوه (**هذه حكاية**) حاتم (**الاصم**).

وزاد أبو نعيم بعد قوله وعرفوه ما نصه: فكان حاتم كلما دخل المدينة يجلس عند قبر النبي ﷺ يحدث ويدعو، فاجتمع علماء المدينة فقالوا: تعالوا حتى نخجله في مجلسه فجاؤوه ومجلسه غاص بأهله، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن؛ مسألة نسألك. قال: سلوا. قالوا: ما تقول في رجل يقول اللهم ارزقني. قال حاتم: متى طلب هذا العبد الرزق في الوقت أم قبل الوقت؟ قالوا: ليس نفهم هذا يا أبا عبد الرحمن. قال: إن كان هذا العبد طلب الرزق من ربه في وقت الحاجة فنعم وإلا فأنتم عندكم خرثى ودراهم في أكياسكم وطعام في منازلكم وأنتم تقولون: اللهم ارزقنا قد رزقكم الله فكلوا واطعموا إخوانكم حتى إذا بقيتم ثلاثاً فاسألوا الله حتى يعطيكم أنت عسى تموت غداً وتخلف هذا للأعداء وأنت تسأله أن يرزقك زيادة، فقال أهل المدينة: نستغفر الله يا أبا عبد الرحمن إنما أردنا بالمسألة تعنتاً اهـ.

قال القشيري في الرسالة: لم يكن حاتم أصم وإنما تصامم مرة فسمي به سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة صوت فخجلت، فقال حاتم: ارفعي صوتك فأرى من نفسه أنه أصم، فسّرت المرأة بذلك وقالت: إنه لم يسمع الصوت فغلب عليه اسم الأصم اهـ.

(**وسيأتي من سيرة السلف**) الصالحين وطريقتهم التي سلكوها (**في البذاذة**) هي رثاثة الهيئة (**وترك التجمل**) في سائر الأسباب الضرورية (**ما يشهد لذلك**) أي: لما ذكرناه (**في مواضعه**) من هذا الكتاب على حسب المناسبات، (**والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام**)، وذلك عام في كل المأكل والملبس والمسكن بدليل قوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة

يشق تركه، واستدامة الزينة لا تمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخرى هي محظورة، والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان ﷺ لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم، ونزع خاتم الذهب في أثناء الخطبة إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه.

الله﴾ [الأعراف: ٣٢] الآية. **(ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به)** والميل إليه **(حتى يشق تركه)** ويصعب هجره لتمرن النفس عليه حتى تصير عادة غير منفكة وترك العادة صعب، وأصل الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسته أو حليته أو هيئته. وقال الراغب: الزينة الحقيقية ما لا يشين الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة، أما ما يزينه في حالة دون حالة، فهو من وجه شين وهي على ثلاثة أقسام نفسية وبدنية وخارجية الأولى كالعلم والاعتقادات الحسنة، والثانية كالقوّة وطول القامة وحسن الوسامة، والثالثة المال والجاه. والآية محمولة على القسم الأخير. **(واستدامة الزينة)** على الوجه الذي يرومها المزين **(لا تمكن)** ولا تتصور **(إلا بمباشرة أسباب)** وأمور خارجية **(في الغالب يلزم من مراعاتها)** والالتفات إليها **(ارتكاب)** أنواع **(المعاصي من)** أكبرها **(المداهنة)** في الحق، **(و)** منها **(مراعاة الخلق)** في أحوالهم اجتماعاً وافتراقاً **(ومراءاتهم)** في أحواله ليكون معظماً عندهم، **(وأمور أخـر هي محظورة)** شرعاً، **(والحزم)** كل الحزم **(اجتناب ذلك)** التزين الذي يؤدي إلى ما ذكر والعود إلى الاقتصاد، فبه يملك رأس الأمر **(لأن من خاض في الدنيا)** وآثر أسبابها واشتغل بها **(لا يسلم منها البتة)**، فلا بد لوازن العسل من لعق الأصابع **(و)** اعلم أنه **(لو كانت السلامة)** منها **(مبذولة)** أي حاصلة **(مع الخوض)** فيها **(لكان النبي ﷺ أولى بذلك وكان لا يبالغ في ترك الدنيا)** ورفض أسبابها، **(حتى نزع القميص المطرز بالعلم)** أي المعلم بعلم. قال العراقي: المعروف نزعه للخميصة المعلمة اهـ.

قلت: اطلاق القميص على الخميصة مجاز، فإن القميص هو الثوب المخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب ولا يكون من الصوف غالباً. والخميصة كساء أسود مربع له علمان، فإن لم يكن معلماً فليس بخميصة كما قاله الجوهري، وكانت من لباس الناس قديماً.

قال العراقي: وحديث الخميصة أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه من رواية الزهري، عن عائشة رضي الله عنها قالت صلى رسول الله ﷺ في خميصة لها اعلام فنظر إلى اعلامها نظرة فلما سلم قال: «اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي وائتوني بانبجانية أبي جهم بن حذيفة». لفظ البخاري اهـ.

قلت: رويناه في أول الحربيات من حديث سفيان بن عيينة، عن الزهري، وهشام بن عروة.

وقد حكي أن يحي بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك بن أنس رضي الله عنهما : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين، من يحي بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد، فقد بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطيء وتجعل على بابك حاجباً وقد جلست مجلس العلم وقد

كلاهما عن عروة به. **(ونزع الخاتم الذهب)** ونبذه **(في أثناء الخطبة)**. قال العراقي: رواه ابن عمر وابن عباس.

أما حديث ابن عمر، فأخرجه الأئمة الستة إلا ابن ماجه فاتفق عليه الشيخان والنسائي من رواية الليث، ورواه البخاري من رواية جويرية. ومسلم والترمذي من رواية موسى بن عقبة ثلاثتهم عن نافع أن عبدالله بن عمر حدثه أن النبي ﷺ اصطنع خاتماً من ذهب وجعل فصّه في بطن كفه إذا لبسه فاصطنع الناس خواتيم من ذهب، فرقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال: « إني كنت اصطنعته وإني لا ألبسه فنبذه » فنبذ الناس لفظ رواية البخاري من رواية جويرية عن نافع، واتفقا عليه. وأبو داود والنسائي من رواية عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر دون ذكر المنبر، وكذا رواية مسلم، وأبو داود، والنسائي من رواية أيوب بن موسى، عن نافع. والبخاري من طريق مالك، والنسائي من رواية إسماعيل بن جعفر كلاهما عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر دون ذكر المنبر.

وأما حديث ابن عباس فرواه النسائي من رواية سليمان الشيباني عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً فلبسه قال: « شغلني هذا عنكم منذ اليوم إليه نظرة وإليكم نظرة ثم ألقاه » **(إلى غير ذلك مما سيأتي)** في أثناء هذا الكتاب.

(فقد حكي أن يحي بن يزيد) بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم **(النوفلي)** المدني. روى عن أبيه. أورده الحافظ الذهبي في الميزان، وقال: قال أبو حاتم: منكر الحديث. وقال ابن عدي: الضعف على أحاديثه، وأورد أباه كذلك. وقال: روى عن المقبري، ويزيد بن رومان. وعنه ابنه يحي، وعبدالعزيز الأوسي، وخالد بن مخلد ضعفه أحمد وغيره. وقال أبو زرعة: ضعيف. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ. وقال النسائي: متروك الحديث مات سنة خمس وستين ومائة. **(كتب إلى)** الإمام **(مالك بن أنس)** رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته والمكتوب ما نصه: **(« بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأوّلين والآخرين من يحي بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد؛ فقد بلغني)** عنك **(أنك تلبس الدقاق)** أي الثياب الرفيعة وهي دق الثياب من كتان وقطن، ولو روي بالراء لكان له معنى. **(وتأكل الرقاق)** بالضم أي الخبز المرقق الذي عجن من دقيق منخول **(وتجلس على الوطيء)** أي الفرش اللين **(وتجعل على بابك حاجباً)** لا يدع الناس من الدخول عليك إلا بإذن **(و)** الحال أنك **(قد جلست مجلس العلم)** تنشر للناس

ضربت إليك المطي وارتحل إليك الناس واتخذوك إماماً ورضوا بقولك فاتقِ الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع. كتبت إليك بالنصيحة مني كتاباً ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام». فكتب إليه مالك: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. من مالك بن أنس إلى يحي بن يزيد سلام الله عليك أما بعد؛ فقد وصل إليَّ كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيراً وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، فأما ما ذكرت لي أني آكل الرقاق وألبس الدقاق واحتجب وأجلس على الوطيء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [الأعراف: ٣٢] وإني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام، فانظر إلى إنصاف مالك

وتفيده (**وضربت إليك المطيّ**) أي بأكبادها (**وارتحل الناس**) إليك لأخذ العلم (**فاتخذوك إماماً**) وقدوة في دينهم (**ورضوا بقولك**) الذي تذهب إليه (**فاتّق الله**) في نفسك (**يا مالك وعليك بالتواضع**). وقد (**كتبت إليك بالنصيحة مني كتاباً**) هو هذا الكتاب (**ما اطلع عليه إلا الله تعالى**). وهكذا تكون النصائح إذا كانت لله تعالى لا لغرض ولا علة (**والسلام»**) عليك. (**فكتب إليه مالك**) لأن من السنة ردّ جواب الكتاب (**«بسم الله الرحمن الرحيم. من مالك بن أنس إلى يحي بن يزيد سلام عليك أما بعد؛ فقد وصل إليَّ كتابك**) فقرأته (**فوقع مني موقع النصيحة والإشفاق والأدب**) أي مع الله تعالى (**أمتعك الله بالتقوى**) أي أطال إيناسك به (**وجزاك بالنصيحة**) في الله (**خيراً وأسأل الله التوفيق**) أي لمرضاته، (**ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. فأما ما ذكرت لي**) أي في كتابك (**أني آكل الرقاق وألبس**) الثياب (**الدقاق واحتجب**) عن الناس (**واجلس على**) الفرش (**الوطيءَ فنحن نفعل ذلك**) أي يصدر منا ذلك أحياناً من غير تصميم عليه، (**ونستغفر الله**) تعالى من ذلك كله، (**وقد قال الله عز وجل**) في كتابه العزيز: (**﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾**) [الأعراف: ٣٢] وقد استدل بهذه الآية على قول الأصوليين أن الأصل في المنافع الإباحة، وفي المضار التحريم، فإنه يدل على الذم بسبب تحريم زينة الله المخرجة لعباده، وإذا ورد الذم على التحريم لم يكن حراماً فيكون مباحاً، والمراد من الطيبات ما يستطاب طبعاً وهو النافع فيكون مباحاً، وليس المراد منها الحلال وإلا لزم التكرار في قوله: ﴿أحل لكم الطيبات﴾ قاله القزويني في شرح المنهاج، (**وإني لأعلم**) يقيناً (**أن ترك ذلك**) جملة (**خير من الدخول فيه**) والركون إليه (**ولا تدعنا**) أي لا تهملنا (**من كتابك**) أي من إرساله إلينا، (**فلسنا ندعك**) نتركك (**من كتابنا والسلام**) هذا آخر الجواب. (**فانظر**) وتأمل (**إلى انصاف**) الإمام (**مالك**) وأدبه مع الله تعالى (**إذ اعترف**)

إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيهما جميعاً، ومثل مالك في منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى أيضاً نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز إلى المكروهات، وأما غيره فلا يقدر عليه، فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله تعالى الخشية، وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر.

ومنها: أن يكون مستقصياً عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد إلى الفرار عنهم سبيلاً بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاؤوا إليه، فإن الدنيا حلوة

بما نسب إليه، ولو كتب هذا إلى أقل علماء زماننا بأقل من ذلك لاشمأز واحتد غضباً ولم يرد الجواب. فقال من جملة اعترافه: وإني لأعلم (**ان ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح**) أي مما أباح الله به لعباده وليس هو في حد المحرمات (**وقد صدق**) رحمه الله تعالى (**فيهما جميعاً**) أي في الإباحة المفهومة من نص الآية الشريفة وفي أولوية ترك الخوض والدخول في العلائق الدنيوية وإن كانت مباحة، (**ومثل مالك**) وناهيك به (**إذا سمحت نفسه بالانصاف**) منها (**والاعتراف**) بالانكسار (**في مثل هذه النصيحة**) المفيدة (**فتقوى أيضاً نفسه على الوقوف على حدود المباح**) فلا يتجاوزها (**حتى لا يحمله ذلك على المراءاة**) مع الخلق (**والمداهنة**) في الحق (**و**) على (**التجاوز**) منها (**إلى**) الوقوع في (**المكروهات**) لعلو مقامه واستغراقه في حضرة الحق سبحانه، (**وأما غيره فلا يقدر عليه**) فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، (**فالتعريج**) أي الميل (**على التنعم في المباح**) والوقوف عليه (**خطر عظيم**) ووبال جسيم إلا من عصمه الله وأيد بالتوفيق وكحلت بصيرته بالتأييد (**وهو بعيد من**) مقامي (**الخوف**) من الله (**والخشية**) له (**وخاصية علماء الله تعالى**) التي لا تنفك عنهم في حال من الأحوال (**الخشية**) إذ هي ثمرة علمهم بالله تعالى، (**وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر**) والاقتصار على أقل الضرورات، وهو مقام النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ففي الحديث: «لا يكون العبد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس». وفي تاريخ الذهبي. قال إسماعيل بن أبي أويس كتب عبدالله بن عبد العزيز العمري إلى مالك وابن أبي ذئب وغيرهما بكتب أغلظ لهم فيها وقال: أنتم علماء تميلون إلى الدنيا وتلبسون اللين وتدعون التقشف، فكتب له ابن أبي ذئب كتاباً أغلظ له وجاوبه مالك جواب فقيه.

(**ومنها**): أي ومن العلامات اللازمة لعلماء الآخرة (**أن يكون مستقصياً عن**) مخالطة (**السلاطين**) ومن في معناهم من الأمراء والحكام (**بل لا يدخل عليهم البتة**) أي بوجه من الوجوه (**ما دام يجد إلى الفرار عنهم سبيلاً**) ومخلصاً وممكناً، (**بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم**) ومخاللتهم (**وإن جاؤوا إليه**) أي لزيارته. (**فإن الدنيا حلوة خضرة**) نضرة

خضرة وزمامها بأيدي السلاطين. والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة. ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم، فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه، أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهناً لهم، أو يتكلف في كلامه كلاماً لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح، أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت، وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الإدرار والجوائز وغيرها. وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط. وقد قال ﷺ: «من بدا جفا - يعني من سكن البادية جفا - ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن». وقال ﷺ:

(وزمامها) في الحقيقة **(بأيدي السلاطين)** إذ هم حياتها وإليهم مآلها **(والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم)** كما هو مشاهد **(واستمالة قلوبهم)** إليه بما أمكن **(مع أنهم ظلمة)** على رقابهم مظالم العباد وظلموا نفوسهم بارتكاب المحظورات. **(ويجب على كل متدين)** أي متقيد بالدين **(الإنكار عليهم)** بلسانه وقلبه **(وتضييق قلوبهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم)** تصريحاً إن أمكن، كما فعله أبو حازم حين دخل على سليمان بن عبد الملك وعنده الزهري، وكما فعله شقيق حين جاءه هارون الرشيد زائراً، فإن لم يتمكن من التصريح فالتعريض، **(فالداخل عليهم)** في مجالسهم لا يخلو **(إما أن يلتفت إلى تجملهم)** وتزينهم في الملابس والفرش والستور فينخزل باطناً وتميل نفسه إلى حصول مثل ذلك أو بعضه **(فيزدري)** أي يستحقر **(نعمة الله)** عز وجل التي أنعمها **(عليه، أو يسكت عن الانكار)** عليهم مع وجوبه **(فيكون مداهناً لهم)** بسكوته **(أو يتكلف في كلامه)** الذي يورده طلباً **(لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح)** والافتراء الخالص **(أو يطمع في أن ينال)** ويصيب **(من دنياهم)** التي بأيديهم **(وذلك هو السحت)**، أي الحرام الخالص، وقد يجتمع بعض الأحيان في بعض الأشخاص من الذين يداخلونهم من هذه الأوصاف الخمسة اثنان وثلاثة وأكثر وأقل، وعلى كل حال تقرب السلاطين نار محرقة إن لم تحترق تكون تحت رق، **(وسيأتي في كتاب الحلال والحرام)** في أثناء هذا الكتاب **(ما يجور أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الإدرار)** أي الوظائف والجرايات **(والجوائز)** أي العطايا **(وغيرها)** كإلباس الخلع والتشاريف. **(وعلى الجملة)** مع قطع النظر عن التفصيل **(فمخالطتهم مفتاح للشرور)** وأصل أصيل للوقوع في النكد والغرور **(وعلماء الآخرة طريقتهم الاحتياط)** أي الأخذ بالأحوط في أمور دينهم ودنياهم. كيف **(وقد قال ﷺ: « من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلاطين افتتن »)** لأنه إن وافقه على مرامه فقد خاطر بدينه، وإن خالفه فقد خاطر بروحه. وربما استخدمه فلا يسلم من الإثم في الدنيا والعقوبة في العقبى. أخرجه

« سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر فقد برىء ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع أبعده الله تعالى. قيل: أفلا نقاتلهم؟ قال ﷺ: « لا ما صلوا »، وقال سفيان: في جهنم واد لا يسكنه، إلا القراء الزائرون للملوك، وقال

الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي في الشعب، والطبراني في الكبير، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية وأبو قرة كلهم من رواية سفيان، عن أبي موسى، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس رفعه. ولفظهم كلهم ما عدا الترمذي. « ومن أتى السلطان » والباقي سواء. ولفظ الترمذي: ومن أتي أبواب السلطان وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الثوري. وقال سفيان مرة: لا أعلمه إلا عن النبي ﷺ، وقال أبو نعيم في الحلية: أبو موسى هو اليماني لا نعرف له اسماً. وقال الذهبي في الميزان: شيخ يماني يجهل. ما روى عنه غير الثوري، ولعله اسرائيل بن موسى وإلا فهو مجهول. ونقل المنذري في مختصر السنن قال الكرابيسي: حديثه ليس بالقائم. وفي الباب عن أبي هريرة والبراء بن عازب، ولفظ حديث أبي هريرة: « من بدى فقد جفا » والباقي سواء. وزاد في آخره: « وما ازداد أحد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً »، رواه أبو يعلى في مسنده، وابن عدي في الكامل، وابن حبان في الضعفاء كلهم من رواية الحسن بن الحكم النخعي، عن عدي بن ثابت، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، وضعفوه كالمنذري في مختصر السنن، ولكن حسنه العراقي قال: وقد رواه أبو داود في رواية ابن داسة، وابن العبد من طريق الحسن بن الحكم هذا إلا أنه قال: عن عدي بن ثابت، عن شيخ من الأنصار عن أبي هريرة بلفظ حديث وهب بن منبه عن ابن عباس، وقد رواه أيضاً أبو يعلى في مسنده هكذا. وأما حديث البراء فرواه أحمد مختصراً من طريق شريك، عن الحسن بن الحكم، عن عدي بن ثابت عنه رفعه: « من بدى جفا » وذكره الدارقطني في العلل فقال: تفرد به شريك، واختلف فيه على الحسن بن الحكم، فرواه شريك عنه هكذا، وخالفه اسماعيل بن زكريا فرواه عنه عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة كما تقدم، وخالفهما محمد بن عبيد الطنافسي فرواه عنه عن عدي بن ثابت عن شيخ من الأنصار لم يسمعه اهـ.

قلت: وأخرجه العقيلي في الضعفاء، والروياني وسعيد بن منصور كلهم عن البراء نحوه بزيادة: « ومن تبع الصيد غفل ». **(وقال ﷺ: « ستكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر فقد برىء ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع أبعده الله قيل: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا »)**. قال العراقي: أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي من رواية ضبة بن محصن، عن أم سلمة، عن النبي ﷺ أنه قال واللفظ للترمذي إلا أنه قال: « أئمة » بدل « أمراء » ولم يقل « أبعده الله ». وقال: حسن صحيح. وفي رواية لمسلم: « أنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برىء ومن أنكر فقد سلم ». فذكره دون قوله: « أبعده الله » وفيه: قالوا يا رسول الله بدل قيل. وفي رواية له: « فمن أنكر فقد برىء ومن كره فقد سلم ». وفي رواية: « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برىء ومن أنكر سلم » اهـ.

حذيفة: إياكم ومواقف الفتن قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه. وقال رسول الله ﷺ: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا السلاطين، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم». رواه أنس. وقيل للأعمش: لقد أحييت العلم لكثرة من

قلت: وأخرج ابن أبي شيبة عن عبادة بن الصامت رفعه: «ستكون عليكم أمراء يأمرونكم بما تعرفون ويعملون بما تنكرون فليس لأولئك عليكم طاعة». وأخرج ابن جرير والطبراني في الكبير والحاكم، عن عبادة بن الصامت أيضاً ولفظهم: «سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم بما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل». وأخرج ابن ماجه، وابن عساكر، عن أبي هريرة رفعه: «سيكون بعدي خلفاء يعملون بما لا تعلمون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن أنكر عليهم برىء ومن أمسك يده سلم ولكن من رضي وتابع». **(وقال سفيان)** بن سعيد الثوري: **(في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزوّارون)** أي الكثيرو الزيادة **(للملوك)** أخرجه البيهقي عن بكر بن محمد العابد قال: سمعت سفيان الثوري يقول فذكره بلفظ: إن في جهنم لجباً تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء الزائرين للسلاطين، وقد تقدم عن بكر بن خنيس ما يعضده. وقال السيوطي: ما رواه الأساطين من عدم المجيء إلى السلاطين ما نصه. وأخرج ابن عدي عن أبي هريرة رفعه: «إن في جهنم وادياً تستعيذ منه كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى عالم السلطان». **(وقال حذيفة)** بن اليمان رضي الله عنه فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا إسحاق بن ابراهيم، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن إسحاق، عن عمارة بن عبد، عن حذيفة قال: **(إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما هي)** يا أبا عبدالله؟ **(قال أبواب الأمراء يدخل أحدهم)** ونص الحلية: أحدكم. ومثله في نسخة أخرى **(فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه)**. وأخرجه كذلك البيهقي في الشعب، وابن أبي شيبة في المصنف.

(وقد قال ﷺ: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله) فإنهم استودعهم الشرائع التي جاؤوا بها، وهي العلوم والأعمال وكلفوا الخلق طلب العلم فهم أمناء عليه وعلى العمل به **(ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل)** في أماناتهم لأن مخالطهم لا يسلم من النفاق والمداهنة والاطراء في المدح وفيه هلاك الدين **(فاحذروهم)** أي خافوا من شرهم **(واعتزلوهم»)** أي تأهبوا لما يبدو منهم من الشر. **(رواه)** أبو جعفر العقيلي في الضعفاء في ترجمة حفص الأبري عن إسماعيل بن سميع الحنفي، عن **(أنس)**، عن النبي ﷺ. قال العقيلي: وحفص كوفي حديثه غير محفوظ. قال العراقي: وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق الحاكم، ومن طريق أبي نعيم الأصبهاني من رواية ابراهيم بن رستم، عن أبي حفص العبدي، عن

يأخذه عنك فقال: لا تعجلوا؛ ثلث يموتون قبل الإدراك، وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق، والثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل. ولذلك قال سعيد بن

اسماعيل بن سميع عن أنس وزاد بعد قوله: « ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا ». وقال في آخره: « فاحذروهم واخشوهم ». اهـ.

قلت: لفظ الحاكم: « ويدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا وخالطوا السلطان ». وفي آخره: « فاعتزلوهم ». وأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده عن محمد بن مالك عن ابراهيم بن رستم. قال العراقي: ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من رواية ابراهيم بن رستم، عن عمر بن حفص العبدي عن اسماعيل بن سميع قال: تابعه محمد بن معاوية النيسابوري، عن محمد بن يزيد عن اسماعيل، ثم قال: وأما عمر العبدي قال يحي ليس بشيء. وقال النسائي: متروك. وأما ابراهيم بن رستم فقال: ابن عدي: ليس بمعروف ومحمد بن معاوية قال فيه أحمد كذاب إلى هنا كلام ابن الجوزي. قال العراقي: أما ابراهيم بن رستم فقال فيه عثمان بن سعيد الدارمي عن يحي بن معين أنه ثقة اهـ.

قال السيوطي: الحديث ليس بموضوع وابراهيم بن رستم معروف مروزي جليل. قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان، عن أبي حاتم: يذكر بفقه وعبادة ومحله الصدق، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطىء. وقال الدارقطني: مشهور وليس بالقوي، وله طريق آخر أخرجه الديلمي من رواية محمد بن النضر، حدثنا محمد بن يزيد بن سابق، حدثنا نوح ابن أبي مريم، عن اسماعيل بن سميع، وقد ورد هذا الحديث بهذا اللفظ عن علي بن أبي طالب مرفوعاً أخرجه العسكري، وورد موقوفاً على جعفر بن محمد أخرجه أبو نعيم في الحلية. وله شاهد نحوه من حديث عمر بن الخطاب أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، وله شواهد بمعناه كثيرة صحيحة وحسنة فوق الأربعين حديثاً. وهذا الحديث الذي نحن في الكلام عليه يحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحسن والله أعلم اهـ.

قلت: والموقوف الذي أخرجه أبو نعيم في الحلية رواه من طريق هشام بن عباد قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم.

(وقيل للأعمش) وهو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم أبو محمد الكوفي رأى أنس بن مالك وأبا بكرة الثقفي وأخذ له بالركاب فقال له: يا بني إنما أكرمك ربك عز وجل. قال ابن معين: كل ما روى الأعمش عن أنس فهو مرسل. وقال عيسى بن يونس: ما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته. مات سنة ثمان وأربعين ومائة. **(لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذ عنك)** أي فيبقى في صدورهم فيلقونه إلى من يأخذ عنهم، **(فقال: لا تعجلوا ثلث)** منهم **(يموتون قبل الادراك)** أي قبل أن يدركوا ثمرة العلم التي هي العمل، **(والثلث)** الثاني **(يلزمون أبواب السلاطين فهم شرار الخلق،**

المسيب رحمه الله: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحترزوا منه فإنه لص. وقال الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملاً. وقال رسول الله ﷺ: «شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء»، وقال

والثلث الباقي لا يفلح منهم إلا القليل) فأشار بقوله: فهم شرار الخلق إن مخالطة السلاطين شر محض. وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية أحمد بن شيبان قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول، ونظر إلى كثرة أصحاب الحديث ثلث يتبعون السلطان، وثلث لا يفلحون، وثلث يموتون. **(ولذلك قال)** أحد العلماء الاثبات **(سعيد بن المسيب)** بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي. قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه. مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين. **(إذا رأيتم العالم يغشى أبواب الأمراء فاحترزوا منه فإنه لص)** بتثليث اللام أي سارق محتال على اقتناء الدنيا وجذبها إليه من حرام وغيره، كما يحاول السارق اخراج المتاع عن الحرز، وهذا الذي ذكره المصنف عن سعيد بن المسيب فقد ورد مرفوعاً عن أبي هريرة بلفظ: «إذا رأيتم العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص». أخرجه الديلمي أي قد سلب وصف الأمانة وكسي ثوب الخيانة فلا يؤتمن على أداء العلم الذي من أسرار الله تعالى. ويروى عن سفيان الثوري: إذا رأيت القارىء يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراء. أخرجه البيهقي عن يوسف بن أسباط قال قال لي الثوري فذكره، وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية محمد بن علي بن الحسن قال، قال عمر بن الخطاب: إذا رأيتم القارىء يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا، وإذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو لص. **(وقال)** عبد الرحمن بن عمرو **(الأوزاعي: ما من شيء أبغض على الله من عالم يزور عاملاً)** أي من عمال الملوك، وشاهده من حديث أبي هريرة رفعه. أخرجه ابن ماجه: «إن أبغض الخلق إلى الله العالم يزور العمال». وسيأتي في الذي بعده.

(وقال ﷺ: «شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء») قال العراقي: لم أره بهذا اللفظ. وروى ابن ماجه من رواية أبي معاذ البصري، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في أثناء حديث أوله: «تعوذوا بالله من جب الحزن» إلى أن قال «وإن أبغض القراء إلى الله الذين يأتون الأمراء» وأول الحديث عند الترمذي دون هذه الزيادة إلا أنه قال: أبو معان بالنون وهو الصحيح، ثم قال: وروى أبو بكر أحمد بن علي بن لال الفقيه في كتاب مكارم الأخلاق من رواية عصام بن داود العسقلاني، عن بكير بن شهاب الدمغاني، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رفعه: «إن أبغض الخلق إلى الله عز وجل العالم يزور العمال» اهـ.

قلت: وهكذا هو في مسند الفردوس للديلمي، وتاريخ قزوين للرافعي، وأخرجه أبو الفتيان الحافظ في كتاب التحذير من علماء السوء بلفظ: «إن أهون الخلق على الله»، وفي هذا المعنى قال: «حكيم من الحكماء». وسيأتي للمصنف أنه محمد بن مسلمة: «الذباب على العذرة أحسن حالاً من

مكحول الدمشقي رحمه الله: من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقاً إليه وطمعاً فيما لديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه. وقال سمنون: ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال: هو عند الأمير! قال: وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأنتم

العالم على باب هؤلاء». وقالوا: نعم الأمير على باب الفقير وبئس الفقير على باب الأمير، وقال أبو حازم فيما وعظ به سليمان بن هشام: إن بني إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كان أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة في علمهم، فلما نكسوا وتعسوا وسقطوا من عين الله عز وجل وآمنوا بالجبت والطاغوت كان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم فشاركوهم في دنياهم وشركوا في فتنتهم. أورده أبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي حازم، وقال أيضاً بسنده إلى يوسف بن أسباط: أخبرني مخبر أن بعض الأمراء أرسل إلى أبي حازم فأتاه، وعنده الأفريقي والزهري وغيرهما فقال له: تكلم يا أبا حازم. فقال أبو حازم: إن خير الأمراء من أحب العلماء وإن شر العلماء من أحب الأمراء، وأنه كان فيما مضى إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم، وإذا أعطوهم لم يقبلوا منهم، وإذا سألوهم لم يرخصوا لهم. وكان الأمراء يأتون العلماء في بيوتهم فيسألونهم فكان في ذلك صلاح للعلماء وصلاح للأمراء، فلما رأى ذلك ناس من الناس قالوا: ما لنا لا نطلب العلم حتى نكون مثل هؤلاء؟ فطلبوا العلم فأتوا الأمراء فحدثوهم فرخصوا لهم وأعطوهم فقبلوا منهم فخربت العلماء على الأمراء وخربت الأمراء على العلماء.

(**وقال**) أبو عبدالله (**مكحول الدمشقي**) الفقيه: (**من تعلم القرآن وتفقّه في الدين وصحب السلطان تملقاً إليه**) أي خضوعاً له (**وطمعاً لما في يديه**) من المال وغيره (**خاض في جهنم بعدد خطاه**) جزاء وفاقاً.

قلت: وهذا قد روي مرفوعاً من حديث معاذ. أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب له، وكذا الحاكم في تاريخه بلفظ: «إذا قرأ الرجل القرآن وتفقه في الدين ثم أتى باب السلطان تملقاً إليه وطمعاً لما في يده خاض بقدر خطاه في نار جهنم». ولفظ الحاكم: ثم أتى صاحب سلطان كذا أفاده الجلال السيوطي.

(**وقال**) أبو الحسن ويقال أبو القاسم (**سمنون**) بن حمزة تلميذ السري ومات قبل الجنيد. وفي كتاب السيوطي وقال: إسحاق بدل سمنون. (**ما أسمج بالعالم**) أي ما أقبح (**أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد**) فيه (**فيسأل عنه فيقال: إنه عند الأمير. قال: وكنت أسمع أنه يقال: إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم**) أي فإنه كالسارق المحتال على جمع الحطام إلى نفسه من حيث أمكن (**حتى جرّبت**) ذلك. قال: (**وما دخلت قط على السلطان إلا حاسبت نفسي بعد الخروج**) من عنده في سائر أحوالها بالتدقيق (**فأرى عليها الدَّرك**) أي

ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المحالفة لهواه، ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافاً مع أني لا آخذ منه شيئاً ولا أشرب له شربة ماء، ثم قال: وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم. وقال الحسن: كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام وصحبة لرسول الله ﷺ ـ قال عبدالله بن المبارك عني به سعدبـن أبي وقاص رضي الله عنه ـ قال؛ وكان لا

في بعض أمرها (**وأنتم ترون ما ألقاه**) أي السلطان (**به من الغلظة**) في الكلام (**والفظاظة**) في الخلق (**وكثرة المخالفة لهواه**) أي لهوى نفسه فيما يخالف ظاهر الشريعة، (**ولوددت أن أنجو**) أي أخلص (**من الدخول**) عليه (**كفافاً**) لا عليّ ولا لي (**مع أني لا آخذ منهم شيئاً**) من الأموال وغيرها (**ولا أشرب عندهم شربة ماء**) فضلاً عن الأكل أي: فكيف حال الداخل إليه وهو يطمع في دنياه أو يتناول عنده شيئاً. وهكذا ساقه السيوطي إلا أن في سياقه حتى جربت إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت، وفيه: مع ما أواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم والباقي سواء. (**قال: وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل**) فإنهم (**يخبرون السلاطين**) إذا سئلوا في الواقعات (**بالرخص**) والمساهلات (**وما يوافق هواهم**) فيفتون لهم بذلك (**ولو أخبروهم بالذي عليهم وفيه نجاتهم**) من العذاب (**لاستثقلوهم وكرهوا دخولهم عليهم، وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم**) حيث بلغوا ما أمروا به. وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي حازم ما نصه: قال سليمـان بن هشام لأبي حازم: يا أبا حازم، ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين. قال: بل نصيحة تلقيها إليّ. قال: إن آباءك غصبوا الناس هذا الأمر فأخذوه عنوة بالسيف من غير مشورة ولا اجتماع من الناس، وقد قتلوا فيه مقتلة عظيمة وارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وقيل لهم: قال رجل من جلساء سليمان: بئسما قلت. قال أبو حازم: كذبت فإن الله تعالى أخذ على العلماء الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه. وأخرج في ترجمة الفضيل من رواية ابراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لأن يدنو الرجل من جيفة منتنة خير له من أن يدنو إلى هؤلاء يعني السلطان، وسمعته يقول: رجل لا يخالط هؤلاء ولا يزيد على المكتوبة أفضل عندنا من رجل يقوم بالليل ويصوم بالنهار ويحج ويعتمر ويجاهد في سبيل الله ويخالطهم اهـ.

(**وقال الحسن**) بن سعيد البصري (**كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام**) أي سبق وتقدم (**وصحبة لرسول الله ﷺ قال عبدالله بن المبارك**) راوي هـذا الأثـر (**عني**) الحسن (**به**) أحد العشرة أبا إسحاق (**سعد بن أبي وقاص**) مالك بن أهيب الزهري أبهمه الحسن وفسره ابن المبارك فهو مدرج (**قال: وكان لا يغشى السلاطين ولا يقعد عندهم**)

يغشى السلاطين وينفر عنهم. فقال له بنوه: يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الإسلام فلو أتيتهم، فقال: يا بني آتي جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها، قالوا: يا أبانا إذاً نهلك هزالاً، قال: يا بني لأن أموت مؤمناً مهزولاً أحبَّ إليَّ من أن أموت منافقاً سميناً. قال الحسن: خصمهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن، دون الإيمان. وفي هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للإيمان. وقال أبو ذر لسلمة: يا سلمة لا

أراد بهم خلفاء زمانه كالصديق والفاروق وذي النورين، ولعل هذا في آخر أمره وإلا ففي أول أمره ابتلي بالإمارة والسياسة والحجابة والحراسة ففتح الله على يديه السواد والبلدان، ومنح عدة من الإناث والذكران، ثم رغب عن ذلك وآثر العزلة والرعاية وتلاقى ما بقي من عمره بالعناية، وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك، وكان أميراً على الكوفة فعزله عمر وولى عماراً، ثم عزله وأعاد سعداً فأبى عليه ورام ابنه عمر بن سعد أن يدعو إلى نفسه بعد قتل عثمان فأبى، وكذلك رامه ابن أخيه هاشم بن عقبة بن أبي وقاص فأبى فلحق هاشم بعلي، وكان سعد ممن قعد ولزم بيته في الفتنة وأمر أهله أن لا يخبروه بشيء من أخبار الناس حتى تجتمع الأمة على إمام فقال له بنوه) إبراهيم وعامر وعمر ومحمد ومصعب: (**يأتي هؤلاء**) أي الملوك (**من ليس له مثلك**) أي مثل مالك (**في الصحبة**) لرسول الله ﷺ (**والقدم**) في الإسلام (**فلو أتيتهم**) أي واستفدت منهم (**فقال: يا بني**) بفتح الموحدة وكسر النون (**إن الدنيا جيفة**) أي مآلها كذلك (**وقد أحاط بها قوم**) يتجاذبونها (**والله لئن استطعت لا أشاركهم**) اي الداخلين على الأمراء (**فيها**) أي في تحصيلها (**قالوا يا أبانا: إذاً نهلك هزلاً أي فقراً وقلة** (**قال يا بني: لأن أموت مؤمناً مهزولاً أحب إلي من أن أموت منافقاً سميناً**)، فلم يزل رضي الله عنه في حال التقشف والصبر حتى لحق بربه معتزلاً في قصره بالعقيق في سنة خمس وخمسين على المشهور، وحمل على الأعناق ودفن بالبقيع وهو آخر العشرة موتاً فهو قدوة من ابتلى في حاله بالتلوين وحجة من تحصن بالوحدة والعزلة من التفتين (**قال الحسن**) راوي الأثر: (**خصمهم والله**) أي غلبهم في الخصومة (**إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن**) في القبر (**دون الإيمان**) فإنه محفوظ، (**وفي هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق**) والمداهنة (**البتة وهو**) أي النفاق (**مضاد الإيمان**) الكامل لا يجتمعان معاً.

(**وقال أبو ذر**) جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه من السابقين أول من تكلم في علم البقاء والفناء، وثبت على المشقة والعناء، وحفظ العهود والوصايا، وصبر على المحن والرزايا، واعتزل البرايا إلى أن حل بساحة المنايا. مات معتزلاً بالربذة سنة إثنين وثلاثين، وصلى عليه عبدالله بن مسعود وكان يوازيه في العلم. وقدم ابن مسعود المدينة فمات بعده بعشرة أيام (**لسلمة**) بن عمرو بن الأكوع الأسلمي أبي مسلم، ويقال: أبو إياس، ويقال أبو عامر له صحبة

تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئاً من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه. وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو، إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين. وكان يقال: العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا.

ورواية. قال أبو نعيم: استوطن الربذة بعد قتل عثمان وتوفي سنة أربع وتسعين (**يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه**) أي مما أصبت من دنياهم، وهو كما قال الثوري. وإياك أن تخدع فيقال تدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس اتخذها القراء سلماً، (**وهذه**) أي المخالطة للملوك (**فتنة للعلماء عظيمة**) طار شررها في الآفاق (**وذريعة**) أي وسيلة (**صعبة للشيطان عليهم**) يخدعهم بلطف احتياله بذلك (**لا سيما من له**) بهجة مرموقة و(**لهجة مقبولة**) أي فصاحة اللسان (**وكلام حلو**) يورده على ترتيب حسن ومناسبات قريبة مما تليق بمجالسهم (**لا يزال الشيطان يلقي إليه**) في روعه (**أن في وعظك لهم**) بهذه الصفة (**ودخولك عليهم**) بالاستمالة (**ما يزحزحهم**) أي يخرجهم (**عن**) ارتكاب أنواع (**الظلم**) ويمنعهم من المحرمات (**ويقيم من شعائر الإسلام**) ويثبت حبة في قلوبهم (**إلى أن يخيل إليه**) في تخيلاته (**أن الدخول إليهم من**) جملة أمور (**الدين**) فلا حول ولا قوة إلا بالله، (**ثم إذا دخل**) باغواء إبليس (**لم يلبث أن**) يظهر الفصاحة ورفعة شأنه في العلم وفي أثنائه (**يتلطف في الكلام**) ويرققه (**ويداهن**) ويستميل (**ويخوض في الثناء**) عليه (**والإطراء**) بمدحه، (**وفيه**) أي من مجموع ما ذكر (**هلاك الدين**) والخسران المبين. (**وكان يقال: العلماء إذا علموا عملوا فإذا علموا شغلوا**) أي بالله تعالى وهو نتيجة العمل الصادق (**فإذا شغلوا**) بالله (**فقدوا**) عن الأوصاف البشرية واتصفوا بالأوصاف الملكوتية (**فإذا فقدوا**) وحصلت لهم هذه المرتبة انزل الله حبهم في قلوب أهل السماء والأرض و(**طلبوا فإذا طلبوا هربوا**) من الخلق سلامة لدينهم وجمعاً لخواطر قلوبهم. أورده صاحب القوت عن سفيان الثوري ولفظه: كان الناس إذا طلبوا العلم عملوا فإذا عملوا أخلصوا فإذا أخلصوا هربوا. وقال آخر: العالم إذا هرب من الناس فاطلبه وإذا طلب الناس فاهرب منه اهـ.

وأخرج أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ من رواية الوليد بن مسلم عن الأوزاعي قال: قدم عطاء الخراساني على هشام، فنزل على مكحول فقال لمكحول: ههنا أحد يحركنا. قال: نعم يزيد بن ميسرة فأتوه، فقال عطاء: حركنا رحمك الله. قال: نعم كانت العلماء إذا علموا

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن: أما بعد؛ فأشر عليَّ بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى. فكتب إليه: أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة. هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وكان أزهد أهل زمانه! فإذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته؟ ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين.

عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا. قال: أعد علي فأعاد فرجع عطاء ولم يلق هشاماً.

(**وكتب**) أمير المؤمنين أبو حفص (**عمر بن عبد العزيز**) بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي المدني ثم الدمشقي أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة وصلى أنس خلفه وقال: ما رأيت أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الفتى، وكان ثقة مأموناً له فقه وعلم وورع، وروي حديثاً كثيراً وكان إماماً عدلاً رحمه الله ورضي عنه، ومات سنة إحدى ومائة بدير سمعان (**إلى الحسن**) البصري (**رحمه الله تعالى**) قال صاحب القوت: حدثونا عن زكريا بن يحي الطائي قال: حدثني عمي زحر بن حصين ان عمر بن عبد العزيز كتب إلى الحسن (**أما بعد: فأشر علي بقوم**) أي عرفني بهم أصاحبهم و(**أستعين بهم على أمر الله فكتب إليه**) الحسن بعد الحمدلة والصلاة، (**أما أهل الدين فلا يريدونك**) أي لما أنت فيه من تحمل أعباء الملك، (**وأما أهل الدنيا فلا تريدهم**) لميلهم إليها فلا ينصحونك، (**ولكن عليك بالأشراف**) ذوي الأنساب الصريحة (**فإنهم يصونون شرفهم**) أي يحفظونه (**من أن يدنسوه**) أي يوسخوه (**بالخيانة**) في النصح في أوامر الله تعالى. (**هذا في عمر بن عبد العزيز وكان أزهد أهل زمانه**) وأعبدهم وأعلمهم. قال خصيف: ما رأيت رجلاً قط خيراً منه، وقال مجاهد: أتيناه نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه، وقال ميمون بن مهران: ما كانت العلماء عنده إلا تلامذة (**فإذا كان شرط أهل الدين**) والعلماء المتقين (**الهرب منه**) والفرار من مخالطته (**فكيف يستتب**) أي يستقيم (**طلب غيره ومخالطته**) وليس فيه شيء من تلك الأوصاف، (**ولم يزل السلف**) الصالحون (**مثل الحسن**) البصري، (**و**) سفيان (**الثوري و**) عبدالله (**ابن المبارك والفضيل**) بن عياض، (**وإبراهيم بن أدهم**) الزاهد، (**ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام**) ونص القوت بعد ذكره جواب الحسن لعمر ابن عبد العزيز ما نصه: وكان الحسن يتكلم في بعض علماء البصرة ويذمهم، وكان أبو حازم وربيعة المدنيان يذمان علماء بني مروان، وقد كان الثوري، وابن المبارك، وأيوب، وابن عون

ومنها: أن لا يكون مسارعاً إلى الفتيا بل يكون متوقفاً ومحترزاً ما وجد إلى الخلاص سبيلاً، فإن سئل عما يعلمه تحقيقاً بنص كتاب الله أو بنص حديث أو اجماع أو قياس جلي أفتى، وإن سئل عما يشك فيه قال: لا أدري! وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية. هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم. وفي الخبر: «العلم ثلاثة: كتاب ناطق وسنّة قائمة ولا

يتكلمون في بعض علماء الدنيا من أهل الكوفة وكان الفضيل، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط يتكلمون في بعض علماء الدنيا من أهل مكة والشام كرهنا أن نسمي المتكلم فيهم لأن السكوت أقرب إلى السلامة إلى هنا كلامه. وقد اختصر المصنف كما ترى وهو اختصار مضر إذ الثوري وابن المبارك لم يتكلما في علماء مكة والشام وتفصيل ذلك يظهر لمن طالع تراجمهم في الحلية وغيرها، ثم قال المصنف: **(إما لميلهم إلى الدنيا)** وإيثارهم إياها على الآخرة، **(أو لمخالطتهم السلاطين)** والأمراء فكان كلامهم في هؤلاء نصيحة لهم في دين الله تعالى لا لغرض نفساني حاهم الله تعالى من ذلك.

(ومنها) أي ومن علامات علماء الآخرة **(أن لا يكون متسارعاً إلى الفتوى)** إذا سئل **(بل يكون متوقفاً)** عن الإقدام عليه **(ومتحرزاً)** أي صائناً نفسه عنه **(ما وجد إلى الخلاص)** منه **(سبيلاً)** ومخلصاً **(فإن سئل عما يعلمه تحقيقاً بنص)** ظاهر **(من كتاب الله)** عز وجل **(أو بنص)** من **(حديث رسول الله ﷺ مما جاء عنه من طريق موثوق (أو إجماع)** من فقهاء الأمصار **(أو قياس جلي)** دون الخفي **(أفتى)** لأنه أقدم عليه ببصيرة وتمكين وقطع بالأمر على علم وخبر وهذا هو اليقين. وهذه صفة العلماء الموثوق بعلمهم، **(وإن سئل عما يشك فيه)** ولم يتحققه **(قال: لا أدري)** إخباراً عن صدق وهو مأجور فيه، **(وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين)** وفي نسخة: اجتهاداً **(احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره)** ولا يوقع نفسه في حرج، **(وإن كان في غيره غنية)** أي كفاية لمثل هذا المهم **(هذا)** الذي ذكرناه في أمر الفتيا **(هو الحزم لأن تقلد خطر الإجتهاد عظيم)** وله شروط وأركان ذكرناها بالتفصيل في باب بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات من الكتاب، وكذلك ذكرنا هناك مراتب المفتين.

(وفي الخبر: «العلم ثلاثة كتاب ناطق) أي بين واضح **(وسنة قائمة)** أي ثابتة دائمة محافظ عليها معمول بها عملاً متصلاً وفي رواية: ماضية أي جارية مستمرة **(ولا أدري»)** أي قول المجيب لمن سأله عن مسألة لا يعلم حكمها: «لا أدري» هكذا أورده صاحب القوت. **قال العراقي**: أخرجه الدارقطني في غرائب مالك، والخطيب في أسماء من روى عن مالك من رواية عمر بن عصام، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر موقوفاً عليه. وقد رواه ابن عدي في الكامل في ترجمة أبي حذافة السهمي عن مالك قال: وهذا من منكرات أبي حذافة سرقة من عمر. قال

أدري». قال الشعبي: «لا أدري» نصف العلم، ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى

العراقي: ولم يصرح المصنف بأنه مرفوع، وإنما قال وفي الخبر: والظاهر أنه أراد هذا فذكر به احتياطاً لاحتمال أن يكون روي مرفوعاً اهـ.

قلت: المصنف تبع في ذلك صاحب القوت، فإنه هو الذي قال وفي الخبر: ثم إن الحديث المذكور رواه أيضاً الديلمي في الفردوس موقوفاً، وكذلك أبو نعيم والطبراني في الأوسط، وقال الحافظ ابن حجر: والموقوف حسن الإسناد، ثم قال العراقي: وأول الحديث مرفوع من حديث عبدالله بن عمر رواه أبو داود، وابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن عبد الرحمن بن رافع، عن عبدالله بن عمر ورفعه: «العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادله» اهـ وسكت عليه.

وقد أخرجه أيضاً الحاكم في الرقاق، وقد قال الذهبي في المهذب، وتبعه الزركشي فيه عبد الرحمن بن أنعم ضعيف. وقال في المنار: فيه أيضاً عبد الرحمن بن رافع التنوخي في أحاديثه مناكير. قال المناوي: وفي طريق ابن ماجه رشد بن سعد وهو ضعيف، ومن ثم قال ابن رجب: فيه ضعفاء مشهورون. **(قال الشعبي)** وهو عامر بـن شراحيل تقدم **(«لا أدري» نصف العلم)** هكذا أورده صاحب القوت عقب الحديث، وزاد يعني أنه من الورع والمرء إذا قال: لا أدري فقد عمل بعلمه وقام بحاله فله من الثواب بمنزلة من درى فقام بحاله وعمل بعلمه فأظهر، فلذلك كان قول لا أدري نصف العلم اهـ.

وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة الشعبي من رواية وهب بن إسماعيل الأسدي عن داود الأودي قال قال الشعبي: ألا أحدثك بثلاثة أحاديث لها شأن؟ قلت: بلى. قال: إذا سئلت عن مسألة فأجبت فيها فلا تتبع مسألتك أرأيت أرأيت، فإن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿أرأيت من اتخذ إلهَهُ هواه﴾ [الفرقان: ٤٣] حتى فرغ من الآية. وحديث آخر أحدثك به إذا سئلت عن شيء فلا تقس فتحرم حلالاً وتحل حراماً، والثالث لها شأن إذا سئلت عما لا علم لك فقل لا أعلم وأنا شريكك. وأخرج أيضاً من رواية أبي عبيدة عن أبي سلمة الواسطي، عن أبي زيد قال: سألت الشعبي عن شيء فغضب وحلف أن لا يحدثني، فذهب فجلست على بابه فقال يا أبا زيد: إنما وقعت على نيتي فرغ لي قلبك واحفظ عني ثلاثاً. لا تقولن لشيء لا تعلمه إني أعلمه وذكر البقية، ثم قال قم عني يا أبا زيد اهـ.

قال المناوي: أخذ من الحديث المتقدم أن على العالم إذا سئل عما لا يعلمه أن يقول لا أدري، ولا أتحققه، أو لا أعلم، أو الله أعلم. وقول المسؤول لا أعلم لا يضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة لأن العالم المتمكن لا يضره جهله ببعض المسائل بل يرفعه قوله: «لا أدري» أنه دليل على عظم محله وقوة دينه وتقوى ربه وطهارة قلبه وكمال معرفته وحسن نيته، وإنما يأنف من ذلك من

فليس بأقل أجراً ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس. فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضي الله عنهم. كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال: اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضعها في عنقه، وقال ابن مسعود رضي الله عنه:

ضعفت ديانته وقلت معرفته لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين ولا يخاف من سقوطه من عين رب العالمين وهذا جهالة ورقة دين اهـ.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾ [يونس: ٥٩] كفى بهذه الآية زاجرة زجراً بليغاً عند التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيها، وأن لا يقول أحد في شيء إلا بعد إتقان وإيقان، فمن لم يتقن ولم يوقن فليتق الله وليصمت، وإلا فهو مفتر على الله عز وجل، (**ومن سكت**) إذا سئل في مسألة (**حيث لا يدري**) ولا يتحققه تعظيماً (**لله سبحانه**) وإيكالاً للعلم إليه (**ليس بأقل أجراً ممن ينطق**) بل هو مساوٍ له في الأجر (**لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس**) لأنها مجبولة على الاغترار بالفخر فمتى مقتها في الله تعالى فإنه مأجوره وفي القوت: ولأن حسن من سكت لأجل الله تعالى تورعاً كحسن من نطق لأجله بالعلم تبرعاً اهـ.

وقال ابن عطاء الله: من علامة جهل السالك لطريق علم الظاهر أو الباطن أن يجيب عن كل ما يسئل عنه، ويعبر عن كل ما شهد، ويذكر كل ما علم لدلالته على أنه لم يكن بالله ولا لله، بل كان لنفسه إذ النفس مع العقل والتمييز، ومن طلب الحق بالعقل ضل وكان دليلاً على جهله. وقال أبو الحسن الماوردي: ليس بمتناه في العلم إلاَّ ويجد من هو أعظم منه بشيء إذ العلم أكثر من أن يحيط به بشر. وقال الشعبي: ما رأيت ولا آمر رجلاً أعلم مني إلا اتبعته، وهذا لم يقله تفضيلاً لنفسه بل تعظيماً للعلم أن يحاط به، وقلما تجد بالعلم معجباً وبما أدركه منه مفتخراً إلا من كان فيه مقلاً مقصراً لأنه يجهل قدره ويظن أنه نال بالدخول فيه أكثره، وأما من كان فيه متوجهاً ومنه مستكثراً فهو يعلم من بعد غايته والعجز من إدراك نهايته ما يصده عن العجب به، وقالوا العلم ثلاثة أشبار، فمن نال منه شبراً شمخ بأنفه وحلف أنه هو، ومن نال منه الثاني صغرت إليه نفسه وعلم أنه ما ناله، وأما الثالث فهيهات أين يناله أحد، ثم قال: فليس لمن تكلف ما لا يحسن غاية ينتهي إليها ولا له حد يقف عنده، ومن كان تكلفه غير محدود فأخلق به أن يضل ويضل، وإذا لم يكن إلى الإحاطة بالعلم من سبيل فلا عار أن تجهل بعضه، وإذا لم يكن في جهل بعضه عار فلا تستح أن تقول لا أعلم فيما لا تعلم. إلى هنا كلام الماوردي.

(**فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف**) الصالحين (**رضي الله عنهم**) ثم بين ذلك بقوله: (**كان**) عبدالله (**بن عمر**) بن الخطاب رضي الله عنهما (**إذا سئل عن الفتوى قال: إذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضعها في عنقه**) لأن الولاة هم الذين يقومون به وإليهم ترجع العامة. هكذا نقله صاحب القوت زاد وروى مالك عن أنس بن مالك ثم عن جماعة من الصحابة والتابعين اهـ.

إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون، وقال: جنة العالم «لا أدري» فإن أخطأها فقد أصيبت مقاتله. وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله: ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم، يقول: انظروا إلى هذا سكوته أشدّ عليَّ من

وأخرج الدارمي في مسنده أن رجلاً سأل ابن عمر عن مسألة فقال: لا علم لي بها فولى الرجل فقال ابن عمر: نعم ما قال ابن عمر. وأخرج أبو داود في الناسخ والمنسوخ، وابن مردويه عن خالد بن أسلم قال: خرجنا نمشي مع ابن عمر فلحقنا أعرابي فسأله عن إرث العمة فقال: لا أدري، قال: أنت ابن عمر ولا تدري؟ قال: نعم إذهب إلى العلماء فلما أدبر قبل ابن عمر يديه قال: نعم ما قلت. (**وقال ابن مسعود**) ونص القوت: وكان ابن مسعود يقول: (**إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون**). أخرجه أبو خيثمة فقال: حدثنا محمد بن حازم، حدثنا الأعمش، عن شقيق، عن عبدالله قال: والله إن الذي يفتي الناس في كل ما يسألونه لمجنون. قال الأعمش: قال لي الحكم: لو كنت سمعت منك هذا الحديث قبل اليوم ما كنت أفتي في كثير ما أفتي اهـ. إذ العلم أكثر من أن يحيط به بشر، فالنطق في كل مسألة لا يخلو عن جنون فيه، ومثله قول مالك بن أنس: من إزالة العلم أن يجيب عن كل ما يُسأل عنه. (**وقال**) أيضاً (**جنة العالم**) التي يستتر بها قوله (**«لا أدري»**). وأخرج الهروي عن ابن مسعود: وإذا سئل أحدكم عما لا يدري فليقل لا أدري، فإنه ثلث العلم. وأخرج البخاري عنه من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم. ورواه الدارمي بلفظ: إذا سئل العالم عما لا يعلم قال: الله أعلم. (**فإن أخطأها**) ونص القوت في موضع آخر، وقال علي بن الحسين ومحمد بن عجلان: إذا أخطأ العالم قول لا أدري (**أصيبت مقاتله**).

قلت: وهذا القول قد أخرجه الحازمي في سلسلة الذهب، عن أحمد، عن الشافعي، عن مالك، عن ابن عجلان. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا إبراهيم، حدثنا محمد قال: سمعت محمد ابن الصباح يقول: أخبره سفيان بن عيينة قال: إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله. وأخرج الدارمي في مسنده من طرق عن علي رضي الله عنه أنّه سئل عن مسألة فقال: لا علم لي بها، ثم قال: وأبردها على كبدي إذا سئلت عما لا علم لي به فقلت: لا أعلم. (**وقال إبراهيم بن أدهم**) الزاهد المشهور: (**ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا إلى هذا سكوته أشد علي من كلامه**) والذي في القوت وقد قال إبراهيم بن أدهم وغيره: سكوت العالم أشد على الشيطان من كلامه لأنه يسكت بحلم وينطق بعلم، فيقول الشيطان: انظروا إلى هذا سكوته أشد علي من كلامه اهـ.

أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمته فقال: حدثنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن محمد بن السكن، حدثنا عبد الرحمن بن يونس، حدثنا بقية بن الوليد، عن إبراهيم بن أدهم قال: كان يقال ليس شيء أشد على إبليس من العالم الحليم إن تكلم تكلم بعلم وإن سكت سكت بحلم، ثم قال: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا

كلامه. ووصف بعضهم الأبدال فقال: أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة، أي لا يتكلمون حتى يُسألوا، وإذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا، فإن اضطروا أجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام. ومرَّ علي وعبدالله رضي الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقالا: هذا يقول اعرفوني. وقال بعضهم: إنما العالم الذي إذا سئل عن المسألة فكأنما يقلع ضرسه. وكان ابن عمر يقول: تريدون أن

محمد بن عمرو بن حبان، حدثنا بقية، حدثنا إبراهيم بن أدهم، عن ابن عجلان قال: ليس شيء أشد على إبليس من عالم حليم إن تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم. وقال إبليس: لسكوته أشد عليَّ من كلامه، ثم قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد، حدثنا عبد الرحمٰن بن داود، حدثنا سلمة بن أحمد، حدثنا جدي، حدثنا بقية، حدثني إبراهيم بن أدهم عن ابن عجلان مثله.

(ووصف بعضهم الأبدال) وهم طائفة من الأولياء. قال أبو البقاء: كأنهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء وخلفاؤهم وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون وفي تحقيق ذلك اختلاف كثير **(فقال: أكلهم فاقة)** أي لا يأكلون إلا عن شدة الحاجة **(وكلامهم ضرورة)** أي لا يتكلمون إلا فيما اضطروا فيه. وقال المصنف في تفسيره: **(أي ما يتكلمون حتى يُسألوا)** أي فلا يبتدئون بالكلام، **(وإذا سُئلوا ووجدوا من يكفيهم)** مؤنة ذلك السؤال **(سكتوا)** وأحالوا عليه، **(فإن اضطـروا أجابوا)**. هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال بعد الجملة الثانية: وكانوا لا يتكلمون حتى يُسألوا عن شيء فيجيبوا ولم يقل وإذا سئلوا الخ، ثم قال: ومن لم يتكلم حتى يسأل فليس يعد لاغياً ولا متكلماً فيما لا يعنيه لأن الجواب بعد السؤال كالفرض بمنزلة رد السلام، وكما قال ابن عباس إني لأرى رد الجواب واجباً كرد السلام. وقال أبو موسى، وابن مسعود: من سئل عن علم فليقل به ومن لا فيسكت وإلا كتب من المتكلمين، ورويناه عن ابن عباس أيضاً مرق من الدين. **(وكانوا يعدون الإبتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام)**. وفي القوت: وقد يكون الإبتداء بالشيء من خفايا الشهوات والشهوات من الدنيا. وقال مالك بن أنس: من إزالة الكلام أن ينطق به قبل أن يسئل عنه، وكان يقال إذا تكلم بالعلم قبل أن يُسأل عنه ذهب ثلثا نوره. وعن القاسم بن محمد قال: من إكرام المرء نفسه أن يسكت على ما عنده حتى يُسأل عنه، وكذلك هو لعمري لأنه إذا تكلم بعد السؤال فهو صاحبها وربما كان فرضاً، وليس الحاجة إلى القيام بالفرض من الشهوات. قال: **(ومرَّ علي وعبدالله)** ابن عباس **(رضي الله عنهما برجل يتكلم على الناس)** أي يقص عليهم **(فقالا)**: أي قال كل واحد منهما: **(هذا يقول)** أي بلسان حاله **(اعرفوني)**. هكذا أورده صاحب القوت، وفي بعض الروايات: أو إسعوا إليَّ. **(وقال بعضهم: إنما العالم الذي إذا سئل عن المسألة فكأنما يقلع ضرسه)** أي من شدة ما يجده في اداء الجواب، والذي في القوت. وقال بعضهم: إنما العالم الذي إذا سئل عن العلم كانما يسعط الخردل، ثم قال: وقد رويناه عن الأعمش، وقد كان محمد ابن سوقة يسأله عن الحديث فيعرض عنه ولا يجبه فالتفت الأعمش إلى رقبة فقال: هو إذاً أحمق

تجعلونا جسراً تعبرون علينا إلى جهنم. وقال أبو حفص النيسابوري: العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت؟ وكان ابراهيم التميمي إذا سئل عن مسألة يبكي ويقول: لم تجدوا غيري حتى احتجتم إليَّ. وكان أبو العالية الرياحي وابراهيم بن أدهم والثوري يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير، فإذا

مثلك إن كان يدع فائدته بسوء خلقي، فقال محمد بن سوقة: ويحك إنما أجعله بمنزلة الدواء على مرارته لما أرجو من منفعته.

قلت: وهذا الذي ذكره صاحب القوت عن بعضهم، فقد أخرج الخطيب في كتاب شرف أصحاب الحديث، أخبرنا أبو الحسن الأهوازي، أخبرنا محمد بن مخلد، حدثنا علي بن سهل، حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة قال: جاء رقبة بن مصقلة إلى الأعمش فسأله عن شيء فكلح وجهه فقال له رقبة: أما والله ما علمتك لدائم القطوب سريع المآل مستخف بحق الزوار لكأنما تسعط الخردل إذا سئلت الكلمة، **(و)** في القوت **و(كان ابن عمر)** رضي الله عنهما **(يقول: تريدون أن تجعلونا جسراً تعبرون عليه)** وفي نسخة: علينا **(إلى)** ونص القوت في **(جهنم)** تقولون أفتى لنا ابن عمر بهذا. **(وقال أبو حفص)** عمر بن سالم الحداد **(النيسابوري)** من قرية يقال لها كوزدابا على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى أحد الأئمة والسادة مات سنة نيف وستين ومائتين. كذا في الرسالة للقشيري، ونص القوت: وحدثني بعض علماء خراسان عن شيخ له عن أبي حفص النيسابوري الكبير، وكان هذا هناك نظير الجنيد هنا إنه قال: **(العالم هو الذي)** ونص القوت: إنما العالم الذي **(يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت)** ونص القوت الذي يَسأل عن مسألة في الدين فيغتم حتى لو جرح لم يخرج منه دم من الفزع، ويخاف أن يُسأل في الآخرة عما سئل عنه في الدنيا ويفزع أن لا يتخلص من السؤال إلا أن يرى أنه قد افترض عليه الجواب لفقد العلماء إلى هنا كلامه وكان المصنف اختصره ورواه بالمعنى.

(وكان إبراهيم) بن يزيد بن شريك **(التيمي)** تيم الرباب أبو سماء الكوفي وكان من العباد روى عنه الأعمش، ويونس بن عبيد. قال ابن معين: ثقة وكان يقول إني لأمكث ثلاثين يوماً لا آكل. مات ولم يبلغ أربعين سنة. وذلك سنة إثنين وتسعين ومائة. **(إذا سئل عن مسألة يبكي ويقول: لم تجدوا غيري حتى احتجتم إلي)** ونص القوت: لم تجد من تسأله غيري أو احتجتم إلي قال: وجهدنا بإبراهيم النخعي أن نسنده إلى ساريه فأبى، وكان إذا سئل عن شيء بكى وقال: قد احتاج الناس إليَّ **(وكان أبو العالية)** نفيع **(الرياحي)** من بني رياح بن يربوع روى عن ابن عباس وغيره وعنه قتادة وغيره **(وإبراهيم بن أدهم)** الزاهد، **(و)** سفيان **(الثوري يتكلمون على الإثنين والثلاثة والنفر اليسير فإذا كثروا انصرفوا)**، ونص القوت: وأما أبو العالية، الرياحي فكان يتكلم على الإثنين والثلاثة، فإذا صاروا أربعة قام، وكذلك كان إبراهيم والثوري وابن أدهم رحمه الله تعالى يتكلمون على النفر، فإذا كثر الناس

كثروا انصرفوا. وقال ﷺ: « ما أدري أعزير نبي أم لا ؟ وما أدري أتُبَّع ملعون أم لا ؟ وما أدري ذو القرنين نبي أم لا ؟ ولما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع في الأرض وشرها قال: « لا أدري » حتى نزل عليه جبرائيل عليه السلام فسأله فقال: « لا أدري » إلى أن أعلمه الله عز وجل: « أن خير البقاع المساجد وشرها الأسواق ». وكان

انصرفوا. وكان أبو محمد سهل يجلس إلى خمسة أو ستة إلى العشرة، وقال لي بعض الشيوخ: كان الجنيد يتكلم على بعض عشرة. قال: وما تم لأهل مجلسه عشرون اهـ.

(و) قول المسؤول: لا أدري أو لا أعلم لا يضع من قدره بل دليل على كمال معرفته ومن ثم (قال ﷺ) في مسائل سئل عنها فقال: « لا أدري » وناهيك بهذا مستنداً فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: (**« ما أدري اعزير نبي أم لا، وما أدري أتبع ملعون أم لا، وما أدري ذو القرنين نبي أم لا »**) أخرجه أبو داود والحاكم من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رفعه إلا أن فيه تقديم تبع على عزير، ولم يذكر أبو داود الجملة الأخيرة إنما ذكرها الحاكم فقال: وما أدري ذا القرنين أنبياً كان أم لا، ولم يذكر عزيراً وزاد: وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا ؟ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعلم له علة ولم يخرجاه نقله العراقي.

قلت: وبمثل رواية الحاكم رواه البيهقي وابن عساكر، وبمثل رواية أبي داود مع ذكر الجملة الأخيرة رواه ابن عساكر أيضاً. كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه إلا أن في روايتهم لعيناً كان أم لا بدل ملعون وتبع الحميري أول من كسا الكعبة، وذو القرنين اختلف في اسمه وأخبارهما مشهورة في كتب السير والتواريخ (و) من ذلك (**لما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع وشرها فقال ﷺ: « لا أدري » حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال: لا أدري إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد**) لأنها محل فيوض الرحمة وإمداد النعمة (**وشرها السوق**) ولفظ الحديث: الأسواق، وإنما قرن المساجد بالأسواق مع أن غيرها قد يكون شراً منها ليبين أن الديني يرفعه الأمر الدنيوي فكأنه قال: خير البقاع محصلة لذكر الله مسلمة من الشوائب الدنيوية. فالجواب من أسلوب الحكيم فكأنه سئل أي البقاع خير ؟ فأجاب به وبضده.

قال العراقي: وهذا الحديث رواه ابن عمر، وجبير بن مطعم، وأنس.

أما حديث ابن عمر، فرواه ابن حبان في صحيحه من رواية جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي البقاع شر ؟ قال: « لا أدري حتى أسأل جبريل » فسأل جبريل، فقال لا أدري حتى أسأل ميكائيل، فجاء فقال: « خير البقاع المساجد وشرها الأسواق ».

وأما حديث جبير بن مطعم، فرواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني من رواية زهير بن

ابن عمر رضي الله عنهما يُسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول: «لا أدري» أكثر ممن يقول «أدري» منهم سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، والفضيل بن عياض، وبشر بن الحرث. وقال عبد الرحمن بن

محمد، عن عبدالله بن محمد بن عقيل، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي البلدان شر؟ قال: «لا أدري» فلما أتاه جبريل قال يا جبريل: أي البلدان شر؟ قال: لا أدري حتى أسأل ربي عز وجل، فانطلق جبريل فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم جاء فقال يا محمد: إنك سألتني أي البلدان شر، فقلت: لا أدري وإني سألت ربي عز وجل أي البلدان شر؟ فقال: أسواقها. لفظ أحمد. وقال أبو يعلى فلما جاءه جبريل ولم يقل أن يمكث، وقال البزار إن رجلاً قال يا رسول الله أي البلدان أحب إلى الله تعالى، وأي البلدان أبغض إلى الله تعالى؟ فقال: «لا أدري حتى أسأل جبريل» فأتاه جبريل فاخبره إن أحب البقاع إلى الله عز وجل المساجد، وأبغض البلاد إلى الله عز وجل الأسواق ورواه الطبراني أيضاً من رواية قيس بن الربيع، عن عبدالله بن محمد بن عقيل باللفظ الأول إلا أنه قال: أي البلاد في المواضع الأربعة، ولم يقل يا رسول الله، وقال: فلما أتى جبريل رسول الله ﷺ، ولم يقل يا جبريل، ولم يقل أن يمكث.

وأما حديث أنس، فرواه الطبراني في الأوسط من رواية عمار بن عمارة الأزدي قال: حدثني محمد بن محمد بن عبدالله، عن أنس قال، قال رسول الله ﷺ لجبريل: «أي البقاع خير؟ قال لا أدري. قال: فسل عن ذلك ربك عز وجل. قال: فبكى جبريل وقال يا محمد: ولنا أن نسأله هو الذي يخبرنا بما شاء، فعرج إلى السماء ثم أتاه فقال خير البقاع بيوت الله عز وجل في الأرض. قال: فأي البقاع شر؟ فعرج إلى السماء ثم أتاه فقال: شر البقاع الأسواق». وقد روي الحديث أيضاً عن أبي هريرة رواه مسلم في صحيحه من رواية عبد الرحمن بن مهران عنه، وليس فيه موضع الاستدلال به من قوله «لا أدري».

(**وكان ابن عمر رضي الله عنهما يُسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة**). هكذا أورده صاحب القوت، وذلك لشدة الاحتياط. (**وكان ابن عباس رضي الله عنهما**) بخلاف ذلك (**يجيب عن تسعة ويسكت عن واحدة**). وكل منهما على هدى، والأغراض تختلف باختلاف المسائل والسائلين وأوقات الاحتياج وعدمها. (**وكان في الفقهاء من يقول لا أدري أكثر من أن يقول أدري**) تأدباً مع الله تعالى وصيانة لجانب العلم: إذ يخاف على نفسه الوقوع في الخطأ فيكل أمره إلى الله تعالى. (**منهم سفيان الثوري**)، وأبو حنيفة، (**ومالك بن أنس**)، والشافعي، (**وأحمد بن حنبل**)، والشعبي، (**والفضيل بن عياض**)، وعلي بن الحسين، ومحمد بن عجلان، (**وبشر بن الحرث**) الحافي وغير هؤلاء من

أبي ليلى: أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم أحد يسأل عن حديث أو فتيا إلاَّ ودَّ أن أخاه كفاه ذلك. وفي لفظ آخر: كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول، وروي أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوي وهو في غاية

أئمة الدين. زاد صاحب القوت: وكانوا في مجالسهم يجيبون عن بعض ويسكتون في بعض، ولم يكونوا يجيبون في كل ما يُسألون عنه.

(**وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى**) واسمه يسار وقيل: بلال الأنصاري المدني ثم الكوفي من ثقات التابعين ولد لست بقين من خلافة عمر ومات بوقعة الجماجم غريقاً بدجيل سنة ثلاث وثمانين ومائة. (**أدركت في هذا المسجد**) أي بالمدينة (**مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ**) منهم أبوه، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعد، وحذيفة، ومعاذ، والمقداد، وابن مسعود، وأبو ذر، وأبيّ بن كعب، وبلال بن رباح، وسهل بن حنيف، وابن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وقيس بن سعد، وأبو أيوب، وكعب بن عجرة، وعبدالله بن زيد ابن عبد ربه، وأبو سعيد، وأبو موسى، وأنس، والبراء، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وصهيب، وعبد الرحمن بن سمرة، وعبدالله بن عكيم، هؤلاء الذين روى عنهم. وأما الذين رآهم ولم يرو عنهم فكثيرون وفي سماعه من عمر وعبدالله بن زيد خلاف وهذا القول الذي ذكره المصنف تبعاً لصاحب القوت رواه الخطيب في التاريخ فقال أخبرنا محمد بن عيسى بن عبد العزيز ثم ساق سنده إلى سفيان بن عيينة قال أخبرني عطاء بن السائب، عن ابن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، ففي هذا القول تخصيص بالأنصار، وقال عبد الملك بن عمير: لقد رأيت عبد الرحمن في حلقة فيها نفر من الصحابة منهم البراء يستمعون لحديثه وينصتون إليه (**ما فيهم أحد**) ونص القوت: ما منهم من أحد (**يُسأل عن حديث أو فتوى إلا ودّ أن أخاه كفاه ذلك**) زاد صاحب القوت (**وفي لفظ آخر: كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول**) ونص القوت. حتى ترجع الى الذي سُئل عنها أول مرة. وقال في موضع آخر وقال مرة: أدركت ثلاثمائة يُسأل أحدهم عن الفتيا والحديث فيرد ذلك إلى الآخر ويحيل الآخر على صاحبه. وعند الخطيب بالسند المتقدم إن كان أحدهم يُسأل عن المسألة فيردها إلى غيره فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول، وإن كان أحدهم ليقول في شيء وأنه ليرتعد.

(**وروي أن أصحاب الصفة**) وهم جماعة من فقراء الصحابة كانوا يلازمون صفة المسجد على قدم التجريد والتوكل، وكانوا يزيدون تارة وينقصون تارة، وقد ذكرهم أبو نعيم في الحلية على التفصيل وحقق الخلاف في عددهم، وروى مجاهد عن أبي هريرة قال: أهل الصفة أضياف الإسلام لا يلوون على أهل ولا مال إذا أتت النبي ﷺ صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها صحيح متفق عليه فمما ذكر من

الضر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر، وهكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأوّل. فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوباً والمطلوب مهروباً عنه؟ ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روي مسنداً عن بعضهم. أنه قال: لا يفتي الناس إلا ثلاثة: أمير أو مأمور أو متكلف. وقال بعضهم: كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء: الإمامة والوصية والوديعة والفتيا. وقال بعضهم: كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علماً وأشدهم دفعاً لها أورعهم. وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله

إيثارهم: **(أهدي إلى واحد منهم رأس مشوي)** أي رأس كبش قد شوي أو عجل **(وهم في غاية الضر)** والجهد والفاقة فلم يأكله **(فأهداه إلى الآخر)** من أصحابه إيثاراً **(وأهدى الآخر إلى الآخر دار بينهم حتى رجع إلى الأول)**، فهذا هو مقام الإيثار، ولقد كانوا رضي الله عنهم مع ضيق عن الحطام الزائل البائد معتصمين بما حاهم به الوافي الزائد، فاجترأوا من الدنيا بالفلق ومن ملبوسها بالخرق لم يعدلوا إلى أحد سواه ولم يعولوا إلا على محبته ورضاه، وكبت الملائكة في زيارتهم وخلتهم وأمر الرسول بالصبر على محادثتهم ومجالستهم، وإنما أورد المصنف هذه القصة هنا ليقاس عليه أمر الفتوى حتى يعيدها إلى الآخر. **(فانظر كيف انعكس أمر العلماء)** اليوم **(فصار المهروب منه مطلوباً والمطلوب)** الحقيقي **(مهروباً عنه)**، وذلك في زمان المنصف، وأما الآن فالله المستعان وعليه التكلان.

(ويشهد لحسن الاحتراز من تقليد الفتوى) والاجتناب من الأقدام عليه **(ما روي مسنداً)** عن رسول الله ﷺ **(أنه قال)**، وعبارة القوت: وروي عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما من التابعين، وقد روينا مسنداً **(لا يفتي الناس إلا ثلاثة: أمير أو مأمور أو متكلف)** تفصيل ذلك أن الأمير هو الذي يتكلم في علم الفتيا والأحكام، كذلك الأمراء يُسألون ويفتون والمأمور الذي أمره الأمير بذلك فيقيمه مقامه فيستعين به لشغله بالرعية، والمتكلف هو القاص الذي يتكلم في القصص السالفة وبعض أخبار من مضى، لأن ذلك لا يحتاج إليه في الحال ولم يندب إليه المتكلم وقد يدخله الزيادة والنقصان والاختلاف، فلذلك كره القصص فصار القاص من المتكلفين، وقد جاء في لفظ الحديث الآخر بتأويل معناه «لا يتكلم على الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو مراء» هذا كله كلام صاحب القوت. وأما تخريج الحديث وتحقيقه فقد تقدم مبسوطاً في الباب الثاني. **(وقال بعضهم)** ونص القوت: وقال بعض العلماء: **(كان الصحابة)** والتابعون بإحسان **(يتدافعون أربعة أشياء)** أي يدافعون أنفسهم عن ارتكابها. **(الإمامة)** وهو التقدم على المصلين **(والوديعة)** من المال وغيره **(والوصية)** عن الأموات **(والفتوى)** هكذا هو نص القوت، **(وقال بعضهم: كان أسرعهم الى الفتيا أقلهم علماً وأشدهم دفعاً)** لها وتوقفاً عنها **(أورعهم)** هكذا نص القوت. وأخرج الدارمي في مسنده من طريق عبيد الله بن أبي جعفر المصري مرسلاً. أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار، قال المناوي:

عنهم في خمسة أشياء: قراءة القرآن، وعمارة المساجد، وذكر الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وذلك لما سمعوه من قوله ﷺ: «كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا ثلاثة: أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى». وقال تعالى: ﴿ولا خَيْرَ في كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أمَرَ بصَدَقَةٍ أوْ مَعْرُوفٍ أوْ إصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] الآية.

ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال: ما رأيت

أي أقدمكم على دخولها لأن المفتي يبين عن الله حكمه، فإذا أفتى على جهل أو بغير ما علمه أو تهاون في تحريره أو استنباطه، فقد تسبب في إدخال نفسه النار لجرأته على المجازفة في أحكام الجبار، وقال ابن المنذكر: المفتي يدخل بين الله وبين عباده، فلينظر كيف يفعل، فعليه التوقف والتحرز لعظم الخطر. وقال الحكماء: من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من لا يعلم، فحسبك خجلاً من نفسك وعقلك أن تنطق بما لا تفهم. **(وكان شغل الصحابة والتابعين)** لهم بإحسان **(في خمسة أشياء قراءة القرآن)** دراسه وتعلماً، **(وعمارة المسجد)** بالصلوات في الجماعات، **(وذكر الله تعالى)** سراً وجهراً في كل الأحيان، **(والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)** شرعاً. نقله صاحب القوت عن بعض السلف.

قلت: أخرج اللالكائي في كتاب السنة من رواية صبيح بن عبدالله الفرغاني قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الاوزاعي قال: كان يقال خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنَّة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله **(وذلك لما سمعوا من قوله ﷺ: «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاث أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى»)** هكذا أورده صاحب القوت بلا سند. وقال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه من رواية صفية بنت شيبة، عن أم حبيبة رضي الله عنها رفعته فذكرته دون قوله «ثلاث». وقال ابن ماجه: إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتعريف. قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس، قال العراقي: وهو ثقة. وذكره ابن حبان في كتاب الثقات.

قلت: وأخرجه ابن السني والطبراني في الكبير، وابن شاهين في الترغيب في الذكر، والعسكري في الأمثال، والحاكم والبيهقي من هذا الطريق ولفظهم: «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكر الله عز وجل» **(وقال الله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم الآية﴾)** وتمامها ﴿إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ [النساء: ١١٤] هكذا أورد صاحب القوت هذه الآية هنا بعد الحديث. **(ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من الكوفة)** ونص القوت: ورأى بعض أهل الحديث بعض فقهاء أهل الكوفة من أهل الرأي بعد موته **(في المنام فقال: ما رأيت فيما كنت عليه)** ونص القوت. قال:

فيما كنت عليه من الفتيا والرأي؟ فكره وجهه وأعرض عنه وقال: ما وجدناه شيئاً وما حمدنا عاقبته. وقال أبو حصين: إن أحدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر. فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند

فقلت له ما فعلت فيما كنت عليه **(من الفتيا والرأي؟)** قال: **(فكره وجهه وأعرض عنه)** ونص القوت: عني **(وقال: ما وجدنا شيئاً)** ونص القوت: ما وجدناه شيئاً **(وما حمدنا عاقبته)**، ثم ذكر صاحب القوت: هنا منام نصر بن علي الجهضمي في حق الخليل بن أحمد، وقد تقدم ذكره للمصنف وشرحناه هناك، ثم قال وحدثونا عن بعض الأشياخ قال: رأيت بعض العلماء في المنام فقلت: ما فعلت تلك العلوم التي كنا نجادل فيها ونناظر عليها؟ قال: فبسط يده ونفخ فيها وقال: طاحت كلها هباء منثوراً ما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل، ثم قال وحدثونا عن أبي داود السجستاني قال: كان بعض أصحابنا كثير الطلب للحديث حسن المعرفة به فمات فرأيته في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فسكت فأعدت عليه فسكت. فقلت: غفر الله لك؟ قال: لا. قلت: لم؟ قال: الذنوب كثيرة والمناقشة دقيقة، ولكن قد وعدت بخير وأنا أرجو خيراً. قلت: أي الأعمال وجدتها فيما هنالك أفضل؟ قال: قراءة القرآن والصلاة في جوف الليل. قلت: فأيما أفضل ما كنت تقرأ أو تقرىء؟ فقال: ما كنت أقرأ. قلت: وكيف وجدت قولنا فلان ثقة وفلان ضعيف؟ فقال: إن خلصت فيه النية لم يكن لك ولا عليك، ثم ذكر بعد ذلك مناماً آخر عن أحمد بن عمر الخلقاني أعرضت عن ذكره هنا لطوله. **(وقال أبو حصين)** كأمير هكذا هو في القوت وهكذا ضبطه ابن حبيب عن الكلبي وهو عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي الذي روى عنه سفيان الثوري، وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة الشعبي من رواية مالك بن مغول قيل للشعبي: أيها العالم! فقال: ما أنا بعالم وما أرى عالماً وأن أبا حصين رجل صالح، وفي بعض نسخ الكتاب وقال ابن حصين: وفي بعضها وقال أبو حفص، وكل ذلك خطأ والصواب الأول. قال الواقدي: عداده في مرة بن الحرث وهو من بني جشم بن الحرث توفي سنة ثمان وعشرين ومائة. قال البخاري: سمع سعيد بن جبير، والشعبي، وشريحاً. وسمع منه الثوري، وشعبة، وابن عيينة. أثنى عليه أحمد وابن معين **(أن أحدهم ليفتي في المسألة)** ونص القوت. في مسألة **(لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر)** هكذا أورده صاحب القوت أي: يتسارعون في الفتيا من غير مشورة ومن غير إتقان ومن غير إيقان.

قلت: وهذا القول أورده الإمام أبو بكر البيهقي عن الحاكم أبي عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا عباس بن محمد، حدثنا منصور بن سلمة، أخبرنا أبو شهاب قال: سمعت أبا حصين يقول: أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت ثم ساقه كسياق المنصف. هكذا أخرجه ابن عساكر في التاريخ عن أبي المعالي محمد بن اسماعيل، عن البيهقي بالإسناد السابق.

الضرورة. وفي الحديث: « إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً وزهداً فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة ». وقيل: العالم إما عالم عامة وهو المفتي وهم أصحاب الأساطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب، وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون. وكان يقال: مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يغترف منها، ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد. وكانوا يقولون: فلان عالم وفلان

وأخرج أيضاً من طريق الحميدي، عن سفيان قال: كان أبو حصين إذا سئل عن مسألة قال: ليس لي بها علم والله أعلم، وفي رواية: ليس لي علم والله بها أعلم اهـ.

زاد صاحب القوت وقال غيره يُسأل أحدهم عن الشيء فيسرع الفتيا ولو سئل عنها أهل بدر لأعضلتهم اهـ.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية أحمد بن حنبل، عن سفيان، عن الشعبي أنه إذا سألوا عن الملتبس قال: زباء ذات وبر لا تنقاد ولا تنساق، ولو سئل عنها أصحاب محمد ﷺ لعضلت بهم **(فلم يزل السكوت دأب أهل العلم)** والمعرفة **(إلا عند الضرورة)** الداعية فيحل لهم الكلام، بل يجب في بعض المقام كما تقدم.

(وفي الحديث: « إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً وزهداً فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة ») كذا في نسخ الكتاب والرواية يلقى الحكمة، هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد. وقال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية أبي فروة عن أبي خلاد وكانت له صحبة قال قال رسول الله ﷺ فذكره بلفظ « قد أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق » وأبو فروة تكلم في سماعه عن أبي خلاد وأشار البخاري في التاريخ الكبير فقال: أبو فروة عن ابن مريم عن أبي خلاد، عن النبي ﷺ قال: وهذا أصح.

قلت: وأخرجه كذلك أبو نعيم في الحلية، والبيهقي إلا أن في رواية أبي نعيم « إذا رأيتم العبد يعطي » والباقي مثل سياق ابن ماجه، والمعنى من اتصف بذلك فأعماله منتجة وأفعاله محكمة وينظر بنور الله، ومن كان هذا وصفه أصاب في منطقه. **(وقيل: العالم إما عالم عامة)** ونص القوت، وقال بعض العلماء كان أهل العلم على ضربين عالم عامة وعالم خاصة فأما عالم العامة **(وهو)** ونص القوت: فهو **(المفتي)** في الحلال والحرام، **(وهم)** ونص القوت: فهؤلاء **(أصحاب الأساطين)** جمع أسطوانة وهي سواري المسجد، **(أو عالم خاصة وهم العلماء)** ونص القوت: وإما عالم الخاصة فهو العالم **(بالتوحيد وأعمال القلوب)** ونص القوت: بعلم المعرفة والتوحيد **(وهم أرباب)** ونص القوت: وهؤلاء أهل **(الزوايا)** جمع زاوية وهم **(المنفردون)** أي عن الناس، **(وكان يقال)** ونص القوت: وقد كانوا يقولون: **(مثل)** الإمام **(أحمد بن حنبل)** رحمه الله **(مثل دجلة)** بفتح الدال النهر المعروف **(كل واحد منها يغرف)** ونص القوت: كل أحد يغرفها، **(ومثل بشر)** بن الحرث الحافي **(مثل بئر عذبة)**

متكلم وفلان أكثر كلاماً وفلان أكثر علمـاً ، وقال أبو سليمان: المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام. وقيل: إذا كثر العلم قلَّ الكلام، وإذا كثر الكلام قلَّ العلم، وكتب سلمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما ، وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ : يا أخي بلغني أنك قعدت طبيباً تداوي المرضى، فانظر فإن كنت طبيباً فتكلم فإن كلامك شفاء ، وإن كنت متطبباً فالله الله لا تقتل مسلماً . فكان أبو الدرداء يتوقف بعد

الماء في فلاة (**مغطاة**) بالحجارة ونحوها (**لا يقصدها إلا واحد بعد واحد**) ، وهذا لأن الإمام أحمد كان يفتي للعامة والخاصة ، وأما بشر فإنه كان بعيد الغور لا يستفيد منه إلا كل عارف ، (**و**) قد (**كانوا يقولون: فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاماً**) إلى هنا نص القوت. زاد المنصف (**وفلان أكثر علماً**) زاد صاحب القوت، وقال حماد بن زيد. قيل: لأيوب: العلم اليوم أكثر أو فيما مضى؟ فقال: العلم فيما مضى كان أكثر والكلام اليوم أكثر ففرق بين العلم والكلام ، (**وقال أبو سليمان**) عبد الرحمن بن عطية الداراني ونص القوت: وكان أبو سليمان يقول: (**المعرفة إلى السكوت أقرب منها الى الكلام**) . وقال بعض العارفين: هذا العلم على قسمين نصفه صمت ونصفه تدري أين تضعه ، وزاد آخر نصفه جد ونصفه نظر يعني تفكر واعتبار ، وسئل سفيان عن العالم من هو؟ قال: من يضع العلم في مواضعه ويوفي كل شيء حقه ، (**وقيل**) ونص القوت. وقال بعض الحكماء : (**إذا كثر العلم قلّ الكلام**) ومن ذلك قول بعض العارفين: من عرف الله قلّ كلامه ، وكان إبراهيم الخواص يقول: الصوفي كلما زاد علمه نقصت طينته كذا .

(**وكتب**) أبو عبدالله (**سلمان**) الفارسي الملقب بالخير أصله من أصبهان له صحبة وأول مشاهده الخندق توفي سنة أربع وثلاثين يقال: بلغ ثلاثمائة سنة. وفي الحديث: « اشتاقت الجنـة إلى أربعة علي والمقداد وعمار وسلمان، وكان أميراً بالمدائن على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين ولا يأكل إلا من كدّ يده، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها (**إلى أبي الدرداء**) رضي الله عنهما (**وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ**) فيمن آخى، أخرجه البخاري من رواية عون بن أبي جحيفة عن أبيه ، وفيه : فزار سلمان أباد الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة. الحديث. ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح قاله العراقي.

قلت: وأخرجه أبو نعيم في الحلية من هذا الطريق إلا أنه ليس فيها ذكر المؤاخاة، وقد أنكر المؤاخاة الحافظ ابن تيمية في كتابه الذي ألفه في الرد على المطهر الرافضي، ونسبه إلى وضع الروافض، وهذا رده عليه الحافظ ابن حجر في فتح الباري وأوسع فيه الكلام فراجعه. (**يا أخي بلغني أنك قعدت** (**كذا في النسخ، ونص القوت: أقعدت** (**طبيباً تداوى المرضى، فانظر فإن كنت طبيباً فتكلم فإن كلامك شفاء ، وإن كنت متطبباً فالله الله لا تقتل مسلماً ، فكان**

ذلك إذا سئل، وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول: سلوا مولانا الحسن، وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول: سلوا حارثة بن زيد، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: سلوا سعيد بن المسيب.

أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل) عن شيء. هكذا أورده صاحب القوت، وقال: كتب سلمان من المدائن إلى أبي الدرداء الخ زاد، وسأله إنسان فأجابه، ثم قال: ردوه، فقال: أعد علي فأعاد فقال: متطبب والله فرجع في جوابه، ثم قال صاحب القوت: ولعمري أنه قد جاء عن رسول الله ﷺ: «من تطبب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن».

قلت: وهذا الذي ذكره المصنف تبعاً لصاحب القوت فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة سلمان فقال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني مصعب ابن عبدالله، حدثني مالك بن أنس، عن يحي بن سعيد أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه سلمان أن الأرض لا تقدس أحداً وإنما يقدس الإنسان عمله، وقد بلغني أنك جعلت طبيباً، فإن كنت تبرئ فنعماً لك، وإن كنت متطبباً فاحذر ان تقتل إنساناً فتدخل النار، فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا عنه نظر إليهما وقال: متطبب والله ارجعا إلي أعيدا قصتكما. رواه جرير، عن يحي بن سعيد، عن عبدالله بن ميسرة أن سلمان كتب اليه فذكره، ثم قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبد الصمد بن حسان، حدثنا السري بن يحي، عن مالك بن دينار أن سلمان كتب إلى أبي الدرداء أنه بلغني أنك أجلست طبيباً تداوى الناس فانظر أن تقتل مسلماً فتجب لك النار.

(وكان أنس) بن مالك **(رضي الله عنه يقول: إذا سئل)** عن مسألة **(سلوا مولانا الحسن)** يعني البصري، فإنه قد حفظ ونسينا. هكذا أورده صاحب القوت زاد غيره قالوا: يا أبا حمزة نسألك فتقول: سلوا الحسن مولانا. قال: سلوا مولانا الحسن فإنه سمع وسمعنا وحفظ ونسينا، وإنما قال: مولانا لكون ولائه للأنصار. قيل لزيد بن ثابت، وقيل لجابر بن عبدالله، وقيل لجميل بن قطبة، وقيل لأبي اليسر، ويقال: من سبي ميسان فاشترته الربيع بنت النضر عمة أنس فأعتقته، فلذلك قال مولانا. **(وكان ابن عباس رضي الله عنهما)** إذا سئل **(يقول: سلوا جابر بن زيد)** فلو نزل اهل البصرة على فتياه لوسعهم، وكان من صالحي التابعين. هكذا أورده صاحب القوت.

قلت: وجابر بن زيد هو الأزدي ثم الجوفي البصري، أبو الشعثاء مشهور بكنيته ثقة فقيه مات سنة ثلاث وتسعين، وهذا الذي أورده صاحب القوت. وتبعه المصنف، فقد أخرج أبو نعيم في الحلية من رواية سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: سمعت عطاء قال قال ابن عباس: لو نزل أهل البصرة بجابر بن زيد لأوسعهم علماً عن كتاب الله تعالى. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أعلم بفتيا من جابر بن زيد. وأخرج من رواية عرعرة بن البرند، حدثني تيم بن

وحكي أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثاً فسئل عن تفسيرها فقال: ما عندي إلا ما رويت، فأخذ الحسن في تفسيرها حديثاً حديثاً، فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه! فأخذ الصحابي كفاً من حصى ورماهم به وقال: تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم.

ومنها: أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة

حدير السلمي عن الرباب قال: سألت ابن عباس عن شيء، فقال تسألوني وفيكم جابر بن زيد، وأخرج من طريق زياد بن جبير قال: سألت جابر بن عبدالله الأنصاري عن مسألة فقال فيها، ثم قال: تسألوني وفيكم أبو الشعثاء. **(و)** كان **(ابن عمر رضي الله عنهما يقول: سلوا سعيد بن المسيب)** هكذا أورده صاحب القوت، وهو من فقهاء التابعين، **(ويحكى أنه روى صحابي في مجلس فيه الحسن عشرين حديثاً فسئل عن تفسيرها)** ونص القوت: وقال بعض البصريين: قدم علينا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فأتينا الحسن فقلنا ألا نذهب إلى هذا الصحابي فنسأله عن حديث رسول الله ﷺ وتجيء معنا، قال: نعم فاذهبوا. قال: فجعلنا نسأله عن حديث رسول الله ﷺ، وجعل يحدثنا حتى حدثنا عشرين حديثاً. قال: والحسن ينصت يستمع إليه، ثم جثا الحسن على ركبتيه فقال: يا صاحب رسول الله أخبرنا بتفسير ما رويت عن رسول الله ﷺ حتى نفقه فيه فسكت الصحابي **(فقال: ما عندي إلا ما رويت)**. ونص القوت وقال: ما سمعت بدل ما رويت، **(فأخذ الحسن في تفسيرها حديثاً حديثاً)** وفي القوت: فابتدأ الحسن تفسير ما رواه، فقال: أما الحديث الذي حدثتنا به فإن تفسيره كيت وكيت، والحديث الثاني تفسيره كذا وكذا حتى سرد عليه الأحاديث كلها كما حدثنا بها وأخبرنا بتفسيرها، **(فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه)** . ونص القوت قال: فلا ندري نعجب من حسن حفظه إياه وأدائه للحديث أو من علمه وتفسيره. قال: **(فأخذ الصحابي كفاً من حصى ورماهم به)** ونص القوت: وحصبنا به، **(وقال)** ونص القوت، ثم قال **(تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم)** زاد صاحب القوت: فهؤلاء أصحاب النبي ﷺ يردون الأمور في الفتيا وعلم اللسان إلى من هو دونهم في القدر والمنزلة، وهم في علم التوحيد والمعرفة والإيمان فوقهم درجات ولا يرجعون إليهم في الشبهات، ولا يردون إليهم في علم المعرفة واليقين، فهذا كما قيل: العلم نور يقذفه الله تعالى في قلوب أوليائه، فقد يكون ذلك تفضيلاً للنظراء بعضهم على بعض، وقد يكون تخصيصاً للشباب على الشيوخ، ولمن جاء بعد السلف من السابقين، وربما كان تكرمة للخاملين المتواضعين لينبه عليهم ويعرفوا ليرفعوا كما قال الله تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة﴾ [القصص: ٥] اهـ.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية علي بن المديني قال: كان سفيان بن عيينة إذا سئل عن شيء يقول: لا أحسن، فيقول: من نسأل: فيقول: سل العلماء وسل الله التوفيق.

(ومنها): أي ومن علامات الآخرة **(أن يكون أكثر اهتمامه)** واعتنائه **(بعلم الباطن)**

وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة، فإن المجاهدة تفضي إلى المشاهدة، ودقائق علوم القلب تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب، وأما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك، بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد، إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه، فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة، وكم من

وهو العلم بالله عز وجل الدال على الله، الشاهد بالتوحيد له من علم الإيمان واليقين وعلم المعرفة والمعاملة دون سائر علوم الفتيا والأحكام، وبذلك فضل على العمل وفضل صاحبه على غيره في قولهم: ذرة من علم أفضل من كذا وكذا من العمل، وركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من عابد، وغير ذلك من الأحاديث والآثار التي تقدم ذكرها في أول الكتاب. **(و)** من علاماته أن يكون مهتماً في **(مراقبة القلب)** ومحافظته من مداخله، الوساوس ومخالطة النفثات الشيطانية، **(و)** أن يكون مهتماً في **(معرفة طريق الآخرة و)** كيفية **(سلوكه)** بواسطة مرشد كامل أو عارف حاذق يستفيد ذلك بمجالسته **(وصدق الرجاء)** وتحقيق الأمنية **(في انكشاف ذلك)** وتحصيله **(من المجاهدة)** الباطنية بالرياضات الشرعية **(والمراقبة)** مع الله تعالى بذكره دائماً، **(فإن المجاهدة)** أساس هذا السلوك ولا يتم الأمر إلا بها وهي **(تفضي)** وتوصل **(إلى)** مقام **(المشاهدة في دقائق)** أسرار **(علم القلب وتنفجر بها)** أي بالمجاهدة **(ينابيع الحكمة من القلب)**، وإليه الإشارة بما ورد، من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، لأن إخلاص العبودية للربوبية وإخلاص الأعمال من الهوى الدنيوي هو عين المجاهدة، والنور إذا جعل في الصدر انشرح القلب بالعلم ونظر باليقين فنطق به اللسان بحقيقة البيان، وهو الحكمة التي أودعها الله عز وجل في قلوب أوليائه. **(أما كتب التعليم)** وما استودع فيها مما سمعه من غيره عمن قدم طريقه السمع ومفتاحه الاستدلال وخزائنه العقل يتلقاها الصغير عن الكبير باقية ببقاء الإسلام وهي محجة العموم من خلق الله تعالى، **(فلا تفي بذلك)** ولا ترشد السالك **(بل الحكمة)** الإلهية **(الخارجة عن الحصر والعد إنما تنفتح)** وتنكشف **(بالمجاهدة والمراقبة)** في القلب **(ومباشرة الأعمال الظاهرة)** على قوانين الشريعة **(والباطنة)** على ميزان الطريقة **(والجلوس مع الله تعالى)** بغاية الخشوع والخشية **(مع حضور القلب)** لكونه خزانة الملكوت وهو باب علم الباطن، ويكون ذلك **(بصافي الفكر)** وخالصه عن المكدرات الظاهرية والباطنية **(والانقطاع الى الله تعالى)** في جميع أحواله **(عما سواه، فذلك مفتاح الإلهام)** الرباني **(ومنبع الكشف الصمداني)** يرشدك إليه قوله عز وجل: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] **(وكم من متعلم)** في العلوم الظاهرة

مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب، ولذلك قال ﷺ: «من عمل بما علم أورثه

(طال تعلمه) وامتد طلبه حتى أضاع لياليه وأيامه **(ولم يقدر على مجاوزة مسموعه)** الذي تلقفه عن الشيوخ والكتب **(بكلمة)** واحدة، كما هو مشاهد في كثير من علماء العصر فتراهم يقفون فيما سمعوه ويترددون بأنواع المحاورات ولا يكادوا أن يتجاوزوا، **(وكم من مقتصر على)** تحصيل **(المهم في)** قوانين **(التعلم ومتوفر على العمل)** أي مباشرته **(و)** مقبل على **(مراقبة القلب)** بخالص فكره **(فتح الله عز وجل عليه)** في أدنى زمان وأقرب أوان **(من لطائف الحكم)** ودقائقها **(ما تحار فيه عقول ذوي الألباب)** موهبة من الله تعالى. كما اتفق ذلك لكثير من الأولياء العارفين ممن علومهم مأخوذة عن الله تعالى. وفي القوت: أهل الذكر لله تعالى وأهل التوحيد والعمل لله تعالى لم يكونوا يتلقون هذا العلم دراسة من الكتب، ولا يتلقاه بعضهم عن بعض بالألسنة، إنما كانوا أهل عمل وحسن معاملات، وكان أحدهم إذا انقطع إلى الله تعالى واشتغل به واستعمله المولى بخدمته بأعمال القلوب وكانوا عنده في الخلوة بين يديه لا يذكرون سواه ولا يشتغلون بغيره، فإذا ظهروا للناس فسألوهم ألهمهم الله تعالى رشدهم ووفقهم لتسديد قولهم وآتاهم الحكمة ميراثاً لأعمالهم الباطنة عن قلوبهم الصافية وعقولهم الزاكية وهممهم العالية، فأمرهم بحسن توفيقه إذ ألهمهم حقيقة العلم وأطلعهم على مكنون السر حتى آثروه بالخدمة وانقطعوا إليه بحسن المعاملة، فكانوا يجيبون عما عنه يُسألون بحسن أثرة الله تعالى وجميل أثره عندهم، فتكلموا بعين القدرة وأظهروا وصف الحكمة ونشروا علوم الإيمان وكشفوا بواطن القرآن. وهذا هو العلم النافع الذي يقربه إلى ربه ويكون من الموقنين، **(ولذلك قال ﷺ «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»)** رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه. قال العراقي: وأورده صاحب القوت بلا سند إلا أنه قال «بما يعلم» بدل «بما علم».

وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة أحمد بن أبي الحواري بسنده إليه قال: التقى أحمد بن حنبل وأحمد ابن أبي الحواري بمكة فقال أحمد: حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبي سليمان الداراني فقال: يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب، فقال ابن حنبل: سبحان الله وطوّلها بلا عجب، فقال ابن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول إذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت إلى ذلك العبد بطرائق الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علماً. قال: فقام أحمد بن حنبل ثلاثاً وجلس ثلاثاً وقال: ما سمعت في الإسلام حكاية أعجب من هذه إليّ، ثم قال أحمد بن حنبل: حدثني يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس رفعه: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» ثم قال لابن أبي الحواري صدقت يا أحمد وصدق شيخك. قال أبو نعيم: ذكر أحمد هذا الحديث عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم فظن بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ، ومن شواهده ما أخرج أبو نعيم من رواية نصير بن حمزة عن أبيه، عن جعفر بن

الله علم ما لم يعلم». وفي بعض الكتب السالفة: يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به إلى الأرض، ولا في تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به. العلم مجعول في قلوبكم، تأدبوا بين يديّ بآداب الروحانيين، وتخلقوا لي بأخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم. وقال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله: خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحِ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُها إلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية. ولولا ان إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال ﷺ: «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك». وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: «لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي

محمد، عن محمد بن علي بن الحسين، على الحسين بن علي، عن علي رفعه: «من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيراً وكشف عنه العمى».

(**وفي الكتب السالفة**) ونص القوت: ورويناً في بعض الأخبار أن في بعض الكتب المنزلة (**يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر**) و (**يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين**) أي الملائكة (**وتخلقوا إليَّ بأخلاق الصدّيقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم فيغمركم**). كذا في النسخ. ونص القوت: حتى يغطيكم ويستركم. (**وقال**) أبو محمد (**سهل**) بن عبدالله التستري: (**خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة**) أي عليها أقفال الغفلة، (**ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعملها إلا هو﴾**) [الأنعام: ٥٩]، أورده صاحب القوت وزاد: يعني مقفلة عن مفتاح المعرفة وعين التوحيد، واعلم أن الفقه صفة القلب، والخوف موجب الفقه. وعلم العقل داخل في علم الظاهر، والعلم بالله داخل في علم اليقين. (**ولولا أن ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال ﷺ: «استفت قلبك»**) وإن أفتاك المفتون فردّه إلى فقه القلب وصرفه عن فتيا المفتين، فلولا أن القلب فقيه لم يجز أن يدله ﷺ على غير فقيه، ولولا أن علم الباطن حاكم على علم الظاهر ما رده إليه، ولا يجوز أن يرده من فقيه إلى فقيه دونه. كيف وقد جاء في بعض الروايات بلفظة مؤكدة بالتكرير والمبالغة فقال: (**وإن أفتوك وأفتوك»**). وهذا مخصوص لمن كان له قلب وألقى سمعه وشهد قيام شاهده وعري عن شهواته ومعهوده، لأن الفقه ليس من وصف اللسان. حققه صاحب القوت، وتخريج الحديث قد تقدم في الباب الثاني.

(**وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً» الحديث**) أي إلى آخر الحديث. وهو قوله: يداً

يسمع به » الحديث. فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير، ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين، وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية الموجهة إليه وكذلك في علوم

ومؤيداً. أخرجه أبو نعيم بهذا اللفظ في الحلية من حديث أنس واسناده ضعيف، وأخرجه البخاري في صحيحه، وأبو نعيم في أول الحلية، وهو أول أحاديث الكتاب. كلاهما من رواية محمد بن عثمان بن كرامة: حدثنا خالد بن مخلد، عن سليمان بن بلال، عن شريك ابن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة رفعه: « إن الله عز وجل قال من عادى لي ولياً فقد آذنني بالحرب وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعذته وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ». قال الحافظ الذهبي في الميزان في ترجمة خالد بن مخلد الراوي، عن ابن كرامة هذا حديث غريب جداً لولا هيبة الجامع الصحيح لعدّ من منكرات خالد بن مخلد، وذلك لغرابة لفظه ولأنه مما تفرد به شريك وليس بالحافظ اهـ.

وروى البيهقي في الزهد من رواية ابن زجر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة رفعه، قال: « إن الله عز وجل يقول: ما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فأكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وقلبه الذي يعقل به فإذا دعاني أجبته وإذا سألني أعطيته وإذا استنصرني نصرته وأحب ما يعبد به عبدي النصح لـي ». وفي الباب عن عائشة وميمونة رضي الله عنهما. فحديث عائشة عند البزار، وحديث ميمونة عند أبي يعلى. **(فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن)** وخواصه **(تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير، ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين)**. قال سيدي علي وفا قدّس سره: من داوم إخلاص الذكر بفؤاده صار ما بين العرش والفرش طوع مراده. وقال أيضاً: الوسائل مدد مصابيح المقاصد، فبحسب صفاء المدد يكون ضياء المصباح، **(فإذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين)** المنصفين المحفوظين من علائق الشهوة **(استحسنوه)** وقبلوه، **(وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية)** وارداتها الإلهية **(وألطاف الله تعالى)** ومواهبه المفاضة **(بالهمم المتوجهة إليه)** عما سواه. هذه العبارة بتمامها منتزعة من القوت بتغيير يسير. ونص القوت: ولم يكونوا إذا سئل أحدهم عن مسألة من علم القرآن أو علم اليقين والإيمان يحيل على صاحبه ولا يسكت عن الجواب، وقد قال الله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [النحل: ٤٣] فهم أهل الذكر لله وأهل التوحيد والعمل لله عز وجل، ولم يكونوا يلقنون هذا العلم دراسة من الكتب ولا يتلقاه بعضهم

المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب، فإن كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه، وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل، وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي رضي الله عنه في حديث طويل:

عن بعض بالألسنة، إنما كانوا أهل عمل وحسن معاملات، وكان أحدهم إذا انقطع إلى الله تعالى فاشتغل به واستعمله المولى لخدمته بأعمال القلوب، وكانوا عنده في الخلوة بين يديه لا يذكرون سواه ولا يشتغلون بغيره، فإذا ظهروا للناس فسألوهم ألهمهم الله رشدهم ووفقهم لسديد قولهم وآتاهم الحكمة ميراثاً لأعمالهم الباطنة عن قلوبهم الصافية وعقولهم الزاكية وهممهم العالية، فأمدهم بحسن توفيقه. إذ ألهمهم حقيقة العلم، وأطلعهم على مكنون السرّ حين آثروه بالخدمة، وانقطعوا إليه بحسن المعاملة، فكانوا يجيبون عما عنه يسألون بحسن أثرة الله سبحانه وجميل أثره عندهم، فتكلموا بعين القدرة وأظهروا وصف الحكمة، ونطقوا بعلوم الأعمال، وكشفوا بواطن القرآن. وهذا هو العلم النافع الذي بين العبد وربه وهو الذي يلقاه به ويسأله عنه ويثيبه عليه، وهو ميزان جميع الايمان، وعلى قدر علم العبد بربه ترجح أعماله وتضاعف حسناته. وبه يكون عند الله من المقربين لأنه لربه من الموقنين اهـ.

فمن ذلك كلام القطب سيدي علي وفا على قصة سيدنا موسى في سورة القصص، وشرحه لحديث أم زرع بلسان القوم، فكل من طالعهما بعين الإنصاف قضى عجباً، وفي المتأخرين القطب أبو الحسن البكري أملى بالجامع الأزهر على سورة الفاتحة نحو ثلاثمائة مجلس كل ذلك مشحون بالأسرار والمعارف، ومثل هذا الفيض لا ينكره إلا من حرمه. **(وكذلك)** الحال **(في علوم المكاشفة)** بتجلي الذات وإظهار الأفعال الدالة على معاني الأوصاف الباطنة **(وأسرار علوم المعاملة)** وعلوم الورع والاخلاص **(ودقائق خواطر القلوب)** وتلوينات الشواهد على المريدين وتفاوت مشاهدات العارفين، **(فإن كل علم من هذه العلوم بحر)** واسع **(لا يدرك عمقه)** ولا ينتهي إلى غوره، **(وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق)** من سعة همته وقوّة اجتهاده، **(وبحسب ما وفق له من حسن العمل)** بتأييد من ربه وعصمة منه. **(وفي وصف هؤلاء العلماء)** أي علماء الآخرة **(قال)** أمير المؤمنين **(علي)** بن أبي طالب **(رضي الله عنه في حديث طويل)** أورده ابن القيم في مفتاح دار السعادة، وأبو طالب المكي في القوت، والراغب في الذريعة مفرقاً. كلهم من غير سند.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة علي فقال: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا موسى بن إسحاق، وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قالا: حدثنا أبو نعيم ضرار بن صردح، وحدثنا أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد الحافظ، حدثنا محمد بن الحسين الخثعمي، حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري قالا: حدثنا عاصم بن حميد الخياط، حدثنا ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالي، عن عبد الرحمن بن جندب، عن كميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد!

القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة: عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال. والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الانفاق، والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته؛ العلم حاكم والمال محكوم عليه، ومنفعة المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون ما بقي الدهر، ثم تنفس الصعداء وقال: هاه إن ههنا علماً جماً لو وجدت له حملة، بل أجد طالباً غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه، أو منقاداً لأهل الحق لكن ينزرع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا

(**القلوب أوعية وخيرها**) كذا في النسخ. والرواية: فخيرها (**أوعاها و**) أحفظ ما أقول لك (**الناس ثلاثة**)، وليس في نص الحلية الواو بعد أوعاها (**عالم رباني**) ونص الحلية: فعالم رباني (**ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكيه العلم**) ونص الحلية: يزكو على الانفاق. وفي رواية: على العمل (**والمال تنقصه النفقة محبة**) ونص الحلية: ومحبة. (**العلم دين يدان به**) ونص الحلية بها (**تكتسب به الطاعة**) ونص الحلية: العلم يكسب العالم الطاعة (**في حياته وجميل الأحدوثة بعد موته، العلم حاكم والمال محكوم عليه**) وجدت هذه الجملة في بعض الروايات (**ومنفعة**) هكذا في النسخ. والرواية: وضيعة (**المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر**) أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة. (**ثم تنفس الصعداء وقال**): ليست هذه في رواية الحلية، ولا عند ابن القيم، ووجدت في كتاب الذريعة والقوت: والذي عند الأولين بعد قوله ما بقي الدهر (**هاه**) مرة واحدة. وعند ابن القيم: مرتين (**إن ههنا**) وأشار بيده إلى صدره (**علماً جماً**) وليس في الحلية جماً، ولا عند ابن القيم (**لو وجدت**) وعند أبي نعيم وابن القيم: لو أصبت (**له حمل بل أجد طالباً**) كذا في النسخ، وعند أبي نعيم وابن القيم: بلى اصبته لقناً (**غير مأمون**) عليه. وفي بعض نسخ الحلية: لفتاً من اللفت بدل لقناً (**يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا**) وفي الحلية: للدنيا (**ويستطيل بنعم الله عز وجل على أوليائه**) هذه الجملة هكذا في القوت، وليست عند أبي نعيم ولا ابن القيم (**ويستظهر بحججه على خلقه**) هكذا في القوت، والذي عند أبي نعيم وابن القيم: يستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على عباده، (**أو منقاداً لأهل الحق**) لا بصيرة له في إحنائه (**ينقدح**) كذا في نسخة ومثله عند ابن القيم. وفي القوت: ينزرع. وفي الحلية: يتقدح (**الشك في قلبه بأول عارض من شبهة**) لا بصيرة له (**لا ذا ولا ذاك**) وفي القوت بعد قوله: لا بصيرة له وليسا من وعاة الدين في شيء

ذاك؛ أو منهوماً باللذات سلس القياد في طلب الشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والإدخار منقاداً لهواه أقرب شبهاً بهم الأنعام السائمة، اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لكي لا تبطل حجج الله تعالى وبيناته، وكم وأين أولئك هم الأقلون عدداً الأعظمون قدراً أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من ورائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم. هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه

لا ذا ولا ذاك. ونص الحلية بعد قوله من شبهة: لا ذا ولا ذاك كما عند المصنف، (**فمنهوم باللذة سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرم**) وفي القوت: أو جريء (**بجمع الأموال والإدخار منقاداً لهواه**) ونص الحلية بعد قوله: لا ذا ولا ذاك أو منهوماً باللذات سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والادّخار وليسا من دعاة الدين في شيء (**أقرب شبهاً بهم**) كذا عند ابن القيم. وفي الحلية والقوت: بها (**الانعام السائمة، ثم قال: اللهم هكذا**) وليس في القوت ثم قال: وفي الحلية بعد قوله السائمة؛ كذلك (**يموت العلم إذا مات حاملوه**) وفي الحلية: بموت حامليه، (**بل لا تخلو**) كذا في القوت. وفي الحلية: اللهم بلى لن تخلو (**الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور**) كذا في القوت، وهذه الجملة ليست في الحلية، بل قال ابن القيم: هذه زيادة الكذابين من الروافض في الحديث ونصه: إما ظاهراً مشهوراً وإما خفياً مستوراً قال: وظنوا أن ذلك دليل لهم على القول بالمنتظر، والحديث مشهور عن علي لم يقل أحد عنه هذه المقالة إلا كذاب، وحجج الله لا تقوم بخفي مستور لا يرى له شخص ولا تسمع منه كلمة ولا يعلم له مكان، ولقد أحسن القائل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... حملتموه بزعمكم ما آنا
فعلى عقولكم الصفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

ونص الحلية بعد قوله بحجة، لكيلا (**تبطل حجج الله وبيناته، وكم وأين**) كذا في النسخ، وفي القوت: من غير وكم (**أولئك**) هم (**الأقلون عدداً الأعظمون**) عند الله (**قدراً أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة**) هذه الجملة هكذا وقعت هنا في القوت، وهي في رواية الحلية في أول الحديث، وقد أشرنا لذلك. (**يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم**) كذا في القوت. ونص الحلية بعد قوله قدراً بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم (**ويزرعوها في قلوب أشباههم. هجم بهم العلم على حقيقة الأمر**) كذا في الحلية، وفي القوت: على حقائق الأمر (**فباشروا روح اليقين**) هكذا هذه الجملة في القوت، وليست في الحلية (**فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون**) كذا في القوت. وفي الحلية: الجاهلون. (**صحبوا الدنيا بأبدان**

الغافلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمناؤه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال: واشوقاه إلى رؤيتهم، فهذا الذي ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة.

أرواحها معلقة بالمحل الأعلى) كذا في القوت، وفي الحلية: بالمنظر الأعلى، وعند ابن القيم: بالملأ الأعلى **(أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه)** كذا في القوت، ونص الحلية: أولئك خلفاء الله في بلاده ودعاته إلى دينه، **(ثم بكى وقال: واشوقاه إلى رؤيتهم)** كذا في القوت. وفي الحلية بعد قوله إلى دينه: هاه هاه شوقاً إلى رؤيتهم وأستغفر الله لي ولكم إذا شئت فقم هذا آخر الحديث على ما في الحلية، وعند ابن القيم **(فهذا الذي ذكره آخراً هو وصف علماء الآخرة)** الذين هم أهل الحقائق وفضلهم على الخلائق **(وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل)** المقرون بالإخلاص **(والمواظبة على المجاهدة)**.

ولنتكلم على الحديث الماضي ذكره قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة، قال أبو بكر الخطيب: هذا حديث حسن من أحسن الأحاديث معنى وأشرفها لفظاً، وتقسيم أمير المؤمنين للناس في أوله تقسيم حسن في غاية الصحة ونهاية السداد، لأن الإنسان لا يخلو من أحد الأقسام التي ذكرها مع كمال العلم وإزاحة العلل، إما أن يكون عالماً أو متعلماً أو مهملاً للعلم، وطلبه ليس بعالم ولا طالب له، فالعالم الرباني هو الذي لا زيادة على فضله لفاضل، وأما المتعلم على سبيل النجاة فهو الطالب بتعلمه والقاصد به نجاته من التفريط في تضييع الواجبات، وأما القسم الثالث فهم المهملون لأنفسهم الراضون بالمنزلة الدنية، وما أحسن ما شبههم بالهمج الرعاع، والرعاع: المتبدد المتفرق، والناعق: الصائح وهو في هذا الموضع الراعي، ثم قال ابن القيم: ونحن نشير إلى بعض ما في الحديث من الفوائد وأنا أذكر ذلك اختصاراً قال: فقوله رضي الله عنه: القلوب أوعية القلب يشبه بالوعاء والإناء والوادي لأنه وعاء الخير والشر، وقوله: خيرها أوعاها أي أكثرها وأسرعها وأثبتها وأحسنها وعياً أي حفظاً ويوصف بالوعي القلب والأذن كقوله تعالى: ﴿وتعيها أذن واعية﴾ [الحاقة: ١٢] لما بين القلب والأذن من الرباط، فالعلم يدخل من الأذن إلى القلب فهي بابه، وإنما توصل بذلك لأنها إذا وعت وعى القلب. وقوله: الناس ثلاثة إعلم أن العبد إما أن يكمل في العلم والعمل أو لا. فالأول العالم الرباني، والثاني إما أن تكون نفسه متحركة في طلب ذلك الكمال أو لا. والثاني هو المتعلم على سبيل النجاة. والثالث هو الهمج الرعاع. فالأول هو الواصل، والثاني هو الطالب، والثالث هو المحروم، ولا يكون العالم ربانياً حتى يكون عاملاً بعلمه، والثاني متعلم على سبيل نجاة أي على الطريق التي تنجيه وليس حرف على وما عمل فيه متعلقاً بمتعلم إلا على وجه التضمين أي يفتش مطلع على سبيل نجاته ليسلكه، فبعلمه يفتش على سبيل نجاته لا للمباراة أو غيره، فإنه على سبيل هلكة. والقسم الثالث المحروم المعرض فلا عالم ولا متعلم بل همج رعاع، والهمج من الناس: حمقاؤهم وجهلتهم، والرعاع الذين لا يعتد بهم.

....

أتباع كل ناعق أي صائح بهم سواء دعاهم إلى هدى أو ضلال. فإنهم لا علم بالذي يدعون إليه أحق هو أم باطل، فهم مستجيبون لدعوته. وهؤلاء من أضر الخلق على الأديان ويسمى داعيهم ناعقاً تشبيهاً بالأنعام التي ينعق بها الراعي فتذهب معه أينما ذهب قوله: يميلون مع كل ريح. وفي رواية: مع كل صائح شبه عقولهم الضعيفة بالغصن الضعيف وشبه الأهوية والآراء بالرياح، فعقولهم تذهب مع كل ذاهب، ولو كانت كاملة كانت كالشجرة الكبيرة التي لا تلاعبها الرياح لثباتها. قوله: لم يستضيئوا إلخ بيّن السبب الذي جعلهم بتلك المثابة وهو أنه لم يحصل لهم من العلم نور يفرقون به بين الحق والباطل ويمتنعون من دعاة الباطل، فإن الحق متى استقر في القلب قوي به وامتنع مما يضره، والعلم والقوّة قطبا السعادة. وفيه معنى أحسن من هذا وهو الأشبه بمراد علي رضي الله عنه، وهو أن هؤلاء ليسوا من أهل البصائر الذين استضاؤوا بنور العلم، ولا لجأوا إلى عالم مستبصر فقلدوه، ولا متبعين لمستبصر، فإن الرجل إما أن يكون بصيراً، أو أعمى متمسكاً ببصير يقوده، أو أعمى يسير بلا قائدة. قوله: العلم خير من المال تقدم شرحه في أول الكتاب، وكذا قوله: العلم يزكو على الانفاق والمال تنقصه النفقة، وكذا قوله: العلم حاكم والمال محكوم عليه. قوله: محبة العلم يدان بها أي لأنه ميراث الأنبياء والعلماء وراثهم، فمحبة العلم وأهله من علامات السعادة، وهذا في علم الرسل الذي جاءوا به وورثوه للأمة لا في كل ما يسمى علماً، وأيضاً فإن محبة العلم تحمل على تعلمه واتباعه وذلك هو الدين. قوله: العلم يكسب العالم الطاعة في حياته. يقال، كسبه واكتسبه لغتان أي يجعله مطاعاً فكل أحد محتاج إلى طاعته لكونه يدعو إلى طاعة الله ورسوله، فالعالم العامل أطوع في أهل الأرض من كل أحد. قوله: وجميل الأحدوثة أي إذا مات العالم أحيا الله ذكره ونشر له في العالمين أحسن الثناء، فالعالم بعد وفاته ميت وهو حي بين الناس، والجاهل في حياته حي وهو ميت بين الناس كما قيل:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وليس لهم حتى النشور نشورُ
وأرواحهم في وحشة من قبورهم ... وأجسامهم قبل القبور قبورُ

وقال الآخر:

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم في الناس أمواتُ

وقال آخر:

وما دام ذكر العبد بالفضل باقياً ... فذلك حي وهو في الترب هالكُ

ومن تأمل أحوال أئمة الإسلام تحقق أنه لم يفقد إلا صورهم، وإلا فذكرهم والثناء عليهم غير منقطع وهي هذه الحياة حقاً حتى عدّ ذلك حياة ثانية كما قال المتنبي:

ذكر الفتى عيشه الثاني وحاجته ... ما فاته وفضول العيش اشغالُ

قوله: وصنيعة المال تزول بزواله أي: كل صنيعة صنعت للرجل من أجل ماله من إكرام

....

وتقديم واحترام وغير ذلك، فإنما هي مراعاة لماله، فإذا زال زالت وهجر حتى ممن كان يختص به، وفيه قال بعض العرب:

وكانوا بني عمي يقولون مرحباً فلما رأوني معسراً مات مرحبا

وهذا أمر لا ينكر في الناس حتى أنهم ليكرمون لثيابهم، فإذا نزعت لم يكرموا وهذا بخلاف صنيعة العلم، قوله: مات خزان المال تقدم شرحه في أول الكتاب. قوله: وأمثالهم في القلوب موجودة المراد بأمثالهم صورهم العلمية فهي لا تفارق القلوب، وهذا هو الوجود الذهني العلمي لأن محبة الناس لهم وانتفاعهم بعلومهم يوجب أن لا يزالوا نصب عيونهم وقبلة قلوبهم. وقوله: هاه إن ههنا علماً وأشار إلى صدره فيه جواز إخبار الرجل بما عنده من الخير والعلم ليقتبس منه وينتفع به لا للمباهاة. فإنه مذموم، وإذا أثنى الرجل على نفسه ليخلص بذلك من مظلمة أو يستوفي بذلك حقاً له يحتاج فيه إلى التعريف بحاله أو عند خطبة إلى من لا يعرفه فلا بأس فيه، والأحسن أن يوكل في مثله إلى غيره، فإن لسان المرء على نفسه قصير وهو في الغالب مذموم، ثم ذكر أصناف حملة العلم الذين لا يصلحون لحمله وهم أربعة.

أحدهم: من ليس هو بمأمون عليه وهو الذي أوتي ذكاء وحفظاً، لكن جعل العلم آلة للدنيا يستجلبها به وهذا غير أمين على ما حمله من العلم، فقد خان الله وخان عباده، فإن الأمين المأمون هو الذي لا غرض له ولا إرادة لنفسه إلا اتباع الحق وموافقته، فلهذا قال: غير مأمون عليه. قوله: يستظهر بحجج الله إلخ هذه صفة هذا الخائن ومعنى استظهاره بالعلم على كتاب الله تحكيمه عليه وتقديمه وإقامته دونه واشتغاله بغيره، وهذه حال كثير من العلماء الذي يجعل كتاب الله وراء ظهره، فالمستظهر به على كل ما سواه موفق سعيد والمستظهر عليه مخذول شقي.

الصنف الثاني: من حملة العلم المنقاد الذي لم يثلج له صدره ولم يطمئن به قلبه، بل هو ضعيف البصيرة فيه لكنه منقاد لأهله، وهذا حل اتباع الحق من مقلديهم. وهؤلاء وإن كانوا على سبيل نجاة فليسوا من دعاة الدين قوله: لا بصيرة له في إحنائه جمع حنو بالكسر وهي الجوانب والنواحي. يقولون: ازجر أحناء طيرك أي أمسك جوانب خفتك وطيشك. قلت: الأولى أن يفسر الاحناء هنا بالمتشابهات، والمعنى الذي ذكره هو الذي في الصحاح والذي ذكرته من كتاب العباب. قوله: ينقدح الشك إلخ هذا لضعف علمه وقلة بصيرته إذا وردت على قلبه أدنى شبهة قدحت فيه الشك والريب، بخلاف الراسخ في العلم لو وردت عليه أمواج البحار ما أزالت يقينه ولا قدحت فيه شكاً، بل يردها بقوة يقينه، وضعيف اليقين إن تداركها وإلا تتابعت على قلبه أمثالها حتى يصير مرتاباً.

الصنف الثالث: رجل نهمته في نيل لذته فهو منقاد لداعي الشهوة أين كان ولا ينال درجة وراثة النبوة مع ذلك، فمن آثر الراحة فاتته الراحة، وقال ابراهيم الحربي: أجمع عقلاء كل أمة أن النعيم لا يدرك بالنعيم، فمن لم يغلب لذة إدراكه للعلم على شهوة نفسه لم ينل درجة العلم أبداً.

ومنها: أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين، فإن اليقين هو رأس مال الدين. قال رسول الله ﷺ: «اليقين الإيمان كله». فلا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم ينفتح

الصنف الرابع: من حرصه وهمته في جمع الأموال وتثميرها وادخارها فلا يرى شيئاً أطيب له مما هو فيه، فمن أين له درجة العلم؟ فهؤلاء الأصناف الأربعة ليسوا من دعاة الدين ولا من طلبة العلم الصادقين، ومن تعلق منهم بشيء فهو من المشتاقين عليه المتشبهين بجملته المدعين لوصاله المبتوتين من حباله، وفتنة هؤلاء لكل مفتون، قوله: أقرب شبهاً بالأنعام السائمة هو كقوله تعالى: ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤] والسائمة الراعية شبهوا بها في رعي الدنيا وحطامها. قوله: كذلك يموت العلم بموت حامليه، أي ذهاب العلم إنما هو بذهاب العلماء. وهو مأخوذ من حديث قبض العلم في البخاري. قوله: اللهم بلى لن تخلو الأرض الخ يدل عليه حديث: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من ناوأهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». واعلم أن هذه الأمة أكمل الأمم جعل الله العلماء فيها خلفاء الأنبياء لئلا تطمس أعلام الهدى كما كان بنو إسرائيل كلما هلك نبي خلفهم نبي، فكانت تسوسهم الأنبياء والعلماء لهذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل، والفرق بين الحجج والبينات أن الحجج هي الأدلة العلمية التي يعقلها القلب وتسمع بالآذان، والبينات الآيات التي أقامها الله تعالى دلالة على صدقهم من المعجزات. قوله: أولئك الأقلون عدداً الخ وهذا سبب غربتهم فإنهم قليلون في الناس والناس على خلاف طريقتهم، وإياك أن تعترف بأنهم لو كانوا على حق لم يكونوا أقل الناس عدداً، فاعلم أن هؤلاء هم الناس ومن سواهم فمشبهون بهم ليسوا بناس. قوله: حتى يردوها إلى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم أي: ما أقام الله بهذا الدين من يحفظه ثم قبضه إليه إلا وقد زرع ما علمه من العلم والحكمة إما في قلوب أمثاله، وإما في كتب ينتفع بها الناس بعده، وبهذا وبغيره فضلوا على غيرهم. قوله: هجم بهم العلم إلخ الهجوم على الرجل الدخول عليه بلا إذن أي أنهم لكمال علمهم وقوته تقدم بهم إلى حقيقة الأمر فعاينوا ببصائرهم واطمأنت قلوبهم به وعملوا على الوصول إليه لما باشرها من روح اليقين رفع لهم علم السعادة، فشمروا إليه وزهدوا عما سواه واستيقنت قلوبهم ما أعد لأوليائه من كرامة الله، ومن وصل إلى هذا استلان ما يستوعره المترفون وأنس بما يستوحش منه الجاهلون، وهذا هو العلم التام والحب الخالص. فهذا تفسير الحديث. وقد اختصرت في العبارة كثيراً وحذفت ما رأيت الاستغناء عنه.

(ومنها): أي ومن علامات علماء الآخرة **(أن يكون شديد العناية)** كثير الاهتمام **(بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين)** وهو من جملة علوم الايمان متضمن له بكل ما يجب الايمان به، ومن ثم قال جمع اليقين قوة الإيمان بالقدر والسكون إليه، وإذا باشر القلب اليقين امتلأ نوراً وانتفى عنه كل ريب، فالعلم أوّل درجات اليقين، ولهذا قيل: العلم يستعملك واليقين يحملك، فاليقين أفضل مواهب الرب لعبده ولا يثبت قدم الرضا إلا على درجة اليقين.

(قال رسول الله ﷺ: «اليقين الايمان كله»). قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد وأبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة من رواية يعقوب بن حميد بن كاسب. قال: أخبرنا

للقلب طريقه، ولذلك قال ﷺ: «تعلموا اليقين»، ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين، وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم، وقليل من اليقين خير من كثير من العمل. وقال ﷺ لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب

محمد بن خالد المخزومي، عن سفيان بن سعيد، عن زبيد، عن أبي وائل، عن عبدالله، عن النبي ﷺ وزادوا في أوله: «الصبر نصف الايمان» هكذا قال أبو نعيم والبيهقي في اسناده. وقال اللالكائي: عن زبيد، عن مرة، عن عبدالله. قال البيهقي: تفرّد به يعقوب بن حميد، عن محمد بن خالد، وقد أعله ابن الجوزي في العلل المتناهية بها. فقال محمد بن خالد، مجروح، ويعقوب بن حميد ليس بشيء.

قال العراقي: أما محمد بن خالد المخزومي فلم أجد أحداً من الأئمة جرحه، وأما يعقوب فأورده ابن حبان في الثقات، ثم قال: والصحيح المعروف أن هذا من قول ابن مسعود. وهكذا ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً موقوفاً عليه، ووصله الطبراني والبيهقي في الزهد من رواية الأعمش عن أبي ظبيان، عن علقمة، عن عبدالله قوله: قال البيهقي هذا هو الصحيح موقوف اهـ.

قال: المراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين معرفة أن المعصية ضارة والطاعة نافعة، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل، فكان الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار، (**فلا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله**) وذلك في حق المبتدئ (**ثم ينفتح للعبد طريقه**) بالإمداد الباطني مع المجاهدة ومخالطة الكمل من العارفين، (**ولذلك قال ﷺ: «تعلموا اليقين»**) قال صاحب القوت: (**ومعناه جالسوا الموقنين**) أي المتصفين بعلم اليقين (**واسمعوا منهم علم اليقين**) لأنهم علماؤه إلى هنا نص القوت. زاد المصنف: (**وواظبوا على الاقتداء بهم**) أي بأفعالهم في حركاتهم وعند سكونهم (**ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم**). قال العراقي: الحديث رواه أبو نعيم، عن ثور بن يزيد مرسلاً وهو معضل، وهو مروي من قول خالد بن معدان، ورويناه في كتاب اليقين لابن أبي الدنيا من رواية بقية، عن العباس بن الأخنس، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان. قال: «تعلموا اليقين كما تعلمون القرآن حتى تعرفوه فإني أتعلمه» والعباس بن الأخنس مجهول قاله الذهبي في الميزان. (**وقليل من اليقين خير من كثير من العمل**) لأن اليقين هو رأس المال وهو يصحح الأعمال، وما قلّ عمل برز من قلب مؤمن ولا كثر عمل برز من قلب غافل، وحسن الأعمال حسن نتائج الأحوال. وأخرج ابن عساكر في تاريخه، عن أبي الدرداء رفعه «قليل من التوفيق خير من كثير العمل» وهو قريب إلى سياق المصنف.

(**قال رسول الله ﷺ: لما قيل له**) ونص القوت. وقد روينا مسنداً قيل يا رسول الله (**رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال: «ما من**

ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين، فقال ﷺ: « ما من آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ». ولذلك قال ﷺ: « إن من أقل ما أوتيتم: اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل

آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كانت) وفي نسخة: من كان **(غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة »)**. هكذا أخرجه صاحب القوت بلا إسناد.

وقال العراقي: رواه الحكيم الترمذي في الأصل السادس بعد المائتين من نوادر الأصول قال: حدثنا مهدي هو ابن عباس، حدثنا الحسين هو ابن حازم، عن منصور، عن الرازي، عن أنس قال: قيل يا رسول الله: رجل يكون قليل العمل كثير الذنوب قال: « كل بني آدم خطاء فمن كانت له سجية عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه شيئاً. قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب فتمحى ذنوبه ويبقى فضل يدخل به الجنة » وإسناده مجهول اهـ.

قلت: وأخرج الإمام أحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، والدارمي، والحاكم، والبيهقي كلهم عن أنس رفعه « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ». وهذا يصلح أن يكون شاهداً لبعض الحديث المذكور.

وفي القوت: جاء رجل إلى معاذ بن جبل فقال أخبرني عن رجلين أحدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين يعتريه الشك في أموره، فقال معاذ: ليحبطن شكه أعماله. قال: فأخبرني عن رجل قليل العمل إلا أنه قوي اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب، فسكت معاذ. وقال الرجل: والله لئن أحبط شك الأول أعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها. قال: فأخذ معاذ بيده وقام قائماً ثم قال: ما رأيت الذي هو أفقه من هذا اهـ.

فهذا وإن كان موقوفاً على معاذ شاهد جيد بمعناه لما أورده المصنف. **(ولذلك قال ﷺ: « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار »)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً في الأحاديث المرفوعة هكذا اهـ.

قلت: أورده صاحب القوت فقال: وروينا في حديث أبي أمامة عن رسول الله ﷺ: « ومن أقل ما أوتيتم » الخ. هكذا بزيادة الواو وهو يدل على أن هذا ليس بأول الحديث، ثم رأيته بعد أورده في شرح مقام الصبر فقال: روى شهر بن حوشب الأشعري، عن ابي أمامة الباهلي، عن النبي ﷺ قال: « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أُعطيَ حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب إليّ من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم، ولكن أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضاً

وصيام النهار ». وفي وصية لقمان لابنه: يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه، وقال يحي بن معاذ: إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً، وان نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين، وأراد به اليقين، وقد أشار الله تعالى في القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات.

(فإن قلت): فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بدّ من فهمه أوّلاً ثم

وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ »[النحل: ٩٦] اهـ.

قال العراقي: وروى ابن عبد البر في كتاب العلم من حديث معاذ رفعه قال: « ما أنزل شيء أقل من اليقين ولا قسم أقل من الحلم ». ولا يصح إسناده. وقد روي نحوه مختصراً من قول بعض الأشياخ رويناه في كتاب اليقين لابن أبي الدنيا قال: أخبرنا إبراهيم بن سعيد، أخبرنا خالد بن خراش، أخبرنا بشير بن بكر، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن الأشياخ قال: « ما نوفل في الأرض شيء أقل من اليقين ولا قسّم بين الناس أقل من الحلم » هذا حديث مقطوع ضعيف اهـ.

(وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، ولا يفتر عامل حتى ينقص يقينه). هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال: « ولا قصر عامل » بدل « ولا يفتر » والباقي سواء وزاد: وقد يكون يعمل العمل الضعيف إذا كان مستيقناً أفضل من العمل القوي الضعيف في يقينه ومن يضعف يقينه تغلبه المحقرات من الإثم.

(وقال يحي بن معاذ) الرازي: **(إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين)**. أورده صاحب القوت هكذا بلفظ: وكان يحي بن معاذ يقول فساقه. زاد المصنف فقال: **(وأراد)** أي يحي بن معاذ بنور التوحيد **(اليقين)** دل على ذلك سياق صاحب القوت. هذا القول في هذا المبحث، **(وقد أشار القرآن)** المجيد **(إلى ذكر الموقنين في)** عدة **(مواضع دلّ بها على أن اليقين هو الرابطة)** والواسطة **(للخيرات)** العالية **(والسعادات)** الباقية فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ [الذاريات: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿الآيات لقوم يوقنون﴾ [البقرة: ١١٨] وكذلك في السنة وردت عدة أحاديث في رفع شأن أهل الإيقان فنبهت على أنهم من خلاصة أهل الإيمان.

(فإن قلت): أيها السائل قد ذكرت اليقين ورفعت من شأنه وذكرت أنه يقوى ويضعف **(فما معنى اليقين)** لغة واصطلاحاً، **(وما معنى قوّته وضعفه فلا بد من فهمه أولاً)** كما ينبغي، **(ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه، فإن ما لا تفهم صورته)** بمدرك الحس **(لا يمكن**

الاشتغال بطلبه وتعلمه فإن ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه؟ **فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين. أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له أربع مقامات.**

الأول: أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك، كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يعاقبه أم لا؟ وهو مجهول الحال عندك، فإن نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بإثبات ولا نفي، بل يستوي عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكاً.

طلبه)، فالجواب ما تراه وهو قوله: **(فاعلم أن اليقين لفظ مشترك)** أي وضع لمعنى كثير بوضع كثير، ومعنى الكثرة هنا ما يقابل الوحدة لا ما يقابل القلة **(يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين، أما النظار)** وهم أهل النظر في المعقولات **(والمتكلمون)** هم أهل الكلام **(فيعنون به عدم الشك)** فالشك نقيضه، وهذا هو مذهب أهل اللغة. قال الجوهري: اليقين العلم وزوال الشك يقال: يقنت الأمر بالكسر يقيناً واستيقنت وأيقنت وتيقنت كله بمعنى واحد. وفي القاموس: يقن كفرح يقناً ويحرك وأيقنه وتيقنه واستيقنه وبه علمه وتحققه، واليقين إزاحة الشك. وفي عبارات بعض اللغويين: اليقين العلم الذي لا يشك معه، وهذا الذي ذكرناه هو المشهور عند أصحابنا من أئمة اللغة وعباراتهم، وإن اختلفت فمآلها إلى ما ذكر بقي أن الجوهري وجماعة من المتقدمين قالوا: وربما عبروا عن الظن باليقين وباليقين عن الظن، واستدلوا بآيات وقول الشعراء، وهذا قد نورده لك إن شاء الله تعالى عند ذكر المصنف القسم الثاني منه قريباً المسمى بالظن، ثم قال: **(إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له)** في الحقيقة **(أربع مقامات)** لا يتعدى العقل إلى غيرها.

(الأول: أن يعتدل التصديق والتكذيب) سواء **(ويعبر عنه بالشك)** ثم أتى له بمثال ليتضح فقال: **(كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك)** غير معلومه، **(فإن نفسك لا تميل فيه إلى الحكم بإثبات ونفي بل يستوي عندك إمكان الأمرين، فهذا يسمى)** عندهم **(شكاً)** وفي اللمع لأبي إسحاق الشيرازي: الشك تجويز أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر، كشك الإنسان في الغيم غير المشف أنه يكون منه المطر أم لا اهـ.

وقيل: هو الوقوف بين النقيضين من شك العود فيما ينفذ فيه لأنه يقف بذلك للشك بين جهتيه، وقيل: هو وقوف بين المعنى ونقيضه، وقيل: هو المتردد بين النقيضين لا ترجيح لأحدهما عند الشاك.

وقال الراغب في مفرداته: هو اعتدال النقيضين عند الانسان وتساويهما قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عنده في النقيضين أو لعدم الإمارة والشك، ربما كان في الشيء هل هو موجود أم لا، وربما كان في جنسه من أي جنس هو، وربما كان في صفة من صفاته، وربما كان في

الثاني: أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول، كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب؟ فإن نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب، وذلك لظهور علامات الصلاح. ومع هذا فأنت تجوّز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريرته، فهذا التجويز مساوٍ لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه، فهذه الحالة تسمى ظناً.

الغرض الذي لأجله وجد، ثم قال: والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأساً فكل شك جهل ولا عكس، والشك خرق الشيء وكأنه بحيث لا يجد الرأي مستقراً يثبت فيه ويعتمد عليه، ولذلك يعدى بفي ويجوز كونه مستعاراً من الشك وهو لصوق العضد بالجنب، وذلك أن يتلاصق النقيضان فلا مدخل للرأي والفهم لتخلل ما بينهما، ويشهد له قولهم: التبس الأمر واختلط وأشكل، ونحو ذلك من الاستعارات.

(**الثاني: أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين**) إما التصديق وإما التكذيب (**مع الشعور**) أي العلم (**بإمكان**) وجود (**نقيضه**) أي رافعه، (**ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح**) الأمر (**الأول**) ومثاله: (**كما إذا سئلت عن**) حال (**رجل**) معين (**تعرفه بالصلاح والتقوى**) وغير ذلك من أعمال البر (**أنه بعينه لو مات على هذه الحالة**) التي أنت تعرفها فيه (**هل يعاقب**) أم لا؟ (**فإن نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب، وذلك لظهور علامات الصلاح**) وأماراته، (**ومع هذا فأنت تجوّز اختفاء أمر يوجب العقاب في باطنه وسريرته**) أي: تجعل ذلك جائزاً في نفسك لأن الإمارات إنما يستدل بها على الظواهر. (**وهذا التجويز مساوٍ لذلك الميل**) أي قد سيق له (**ولكنه غير دافع رجحانه**) على الطرف الثاني. (**فهذه الحالة تسمى ظناً**)، ومثله صاحب اللمع بقوله: كظن الإنسان في الغيم المشف الثخين أنه سيجيء منه المطر، وأن جوزانه ينقشع من غير مطر، وكاعتقاد المجتهدين فيما يفتون به من مسائل الخلاف، وإن جوز أن يكون الأمر بخلاف ذلك وغير ذلك مما لا يقطع به اهـ.

وقال السمين: الظن ترجيح أحد الطرفين نفياً وإثباتاً وقد يعبر به عن اليقين والعلم، كما يعبر بالعلم عنه مجازاً. وقال غيره: الظن الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك. وقال الراغب: الظن ما يحصل عن أمارة فإذا قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت لم تتجاوز حد الوهم. وقال بعضهم: إنما جاز استعمال كل من الظن والعلم في موضع الآخر لعلاقة أن كلاً منهما فيه رجحان أحد الطرفين، إما جزماً وهو العلم، أو وهماً وهو الظن، فمن استعمال العلم بمعنى الظن قوله تعالى: ﴿فإن علمتموهنَّ مؤمناتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] ليس الوقوف على الاعتقادات يقيناً، ومن استعمال العكس قوله: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم﴾ [البقرة: ٤٦] أي يتيقنون إذ لا يناسب حالهم وصفهم بظن ذلك حقيقة، ولو شكوا في ذلك لم يكونوا موقنين فضلاً عن

الثالث: أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره، ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله، ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء إلى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز، وهذا يسمى اعتقاداً مقارباً لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع، حتى أن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة أمامها

أن يمدحوا بهذا المدح، وكذا قوله تعالى: ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله﴾ [البقرة: ٢٤٩] الآية وكذا قوله تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنَّهم مواقعوها﴾ [الكهف: ٥٣] واستدل الجوهري بقول أبي سدرة الهجيمي:

تحسب هواس وأيقن أنني بها مفتد من واحد لا أغامره

يقول: تشمم الأسد ناقتي يظن أنني أفتدي بها منه واستحمي نفسي فاتركها له، ولا أقتحم المهالك بمقاتلته. واستدل غيره بقول دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

أي أيقنوا: بهذا العدد، فإن المقام يقتضي ذلك وأبى ذلك طائفة وقالوا: لا يكون اليقين إلا للعلم، وأما الظن فمنهم من وافق على أنه يكون بمعنى العلم، ومنهم من قال لا يكون الظن في موضع اليقين، وأجابوا عما احتج به من جوّز ذلك بأن قالوا: هذه المواضع التي زعمتم أن الظن وقع فيها موضع اليقين كلها على بابها فإنا لم نجد ذلك إلا في علم بمغيب، ولم نجدهم يقولون لمن رأى الشيء ولا لمن ذاقه أظنه، وإنما يقال لغائب: قد عرف بالظن والعلم، فإذا صار إلى المشاهدة امتنع إطلاق الظن عليه. قالوا: وبين العيان والخبر مرتبة متوسطة باعتبارها أوقع على العلم بالغائب الظن لفقد الحال التي تحصل المدركة بالمشاهدة، وعلى هذا خرجت سائر الأدلة التي ذكرت، وفي إبداء الجواب عن كل آية تقدمت وتقريراتها طول يخرجنا عن المقصود، ولذا وقع الاكتفاء بما ذكرت.

(**الثالث: أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها**) أي ذلك التصديق على النفس ويغمرها (**ولا يخطر بالبال غيره**) أي غير ذلك المعنى الذي حصل للنفس، وفي نسخة: نقيضه بدل غيره (**ولو**) فرض أنه (**خطر بالبال**) نقيضه (**تأبى**) أي تمتنع (**النفس عن قبوله، ولكن ليس ذلك مع معرفة تحقيق**) وفي نسخة: عن معرفة محققة (**إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل و**) أعار إذن فهمه إلى (**الإصغاء إلى التشكيك والتجويز**) وهما المقامان الأولان (**اتسعت نفسه للتجويز**) أي: مالت إليه وانشرحت له (**وهذا يسمى اعتقاداً مقارباً لليقين**) لأنه قد عقد قلبه عليه وأثبته في نفسه (**وهو اعتقاد العوام**) من الأمة (**في الشرعيات كلها إذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع**) من أفواه الشيوخ، (**حتى أن كل فرقة**) من فرق المذاهب على كثرتها (**يثق بصحة مذهبه**) ويعتمد عليه (**وإصابة**

ومتبوعها، ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله.

الرابع: المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصوّر الشك فيه، فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقيناً عند هؤلاء، ومثاله أنه إذا قيل للعاقل: هل في الوجود شيء هو قديم؟ فلا يمكنه التصديق به بالبديهة، لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر، فإنه يصدق بوجودهما بالحس، وليس العلم بوجود شيء قديم أولياً ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال، فإن هذا أيضاً ضروري فحق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة، ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقاً جزماً ويستمر عليه، وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام. ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له: إن لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة، فإن كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث

إمامه) الذي قلده (و) إصابة **(متبوعه وإذا ذكر له)** وفي نسخة: لأحدهم **(إمكان خطأ إمامة نفر عن قبوله)** واستبعده إلى الغاية.

(الرابع: المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان) والاستدلال **(الذي لا شك فيه)** في حدّ ذاته **(ولا يتصور الشك فيه)** وفي نسخة: التكشيك بدل الشك، **(فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقيناً عند هؤلاء)** أي النظار والمتكلمين. **(ومثاله إذا قيل للعاقل: هل في الوجود شيء هو قديم؟ فلا يمكنه)** إذاً **(التصديق به)** أي بهذا القول **(بالبديهة)** والارتجال **(لأن القديم غير محسوس)** بالأبصار **(لا كالشمس والقمر)** وغيرهما من الكواكب، **(فإنه يصدق بوجودهما بالحسّ)** والمشاهدة، **(وليس العلم بوجود شيء قديم أولياً ضرورياً)** وفي نسخة: أزلياً ضرورياً أي: ليس العلم به يدرك بأول وهلة من غير برهان **(مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد)** فإنه ضروري لا محالة، **(بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فإن هذا أيضاً ضروري)** لا يحتاج إلى النظر فيه. وفي نسخة: ومثل العلم بدل بل مثل العلم **(فمن غريزة العقل أن يتوقف عن)** قبول **(التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة)** ويتطلع إلى النظر في البرهان، **(ثم من الناس من يسمع ذلك)** من الأفواه والكتب **(ويصدق بالسماع تصديقاً جزماً)** قاطعاً عن الشبهات **(ويستمر عليه، وذلك هو الاعتقاد)** كأنه عقد قلبه عليه ولم يمل إلى سواه. **(وهو حال جميع العوام)** من الأمة. **(ومن الناس من يصدق به بالبرهان)** والنظر فيه **(وهو أن يقال له: إن لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة)** الا محالة **(وإن كانت كلها حادثة فهي)** كلها **(حادثة بلا سبب أوفيها حادث بلا سبب وذلك)** أي حدوث الكل أو البعض بلا سبب

بلا سبب، وذلك محال، فالمؤدي إلى المحال محال، فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة، لأن الاقسام ثلاثة: وهي أن تكون الموجودات كلها اما قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة، فإن كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم، وإن كان الكل حادثاً فهو محال إذ يؤدي إلى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول. وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب، أو بتواتر كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل. أو بدليل كما ذكرنا، فشرط إطلاق هذا الإسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقيناً عند هؤلاء، وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت في نفي الشك.

(محال فالمؤدي إلى المحال محال، فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة) نظراً إلى ما ذكر، **(لأن الأقسام ثلاثة: وهو)** إما **(أن تكون الموجودات كلها قديمة، أو)** تكون **(كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة، فإن كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم)** لأن السؤال إنما كان عن شيء هو قديم في الوجود، **(وإن كان الكل حادثاً)** وهو الشق الثاني **(فهو محال إذ يؤدي إلى حدوث بغير سبب)** وما يؤدي الى المحال محال، **(فثبت القسم الثالث)** وهو أن بعضها قديمة وبعضها حادثة، **(أو)** القسم **(الأول)** الذي يفهم منه ثبوت القديم في الجملة، **(وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً)** عند هؤلاء **(سواء حصل)** ذلك العلم **(بنظر)** واستدلال **(مثل ما ذكرناه أو حصل بحس)** كالعلم بالشمس والقمر مثلاً **(أو بغريزة العقل)** وسجيته **(كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو)** حصل **(بتواتر)** وتتابع **(كالعلم بوجود مكة)** مثلاً، **(أو)** حصل **(بتجربة)** صحيحة **(كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ)** هو كل دواء طبخ لقصد الإسهال **(مسهل)**. ولو قال السقمونيا بدل المطبوخ كان أظهر **(أو)** صح **(بدليل)** وبرهان **(كما ذكرنا)** آنفاً، **(فشرط إطلاق الاسم عندهم عدم)** وجود **(الشك)** فيه بأي وجه كان، **(فكل علم لا شك فيه يسمى يقيناً عند هؤلاء)**، ولذا عرفوه بأنه اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعقتاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابق للواقع غير ممكن للزوال، فالقيد الأول جنس يشمل الظن، والثاني يخرجه، والثالث يخرج الجهل المركب، والرابع يخرج اعتقاد المقلد المصيب. **(وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف)** والنقص والفتور والقلة **(إذ لا تفاوت في نفي الشك)** وقسم صاحب القوت مقامات اليقين إلى ثلاثة، فقال بعد أن ذكر المقامين. والمقام الثالث من اليقين هو يقين ظن يقوى بدلائل العلم والخبر وأقوال العلماء، ويجد هؤلاء المزيد من الله عز وجل والنصيب منه لهم ويضعف بفقد الأدلة وصمت القائلين، وهذا يقين الاستدلال وعلوم هذا في المعقول وهو يقين المتكلمين من علوم المسلمين من أهل الرأي وعلوم القياس والعقل والنظر اهـ.

(الاصطلاح الثاني): اصطلاح الفقهاء والمتصوّفة وأكثر العلماء، وهو أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك، بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال: فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا شك فيه، ويقال: فلان قوي اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه، فمهما مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتجويز والمنع سمي ذلك يقيناً، ولا شك في أن الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك

وهذا السياق ظاهره دال على قبوله الضعف والقوة على رأي المتكلمين أيضاً، ولكن ما حرره المصنف هو الأقوى فتأمل.

(الاصطلاح الثاني) في اليقين **(للفقهاء)** عامة **(والمتصوّفة وأكثر العلماء)** رحمهم الله تعالى، **(وهو)** أي اليقين **(أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك)** المتقدم ذكرهما، **(بل إلى استيلائه وغلبته على القلب)** حتى يغمره على سائر جهاته **(حتى يقال: فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا يشك فيه)** بأنه واقع لا محالة، **(ويقال: فلان قوي اليقين)** مع الله **(في إتيان الرزق)** وحصوله **(مع أنه قد يجوز) في نفسه (أنه لا يأتيه فمهما مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى)** عليه **(حتى صار هو المتحكم المتصرف في النفس بالتجوز والمنع)** كما هو شأن المستولي **(سمي ذلك يقيناً)**. وقد أشارت إلى ذلك المعنى عباراتهم، فقال سيد الطائفة الجنيد: هو استقرار العلم الذي لا يتقلب ولا يتحول ولا يتغير في القلب، وقال سهل: حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله، وقال غيره: من علامات اليقين الالتفات إلى الله في كل نازلة والرجوع إليه في كل أمر والاستعانة به في كل حال وإرادة وجهه بكل حركة وسكون. وقال القشيري، قال الجنيد: سئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال: هو اليقين، فقال السائل: بيّن لي ما هو؟ فقال: هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله تعالى وحده لا شريك له، فإذا عرفت ذلك فقد وجدته. قال شارح الرسالة: أجاب أولاً بأنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له، فلما لم يفهم نزل له قليلاً نزل إلى الأفعال خاصة وكلمه على حسب فهمه وخاطبه بالأفعال دون الذات والصفات اهـ.

وقال السري: اليقين سكونك عند جولان المراد في صدرك لتيقنك أن حركتك فيها لا تنفعك ولا ترد عنك مقضياً. قال ابن القيم عند ذكره لقول السري: هذا إذا لم تكن الحركة مأموراً بها، فإذا كانت مأموراً بها فاليقين في بذل الجهد فيها واستفراغ الوسع، وقال بعضهم: هو رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان، وقيل: مشاهدة الغيوب بصفات القلوب وملاحظة الأسرار بمخالطة الإذكار. وقيل: إذا استكمل المرء حقيقة اليقين صار البلاء عنده نعمة والمحنة منحة. وقال تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ [التغابن: ١١] قال ابن مسعود: هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم، فهذا لم

فيه، ولكن فيهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعاً لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوّة اليقين، ولذلك قال بعضهم: ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت، وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف

يحصل له هداية القلب والرضا والتسليم إلا بيقينه. **(ولا شك في أن الناس مشتركون في القطع بالموت)** بأنه حق وواقع **(والانفكاك عن الشك فيه، ولكن فيهم من يلتفت إليه وإلى الاستعداد له)** أي لنزوله **(وكأنه غير مؤمن به)** أي غير مصدق به، وهم المنهمكون على لذات الدنيا والمؤثرون بشهواتها على لذات الآخرة، **(ومنهم من استولى ذلك)** أي ذكره **(على قلبه حتى استغرق همه)** وتوجهت عنايته **(بالاستعداد له)** بأنواع الطاعات **(ولم يغادر)** أي لم يترك **(فيه متسعاً لغيره)** كما هو معلوم من سيرة فضلاء الصحابة وأكابر التابعين، ومن بعدهم طبقة بعد طبقة وجيلاً بعد جيل يعلم ذلك من شاهد سيرتهم وسير مناقبهم المسطرة في الكتب، **(فيعبر عن مثل هذه الحالة اليقين)** ومن تعداهم متصف بضعف اليقين. **(ولذلك قال بعضهم)** أي من العلماء العارفين: **(ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت)**، وهذا القول مشهور عن المصنف نسبه إليه غير واحد من العلماء. قال ملاّ علي في شرحه على الشمائل، قال الغزالي: ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من الموت، والصحيح أن المصنف ناقل لهذا القول وليس أبا عذره. وقد فسر غالب المفسرين قوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر: ٩٩] بالموت وهو معنى صحيح ذكره أئمة اللغة، ومال كثيرون إلى أنه إطلاق حقيقي وصوّب بعضهم أنه مجازي من تسمية الشيء بما يتعلق به حققه شيخنا في حاشية القاموس. وهذا التفسير الذي ذكرناه متفق عليه عند المفسرين خلافاً للزنادقة، فإنهم قالوا: إن العبد إذا وصل إلى مقام حقيقته ارتفعت عنه العبادة، وهذا تلبيس وافتراء منهم على أهل الله العارفين، ثم أن المراد بمفاد الآية الكريمة أن دُم على طاعة ربك كما حققه غير واحد **(وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة)**.

وقال صاحب القوت: واليقين على ثلاث مقامات: يقين معاينة وهذا لا يختلف خبره والعالم به خبير وهو للصديقين والشهداء، ويقين تصديق واستسلام وهذا في الخبر والعالم به مخبر مستسلم وهذا يقين المؤمنين وهم الأبرار منهم الصالحون ومنهم دون ذلك لقوله عز وجل: ﴿وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً﴾ [الأحزاب: ٢٢] وقد يضعف هؤلاء بعدم الأسباب ونقصان المعتاد ويقرون بوجودها وجريان العادة ويحجبون بنظرهم إلى الوسائط ويكاشفون بها، ويجعل مزيدهم وأنسهم بالخلق، ويكون نقصهم ووحشتهم بفقدهم، ويكون من هؤلاء الاختلاف لتلوين الأشياء وتغييرها عليهم، ثم ذكر المقام الثالث الذي قدمنا ذكره آنفاً، ثم قال بعد ذلك: وكل مؤمن بالله عز وجل فهو على علم من التوحيد والمعرف به، ولكن علمه ومعرفته على قدر يقينه ويقينه من نحو صفاء إيمانه وقوته وإيمانه على معنى معاملته ورعايته، فأعلى العلوم علم المشاهدة عن عين

....

اليقين، وهذا مخصوص بالمقربين في مقامات قربهم ومحادثات مجالستهم ومأوى أنسهم ولطيف تملقهم، وأدنى العلوم علم التسليم والقبول بعدم الإنكار وفقد السكون، وهذا لعموم المؤمنين وهو من علم الإيمان ومزيد التصديق، وهذا لأصحاب اليمين. وبين هذين مقامات لطيفات من أعلى طبقات المقربين إلى أوسط المقامات، ومن أدنى طبقات أصحاب اليمين إلى أعالي أواسط الأعلين اهـ سياق القوت.

وهنا فوائد يحتاج إلى التنبيه عليها وهو الفرق بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وما للقوم فيه من العبارات. قال القشيري في رسالته: هذه عبارات عن علوم جلية، فاليقين هو العلم الذي لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف، فعلم اليقين هو اليقين، وكذلك عين اليقين نفس اليقين وحق اليقين نفس اليقين، فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان، وعين اليقين ما كان بحكم البيان، وحق اليقين ما كان بنعت العيان، فعلم اليقين لأرباب العقول، وعين اليقين لأصحاب العلوم، وحق اليقين لأصحاب المعارف، قال شارحها: اليقين عند أهل اللغة توالي العلم بالمعلوم حتى لا يكاد يغفل عنه. يقال: أيقن الماء إذا صفا من كدورته وما يخالطه مما ينجر مع الماء، فإذا استقر في مفيضه واستقر قراره وصفاً يقال أيقن الماء، فتبين من هذا أن العلم في اصطلاح يباين اليقين، وذلك أن الشخص قد يعلم مرة واحدة فلا يسمونه موقناً إلا إذا توالى ولم يتخلله غفلة، فإذا تقرر ذلك قلنا فعلم اليقين ما كان العلم به ثابتاً عن البرهان، فسمي علم يقين لتحقيق كونه علماً لأنه قد يسمى الظن علماً للسكون إلى أحد المحتملين، فإذا قالوا: علم اليقين أرادوا العلم المتيقن الذي لا يقبل الاحتمال، ولذلك كان بشرط البرهان، وعين اليقين حصول العلم وتوالي أمثاله من غير نظر في دليل، بل صار العلم مذكوراً وقلّت الغفلات في تواليه على القلب، فلم يحتج صاحبه إلى تأمل برهان وحق اليقين هو حصول اليقين بالمعلوم الذي صار غالباً على القلب حتى لا يبقى لغيره ذكره منه، وبهذا الاعتبار سموه حق اليقين لثبوت الحقيقة لمن تحقق به، فحاصل ما ذكر أن علم اليقين إشارة للعلم الحق الذي لا يقبل الاحتمال وأن لم يتوال على القلب وعين اليقين هو المتوالي على القلب ذكره، حتى قلت غفلات المتصف به عنه وإن كان قد يذكر غيره، وحق اليقين هو الذي غلب ذكر معلومه على القلب حتى شغل عن غيره وثبتت حقيقته فيمن تحقق به. وهذه الاصطلاحات الثلاثة في مراتب العلم الحق، وإنما اختلفت في دوامها وعدم دوامها وفي غلبتها على القلب حتى شغلته عن ذكر غيره اهـ

وفي عبارات بعضهم علم اليقين ما أعطاه الدليل بتصور الأمر على ما هو عليه، وعين اليقين ما أعطته المشاهدة والكشف، وحق اليقين ما حصل من العلم بما أريد له ذلك الشهود. وقال غيره: حق اليقين فناء العبد في الحق والبقاء به علماً وشهوداً فعلم كل عاقل بالموت علم يقين، فاذا عاين الملائكة فعين يقين، فاذا فارق الروح فهو حق اليقين. وقال صاحب القوت: المعرفة على مقامين معرفة سمع ومعرفة عيان، فمعرفة السمع في الأسلام وهو أنهم سمعوا به فعرفوه وهذا هو

والقوّة، ونحن إنما أردنا بقولنا: « إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين » بالمعنيين جميعاً وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها، فإذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا: أن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام: بالقوّة والضعف، والكثرة والقلة، والخفاء والجلاء، فأما بالقوّة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب، ودرجات معاني اليقين في القوّة والضعف لا تتناهى، وتفاوت الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني، وأما التفاوت بالخفاء والجلاء في الاصطلاح

التصديق من الايمان، ومعرفة العيان في المشاهدة وهو عين اليقين، والمشاهدة أيضاً على مقامين مشاهدة الاستدلال ومشاهدة الدليل، فمشاهدة الاستدلال قبل المعرفة وهذه معرفة الخبر وهو في السمع لسانها القول والواجد بها بعلم اليقين من قوله تعالى: ﴿بنبأ يقين★ إني وجدتُّ﴾ [النمل: ٢٢ ؛ ٢٣] فهذا العلم قبل الوجد وهو علم السمع، وقد يكون سببه التعليم، ومنه الحديث: « تعلموا اليقين » أي جالسوهم فاسمعوا منهم. وأما مشاهدة الدليل فهي بعد المعرفة التي هي العيان وهو اليقين لسانه الوجد، والواجد بها واجد قرب وبعد هذا الوجد علم من عين اليقين، وهذا يتولاه الله تعالى بنوره عن يده بقدرته. ومنه الحديث « فوجدت بردها فعلمت » فهذا التعليم بعد الوجد من عين اليقين باليقين، وهذا من أعمال القلوب وهؤلاء علماء الآخرة وأهل الملكوت وأرباب القلوب، وهم المقربون من أصحاب اليمين، وعلم الظاهر من علم الملك وهو من أعمال اللسان والعلماء به موصوفون بالدنيا وصالحوهم أصحاب اليمين اهـ.

وهذا كله الذي ذكرناه لك كالمقدمة لما سيأتي في سياق المصنف بعد. قال: (**ونحن أردنا بقولنا « إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين» باقسام في المعنيين جميعاً وهو نفي الشك**) والريب والتردد عن القلب أولاً وهو أول المعنيين (**ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب**) المستولى عليه (**وهو المتصرف**) والمتحكم فيه دون غيره، فلا يصدر منه إلا بشاهد منه ولا يعرض له شيء إلا وهو دافعه عنه، (**وإذا فهمت هذا**) القدر (**علمت أن المراد من قولنا إذا قلنا أن اليقين ينقسم**) باعتبار ما يعتريه (**إلى ثلاثة أقسام: بالقوّة والضعف**) هذا هو القسم الأوّل، (**والقلة والكثرة**) وهو القسم الثاني، (**والخفاء والجلاء**) وهو القسم الثالث، (**فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني**) وهو اصطلاح الفقهاء والصوفية، (**وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب**) حتى يغمره، (**ودرجات اليقين في القوة والضعف لا تتناهى**) باختلاف الأسباب والمعتاد، (**وتفاوت الخلق في إستعدادهم للموت**) بالقوة والضعف (**بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني**) على ما تقدم ذكره، (**وأما التفاوت**) فيه (**بالخفاء والجلاء فلا ينكر أيضاً**) فقد يكون خفياً بحجاب صاحبه والالتفات إلى الانس بالخلق، وقد يكون جلياً بزوال ذلك عنه (**أما فيما يتطرق**

الأول فلا ينكر أيضاً، أما فيما يتطرق إليه التجويز فلا ينكر ـ أعني الاصطلاح الثاني ـ وفيما انتفى الشك أيضاً عنه لا سبيل إلى انكاره فإنك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلاً، وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع انك لا تشك في الأمرين جميعاً إذ مستندهما جميعاً التواتر، ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني، لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين، وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعروفة بالأدلة، فإنه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما في نفي الشك، وهذا قد ينكره المتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال. وأما القلة والكثرة؛ فذلك بكثرة متعلقات اليقين، كما يقال: فلان أكثر علماً من فلان، أي معلوماته أكثر. ولذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين في بعضه.

إليه التجويز) وهو المقام الثاني من الاصطلاح الاوّل **(فلا ينكر أعني الاصطلاح الثاني)** للصوفية **(وفيما انتفى الشك عنه)** وهو المقام الثالث من الاصطلاح الاوّل **(أيضاً لا سبيل إلى انكاره فإنك تدرك)** في نفسك **(تفرقة بين تصديقك بوجود مكة)** شرفها الله تعالى **(ووجود فدك مثلاً)** وهي قرية من قرى خيبر، **(وبين تصديقك بوجود موسى صلى الله)** على نبينا و**(عليه وسلم ووجود يوشع)** فتاه عليه السلام **(مع أنك لا تشك في الأمرين جميعاً)** أي في مكة وفدك، وموسى ويوشع عليهما السلام **(إذ مستندهما)** واحد وهو **(التواتر)** أي تتابع الأخبار، **(ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني)** ضرورة **(لأن السبب في أحدهما أقوى)** من الثاني **(وهو كثرة المخبرين)** عن مكة وموسى **(وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات)** التي هي **(المعلومة بالأدلة)** أي بالنظر فيها، **(فإنه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد)** فقط **(كوضوح ما لاح له بأدلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك، وهذا)** ظاهر لاغبار عليه ولكن **(قد ينكره المتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع)** ويدفعه في تقريره **(ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال)** ولو راجع نفسه لسلم. **(وأما القلة والكثرة؛ فذلك)** لا ينكر أيضاً لأنه يكون **(بكثرة متعلقات اليقين)** وبقلتها ومتعلقاته يأتي بيانها قريباً فقد يعرض لصاحبه التلون بالاختلاف فيكون سبباً لقلته وقد يقوى في المتعلقات فيكون أكثر، **(كما يقال: فلان)** اعلم أي **(أكثر علماً من فلان أي معلوماته أكثر)** فكذلك متعلقات اليقين كلما زادت اتصف صاحبه بألاكثرية، **(فلذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به)** من الأوامر والمنهيات، وقد يكون ضعيف اليقين في جميعه، **(وقد يكون اليقين في بعضه)** ضعيفه في بعضه.

(فإن قلت) : قد فهمت اليقين وقوّته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب ، فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه ، وفيما ذا يطلب اليقين فإني ما لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه ؟ فاعلم أن جميع ما ورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجاري اليقين ، فإن اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في إحصائها ، ولكني أشير إلى بعضها وهي أمهاتها .

فمن ذلك التوحيد ؛ وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط ، بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن ، فإن انتفى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين ، فإن غلب على قلبه مع الإيمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ، ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع ، فإنه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما ،

(فإن قلت : فقد فهمت اليقين) وأقسامه الثلاثة **(و)** هي **(قوّته وضعفه وكثرته وقلته وجلاؤه وخفاؤه)** وما اصطلحوا عليه في اطلاقاتهم **(بمعنى نفي الشك)** والتردد **(وبمعنى الاستيلاء على القلب)** ، وقد ذكرت في بيان قسمه الثالث أن قلته وكثرته بالنظر إلى المتعلقات **(فما متعلقات اليقين ومجاريه وفي ماذا يطلب اليقين فإني ما لم أعرف)** وفي نسخة : متى لم أعرف **(ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه)** والجهد في تحصيله ؟ **(فاعلم أن جميع ما ورد به الانبياء عليهم)** الصلاة و **(السلام)** في شرائعهم **(من أوّله إلى آخره)** من الأوامر والنواهي **(هو من مجاري اليقين)** ومتعلقاته ، **(فإن اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة)** وهو الذي لا يتداخل صاحبه ريب ولا يقبل الأحتمال **(ومتعلقة المعلومات التي وردت بها الشرائع)** على كثرتها **(فلا مطمع في إحصائها)** في الصحائف على حسب الاستقراء ، **(ولكن أشير إلى بعض أمهاتها)** أي أصولها .

(فمن ذلك التوحيد) وهو من أمهات الشرائع التي اتفقت فيها الملل ، **(وهو)** أي اليقين فيه **(أن يرى الأشياء كلها من)** الله تعالى وحده لا شريك له **(مسبب الأسباب)** أي جاعل الأسباب سبباً **(و)** من علامة هذه الرؤية أن **(لا يلتفت إلى الوسائط)** الظاهرة ، **(بل يرى الوساطة مسخرة)** مذللة **(لا حكم لها)** في الحقيقة وإليه يشير كلام الجنيد وغيره من العارفين فيما تقدم **(فالمصدق بها موقن)** أي متصف بصفة اليقين ، **(فإن انتفى من قلبه مع الايمان إمكان الشك)** والتردد **(فهو موقن باحد المعنيين)** المتقدم ذكرهما ، **(وأن غلب)** ذلك **(على قلبه غلبة)** قوية بحيث **(أزال منه الغضب على الوسائط)** إذا تأخرت عن التسخير **(والرضا عنهم والشكر لهم)** إذا جرت على خدمته ، **(ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم)** للكتاب **(و)** منزلة **(اليد في حق المنعم بالتوقيع)** وهو أثر الكتابة في الكتاب ، **(فإنه لا**

بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقناً بالمعنى الثاني، وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته، ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب، وان القدرة الأزلية هي المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم، وصار موقناً بريئاً من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق، فهذا أحد أبواب اليقين.

ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود: ٦] واليقين بان ذلك يأتيه وإن ما قدر له سيساق إليه، ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملاً في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما فاته، وأثمر هذا اليقين أيضاً جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة.

ومن ذلك: أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال

يشكر القلم ولا اليد) ان أحسن إليه بسببهما **(ولا يغضب عليهما)** إن لم يحسن إليه، **(بل يراهما آلتين وواسطتين)** فإذا انصبغ بهذا المقام **(فقد صار موقناً بالمعنى الثاني)** من المعنيين. **(وهذا)** المقام **(هو الاشرف)** في مقامات اليقين **(وهو ثمرة اليقين الأول)** وخلاصته **(وروحه وفائدته)** وقوامه، **(ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم و)** كذلك **(الجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق)** لله تعالى **(فهي مسخرات)** مذللات **(بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وأن القدرة الأزلية هي المصدر للكل)** منها بدت وإليها تعود **(استولى عليه)** نور مقامات اليقين **(التوكل والرضا والتسليم)**، وهذه الثلاثة من مقامات اليقين التسعة على ما يأتي بيانها في مواضعها، **(وصار يأمن الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق)** وغيرهما من الاخلاق المذمومة. **(فهذا أحد أبواب اليقين.**

ومـن ذلك الثقة) أي الوثوق **(فضمان الله سبحانه وتعالى بالرزق)** أي أنه ضامن وكفيل بايصال الرزق إليه **(في قوله تعالى: ﴿وما مِن دابَّة في الأرض إلاَّ على الله رزقُها﴾ [هود: ٦] فيتحقق أنه دابة من جملة الدواب بالمعنى اللغوي، (واليقين)** فيه **(بأن ذلك يأتيه)** ألبتة **(وأن ما قدر له)** في الأزل **(يساق إليه ومهما غلب ذلك على قلبه)** واستولاه **(كان مجملاً في الطلب)** أي كان طلبه في الرزق بطريق جميل، ومنه الحديث «فأجلوا في الطلب» **(ولم يشتد حرصه وشرهه)** وهو أشد الطمع **(وتأسفه)** أي تحزنه **(على ما فاته)** من رزق معلـوم، **(وأثمر هذا اليقين أيضاً جملة من الطاعات)** والعبادات **(والأخلاق الحميدة)** والأوصاف الزكية.

(ومن ذلك) أي من ثمرات اليقين **(أن يغلب على قلبه أن ﴿من يعمل مِثقالَ ذرةٍ خيراً يره* ومن يعمل مِثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٧؛ ٨] وهو اليقين بالثواب**

ذرة شراً يره، وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع، ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك، فكما يحرص على التحصيل للخبز طلباً للشبع فيحفظ قليله وكثيره، فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها، وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها، فكذلك يجتنب المعاصي قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها، فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين، أما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون، وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات، وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ.

ومن ذلك اليقين: بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال، ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك، فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك، وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون، وثمرته أن

والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك)، ، فأنه يتسبب منها ذلك، (**وكما يحرص**) ويدأب (**على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظ قليله وكثيره**) بمباشرة أنواع الأسباب، (**فكذلك**) ينبغي أن (**يحرص على الطاعات قليلها وكثيرها**) فإنها متسببة له إلى حصول الثواب، (**وكما يتجنب قليل السم وكثيره، فكذلك يتجنب قليل المعاصي وكثيرهاوصغيرها وكبيرها**) فإنها سميات، (**واليقين بالمعنى الاوّل قد يوجد لعموم المؤمنين**) وهم الأبرار منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، (**أما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون**) من أصحاب اليمين وهؤلاء هم علماء الآخرة وأهل الملكوت وأرباب القلوب، (**وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة**) أي الصدق في المراقبة مع الله تعالى (**في**) كل من (**الحركات والسكنات والخطرات**) مما تخطر على القلب وهي الواردات (**والمبالغة في**)تحصيل (**التقوى**)بتوثيق عرى أسبابها(**و**) كمال (**الاحتراز**) والامتناع (**عن**) التحوّم حول حمى (**السيئآت**) والبعد عما يقرب إليها (**وكلما كان اليقين**) في ذلك(**أغلب كان الاحتراز**)مما ذكر (**أشد**) وأعظم (**والتشمر**) والتهيئة (**أبلغ**) وبين أغلب وأبلغ جناس.

(**ومن ذلك اليقين بأن الله**) عز وجل (**مطلع عليك في كل حال**) ومراقب (**مشاهد لهواجس ضميرك**) أي مما يخطر به من الواردات (**وخفايا خواطرك وفكرك**) مما ينتقش فيها من خير وشر، (**فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأوّل وهو عدم الشك**) والتردد في ذلك، (**وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود**) بالذات (**فهو عزيز**) الوجود، وإليه الاشارة في الحديث «أقل ما أوتيتم اليقين» (**يختص به الصدّيقون**) والشهداء ويسمى يقين معاينة والعالم

يكون الإنسان في خلوته متأدباً في جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه، فإنه لا يزال مطرقاً متأدباً في جميع أعماله متماسكاً محترزاً عن كل حركة تخالف هيئة الأدب، ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره، فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكالئة أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس، وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق المحمودة، وهذه الأخلاق تورث أنواعاً من الطاعات رفيعة، فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة، وهذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها،

به خبير كما تقدمت الاشارة إليه عن القوت، **(وثمرته أن يكون الانسان في)** حال **(خلوته)** أي اختلائه عن أعين الناس **(متأدباً في جميع أحواله)** بالآداب الشرعية **(كالجالس بمشهد)** أي بمحضر **(من ملك عظيم ينظر إليه)** ويرمق أحواله في حركاته وسكناته **(فلا يزال مطرقاً)** خافضاً بصره إلى الأرض **(متأدباً متمسكاً)** كذا في النسخ أي لبعضه، ولو كان بزيادة النون بعد الكاف ناسب السياق، وربما يؤيد ما في النسخ قوله بعد **(متحرزاً عن كل هيئة تخالف الأدب)**. ومن جملة الحركات التي تخالف هيئات الأدب إدارة البصر وتكريره إلى نحو السقف والحيطان والتلاعب بثيابه أو بملبوسه أو بشيء موضوع عنده، والجلوس متربعاً، وإلى غير القبلة وتمديد الرجل لغير علة والاتكاء لغير حاجة، والتغني بأبيات، وهذه وغيرها هيئات تخالف الأدب في الظاهر، وأما باطناً فاستعمال الفكر وتسريحه من موضع إلى موضع ووقوفه على محل الشهوة والتأمل في محاسن ما تميل نفسه إليه ونسيان الذكر والموت والقبر وما يؤول الحال إليه في الحشر والنشر، فهذه كلها مما يتعلق بالباطن، ولذلك قال: **(ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة)** أي: تكون أعماله الظاهرة مساوية لأعماله الباطنة في صدق الإخلاص والخضوع للمولى بحيث لا يميز أحدهما عن الآخر **(إذا تحقق)** وفي نسخة: إذ يتحقق **(أن الله تعالى مطلع على سريرته)** وباطنه **(كما يطلع الخلق على ظاهره)**، فاذا علم ذلك **(فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره)** من الأرجاس والأدناس **(والتزين لعين الله سبحانه الكالئة)** أي الحافظة له **(أشد مبالغة في تزين ظاهره لسائر الناس)**، ومتى وصل هذا المقام ذاق ثمرة الإحسان الذي ورد فيه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك وللسادة الصوفية في هذا المقام تقريرات شريفة كل منهم فيه قال وجال في المجال بحسب ما أفاض عليه المولى المتعال. **(وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق الحميدة)** والأوصاف الجميلة، **(وهذه الاخلاق)** إذا ثبت فيها وتمكن **(تورث أنواعاً من الطاعات رفيعة)** المقدار جليلة الاعتبار، **(فاليقين في كل باب من هذه الابواب)** المذكورة مثله **(مثل الشجرة)** العظيمة الكثيرة الغصون وهي المرتبة الأولى، **(وهذه**

وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأنوار المتفرعة من الأغصان، فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب وأكثر مما عددناه، وسيأتي ذلك في ربع المنجيات إن شاء الله تعالى. وهذا القدر كاف في معنى اللفظ الآن.

ومنها: أن يكون حزيناً منكسراً مطرقاً صامتاً يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكراً لله

الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها) وهي المرتبة الثانية، **(وهذه الأعمال)** الصالحة **(والطاعات)** المقبولة **(الصادرة من الأخلاق كالثمار والأنوار المتفرعة من الأغصان)** وهي المرتبة الثالثة، **(فاليقين هو الأساس والأصل)**، والأعمال والأخلاق والأوصاف كلها من لواحقه ومنشآته. وقد تقدم عن القوت بيان مقامات الثلاثة وأنه قال بعد ذلك إذ كل موقن بالله فهو على علم من التوحيد والمعرفة به، ولكن عمله ومعرفته على قدر يقينه، ويقينه من نحو صفاء إيمانه على معنى معاملته ورعايته، فأعلى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين، وقال أيضاً: ومثل المشاهدة من المعرفة من اليقين من الايمان كمثل النشا من الدقيق من السويق من الحنطة والحنطة تجمع ذلك كله، كذلك الايمان أصل ذلك والمشاهدة أعلى فروعه كالحنطة أصل هذه المعاني والنشا أعلى فروعها، فهذه المقامات موجودة في أنوار الايمان يمدها علم اليقين، **(وله مجار وأبواب أكثر مما عددنا)** هنا. **(وسيأتي في ربع المنجيات إن شاء الله تعالى)** ونلم هناك على تحقيقات بحول الله وقوته. اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً فسهل يا كريم. **(وهذا القدر)** الذي ذكرناه **(كاف في تفهيم معنى اللفظ الآن)** لأنه إنما ذكره استطراداً.

(ومنها): أي ومن علامات علماء الآخرة **(أن يكون)** في نفسه في أكثر أحواله **(حزيناً)**. فقد أخرج أبو نعيم في الحلية من رواية جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار قال: إذا لم يكن في القلب حزن خرب كما إذا لم يكن في البيت ساكن خرب اهـ. **(منكسراً)** والانكسار من علامة الحزن **(مطرقاً)** أي جاعلاً رأسه ونظره إلى الأرض **(صامتاً)** أي ساكتاً سكوت تفكر في عظمة الله وجلاله ولا يضره الكلام إذا احتاج إليه أو لضرورة خاصة. وأخرج أبو نعيم من رواية عمرو بن محمد بن أبي رزين قال: سمعت وهيباً يقول ان العبد ليصمت فيجتمع له لبه **(يظهر أثر الخشية)** والخوف **(على هيئته)** الظاهرة **(وكسوته)** بأن لا تكون من ثياب الشهرة ولا رفيعة الأثمان، ولا من دق الثياب، فان كل ذلك ليست من ثياب علماء الآخرة، **(وسيرته)** الباطنة أي طريقته بل **(و)** جميع **(حركته وسكونه ونطقه وسكوته)** وسائر شؤونه **(لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره)** له **(مذكراً الله تعالى)**، فإنه إذا كان متصفاً بما ذكر من الأوصاف فكل من وقع نظره عليه فإنه يميل له ويحبه، فإذا رآه ذكر الله الذي أعطاه هذه الأوصاف وجمله بها، ويتوجه بكليته إلى الله تعالى في أن يكون مثل هذا وأشباه ذلك، فإنه ذكر الله تعالى، وهذا شأن الأولياء العارفين إذا رأوا ذكر الله وهم علماء الآخرة. وأخرج أبو نعيم

تعالى، وكانت صورته دليلاً على عمله، فالجواد عينه فراره وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة والتواضع، وقد قيل: ما ألبس الله عبداً لبسة أحسن من خشوع في سكينة، فهي لبسة الأنبياء وسيما الصالحين والصديقين والعلماء، وأما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق، فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه، وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به، وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قاله سهل التستري

من رواية زهير بن محمد، عن هدبة، عن خرم سمعت مالك بن دينار يقول: يا عالم انت عالم تفخر بعملك لو كان هذا العلم طلبته لله عز وجل لرؤي فيك وفي عملك، **(وكانت صورته دليلاً على عمله)** أي صورته الظاهرة تكون كالمرآة يرى فيها ما أبطن من أعماله، فالعمل إذا كان حسناً يظهر في صورته وهيئته، فلذا تكون الصور دلائل على الاعمال حسناً وقبحاً، **(فالجواد عينه فراره)** وهو مثل يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه. وفي الصحاح أن الجواد عينه فراره أي يغنيك شخصه ومنظره من أن تختبره، وان تفرَّ أسنانه.

وفي الأساس فرَّ الجواد عينه أي علامات الجود فيه ظاهرة فلا يحتاج إلى أن تفره اهـ.

ويقال أيضاً: الخبيث عينه فراره أي تعرف الخبيث في عينه إذا أبصرته، **(فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم)** ويتميزون تميز الورد من السلم **(في السكينة والذلة والتواضع)**، فهذه الأوصاف الثلاثة من لوازمهم لا تفارقهم في الأحيان كلها وهي من ثمرات اليقين، **(وقد قيل: ما ألبس الله تعالى عبداً لبسة أحسن من خشوع في سكينة)** أي: مع سكينة. هذه العبارة منتزعة من القوت. قال: ومما يدلك على الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة أن كل عالم بعلم إذا رآه من لا يعرفه لم يتبين عليه أثر علمه ولا عرف أنه عالم، إلا العلماء بالله عز وجل فإنهم يعرفون بسيماهم للخشوع والسكينة والتواضع والذلة، فهذه صبغة الله تعالى لأوليائه ولبسته للعلماء به: ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ [البقرة: ١٣٨] كما قيل: ما ألبس الله عز وجل عبداً ألحَّ ثم قال: **(فهي لبسة الأنبياء وسيما الصالحين والصديقين والعلماء)** فمثلهم في ذلك كمثل الصناع إذ كل صانع لو ظهر لمن لا يعرفه، لا يعرف صنعته دون سائر الصنائع ولم يفرق بينه وبين الصناع إلا الصناع فإنه يعرف بصنعته لأنها ظاهرة عليه إذ صارت له لبسة وصنعة لالتباسها بمعاملته فكانت سيماه. **(وأما التهافت في الكلام)** أي التساقط فيه والتزاحم عليه **(والتشدق)** أي إدارة الشدقين فيه بالفصاحة **(والاستغراق في الضحك)** أي الامتلاء فيه **(والحدة)** أي العجلة **(في الحركة والنطق)** بأن يبتدئ في الكلام قبل صاحبه ويبادره به، **(فكل ذلك من آثار البطر)** أي من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها **(والأمن)** أي ومن آثار الأمنية كأنه أزيل عنه الخوف وصار مأموناً في نفسه **(والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه)**، فإن من تيقن ذلك لم يطع نفسه في غفلاتها. **(وهذا دأب أبناء الدنيا)** وطريقتهم **(الغافلين عن الله تعالى)** المنسحبين تحت إمارة النفس الأمارة **(دون العلماء به)** عز وجل، **(وهذا لأن العلماء**

رحمه الله: عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية، وعالم لله تعالى لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين، وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصديقون، والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم، وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة، فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه. قال عمر رضي

ثلاثة) أقسام **(كما قال)** أبو محمد **(سهل التستري)** فيما نقله عنه صاحب القوت فقال: عالم بالله تعالى، وعالم لله تعالى، وعالم بحكم الله تعالى. معنى العالم بالله تعالى العارف الموقن، والعالم لله هو العالم بعلم الاخلاص والأحوال والمعاملات، والعالم بحكم الله هو العالم بتفصيل الحلال والحرام. فسرنا ذلك على معاني قوله ومعرفة مذهبه، وقد قال مرة في كلام أبسط من هذا. **(عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله تعالى وهم المفتون في الحلال والحرام)**، وهذه الجملة متأخرة في نص القوت. زاد المصنف: **(وهذا العلم لا يورث الخشية)** هذه الزيادة ليست في القوت، ثم قال سهل: **(وعالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين)**. هذه الجملة أول الأقسام، ونص القوت: وهم المؤمنون: **(وعالم بالله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصديقون)** زاد المصنف: **(والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم)** لا على غيرهم. قال صاحب القوت: **(وأراد)** سهل بقوله: **(بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمة الباطنة)**، ونص القوت: بنعمه الباطنة وبعقوباته الغامضة. زاد المصنف: **(التي أفاضها على القرون السالفة)** الماضية **(واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه)**.

قلت: وأصل ذلك في قوله تعالى: ﴿وذكرهم بآيام الله﴾ [ابراهيم:٥] أي بنعمائه وشدائده والأيام يعبر بها عن الشدائد والوقائع، ومنه أيام العرب. وقال بعضهم: إضافة الايام إلى الله للتشريف طالما أفاض عليهم من نعمه فيها.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية علي بن خيشوم قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول، قال بعض الفقهاء: كان يقال العلماء ثلاثة. عالم بالله، وعالم بأمر الله، وعالم بالله وبأمر الله، فأما العالم بأمر الله فهو الذي يعلم السنة ولا يخاف الله، وأما العالم بالله فهو الذي يخاف الله ولا يعلم السّنة، وأما العلم بالله وبأمر دينه، فهو الذي يعلم السّنة ويخاف الله، فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السموات، وأخرج أيضاً من رواية محمد بن جهضم قال: أخبرنا سفيان بن عيينة قال: أفضل العلم العلم بالله والعلم بأمر الله، فإذا كان العبد عالماً بأمر الله، فقد بلغ ولم يصل إلى العباد نعمة أفضل من العلم بالله والعلم بأمر الله، ولم يصل إليهم عقوبة أشد من الجهل بالله والجهل بأمر الله اهـ.

وأورد صاحب القوت هذا القول عن سفيان ولم يصرح أنه الثوري أو ابن عيينة فقال: وفرقوا بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة فقال سفيان: العلماء ثلاثة: عالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى فذاك العالم الكامل، وعالم بالله تعالى غير عالم بأمر الله تعالى فذاك التقي الخائف، وعالم بأمر الله

الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم. ويقال: ما آتى الله عبداً علماً إلا آتاه معه حلماً وتواضعاً وحسن خلق ورفقاً، فذلك هو العلم النافع. وفي الأثر: من آتاه الله علماً وزهداً وتواضعاً وحسن خلق فهو إمام المتقين.

تعالى غير عالم بالله تعالى فذلك العالم الفاجر، وقيل أيضاً: عالم لله تعالى وهو العامل بعلمه، وعالم بأيام الله تعالى وهو الخائف الراجي. وكان سهل يقول: طلاب العلم ثلاثة. واحد يطلبه للعمل به، وآخر يطلبه ليعرف الاختلاف فيتورع ويأخذ بالاحتياط، وآخر يطلبه ليعرف التأويل فيتأول الحرام فيجعله حلالاً، فهذا يكون هلاك الخلق على يديه.

(**وقال عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلهم**). هكذا أورد صاحب القوت بلا سند. قال: وروينا عن عمر أيضاً فساقه.

قال العراقي: ورد هذا مرفوعاً رواه ابن عدي في ترجمة عباد بن كثير البصري، عن أبي الزناد، عن الاعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. وروي من حديث عمر أيضاً مرفوعاً رواه أبو نعيم من رواية عبد المنعم بن بشير، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم الوقار». وعباد بن كثير متروك الحديث، وعبد المنعم بن بشير البصري يكنى أبا الخير منكر الحديث اهـ.

قلت: أخرجه أبو نعيم من حديث حبوش بن رزق الله، عن عبد المنعم بن بشير. وقال في آخره: غريب من حديث مالك لم نكتبه إلا من حديث حبوش عن عبد المنعم، والسياق الاول فقد أخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة الآ أنه إلى قوله: لمن تعلمون منه ولم يذكر شيئاً بعد ذلك وتعلمون بحذف إحدى التاءين والسكينة والطمأنينة والوقار الحلم والرزانة. أي ينبغي للعالم أن يلزم هذه الأوصاف في مراقبته مع الله تعالى في سائر حركاته وسكناته، فإنه أمين على ما استودع من العلوم. قال ابن المبارك: كنت عند مالك فلدغته عقرب ست عشرة مرة فتغير لونه وتصبر ولم يقطع الحديث، فلما فرغ سألته فقال: صبرت إجلالاً لحديثه ﷺ وليتواضع لمن يتعلم منه لأنه رفعة له وزيادة عز لكونه من ورثة الأنبياء. (**ويقال ما آتى الله عز وجل عبداً علماً إلا آتاه معه حلماً وتواضعاً وحسن خلق ورفقاً**) هكذا أورده صاحب القوت، ثم قال: (**فذلك هو**) ونص القوت: فذلك علامة (**العلم النافع. وفي الخبر**) ونص القوت وقد روينا معناه في الأثر: (**من آتاه الله زهداً وتواضعاً وحسن خلق فهو إمام المتقين**) هكذا أورده صاحب القوت، وتبعه المصنف، ولم يتعرض له العراقي، ولا وجدته في

وفي الخبر: « إن من خيار أمتي قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله ويبكون سراً من خوف عذابه، أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء، أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة، يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة ». وقال الحسن: الحلم وزير العلم والرفق

غير كتاب القوت. (**وفي الخبر: « إن من خيار أمتي قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله عز وجل ويبكون سراً من خوف عذاب الله أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة**) لأنه لا راحة للمؤمن دون لقائه ربه، والدنيا سجنه حقاً فلذا يجد المؤمن بدنه في الدينا وروحه في السماء. وفي الحديث المرفوع « إذا قام العبد وهو ساجد باهى الله به الملائكة فيقول انظروا إلى عبدي بدنه في الأرض وروحه عندي. » رواه تمام وغيره، وهذا معنى قول بعض السلف: القلوب جوّالة، فقلب حول الحشر، وقلب يطوف مع الملائكة حول العرش. قال ابن القيم: ولا يبادر إلى إنكار كون البدن في الدنيا والروح في الملأ الأعلى، فللروح شأن وللبدن شأن، والنبي ﷺ كان بين أظهر أصحابه وهو عند ربه يطعمه ويسقيه فبدنه بينهم وروحه وقلبه عند ربه. وقال أبو الدرداء: إذا نام العبد عرج بروحه إلى تحت العرش فان كان طاهراً أذن له بالسجود، فان لم يكن طاهراً لم يؤذن له بالسجود، فهذه والله أعلم هي العلة التي أمر الجنب لأجلها أن يتوضأ إذا أراد النوم، وهذا الصعود إنما كان لتجرد الروح عن البدن بالنوم، فإذا تجردت بسبب آخر حصل لها من الترقي والصعود بحسب ذلك التجرد، وقد يقوى الحب بالمحب حتى لا يشاهد منه بين الناس إلا جسمه وروحه في موضع آخر عند محبوبه (**يمشون بالسكينة**) وهو السكون والاطمئنان (**ويتقربون بالوسيلة**).

قال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان بزيادة فيه، واللفظ من رواية حماد بن أبي حميد، عن مكحول، عن عياض بن سليمان، وكانت له صحبة. قال: قال رسول الله ﷺ: « خيار أمتي فيما أنبأني العلي الأعلى قوم يضحكون جهراً من سعة رحمة الله ويبكون سراً من خوف شدة عذاب ربهم. يذكرون ربهم في الغداة والعشي في البيوت الطيبة المساجد ويدعونه بألسنتهم رغباً ورهباً ويسألونه بأيديهم خفضاً ورفعاً يقبلون بقلوبهم عوداً وبدءاً فمؤونتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبون في الأرض حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا مرح ولا بذخ، يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة ويقرأون القرآن ويقربون القربان ويلبسون الخلقان من الله شهود حاضرة وعين حافظ يتوسمون العباد وينقلبون في البلاد. أرواحهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة ليس لهم هم إلا أمامهم. أعدوا الجهاز لقبورهم والجواز لسبيلهم والاستعداد لمقامهم، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ [إبراهيم: ١٤] » قال البيهقي: تفرد بهذا حماد بن أبي حميد وليس بالقوي عند أهل العلم، قال العراقي: ولم ينفرد به حماد كما قال البيهقي، بل روي أيضاً من رواية خالد بن المغيرة بن قيس، عن مكحول. رواه أبو نعيم في الحلية، وخالد بن المغيرة لم أر له ذكراً في مظان وجوده، وكذلك راويه عنه شيبان بن مهران والله أعلم اهـ.

أبوه والتواضع سربـاله. وقال بشر بن الحرث: من طلب الرئاسة بالعلم فتقرب إلى الله تعالى ببغضه فإنه ممقوت في السماء والأرض. ويروى في الإسرائيليات: أن حكيماً صنف ثلاثمائة وستين مصنفاً في الحكمة حتى وصـف بـالحكيم فـأوحـى الله تعـالى إلى نبيهـم: قـل لفلان قد ملأت الأرض بقاقاً ولم تردني من ذلك بشيء وإني لا أقبل من بقاقك شيئاً. فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الأسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم: قل له الآن وفقت لرضاي. وحكى الأوزاعي

قلت: أورده الحافظ السيوطي في الجامع الكبير، وعزاه لأبي نعيم والحاكم قال: وتعقب والبيهقي وضعفه وابن النجار كلهم عن عياض بن سليمان وكانت له صحبة. قال الذهبي: هذا حديث عجيب منكر وعياض لا يدري من هو. قال ابن النجار: ذكره أبو موسى المديني في الصحابة.
(**وقال الحسن**) البصري (**الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله**) هكذا أورده صاحب القوت بلفظ وكان الحسن يقول فساقه. والسربال: بالكسر القميص. أو كلما لبس.
(**وقال بشر بن الحرث**) الحافي (**من طلب الرئاسة بالعلم فتقرب إلى الله ببغضه فهو مقيت في السماء والأرض**). أورده صاحب القوت، ولفظه: «من العلماء» بدل «بالعلم» وفيه: فإنه مقيت فهو فهو. والمقيت الممقوت وهو المبغوض أشد البغض. وأخرج أبو نعيم من رواية محمد بـن السماك، عن سليمان، عن مالك بن دينار أنه قال: من طلب العلم للعمل وفقه الله تعالى، ومن طلب العلم لغير العمل يزداد بالعمل فخراً.

(**وروي في الاسرائيليات**) وفي القوت: وروينا في الاسرائيليات (**أن حكيماً من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصنفاً**) كذا في النسخ، ونص القوت: مصحفاً (**في الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لفلان: قد ملأت الأرض بقاقاً**) هو بقافين كسحاب كثرة الكلام، وقيل: الهذيان (**ولم تردني بشيء من ذلك**) أي لم ترد وجهي (**وإني لم أقبل من بقاقك شيئاً فندم الرجل وترك ذلك**). ونص القوت قال: فسقط في يديه وحزن فترك ذلك (**وخالط العامة**) من الناس، (**ومشى في الأسواق وواكَلَ بني إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم**) ونص القوت: إلى النبي عليه السلام (**قل له الآن**) ونص القوت: قل لفلان الآن (**وافقت رضاي**). وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي يوسف يزيد بن ميسرة فقال: حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا إسماعيل بن عياش عن سليمان بن سالم الكناني، عن يحيى بن جابر الطائي، عن يزيد ميسرة أن حكيماً من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصحفاً حكماً فبثها في الناس، فأوحى الله إليه إنك ملأت الأرض بقاقاً، وأن الله لم يقبل من بقاقك شيئاً.

(**وحكى الأوزاعي**) عبد الرحمن بن عمرو فقيه أهل الشام (**عن بلال بن سعد**) بن تميم الأشعري أو الكندي أبو عمرو، أو أبو زرعة الدمشقي ثقة فاضل مات في خلافة هشام (**أنه**

رحمه الله عن بلال بن سعد : أنه كان يقول: ينظر أحدكم إلى الشرطي فيستعيذ بالله منه ، وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوقين إلى الرئاسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطي. وروي أنه قيل: يا رسول الله أيّ الأعمال أفضل؟ قال: « اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله تعالى » قيل: فأيّ الأصحاب خير؟ قال ﷺ : « صاحب ان ذكرت الله أعانك وإن نسيته ذكرك » . قيل: فأيّ الأصحاب شر؟ قال ﷺ : « صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك » . قيل: فأيّ الناس أعلم؟ قال: « أشدهم لله خشية » . قيل: فاخبرنا بخيارنا نجالسهم. قال ﷺ : « الذين إذا رأوا ذكر الله »قيل: فأي الناس شر؟ قال: « اللهم غفراً » قالوا: أخبرنا يا رسول الله. قال: « العلماء إذا فسدوا » . وقال ﷺ : « إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة

كان يقول: ينظر أحدكم إلى الشرطي) قال في المصباح: الشرط على لفظ الجمع أعوان السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها للأعداء الواحد شرطة مثل غرفة وغرف، فإذا نسب إلى هذا قيل شرطي بالسكون رداً إلى الواحد **(فيستعيذ بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين)** أي المتكلفين في صنعهم **(إلى الخلق المتشوفين)** أي المتطلعين **(إلى الرئاسة فلا يمقته هذا أحق بالمقت من ذلك الشرطي)**. أورده صاحب القوت. ولفظه وكان الأوزاعي يروي عن بلال بن سعد أنه كان يقول: ينظر أحد إلى الشرطي والعون فيستعيذ بالله من حال ويمقته، وينظر إلى عالم الدنيا قد تصنع للخلق وتشوف للطمع والرئاسة فلا يمقته. هذا العالم أحق بالمقت من ذلك الشرطي.

(وروي أنه قيل يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ قال: « اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله تعالى » قيل: فأي الأصحاب خير؟ قال: « صاحب إن ذكرت أعانك وإن نسيت ذكرك » قيل: فأي الأصحاب شر » قال: « صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك » قيل: فأي الناس أعلم؟ قال: « أشدهم لله خشية » . قيل: فأخبرنا بخيارنا نجالسهم. قال: « الذين إذا رأوا ذكر الله تعالى » قالوا فأي الناس شر؟ قال: « اللهم غفرا » قالوا: أخبرنا يا رسول الله. قال: « العلماء إذا فسدوا ») .

قال العراقي: لم أجده هكذا مجموعاً بطوله وهو متلفق بعضه من أحاديث، فروينا في كتاب الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية محمد بن عدي، عن يونس، عن الحسن قال: سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: « أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله » وروي ذلك أيضاً من حديث عبدالله بن بسر المازني مرفوعاً أخرجه الديلمي في مسند الفردوس وإسناده جيد. وروي أيضاً من حديث معاذ بن جبل. وذكر المصنف في آداب الصحبة حديثاً متنه « إذا أراد بعبد خيراً جعل له أخاً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه » . وسيأتي ذلك في بابه. وروى الثعلبي بإسناده عن الشعبي إنما العالم من يخشى الله » . وروي البزار من رواية جعفر بن أبي المغيرة، عن

أكثرهم فكراً في الدنيا، وأكثر الناس ضحكاً في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا، وأشد الناس فرحاً في الآخرة أطولهم حزناً في الدنيا». وقال علي رضي الله عنه في خطبة له: ذمتي رهينة وأنا بهزعيم إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل، وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره، وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قمش علماً أغار به في أغباش الفتنة سماه أشباه له من الناس وارذالهم عالماً ولم يعش في

سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال، قال رجل يا رسول الله: من أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رأوا ذكر الله عز وجل». وروى البزار أيضاً من حديث معاذ قال: قلت يا رسول الله أي النـاس شر؟ فقال: «اللهم غفراً سل عن الخير ولا تسأل عن الشر شرار الناس شرار العلماء». وإسناده ضعيف. وروى الدارمي في مسنده من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلاً. وقد تقدم في الباب الثالث.

قلت: هذا الحديث بطوله أورده صاحب القوت، وإياه تبع المصنف ولفظه: وقد روينا حديثاً حسناً مقطوعاً عن سفيان، عن مالك بن مغول قال: قيل يا رسول الله فساقه وفيه: «وصاحب إن سكت» بدل «نسيت» والباقي سواء.

(وقال ﷺ: «إن أكثر الناس أماناً) وفي نسخة: أمناً **(يوم القيامة أكثرهم فكراً في الدنيا، وأكثر الناس ضحكاً في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس فرحاً في الآخرة أطولهم حزناً في الدنيا»)**. أورده صاحب القوت عن عامر بن عبدالله المقبري، وكان من أقران الحسن، سمعت مشيختنا فيما يروون عن نبينا ﷺ أنه كان يقول: «أصفى الناس إيماناً يوم القيامة أكثرهم فكرة في الدنيا وأكثر الناس ضحكاً في الجنة» والباقي سواء.

قال العراقي: لم أجد له أصلاً بجملته في الأحاديث المرفوعة، ولأول الجملة شاهد في صحيح ابن حبان من حديث أبي هريرة رفعه فيما يروى عن ربه جل وعلا «وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة» وللجملة الأخيرة من رواية مالك بن دينار قال: رأيت الحسن في منامي مشرق اللون، وفي آخره «أطول الناس حزناً في الدنيا أطولهم فرحاً في الآخرة» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الهم والحزن.

(وقال علي كرم الله وجهه في خطبته: ذمتي رهينة وأنا زعيم) هكذا في القوت. وفي رواية وأنا زعيم لمن صرحت له العبرات **(لا يهيج)** أي لا يذوي وييبس **(على التقوى زرع قوم ولا يظمأ)** أي لا يعطش **(على الهدى سنخ)** بكسر السين المهملة وسكون النون وآخره خاء معجمة هو الأصل **(أصل وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره)** هكذا في القوت، وزاد: وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره، وفي رواية أخرى بعد قوله سنخ أصل ألا. **(وأن أبغض الخلق إلى الله)** وفي أخرى: أبغض خلق الله إلى الله **(رجل قمش علماً)** التقميش جمع الشيء من هنا وهنا **(أغار في اغباش الفتنة)**. هكذا في القوت والأغباش جمع غبش وهي

العلم يوماً سالماً بكر فاستكثر فما قلّ منه وكفى خير مما كثر وألهى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلماً لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأي فهو من قطع الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب؟ ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم، تبكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملىء والله باصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما فوّض إليه. أولئك

الظلمة. وفي رواية غاراً في غباش الفتنة زاد في القوت عمي عما في غيب الهدنة، وفي رواية عمياً بما في غيب الهدنة، (**سماه أشباه الناس وأرذالهم عالماً**) وفي القوت ورذلاهم. وفي رواية سماه أشباهه من الناس عالماً (**ولم يعش**) كذا في النسخ، والصواب ولم يعن أي لم يهتم (**في العلم يوماً سالماً بكر**) أي غدا في تحصيله وفي بعض النسخ: تكثر وهو غلط (**فاستكثر**) أي أخذ بالكثرة (**فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى**) هكذا في النسخ، والرواية فما قل منه فهو خير مما كثر (**حتى إذا أرتوى من ماء آجن**) أي متغير شبه به العلم الذي لا ينتفع به (**وأكثر من غير طائل جلس**). وفي رواية قعد (**للناس مفتياً ليخلص**). كذا في النسخ والرواية لتخليص (**ما التبس على غيره**) أي اشتبه (**وإن نزلت به إحدى المهمات**). كذا في النسخ والرواية المبهمات أي المشكلات (**هيأ**) لها (**حشو الرأي من رأيه**). وفي رواية: هيأ حشواً من رأيه (**فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت**). أي: في غاية الضعف والوهي، وإذا أرادوا فساد أمر وعدم انتظامه شبهوه بحق الكهدل وهي العنكبوت. يقولون: هي أضعف من حق الكهدل. أي بيت العنكبوت (**لا يدري أخطأ أم أصاب**). وفي رواية: لا يعلم إذا أخطأ لأنه لا يعلم أخطأ أم أصاب (**ركاب جهالات خباط عشوات**). وفي بعض الروايات بالتقديم والتأخير أي كثير الركوب على متن عمياء وكثير الخبط للعشواء وكلاهما مثل (**لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم**) أي: لا يكل علم ما لا يعلمه إلى الله تعالى، فيسلم من الورطة استنكافا عن نسبة الجهل إليه فيقدم في جواب كل مسألة (**ولا يعض على**) وفي رواية: في (**العلم بضرس قاطع فيغنم**) أي: لم يأخذ من العلم بحظه الوافر واجتهاده القوي فينال غنيمة وزاد في رواية (**ذر الرواية ذر الريح الهشيم**) أي: ليس عنده إلا الرواية من غير العمل بما علمه فهو يذرها على الإسماع كما ذرت الريح العاصف اليابس من الكلأ. (**تبكي منه الدماء**) أي لأنه يفتي فيها بغير وجه شرعي بل بجهل منه (**وتستحل بقضائه**) أي بحكمه (**الفروج الحرام**) أي لجهله في مسائل النكاح. وفي رواية قبل هذه الجملة: وتصرخ منه المواريث (**لا ملىء والله باصدار ما ورد عليه**) وهو مثل في تنزيل الشيء غير موضعه وأنشدوا:

أوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا يا سعد تورد الإبل

(**ولا هو أهل لما فوض إليه**) وفي رواية: ولا أهل لما فرط به زاد في القوت. (**أولئك**

الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا. وقال علي رضي الله عنه: إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب. وقال بعض السلف: العالم إذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة. وقيل: إذا جمع المعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المتعلم. الصبر والتواضع وحسن الخُلُق، وإذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المعلم. العقل والأدب وحسن الفهم. وعلى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرئاسة. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتِى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها، وما ينبغي أن يقف عنده

الذين حلت عليهم) المثلات وحقت عليهم **(النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا)**. قال السيوطي في القسم الثاني من الجامع الكبير، رواه المعافى بن زكريا، ووكيع، وابن عساكر في التاريخ.

قلت: وأورده صاحب القوت فقال: وقد وصف علي كرم الله وجهه علماء الدنيا الناطقين عن الرأي والهوى بوصف غريب. رواه خالد بن طليق، عن أبيه عن جده، وجده عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: خطبنا علي رضي الله عنه فقال: فساقه.

(وقال علي رضي الله عنه: إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب). هكذا أورده صاحب القوت، وعزاه السيوطي في الجامع الكبير في القسم الثاني منه إلى عبدالله بن الإمام أحمد، والخطيب في الجامع الكبير ولفظه: تعلموا العلم فإذا علمتموه فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك وباطل فتمجه القلوب.

(وقال بعض السلف: من ضحك ضحكة مج من العلم مجة) هكذا أورده صاحب القوت، وأخرجه أبو نعيم من قول علي رضي الله عنه: **(وإذا جمع المعلم ثلاثاً)** أي ثلاثة أوصاف فقد **(تمت النعمة بها)** وفي نسخة: به **(على المتعلم الصبر)** على تعليمه **(والتواضع)** لمن يتعلم **(وحسن الخلق)** معه، **(وإذا جمع المتعلم ثلاثاً)** فقد **(تمت النعمة بها)** وفي نسخة: به **(على المعلم العقل)** الكامل لما يتعلمه **(والأدب)** مع علمه **(وحسن الفهم)** لما يتلقاه. هكذا أورده صاحب القوت، **(وعلى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة)** أي: عن العمل بها **(لأنهم يتعلمون القرآن للعمل)** بما فيه **(لا للرئاسة) والإفتخار والمباهاة.**

(وقال ابن عمر رضي الله عنهما: عشنا برهة) أي زماناً **(من الدهر وأن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة فيعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يتوقف عنده منها، ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين**

منها، ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره، وما ينبغي أن يقف عنده ينثره نثر الدقل. وفي خبر آخر بمثل معناه: كنا أصحاب رسول الله ﷺ أوتينا الإيمان قبل القرآن، وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن اقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا؟ فذلك حظهم. وفي لفظ آخر: أولئك

فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده وينشره نشر الدقل). هكذا أورده صاحب القوت ولفظه: وروينا عن ابن عمر وغيره: لقد عشنا برهة من دهرنا وفيه: فيتعلم بدل فيعلم، وفيه بعد قوله: يتوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن والباقي سواء.

قال العراقي: أخرجه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك من رواية قاسم بن عوف الشيباني قال: سمعت ابن عمر يقول فساقه كسياق القوت، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه اهـ.

قلت: وأخرج ابن جرير في تفسيره عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ ذكر «أن في أمته قوماً يقـرأون القرآن ينشرونه نشر الدقل يتأولونه على غير تأويله ولا يجاوز تراقيهم تسبق قراءتهم إيمانهم» والدقل: محركة أردأ التمر. وقال السرقسطي: هو تمر الروم. **(وفي خبر آخر بمثل معناه)** ونص القوت بمعناه: **(كنا أصحاب رسول الله ﷺ اوتينا الإيمان قبل الفرآن، وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان ويقيمون حروفه ويضيعون حدوده ويقولون: قرأنا القرآن فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم)** منه. **(وفي لفظ آخر: أولئك شرار هذه الأمة)**. هكذا أورده صاحب القوت بعد إيراده حديث جندب البجلي.

وقال العراقي روي ذلك من حديث جندب بن عبدالله البجلي. رواه ابن ماجه مختصراً مقتصراً على القدر المرفوع منه من رواية أبي عمران الجوني عن جندب قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان خزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً وإسناده صحيح فزاد الطبراني فيه: وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان وهو صحيح أيضاً. وروى مسلم وابن ماجة من رواية عبدالله بـن الصامت عن أبي ذر ورافع بن عمر والغفاري مرفوعاً «إن بعدي من أمتي يقـرأون القرآن لا يجاوز حلاقيمهـم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه هم شر الخلق والخليقـة». وروى البيهقي في سننه في أبواب الإمامة من حديث حذيفة نحو حديث جندب اهـ.

وأورد صاحب القوت حديث جندب المتقدم، ثم قال: وعن ابن مسعود قال: «أنزل القرآن

شرار هذه الأمة. وقيل: خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل: الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد، فأما الخشية فمن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وأما الخشوع فمن قوله تعالى: ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وأما التواضع فمن قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وأما الزهد فمن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [القصص: ٨٠] ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فقيل له: ما هذا الشرح؟ فقال: «إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح» قيل: فهل لذلك من علامة؟ قال ﷺ: «نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله».

ليعمل به فاتخذتم دراسته عملاً. وسيأتي قوم يثقفونه تثقيف الغناء ليسوا بخياركم» وفي لفظ آخر «يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه، وهذا قد تقدم للمصنف.

(**وقيل: خمس من الأخلاق هن من علامات علماء الآخرة مفهومة من**) سياق (**خمس آيات**) ونص القوت: لا بد للعالم بالله تعالى من خمس هن علامة علماء الآخرة (**الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد وهو الأصل**) الأكبر الذي تتفرع منه الأخلاق الطيبة، (**أما الخشية فمن قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨]. أي العلماء بالله هم الذين يخشون الله حق خشيته فهي مقصورة عليهم**، (**وأما الخشوع فمن قوله تعالى: ﴿خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً﴾ [آل عمران: ١٩٩] وأما التواضع فمن قوله: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين**) وقل إني أنا النذير المبين﴾ [الحجر: ٨٨] أي. تواضع لهم وهذا مما أمر به ﷺ فما كان له فلورثته من بعده، (**وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم**) [آل عمران: ١٥٩] ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ فهو دال على لين جانبه ﷺ وهو ينشأ من حسن الخلق، (**وأما الزهد**) في الدنيا (**فمن قوله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ [القصص: ٨٠] فمن وجد فيه هذه الأخلاق فهو من العالمين بالله عز وجل. هكذا أورده صاحب القوت والمصنف أخذه بالمعنى بتغيير يسير**، (**ولما تلا رسول الله ﷺ**) قوله تعالى: (**﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ [الأنعام: ١٢٥] فقيل**) يا رسول الله: (**ما هذا الشرح؟ فقال: إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح. قيل: فهل لذلك من علامة؟ قال نعم التجافي**) أي التباعد (**عن دار الغرور والإنابة**) أي الرجوع (**إلى دار الخلود**

ومنها: أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر، فإن أصل الدين التوقي من الشر، ولذلك قيل:

عـرفـت الشر لا للشر لكـن لتـوقيـه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيـه

والاستعداد للموت قبل نزوله). أورده صاحب القوت هكذا. وزاد فذكر سببه الزهد في الدنيا والإقبال على خدمة المولى، فحسن التواضع والإصابة في العلم مواهب من الله عز وجل وأثرة يخص بها من يشاء.

وقال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك من رواية عدي بن الفضل عن عبد الرحمن بن عبدالله المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿فمن يرد الله﴾ الآية. فقال رسول الله ﷺ: «إن النور إذا دخل الصدر انفسح» فقيل يا رسول الله هل لذلك من علم يعرف؟ قال «نعم» فذكره قال: وقد سكت عليه الحاكم وهو ضعيف، ورواه البيهقي في الزهد من رواية عمرو بن مرة، عن عبدالله بـن الحرث، عن ابن مسعود. ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق قال: أخبرنا عبد الرحمن المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن أبي جعفر رجل من بني هاشم وليس بمحمد بن علي قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فذكر مثل رواية الحاكم إلا أنه قال قيل هل لذلك من آية يعرف بها؟ وقال: في آخره قبل الموت. وهذا مرسل ضعيف وهو الصواب في رواية هذا الحديث، وما قبله ضعيف كما بينه الدارقطني في العلل، وسئل عنه فقال يرويه عمرو بن مرة واختلف فيه عنه فرواه مالك بن مغول، عن عمرو بن مرة، عن عبيدة عن عبدالله قاله عبدالله بن محمد بن المغيرة تفرد بذلك. ورواه زيد بن أنيسة عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة عن عبدالله قاله أبو عبد الرحيم عن زيد، وخالفه يزيد بن سنان، فرواه عن زيد عن عمرو بـن مرة عن أبي عبيدة، عن عبدالله وكلها وهم. والصواب عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبدالله بن المسور مرسلاً عن النبي ﷺ كذلك قاله الثوري قال: وعبدالله بن المسور هذا متروك.

(ومنها): أي ومن علامات علماء الآخرة **(أن يكون أكثر بحثه)** وسؤاله وطلبه **(في علوم الأعمال)** أي العلوم المتعلقة بها أصلاً وفرعاً **(عما يفسد الأعمال)** ويصححها على قانون الشرع **(و)** عما **(يشوش القلوب)** ويزيلها عن مواضعها بطرق الخواطر **(و)** عما **(يهيج الوسواس)** الشيطاني فيها **(ويثير الشر)** ويحركه، **(فإن أصل الدين)** وأساسه **(التوقي)** أي التحفظ **(من الشر)**، فإن الخير كل أحد يسأل عنه ويطلبه. وسيأتي من قول حذيفة ما يؤكده، **(ولذلك قيل: عرفت الشر لا للشر * لكن لتوقيه)** أي عرفت الشر لأتجنبه وأتحفظ من سلوك منهاجه لا لأتلبس به. **(ومن لا يعرف الشر * من الناس يقع فيه)** أي من لا يعرف الشر الحاصل من اختلاط الناس، فيوشك أن يقع فيه ولا يدري، ولا يمكنه التخلص منه لعدم معرفته بأصله، **(ولأن الأعمال الفعلية)** أي التي متعلقها الأفعال **(قريبة)**

ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان، وإنما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه، وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة، وأما علماء الدنيا فإنهم يتبعون غرائب التفريعات في الحكومة والأقضية ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع أبداً، وإن وقعت فإنما تقع لغيرهم لا لهم، وإذا وقعت كان في القائمين بها كثرة، ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهمّ نفسه اللازم بمهم غيره النادر إيثاراً للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله

المأخذ **(وأقصاها المواظبة)** أي المداولة **(على ذكر الله تعالى)** لما تقدم أنه ﷺ سئل عن أفضل الأعمال فقال: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله» وذكر الله تعالى إما **(بالقلب و)** إما **(باللسان)** وكل منهما مطلوب وأحدهما أفضل من الآخر، فاما ذكر اللسان فله آداب وشروط مذكورة في رسائل السادة الصوفية، وأما ذكر القلب فاختصت به السادة النقشبندية. وكان شيخ المصنف أبو علي الروذباري أحد أركان هذه الطريقة وله آداب تختص به وشروط غريبة يقطع بها السالك سفر سنين في ليلة واحدة، والحاصل أن هذه الأعمال أمرها سهل والسالكون يتلقون ذلك من أفواه شيوخهم، **(وإنما الشأن)** كل الشأن **(في معرفة ما يفسدها ويشوشها)** وهو أهم ما يكون عند أهل المعرفة في الطريق ويشيرون إلى ذلك في نبذ من الكلام ولا يحوم حوله إلا الإفراد، **(وهذا)** الذي أشرنا إليه **(مما يكثر شعبه ويطول تفريعه)** لأنه يستدعي إلى ذكر مقدمات وإبراز فصول مهمات، **(وكل ذلك مما يغلب)** ويكثر **(مسيس الحاجة إليه ويعم البلوى في سلوك طريق الآخرة)** إذ هو حقيقة العلم النافع المقرب إلى ربه لا يعتني به إلا علماء الآخرة، **(وأما علماء الدنيا فإنهم)** لا يحومون حوله إنما **(يتبعون غرائب التفريعات)** ونوادرها **(في)** مسائل **(الحكومات والأقضية)** ويحفظونها في صدورهم للإفتاء بها **(ويتعبون)** بسهر الليالي وإيداع البصر والفكر **(في وضع صور)** مجهولة الأثر **(تنقضي الدهور)** وتمضي الأعصار **(ولا تقع)** منها واحدة، **(وإن وقعت)** فرضاً **(وإنما تقع لغيرهم)** في عصر آخر **(لا لهم)** فقد بذلوا نفيس أعمارهم مجاناً لعمارة الغير إنما مثلهم مثل الذي يثرد ويأكله الغير ومن يبني بيتاً فيسكنه الغير ويتمتع به وخرج بنفسه صَفر اليدين فيا لضلالة سعي هؤلاء، **(وإذا وقعت)** تقديراً **(كان في القائمين بها كثرة)** وبركة **(و)** من العجب أنهم **(يتركون ما يلزمهم)** لزوماً كلياً **(ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار في خواطرهم)** وهواجسهم **(ووساوسهم وأعمالهم)** في حركاتهم وسكناتهم، **(وما أبعد عن السعادة)** الأبدية **(من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر)** كلا تلك صفقة غير رابحة ونتيجة غير صالحة إنما هو **(إيثار للقبول)** لدى العامة **(والتقرب من**

سبحانه وشرها في أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلاً محققاً عالماً بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق، بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلساً متحسراً على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين. ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاماً

الخلق) بصفة ذلك **(على القرب من الله تعالى وشرها)** أي طمعاً **(في أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلاً محققاً)** للعلوم العقلية **(عالماً بالدقائق)** من العبارات والمسائل **(وجزاؤه من الله تعالى أن لا ينتفع في الدنيا)** بعلمه ولا يمتع **(بقبول الخلق)** الذي جعله نصب عينه، **(بل يتكدر عليه صفوه)** وأنسه **(بنوائب الزمان)** ومكدراته وشدائده بتسليط من يعينه في أموره عليه أحياناً وتنغيص عيشه بعدم وجدان مطلوبه أحياناً، فإن الذي يرجو القبول معه إما صاحب جاه أو صاحب مال، وصاحب الجاه لا يمكن استعارة جاهه في كل الأمور، وصاحب المال إما أن يفيده أو يمنعه، فإن أفاده مرة تطلعت نفسه لمثلها وصارت عادة ثابتة ولا يمكنه بذل ماله له في كل مرة لأن المال حبيب نفسه فينغص عليه بالعداوة وإن منعه فهو مبغوض عنده على كل حال، وبالجملة فالمراعي لهم أحواله لا تخلص من أنواع الأكدار **(فيرد القيامة)** مع من ورد **(مفلساً)** من الأعمال الصالحة. يقال: أفلس الرجل إذا عدم فلوسه **(فيتحسر)** غاية التحسر ويندم غاية التندم **(على ما يشاهده من ربح)** العلماء **(العاملين)** لله تعالى **(و)** من **(فوز المقربين)** لديه في أصحاب اليمين **(وذلك)** في الحقيقة **(هو الخسران المبين)**.

وقد انتزع المصنف رحمه الله تعالى هذه العبارة من القوت ورواها بالمعنى وسياق القوت أتم وأجلى فلا بأس أن نلم بذكره ليكشف ما عسى التبس في سياق المصنف ويزيده وضوحاً قال: واعلم أنه إنما يستبين العالم عند المشكلات في الدين ويحتاج إليه العارف عند حك الشبهات في الصدر، وقد حصلنا في زماننا هذا لو وردت في معاني التوحيد مشكلة واختجلت في صدر مؤمن من معاني صفات الوحدة، وأردت كشف ذلك على حقيقة الأمر مما يشهده القلب الموقن ويثلج له الصدر المشروح بالهدى، لكان ذلك عزيزاً في وقتك هذا، ولكنت في استكشاف ذلك بين خمسة نفر: مبتدع ضال يخبرك برأيه عن هواه فيزيدك حيرة، أو متكلم يفتيك بقياس معقوله على ظاهر الدين، أو صوفي شاطح يجيبك بالحدس والتخمين ويسقط العلم والأحكام ويذهب الأسماء والرسوم، وهؤلاء تائهون ليسوا على المحجة، أو مفت عالم عند نفسه مرسوم بالفقه عند أصحابه يقول لك هذا من أحكام الآخرة ومن علم الغيب لا نتكلم فيه لأنا لم نكلفه، وهو في أكثر مناظرته يتكلم فيما لم يكلف، ويجادل فيما لم ينطق فيه السلف، ويتعلم ويعلم ما علمه بتكلف، ولا يعلم المسكين أنه كلف علم يقين الإيمان وحقيقة التوحيد ومعرفة إخلاص المعاملة وعلم ما يقدح في الإخلاص ويخرج من جملته قبل ما هو فيه، وأنه متكلف لبعض ما هو يبتغيه لأن علم الإيمان وصحة التوحيد وإخلاص العبودية للربوبية وإخلاص الأعمال من الهوى الدنيوية، وما تعلق بها من أعمال

بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأقربهم هدياً من الصحابة رضي الله عنهم.

القلب من الفقه في الدين ونعت أوصاف المؤمنين، ولا يشعر أن حسن الأدب في المعاملة بمعرفة ويقين هو من صفات الموقنين، وذلك هو حال العبد من مقامه بينه وبين ربه عز وجل ونصيبه من ربه وحظه من مزيد آخرته، وهو معقود بشهادة التوحيد الخالصة المقترنة بالإيمان من خفايا الشرك وشعب النفاق بالفرائض وفرض فرضها الإخلاص بالمعاملة، وإن علم ما سوى هذا مما قد أشرب قلبه وحبب إليه من فضول العلوم وغرائب الفهوم، إنما هو حوائج الناس ونوازلهم فهو حجاب عن هذا واشتغال عنه، فآثر هذا الغافل بقلة معرفة بحقيقة العلم النافع ما زين له طلبه وحبب إليه قصده آثر حوائج الناس وأحوالهم على حاجته وحاله، وعمل في أنصبتهم منه في عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم ولم يعمل في نصيبه الأوفر من ربه عز وجل لأجل آخرته التي هي خير وأبقى. إذ مرجعه إليها ومثواه المؤبد فيها فآثر التقرب منهم على القرب من ربه عز وجل، وترك للشغل بهم حظه من الله تعالى الأجزل، وقدم التفرغ لهم على فراغ قلبه لما قدم لغده من تقواه بالشغل لخدمة مولاه وطلب رضاه، واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه وظواهر أحوالهم عن باطن حاله، وكان سبب ما بلي به حب الرئاسة وطلب الجاه عند الناس، والمنزلة بوجوب السياسة، والرغبة في عاجل الدنيا وغيرها بقلة الهمة وضعف النية في آجل الآخرة وذخرها، فأفنى أيامه لأيامهم، واذهب عمره في شهواتهم ليسميه الجاهلون بالعلم عالماً، وليكون في قلوب الطالبين عندهم فاضلاً، فورد القيامة مفلساً، وعندما يراه من أنصبة المقربين مبلساً إذ فاز بالقرب العاملون وربح بالرضا العاملون، ولكن أنى له وكيف بنصيب غيره، وقد جعل الله تعالى لكل عمل عاملاً ولكل علم عالماً أولئك ينالهم نصيبهم من الكتب كل ميسر لما خلق له هذا فصل الخطاب، والرجل الخامس من العلماء هو صاحب حديث وآثار ونوافل ورواية الأخبار يقول لك إذا سألته: اعتقد التسليم وأمر الحديث كما جاء ولا تفتش، وهذا يتلو المفتي في السلامة وهو أحسنهم طريقة وأشبههم بسلف العامة خليقة، ليس عنده شهادة يقين ولا معرفة بحقيقة ما رواه، ولا هو شاهد واصف لمعنى ما نقله إنما هو للعلم راوية، وللخبر والأثر ناقلة، فهو على بينة من ربه وليس يتلوه شاهد منه اهـ.

(ولقد كان الحسن) هو ابن أبي الحسن واسمه يسار **(البصري)** أبو سعيد **(رحمه الله تعالى)** مولى الأنصار وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر فيذكرون أن أمه كانت ربما غابت فيبكي فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها فشربه، فلذا كان **(أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء)** في الحكمة والفصاحة، ويروى أن ذلك من بركة تلك الشربة. ونشأ الحسن بوادي القرى ورأى علياً وطلحة وعائشة ولا يصح له سماع من أحد منهم، **(و)** كان **(أقربهم هدياً من الصحابة)** يروى أن أم سلمة كانت تخرجه إلى أصحاب رسول الله ﷺ وهو صغير، وكانوا يدعون له فأخرجته إلى عمر فدعا له، فقال: اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس. **(اتفقت الكلمة في حقه على ذلك)**

اتفقت الكلمة في حقه على ذلك، وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس. وقد قيل له: يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته؟ قال: من حذيفة بن اليمان. وقيل لحذيفة: نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين

فقال بلال بن أبي بردة: سمعت أبي يقول: والله لقد أدركت أصحاب محمد ﷺ فما رأيت أحداً أشبه بأصحاب محمد من هذا الشيخ يعني الحسن، وعن أبي قتادة ألزموه فما رأيت أحداً أشبه رأياً بعمر بن الخطاب منه، وسئل أنس بن مالك عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن، وهذا قد تقدم للمصنف، وعن العوام بن حوشب ما أشبه الحسن إلا بنبي أقام في قومه ستين عاماً يدعوهم الى الله عز وجل. قال ابن سعد، قالوا: كان الحسن جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً. **(وكان)** الحسن أحد المذكرين، وكانت مجالسه مجالس الذكر يخلو فيها مع أصحابه وأتباعه من النساء والعباد في بيته مثل مالك بن دينار، وثابت البناني، وأيوب السختياني، ومحمد بن واسع، وفرقد السبخي، وعبد الواحد بن زيد فيقول: هاتوا انشروا النور فيتكلم عليهم، وكان **(أكثر كلامه)** في هذه المجالس والخلوات **(في)** علم اليقين والقدرة وفي **(خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس و)** في **(الصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس)**، فربما قنع بعض أصحاب الحديث رأسه فاختفى من ورائهم ليسمع ذلك. فإذا رآه الحسن قال له: يا لكع وأنت ما تصنع ههنا؟ إنما خلونا مع أصحابنا نتذاكر.

قال صاحب القوت: والحسن رحمه الله تعالى إمامنا في هذا العلم الذي نتكلم به، أثره نقفو وسبيله نتبع ومن مشكاته نستضيء. أخذنا ذلك بإذن الله تعالى إماماً عن إمام إلى أن ينتهي ذلك إليه، وكان من خيار التابعين بإحسان، قيل: ما زال يعي الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها، ولقد لقي سبعين بدرياً ولقي ثلاثمائة صحابي، وكانوا يقولون: كنا نشبهه بهدى إبراهيم الخليل صلوات الله عليه في حلمه وخشوعه وشمائله **(و)** كان أول من أنهج سبيل هذا العلم وفتق الألسنة به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف به قناعه، وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من أخوانه، فـ **(قيل له يا أبا سعيد: إنك تتكلم)** في هذا الفن **(بكلام لا يسمع من)** أحد **(غيرك)** من أقرانك **(فمن أين أخذته)**، ونص القوت: فممن أخذت هذا؟ **(فقال: من حذيفة بن اليمان)** بن جابر بن ربيعة بن عمرو، ويقال: حذيفة بن حسيل بن جابر بن أسيد بن عمرو العبسي. أبو عبدالله حليف بني عبد الأشهل، واليمان لقب جده جروة لأنه أصاب دماً في الجاهلية فهرب إلى المدينة وحالف الأنصار، وقيل: هو لقب والده حسيل توفي سنة ست وثلاثين قبل قتل عثمان بأربعين ليلة. **(وقيل)** قالوا **(لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة)** رضوان الله عليهم **(فمن أين)** ونص القوت: فممن:

أخذته؟ قال: خصني به رسول الله ﷺ، كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه. وقال مرة: فعلمت أن من

(أخذته؟ فقال: خصني به رسول الله ﷺ. كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه). رواه البخاري ومسلم هكذا مختصراً. وفي آخره زيادة من رواية أبي إدريس الخلافي أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال «نعم» وفيه دخن الحديث بطوله قاله العراقي.

قلت: أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن جابر، حدثني بسر بن عبيدالله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت حذيفة يقول فساقه بطوله. **(وعلمت أن الخير لا يسبقني)** هكذا هو في القوت.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية أبي داود الطيالسي قال: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثني حميد بن هلال، حدثنا نصر بن عاصم الليثي قال: أتيت اليشكري في رهط من بني ليث فقال: قدمت الكوفة فدخلت المسجد، فإذا فيه حلقة كإنما قطعت رؤوسهم يستمعون إلى حديث رجل فقمت عليهم، فقلت: من هذا؟ فقيل: حذيفة بن اليمان، فدنوت منه فسمعته يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، فعرفت أن الخير لم يسبقني، ثم ساق الحديث بطوله قال أبو نعيم: ورواه قتادة عن نصر بن عاصم، وسمي اليشكري خالداً اهـ.

وقال العراقي: ورواه أبو داود من رواية سبيع بن خالد قال: أتيت الكوفة زمن فتحت تستر الحديث، وفيه بعد ذكر الشر الأول.

قلت: فما العصمة من ذلك؟ فساقه إلى آخره وسمي التابعي في رواية أخرى خالد بن خالد اليشكري، وروى مسلم من رواية أبي سلام قال: قال حذيفة قلت يا رسول الله: إنا كنا بشرّ فجاء الله بخير فنحن فيه فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال «نعم» قلت: كيف؟ قال: «تكون بعدي أئمة» الحديث بطوله.

وروى البخاري من رواية قيس بن أبي حازم عن حذيفة قال: تعلم أصحابي الخير وتعلمت الشر اهـ.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية خلاد بن عبد الرحمن أن أبا الطفيل حدثه أنه سمع حذيفة يقول: يا أيها الناس ألا تسألون فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، أفلا تسألوني عن ميت الأحياء فساق الحديث بطوله.

(وقال مرة: فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير). هكذا أورده صاحب

لا يعرف الشر لا يعرف الخير ، وفي لفظ آخر : كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا ؟ يسألونه عن فضائل الأعمال ، وكنت أقول يا رسول الله : ما يفسد كذا وكذا ؟ فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم . وكان حذيفة رضي الله عنه أيضاً قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن ، فكان عمر

القوت ، وأخرج ابن عساكر في تاريخه من رواية أبي البحتري قال حذيفة : لو حدثتكم بحديث لكذبني ثلاثة أثلاثكم إن أصحاب محمد ﷺ كانوا يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر ، فقيل له : ما حملك على ذلك ؟ قال : إن من اعترف بالشر وقع في الخير ، وأخرج ابن ماجه في الزهد ، وابن عساكر في التاريخ عن حذيفة قال : كنتم تسألونه عن الرخاء وكنت أسأله عن الشدة لأتقيها . قال الدارقطني في الإفراد : تفرد به عيسى الحناط عن الشعبي عن حذيفة ، وتفرّد به عبدالله بن سيف عنه . وأخرج ابن أبي شيبة في مسنده ، ونعيم بن حماد في الفتن عن حذيفة قال : هذه فتن قد أطلت جباه البقر يهلك فيها أكثر الناس إلا من كان يعرفها قبل ذلك . **(وفي لفظ آخر : كان الناس يقولون يا رسول الله : ما لمن يعمل كذا وكذا يسألونه عن الأعمال وفضائل الأعمال ، وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا ، فلما رآني أسأل عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم)** ، هكذا أورده صاحب القوت ، ولم أر هذا السياق عند غيره ، **(وكان حذيفة رضي الله عنه أيضاً قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن)** .

ونص القوت : وكان حذيفة قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وسرائر العلم ودقائق الفهم وخفايا اليقين من بين الصحابة ، فإن كان لفظ الفتن في سياق المصنف تصحيفاً من الكاتب لمناسبة اليقين بالمقام ، أو قصد بذلك المصنف وهو صحيح أيضاً ، فإنه كان أعطي علم الفتن كلها كما أعطي علم اليقين . روى مسلم من رواية قيس بن أبي حازم عن عمار : أخبرني حذيفة قال : قال النبي ﷺ : « في أصحابي اثنا عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » . وروى البخاري من رواية زيد بن وهب ، عن حذيفة قال : « ما بقي من أصحاب هذه الأمة ولا من المنافقين إلا أربعة » . الحديث . وروى أبو داود من رواية قبيصة بن ذؤيب عن أبيه قال ، قال حذيفة : ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته . وروى مسلم من رواية أبي ادريس الخولاني كان يقول : قال حذيفة : والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة . وروى البخاري ، ومسلم ، وأبو داود من رواية شقيق عن حذيفة قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك فيه شيئاً يكون في مقامه إلى قيام الساعة إلا حدث حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء . الحديث قاله العراقي .

قلت : وأخرج الإمام في المسند ونعيم بن حماد في الفتن والروياني بسند حسن عن حذيفة قال :

وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة، وكان يُسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم، وكان عمر رضي الله عنه

أنا أعلم الناس بكل فتنة هي كائنة إلى يوم القيامة وما لي أن يكون رسول الله ﷺ أسر إليّ في ذلك شيئاً لم يحدث به غيري، ولكن رسول الله ﷺ حدّث مجلساً أنبأهم فيه عن الفتن منها صغار ومنها كبار، فذهب أولئك الرهط كلهم غيري. وأخرج الدارقطني من رواية هبيرة قال: شهدت علياً وسئل عن حذيفة قال: سأل عن أسماء المنافقين فأخبر بهم، وأخرج الطبراني في الكبير من رواية صلة بن زفرة قال: قلنا لحذيفة كيف عرفت أمر المنافقين ولم يعرفه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر. قال: إني كنت أسير خلف رسول الله ﷺ فنام على راحلته فسمعت ناساً منهم يقولون لو طرحناه عن راحلته فاندقت عنقه فاسترحنا منه، فسرت بينهم وبينه وجعلت أقرأ وأرفع صوتي فانتبه النبي ﷺ فقال: من هذا؟ قلت: حذيفة. قال: من هؤلاء؟ قلت: فلان وفلان حتى عددتهم. قال: وسمعت ما قالوا؟ قلت: نعم ولذلك سرت بينك وبينهم، فقال: أما أنهم منافقون فلان وفلان لا تخبرن أحداً.

قلت: وعن نافع بن جبير قال: لم يخبر رسول الله ﷺ بأسماء المنافقين الذين نخسوا به ليلة العقبة بتبوك غير حذيفة وهم اثنا عشر رجلاً ليس منهم قريشي، وكلهم من الأنصار أو من حلفائهم، وقد ذكرهم الزبير بن بكار في كتاب النسب فقال: مغيب بن قشير بن مليل وهو الذي قال: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا، ووديعة بن ثابت وهو الذي قال إنما كنا نخوض ونلعب، وجد بن عبدالله بن نبتل، والحرث بن يزيد الطائي، وهو الذي سبق الوشل بتبوك، وأوس بن قبطي وهو الذي قال: إن بيوتنا عورة، والجلاس بن سويد بن الصامت قال، وبلغنا أنه تاب بعد ذلك، وسعد بن زرارة وكان أصغرهم سناً وأخبثهم، وقيس بن فهد، وسويد وداعس، وقيس بن عمرو بن سهل، وزيد بن اللصيت، وكان من يهود قينقاع، وسلالة ابن الحمام. (**فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة**)، ويرجعون إليه في العلم الذي خص به، فروى الأئمة الستة خلا أبا داود من رواية شقيق عن حذيفة قال: كنا عند عمر فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا الحديث قاله العراقي.

وأخرج أبو نعيم من رواية ربعي بن خراش، عن حذيفة أنه قدم من عند عمر فقال: لما جلسنا إليه سأل أصحاب محمد ﷺ أيكم سمع قول رسول الله ﷺ في الفتن التي تموج موج البحر؟ فاسكت القوم وظننت أنه إياي يريد. قال فقلت: أنا. قال: أنت لله أبوك. قلت: تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير فساق الحديث. وفي آخره: وحدثته أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك ان يكسر كسراً، فقال عمر: كسراً لا أبا لك، قال الدارقطني في الافراد: غريب من حديث الشعبي عن ربعي تفرّد به مجالد عنه. (**وكان يسئل عن المنافقين فيخبر بأعداد**

يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئاً من النفاق؟ فبرأه من ذلك، وكان عمر رضي الله عنه إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر، فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلاَّ ترك، وكان يسمى صاحب السر. فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى، وقد صار هذا الفن غريباً مندرساً وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل: هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق؟ ويرون أن التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال:

من بقي ولا يخبر بأسمائهم)، ولفظ القوت: ويسألونه عن المنافقين وهل بقي من ذكر الله سبحانه وأخبر عنهم أحد، فكان يخبر بأعدادهم ولا يذكر أسماءهم اهـ.

وذلك لما سبق في حديث الطبراني لا تخبرن أحداً. **(وكان عمر رضي الله عنه يسأله)** ونص القوت: يستكشفه **(عن نفسه هل يعلم فيه شيئاً من النفاق فيبرئه من ذلك)**، ثم يسأله عن علامات النفاق وآية المنافق، فيخبر من ذلك بما يصلح مما أذن له فيه، ويستعفي عما لا يجوز أن يخبر به فيعذر في ذلك، **(وكان عمر رضي الله عنه إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر فإن رأى حذيفة صلى عليها وإلا تركها)**. هكذا أورده صاحب القوت إلا أن فيه فإن حضر حذيفة وفيه: وإن لم ير حذيفة لم يصل عليها.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن حذيفة قال: مر بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال لي يا حذيفة: إن فلاناً قد مات فاشهده ثم مضى، حتى إذا كاد أن يخرج إلى المسجد التفت إليّ فرآني وأنا جالس فعرف فرجع، فقال يا حذيفة: أنشدك الله أمن القوم أنا؟ قلت: اللهم لا، ولن أبرىء أحداً بعدك، فرأيت عيني عمر جادتا. **(وكان)** حذيفة **(يسمى صاحب السر)**. كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سئلوا عن علم يقول أحدهم: تسألوني عن هذا وصاحب السر فيكم يعني حذيفة. كذا في القوت. وروى البخاري: إن أبا الدرداء قال لعلقمة: أليس فيكم أو منكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره يعني حذيفة، **(فالعناية)** أي صرف الهمة **(بمقامات القلب وأحواله)** التي تعرضه **(هو دأب علماء الآخرة)** وطريقتهم، **(لأن القلب هو الساعي إلى قرب الرب عز وجل)**، والبدن مطيته كما سبق ذلك للمصنف أولاً. **(و)** لعمري **(قد صار هذا الفن غريباً)** وطلابه غرباء **(مندرساً)** عفت آثاره وطمست، **(وإذا تعرض العالم لشيء منه)** يحصله لنفسه **(استبعد واستغرب)** أي عد بعيد عن الأفهام وطالبه غريباً **(وقيل له: هذا تزويق المذكرين)** أي الوعاظين والقصاص، **(فأين التحقيق في دقائق المجادلات)** ورقائق المخاصمات؟ **(ولقد صدق القائل)** هو عبد الواحد بن زيد. قال صاحب القوت: وقد قال عبد الواحد بن زيد إمام الزاهدين كلاماً في هذا المعنى يفرد العلماء بالله تعالى ويرفع طريقهم فوق كل طريق أنشدونا عنه:

(الطرق شتى وطرق الحق مفردة ... والسالكون طريق الحق أفرادُ

الطرق شتى وطرق الحق مفـردة   والسالكون طريـق الحق أفـرادُ
لا يعرفون ولا تدري مقاصدهم   فهـم على مهـل يمشـون قصّـادُ
والناس في غفلـة عما يُـراد بهم   فجلُّهم عـن سبيـل الحق رقـادُ

وعلى الجملة، فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم، فإن الحق مرّ والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر، ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة، فإن ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء، وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت، ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل: إنه كان في البصرة مائة وعشرون متكلماً في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة: منهم سهل التستري،

لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهـم   فهـم على مهـل يمشـون قصـادُ

ونص القوت: « ولا تسلك » بدل « تدرى »

والنـاس في غفلـة عما يـراد بهم   فجلهم عـن سبيـل الحق رقـادُ)

وإلى البيت الأخير أشار الطغرائي في لاميته:

قد رشحوك لأمـر لـو فطنـت لـه   فاربأ بنفسك أن ترعـى مـع الهمـل

(**وعلى الجملة؛ فلا يميل أكثر الخلق**) في تحصيلاتهم (**إلا إلى الأسهل والأرفق**) والأوفق (**إلى طباعهـم**)، وهم إذا منعوا مما هم فيه لأبوا قبوله، (**فإن الحق مرّ**) الطعم (**والوقوف عليه صعب**) المرام (**وإدراكه شديد**) أي ينال بالشدة، (**وطريقه مستوعر**) لا سبيل إلى سلوكه لكل أحد وهي علوم الإيمان (**لا سيما معرفة صفات القلب**) الحميدة (**وتطهيره عن الأخلاق الذميمة**) حتى يستقر فيه نور الإيمان وضياء المعرفة، (**فإن ذلك نزوع للروح على الدوام**) وتنزل عن الفخر والاحتشام، (**وصاحبه ينزل منزلة شارب الدواء**) المر (**يصبر على مرارته**) ويعض على مثل الجمر من حرارته (**رجاء للشفاء**) من أمراضه الباطنة، (**وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه**) وينقطع عن لذائذ المأكولات (**فهو يقاسي الشدائد**) ويعاينها (**ليكون فطره عند الموت**) بتلقـي الملائكـة لـه إلى الجنـة، (**ومتى تكثر الرغبة في**) تحصيل (**هذه الطريق**) مع ما ذكر، (**ولذلك قيل**) ونص القوت: وقال بعض علمائنا: (**كان في البصرة مائة وعشرون متكلماً في الوعظ والتذكير**) ولفظ القوت: في الذكر والوعظ (**ولم يكن منهم من يتكلم في علم**) المعرفة و(**اليقين**) والمقامات، (**وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة**). ولفظ القوت: إلا ستة منهم أبو محمد (**سهل**)

والصبيحي، وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة، لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب.

ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره، وإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله، وإنما يقلد الصحابة رضي الله عنهم من حيث أن فعلهم

بن عبدالله التستري، **(والصبيحي)** بالضم منسوب إلى جده صبيح، **(وعبد الرحيم)** بن يحي الأسود، **(وكان يجلس إلى هؤلاء)** أي أهل الوعظ والتذكير **(الخلق الكثير الذي لا يحصى)**، ولفظ القوت: وكان يجتمع في مجالس القصاص والمذكرين والواعظين مئون من عهد الحسن إلى وقتنا هذا **(و)** يجلس **(إلى هؤلاء)** يعني أهل علم صفات القلب **(عدد يسير قلما يجاوز العشرة)**، فكان سهل يجلس عنده خمسة أو ستة إلى العشرة، وكان الجنيد يتكلم على بضع عشرة، وما تم أهل الجلسه عشرون ولم ير في مجالس أهل هذا العلم فيما سلف ثلاثون رجلاً ولا عشرون إلا نادراً غير لزام ولا دوام إنما كانوا بين الأربعة والعشرة بضعة عشر. وقال الأوزاعي: مات عطاء بن أبي رباح يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس، وما كان يشهد مجلسه إلا سبعة أو ثمانية. قال صاحب القوت: فهذا أيضاً من الفرق بينهما **(لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص)** من اختصهم الله لقربه **(وما يبذل للعموم فأمره قريب)** وفي القوت: إن العلم مخصوص لقليل، وإن القصص عام لكثير. وقال في موضع آخر. ولعمري إن المذاكرة بين النظراء والمحادثة بين الإخوان والجلوس للعلم يكون للإخوان، والجواب في المسائل نصيب العموم، وكان عند أهل هذا العلم أن علمهم مخصوص لا يصلح إلا للخصوص، والخصوص قليل فلم يكونوا ينطقون به إلا عند أهله، ويرون أن ذلك من حقه وأنه واجب عليه.

(ومنها): أي ومن العلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة **(أن يكون اعتماده في)** أخذ **(العلوم)** وتلقيها **(على بصيرته)** التي ترى حقائق الأشياء وبواطنها **(وإدراكه)** أي معرفته وتحققه **(بضياء قلبه)** المنور بنور القدس **(لا على الصحف)** جمع صحيفة **(والكتب)** جمع كتاب أي: لا يكون عمدة أخذه في العلوم من الأوراق المكتتبة، وإنما يكون اعتماده على ما أدركه بقوّة قلبه ونوره مما قبله بصفائه وظهر في مرآته، فإن هذا هو النافع له في علوم الأعمال الموصلة إلى درجات الآخرة، **(ولا)** يكون اعتماده أيضاً **(على تقليد ما يسمعه من غيره)** ويروونه، **(وإنما المقلد)** الذي أمرنا باتباعه **(صاحب الشرع صلوات الله عليه)** وسلامه لا غير **(فيما أمر به وقاله)** أي: في الأوامر والنواهي، **(وإنما يقلد الصحابة)** رضي الله عنهم **(من حيث أن فعلهم يدل على سماعهم عن النبي ﷺ)** أي تلقوا ذلك الفعل

يدل على سماعهم من رسول الله ﷺ، ثم إذا قلد صاحب الشرع ﷺ في تلقي أقواله وأفعاله بالقبول، فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أسراره، فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع ﷺ فعله، وفعله لا بدّ وأن يكون لسرّ فيه، فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالماً، ولذلك كان يقال: فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالماً إذا كان شأنه الحفظ من غير إطلاع على الحكم والأسرار. ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور

بمشاهدة منه ﷺ فهم وسائط في إيصال التلقي إلينا في المأمورات والمنهيات، (**ثم إذا قلّد صاحب الشرع**) ﷺ (**من تلقي أقواله وأفعاله بالقبول**) وأجمع نفسه على ذلك، فليبحث عن الأخبار الصحيحة الدالة على تلك الأقوال والأفعال من طرق صحيحة أمنت من الكذابين والوضاعين، ثم من معرفة الناسخ من ذلك من منسوخه؟ فإذا تمت له هذه النعمة، (**فينبغي أن يكون حريصاً**) متشوّفاً (**على فهم أسراره**) ولطائفه ونكاته ودقائقه، (**فإن المقلد**) بكسر اللام (**إنما يفعل الفعل لأن النبي ﷺ فعله**) وإنما ينتهي عن منهي لأنه ﷺ نهى عنه، (**وكلما كان الرسول ﷺ فعله لا بدّ أن يكون لسرّ فيه**) خفي عن المدرك، (**فينبغي أن يكون شديد البحث**) والتطلب (**عن أسرار الأعمال والاقوال**) ليكون أتباعه كاملاً ولتحصيل الأجور كافلاً (**فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال**) ويكتب في الصحف (**كان وعاء للعلم**) أي ظرفاً حافظاً له (**ولم يكن عالماً**) حقيقة، (**ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم ولا يسمى عالماً**). هذا قول الزهري كما سيأتي قريباً (**إذ كان من شأنه الحفظ**) والجمع فقط (**من غير إطلاع على الأسرار والحكم**). قال صاحب القوت: ولم يكن العالم عند العلماء من كان عالماً بعلم غيره ولا حافظاً لفقه سواه، هذا كان إسمه واعياً وراوية وناقلاً، وكان أبو حازم الزاهد يقول: ذهب العلماء وبقيت علوم في أوعية سوء، وكان الزهري يقول: كان فلان وعاء للعلم، وحدثني فلان وكان من أوعية العلم، ولا يقول: وكان عالماً، وكذلك جاء الخبر: رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وكانوا يقولون: حماد الراوية يعنون أنه كان راوياً اهـ.

قلت: أبو حازم هو سلمة بن دينار الأعرج من كبار التابعين أخرج أبو نعيم من رواية يحيى ابن عبد الملك بن أبي غنية قال: حدثنا زمعة بن صالح قال: قال الزهري لسليمان بن هشام: ألا تسأل أبا حازم ما قال في العلماء؟ قال: ما عسيت أن أقول في العلماء إلا خيراً إني أدركت العلماء، وقد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا، ولم يستغن أهل الدنيا بدنياهم عن علمهم، فلما رأى ذلك هذا وأصحابه تعلموا العلم فلم يستغنوا به واستغنى أهل الدنيا بدنياهم عن علمهم، فلما رأوا ذلك قذفوا بعلمهم إلى أهل الدنيا ولم ينلهم أهل الدنيا من دنياهم شيئاً. إن هذا وأصحابه ليسوا علماء إنما هم رواة. وأما قول الزهري فأخرج أبو نعيم أيضاً من رواية إبراهيم بن سعيد قال: سمعت

الهداية صار في نفسه متبوعاً مقلداً، فلا ينبغي أن يقلد غيره. ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله ﷺ. وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه، وقرأ على أبيّ بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعاً، وقال بعض السلف: ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس والعين، وما جاءنا

سفيان يقول: كنت أسمع الزهري يقول: حدثني فلان وكان من أوعية العلم ولا يقول كان عالماً.

(ومن) تأدب بآداب الله وخالط أهل المعرفة **(كشف عن قلبه الغطاء)** أي الحجاب **(واستنار بنور الهداية)** واليقن، و **(صار في نفسه متبوعاً مقلداً فلا ينبغي أن يقلد غيره)** لأن الفقيه في العلماء هو الفقيه بفقه علمه وقلبه لا بحديث سواه، ومثل العالم بعلم غيره مثل الواصف لأحوال الصالحين العارف بمقامات الصديقين ولا حال له ولا مقام، فليس يعود عليه من وصفه إلا الحجة بالعلم والكلام، وسبق العلماء بالله في المحجة بالأعمال والمقام، فمثله كما قال تعالى: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ [الأنبياء: ١٨] وكقوله: ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾ [البقرة: ٢٠] وإذا أظلم عليهم قاموا لا يرجع إلى بصيرة في طريقه بما اشتبه عليه من ظلمات الشبه مما اختلف العلماء فيه، ولا يتحقق بوجد منه يجده عن حال ألبسها بوجده، وإنما هو واجد بتواجد غيره فغيره هو الواجد وشاهد على شهادة سواه، فالسوي هو الشاهد، وقد كان الحسن يقول: إن الله لا يعبأ بصاحب رواية إنما يعبأ بذي فهم ودراية، وقال أيضاً: من لم يكن له عقل يسوسه لم ينفعه كثرة رواية الحديث، **(ولذلك قال ابن عباس)** رضي الله عنهما: **(ما من أحد إلا ويؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله ﷺ)** أورده صاحب القوت بلفظ: ليس أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك والباقي سواء.

وقال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من رواية مالك بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس رفعه فساقه بلفظ القوت وإسناده حسن.

(وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان الأنصاري النجاري أبو سعيد، ويقال أبو خارجة المدني أحد كتاب رسول الله ﷺ، قال الشعبي: وابن سيرين غلب زيد على اثنين الفرائض والقرآن، وكان من أصحاب الفتوى من الصحابة إليه انتهى علمهم. وقال سعيد بن المسيب: لما دلي زيد في قبره قال ابن عباس: من سره أن يعلم كيف ذهاب العلم فهكذا ذهاب العلم، والله لقد دفن اليوم علم كثير، ووفاته سنة خمس وأربعين وهو ابن ست وخمسين، وقيل: غير ذلك. **(وقرأ على أبيّ بن كعب)** القرآن هو أبي ابن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد الأنصاري النجاري المدني أبو المنذر، ويقال: أبو الطفيل سيّد الأقران واحد من جمع القرآن توفي في خلافة عثمان على الصحيح، **(ثم خالفهما)** فخالف زيداً **(في الفقه)** أي أفتى في بعض المسائل بخلاف ما أفتى به زيد، **(و)** خالف أبياً **(في القراءة)** أي في بعض الوجوه.

(وقال بعض) الفقهاء من **(السلف: ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس**

عن الصحابة رضي الله عنهم فنأخذ منه ونترك، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال. وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله ﷺ واعتلاق قلوبهم أموراً أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوّة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ. وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرض، فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد، بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين، وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجله التابعين

والعين، وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ ونترك وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال) قالوا: ونقول هكذا أورده صاحب القوت، وهذا القول قد عزي إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى. قال صاحب القوت: واعلم أن العبد إذا كاشفه الله تعالى بالمعرفة وعلم اليقين لم يسعه تقليد أحد من العلماء، وكذلك كان المتقدمون إذا أقيموا هذا المقام خالفوا من حملوا عنه العلم لمزيد اليقين والإفهام، ثم أورد قول ابن عباس، وقول بعض السلف المتقدم ذكرهما. قال: ولأجل ذلك كان الفقهاء يكرهون التقليد ويقولون: لا ينبغي لرجل أن يفتي حتى يعرف اختلاف العلماء أي فيختار منها على علمه الأحوط للدين والأقوى باليقين، فلو كانوا لا يستحسنون أن يفتي العالم بمذهب غيره لم يحتج أن يعرف الاختلاف، ولكان إذا عرف مذهب صاحبه كفاه، ومتى قيل: إن العبد يسئل غداً فيقال: ما عملت فيما علمت ولا يقال له فيما علم غيرك، وهذا العالم الذي هو من أهل الاستنباط والاستدلال من الكتاب والسنة، فأما الجاهل والعامي الغافل فله أن يقلد العلماء ولعالم العموم أيضاً أن يقلد عالم خصوص، وللعالم بالعلم الظاهر أن يقلد من فوقه ممن حمل عن علم باطن من القلوب اهـ.

(وإنما فضل الصحابة) رضي الله عنهم بخصوص التقليد **(بمشاهدتهم)** معاينة **(قرائن أحوال رسول الله ﷺ)** لملازمتهم له في أكثر الأوقات **(واعتلاق قلوبهم أمور الادراك)** مع البصيرة النافذة **(فسددهم ذلك إلى الصواب)** ومعرفة الحق **(من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة)** بإشراقه في صدورهم **(ما يحرسهم)** ويمنعهم **(في الأكثر)** من أحوالهم **(عن)** الوقوع في **(الخطأ)**، فلأجل هذه الخصوصية خصوا بالتقليد لهم دون غيرهم من بعدهم، لأنهم بعدوا قليلاً عن تلك الأنوار، فلم ينالوا مقام أولئك الأبرار، **(وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرض)** كما قرر، **(فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد)** من أن يكون مرضياً. **(بل الكتب والتصانيف محدثة)** أي أحدثت فيما بعد **(لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين، وإنما حدثت بعد)**، ولفظ القوت: لأن الكتب المجموعات محدثة، والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس وانتحاء قوله، والحكاية له في كل شيء والتفقه على مذهبه محدث لم يكن الناس قديماً على ذلك في القرن الأول والثاني، وهذه المصنفات من الكتب حادثة بعد **(مائة وعشرين من**

رضي الله عنهم، وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين، بل كان الأوّلون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر، وقالوا: احفظوا كما كنا نحفظ. ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم تصحيف القرآن في مصحف وقالوا: كيف نفعل شيئاً ما فعله رسول الله ﷺ، وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا: نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم، حتى أشار عمر

الهجرة) الشريفة **(وبعد وفاة جميع الصحابة و)** علية **(التابعين)**، وآخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ أنس بن مالك بالبصرة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل بمكة، وعبدالله بن أبي أوفى بالكوفة، وأبيض بن حمان المازني باليمن، وأبو قرحافة بالشام، وبريدة الأسلمي بخراسان، وعبدالله بن الحرث الزبيدي بمصر، **(و)** إنما وضع الكتب **(بعد وفاة سعيد بن المسيب)** بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي أبو محمد المدني سيد التابعين وأفقههم وأعلمهم، وكان يسمى راوية عمر لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته مات سنة أربع وتسعين وهي سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها، **(و)** بعد وفاة **(الحسن)** بن أبي الحسن البصري مات سنة عشر ومائة في خلافة هشام، **(وخيار التابعين)** من أقرانهما كعمرو بن دينار، وأبي حازم الأعرج وغيرهما، وفيهم كثرة. زاد صاحب القوت بعد قوله. وخيار التابعين، وبعد سنة عشرين أو ثلاثين ومائة من تاريخ الهجرة **(بل كان الأول)** الذين هم أئمة هؤلاء العلماء من طبقات الصحابة الأربعة، ومن بعد موت الطبقة الأولى من خيار التابعين الذين انقرضوا قبل وضع الكتب كانوا **(يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغلوا بها عن الحفظ)** في الصدور، **(وعن القرآن وعن التدبر)** في معانيه وأسراره **(و)** التذكر و **(التفكر وقالوا: احفظوا)** ما تسمعون منا **(كما كنا نحفظ)**. وأخرج أبو نعيم من رواية داود بن رشيد قال: حدثنا أبو المليح قال: كنا لا نطمع أن نكتب عند الزهري حتى أكره هشام الزهري فكتب لبنيه، فكتب الناس يعني الحديث. وأخرج أيضاً من رواية ابراهيم بن سعيد قال: سمعت سفيان يقول: قال الزهري: كنا نكره الكتاب حتى أكرهنا هشام عليه فكرهنا أن نمنعه الناس قال صاحب القوت: **(و)** لئلا يشتغلوا عن الله تعالى برسم ولا وسم، **(و)** لذلك ونص القوت كما **(كره أبو بكر)** عبدالله بن عثمان الصديق **(رضي الله عنه وجماعة من الصحابة)** ونص القوت: وعلية الصحابة **(شكل القرآن في المصحف)**. وفي نسخة: تصحيف القرآن في مصحف وهو بعينه نص القوت، **(وقالوا)**: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ وخشوا اشتغال الناس بالصحف واتكالهم على المصاحف؟ فقالوا: **(نترك القرآن يتلقاه بعضهم عن بعض)** تلقياً **(بالتلقين والإقراء ليكون)** هو **(شغلهم وهمهم)** وفكرهم، **(حتى أشار)** عليه **(عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة فكتب القرآن)** في

رضي الله عنه وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفاً من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذراً من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد.

وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطأ ويقول: ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضي الله عنهم.

وقيل: أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير

المصاحف (**خوفاً من تخاذل الناس وتكاسلهم**) في جمعه وحفظه، (**وحذراً من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من الشبهات**) . ولفظ القوت: حتى أشار إليه عمر وبقية الصحابة أن تجمع القرآن في المصاحف لأنه أحفظ له، وليرجع الناس إلى المصحف لما لا يؤمن من الاشتغال بأسباب الدنيا عنه، (**فانشرح**) وفي القوت: فشرح الله (**صدر أبي بكر لذلك فجمع القرآن**) من الصحف المتفرقة (**في مصحف واحد**) ، وكذلك كانوا يتلقون العلم بعضهم من بعض ويحفظونه حفظاً هذا لطهارة القلوب من الريب وفراغها من أسباب الدنيا وقوة الايمان وصفاء اليقين وعلو الهمة وحسن النية وقوة العزيمة.

(**وكان أحمد بن حنبل**) الإمام (**ينكر على مالك**) الإمام (**تصنيفه الموطأ ويقول: ابتدع ما لم تفعله الصحابة**) ولعل هذا الانكار كان في مبادي أمره وإلا فقد جمع حديثه بنفسه على المسانيد، وذلك لما رأى احتياج الناس إلى ذلك.

(**وقيل: أوّل كتاب صنف في الإسلام كتاب**) عبد الملك بن عبد العزيز (**بن جريج**) القرشي الأموي مولاهم مات سنة تسع وأربعين ومائة (**في الآثار**) سئل أحمد بن حنبل: من أول من صنف الكتب؟ قال: ابن جريج، وابن أبي عروبة، وعن ابن جريج قال: ما دوّن العلم تدويني أحد، وقال يحي بن سعيد: كنا نسمي كتب ابن جريج كتب الأمانة، وإن لم يحدثك ابن جريج من كتابه لم تنتفع به. وأخرج أبو نعيم من رواية الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن الحسن بن زبالة، عن مالك بن أنس قال: أوّل من دون العلم ابن شهاب، (**وحروف التفاسير عن عطاء ومجاهد وأصحاب ابن عباس بمكة**) . هكذا أورده صاحب القوت.

أما عطاء، فهو ابن أبي رباح أبو محمد المكي كان أسود أعور أفطس أشل أعرج ثم عمي، وكان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث، إليه انتهت الفتيا بمكة في زمانه، أدرك مائتين من أصحاب رسول الله ﷺ، وقدم ابن عمر مكة فسألوه فقال: أتسألوني وفيكم ابن أبي رباح. مات سنة أربع عشرة ومائة.

وأما مجاهد؛ فهو ابن جبر المكي أبو الحجاج مولى بني مخزوم. قال الفضل بن ميمون: سمعت مجاهداً يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. وقال خصيب: كان أعلمهم بالتفسير مجاهد، وبالحج عطاء مات سنة اثنين ومائة بمكة.

عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس رضي الله عنهم بمكة، ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سنناً مأثورة نبوية، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس، ثم جامع سفيان الثوري.

(ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سنناً منثورة مبوبة) . هكـذا أورده صاحب القوت. ومعمر بن راشد هو أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي مولاهم الحداني البصري. سكن اليمن وكان شهد جنازة الحسن، وقال أبو حازم: انتهى الإسناد إلى ستة نفر أدركهم معمر، وكتب عنهم لا أعلم اجتمع لأحد غيره من الحجاز: الزهري، وعمرو بن دينار، ومن الكوفة أبو اسحاق، والأعمش، ومن البصرة قتادة، ومن اليمامة يحي بن أبي كثير، وقال ابن معين: أثبت الناس في الزهري مالك ومعمر ويونس وعقيل وشعيب وابن عيينة، وقال ابن جريج: عليكم بهذا الرجل، فإنه لم يبقَ أحد من أهل زمانه أعلم منه، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال: كان فقيهاً متفنناً حافظاً ورعاً مات سنة أربع وخمسين ومائة.

(ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس) الأصبحي الإمام تقدمت ترجمته توفي سنة تسع وسبعين ومائة وشأن كتابه الموطأ مشهور، وفيه قال الشافعي: ما تحت أديم السماء كتاب أصح من الموطأ.

(ثم جامع سفيان) بن سعيد **(الثوري)** في الفقه والأحاديث، ثم جمع ابن عيينة كتاب الجامع في السنن والأبواب، وكتاب التفسير في أحرف من علم القرآن، فهذه أول ما صنف ووضع من الكتب بعد وفاة ابن المسيب والحسن. وقال الحافظ ابن حجر في أول مقدمة فتح الباري: واعلم أن آثار النبي ﷺ لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدوّنة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين. **أحدهما**: انهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك، كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم، **وثانيهما**: السعة حفظهم وسيلان أذهانهم، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة حتى حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشرت العلماء في الأمصار، وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكرين الأقدار، فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما. وكانوا يصنعون كل باب على حدة إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدوّنوا الأحكام، فصنف مالك الموطأ وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز، ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم، وصنف ابن جريج بمكة، والأوزاعي بالشام، والثوري بالكوفة، وحماد بن سلمة بالبصرة، ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم، إلى أن رأى بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبي ﷺ خاصة، وذلك على رأس المائتين، فصنف عبدالله بن موسى العبسي الكوفي مسنداً، وصنف مسدد بن مسرهد البصري مسنداً، وصنف أسد بن موسى الأموي مسنداً، وصنف نعيم بن حماد الخزاعي نزيل مصر مسنداً، ثم اقتفى الأئمة بعد ذلك أثرهم فقلَّ إمام من الحفاظ إلا وصنف حديثه على المسانيد، كالإمام أحمد، واسحاق بن راهويه، وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم من النبلاء، ومنهم من صنف على الأبواب والمسانيد معاً كأبي بكر بن أبي شيبة اهـ.

ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والغوص في إبطال المقالات، ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها، فأخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان، فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكائد الشيطان، وأعرض عن ذلك إلا الأقلون فصار يسمي المجادل المتكلم عالماً، والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالماً، وهذا لأن العوام هم المستمعون إليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره، ولم تكن سير الصحابة رضي الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم، فاستمر عليهم إسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف، وأصبح علم الآخرة مطوياً وغاب

(**ثم**) بعد سنة مائتين وبعد تقضي ثلاثة قرون (**في القرن الرابع**) المرفوض (**حدثت**) وظهرت (**مصنفات الكلام**) وكتب المتكلمين بالرأي والمعقول والقياس (**وكثر الخوض في الجدال**) مع القدرية والجهمية والروافض (**والغوص في إبطال المقالات**) بالبراهين والأدلة، (**ثم مال الناس إليه**) أخذاً وتحصيلاً (**وإلى القصص والوعظ بها**) على الكراسي، (**فأخذ علم اليقين**) والمعرفة. وفي نسخة: علم التيقن (**في الاندراس**) والاضمحلال وغابت معرفة الموقنين من علم التقوى وإلهام الرشد، فخلف من بعدهم خلف فلم نزل في الخلوف إلى هذا الوقت، (**فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس**) الامارة (**ومكائد الشيطان**) وحيله (**وأعرض عن ذلك إلا الأقلون**) من القليل، ثم اختلط الأمر بعد ذلك في زمانك هذا (**فصار المجادل**) والمتكلم يسمى (**عالماً، والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة**) الرائقة (**عالماً**) عارفاً، والراوي للحديث والناقل له يسمى عالماً من غير فقه في دين ولا بصيرة من يقين. قال صاحب القوت: وروينا عن ابن أبي عبلة قال: كنا نجلس إلى عطاء الخراساني بعد الصبح فيتكلم علينا فاحتبس ذات غداة فتكلم رجل من المؤذنين لا بأس به بمثل ما كان يتكلم به عطاء، فأنكر صوته رجاء بن حيوة فقال: من هذا المتكلم؟ فقال: أنا فلان. فقال: اسكت فإنه يكره أن يسمع العلم إلا من أهله الزاهدين في الدنيا، وكرهوا أن يسمعوه من أبناء الدنيا وزعموا انه لا يليق بهم اهـ.

(**وهذا لأن العوام**) من الناس (**هم المستمعون إليهم**) في حلق دروسهم (**وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره**) لقصور مرتبتهم، (**ولم تكن سيرة الصحابة**) وطريقتهم (**وعلومهم**) وما كانوا عليه (**ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها**) أي بتلك السيرة. وفي نسخة: به (**مباينة هؤلاء لهم**) في الأقوال والأحوال، (**فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطوياً**) وفي القوت: ثم درس معرفة هذا أيضاً فصار كل من نطق بكلام وصفه غريب على السامعين لا يعرف حقه من باطله يسمى عالماً، وكل كلام مستحسن مزخرف رونقه لا أصل له يسمى عالماً لجهل العامة بالعلم أي شيء هو، ولقلة

عنهم الفرق بين العلم والكلام، إلا عن الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون: فلان أكثر علماً وفلان أكثر كلاماً، فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام.

هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الانكار يستهدف لنسبته إلى الجنون، فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت.

ومنها، أن يكون شديد التوقي من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه أطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم، وليكن حريصاً على

معرفة السامع بوصف من سلف من العلماء كيف كانوا، فصار كثير من متكلمي الزمان فتنة المفتون، وصار كثير من الرأي والمعقول الذي حقيقته جهل كأنه علم عند الجاهلين، **(وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام)** وبين المتكلم والعالم **(إلا على الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم من فلان)** وفي نسخة: أم فلان **(يقولون: فلان أكثر علماً وفلان أكثر كلاماً فكان الخواص)** منهم **(يدركون الفرق)** والتمييز **(بين العلم وبين القدرة على الكلام)** وبين العالم والمتكلم، وخصوص الجهال يشبهون العلماء فيشتبهون على مجالسهم في الحال، فاعلم الناس في زمانك أعرفهم بسيرة المتقدمين، وأعلمهم بطرائق السالكين، ثم أعلمهم بالعلم أي شيء هو وبالعالم من هو وبالمتعلم من هو، وهذا كالفرض على طالبي العلم أن يعرفوه حتى يطلبوه. إذ لا يصح طلب ما لا يعرف، ثم معرفة العالم من هو ليطلبوا عنده العلم إذ العلم عرض لا يقوم إلا بجسم فلا يوجد إلا عند أهله.

(هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا) في القرن الخامس؟ **(وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الانكار)** في شيء من ذلك **((يستهدف)** ويرمي **(بنفسه إلى الجنون)**، وقلة العقل والله المستعان ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم. **(فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه)** في توجهه إلى المولى جل وعز **(ويسكت)**، فإنه لا فائدة في نصيحته ولا سامع لها ولا حامل لحديثه ولا ناقل له ويفوض أمره إلى الله تعالى، فهو المطلع على سرائر عباده وهو المجازي لهم.

(ومنها): أي ومن العلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة **(أن يكون شديد التوقي)** أي التحرز **(من محدثات الأمور)** التي أحدثها الناس فيما بعد، **(وإن اتفق عليه الجمهور)** جميع الناس ومعظمهم **(فلا يغرنه إطباق الخلق)** وإجماعهم **(على ما أحدث)** وابتدع **(بعد)** عصر **(الصحابة)** والقرون الأول، فاخرج اللالكائي في السنة من رواية شبابة قال: حدثنا هشام بن الغاز، عن نافع، عن ابن عمر قال: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة. **(وليكن**

التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم، وما كان فيه أكثر هممهم أكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة؟ أم كان في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الإثم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكائد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن؟ واعلم تحقيقاً أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف، فمنهم أخذ الدين. ولذلك قال علي رضي الله عنه: «خيرنا أتبعنا لهذا الدين». لما قيل له: خالفت فلاناً فلا ينبغي أن يكترث بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله ﷺ، فإن الناس رأوا رأياً فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف

حريصاً على التفتيش) والبحث **(عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم)** وما كانوا عليه من ايثار الآخرة على الدنيا، **(وما كان فيه أكثر هممهم)** ورغباتهم **(أكان)** ذلك **(في التصنيف والتدريس والمناظرة)** مع الأقران **(و)** تولية **(القضاء والولاية)** للأعمال **(وتولي الأوقاف)** بالنظر والتحدث فيها **(والوصايا و)** تولية **(مال الأيتام ومخالطة السلاطين)** والأمراء والتجار **(ومجاملتهم في العشرة)** ومؤانستهم إياهم فيها، **(أو)** كان **(في الخوف)** من الله تعالى **(والحزن)** في أنفسهم **(والتفكر)** في نعم الله تعالى **(والمجاهدة)** مع النفس **(ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس و)** معرفة **(مكائد الشيطان)** ومدافعته. **(إلى غير ذلك من علوم الباطن)**، كعلم الورع في المكاسب والمعاملات، والفرق بين نفاق العلم والعمل، والفرق بين خواطر الروح والنفس، وبين خاطر الايمان واليقين والعقل، وتفاوت مشاهدات العارفين، وعلم القبض والبسط. وغير ذلك مما يأتي كل ذلك مصرحاً مبسوطاً في كلام المصنف. **(واعلم تحقيقاً أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق)** والتوفيق والرشد **(أشبههم بالصحابة)** أي بطرائقهم **(وأعرفهم بطرائق السلف، فمنهم أخذ الطريق)** ونص القوت: فاعلم الناس في هذا الوقت وأقربهم من التوفيق والرشد اتبعهم لمن سلف وأشبههم بشمائل صالحي الخلق. كيف؛ وقد روينا عن رسول الله ﷺ أنه سئل من أعلم الناس! قال: «أعرفهم بالحق إذا اشتبهت الأمور». وقال بعض السلف: اعلم الناس أعرفهم باختلاف الناس، **(ولذلك قال عليّ كرّم الله وجهه: خيرنا أتبعنا لهذا الدين لما قيل له)** إنك **(خالفت فلاناً)** في كذا. هكذا أورده صاحب القوت. زاد: وكما قيل لسعدان بن المسيب يقرأ ما ننسخ من آية أو ننساها، فقال: إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على ابنه، ثم قرأ: ﴿أو ننسها﴾ **(فلا ينبغي أن تكترث بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله ﷺ، فإن الناس رأوا رأياً فيما هم فيه)**. كذا في أكثر النسخ. وفي بعضها رأوا الفضل فيما هم فيه **(لميل طباعهم إليه)** بمجرد حظ **(ولم**

بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه، ولذلك قال الحسن: محدثان أحدثا في الإسلام: رجل ذو رأي سيء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه، ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار، وإن رجلاً أصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى دنياه، وصاحب هوى يدعوه إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتفي آثارهم متعرض لأجر عظيم، فكذلك كونوا.

وقد روي عن ابن مسعود موقوفاً ومسنداً أنه قال: «إنما هما إثنان الكلام والهدى، فأحسن الكلام كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى رسول الله ﷺ، ألا وإياكم

تسمح طباعهم) وفي نسخة: نفوسهم **(بالاعتراف)** والتسليم لطريقة السلف، **(فإن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه)** أي سوى طريقه الذي سلكه.
وأخرج اللالكائي في السنّة من رواية ابراهيم بن أبي حفصة. قال: قلت لعلي بن الحسين: ناس يقولون لا ننكح إلا من كان على رأينا ولا نصلي إلا خلف من كان علي رأينا. قال علي بن الحسين: ننكحهم بالسنّة ونصلي خلفهم بالسنة، **(ولذلك قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى.
ولفظ القوت: وكان الحسن البصري يقول: **(محدثان أحدثا في الإسلام. رجل ذو رأي سوء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه)** وفي بعض النسخ: برأيه **(ومترف)** أي متنعم **(يعبد الدنيا)** حيث جعلها أكبر همه **(لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار)** أي اتركوهما، فإن مصيرهما إلى النار. زاد في القوت: اعرفوا انكارهم لربهم بأعمالهم **(إن رجلاً أصبح في الدنيا بين مترف يدعو إلى دنياه وصاحب هوى يدعو إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما)** أي: من اتباعهما **(يحن إلى)** طريقة **(السلف الصالح)** ويميل إلى شمائلهم **(يسأل عن أفعالهم)** وفي القوت عن فعلهم **(ويقتص)** أي يتتبع **(آثارهم متعرض لأجر)** وفي القوت: لتعرض لأجر **(عظيم فكذلك)**) وفي القوت: وكذلك **(فكونوا)**.

وأخرج اللالكائي في السنة من رواية سعيد بن عامر قال: أخبرنا حزم عن غالب القطان قال: رأيت مالك بن دينار في النوم وهو قاعد في مقعده الذي كان يقعد فيه وهو يشير بأصبعيه وهو يقول: صنفان في الناس لا تجالسوهما، فإن مجالستهما فاسدة لقلب كل مسلم. صاحب بدعة قد غلا فيها، وصاحب دنيا مترف فيها. قال؛ ثم قال حدثني بهذا حكيم، وكان رجلاً من جلسائه قال: وكان معنا في الحلقة قال: قلت يا حكيم أنت حدثت مالكاً بهذا الحديث؟ قال: نعم. قلت: عمن قال؟ عن المتقانع من المسلمين.

(وقد روى عن ابن مسعود) رضي الله عنه **(موقوفاً)** عليه **(و)** روي أيضاً **(مسنداً)** إلى رسول الله ﷺ قال: **(إنما هما اثنان الكلام والهدى)** أي السيرة والطريقة **(فأحسن الكلام كلام الله عز وجل)** المنزل على رسله في الكتب وأعظمها الكتب الأربعة **(وأحسن**

ومحدثات الأمور، فإن شر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، وأن كل بدعة ضلالة، ألا لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم إلا كُل ما هو آت قريب ألا إن البعيد ما ليس بآتٍ».

الهدي هدي محمد ﷺ ألا وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور ومحدثاتها وأن كل محدثة بدعة) أي خصلة محدثة **(وأن كل بدعة ضلالة ألا لا يطولن عليكم الأمد)** بالدال محركة الزمان، ومن رواه بالراء فقد صحف **(فتقسو قلوبكم)** وهو من قوله عز وجل ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾ [الحديد: ١٦] **(ألا كل ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس بآت)**. هكذا أورده صاحب القوت.

وقال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية أبي إسحاق السبيعي، عن أبي الأحوص، عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال فذكره إلا أنه قال: «وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وقال: «ألا إن ما هو آت قريب وإنما البعيد ما ليس بآت» وزاد: «ألا إنما الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره». الحديث. واسناده جيد وزاد الطبراني بعد قوله: «وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» اهـ.

والحديث طويل وفي آخره بعد قوله: «من وعظ بغيره ألا ان قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ألا وإياكم والكذب فإن الكذب لا يصلح لا بالجد ولا بالهزل ألا لا يعد الرجل صبيه فلا يفي له وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الصدق يهدي الى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإنه يقال للصادق صدق وبر، ويقال للكاذب كذب وفجر، ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً». هكذا عند ابن ماجه بطوله.

وأخرجه اللالكائي في السنة من هذا الطريق إلى قوله: فتقسو قلوبكم وفيه: «إن كل محدثة» بلا واو، وفيه «الا لا يطول» من غير نون ثقيلة.

وأخرج أيضاً من رواية الأعمش عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال قال: قال عبدالله: «إن أحسن الهدي هدي محمد وإن أحسن الكلام كلام الله، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم فكل محدثة ضلالة وكل ضلالة في النار».

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية عمرو بن ثابت، عن عبدالله بن عابس قال، قال عبدالله بن مسعود: «إن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة ابراهيم، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ، وخير الهدي هدي الأنبياء، وأشرف الحديث ذكر الله، وخير القصص القرآن، وخير الأمور عواقبها وشر الأمور محدثاتها» الحديث بطوله.

قال العراقي: وفي الباب عن جابر بن عبدالله رواه مسلم، والنسائي وابن ماجه، من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه الحديث.

وفي خطبة رسول الله ﷺ : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية ، وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والمعصية ، طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنّة ولم يعدها إلى بدعة » .

وفيه ويقول: « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » .

قلت : وأخرج أبو داود ، والترمذي ، واللالكائي ، وأبو بكر الآجري ، وعياض في الشفاء من طريقه ، كلهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فساقوا الحديث وفيه : « وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

وأخرج اللالكائي في السنة من رواية سفيان بن عيينة ، عن هلال الوزان ، حدثنا عبدالله بن حكيم ، وكان قد أدرك الجاهلية قال: أرسل إليه الحجاج يدعوه ، فلما أتاه قال: كيف كان عمر يقول؟ قال: كان عمر يقول: « إن أصدق القيل قيل الله ألا وإن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة ضلالة؟ ألا وإن الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم ولم يقم الصغير على الكبير ، فإذا قام الصغير على الكبير فقد » .

وأخرج أيضاً من رواية واصل الأحدب، عن عاتكة بنت جزء قالت: أتينا ابن مسعود فسألناه عن الدجال قال: « أنا لغير الدجال أخوف عليكم من الدجال أمور تكون من كبرائكم فأيما مرية ورجيل أدرك ذلك الزمان فالسمت الأول فأنا اليوم على السنة » .

وأخرج أيضاً من حديث معاذ : « ستكون فتنة » الحديث وفيه: « فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة » .

(وفي خطبة رسول الله ﷺ : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة . طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره . طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من أقواله ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة ») هكذا أورده صاحب القوت بلفظ وفي خطبة النبي ﷺ التي رويناها وفيه بعد قوله وخالط أهل الفقه والحكمة زيادة وجانب أهل الذل والمعصية . وقال العراقي : فيه عن الحسين بن علي ، وأبي هريرة وركب المصري .

أما حديث الحسين بن علي؛ فرواه أبو نعيم في الحلية من رواية القاسم بن محمد بن جعفر عن آبائه من أهل البيت إلى الحسين بن علي قال: رأيت رسول الله ﷺ خطيباً على أصحابه فذكره

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير

بزيادة في أوله وهي: كان الموت في هذه الدنيا على غيرنا كتب الحديث وفيه: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى البدعة».

وأما حديث أبي هريرة؛ فرواه ابن لال في مكارم الأخلاق من رواية عصمة بن محمد الخزرجي، عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة رفعه فساقه بمثل حديث الحسين بن علي.

وأما حديث ركب المصري؛ فرواه الطبراني والبيهقي من رواية إسماعيل بن عياش، عن عنبسة بن سعيد الكلاعي، عن نصيح العبسي، عن ركب المصري رفعه: «طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة وأنفق مالاً جمعه في غير معصية ورحم المساكين وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله».

وأما حديث أنس؛ فرواه البزار في مسنده مختصراً بإسناد ضعيف ولفظه: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة» اهـ.

قلت: وحديث ركب أخرجه أيضاً البخاري في التاريخ؛ والبغوي في معجم الصحابة، والبارودي، وابن قانع. وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية كثير بن هشام عن جعفر بن برقان: قال بلغنا أن وهب بن منبه كان يقول: «طوبى لمن فكر في عيبه عن عيب غيره، وطوبى لمن تواضع لله عز وجل من غير معصية وجالس أهل العلم والحلم وأهل الحكمة ووسعته السنة ولم يتعدها إلى البدعة». وقال صاحب القوت بعد أن أورد الخطبة المذكورة ما نصه، وقال بعض العلماء الأدباء كلاماً منظوماً في وصف زماننا هذا كأنه شاهده:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم	والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم	بعضاً ليدفع معور عن معورِ
أبني أيَّ من الرجال بهيمة	في صورة الرجل السميع المبصرِ
فطن بكل مصيبة في ماله	فإذا أصيب بدينه لم يشعرِ
فسل اللبيب تكن لبيباً مثله	من يسع في علم بلب يظفرِ

(وكان ابن مسعود يقول: حسن الهدي في آخر الزمان خير من كثير من العمل) هكذا أورده صاحب القوت أي حسن السيرة والطريقة بمجانبة أهل البدع. وأخرج اللالكائي في السنة من رواية الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبدالله قال: الإقتصاد في السنة خير من الإجتهاد في البدعة. **(وقال)** أيضاً في وصف زمانه باليقين وفي وصف زماننا

من العمل، وقال: أنتم في زمان خيركم فيه المسارع في الأمور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات. وقد صدق فمن لم يتوقف في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا. وقال حذيفة رضي الله عنه: أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، وان منكركم اليوم معروف زمان قد أتى، وأنكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به. ولقد صدق، فإن أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات في عصر

بالشك، وأنتم في زمان خيركم فيه المسارع في الأمور، وسيأتي بعدكم **(زمان يكون خيرهم)** فيه **(المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات)** هكذا أورده صاحب القوت، ولم يقل في الأمور، **(وقد صدق)** ابن مسعود **(فمن لم يتثبت في هذا الزمان)** على دينه **(ووافق الجماهير)** في آرائهم **(فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا. وقال حذيفة)** بن اليمان رضي الله عنه: **(أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، وأن منكركم معروف زمان قد يأتي، وأنكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحق، وكان العالم فيكم غير مستخف به)**. هكذا أورده صاحب القوت من غير لفظة به في آخره، وأراد من قوله غير مستخف من الخفاء لا من الخفة كما يقتضيه سياق المصنف، وزاد: وكان يقول أيضاً: يأتي على الناس زمان يكون العالم بينهم بمنزلة الحمار الميت لا يلتفتون إليه، ويستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا اليوم. والمؤمن فيهم أذل من الأمة. وفي حديث علي: يأتي على الناس زمان ينكر الحق تسعة أعشارهم لا ينجو منهم يومئذ إلا كل مؤمن نومة يعني صموتاً متغافلاً. وفي الخبر يأتي على الناس زمان من عرف فيه الحق نجا. قيل: فأين العمل؟ قال: لا عمل يومئذ لا ينجو فيه إلا من هرب من شاهق إلى شاهق، وفي حديث أبي هريرة: يأتي على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا. وفي بعضها: بعشر ما يعلم. وقال بعض الخلف: أفضل العلم في آخر الزمان الصمت، وأفضل العمل النوم يعني لكثرة الناطقين بالشبهات فصار الصمت للجاهل علماً ولكثرة الناطقين بالشبهات، فصار النوم عبادة البطال. ولعمري أن الصمت والنوم أدنى أحوال العالم وهما أعلى حال الجاهل، وكان يونس بن عبيد يقول: أصبح اليوم من يعرف السنة غريباً وأغرب منه من يعرفه يعني طريقة السلف يقول: فمن عرف طريق من مضى فهو غريب أيضاً، لأنه قد عرف غريباً. وقال حذيفة المرعشي: كتب إلى يوسف بن أسباط ذهبت الطاعة ومن يعرفها وكان أيضاً يقول ما بقي من يؤنس به، وقال: ما ظنك بزمان مذاكرة العلم فيه معصية؟ قيل: ولم ذلك؟ قال: لأنه لا يجد أهله، وقد كان أبو الدرداء يقول: إنكم لن تزالوا بخير ما أحببتم خياركم، وقيل: فيكم الحق فعرف ويل لكم إذا كان العالم فيكم كالشاة النطيح، وأخرج اللالكائي في السنة من رواية حميد بن هلال قال: حدثني مولى لابن مسعود قال: دخل ابن مسعود على حذيفة فقال: اعهد إلي ألم يأتك اليقين؟ قال: بلى وعزة ربي. قال: فاعلم أن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وإن كنت تنكر ما كنت تعرف وإياك والتلون في دين الله فإن دين الله واحد. **(ولقد صدق)**

الصحابة رضي الله عنهم إذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتجميرها وإنفاق الأموال العظيمة في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها، ولقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة، وقيل: إنه من محدثات الحجاج فقد كان الأولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزاً. وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل

حذيفة (**فأكثر معروفات هذه الأعصار**) من الأقوال والأفعال كانت (**منكرات في عصر الصحابة**) رضوان الله عليهم (**إذ من غرر المعروف في زماننا تزيين المساجد**)، وفي نسخة: فرش المساجد (**وتجميرها**) أي تزويقها بأنواع الصباغات والفسيفساء والرخام الملون (**وإنفاق الأموال العظيمة**) وصرفها (**في دقائق عمارتها وفرش البسط**) الرومية والانماط (**الرفيعة**) الأثمان (**فيها**)، وكذلك تلوين القبلة بالزخرف لأن ذلك يشغل القلب ويلهي عن الخشوع والتدبر والحضور مع الله تعالى.

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن المبارك في الزهد، عن أبي الدرداء رفعه «إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مساجدكم فالدبار عليكم. قال المناوي: والذي عليه الشافعية أن تزويق المسجد ولو الكعبة بذهب أو فضة حرام مطلقاً وبغيرهما مكروه، وإن تحلية المصحف بذهب يجوز للمرأة لا للرجل وبالفضة يجوز مطلقاً. (**ولقد كان**) إخراج الحصى والرمل و(**فرش البواري**) جمع بورياء وهي الحصير فارسية معربة (**في المسجد بدعة، وقيل: إنه من محدثات الحجاج**) بن يوسف الثقفي المشهور كما روي أن قتادة سجد فدخل في عينه قصبة، وكان ضريراً فقال: لعن الله الحجاج ابتدع هذه البواري يؤذي بها المصلين، (**وقد كان الأولون**) من السلف (**ما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزاً**) ويستحبون السجود عليه تواضعاً لله تعالى وتخشعاً وذلاً، وهذا الذي ذكره المصنف من بدع الأفعال، ويدخل في ذلك تشييد البناء بالجص والآجر يقال: أول من طبخ الطين هامان أمره به فرعون، ويقال هو بناء الجبابرة، وكذلك النقوش والتزويق في السقوف والأبواب سواء في المساجد أو البيوت، وكانوا يغضون النظر عن النظر إلى ذلك.

غاب الأحنف بن قيس غيبة فرجع وقد خضروا سقف بيته وصفروه، فلما نظر إليه خرج من منزله وحلف أن لا يدخله حتى يقلعوا ذلك منه ويعيدوه كما كان.

وقال يحي بن يمان: كنت أمشي مع الثوري في طريق فمررنا بباب منقوش مزوق فنظرت إليه فجذبني سفيان حتى جزت، فقلت: ما تكره من النظر؟ فقال: إنما بنوه لينظر إليه، ولو كان كل من مر به لا ينظر إليه ما بنوه فكأنه خشي أن يكون بنظره معاوناً له على بنيانه.

(**وكذلك**) من محدثات الأقوال (**الإشتغال بدقائق الجدل والمناظرة**) والتدقيق في القياس والتبحر فيها، وهذا (**من أجل علوم الزمان**) وأرفعها قدراً لديهم (**ويظنون أنه**) أي

علوم أهل الزمان ويزعمون انه من أعظم القربات، وقد كان من المنكرات. ومن ذلك التلحين في القرآن والأذان. ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة، وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الأطعمة وتحريمها إلى

الإشتغال به (**من أعظم القربات**) عند الله تعالى، (**وقد كان ذلك**) عند الأولين (**من المنكرات**)، ويدخل في ذلك التبحر في علوم العربية والنحو. قال بعض السلف: النحو يذهب الخشوع من القلب، وقال بعضهم: من أراد أن يزدري بالناس فليتعلم النحو، وذكرت العربية عند القاسم بن مخيمرة فقال: أولها كبر وآخرها بغي، (**ومن ذلك**) أي من محدثات الأقوال (**التلحين في**) قراءة (**القرآن**) حتى لا يفهم التلاوة وحتى تجاوز إعراب القرآن والكلمة بمد المقصور وقصر الممدود وإدغام المظهر وإظهار المدغم ليستوي بذلك التلاحن، ولا يبالي باعوجاج الكلم وإحالته عن حقيقته، فهذا بدعة ومكروه استماعه. قال بشر بن الحارث: سألت عبدالله بن أبي داود الحريبي أمر بالرجل يقرأ فاجلس إليه. قال يقول بطرب؟ قلت: نعم. قال: لا هذا قد أظهر بدعة (**و**) من ذلك التلحين في (**الآذان**) وهو من البغي فيه والإعتداء. قال رجل من المؤذنين لابن عمر إني لأحبك في الله تعالى، فقال: لكن أبغضك في الله تعالى قال: ولم يا أبا عبد الرحمن؟ قال: لإنك تبغي في أذانك وتأخذ عليه أجراً. وكان أبو بكر الآجري يقول: خرجت من بغداد ولم يحل لي المقام بها قد ابتدعوا في كل شيء حتى في قراءة القرآن وفي الآذان يعني الإدارة والتلحين (**ومن ذلك**) أي من محدثات الأفعال (**التعسف**) أي مجاوزة الحد (**في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسات الثياب**) والتشديد فيها بكثرة غسلها من عرق الجنب ولبس الحائض، ومن أبوال ما يؤكل لحمه وغسل يسير الدم ونحو ذلك. وكان السلف يرخصون في كل هذا. (**مع التساهل في حل الأطعمة وتحريمها**) وأمر المكاسب وترك التحري فيها (**إلى نظائر ذلك**) كالكلام فيما لا يعني والخوض في الباطل والغيبة والنميمة والإستماع إليهما والنظر إلى الزور واللهو ومجالسه والمشي في هوى نفسه والتعصب وشدة الحرص على الدنيا، فهذا كله تساهلوا فيه كان السلف والقدماء يشددون فيه، وقد اقتصر المصنف على هذا الذي أورده من ذكر الحوادث والبدع وهي كثيرة ولم يذكر من بدع الحجاج إلا فرش البواري في المسجد وهي كثيرة أيضاً فلا بأس أن نلم بما لم يذكره.

فأقول: من جملة بدع الأقوال والأفعال قولهم: كيف أصبحت كيف أمسيت هذا محدث إنما كانوا إذا التقوا قالوا: السلام عليكم ورحمة الله، وإنما حدث هذا زمان طاعون عمواس. كان الرجل يلقى أخاه غدوة فيقول: كيف أصبحت من الطاعون، ويلقاه عشية فيقول كيف أمسيت منه؟ لأن أحدهم كان إذا أصبح لم يمس وإذا أمسى لم يصبح، فبقي هذا إلى اليوم، ونسي سببه، وكان من عرف حدوثه من المتقدمين يكره ذلك. قال رجل لأبي بكر بن عياش: كيف أصبحت أو كيف امسيت؟ فلم يكلمه. وقال: دعونا من هذه البدعة. وروى أبو معشر عن الحسن إنما كانوا يقولون السلام عليكم سلمت والله القلوب، فأما اليوم كيف أصبحت أصلحك

....

الله كيف أنت عافاك الله، فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة ألا ولا كرامة فإن شاءوا غضبوا علينـا، ومن هذا قولهم الله معكم وقويت وفي الخبر: من بدأكم بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه، ومن ذلك الإشارة بالسلام باليد أو الرأس من غير نطق به، فكل ذلك من المحدثات، ومن ذلك ابتداء االرجل في عنوان الكتاب باسم المكتوب إليه، وإنما السنة يبتدىء بنفسه، فيكتب من فلان إلى فلان، ويقال أول من أحدثه زياد فعابه العلماء عليه وعدوه من أحداث بني أمية، وقد بقي سنة هذا في كتب الأمراء والملوك اليوم.

ومنها قول الرجل إذا جاء منزل أخيه يا غلام أو يا جارية، فقد كان السلف يقرع أحدهم باب أخيه ثم يسلم ثلاثاً يقف بعد كل تسليمه، فإن أذن له دخل، وقد لا يحب صاحب البيت، أن يدخل عليه في ذلك الوقت لعذر أو سبب، فيقول: وعليكم السلام ورحمة الله ارجع عافاك الله، فاني على شغل فيرجع غير كاره لرجوعه غير مؤثر في قلبه من ذلك شيئاً فربما رجع في اليوم مرتين أو ثلاثاً بعد رده، وهذا لو فعل ببعض الناس من أهل عصرنا لكرهه، ولعله لا يعود يومه ذلك. هؤلاء عامة الناس. وأما العلماء، فكان من الناس من لا يستأذن عليهم إلا لمهـم لا بـد منه بل كانوا يقعدون على أبوابهم أو في مساجدهم ينتظرون خروجهم لأوقات الصلاة إجلالاً للعلم وهيبة للعلماء، ومن ذلك استقصاء أحدهم في المسألة عن حال الرجل وخبره، وقد كره ذلك. وكان الأعمش يقول: يلقى أحدكم أخاه فيسأله عن كل شيء حتى عن الدجاج في البيت، ولو سأله درهماً ما أعطاه، ومن ذلك قول الرجل لصاحبه: إذا لقيه ذاهباً في الطريق إلى أين تريد، أو من أين جئت؟ فقد كره هذا. وليس من السنة والأدب وهو داخل في التجسس والتحسس.

ومن ذلك بيع المصاحف وشراؤها وكان بعضهم لبيعها اكره منه لاشترائها؛ ومن ذلك أخذ القرآن بالإدارة وتنازع الآيتين أو تنازع الرجلين الآيتين في مكان واحد بمنزلة الإختلاس والنهبة من غير خشوع للقرآن ولا هيبة، ومـن ذلـك أخـذ المقـرىء على الاثنين وليتـه قـام بقـراءة الواحـد لسهو القلب. ومن ذلك دخول النساء الحمام من غير ضرورة، ودخول الرجل بغير مئزر وهو فسوق. وقال بعض العلماء يحتاج داخل الحمام إلى مئزرين مئزر لوجهه ومئزر لعورته، وإلا لم يسلم في دخوله. ومنها جلوس العلماء على الكراسي، وأول من قعد على كـرسي يحيى بـن معـاذ الرازي بمصر، وتبعه أبو حمزة ببغداد فعاب الأشياخ عليهما ذلك ومنها جلوس العلماء متربعين في الدروس، إنما هي جلسة المتكبرين والنحويين وأبناء الدنيا. ومن التواضع الإجتماع في الجلسة، ومن ذلك طرح السنور والدابة على المزابل في الطرقات فيتأذى المسلمون بروائح ذلك، وكان شريح وغيره إذا مات لهم سنور دفنوها في بيوتهم، ومن ذلك إخراج الميازيب إلى الطرقات فإنه بدعة. وكان أحمد بن حنبل وأهل الورع يجعلون ميازيبهم إلى داخل بيوتهم، ومن ذلك الصلاة في المقصورة وهي أول بدعة أحدثت في المساجد، ومنها كثرة المساجد في المحلة الواحدة، وقد كرهه أنس بن مالك وغيره من الصحابة، ويقال: أول ما حدث من البدع أربع: الموائد والمناخل

نظائر ذلك. ولقد صدق ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم، وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعاً للهوى. وقد كان

والاشنان والشبع، وكانوا يكرهون أن تكون أواني البيت غير الخزف، ولا يتوضأون في آنية الصفر، ومن ذلك لبس الثياب الرقاق وكانوا يقولون هي من لباس الفساق، ومن رق ثوبه رق دينه وهي من كتان مصر وقطن خراسان، وإنما كانت ثياب السلف السنبلاني والقطواني وعصب اليمن ومعافري مصر والقباطي مثل كسوة الكعبة والثياب السحولية والكرابيس الحضرمية وهذه غلاظ كلها كثيفة قليلة أثمانها. ومن ذلك البيع والشراء على الطريق، وكان الورعون لا يشترون شيئاً ممن قعد يبيعه على طريق، وكذلك إخراج الرواشن في البيوت وتقويم العضايد بين يدي الحوانيت إلى الطريق، وكذلك البيع والشراء من الصبيان لأنهم لا يملكون وكلامهم غير مقبول.

وأما منكرات الحجاج ومحدثاته التي صارت الآن معارف، فكان الشعبي يقول: يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج أي يترحمون عليه، وهذا قد أتى من منذ زمان لأن الحجاج ابتدع أشياء أنكرها الناس عليه في زمانه، وهي اليوم سنن معروفة يترحم الناس على من أحدثها ويحسبون أنه مأجور عليها ولأنه ظهرت بعده ولاة جور، فابتدعوا بدعاً من الفسوق وصارت سنناً بعدهم، فوجب بذلك الترحم على الحجاج إلى جنب ما أظهروا، فمما أحدث هذه المحامل والقباب التي خالف بها هدى السلف، وإنما كان الناس يخرجون على الرواحل والزوامل ليكثر رفاهية إبلهم وينالوا أجر التعب فصاروا يخرجون في بيوت ظليلة مع الحمل على الإبل ما لا تطيق فيكون سبباً لتلفها وفيه يقول القائل:

أول من اتخذ المحاملا عليه لعنة ربي عاجلاً وآجلاً

وفي معناه الشقادف، والمسطحات، وابتدع أيضاً الأخماس، والعواشر، ورؤس الآي، وحمر السواد، وصفره وخضره، فأدخل في المصحف ما ليس فيه من الزخرف. وكان السلف يقولون: جردوا والقرآن كما أنزله الله تعالى، ولا تخلطوا به غيره، فأنكر العلماء عليه ذلك حتى قال أبو رزين: يأتي على الناس زمان ينشأ فيه نشء يحسبون أن ما أحدث الحجاج في المصاحف هكذا أنزله الله تعالى يذمه بذلك. وكان ابن سيرين يكره النقط في القرآن وقال فراس بن يحي: وجدت ورقاً منقوطاً بالنحو في سجن الحجاج فعجبت منه، وكان أول نقط رأيته فأتيت الشعبي فقال لي: اقرأ عليه ولا تنقطه أنت بيدك، ومنها أنه جمع من القراء ثلاثين رجلاً فكانوا يعدون حروف المصحف وكلمه شهراً، ولو رآهم عمر أو عثمان، أو علي يصنعون هذا لأوجعهم ضرباً، وهذا الذي كرهته الصحابة ووصفوا به قراء آخر الزمان أنهم يحفظون حروفه ويضيعون حدوده، وكان الحجاج اقرأ القراء وأحفظهم لحروف القرآن. وكان يقرأ القرآن في كل ثلاث، وكان أضيع الناس لحدوده.

(ولقد صدق ابن مسعود) رضي الله عنه **(حيث قال: أنتم اليوم في زمان الهوى فيه**

أحمد بن حنبل يقول: تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان. وقال مالك بن أنس رحمه الله: لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم، ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال، ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه. (ومعناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب، فأما الحرام فكان فحشه ظاهراً). وكان هشام بن عروة يقول: لا تسألوهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فإنهم قد أعدوا له جواباً، ولكن سلوهم عن السنّة فإنهم لا يعرفونها. وكان

تابع للعلم، وسيأتي عليكم زمان يكون العلم تابعاً للهوى). هكذا أورده صاحب القوت. قال: والمراد بالعلم هو نص القرآن والسنة، أو ما دلا عليه واستنبط منها أو وجد فيهما اسمه ومعناه من قول وفعل، والتأويل إذا لم يخرج من الإجماع داخل في العلم والإستنباط إذا كان مستودعاً في الكتاب شهد به المجمل ولا ينافيه النص فهو علم، والمراد من الهوى ما عدا ذلك من العلوم.

(**وكان أحمد**) بن حنبل رحمه الله تعالى (**يقول: تركوا العلم واقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان**). أورده صاحب القوت: هكذا إلا أنه قال ما أقل الفقه فيهم. وأخرج الخطيب في شرف أصحاب الحديث فقال: حدثنا عبد العزيز بن الحسن القرميسيني، حدثنا عبدالله بن موسى الهاشمي، حدثنا ابن بدينا قال: سمعت المروزي يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: فساقه كسياق القوت، وليس في آخره والله المستعان. وأخرج أيضاً من رواية بشر ابن الوليد قال: سمعت أبا يوسف يقول: لا تكثروا من الحديث الغريب الذي لا يجيء به الفقهاء فآخر أمر صاحبه أن يقال كذاب. (**وقال مالك بن أنس**) الإمام رحمه الله تعالى: (**لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم، ولم يكن العلماء يقولون حلال و**) لا (**حرام**) في أكثر الأمور (**أدركتهم يقولون مكروه ومستحب**)، وقد كان مالك كثير التوقف في الأجوبة إذا سئل ويكثر أن يقول: لا أدري سل غيري. وقال رجل لعبد الرحمن بن مهدي: ألا ترى إلى قول فلان في العلم حلال وحرام، وقطعه في الأمور بعلمه يعني رجلاً من أهل الرأي، وإلى قول مالك أحسب أحسب إذا سئل، فقال عبد الرحمن: ويحك قول مالك، أحسب أحب إليَّ من قول فلان اشهد اشهد (**معناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهية والإستحباب، فاما الحرام فكان تجنبه ظاهراً**) بما كانوا يتكلمون فيه.

(**وكان هشام بن عروة**) بن الزبير بن العوام القرشي أبو المنذر رأى أنساً وجابراً وسهل بن سعد وعبدالله بن عمر بن الخطاب ومسح رأسه ودعا له، وكان صدوقاً. مات ببغداد عند أبي جعفر المنصور سنة سبع وأربعين ومائة. (**يقول: لا تسألوهم اليوم عما أحدثوا بأنفسهم قد أعدوا له جواباً، ولكن سلوهم عن السنة فإنهم لا يعرفونها**). هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه ليس فيه بأنفسهم، وفيه سلوهم عن السنن. وكان الشعبي: إذا نظر ما أحدث

أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول: لا ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما في نفسه، وإنما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب، وربما يشوّش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقاً فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار، ولهذا لما أحدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام إليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال: يا مروان ما هذه البدعة؟ فقال: إنها ليست ببدعة إنها خير مما تعلم. إن الناس قد كثروا، فأردت أن يبلغهم الصوت، فقال أبو سعيد: والله لا تأتون بخير مما أعلم أبداً ووالله لا صليت وراءك اليوم! وإنما أنكر ذلك عليه «لأن رسول الله ﷺ كان يتوكأ في خطبة العيد

الناس من الرأي والهوى يقول لقد كان القعود في هذا المسجد أحب إليَّ مما يعدل به فمذ صار فيه هؤلاء الرائيون،فقد بغضوا إلى الجلوس فيه، ولأن أقعد على مزبلة أحب إليّ من أن أجلس فيه، وكان يقول: ما حدثوك عن السنن والآثار فخذ به وما حدثوك بما أحدثوا من رأيهم فامخط عليه، وقال مرة: فبل عليه.

(**وكان أبو سليمان**) عبد الرحمن بن عطية (**الداراني**) رحمه الله تعالى (**يقول: لا ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى عليه إذا وافق ما في نفسه**) هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال: إذا وافق ولم يقل ما في نفسه. وقال بعض العارفين: ما قبلت خاطراً من قلبي حتى يفتح لي شاهدي عدل من كتاب وسنة. وقال سهل التستري: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى تكون فيه هذه الأربع أداء الفرائض بالسنة، وأكل الحلال بالورع، واجتناب النهي من الظاهر والباطن، والصبر على ذلك إلى الممات، (**وإنما قال**) أبو سليمان (**هذا**) الذي ذكره (**لأن ما أبدع**) وأحدث (**من الآراء**) المختلفة (**قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب**) إلا من عصمه الله. كيف؟ وقد قال ابن مسعود: يظهر المنكر والبدع حتى إذا غير منها قيل غيرت السنة، وقال في آخر حديثه: أكيسهم في ذلك الزمان الذي يروغ بدينه روغان الثعالب، (**فربما يشوش صفاء القلوب فيتخيل بسببه الباطل حقاً فيحتاط فيه بالإستظهار بشهادة الآثار**) والسنن (**ولهذا لما أحدث مروان**) ولفظ القوت: وروينا أن مروان لما أحدث (**المنبر في صلاة العيد عند المصلى**) وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، ولد بعد الهجرة بسنتين وليس يصح له سماع، وكان كاتباً لعثمان، وولي أمرة المدينة لمعاوية بالموسم، وبويع له بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية بالجابية، ومات بالشام سنة خمس وستين. (**قام إليه أبو سعيد**) مالك بن سنان (**الخدري**) رضي الله هنه (**فقال يا مروان: ما هذه البدعة؟ فقال: إنها ليست بدعة هي خير مما تعلم .ان الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت، فقال أبو سعيد: والله لا تأتوني**) ولفظ القوت: لا تأتوني (**بخير مما أعلم أبداً و**) و (**الله لا صليت وراءك اليوم**) فانصرف ولم يصل معه صلاة العيد والخطبة على منبر

والاستسقاء على قوس أو عصا لا على المنبر ». وفي الحديث المشهور: « من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو ردّ ». وفي خبر آخر: « من غشّ أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يا رسول الله: وما غش أمتك؟ قال: أن يبتدع بدعة يحمل الناس

في صلاة العيد وخطبة الإستسقاء بدعة، **(وإنما أنكر ذلك)** أبو سعيد على مروان **(لأن النبي ﷺ كان يتوكأ في خطبة العيد والإستسقاء على قوس أو عصا لا على المنبر)**.

روى أبو داود من رواية شعيب بن زريق الطائفي قال: جلست إلى رجل له صحبة يقال له الحكم بن حزن الكلبي فأنشأ يحدثنا فذكر حديثاً فيه فأقمنا بها أياماً شهدنا فيها الجمعة مع النبي ﷺ، فقام يتوكأ على عصا أو قوس، فحمد الله وأثنى عليه.

وروى الطبراني في الصغير من رواية عبد الرحمن بن سعد عمار بن قرظ قال: حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه سعد أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب في العيدين خطب على قوس، وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا. ورواه بن ماجه بلفظ: كان إذا خطب في الحرب خطب على قوس، وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا. ورواه الحاكم في المستدرك من رواية عبدالله بن عمار بن سعد القرظي قال: حدثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ فذكر حديثاً طويلاً فيه: وكان إذا خطب في الحرب خطب على قوس، وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا. وروى الطبراني في الكبير من رواية أبي خباب الكلبي قال: حدثني يزيد بن البراء، عن أبيه قال: كنا جلوساً ننتظر النبي ﷺ يوم أضحى إلى أن قال: ثم أعطي قوساً أو عصا اتكأ عليه الحديث قاله العراقي، والحافظ ابن حجر.

قلت: وبمثل رواية الحاكم وأبي داود أخرجه البيهقي في السنن، وأخرج الشافعي في مسنده في باب إيجاب الجمعة عن عطاء مرسلاً: كان إذا خطب يعتمد على عنزة أو عصا. قال ابن القيم: ولم يحفظ عنه ﷺ أنه توكأ على سيف خلافاً لبعض الجهلة.

(وفي الحديث المشهور) على الألسنة: **(« من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد »)** أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه من رواية سعد بن إبراهيم، عن القاسم، عن عائشة، عن النبي ﷺ بلفظ في أمرنا ما ليس منه » وقال أبو داود: « ما ليس فيه » وفي رواية لمسلم « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » قاله العراقي.

قلت: الذي في روايتهم في أمرنا هذا، وقوله: ردّ أي مردود، وهذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده. قال النووي: ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات.

(وفي حديث آخر: « من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » قيل يا رسول الله: وما غش أمتك؟ قال: « أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها ») هكذا أورده صاحب القوت.

عليها ». وقال ﷺ : « إن الله عز وجل ملكاً ينادي كل يوم من خالف سنّة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعته » ومثال الجاني على الدين بإبداع ما يخالف السنّة بالنسبة إلى مَن يذنب ذنباً مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معينة ، وذلك قد يغفر له فأما قلب الدولة فلا . وقال بعض العلماء : ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء ، وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف ، وقال غيره : الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى . وقال ﷺ : « عليكم بالنمط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالي » . وقال ابن عباس رضي الله

وقال العراقي ، والسيوطي : أخرجه الدارقطني في الإفراد من رواية محمد بن المنكدر بن محمد ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ فذكره إلا أنه قال قيل يا رسول الله : وما الغش ؟ قال : « أن يبدع لهم بدعة ضلالة فيعمل بها » قال الداقطني غريب من حديث محمد بن المنكدر عن أنس تفرد به ابنه المنكدر .

(وقال النبي ﷺ : « إن لله ملكاً ينادي كل يوم من خالف سنة محمد ﷺ لم ينل شفاعته ») قال العراقي : لم أقف له على أصل .

قلت أورده هكذا صاحب القوت بلفظ . وروينا عن النبي ﷺ وفيه : « من خالف سنة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعة رسول الله » وفي بعض النسخ « لم تنله شفاعته » ووجدت بخط بعض المحدثين ما نصه : رواه الخطيب في أثناء حديث بسند فيه مجهول ، وقال الذهبي : هو خبر كذب . **(ومثال الجاني على الدين بإبداع)** أي أحداث **(ما يخالف السنة)** الماضية **(بالنسبة إلى من يذنب ذنباً مثال)** ولفظ القوت : ومثل من ابتدع في الأمة مخالفاً لطريق الأئمة إلى ما أساء بالذنوب إلى نفسه مثل **(من عصى الملك في قلب دولته)** وتظاهر عليه في ملكه بالإزالة **(بالنسبة إلى من)** ولفظ القوت إلى جنب من **(خالف أمره في خدمة معينة)** ولفظ القوت : من عصا أمره وقصر في حقه من الرعية ، **(وذلك قد يعفو ، وأما قلب الدولة فلا)** ، وقد قال الحكماء ثلاث من الملك لا يحسن أن يغفرها من قلب دولة من رعيته أو عمل فيما يوهن الملك أو أفسد حرمة من حرمه . **(وقال بعض العلماء : ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء ، وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف)** هكذا أورده صاحب القوت والتكلف أن يتأول السنن بالرأي والمعقول ، أو ينطق بما لم يسبق إليه السلف من القول أو بمعناه . **(وقال آخر : الحق ثقيل من جاوزه ظلم ، ومن قصر عنه عجز ، ومن وقف معه اكتفى)** هكذا أورده صاحب القوت ، والمراد بالوقوف معه أن يدور معه حيث دار ولا يتعدى عن حدوده فيفرط ولا يقصر عن قبوله فيفرط .

(وقال ﷺ : « عليكم بالنمط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالي ») قال العراقي : لم أجده مرفوعاً ، وإنما هو موقوف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه . رواه أبو

عنهما: الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها. قال الله تعالى: ﴿وَذرِ الذين اتّخذوا دينَهم لِعباً وَلهواً﴾ [الأنعام: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿أفَمَنْ زَيّن له سُوءَ عمله فرآه حسناً﴾ [فاطر: ٨]، فكل ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة، فهو من اللعب واللهو. وحكي عن إبليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله عنهم فرجعوا إليه محسورين، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئاً وقد أتعبونا! فقال: إنكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم، ولكن

عبيد في غريب الحديث بلفظ: «خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي» ورجال إسناده ثقات إلا أن فيه انقطاعاً اهـ.

قلت: والمصنف أخذه من القوت ولفظه. وقال علي كرم الله وجهه. فساقه. وأورده الجوهري في الصحاح، فقال: وفي الحديث فساقه كسياق أبي عبيد، وقد جاء في حديث مرفوع «خير الناس هذا النمط الأوسط» وقد ذكرته في شرح القاموس وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية إسماعيل بن عبد الكريم قال: حدثني عبد الصمد سمعت وهباً يقول: إن لكل شيء طرفين ووسطاً فإذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر، وإذا أمسكت بالوسط اعتدل الطرفان ثم قال عليكم بالأوسط من الأشياء اهـ.

والنمط: الطريقة يقال الزم هذا النمط أي هذا الطريق، والغالي إن كان بالغين المعجمة فمن الغلو وهو التجاوز والإفراط، وإن كان بالعين المهلمة فمن العلو بمعنى ارتفاع الشأن والتالي من تلاوة وقال أبو عبيد معنى قول على أنه الغلو والتقصير في الدين إذا تبعه.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما. **(إن الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها قال الله تعالى: ﴿اتخذوا دينهم لعباً ولهواً﴾ [الأنعام: ٧٠] وقال تعالى: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾)** [فاطر: ٨] هكذا أورده صاحب القوت بلفظ إن للضلالة حلاوة، وزاد في آخره كما قال الله تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ [هود: ١٧] فالعلم رحمك الله هو الذي كان عليه السلف الصالح المقتفي آثارهم، والخلف التابع المقتدي بهديهم وهم الصحابة أهل السكينة والرضا، ثم التابعون لهم بإحسان من أهل الزهد والنهي، والعالم هو الذي يدعو الناس إلى مثل حاله حتى يكونوا مثله، فإذا نظروا إليه زهدوا في الدنيا لزهده فيها، **(فكل ما أحدث)** وابتدع **(بعد)** عصر **(الصحابة)** والتابعين لهم بإحسان **(مما جاوز قدر الضرورة والحاجة، فهو من اللهو واللعب)** داخل في منطوق الآية الكريمة.

(وحُكي عن إبليس لعنه الله تعالى أنه بث جنوده) أي نشر أعوانه **(في وقت الصحابة)** رضوان الله عليهم ليغووهم **(فرجعوا إليه محسورين)** ممنوعين لم يقدروا على فعل شيء من الاغواء ولفظ القوت: محصورين بالصاد المهملة، **(فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: ما رأينا مثل هؤلاء)** القوم **(ما نصيب منهم شيئاً وقد أتعبونا، فقال)** إبليس: **(إنكم لا تقدرون**

سيأتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم، فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين، فقالوا: ما رأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات! فقال: إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئاً لصحة توحيدهم واتباعهم لسنّة نبيهم، ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعباً وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون، فيبدل الله سيئاتهم حسنات. قال: فجاء قوم بعد القرن الأوّل فبثّ فيهم الأهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها ديناً لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها، فسلط عليهم الأعداء وقادوهم أين شاءوا.

فإن قلت: من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك؟ فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن

عليهم) إنهم **(قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزل الوحي)** ولفظ القوت: تنزيل ربهم، **(ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون حاجتكم، فلما جاء التابعون)** أي عصرهم **(بث جنوده)** فيهم **(فرجعوا إليه)** منكسرين **(منكسين)** ولفظ القوت: منكوسين **(فقالوا)** ولفظ القوت: فقال ما شأنكم؟ قالوا: **(ما رأينا أعجب من هؤلاء)** القوم **(نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب، فإذا كان)** من **(آخر النهار أخذوا في الإستغفار فتبدل سيئآتهم حسنات، فقال: إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئاً لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم، ولكن سيأتي بعدهم قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعباً وتقودونهم بأزمة أهوائكم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فتبدل سيئآتهم حسنات، قال، فجاء قوم بعد القرون الأول)** كذا لفظ القوت، وفي بعض النسخ: بعد القرن الأول **(فبث فيهم الأهواء)** وحسنها لهم **(وزين لهم البدع فاستحلوها)** بتشديد اللام وبتخفيفها **(واتخذوها)** أي تلك البدع **(ديناً)** وطريقة **(لا يستغفرون منها ولا يتوبون)** إلى الله تعالى **(عنها)** قال: **(فسلط)** كذا في النسخ ولفظ القوت: فتسلطت **(عليهم الأعداء وقادتهم أين شاءوا)**. هكذا ساق هذه الحكاية بطولها صاحب القوت وهي دالة على أن الأحداث والإبتداع في الدين ضلالة وإضلال وفساد وإفساد. وقد ورد في ذلك أحاديث وآثار غير ما ساقها المصنف مما هو في الحلية لأبي نعيم والقوت لأبي طالب، والسنة للالكائي وغيرها، ولو استوفينا الكل أطال علينا الكتاب وامتلأ الوطاب، ولكن اقتصرنا على تبيين ما أورده المصنف فقط.

(فان قلت: من أين عرف قائل هذا ما قاله) أي هذه الحكاية التي أوردها عن ابليس من أين مأخذها **(و)**ذلك فإنه معلوم قطعاً بأنه **(لم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك)** في نشر جنوده؟ **(فاعلم أن)** هذا وأمثاله يُعدّ في جلة مكاشفات أرباب القلوب لأن **(أرباب القلوب)** الصافية **(يكاشفون بأسرار الملكوت)** ويشاهدونها والملكوت ما بطن من الكون ولا تدركه

يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون، وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة، وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة ـ كما يكون في المنام ـ وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوّة العالية، كما أن الرؤيا الصادقة

الحواس الخمس ولا يقبل القسمة والتجزىء، ويقابله الملك ويعبران بالغيب والشهادة أيضاً **(تارة على سبيل الالهام)** الرباني **(بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون)** وهو صنف من أصناف الوحي الثلاثة، **(وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة)** في النوم وهو أيضاً صنف من أصناف الوحي التسعة، **(وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة)**، وذلك فإن الانسان إذا إرتقى من قوة الحس إلى قوّة التخيل، ومنها إلى قوّة الفكر، ومنها إلى إدراك حقائق الأمور التي في العقل وهذي القوى متصلة إتصالاً روحانياً فربما عرض لها من قوّة قبول بعضها من بعض الآثار أن ينعكس في بعض الأمزجة منحطة كما تصاعدت على سبيل الفيض، فيؤثر حينئذ العقل في القوة الفكرية، والقوّة الفكرية في القوّة المتخيلة، وتؤثر القوّة المتخيلة في الحس فيرى الانسان أمثلة الأمور المعقولة. أعني حقائق الأشياء ومبادئها وأسبابها كأنها خارجة عنه وكأنها يراها ببصره ويسمعها بأذنه، **(كما يكون في المنام)** أي كما أن النائم يرى أمثلة الأشياء المحسوسة في القوّة المتخيلة، ويظن أنه يراها من خارج، وربما كانت صحيحة مبشرة أو منذرة في المستأنف، وربما رأى الامور بأعيانها من غير تأويل، وربما رآها مرموزة تحتاج إلى تأويل. كذلك حال هذا المستيقظ إذا استقرت فيه هذه القوّة العالية أخذته عن المحسوسات حتى كانت غابت عنها فيشاهد في القوّة المتخيلة ما إنحدر إليها من علو الخفا بارادة الله اياه إلى العقل، ومن العقل إلى الفكر، ومن الفكر إلى المتخيلة ويسمع ما لا يشك فيه، وتلك الأمور ليست في زمان فمستقبلها وماضيها واحد لأنها حاضرة معاً، فالامور لائحة فيه له فيشاهد مستقبلها كما يشاهد ماضيها وإذا أخبر بها كانت صحيحة وكانت وحياً والله أعلم.

(وهذا أعلى الدرجات) لأنه من مقام الأنبياء وهو غاية شرف الانسانية والأفق الأعلى منه، فلم يبق له الارتقاء من هذا المقام بسعيه وجهده بل تنحط إليه الأمور الالهية والجذبات الربانية وحيا وإلهاماً **(وهي من درجات النبّوة العالية)** الشأن والقدر، **(كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)** أخرجه الأمام أحمد، وابن ماجه، عن ابن عمر، والإمام أحمد أيضاً عن ابن عباس ولفظهم: « الرؤيا الصالحة » وقد تقدم تخريج هذا الحديث في أوّل الكتاب، واعلم أن الانسان إذا جعل أقصى سعيه بما يستفيده من حواسه ترقية قواه إلى ما يقرب من الرب عز وجل بطريق الرياضات النفسانية والمجاهدات الشرعية أيده الله تعالى بحقيقة الضد واستكملت صورة الانسانية فيه وتصورت نفسه بحقائق الاشياء، فيبلغ في هذه المرتبة متصاعداً فيها إلى غاية أفقه التي إن تجاوزها لم يكن إنساناً، بل صار ملكاً كريماً إلى أن تدركه العناية الأزلية وتهب نفحات ألطاف الحق فتنخرق الحجب النورانية ويشاهد الأنوار الربانية ويتقوى بقوة لم تكن في استعداد الإنسان مجبولة تسمى خفياً لأنها كانت متمكنة لم يخرجها من القوة

جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة. **فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكاره ما جاوز حد قصورك، ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول، فالجهل خير من عقل يدعو إلى انكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى، ومن**

إلى الفعل إلا سطوات الأنوار الربانية فبالارتقاء إلى مقام الخفي يستعد للترقي من أواخر الأفق الإنساني إلى أوائل آفاق ما فوقها فيستعد لقبول الفيض الرباني بلا واسطة، وهذا مقام الأنبياء ينبئه الحق تعالى باراءة آياته في آفاق نفسه عما يشاء كما يشاء، أما الاولياء بالالهام، وأما الأنبياء بالوحي بحسب استعداد كل واحد منهم. وقد ذكرنا آنفاً أن الالهام صنف من أصناف الوحي الثلاثة والرؤيا الصادقة صنف من أصناف الوحي التسعة، فربما تتشوّق نفسك إلى معرفة ذلك تفصيلاً .فاعلم أن الله جل شأنه جعل أقسام كلامه مع عباده ثلاثة وحياً بلا واسطة، وكلاماً من وراء حجاب، وارسال الرسول وهو جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة، ثم جعل أصناف الوحي ثلاثة وحياً للعجماء بالاجراء والتسخير، وحياً للأولياء بالالهام، ووحياً للأنبياء تارة بواسطة وتارة بغير واسطة، ولكل ذلك أمثلة وأدلة ليس هذا محل ذكرها. وقال بعض الحكماء الاسلاميين إن أصناف الوحي يجب أن يكون بعد أصناف قوى النفس. وذلك ان الفيض الذي يأتي النفس، إما أن تقبله بجميع قواها أو ببعضها وقوى النفس تنقسم إلى قسمين وهما الحس والعقل، وكل واحد من هذين ينقسم إلى أقسام كثيرة وأقسامها إلى أقسام كثيرة حتى ينتهي إلى الجزئيات التي لا نهاية لها، وإنما عرض هذا الانقسام بحسب الآلات والمدركات الكثيرة، فأما قواها التي هي الحواس فمنها ما هو في أفق الحيوان البهيمي، ومنها ما هو في أفق الانسان، وأعلاها مرتبة ما هو في أفق الانسان أعني حس البصر والسمع إلى آخر ما ذكره وأيد به قوله، وأما ما جاء على لسان العلم من أصناف الوحي على نبينا ﷺ فمنها الرؤيا الصالحة، ومنها ما يبدو في اليقظة فيسمع صوتاً أو يرى ضوءاً، ومنها ما يرى ملكاً فيكلمه، ومنها ما يظهر الملك في أفق الملكية ومنها ما ينفث الملك في الروع، ومنها ما نزل به جبريل على قلبه، ومنها ما يلقيه الله في القلب من غير واسطة، ومنها ما يأتي الملك متمثلاً في صورة إنسان، ومنها ما كان سراً بينه وبين ربه فلم يحدث به أحداً، ومنها ما يحدث به الناس وذلك على صنفين: فمنه ما كان مأموراً بكتبه قرآناً ومنه ما لم يكن مأموراً بكتبه قرآنا فلم يكن قرآنا والله أعلم.

(وإياك) أيها السامع لما أوردناه **(أن يكون حظك)** ونصيبك **(من العلم)** الذي حلته في باطنك **(إنكار كل ما جاوز حد قصورك)** وتعدى عن طور فهمك، **(ففيه هلك المتحذلقون من العلماء)** أي المتكيسون، والحذلقة: والتحذلق التصرف بالظرف، وقيل المتحذلق هو الذي يريد أن يزداد على قدره، وانه ليتحذلق في كلامه ويتبلتع أي يتظرف ويتكيس **(الزاعمون انهم أحاطوا)** على المعلومات بأسرها **(بعلم المعقول)**، ولو وكل ما لا يحيط به ادراكه إلى علم الله تعالى لكان أحسن الحالين له، **(والجهل خير من عقل يدعو)** ويتسبب **(إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى)** لأن أشرف أقوال الجاهلين التسليم

أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء وكان خارجاً عن الدين بالكلية. قال بعض العارفين إنما انقطع الابدال في أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت، لأنهم عندهم جهال بالله تعالى، وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء. قال سهل التستري رضي الله عنه: إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل، والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة، وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصغى إلى قوله، بل ينبغي أن يتهم في كل ما يقول لأن كل إنسان يخوض فيما أحب

والتفويض لما لا يعلمون، وهو أقل أحوال العالمين فبالنظر إلى ذلك كان بعض الجهل خيراً من العلم. (**ومن أنكر ذلك لأولياء الله تعالى**) ولم يثبت لهم ذلك (**لزمه إنكار الانبياء**)، لأن طريق الفيض واحد وإنما يختلف تلقيه بحسب الاستعدادات فما كان للأنبياء فهو للأولياء مع مباينة الاستعداد ما عدا مرتبة النبوّة التي لا يلحقها لاحق ولا يشق غبارها سابق، فإنكارها ما للأولياء يورثه الانكار لما للأنبياء، (و) متى ارتسم في صورته الطبيعية رد إلى أرذل الأحوال و (**كان خارجاً عن**) ربقة (**الدين بالكلية**) وهذا يسقط معه الكلام.

(**قال بعض العارفين إنما انقطع الابدال في أطراف الارض واستتروا عن أعين الجمهور لانهم**) ولفظ القوت: ويقال أن الابدال إنما انقطعوا لأطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور (**لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت**) ولا يصبرون على إستماع كلامهم، (**لأنهم عندهم جهال بالله تعالى**) أي العلماء عند الابدال (**وهم**) أي العلماء (**عند أنفسهم وعند الجاهلين**) والعامة (**علماء**)، وقد ذكر السادة الصوفية أن الابدال في كل زمن سبعة لا يزيدون كل واحد في إقليم، والاوتاد أربعة لا يزيدون، والنجباء ثمانية لا يزيدون، والنقباء اثنا عشر لا يزيدون، ولكل هؤلاء أحوال ليس هذا محل ذكرها: قال صاحب القوت وقد صاروا من أهل الجهل بالجهل على الوصف الذي (**قال**) أبو محمد (**سهل التستري رحمه الله تعالى**) أن (**من أعظم المعاصي الجهل بالجهل**) أي أن يجهل أنه يجهل فجهله بسيط، وقد تم كلام سهل، ثم ابتدأ صاحب القوت فقال (**والنظر إلى**) أحوال (**العمة وإستماع كلام أهل الغفلة**) أيسر عندهم أي عند الابدال لانهم لا يعدمون ذلك حيث كانوا من أطراف الأرض، وقد ظهر لك مما تقدم أن كلام سهل التستري من أعظم المعاصي الجهل بالجهل هو هذا القدر، وأما ما بعده فإنه من ايراد صاحب القوت، وظن المصنف كله من كلام سهل فأورد الجمل الثلاثة معاً وحذف الخبر الذي هو قوله أيسر عندهم، فليتفطن لذلك وهذا لا يعرفه إلا من أطلعه الله تعالى على مآخذ عبارات المصنف. (**وكل عالم**) ناطق بظواهر العلوم (**خائض في**) أمور (**الدنيا**) محب لها، فانه آكل للمال الباطل، وكل من أكل أموال الناس بالباطل فإنه يصد عن سبيل الله لا محالة وإن لم يظهر ذلك في مقالته ولكنا نعرفه في لحن معناه بدقائق الصد عن مجالسة غيره. وبلطائف المنع من طرقات الآخرة، (**فلا ينبغي أن يصغي**) أي يمال الاذن (**إلى**) استماع

ويدفع ما لا يوافق محبوبه، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾ [الكهف: ٢٨]، والعوام العصاة أسعد حالاً من الجهال بطريق الدين المعتقدين أنهم من العلماء، لأن العامي العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب، وهذا الجاهل الظانّ أنه عالم فإن ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر، بل لا يزال مستمراً عليه إلى الموت. وإذ غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لـذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم ـ كما سيأتي في كتاب العزلة بيانه إن شاء الله تعالى ـ ولذلك كتب يوسف بن اسباط إلى حذيفة المرعشي: ما ظنك بمن بقي

(**قوله، بل ينبغي أن يتهم في كل ما يقول لأن كل انسان**) إنما (**يخوض فيما أحب**) ومالت إليه نفسه، (**ويدفع ما لا يوافق محبوبه**) فحب الدنيا وغلبة الهوى يحكمان عليه بالصد عن سبيل الحق شاء أم أبى. (**ولذلك قال تعالى ﴿ولا تُطعْ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواهَ وكانَ أمرُهُ فرطاً﴾**) [الكهف: ٢٨] أي مضيعاً متهاوناً به. وقال أبو عبيدة: أي ندماً وقيل: سرفاً، (**والعوام**) من الناس (**العصاة أسعد حالاً**) وأقرب إلى الرحمة (**من**) خواص العلماء (**الجهال بطريق الدين**) والصراط المستقيم (**المعتقدين**) في أنفسهم وعند العامة (**أنهم من العلماء، لأن العامي العاصي**) لا يموّه في الدين ولا يغر المؤمنين ولا يدعى أنه عالم لأنه يتعلم و (**معترف**) بالجهالة و (**بتقصيره**) مقر (**فيستغفر ويتوب**) فهو للرحمة أقرب ومن المقت أبعد، (**وهذا الجاهل الظان**) في نفسه (**أنه عالم وان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائل إلى الدنيا**) ووسائط وأسباب لتحصيلها (**عن سلوك طريق الدين فلا يتوب**) إلى الله تعالى (**ولا يستغفر**) فهو (**لا يزال مستمراً**) على حاله (**إلى الموت**). وكان سهل التستري يقول: قسوة القلب بالجهل أشد من القسوة بالمعاصي، لأن الجاهل بالعلم تارك ومدع، والعاصي بالفعل معترف بالعلم، وكان يقول أيضاً: العلم دواء يصلح الأدواء فهو يزيل فساد الأعمال بالتدارك، والجهل داء يفسد الأعمال بعد صلاحها فهو يزيل الحسنات ويجعلها سيئات، فكم بين ما يصلح الفساد وبين ما يفسد الصالحات، وقد قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يُصلِحُ عملَ المفسدينَ﴾ [يونس: ٨١] وقال تعالى: ﴿انا لا نُضيعُ أجْرَ المُصلحينَ﴾ [الأعراق: ١٧٠] (**وإذا غلب هذا**) الوصف (**على أكثر الناس**) من المتسمين بسمه العلم (**إلا من عصمه الله تعالى**). وهم أقل من القليل (**انقطع**) الرجاء من ارشادهم وخاب (**الطمع من اصلاحهم**)، لأنه داء نحيس لا يرجى برؤة، (**فالأسلم**) الاحوط (**لدين المحتاط**) الوجل المشفق على حاله (**العزلة والانفراد عنهم**) كيلا يراهم ولا يروه، (**كما سيأتي في كتاب العزلة**) من هذا الكتاب (**بيانه ان شاء الله تعالى، ولذلك كتب**) أبو محمد (**يوسف بن أسباط**) المتوفي سنة نيف وتسعين ومائة (**إلى حذيفة المرعشي**) المتوفي سنة سبع ومائتين وكلاهما من أكابر العارفين:

لا يجد أحداً يذكر الله تعالى معه إلا كان آثماً أو كانت مذاكرته معصية، وذلك انه لا يجد أهله ولقد صدق فإن مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر، وإن أحسن أحواله أن يفيد علماً أو يستفيده، ولو تأمل هذا المسكين وعلم أن إفادته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرئاسة علم أن المستفيد، إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا ووسيلة إلى الشر، فيكون هو معيناً له على ذلك وردءاً وظهيراً ومهيئاً لأسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق. فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو، ولذلك لا يرخص له في البيع ممن يعلم بقرائن أحواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق.

فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف، فكن أحد رجلين: إما متصفاً بهذه الصفات، أو معترفاً بالتقصير

(ما ظنك بمن بقي لا يجد أحداً يذكر الله تعالى معه إلا كان آثماً، وكانت مذكراته معصية، وذلك انه لا يجد أهله). هكذا أورده صاحب القوت وزاد: قلت ليوسف يا أبا محمد وتعرفهم؟ قال: يخفون علينا. وقوله: قلت الخ إنما هو حكاية صاحب القوت عمن روى ذلك عن يوسف بن أسباط لا أنه أدركه وسأله، وذلك لأن صاحب القوت وفاته سنة ست وثمانين وثلاثمائة ويوسف بن أسباط متقدم عنه بكثير، وقال في موضع آخر، وقال حذيفة المرعشي: كتب إلى يوسف بن أسباط ذهبت الطاعة ومن يعرفها، وكان أيضاً يقول ما بقي من يؤنس به، وقال: ما ظنك بزمان مذكراة العلم فيه معصية؟ قيل: ولم ذاك؟ قال لأنه لا يجد أهله، **(ولقد صدق)** يوسف بن أسباط في قوله **(فإن مخالطة الناس)** ومجالستهم **(لا تنفك عن)** كثير من الغوائل من نحو **(غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر)** وكل من الثلاثة مهلكات، **(وأحسن أحواله أن يفيد علماً)** للغير. **(ولو تأمل)** حق التأمل **(علم أن المستفيد)** من ذلك العلم **(إنما يريد أن يجعل ذلك آلة طلب الدنيا ووسيلة إلى الشرفيكون هو معيناً له)** في سائر أحواله **(وردءاً وظهيراً)** وناصراً **(ومهيئاً)** حاضراً **(لأسبابه)** المنوطة به وهذا في الحقيقة **(كالذي يبيع السيف)** وما في معناه من آلات الحرب **(من قطاع الطريق)** على المسلمين واللصوص، **(فالعلم كالسيف)** بجامع كل منهما في كونه آلة للحرب، فالعلم آلة لحرب أعداء الباطن، والسيف آلة لحرب أعداء الظاهر **(وصلاحه للخير)** ببذلة لأهله **(كصلاح السيف للغزو)** والجهاد، **(وذلك لا يرخص)** أي لا يجوز **(في البيع من يعلم بقرائن الأحوال)** القائمة الدالة على **(انه يريد)** به **(الاستعانة على قطع الطريق)** والضرر بالمسلمين.

(فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة) منها **(جملاً من أخلاق علماء السلف)** وأحوالهم وسيرهم **(فكن)** أيها السامع لذلك **(أحد رجلين إما متصفاً**

مع الإقرار به، وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وإنكارك بزمرة الهالكين الآيسين. نعوذ بالله من خدع الشيطان، فبها هلك الجمهور فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور.

بهذه الصفات) بعد التخلية عن الأوصاف المذمومة بالمجاهدات الشرعية وهو أعلى المقام، **(أو معترفاً بالتقصير)** عن لحوق ذلك لموانع وقواطع **(مع الإقرار به)** والتسليم لما فيه وهو المقام الثاني؛ **(واياك أن تكون الثالث)** أي لا متصفاً ولا معترفاً بل منكراً **(فتلبس على نفسك)** أي تشبه عليها **(بأن بدلت آلة الدنيا بالدين وسيرة البطالين)** عن الاعمال الصالحة **(بسيرة العلماء الراسخين)** الثابتين القدم في علومهم ومعارفهم وأذواقهم، **(وتلحق بجهلك)** في نفسك **(وانكارك)** بمقاماتهم **(بجملة الهالكين)** في عذاب الله **(الآيسين)** من رحمة الله. **قال القطب** سيدي علي وفا قدس سره: سبقت كلمة الله التي لا تتبذل وجرت سّنة الله التي تتحوّل أن ينفخ روح علمه في مخصوص إلا انقسم الخلق له بين ملكي ساجد وشيطاني حاسد، فاحرص على أن تكون لأهل النعم العلمية محباً خاضعاً لتسلم أو تنعم أو ترحم، واياك أن تكون لهم مبغضاً أو حاسداً فتسلب أو ترجم أو تحرم. **(نعوذ بالله من خدع الشيطان فبما هلك الجمهور)** معظم الناس، **(ونسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تضره الحياة الدنيا)** بزينتها وزهرتها **(ولا يغره بالله الغرور)** وهو كما قال ابن عرفة: ما رأيت له ظاهراً تحبه وفيه باطن تكرهه أو تجهله، وبه ختم المصنف الباب السادس من كتاب العلم.

الباب السابع

في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه.

(بيان شرف العقل):

اعلم ان هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره، لا سيا وقد ظهر شرف العلم من قبل، والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا

الباب السابع

في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

(بيان شرف العقل):

قدم بيان شرفه على بيان حقيقته وأقسامه لان ما لا يعرف شرفه لا يدرك حقيقته وأقسامه فقال.

(اعلم أن هذا) يعني بيان شرفه **(لا يحتاج إلى تكلف)** بجلب البراهين والادلة **(في إظهاره)** إذ هو كالضروري **(لا سيا وقد ظهر)** واستبان **(شرف العلم من قبل)** بالشواهد النقلية والعقلية، **(والعقل)** في الحقيقة **(منبع العلم)** الذي ينتشر منه، **(ومطلعه)** الذي من أفقه يطلع، **(وأساسه)** الذي تنبني عليه أركانه **(والعلم يجري فيه)** أي في العقل **(مجرى الثمر من الشجرو)** مجرى النور من الشمس، ومجرى **(الرؤية من العين)**، وإذا كان العلم نتيجة العقل وحال النتيجة في العلو والشرف ما عرف، فألاصل كيف يكون، وتحقيق هذا المقام ان العقل هو الشرف في الإنسان. وهو المتهيء لقبول الوحي، والايمان بـه يحصـل عنـه العلم والمعـرفـة والدراية والحكمة والذكاء والذهن والفهم والفطنة وجودة الخاطر وجودة الوهم والخيال والبديهة والرؤية والكياسة والخبرة وإصابة الظن والفراسة والزكانة والكهانة ودقة النظر والرأي والتدبير وصحة الفكر وسرعة الذكر وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة، فهذه سبع وعشرون من توابع العقل، والعقل أساس لكل واحد منها ومطلع لأسرار معارفها. واقتصر المصنف على واحد منها وهو العلم. ولكل منها حدود وتعاريف لا نطوّل بها الكتاب، ولعلنا نلم ببعض من ذلك في أثناء شرح كلام المصنف حيث اتفق الحال بحسب المناسبة، فالعلم إدراك الشيء بحقيقته وهو ضربان أحدهما حصول صور لمعلومات في النفس، والثاني حكم النفس على الشيء بوجود شيء له هو موجود أو نفي شيء عنه هو غير موجود له نحو: الحكم على زيد بأنه خارج أو ليس هو طائراً،

والآخرة؟ أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل، حتى ان أعظم البهائم بدناً وأشدها ضراوة وأقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل، ولذلك قال ﷺ: « الشيخ في قومه كالنبي في أمته ». وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته، بل

فالأوّل هو الذي قد يسمى في الشرع وفي كلام الحكماء العقل المستفاد، وفي النحو المعرفة ويتعدى إلى مفعول واحد، والثاني يسمى العلم دون العقل ويتعدى إلى مفعولين، ولا يجوز الاقتصار على أحدهما من حيث أن القصد إذا قيل علمت زيداً منطلقاً إثبات العلم بانطلاق زيد دون العلم بزيد، ثم أن العلم والعقل بقياس أحدهما على الآخر على ثلاثة أوجه. **أحدها**: عقل ليس بعلم وهذا العقل الغريزي، **والثاني**: علم ليس بعقل وهو المتعدي إلى مفعولين، **والثالث**: عقل هو علم وعلم هو عقل، وهو العقل المستفاد. والعلم الذي يقال له المعرفة ولم يصح أن يعدى العقل إلى مفعولين فيقال: عقلت زيداً منطلقاً، كما يقال في علمت لكون العقل موضوعاً للعلم البسيط دون المركب، وسمي عقلاً من حيث انه مانع لصاحبه أن تقع أفعاله على غير نظام ويسمى علماً من حيث أنه علامة على الشيء وهذا إذا اعتبر حقيقته مما يتبين به شرف اللغة العربية حققه الراغب في الذريعة، **(وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة)**. أما السعادة الدنيوية فمن أعظمها أن الانسان به يصير خليفة الله في أرضه، وأما الاخروية فإنه يحصل حرث الآخرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿من كان يُريد حرثَ الآخِرة نَزد لهُ حرثِه﴾ [الشورى: ٢٠] وثمرة حرث الآخرة على التفصيل سبعة أشياء: بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغنى بلا فقر، وأمن بلا خوف، وراحة بلا شغل، وعز بلا ذل. **(أو كيف يستراب)** ويشك **(فيه والبهيمة على قصور تمييزها تحتشم العقل)**. قال الشيخ نجم الدين دابه: إعلم أن الله تعالى خص العقل برتبة هي أعلى مراتب المبدعات، وأن جميعها محتاجة إليه، وهو الذي يمدها بفضائله وإن كان بعضها لأجل بعده عنه وقلة حظه منه يتمرد عليه وعلى ذلك، فانه لا محالة يخضع له إذا ظهر له أدنى ظهور، فمثله كمثل الملك الذي يحتجب عن بعض عبيده ويطلع عليهم من حيث لا يرونه ولا يعلمون انه يراهم، فإن أحسّوا به أدنى إحساس انقبضوا ضرورة وهابوا طبعاً، ويظهر هذا المعنى ظهوراً تاماً في البهائم فانها تخدم الانسان وتهابه بالطبع وتتبع العدة الكثيرة الراعي الواحد، ربما كانت قوّة واحد منها تزيد على قوى عدة كثيرة منهم **(حتى أن أعظم البهائم بدناً وأشدهم ضراوة وأقواهم سطوة)** نحو الجمل والفيل **(إذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه)** خافه **(لشعوره)** وإدراكه **(باستيلائه عليه)** وغلبته **(لما خص به إدراك الحيل)** وقال الراغب في الذريعة: العقل حيثما كان محتشماً حتى ان الحيوان إذا رأى انساناً احتشمه بعض الاحتشام وانزجر بعض الانزجار، ولذلك تنقاد الإبل للراعي اهـ.

(ولذلك قال ﷺ: « الشيخ في قومه كالنبي في أمته ») قال السخاوي في المقاصد: جزم

لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله. ولذلك تـرى الأتراك والأكراد واجلاف العرب

شيخنا وغيره بأنه موضوع وإنما هو من كلام بعض السلف، وربما بلفظ الشيخ في جماعته كالنبي في قومه يتعلمون من علمه ويتأدّبون من آدابه وكله باطل اهـ.

وقال العراقي: وسئل عنه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في جملة أحاديث فأجاب بأنه لا أصل له، ثم قال العراقي: وقد روى من حديث ابن عمر وأبي رافع، أما حديث ابن عمر فرواه ابن حبان في تاريخ الضعفاء، ومن رواية عبدالله بن عمر بن غانم، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: فذكره. أورده في ترجمة ابن غانم المذكور قاضي افريقية، وقـال روي عـن مـالـك مـا لم يحدث به مالك قط لا يحل ذكر حديثه ولا الرواية عنه في الكتب الا على سبيل الاعتبار. قال العراقي: روى له أبو داود في سننه وقال: أحاديثه مستقيمة، وذكره ابن يونس في تاريخ مصر وقال انه أحد الثقات الاثبات، ومع ذلك فالحديث باطل، ولعل الآفة فيه من الراوي عن ابن غانم، وهو عثمان بن محمد بن خشيش القيرواني قاله الذهبي في الميزان.

وأما حديث أبي رافع فرواه ابن عساكر في معجمه والديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن عبد الملك الكوفي، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أبيه، عن رافع بن أبي رافع، عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «الشيخ في أهله كالنبي في قومه» ومحمد بن عبد الملك يعرف بالقناطري كذاب، وفي الميزان حديث باطل اهـ.

قلت: وحديث أبي رافع هذا أخرجه أيضاً الخليلي في مشيخته وابن النجار في تاريخه كلاهما من حديث أحمد بن يعقوب القرشـي الجرجاني عن القناطري، وقال ابن حبان: هو موضوع، وقال الزركشي: ليس هو من كلام النبي ﷺ. وفي اللسان قال الخليلي: هو الموضوع.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه أيضاً الشيرازي في الألقاب ولفظه: «الشيخ في بيته كالنبي في قومه» هذا حال الحديث من جهة رواته قد حكم عليه بالوضع، ولكن معناه صحيح يؤيده قوله تعالى ﴿فاسألوا أهلَ الذِّكرِ إن كُنتم لا تعلمونَ﴾ [النحل: ٤٣] وقولَه ﷺ «العلماء ورثة الانبياء». وغير ذلك (**وليس ذلك لكثرة ماله**) ومتاعه (**ولا لكبر شخصه**) وجثته (**ولا زيادة قوته**) وكثرة جرأته وبطشه، (**بل لزيادة تجربته التـي هي ثمرة عقله**) أي لتناهي عقله وكماله فيتعلمون من علمه ويتأدبون من آدابه، وقد وجدت هذه الزيادة في بعض كما أشار له السخاوي، ومنهم من شرح الحديث بغير ما ذهب إليه المصنف، فقال أي له من التوقير مثل ما للنبي في أمته، وهو وإن كان صحيحاً ولكن المعنى الأوّل أنسب للمقام، وقد قال الشيخ الاكبر قدس سره: الشيوخ نواب الحق كالرسل في زمانهم فهم ورثوا الشريعة وعليهم حفظها بما فيها لا التشريع وحفظ القلوب ورعاية الآداب فهم من العلماء بالله بمنزلة الطبيب من العالم بعلم الطبيعة، والطبيب لا يعرف الطبيعة إلا بما هي مدبرة للبدن، والعالم بالطبيعة يعرفها مطلقاً وإن لم يكن طبيباً وقد يجمع الشيخ بينهما ومهما نقص عما يحتاجه المريد في تربيته فلا يحل له القعود على منصة الشيخوخة فإنه يفسد أكثر مما يصلح ويفتن كالمتطبب يعل الصحيح ويقتل المريض اهـ.

وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع. ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله ﷺ، فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوّة، وإن كان

المقصود منه ونعود إلى شرح كلام المصنف ولما سبق أن العقل أشرف المبدعات وأن جميعها محتاجة إليه حتى أن البهائم ظهر فيها هذا المعنى من الانقياد لصاحب العقل والاحتشام له ذكران على هذا يجري أمر الناس بعضهم مع بعض، فإن عامتهم إذا وجدوا بينهم واحداً أكثر حظاً من العقل، فإنهم يهابونه ويخضعون له ويتبعونه منقادين مستسلمين كشبه البهائم إذ الطينة واحدة بعينها فقال: **(ولذلك ترى الأتراك)** وهم جيل من الناس معروفون الواحد تركي، **(والأكراد)** جيل من الناس معروفون مساكنهم الجبال وفي نسبتهم اختلاف كثير بيناه في شرحنا على القاموس، **(وأجلاف العرب)** وهم الجفاة منهم الذين لم يتزيوا بزي أهل الحضر في رفقهم ولين أخلاقهم مأخوذ من جلف الشاة أو البعير كان المعنى عربي بجلده، كما قال: غلام بغباره أي لم يتغير عن جهته، **(وسائر الخلق)** أي من سائر الأجناس **(مع قرب رتبتهم من)** رتبة **(البهائم)** وتحقيق المقام أن الإنسان وإن كان هو بكونه إنساناً هو أفضل موجود، فذلك بشرط أن يراعى ما به صار إنساناً وهو العلم والعمل المحكم، فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضل، فأما من حيث ما يتغذى وينسل فنبات، ومن حيث ما يتحرك ويحس فحيوان، ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة في جدار، وإنما فضيلته بالنطق وقواه ومقتضاه، ولهذا قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة، فمن صرف همته كلها إلى رتبة القوة الشهوية باتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام، فخليق بأن يلحق بأفق البهائم فيصير إما غمراً كثور أو شرهاً كخنزير، أو ضرعاً ككلب، أو حقوداً كجمل، أو متكبراً كنمر، أو ذا روغان كثعلب، أو يجمع ذلك كله فيصير كشيطان مريد، فهذه الأوصاف غالباً توجد في الأصناف التي ذكرها المصنف إما على الانفراد أو على الاشتراك أو الجمعية **(يوقرون المشايخ بالطبع)** والجبلة ويعظمونهم أجلالاً لمقامهم ويتبعون آراءهم خاضعين منقادين، وفي الذريعة وكذلك جماعة الرعاة إذا رأوا منهم من كان أوفر عقلاً وأغزر فضلاً فيما هم بصدده انقادوا له طوعاً، فالعلماء إذا لم يعاندوا انقادوا ضرورة لأكثرهم علماً وأكبرهم وأفضلهم نفساً وأوفرهم عقلاً ولا ينكر فضله إلا متدنس بالمعايب ومتطلب للرئاسة وحافظ على غرض دنيوي، وقد جعل عقله خادماً لشهوته فلحفظه لرئاسته ينكر فضل الفاضل اهـ.

وقال الشيخ نجم الدين داية: وكذلك يفعل العقلاء لمن فوقهم في العقل من الطاعة والانقياد وشدة التهيب، ولقوة هذا الأمر الطبيعي ربما ظن بواحد من الناس أكثر مما فيه من العقل، فينقاد له فقد بان بما ذكرنا أن العقل ملك مطاع بالطبع، **(ولذلك)** أي لفضيلة العقل الوافر **(قصد قتل النبي ﷺ كثير من المعاندين)** لجفاء طباعهم وقسوة قلوبهم، **(فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته)** أي غرة وجهه **(الكريمة هابوه)** واحتشموه **(وتراءى لهم**

ذلك باطناً في نفسه بطون العقل، فشرف العقل مدرك بالضرورة، وإنما القصد أن تورد ما وردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه، وقد سماه الله نوراً في قوله تعالى: ﴿اللهُ نورُ السمواتِ والأرض مَثَلُ نُوره كمشكاةٍ﴾ [النور: ٣٥]، وسمي العلم المستفاد منه روحاً ووحياً وحياة، فقال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ [الشورى: ٥٢].

ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة) المضيء، **(وإن كان باطناً في نفسه بطون العقل)** وسيأتي في ذلك المزيد في أخلاق النبوة من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. ونص الذريعة: ولفضيلة العقل كان كثير ممن كانوا يعاندون النبي ﷺ قصدوه ليقتلوه، فما كان إلا أن وقع طرفهم عليه فيتراءى لهم نور الله تعالى معرّباً عنه فألقى في قلوبهم منه روعة فهابوه، فمن مذعن له طائع وخبيث لا ينكره بعد إلا جاحداً ولهذا قال الشاعر:

لو لم تكن فيه آيات منزلة ... كانت بداهته تغنيك عن خبره

وبين السياقين تفاوت لا يخفى للمنصفين **(وشرف العقل)** وجلالته **(مدرك بالضرورة)** فلا يحتاج إلى التطويل في جلب الكلام فيه من هنا ومن هنا، **(وإنما المقصد أن نورد ما وردت به الأخبار)** الصحيحة **(والآيات)** الصريحة **(في ذكر شرفه، وقد سماه الله تعالى نوراً في قوله ﴿الله نور السموات والأرض﴾ [النور: ٣٥] وإنما سمي بذلك لنورانيته)** وهذا قد ذكره الراغب في كتابيه الذريعة والمفردات، ونصه في الذريعة: وإلى العقل أشار بقوله تعالى الله نور السموات والأرض أي منوّرهما، والنور: هو العقل ونقله في المفردات عن ابن عرفة. وقال الشيخ نجم الدين دايه: وقد سماه الله تعالى في القرآن نوراً في قوله ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [المائدة: ١٥] فالنور محمد ﷺ اهـ.

ونقل الراغب في أول الذريعة ما نصه: جعل المصباح مثلاً للعقل، والمشكاة مثلاً لصدر المؤمن، والزجاجة لقلبه والشجرة المباركة وهي الزيتونة الدين وجعلها لا شرقية ولا غربية تنبيهاً على أنها مصونة عن التفريط والإفراط، والزيت القرآن وبين أن القرآن يمد العقل مد الزيت المصباح، وأنه يكاد يكفي لوضوحه، وإن لم يعاضده العقل، ثم قال ﴿نور على نور﴾ أي نور القرآن ونور العقل وبين أنه يخص بذلك من يشاء اهـ.

واعلم أن الإنسان لم يتميز عن الحيوان والبهائم إلا بالعقل ولم يشرف إلا بالعلم ومن شرف العلم إن كل حياة انفكت عنه فهي غير معتد بها بل ليست في حكم الموجودة، فإن الحياة الحيوانية لا تحصل ما لم يقارنها الإحساس فيلتذ بما يوافقه ويطلبه ويتألم مما يخالفه فيهرب منه، وذلك أحسن المعارف فلأجل أن الحياة تقارب العلم **(سمي)** الله تعالى **(العلم المستفاد منه)** أي من العقل روحاً لأنه يحيا به الناس الحياة الأخروية، ولما كان مقتضى الحياة الانسانية أنها إذا تعرت من المعارف المختصة بها أن لا يعتد بها لهذا سمى الله ذلك العلم المستفاد **(حياة فقال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾)** [الشورى: ٥٢] ما كنت تدري ما

وقال سبحانه: ﴿أو مَنْ كَانَ ميْتاً فأحييناه وجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يمشي به فيالنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١١٢] وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وقال ﷺ: «يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه، واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم، واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر حقير الخطر دنيء المنزلة رثّ الهيئة، وإن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحاً نطوقاً فالقردة والخنازير أعقل عند

الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نوراً. ومن هنا سمي القرآن أيضاً روحاً لكونه أساس العلوم كلها يحصل بها الحياة ويتسبب إلى الحياة الأخروية المشار لها بقوله تعالى: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ [العنكبوت: ٦٤] وكذلك فسر قوله تعالى: ﴿كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ [المجادلة: ٢٢] والضمير عائد إلى الله تعالى على أحد الوجوه، أو عائد إلى الإيمان. أي قوّاهم بعلم الإيمان، فعلم الإيمان هو روحه **(وقال تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾)** [الأنعام: ١١٢] فقد سمي من لم يكن له روح القلب ميتاً وكذلك قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ [النمل: ٨٠] **(وحيث ذكر النور والظلمة أراد به)** أي بالنور **(العلم)** وبالظلمة **(الجهل)**، أو أراد بهما الإيمان والشرك، وأصل الظلمة عدم النور وهما متقابلان، وهما من أحسن الاستعارات لهذين الضدين. **(كقوله)** تعالى: **﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾** [البقرة: ٢٥٧] **وقد يعبر بالظلمة عن الفسق أيضاً، كما يعبر عن أضداد هؤلاء الثلاثة. أعني الشرك والجهل والفسق بالنور، (وقد قال ﷺ: «أيها الناس اعقلوا عن ربكم»)** أي اعلموه وافهموه منه يقال: عقلت عنه كذا **(وتواصوا بالعقل)** أي بكماله **(تعرفوا به ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه)** أي العقل **(منجدكم عند ربكم)** هكذا في نسخة العراقي، وفي بعضها: ينجدكم عند ربكم **(واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم)** بالدال المهملة أي قبيح **(المنظر)** بالنسبة إلى ما يظهر منه **(حقير الخطر)** أي القدر والقيمة **(دنيء المنزلة)** أي خسيسها **(رث الهيئة)** بالنسبة الى ملبوسه وما يلحقه من العناء والمشقة، فيحصل له بذلك التشعيث **(وأن الجاهل)** أورده في مقابلة العاقل لأن العلم والعقل يتواردان مورداً واحداً، كما أشرنا إليه آنفاً **(من عصى الله وإن كان جيل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة)** وهذه أربعة أوصاف في مقابلة أربعة أوصاف، وإن أول ما يروع الانسان جمال منظره، فإذا عظم مع ذلك خطره فهي مرتبة علياء وبها تكون منزلته شريفة وهيئته حسنة، ثم زاد في أوصافه وصفين فقال: **(فصيحاً نطوقاً)** فما أقبح بالمرء أن يكون حبس جسمه باعتبار قبح نفسه جنة يعمرها بوم وحرمة يحرسها ذئب، كما قال حكيم لجاهل صبيح الوجه: أما البيت فحسن وأما ساكنه فرديء، وما أقبح به أن يكون اعتباره بكثرة ماله وحسن أثاثه، فقد سمى بعض الحكماء الأغنياء تيوساً صوفها درر وحمر إجلالها حبر **(والقردة والخنازير أعقل عند الله**

الله تعالى ممن عصاه، ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا إياكم فإنهم من الخاسرين». وقال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل. فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك، بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب».

ممن عصاه) إذ قبيح بذي العقل أن يكون بهيمة، وقد أمكنه أن يكون إنساناً أو إنساناً وقد أمكنه أن يكون ملكاً:

فلم نر في عيوب الناس نقصاً كنقص القادرين على التمام

(ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا إياكم فإنهم من الخاسرين). قال العراقي: رويناه في كتاب العقل لداود بن المحبر من رواية أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال فذكره، إلا أنه قال: «فإنهم عدوا من الخاسرين» ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده، عن داود بن المحبر، وداود بن المحبر اختلف فيه، فروى عباس الدوري عن يحي بن معين أنه قال: ما زال معروفاً بالحديث، ثم تركه وصحب قوماً من المعتزلة فأفسدوه وهو ثقة، وقال أبو داوٗد: ثقة شبه الضعيف، وقال أحمد: لا يدرى ما الحديث، وقال الدارقطني متروك، وروى عبد الغني بن سعيد الأزدي المصري عن الدارقطني قال: كتاب العقل وضعه أربعة. أولهم ميسرة ابن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المحبر فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، وسرقه عبد العزيز ابن أبي رجاء فركبه بأسانيد أخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السنجري فأتى بأسانيد أخر أو كما قال، وعلى ما ذكره الدارقطني فقد سرقه عن داود عبد العزيز بن أبي رجاء فاختصره، وجعل له إسناداً آخر، فرواه عن مالك عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «ابن آدم أطع ربك تسمى عاقلاً ولا تعصه تسمى جاهلاً» رواه أبو نعيم في الحلية، والخطيب في أسماء من روى عن مالك من رواية ابن أبي رجاء المذكور، وقال الخطيب: منكر من حديث مالك، وقال الدارقطني: عبد العزيز بن أبي رجاء متروك. وقال الذهبي في الميزان هذا باطل على مالك اهـ.

قلت: داود بن المحبر بن مخرم البكراوي يكنى أبا سليمان البصري نزيل بغداد مات سنة ست ومائتين، والمحبر كمحدث روى أبوه عن هشام بن عروة، وروى ابنه داود عن شعبة وهمام وجماعة، وعن مقاتل بن سليمان، وعنه أبو أمية والحرث بن أبي أسامة وجماعة، وأورد الذهبي في الميزان من طريقه حديثاً في فضل قزوين أخرجه ابن ماجه في سننه، ثم قال: فلقد شان ابن ماجه سننه بإدخاله هذا الحديث الموضوع فيها اهـ.

وكل من ميسرة وابن أبي رجاء وسليمان بن عيسى متروكون.

(وقال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك بك آخذ وبك أعطي

....

وبك أثيب وبك أعاقب ») قال الشيخ نجم الدين دابـة رحمة الله تعالى: استدل به على أن العقل متهيء لقبول الوحي والإيمان به، وفي رواية وبك أعبد إذ كان هو اول من اختص من الله بالوحي والخطاب والمحبة والمعرفة والعبادة والعبودية والنبوة بأنباء الحق تعالى. إذ نبأه عن معرفة نفسه ومعرفة ربه، وإذا أمعنت النظر وأيدت بنور الله تحقق لك أن المعرفة بالعقل والموصوف باختصاص الوحي والخطاب والمحبة والمعرفة والعبادة والعبودية والنبوة هو روح حبيب الله، ونبيه محمد ﷺ فإنه الذي قال أول ما خلق الله روحي، وفي رواية نوري فروحه جوهر نوراني ونوره هو العقل وهو عرض قائم بجوهره، ومن هنا قال ﷺ: « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » أي لم يكن يعد روحاً ولا جسداً، ومن هنا قال: « من عرف نفسه فقد عرف ربه » لأنه عرف نفسه بتعريف الله إذ قال له ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك، وعرف الله أيضاً بتعريف الله نفسه إياه إذ قال: « وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك » فعرف أنه الإله الذي من صفاته العزة والجلال والخالقية والمحبة، وهو المعروف لكل عارف وله القدرة والحكم على الأخذ والعطاء والثواب والعقاب، وهو المستحق للعبادة، وقد جاء عن بعض الكبراء من الأئمة أن أول المخلوقات ملك كروبي يسمى العقل وهو صاحب القلم بدليل توجه الخطاب إليه في قوله: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ولما سماه قلماً قال له أخبر بما هو كائن إلى يوم القيامة وتسميته قلماً كتسمية صاحب السيف سيفاً، ولا يبعد أن يسمى روح النبي ﷺ ملكاً لغلبة صفات الملكية عليه، كما يسمى جبريل عليه السلام روحاً لغلبة الروحانية عليه كقوله: فلان شعلة نار لحدة ذهنه، ويسمى عقلاً لوفور عقله وقلماً لكتابة المكونات ونوراً لنورانيته، وقد يكون العقل في اللغة بمعنى العاقل، فعلى هذا التقدير والتأويل يكون روح النبي ﷺ هو المخلوق الأول؟ ولكنه بهذه الاعتبارات ملك وعقل ونور وقلم، والقلم قريب المعنى من العقل قال الله تعالى ﴿علم بالقلم﴾ [العلق: ٤] جاء في التفسير عن بعضهم أي بالعقل لأن الأشياء تعلم بالعقل وفي قوله: أقبل الخ إشارة إلى أن العقل إقبالاً وإدباراً فورث إقباله المقبلون وهم السابقون المقربون من الأنبياء والأولياء وهم أصحاب الميمنة وهم أهل الجنة، وورث إدباره المدبرون وهم أصحاب المشأمة وهم أهل النار يدل عليه قوله تعالى: ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ [الواقعة: ٧] الآية. والله أعلم اهـ كلامه سقته بتمامه لارتباط بعضه ببعض ولما فيه من الفوائد.

وأما الكلام على تخريج الحديث فقال العراقي: روي من حديث أبي أمامة، وعائشة، وأبي هريرة، وابن عباس والحسن عن عدة من الصحابة.

فأما حديث أبي أمامة، فرواه الطبراني في الأوسط، وأبو الشيخ في كتاب فضائل الأعمال من رواية سعيد بن الفضل القرشي: حدثنا عمر بن أبي صالح العتكي، عن أبي غالب، عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله العقل » الحديث ولم يقل وجلالي. وقال: أعجب إليّ منك، وقال: وبك الثواب وبك العقاب وعمر بن أبي صالح ذكره العقيلي في الضعفاء وأورد له هذا

....

الحديث. وقال الذهبي في الميزان: لا يعرف. قال: ثم إن الراوي عنه من المنكرات قال: والخبر باطل اهـ.

قلت: ونص العقيلي في الضعفاء هذا حديث منكر عمر وسعيد الراوي عنه مجهولان جميعاً بالنقل ولا يتابع على حديثه ولا يثبت.

ثم قال العراقي وأما حديث عائشة، فرواه أبو نعيم في الحلية قال: أخبرنا أبو بكر عبدالله بن يحي بن معاوية الطلحي بإفادة الدارقطني، عن سهل بن المرزبـان بن محمد التميمي، عن عبدالله ابن الزبير الحميدي، عن ابن عيينة، عن منصور، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «أول ما خلق الله العقل» فذكر الحديث هكذا أورده في ترجمة سفيان بن عيينة، ولم أجد في إسناده احداً مذكوراً بالضعف، ولا شك أن هذا مركب على هذا الإسناد، ولا أدري ممن وقع ذلك والحديث منكر اهـ.

قلت: ولفظ حديث عائشة على ما في الحلية قالت عائشة: حدثني رسول الله ﷺ «إن أول ما خلق الله العقـل قال أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال ما خلقت شيئاً أحسن منك بك آخذ وبك أعطي». قال أبو نعيم: غريب من حديث سفيان ومنصور والزهري لا أعلم له راوياً عن الحميدي إلا سهلاً. وأراه واهياً فيه.

ثم قال العراقي وأما حديث أبي هريرة، فرواه الحكيم الترمذي في الأصل السادس بعد المائتين قال: حدثنا الفضل بن محمد، حدثنا هشام بن خالد الدمشقي، حدثنا يحي وهو عندي يحي الغساني، حدثنا أبو عبدالله مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أول ما خلق الله القلم ثم خلق النور وهي الدواة» الحديث وفيه: ثم خلق الله العقل فقال: وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك فيمن نقصت. وأبو عبدالله هذا لا أدري من هو اهـ.

قلت: وأخرج ابن عساكر في تاريخه فقال: وأخبرنا أبو العز أحمد بن عبدالله، أخبرنا محمد بن أحمد بن حسنون، أخبرنا أبو الحسين الدارقطني، حدثنا القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد بن نصر، حدثنا جعفر بن محمد الغرياني، حدثنا أبو مروان هشام بن خالد الأزرق، حدثنا الحسين بن يحي الخشني، عن أبي عبدالله مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أول شيء خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة، ثم قال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما يكون وما هو كائن من عمل أو أثر أو رزق أو أجل فكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، فذلك قوله: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ [القلم: ١] ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل فقال: وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك فيمن أبغضت» فهذه متابعة جيدة لشيخ الحكيم الترمذي إلا أن في شيخ هشام اختلافاً كما ترى.

قلت: أبو عبدالله مولى بني أمية اسمه ناصح ذكره ابن عساكر وقد رواه عن أبي صالح أيضاً

....

سمي، قال ابن عدي: حدثنا عيسى بن أحمد الصوفي بمصر: حدثنا الربيع بن سليمان الجيزي: حدثنا محمد بن وهب الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا مالك بن أنس. عن سمي، فساقه إلا أن فيه من عمل أو أجل أو أثر فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وفيه فقال الجبار: ما خلقت خلقاً أعجب إلي منك والباقي سواء. قال ابن عدي: باطل منكر آفته محمد بن وهب له غير حديث منكر، وقال في الميزان: صدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل، وقد أخرجه الدارقطني في الغرائب عن علي بن أحمد الأزرق عن أحمد بن جعفر بن أحمد الفهري، عن الربيع بن سليمان الجيزي به. وقال: هذا الحديث غير محفوظ عن مالك، ولا عن سمي، والوليد بن مسلم ثقة، ومحمد بن وهب ومن دونه ليس بهم بأس، وأخاف أن يكون دخل على بعضهم حديث في حديث. وأخرج ابن عدي والبيهقي كلاهما من رواية حفص بن عمر، حدثنا الفضل بن قيس الرقاشي، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي هريرة رفعه فساقه بمثل سياق حديث أبي أمامة السابق. والفضل قال فيه يحيى رجل سوء، وحفص بن عمر قاضي حلب، قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات لا يحل الاحتجاج به. وأخرجه الدارقطني من رواية الحسن بن عرفة: حدثنا سيف بن محمد عن سفيان الثوري عن الفضيل بن عثمان، عن أبي هريرة به. وسيف كذاب بالإجماع.

ثم قال العراقي وأما حديث الحسن، عن عدة فرواه الترمذي الحكيم أيضاً قال: حدثنا عبد الرحيم بن حبيب، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا الحسن بن دينار قال: سمعت الحسن قال: حدثني عدة من أصحاب رسول الله ﷺ، عن رسول الله ﷺ «أنه لما خلق الله العقل» الحديث وزاد فيه ثم قال له: اقعد فقعد، ثم قال له: انطلق فانطلق، ثم قال له اصمت فصمت، فقال: وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي وسلطاني وجبروتي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك ولا أكرم علي منك بك أعرف وبك أحمد وبك أطاع وبك آخذ وبك أعطى وإياك أعاتب ولك الثواب وعليك العقاب، ورجاله كلهم هلكى إلا الحسن البصري، وعبد الرحيم بن حبيب القاريابي ليس بشيء قاله يحيى بن معين. وقال ابن حبان: لعله وضع أكثر من خمسمائة حديث. وداود تقدم، والحسن بن دينار ضعيف أيضاً، وقد رواه داود بن المحبر في العقل مرسلاً فقال: حدثنا صالح المري عن الحسن بن أبي الحسين فذكره أخصر من هذا، وبالجملة فطرقه كلها ضعيفة اهـ.

قلت: وقال الترمذي الحكيم أيضاً: وحدثنا الفضل بن محمد، حدثنا هشام بن خالد، عن بقية، عن الاوزاعي، عن رسول الله ﷺ به. وقوله: وقد رواه داود بن المحبر في العقل مرسلاً الخ.

أخرجه البيهقي بعد أن ساق الحديث من رواية حفص بن عمر السابق، وقال: إسناد غير قوي وهو مشهور من قول الحسين، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش، أخبرنا أبو طاهر المحمدابادي، حدثنا الفضل بن محمد بن المسيب، حدثنا عبدالله بن محمد العابسي، حدثنا صالح المري، عن الحسن قال: لما خلق الله تعالى فساقه. وقال عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، حدثنا

فإن قلت: فهذا العقل إن كان عرضاً فكيف خلق قبل الأجسام، وإن كان جوهراً فكيف يكون جوهراً قائماً بنفسه ولا يتحيز ؟ فاعلم أن هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة، وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة.

علي بن مسلم، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار، عن الحسن يرفعه « لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال ما خلقت شيئاً أحسن منك بك آخذ وبك أعطي » فهذا كما ترى سند جيد، فقول الحافظ العراقي، وبالجملة فطرقه كلها ضعيفة محل تأمل وكذا إيراد ابن الجوزي في الموضوعات، وتبعه ابن تيمية والزركشي وغير هؤلاء فغاية ما يقال فيه أنه ضعيف في بعض طرقه.

وقد روي الحديث أيضاً عن علي رضي الله عنه قال الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة، وقال الخطيب: أخبرني علي بن أحمد الرزاز، أخبرنا الفرج علي بن الحسين الكاتب، أخبرني أبو جعفر أحمد بن محمد بن نصر القاضي، حدثني محمد بن الحسن الرقي، حدثني موسى بن عبدالله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب، حدثتني فاطمة ابنة سعيد بن عقبة بن شداد بن أمية الجهني، عن أبيها عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده عن علي، عن النبي ﷺ قال « أوّل ما خلق الله القلم ثم خلق الدواة فساقه وفيه: وخلق العقل فاستنطقه فأجابه ثم قال له اذهب فذهب، ثم قال له أقبل فأقبل، ثم استنطقه فأجابه ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت من شيء أحب إلي منك ولا أحسن منك » إلى آخر ما ذكره.

(**فإن قلت: فهذا العقل إن كان عرضاً فكيف خلق قبل الأجسام**) لأن الاعراض لا تقوم بأنفسها، (**وإن كان جوهراً فكيف يكون قائماً بنفسه لا يتحيز فاعلم أن هذا في**) مسائل (**علم المكاشفة ولا ينبغي ذكره**). وفي نسخة: ولا يليق ذكره (**بعلم المعاملة، وغرضنا**) الآن هنا (**علم المعاملة**). وهذا البحث قد أورده الراغب في الذريعة مختصراً فقال: العقل أول جوهر أوجده الله تعالى وشرفه بدليل الحديث المرفوع « أول ما خلق الله العقل » الخ. ولو كان على ما توهمه قوم أنه عرض لما صح أن يكون أول مخلوق لأنه محال وجود شيء من الأعراض قبل وجود جوهر يحمله اهـ.

وتحقيق المقام أن الجوهر ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع وهو منحصر في خمسة: هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل لأنه إما أن يكون مجرداً أولاً، والأول إما أن لا يتعلق بالبدن تعلق تدبير وتصريف أو يتعلق والأول العقل، والثاني النفس وغير المجرد إما أن يكون مركباً أم لا والاول الجسم، والثاني إما حال أو محل الأول الصورة، والثاني الهيولى وتسمى الحقيقة، فالجوهر ينقسم إلى بسيط روحاني كالعقول والنفوس المجردة وإلى بسيط جسماني كالعناصر، وإلى مركب في العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل وإلى مركب منهما كالمولدات الثلاثة.

(**وقال**) داود بن المحبر في كتاب العقل: حدثنا سلام بن المنذر عن موسى بن بابان، عن

وعن أنس رضي الله عنه قال: أثنى قوم على رجل عند النبي ﷺ حتى بالغوا فقال ﷺ: كيف عقل الرجل؟ فقالوا: نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله؟ فقال ﷺ: « إنَّ الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم». وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله ». وقال ﷺ: « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن

(أنس) بن مالك رضي الله عنه قال: **(أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ حتى بالغوا)** ولفظ داود: حتى أبلغوا في الثناء في خصال الخير **(فقال)** النبي ﷺ **(« كيف عقل الرجل؟ فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله » فقال)** رسول الله ﷺ: **(إن الأحمق يصيب بجهله)** كذا في النسخ، وعند العراقي: بحمقه **(أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات الزلفى)** كذا في النسخ، وعند العراقي: زلفى **(من ربهم على قدر عقولهم »)** ولفظ داود: وينالون الزلفى من ربهم.

قال العراقي: سلام هو ابن أبي الصهباء ضعفه ابن معين، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وأما أحمد فقال: إنه حسن الحديث، ورواه الحكيم الترمذي في نوادره مختصراً قال: حدثنا مهدي، حدثنا الحسين عن عبد ربه، عن موسى بن أبان، عن أنس بن مالك رفعه « إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس الزلف على قدر عقولهم » وفي إسناده جهالة اهـ.

(وقال) داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا عباد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن **(عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل)** ولفظ داود: **« ما اكتسب أحد مكتسباً مثل فضل العقل » (يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله »)**. قال العراقي: ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده عن داود بن المحبر اهـ.

قلت: وأخرجه البيهقي عن عمر ولفظه: « ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى أو يرده عن ردى » وأخرجه الطبراني في الأوسط عنه أيضاً ولفظ: « ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى ولا استقام دينه حتى يستقيم عقله ».

(وقال) داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا مقاتل بن سليمان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن **(النبي ﷺ)** قال: **(إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك يتم إيمانه)** كذا في النسخ. وعند العراقي: تم إيمانه **(وأطاع ربه وعصا عدوه إبليس »)**. ولفظ داود يعني إبليس.

خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوّه إبليس ». وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته. أما سمعتم قول الفجار في النار: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك: ١٠]. وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لتميم الداري: ما السؤدد فيكم؟ قال: العقل. قال: صدقت. سألت رسول الله ﷺ كما سألتك فقال كما قلت، ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السؤدد؟ فقال: العقل. وعن البراء بن

قال العراقي: ومقاتل بن سليمان المفسر ليس بشيء قاله يحي بن معين، وقال الجوزجاني كان دجالاً جسوراً، وقال البخاري: سكتوا عنه، وقال النسائي وابن حبان: كان يكذب، وقال ابن عيينة: سمعت مقاتلاً يقول: إن لم يخرج الدجال في سنة خمسين ومائة فاعلموا أني كذاب فيقال له قد علمنا ذلك، وأول الحديث صحيح رواه أبو داود من رواية المطلب بن عبدالله بن حنطب، عن عائشة دون قوله: ولا يتم الخ وإسناده صحيح اهـ.

قلت: وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي أمامة بلفظ. « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامىء بالهواجر » وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف. ورواه الحاكم من حديث أبي هريرة وقال: هو على شروطهما، وأقره الذهبي في التلخيص.

(و) قال داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا عباد، حدثنا سهل عن أبيه، **(عن أبي سعيد الخدري)** رضي الله عنه **(أنه ﷺ قال « لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته)** لربه عز وجل **(أما سمعتم قول الفاجر)** عند ندامته **(لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)** [الملك: ١٠] » قال البيضاوي: لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتماداً على ما لاح من صدقهم بالمعجزات، أو نعقل فنفكر في حكمه ومعانيه فكر المستبصرين ما كنا في عداد أصحاب السعير ومن جملتهم. قال العراقي: ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده عن داود اهـ.

(و) قال داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا عباد عن زيد بن أسلم عن أبيه **(عن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه أنه قال لتميم)** بن أوس بن خارجة **(الداري)** أبي رقية صحابي مشهور مات سنة أربعين: **(ما السؤدد فيكم)**؟ السؤدد كقنفذ بغير همز ومهموزاً في لغة طيء وكجندب السيادة والشرف **(قال: العقل قال)** عمر: **(صدقت سألت رسول الله ﷺ كما سألتك فقال كما قلت، ثم قال: سألت جبريل عليه السلام ما السؤدد؟ فقال العقل)** ولفظ داود: سألت جبريل عن السؤدد في الناس. قال العراقي: ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده عن داود، ورواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق عن عبد الرحمن بن حمدان الجلاب عن الحرث.

(و) قال داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا غياث بن إبراهيم، عن الربيع بن

عازب رضي الله عنه قال: كثرت المسائل يوماً على رسول الله ﷺ فقال: « يا أيها الناس إن لكل شيء مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلاً ». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أُحُد سمع الناس يقولون: فلان أشجع من فلان وفلان أبلى ما لم يبل فلان ونحو هذا، فقال رسول الله ﷺ: « أما هذا فلا علم لكم به » قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: « إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل. وكانت نصرتهم ونيّتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم ». وعن البراء بن عازب أنه ﷺ قال: « جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على

لوط الأنصاري، عن أبيه عن جده، **(عن البراء بن عازب)** بن الحرث بن عدي الأوسي صحابي ابن صحابي نزل الكوفة. مات سنة اثنتين وسبعين **(قال: كثرت المسائل يوماً على رسول الله ﷺ)** ولفظ داود: كثرت المسائل على رسول الله ﷺ ذات يوم **(فقال: « يا أيها الناس إن لكل شيء مطية وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلاً »)** وعند العراقي: أحسنهم وأفضلهم بضمير الغائب في الموضعين، ولفظ داود: إن لكل شيء سبيل مطية وثيقة ومحجة واضحة وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالمحجة الواضحة أفضلهم عقلاً. قال العراقي: ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده، عن داود، وغياث بن ابراهيم النخعي أحد الوضاعين.

(و) قال داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا عباد بن عبدالله بن طاووس، **(عن أبي هريرة)** رضي الله عنه **(قال: لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أُحد)** وكانت في شوال سنة ثلاث من الهجرة **(سمع الناس يقولون)**: كان **(فلان أشجع من فلان)** زاد داود هنا، وكان فلان أجرأ من فلان **(وفلان أبلى)** أي امتحن في ذات الله **(ما لم يبل غيره ونحو هذا)** زاد داود يطرونهم، **(فقال النبي ﷺ « أما هذا فلا علم لكم به »)** ولفظ داود: لا علم لكم به. **(قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: « إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل، وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى، فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم »)** ولفظ داود: على قدر حسن نياتهم. قال العراقي: ولعله سقط منه ذكر طاوس وإلا فعبد الله بن طاوس إنما روى عن التابعين.

(و) قال داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا ميسرة عن حنظلة بن وداعة الدؤلي، عن أبيه، **(عن البراء بن عازب)** رضي الله عنهما **(أنه قال)** ولفظ داود: سمعت النبي (ﷺ) يقول: **(« جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه بالعقل وجد المؤمنون**

قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلاً »، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: بمَ يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال: « بالعقل » قلت: وفي الآخرة؟ قال: « بالعقل » قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم، فقال ﷺ: « يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون »، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله

من بني آدم) زاد داود هنا: واجتهدوا في طاعة ربهم **(على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا »)** قال العراقي: ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده، عن داود. وهكذا غير داود عما حدث به ميسرة بن عبد ربه، فجعله داود عن البراء بن عازب، وإنما هو أبو عازب رجل آخر ذكر في الصحابة. هكذا رواه أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة قال: حدثني محمد بن علي الجوزجاني، حدثنا حسين بن محمد أبو أحمد، حدثنا ميسرة بن عبد ربه، وحسين بن المروروزي البغدادي ما علمنا فيه جرحاً، وقد أتاه أبو حاتم الرازي يسمع منه تفسير شيبان فلم يتفق، فهو أولى من داود ابن المحبر والله أعلم اهـ.

قلت: قد تقدم شيء من حال ميسرة وهو ميسرة بن عبد ربه الفارسي، ثم البصري التراس إلا كال في الميزان. قال ابن حبان: كان يروي الموضوعات عن الإثبات، وهو واضع أحاديث فضائل القرآن. وقال أبو داود: أقر بوضع الحديث، وقال أبو زرعة: وضع في فضل قزوين أربعين حديثاً، وكان يقول احتسب في ذلك.

(و) قال داود في كتابه المذكور أيضاً: حدثنا ميسرة، عن محمد بن زيد، عن عمرو، **(عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله بم)** وفي نسخة العراقي: بأي شيء **(يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال: « بالعقل » قلت وفي الآخرة؟ قال: « بالعقل » قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم)** ولفظ داود: بقدر أعمالهم **(فقال يا عائشة: « وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون »)**. قال العراقي: رواه الحكيم الترمذي في نوادره، فقال: حدثنا محمد بن الحسن، حدثنا أبي، عن هشام بن القاسم، عن ميسرة، عن عباد بن كثير، عن محمد بن زيد فزاد في إسناده بين ميسرة ومحمد بن زيد عباد بن كثير، ولفظه: « بأي شيء يتفاضل الناس » قال، بالعقل في الدنيا والآخرة ».

قلت: أليس يجزي الناس بأعمالهم؟ قال يا عائشة: « وهل يعمل بطاعة الله إلا من عقل فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر ما يعملون يجزون » اهـ.

قلت وفي اللآلىء المصنوعة للحافظ السيوطي الحرث بن أبي أسامة، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا عباد بن كثير، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس انه دخل على عائشة فقال يا أم المؤمنين: الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب إليك، فقالت:

ﷺ: «لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل، ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل، ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل، ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل، ولكل امرىء عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل، ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل». وقال ﷺ: «إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح». وقال ﷺ: «أتمكم

سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: أحسنها عقلاً فقلت: يا رسول الله: أسألك عن عبادتها، فقال: «يا عائشة إنما يسألان عن عقولها فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة» قال ابن الجوزي: موضوع.

(و) قال داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا ميسرة عن غالب، عن ابن جبير، **(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء آلة وعدة وأن آلة المؤمن العقل)** ولفظ داود: وإن آلة المؤمن وعدته العقل **(ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل)** وفي نسخة العراقي: ومطية المؤمن العقل: **(ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل، ولكل قوة)** وفي بعض النسخ: قوم بدل قوة، وفي نسخة العراقي: ولكل شيء **(غاية وغاية العباد)** كذا في النسخ وفي نسخة العراقي: العبادة **(العقل، ولكل قوم داع وداعي العابدين)**. هكذا بالدال في سائر النسخ في الموضعين، وعند العراقي: بالراء فيهما **(العقل، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل أهل بيت قيم)** كسيد وهو من يقوم بأمور البيت **(وقيم بيوت الصديقين العقل، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل، ولكل امرىء عقب ينسب إليه)** ولفظ داود: عمل ينسب إليه **(ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل، ولكل سفر فسطاط)** وهي الخيمة **(وفسطاط المؤمنين العقل»)** ولفظ داود: ولكل سفر فسطاط يلجأون إليه. قال العراقي: ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده عن داود.

(وقال) داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور، حدثنا ميسرة، عن محمد بن سالم بن عبدالله، عن أبيه أن النبي (ﷺ) قال: «**(إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه)**، وعند داود بعد قوله عقله وتفقه وصح يقينه، **(فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح»)** ولفظه داود «وعمل لله» بدل «به». **قال** العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية حبيب كاتب مالك، عن محمد بن عبد

عقلاً أشدكم لله تعالى خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظراً وإن كان أقلكم تطوّعاً ».

(بيان حقيقة العقل وأقسامه) :

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته، وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقاً على معان مختلفة، فصار ذلك سبب اختلافهم، والحق الكاشف للغطاء فيه

السلام، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه فجعله من حديث عبدالله بن عمر، وحبيب بن أبي حبيب كاتب مالك متفق على ضعفه. وقال أبو داود: كان من أكذب الناس اهـ.

قلت: وزاد في الميزان قال ابن عدي: أحاديثه كلها موضوعة. وقال ابن حبان: كان يورق بالمدينة على الشيوخ ويروي عن الثقات الموضوعات. كان يدخل عليهم ما ليس من حديثهم.

(وقال) داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا ميسرة، عن محمد بن زيد، عن أبي سلمة، عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أرأيت قول الله عز وجل: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ [هود: ٧] فقال (ﷺ **أتمكم عقلاً أشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظراً**) ولفظ داود: فيما أمر الله به ونهى عنه **(وإن كان)** ولفظ داود: وإن كانوا **(أقلكم تطوعاً »)**.

وأخرج ابن عدي من رواية محمد بن وهب الدمشقي، عن الوليد بن مسلم، عن مالك، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رفعه « أكمل الناس عقلاً اطوعهم لله وأعملهم بطاعته، وأنقص الناس عقلاً أطوعهم للشيطان وأعملهم بطاعته » قال في الميزان: هو حديث باطل منكر آفته من محمد بن وهب، وقال الدارقطني: هو حديث غير محفوظ، والله أعلم.

بيان حقيقة العقل وأقسامه:

حقيقة الشيء ما به الشيء هو هو كالحيوان الناطق للإنسان بخلاف نحو: الضاحك والكاتب مما يتصور الإنسان بدونه، وقد يقال: إن ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه حقيقة، وباعتبار تشخصه هوية ومع قطع النظر عن ذلك ماهية.

(اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته) على أقوال شتى **(وذهل الأكثرون)** أي غفلوا **(عن علم هذا الإسم)** ومعرفته، **(لكونه يطلق على معان مختلفة، فصار ذلك سبب اختلافهم)** فيه، ولم يقتصروا على الخلاف في حقيقته فقط، بل اختلفوا فيه من جهات هل له حقيقة تدرك أولا؟ قولان. وعلى أن له حقيقة هل هو جوهر أو عرض؟ قولان وهل محله الرأس والقلب؟ قولان. وهل العقول متفاوتة أو متساوية؟ قولان. وهل هو إسم جنس أو جنس أو نوع؟ ثلاثة أقوال. فهي أحد عشر قولاً، ثم القائلون بالجوهرية أو العرضية اختلفوا في إسمـه على أقوال أعدلها قولان، فعلى أنه عرض هو ملكة للنفس تستعد بها للعلوم والإدراكات،

أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان ـ كما يطلق اسم العين مثلاً على معانٍ عدة، وما يجري هذا المجرى، فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه ـ.

(فالأول): الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده الحرث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل: أنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف في القلب، به يستعد لادراك الأشياء . ولم ينصف من أنكر هذا ورد

وعلى أنه جوهر جوهر لطيف تدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدات خلقه الله في الدماغ وجعله نوره في القلب نقله الأبشيطي، وأما الإختلاف في حده وحقيقته، فالعقل العلم وعليه اقتصر كثيرون وفي الصحاح والعباب هو الحجر والنهية، وفي المحكم ضد الحمق، أو هو علم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها، أو هو علم بخير الخيرين وشر الشرين أو مطلق الأمور أو لقوة يكون بها التمييز بين القبح والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن يكون بمقدمات يستتب بها الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة في الإنسان في حركاته وكلامه. إلى غير ذلك من الحدود والتعاريف، **(والحق الكاشف للغطاء)** أي الحجاب **(فيه)** أي في هذا البحث **(أن العقل اسم ينطلق بالإشتراك على أربعة معان مختلفة كما يطلق اسم العين)** بالوضع الكثير **(مثلاً على معان عدة)** أي: كثيرة. ومعنى الكثرة ما يقابل الوحدة لا ما يقابل القلة **(وما يجري هذا المجرى، فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد)** يجمعه، **(بل يفرد كل قسم)** من أقسامه **(بالكشف عنه)** والبحث فيه.

(فالاول من معانيه) هو **(الوصف الذي يفارق الإنسان)** ويتميز به **(عن سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبوله العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية)** أي الخفية المدرك الدقيقة التي تحتاج إلى أعمال الفكر **(وهو الذي أراده)** أي عنى به الإمام أبو عبدالله الحرث بن أسد **(المحاسبي)** رحمه الله تعالى، وقد تقدمت ترجمته في أول الكتاب **(حيث قال)** في كتابه الرعاية **(في حد العقل: أنه غريزة يتهيأ به إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء)** .

وأخرج ابن السبكي في طبقاته في ترجمة الحرث المذكور من رواية أبي سعد الماليني قال: أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد النسائي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الملطي، أخبرنا محمد ابن أحمد بن أبي شيخ قال قال لي أحمد بن حسن الأنصاري: سألت الحرث المحاسبي عن العقل. فقال: نور العزيزة مع التجارب يزيد ويقوى بالعلم والحلم. قال ابن السبكي: هذا الذي قاله الحرث في العقل قريب مما نقل عنه أنه غريزة يتأتى به درك العلوم، وقال إمام الحرمين في

العقل إلى مجرد العلوم الضرورية، فإن الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار

البرهان عند الكلام في معرفة العقل: وما حوم عليه أحد من علمائنا غير الحرث المحاسبي فإنه قال: العقل غريزة يتأتى بها درك العلوم وليست منها اهـ.

وقد ارتضى الإمام كلام الحرث هذا كما ترى، وقال عقبة: أنه صفة إذا ثبتت يتأتى بها التوصل إلى العلوم النظرية ومقدماتها من الضروريات التي هي مستند النظريات اهـ.

قال ابن السبكي: وهو منه بناء على أن العقل ليس بعلم والمفرد إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري أنه العلم، وقال القاضي أبو بكر أنه بعض العلوم الضرورية والإمام حكى في الشامل مقالة الحرث هذه التي استحسنها، وقال: أنا لا أرضاها ونتهم فيها النقلة عنه، ثم قال: ولو صح النقل عنه فمعناه أن العقل ليس بمعرفة الله تعالى، وهذا إذا أطلق المعرفة أراد بها معرفة الله تعالى، فكأنه قال: ليس العقل بنفسه معرفة الله تعالى، ولكنه غريزة وعنى بالغريزة أنه عالم لأمر جبل الله عليه العاقل ويتوصل به إلى معرفة الله تعالى اهـ كلامه في الشامل.

قال ابن السبكي: والمنقول عن الحرث ثابت عنه، وقد نص عليه في كتاب الرعاية، وكان إمام الحرمين نقل كلام الحرث بعد ذلك ثم لاحت له صحة ذلك بعد ما كان يرضاه اهـ سياق ابن السبكي.

قلت: واختلف كلام إمام الحرمين في كتابه الإرشاد فنقل شيخنا عن ابن مرزوق قال قال الإمام في الإرشاد: العقل هو علوم ضرورية بها يتميز العاقل عن غيره إذا اتصف وهي العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات قال، هو تفسير العقل الذي هو شرط في التكليف، ولسنا نذكر تفسيره بغير هذا وهو عند غيره من الهيئات والكيفيات الراسخة من مقولة الكيف فهو صفة راسخة توجب لمن قامت به إدراك المدركات على ما هي عليه ما لم يتصف بضدها اهـ.

وقال في موضع آخر من كتابه: العقل علوم ضرورية، والدليل على أنه من العلوم استحالة الاتصاف به مع تقدير الخلق من جميع العلوم، وليس العقل من العلوم النظرية إذ شرط النظر تعذر العقل، وليس العقل جميع العلوم الضرورية، فإن الضرير ومن لا يدرك يتصف بالعقل مع انتفاء علوم ضرورية عنه، فبان بهذا أن العقل من العلوم الضرورية وليس كلها اهـ.

وإلى هذا الكلام الأخير نظر المصنف فقال: **(ولم ينصف من أنكر هذا)** أي مقالة المحاسبي **(ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية)**. وقال ابن السبكي في الطبقات: وأعلم أنه ليس في ارتضاء مذهب الحرث واعتقاده ما ينتقد ولا يلزمه قوله بالطبائع ولا شيء من مقالات الفلاسفة، كما ظنه بعض شراح البرهان، وقول إمام الحرمين أنه أراد معرفة الله ممنوع، فقد قدمنا عن الحرث بالإسناد قوله: نور الغريزة يقوى ويزيد بالتقوى نعم الحرث لا يريد بكونه نوراً ما تدعيه الفلاسفة اهـ.

وجود هذه الغريزة فيها مع فقد العلوم. وكما ان الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والإدراكات الحسية، فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية. ولو جاز أن يسوّى بين الإنسان والحمار في الغريزة والادراكات الحسية. فيقال لا فرق بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الإنسان علوماً وليس يخلقها في الحمار والبهائم، لجاز أن يسوّى بين الحمار والجماد في الحياة، ويقال لا فرق إلا أن الله عز وجل يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة، فإنه لو قدر الحمار جماداً ميتاً لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه، فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد. وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركات إلا بغريزة اختصت به عبّر عنها بالحياة، فكذا مفارقة الإنسان البهيمة في إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل، وهو كالمرآة التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها، وهي الصقالة، وكذلك العين تفارق الجبهة في صفات وهيئات بها استعدت للرؤية، فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين إلى الرؤية، ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة

(فإن الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما) واتصاف كل منهما بها، **(مع فقد العلوم)** الضرورية **(وكما أن الحياة)** وهي صفة توجب للمتصف بها العلم والقدرة **(غريزية بها يتهيأ)** ويستعد **(بعض الحيوانات للعلوم النظرية، ولو جاز أن يستوي بين الإنسان والحمار في الغريزة، ويقال: لا فرق إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الإنسان علوماً وليس يخلقها في الحمار والبهائم لجاز أن يسوى بين الحمار والجماد في الحياة)** نظراً إلى القوة النامية **(ويقال: لا فرق إلا أن الله عز وجل يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة، فإنه لو قدر الحمار جماداً ميتاً لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه، فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد، وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركة إلا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة، فكذا مفارقة الإنسان البهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل)**، فثبت بما ذكر تصحيح قول المحاسبي، **(وهو)** أي العقل **(كالمرآة)** المجلوة **(التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور والألوان)** كما هي **(بصفة اختصت بها وهي الصقالة)** والجلاء، **(وكذلك العين تفارق الجبهة)** وهي ما بين الجبينين **(في صفات وهيئات بها استعدت)** وتهيأت **(للرؤية)** ترى بها المرئيات على اختلاف أنواعها وأجناسها. **(ونسبة هذه الغريزة إلى العلوم نسبة العين إلى الرؤية، ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة في سياقها إلى إنكشاف العلوم لها)** بالظهور التام **(كنسبة نور**

في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس إلى البصر ، فهكذا ينبغي أن تفهم هذه الغريزة.

(الثاني) : هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ، كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ، وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد ، وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل : أنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ، وهو أيضاً صحيح في نفسه ، لأن هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلاً ظاهر ، وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال : لا موجود إلا هذه العلوم.

(الثالث) : علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال ، فإن من حنكته التجارب

الشمس إلى البصر ، فهكذا ينبغي أن تفهم هذه الغريزة) ولا عليك ممن أنكرها. وقال الراغب في الذريعة والمصنف والفخر في كتاب أسرار التنزيل : العقل عقلان غريزي وهو القوة المتهيئة لقبول العلوم ووجوده في الطفل كوجود النخل في النواة والسنبلة في الحبة اهـ.

وسيأتي ذكر القسم الثاني قريباً.

الثاني : من معاني العقل **(هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل)** وهو الولد الصغير **(المميز)** يقال : يبقى عليه هذا الإسم حتى يميز ثم لا يقال له بعد ذلك طفل بل صبي ونوزع بما في التهذيب أنه يقال له : طفل حتى يحتلم **(بجواز الجائزات واستحالة المتسحيلات)** ، ووجوب الواجبات **(كالعلم بأن الإثنين أكثر من الواحد وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين)** مختلفين ، **(وهو الذي عناه بعض المتكلمين)** وكأنه أشار بذلك إلى إمام الحرمين **(حيث قال في حد العقل : أنه بعض العلوم الضرورية)** لا كلها قال ، والدليل على أنه من العلوم استحالة الإتصاف به مع تقدير الخلو من جميع العلوم ، وليس العقل جميع العلوم الضرورية ، فإن الضرير ومن لا يدرك يتصف بالعقل مع انتفاء علوم ضرورية عنه ، فبات بهذا أن العقل من العلوم الضرورية وليس كلها كما تقدم ذلك نقلاً عن الإرشاد ، وقال فيه أيضاً : أن العقل علوم ضرورية بها يتميز العاقل من غيره إذا اتصف **(كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات)** ووجوب الواجبات **(وهو أيضاً صحيح في نفسه لأن هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلاً ظاهر ، وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ، ويقال : لا موجود إلا هذه العلوم.**

الثالث : من معاني العقل **(علوم تستفاد)** وتتحصل **(من التجارب بمجاري الأحوال)** وتصاريفها ، **(فإن من حنكته التجارب)** أي فعلت به ما يفعل بالفرس إذا حنك حتى عاد

وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة، ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال أنه غبي غمر جاهل، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاً.

(الرابع): أن تنتهي قوّة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوّة سمي صاحبها عاقلاً من حيث أن إقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة. وهذه أيضاً من خواص الإنسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان، فالأوّل: هو الأس

مجرباً مذللاً (**وهذبته المذاهب**) بالتقلب فيها. (**يقال إنه عاقل في العادة ومن لا يتصف به يقال أنه غبي**) من الغباوة وهي الغفلة (**غمر**) بالضم هو الجاهل فقوله (**جاهل**) بعد ذكر الغمر من العطف المترادف، (**فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاً**) وهذا القسم الذي جعله المصنف ثالثاً جعله الراغب في الذريعة ثانياً، فقال: ومستفاد وهو الذي تتقوى به تلك القوة، وهذا المستفاد ضربان ضرب يحصل للإنسان حالاً فحالاً بلا اختيار منه وضرب باختيار فيعرف كيف حصله ومن أين حصله وحصوله بقدر اجتهاده في تحصيله ويقال له: العلم الضروري والعقل الغريزي للنفس بمنزلة البصر للجسد والمستفاد لها بمنزلة النور، فكما أن الجسد متى لم يكن له بصر فهو أعمى، كذلك النفس متى لم يكن لها بصيرة أي عقل غريزي، فهي عمياء، وكما أن البصر متى لم يكن له نور من الحق لم يفد بصره، كذلك النفس متى لم يكن لها نور من العلم مستفاد لم تجد بصيرتها اهـ.

الرابع: أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب تلك الأمور ويقمع الشهوات الداعية إلى) تحصيل (**اللذة العاجلة**) وهي الدنيوية (**ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة**) في إنسان (**سمي صاحبها عاقلاً من حيث أن اقدامه وأحجامه**) أي كفه (**بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب**) أي عواقب الأمور وسمي تدبيراً وهو من جملة توابع العقل وقد سمي به مجازاً كما سيأتي قريباً (**لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضاً خواص الإنسان التي يتميز بها عن الحيوان وإليه يشير قول الشاعر:**)

ومن ترك العواقب مهملات ... فأكثر سعيه أبداً تبار

فهذه أربعة أقسام في العقل وقسمه بعضهم من وجه آخر فقال: العقل هيولاني وبالملكة وبالفعل ومستفاد فالعقل الهيولاني الإستعداد المحض لإدراك المعقولات وهو محضة خالية عن الفعل كما في الأطفال، وإنما نسب إلى الهيولى لأن النفس في هذه المرتبة تشبه الهيولى الأولى الخالية في حد ذاتها عن الصور كلها، والعقل بالملكة العلم بالضروريات وإستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات، والعقل بالفعل أن تصير النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الإكتساب بحيث تحصل لها ملكة الإستحضار متى شاءت من غير تجشم كسب جديد، والعقل المستفاد أن تحضر عنده النظريات التي أدركها بحيث لا تغيب عنه اهـ وهو تفصيل حسن

والسنح والمنبع. والثاني: هو الفرع الأقرب إليه، والثالث: فرع الأول والثاني، إذ بقوّة الغريزة والعلـوم الضرورية تستفاد علوم التجارب، والرابـع: هو الثمرة الأخيرة وهي الغاية القصوى، فالأوّلان بالطبع والأخيران بالاكتساب. ولذلك قال علي كرّم الله وجهه:

رأيـــت العقـــل عقليـــن فمطبـــوع ومسمـــوع
ولا ينفـــع مسمـــوع إذا لم يـــك مطبـــوع
كمـــا لا تنفـــع الشمـــس وضـــوء العيـــن ممنـــوع

والأول: هـو المراد بقوله ﷺ: «ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم عليه من

(**فالأول**) من الأقسام (**هوالاس**) بتثليث الهمزة (**والسنح**) بكسر السين المهملة وسكون النون وآخره جاء مهملة وهو الأصل (**والمنبع**) لأنه بمنزلة البصر من الجسد، والثاني من الأقسام (**هو الفرع الأقرب إليه**) إذ بقوة الغريزة تدرك العلوم الضرورية (**والثالث**) من الأقسام (**فرع الأول والثاني إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب، والرابع**) من الأقسام (**هي الثمرة الأخيرة وهي الغاية القصوى**) ومن هنا قال من قال في حقيقة الحق أنه نور روحاني يقذف في القلب أو الدماغ به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية، فانتصاره على هذا إنما هو نظراً إلى أنه الغاية (**فالأوليان**) أي الغريزة والعلوم الضرورية (**بالطبع**) والجبلة فهو مبدع (**والأخريان**) أي التجارب ومعرفة عواقب الأمور (**بالاكتساب**) فهو مكتسب قال صاحب الذريعة: ولاختلاف النظرين قال قوم: وهو مبدع، وقال قوم: هو مكتسب وكلا القولين صحيح من وجه وفاسد من وجه، (**ولذلك**) أي لكون العقل غريزياً ومستفاداً (**قال علي كرم الله وجهه**) فيما أورده صاحب القوت والذريعة والفخر في أسرار التنزيل: (**رأيت العقل**) هكذا في نسخ الكتاب، وفي الذريعة ثم العقل وفي المفردات وأسرار التنـزيـل: العقـل (**عقلين**) وفي القـوت: العلم علمان بـدل العقـل عقلان (**فمطبـوع ومسموع**) ولا ينفع مطبوع إذا لم يك مسموع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع) وفي الذريعة: إذا لم يك مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس، (**والأول**) أي العقل الغريزي المطبوع (**هو المراد**) ولفظ الذريعة فإلى الأول أشار (**بقوله ﷺ: «ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم عليه من العقل**) قال العراقي: رواه الحكيم الترمذي في النوادر بإسناد ضعيف من رواية الحسن البصري قال: حدثني عدة من أصحاب رسول الله ﷺ، عن رسول الله ﷺ فذكر حديثاً فيه «إن الله تعالى قال: ما خلقت خلقاً أحب إلي منك ولا أكرم علي منك» الحديث وقد تقدم في ثالث حديث الباب اهـ.

قلت: وأشار إلى أنه ضعيف لكون الترمذي المذكور رواه عن عبد الرحمن بن حبيب عن

العقل » والأخير هو المراد بقوله ﷺ: « إذا تقرّب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك »، وهو المراد بقول رسول الله ﷺ لأبي الدرداء رضي الله عنه: « ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً، فقال: بأبي أنت وأمي! وكيف لي بذلك؟ فقال: اجتنب محارم الله تعالى وأدِّ فرائض الله سبحانه تكن عاقلاً واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل في آجل العقبي بها من ربك عز وجل

داود بن المحبر عن الحسن بن دينار قال: سمعت الحسن ورجاله ما عدا الحسن هلكى، وقد رواه داود أيضاً في كتابه مرسلاً فقال: حدثنا صالح المري عن الحسن فذكره **(والأخير)** أي العقل المستفاد **(هو المراد بقوله)** ولفظ الذريعة والمفردات، إلى الثاني أشار بقوله **(ﷺ)** لعلي رضي الله عنه: **(« إذا تقرب الناس بأبواب البر فتقرب أنت بعقلك »)** ولفظ الذريعة إذا تقرب الناس إلى خالقهم بالبر فتقرب إليه أنت بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الله في الدنيا والآخرة اهـ.

وأخرج أبو نعيم بإسناد ضعيف من رواية عاصم بن ضمرة، عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: « إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل فاكتسب أنت أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة ». وفي الجزء الثالث من أمالي أبي القاسم بن عليك النيسابوري قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، أخبرنا محمد بن منصور العتكي، حدثنا محمد بن أشرس السلمي، حدثنا سليمان بن عيسى السنجري، عن سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « إذا اكتسب الناس إلى خالقهم بأنواع البر فاكتسب إليه بأنواع العقل تسبقهم بالقربة والراحة والدرجات في الدنيا.

(وهو المراد بقول رسول الله ﷺ لأبي الدرداء) رضي الله عنه فيما أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر فقال: حدثنا مهدي، حدثنا الحسن عن منصور، عن موسى، عن أبان، عن لقمان بن عامر، عن أبي الدراداء قال قال رسول الله ﷺ يا عويمر **(« ازدد عقلاً تزدد قرباً »)** ولفظ النوادر: « رحباً » بدل « قرباً » **(فقال بأبي أنت وأمي! وكيف لي بذلك)**؟ ولفظ النوادر: قلت يا رسول الله من لي بالعقل؟ **(فقال ﷺ: « اجتنب محارم الله »)** ولفظ النوادر « مساخط الله » **(وأد فرائض الله تكن عاقلاً وأعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعزة »)** ولفظ النوادر ثم تنقل بالصالحات من الأعمال تزدد في الدنيا عقلاً ومن ربك قرباً وعليه عزاً. قال العراقي: وأبان بن أبي عياش ضعيف، وقد رواه بسياق المصنف داود بن المحبر في كتاب العقل، ومن طريقه رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده اهـ.

قلت: وأخرج البيهقي، وابن عدي من حديث ابن مسعود رفعه « أد ما أفترض الله عليك تكن من أعبد الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أورع الناس وارض بما قسمه الله لك تكن من أغنى الناس ».

القرب والعز »، وعن سعيد بن المسيب ان عمر وأبيّ بن كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله: من أعلم الناس؟ فقال ﷺ: « العاقل » قالوا: فمن أعبد الناس؟ قال: « العاقل » قالوا: فمن أفضل الناس؟ قال: « العاقل » قالوا: أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته؟ فقال ﷺ: « وأنَّ كُلّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعَ الحياةِ الدُّنْيَا والآخِرةُ عِنْدَ رَبِّكَ للمتَّقين ﴾ [الزخرف: ٣٥]، أن العاقل هو المتقي وإن كان في الدنيا خسيساً ذليلاً »، قال ﷺ في حديث آخر: « إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ». ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة لتلك الغريزة، وكذا في الاستعمال، وإنما أطلق على العلوم من حيث أنها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته، فيقال: العلم هو الخشية والعالم من يخشى

(و) روي داود بن المحبر في كتاب العقل فقال: حدثنا ميسرة، عن محمد بن زيد، **(عن سعيد بن المسيب)** بن حزن المخزومي من كبار التابعين **(أن عمر)** بن الخطاب **(وأبي بن كعب، وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس؟ فقال « العاقل »)** ولفظ داود قال « العاقل » **(فقالوا)**: ولفظ داود: قالوا **(من أعبد الناس؟ فقال « العاقل » قالوا فمن أفضل الناس، قال « العاقل » قالوا: ليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته)** إشارة إلى الفضائل النفسية، وهذه الأربعة خيارها فتمام مروءة الإنسان جمال معنوي، وحسن النطق جمال ظاهري، والسخاء من المتممات ورفعة المنزلة عند الناس من الغايات **(فقال ﷺ: ﴿ إن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين)** [الزخرف: ٣٥] ولفظ داود بعد قوله: الحياة الدنيا إلى آخر الآية **(« إن العاقل هو المتقي وإن كان في الدنيا خسيساً ذليلاً)** ولفظ داود خسيساً قصياً. قال العراقي: وقول المصنف عن ابن المسيب يريد أنه مرسل وهو كذلك.

(وقال ﷺ في حديث آخر) رواه ابن المحبر في العقل لقال: حدثنا عدي، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن سعيد بن المسب قال اشرف النبي ﷺ على خيبر فذكر زيادة في أوله ثم قال: **(إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته »)** ولفظ داود: « بطاعة الله عز وجل » وهو مرسل أيضاً كالذي قبله، وفي الذريعة قال رجل لمن وصف نصرانياً بالعقل « مه إنما العاقل من وحد الله وعمل بطاعته » **(ويشبه أن يكون الاسم)** أي اسم العقل **(في أصل اللغة لتلك الغريزة)** التي تقدم وصفها، **(وكذا في الإستعمال)** الخاص والعام، **(وإنما أطلق على العلوم)** الضرورية كما ذهب إليه المتكلمون **(من حيث أنها ثمرتها)** ونتيجتها، **(كما يعرف الشيء بثمرته فيقال)** مثلاً **(العلم هو الخشية)**، ومعلوم أنه ليس بحد له حقيقة، (و) إذا ثبت ذلك ثبت قولهم **(العالم من يخشى الله تعالى، فإن الخشية)** وهو الخوف المشوب

الله تعالى. فإن الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة، ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة.

والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والإسم يطلق على جميعها، ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول، والصحيح وجودها بل هي الأصل. وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة، ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج، وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الأرض، فإنه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا بأن يساق إليها شيء جديد، وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد، ولذلك قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم مِن ظُهورهم ذرِّيَّتهم وأشهدهم على أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة، فإنهم

بتعظيم (**ثمرة العلم**) ونتيجته (**فيكون كالمجاز**) إذا أطلق (**لغير تلك الغريزة**)، وإنما قال: كالمجاز ولم يقل مجازاً لأنه أورده بحثاً، ولذا قال في أوله: ويشبه وهذا بظاهره لا غبار عليه إلا أنه خالف فيه سائر أئمة اللغة وغالب المتكلمين، فإنهم ما فسروه إلا بالعلم ولا أحد منهم جعل الغريزة أصلاً في معناه، حتى يكون إطلاقه على العلوم مجازاً، ولذا أنكروا على المحاسبي مقالته المذكورة آنفاً، (**ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة**) أشار بهذه إلى أنه خالفهم فيما اطبقوا عليه.

(**والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة**) كما عرفت، (**و**) هذا (**الاسم**) أي اسم العقل (**يطلق على جميعها**) إطلاقاً صحيحاً (**إلا القسم الأول**) أي الغريزة فمختلف فيه، (**والصحيح وجودها**) أي الغريزة (**بل هي الأصل**) للأقسام الثلاثة. (**وهذه العلوم كلها منضمة في تلك الغريزة**) مركوزة فيها (**بالفطرة**) الأصلية، (**ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب**) قوي (**يخرجها**) من أصل الفطرة (**إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة**) أي مختفية (**فيها فظهرت**) وبرزت، (**ومثاله**) في الظاهر (**الماء في الأرض فإنه**) يختفي فيها، وإنما (**يظهر بحفر القني**) بضم القاف وكسر النون وتشديد التحتية جمع قناة وهي الجدول الصغير (**ويجتمع**) مع بعضه (**ويتميز**) ذلك (**بالحس**) والمشاهدة (**لا بأن يساق إليه شيء جديد**) من خارج، (**وكذلك الدهن**) فإنه مستكن (**في**) قلب (**اللوز**) وهو ثمر شجر معروف، (**وماء الورد**) فإنه مستكن (**في الورد**)، وإنما يخرجان منهما بسبب قوى في الاخراج، (**ولذلك قال تعالى**) في كتابه العزيز (**﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ [الاعراف: ١٧٢] فالمراد به اقرار نفوسهم**) المجردة عن الهياكل (**لا اقرار الألسنة فإنهم انقسموا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة**

انقسموا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مقر وإلى جاحد، ولذلك قال تعالى: ﴿ولئِنْ سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، معناه أن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ [الروم: ٣٠]، أي كل آدمي فطر على الإيمان بالله عز وجل، بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه أعني: أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك، ثم لما كان الإيمان مركوزاً في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين: إلى من أعرض فنسي وهم الكفار، وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها، ولذلك قال عز وجل: ﴿لعلهم يتذكرون﴾ [البقرة: ٢٢١] ﴿وليتذكر أولو الألباب﴾ [ص: ٢٩] ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم

والأشخاص) على قسمين، فمنهم من بقي على اقراره الأصلي من أول وهلة، ومنهم من راجع اقراره فيما بعد بتوفيق من الله تعالى، ومنهم من لم يقر مطلقاً فالإقرار ثابت بنص الآية. ولكن لا بالألسنة، وهذا الذي أورده المصنف أشار به إلى ثمرة العقل من معرفة الله الضرورية، وغاية ما يبلغ إليه الإنسان من ذلك، فأشرف ثمرة العقل معرفة الله سبحانه وتعالى وحسن طاعته والكف عن معصيته، فمعرفة الله الضرورية مركوزة في النفس وهي معرفة كل أحد أنه مفعول، وأن له فاعلاً فعله ونقله من الأحوال المختلفة، وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾ الآية. فهذا القدر من المعرفة في نفس كل أحد، وتنبيه الغافل عنه إذا تنبه عليه فيعرفه كما يعرف أن من هو مسار لغيره فذلك الغير مساو له، **(ولذلك)** أي من هذا الوجه **(قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ [الزخرف: ٨٧] وكذا قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ [الزخرف: ٩] . وقال في مخاطبة المؤمنين والكافرين ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون* ثم** إذا كشف الضر عنكم﴾ [البقرة: ١٣٨] الآية. **(معناه إن اعتبرت أحوالهم)** المختلفة **(شهدت بها نفوسهم وبواطنهم)** وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾) [الروم: ٣٠] وقوله: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ [البقرة: ١٣٨] **(أي كل آدمي فطر)** وجبل **(على الايمان بالله عز وجل)** والانقياد لطاعته، **(بل على معرفة الأشياء على ما هي عليها)**، ولم يقل بل على معرفة الله تعالى، فإنه إنما عني بالإيمان معرفة الله الضرورية. وهي معرفة كل أحد انه مفعول، وأن له فاعلاً فعله ونقله من الأحوال المختلفة لا المعرفة المكتسبة، فإنه قد تقدم بيانها في أول الكتاب. **(أعني: إنها كالمتضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك)** وتهيئها لقبوله، **(ثم لما كان الايمان مركوزاً في النفوس)** مودوعاً فيها **(بالفطرة)** الأصلية **(انقسم الناس من أعرض)** عنه **(فنسي)** لتمادي العهد وهم الكفار، **(وإلى من أجال خاطره)** وأداره بحسن تفكره **(فتذكر)** ما كان منسياً، **(فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة)** عنها **(فتذكرها)** فيما بعد، فإن أصل التذكر محاولة القوة العقلية لاسترجاع ما فات بالنسيان، **(ولذلك قال عز وجل: ﴿لعلهم يتذكرون﴾ [البقرة: ٢٢١]**

به﴾ [المائدة: ٤٧] ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مُدّكر﴾ [القمر: ١٧] وتسمية هذا النمط تذكراً ليس ببعيد، فكأن التذكر ضربان، **أحدهما**: أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود. **والآخر**: أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة. وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستر وجه السماع والتقليد دون الكشف والعيان، ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات، ويتعسف في تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعاً من التعسفات، ويتخايل إليه في الأخبار والآيات ضروب من المناقضات، وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحقار ويعتقد

وقال تعالى: ﴿وليتذكر أولو الألباب﴾) [ص: ٢٩] أي العقول، وقال تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به﴾ [المائدة: ٧]. وقال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾ [القمر: ١٧]، وغير ذلك من الآيات التي فيها الذكر والتذكر، (**وتسمية هذا النمط**) أي النوع (**تذكراً ليس ببعيد**) لغة (**وكأن التذكر ضربان**) وتحقيق المقام أن التذكر فرع عن الذكر، والذكر هو وجود الشيء في القلب. أو في اللسان، وذلك أن الشيء له أربع درجات، وجوده في ذاته، ووجوده في قلب الإنسان، ووجوده في لفظه، ووجوده في كتابته، فوجوده في ذاته هو سبب لوجوده في لسانه ولوجوده في كتابته، ويقال للموجودين أي الوجود في القلب، والوجود في اللسان الذكر، ولا اعتداد بذكر اللسان ما لم يكن ذلك عن ذكر في القلب بل لا يكون ذلك ذكراً والذكر بالقلب ضربان: (**أحدهما: أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه**) باستثباته لها (**لكن غابت**) عنه (**بعد الوجود**) وانمحت عنه بنسيان أو غفلة فيستعيدها، وهذا هو في الحقيقة الذكر، (**والآخر أن يكون**) التذكر (**عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة**) المراد ثبات وجودها في القلب من غير نسيان أو غفلة، وذكر الله تعالى على نحو الأول غير مرتضى عند الأولياء، وإنما يحمد إذا كان على النوع الثاني، ثم أن ذكر الله تارة يكون لعظمته فيتولد منه الإجلال والهيبة، وتارة يكون لقدرته فيتولد منه الخوف والحزن، وتارة لفضله فيتولد منه الرجاء، وتارة لنعمه فيتولد منه الشكر، وتارة لأفعاله الباهرة فيتولد منه العبرة، ومن القسم الرابع قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ (**وهذه حقائق**) جليلة (**ظاهرة للناظر بنور البصيرة**) لا يمتري فيها ولا يتلعثم يدركها بأول وهلة (**ثقيلة على**) افهام (**من يستر وجه السماع والتقليد**)، أي يكون التقليد والسماع من الافواه والاقتصار عليه يكون رائجاً عنده، فمثله لا يدرك تلك الحقائق (**دون الكشف والعيان**) أي: المشاهدة وهو مقام اليقين، (**ولذلك تراه**) أبداً (**يتخبط في مثل هذه الآيات**) أي يختلف كلامه فيها لعدم بصيرته (**ويتعسف**) أي يركب العسف والجور (**في تأويل التذكر**) والذكر (**وإقرار النفوس**) عند أخذ العهود (**أنواعاً**) ضروباً (**من التعسفات**) الباطلة عند أهل الحق (**وتتخايل إليه في الاخبار**) النبوية (**والآيات**) الالهية (**ضروب**) أنواع (**من المناقضات**) الباطلة، (**وربما يغلب ذلك عليه**) فيصير طبعاً مركوزاً

فيها التهافت، ومثاله مثال الأعمى الذي يدخل داراً فيعثر فيها بالأواني المصفوفة في الدار فيقول: ما لهذه الأواني لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها، فيقال له: إنها في مواضعها، وإنما الخلل في بصرك، فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه وأطم منه وأعظم إذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر. قال الله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١]، وقال تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ [الأنعام: ٧٥] الآية. وسمى ضده عمى فقال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصارُ وَلَكِن تَعمى الْقُلوبُ التي في الصدور﴾ [الحج: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾ [الإسراء:

فيه (**حتى ينظر إليها بعين الاستحقار**) والمذلة. (**ويعتقد فيها**) من عدم بصيرته (**التهافت**) والتناقض فيقدم على الجمع بينها بقوة علمه الظاهر ولم يستضيء من نور المشاهدة والمعرفة عقله فيقع في محظور عظيم ضرره على العامة أكثر من ضرر غيره، (**ومثاله مثال الأعمى**) فاقد البصر (**الذي يدخل داراً**) عظيمة المبنى مصفوفة فيها صفوف الأمتعة في مواضعها (**فيعثر**) برجله (**فيها بالأواني المصفوفة**) من الخزف الصيني والزجاج وغيرها، (**فيقول**) بلسانه الذي يعبره عن عقله القاصر: (**ما لهذه الأواني لا ترفع من الطرق. وترد إلى مواضعها؛ فيقال له: هي موضوعة في مواضعها**) التي تليق بها، (**وإنما الخلل في البصر، وكذلك خلل البصيرة يجري مجراه**) أي مجرى خلل البصر، بل (**وأطم منه**) أي أكثر (**وأعظم**) لأن بارتفاع البصيرة ارتفاع النفع بالبصر (**إذ النفس كالفارس والبدن كالفرس**) يتبعه حيث يريد. (**وعمى الفارس**) بنفسه (**أضر**) أي أشد ضرراً (**من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى**) في كتابه العزيز في حق حبيبه ﷺ: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ [النجم: ١١]. قال البيضاوي: أي ما رأى ببصره من صورة جبريل أو الله تعالى أي: ما كذب بصره ما حكاه له، فإن الأمور القدسية تدرك أولا بالقلب ثم تنتقل منه إلى البصر (**وقال تعالى: ﴿وكذلك نُري ابراهيم ملكوت السموات والأرض﴾**) [الأنعام: ٧٥] وليكون من الموقنين، واعلم أن النفوس القدسية إذا اطمأنت إلى الله تعالى تشعشعت بصيرتها كشعاع البصر، وعند تعطيل الحواس بالنوم أو بالمراقبة ترجع النفس إلى عالم الملكوت. ولها عروج في العلويات بحسب قوتها في الترقي والسير في عالم الملكوت، فيعلو شعاع بصيرتها إلى عالم الروحانيات كشعاع البصر في السموات، وقد أثبت الله تعالى للعقل رؤية في هاتين الآيتين في قوله: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ [الفرقان: ٤٥] وأثبت له ابصاراً في قوله: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ [الأعراف: ١٩٨] (**وسمي ضده عمى فقال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [الحج: ٤٦] وقال تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾**)

٧٢]، وهذه الأمور التي كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة، وسمى الكل رؤية. وبالجملة؛ من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين إلا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه، فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل عليها.

(بيان تفاوت الناس في العقل) :

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله، بل الأولى والأهم المبادرة إلى التصريح بالحق. والحق الصريح فيه أن يقال أن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثاني، وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضاً استحالة

[الاسراء ٧٢] قذفهم بفقدان البصيرة تنبيهاً ان فقدانها اختياري إذ هو بتركهم استفادة العلم، وأكثر فقدان البصر ضروري قال الله تعالى: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ [الكهف: ١٠١] فلولا أن العين أراد بها البصيرة لما قال تعالى ﴿عن ذكري﴾ لأن الذكر لا يدرك بحاسة العين، وقال ابن عباس لمن عيره بفقدان البصر: إنا نصاب بأبصارنا وأنتم تصابون في بصائركم. **(وهذه الأمور التي كشفت للأنبياء)** عليهم السلام **(بعضها كان بالبصر، وبعضها كان بالبصيرة، وسمي الكل رؤية)** كما في الآية المتقدمة. وكذا في قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ [فصلت: ٥٣] لأن للنفوس القدسية في سيرهم وترقيهم إلى عالم الملكوت معارج على قدر تبدل صفاتها بالسير عن خصائصها، وبحسب تلطف ذاتها بالتزكية عن أوصافها. **(وبالجملة؛ من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة)** أي متوقدة مضيئة **(لم يعلق به من الدين إلا قشوره وأمثلته)** أي رسومه الظاهرة **(دون لبابه وحقائقه)** ومحضه وخلاصته. **(وهذه حقائق ما ينطلق عليه اسم العقل)**. وفي أثناء ذلك الاشارة إلى ثمراته وما يتولد منه.

(بيان تفاوت الناس في العقل) :

اعلم انه **(قد اختلف الناس في تفاوت العقل)** فمنهم من منعه مطلقاً، ومنهم من أثبته والمثبتون، اختلفوا كذلك على أنحاء شتى هل يتطرق إلى بعض أقسامها أو كلها، **(ولا ينبغي الاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله)**، فرمى عن قوس علم الظاهر من غير تأييد باطني ولا مشاهدة أمر يقيني، فتحرير كلام مثله لا يجدي نفعاً، وإنما هو تسويد في بياض، **(بل الأولى المبادرة)** أي المسارعة **(إلى التصريح بالحق)** والتبيين له، **(والحق الصريح)** أي الخالص **(فيه أن التفاوت)** فيه **(يتطرق إلى الأقسام الأربعة)** منه **(سوى القسم الثاني)** من أقسامه، **(وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، فإن من عرف)** بعقله **(أن الاثنين أكثر من واحد عرف أيضاً استحالة كون الجسم)** الواحد **(في**

كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قديماً حادثاً. وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه إدراكاً محققاً من غير شك. وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها. أما القسم الرابع، وهو استيلاء القوّة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه، بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه، وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض، ولكن غير مقصور عليه، فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا، وإذا كبر وتم عقله قدر عليه، وشهوة الرياء والرئاسة تزداد قوّة بالكبر لا ضعفاً، وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة، ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة، وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك إذا لم يكن طبيباً، وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة، ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد، فيكون الخوف جنداً للعقل وعدة له في قمع الشهوات وكسرها، وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصي من الجاهل

مكانين) مختلفين، **(و)** استحالة **(كون الواحد قديماً حادثاً)** لمضادتها، **(وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه العاقل إدراكاً محققاً من غير شك)**، فهذا لا يتطرق إليه التفاوت، **(وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها)** كما يأتي بيانه، **(أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات)** وردعها **(فلا يخفى تفاوت الناس فيه)** بالقلة والكثرة حتى ترى واحداً كعشرة بل واحداً كمائة وعشرة أخرى هدر دون واحد، **(بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد)** في نفسه، **(وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة)** في حد ذاتها **(إذ قد يقدر العاقل)** بقوة عقله **(على ترك بعض الشهوات دون بعض)** كأن يترك الشهوة الظاهرة ولا يقدر على ترك الشهوة الخفية، **(ولكن غير مقصور عليه، فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا)** لشدة شبقه وثوران شهوته، **(وإذا كبر وتم عقله قدر عليه)** وارتدع منه بمقتضى السن **(وشهوة الرياء)** والسمعة **(والرئاسة)** وما أشبهها **(تزداد قوة)** وتنمو **(بالكبر)** أي بالطعن في السن **(لا ضعفاً)**، لما ورد: يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان الحرص وطول الأمل، **(وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف)** المبين **(لغائلة تلك الشهوة)** ومضراتها، **(ولهذا يقدر الطبيب)** الماهر العارف **(على الاحتماء عن بعض الأطعمة)** والأشربة **(المضرة)** المؤدية إلى الضرر، **(وقد لا يقدر)** على ذلك **(من يساويه)** ويماثله **(في العقل. إذا لم يكن طبيباً)** لعدم معرفته بالخواص والطبائع، **(وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة، ولكن إذا كان علم الطبيب أتم)** وأكثر **(كان خوفه أشد)** وأعظم، **(فيكون الخوف جنداً للعقل وعدة له في قمع الشهوات وكسرها)**. إذ لولا خوفه لما منعه عنها، **(وكذلك يكون العالم)** العامل بعلمه **(أقدر على ترك المعاصي)** وكسر شهوتها عنه **(من العامي لقوة علمه بضرر المعاصي)** وما يترتب عليه منها. **(وأعني به العلم**

لقوة علمه بضرر المعاصي، وأعني به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالسة وأصحاب الهذيان، فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل، وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلاً أيضاً، فإنه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه، وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل، فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة أشد.

وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتاً في الغريزة وإما تفاوتاً في الممارسة، فأما الأول، وهو الأصل أعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده، فإنه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادىء اشراقه عند سنّ التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نمواً خفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة، ومثاله

الحقيقي) الذي علمه لله ولأمر الله **(دون أرباب الطيالسة)** جمع طيلسان وهو كساء أسود مربع، والمراد به علماء الدنيا والقضاة والمخالطون على الملوك والأمراء أصحاب السواري، **(وأصحاب الهذيان)** محركة هو الكلام الكثير، والمراد به أرباب الجدال والمناظرات، **(فإن كان التفاوت من جهة الشهوة)** وهو القسم الأول **(لم يرجع إلى تفاوت العقل، وإن كان)** سبب التفاوت **(من جهة العلم)** المعرف بغائلة المضرة وهو القسم الثاني، **(فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلاً فإنه يقوي غريزة العقل)** ويشدها **(فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه، وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل، فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة أشد)** وأكثر.

(وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم) أي: أهل هذه العلوم المستفادة **(يتفاوتون)** تارة **(بكثرة الإصابة و)** تارة **(بسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوت)** في **(أصل الغريزة وإما تفاوت في)** نفس **(الممارسة)** والتجربة، **(وإما الأول وهو الأصل)** أي أصل هذه الأقسام **(أعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده)** وإنكاره، **(فإنه نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادىء اشراقه عند بدو سن التمييز)** أي البلوغ، **(ثم لا يزال ينمو ويزداد نمواً خفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة)** هذا هو المشهور، وقد ذكر صاحب القاموس تبعاً لبعض الحكماء أن ابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو ويزيد إلى أن يكمل عند البلوغ، فظاهره أن كماله يكون عند سن البلوغ وهو محل تأمل. وقد ورد في الحديث: « ما من نبي إلا نبىء بعد الأربعين » وقول ابن الجوزي: انه موضوع لأن عيسى عليه السلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، كما في حديث آخر فاشتراط الأربعين ليس بشرط مردود لكونه مستنداً إلى زعم

نور الصبح، فإن أوائله يخفى خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس، وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر، بل سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة، بل تظهر شيئاً فشيئاً على التدريج، وكذلك جميع القوى والصفات، ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل، ومن ظن ان عقل النبي ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية، وكيف ينكر تفاوت

النصارى، والصحيح أنه رفع وهو ابن مائة وعشرين. وما ورد فيه غير ذلك، فلا يصح كذا في تذكرة المجدولي. (**ومثاله نور الصبح، فإن أوائله يخفى**) عن الأعين (**خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة**) تدريجاً (**إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر**) في القلة والكثرة والزيادة والنقص، (**والفرق مدرك بين الأعمش**) الذي بعينه عمش وهو سيلان الدمع في أكثر الأوقات مع ضعف البصر، (**وبين الحاد البصر**) السالم من العلل، (**بل سنة الله جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد**)، فمن ذلك ايجاد الإنسان في المراتب السبعة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ★ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ★ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤] (**حتى أن غريزة الشهوة لا تركب في الصبي عند البلوغ دفعة**) واحدة (**وبغتة، بل تظهر شيئاً فشيئاً على التدريج، وكذا جميع القوى والصفات**) منها قوة الغذاء، وقوة الحس وقوة التخيل، وقوة النزوع، وقوة التفكر. فهذه خمس قوى ركبها الله تعالى في الإنسان وجعل المدركة خمساً: الحواس والخيال والتفكر والعقل والحفظ، وجعل الحواس خمساً ظاهرية وخمساً باطنية، وجعل للبدن خمس قوى وهي: الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة، وباعتدالها تكمل الصحة. وأما الصفات فمحمودة ومذمومة ولكل منها أقسام، (**ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة، فكأنه منخلع عن ربقة العقل**) لم يتحل بها. (**ومن ظن أن عقل النبي ﷺ مثل**) عقل (**آحاد السوادية**) وهم أهل الأرياف (**أو أجلاف البوادي**) الذين يلازمون البادية، (**فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية**).

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية الحرث بن أبي أسامة، عن داود بن المحبر، حدثنا عباد بن كثير عن أبي ادريس، عن وهب بن منبه قال: قرأت أحداً وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها أن الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقل محمد ﷺ إلا كحبة رمل من جميع رمال الدنيا، وأن محمداً ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً، (**وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم**) الخفية المدرك، (**ولما انقسموا**

الغريزة ولولاه لما اختلفت الناس في فهم العلوم، ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم، وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم؟ كما قال تعالى: ﴿يكادُ زيتُها يضيءُ ولَوْ لم تمسسه نارٌ نورٌ على نورٌ﴾ [النور: ٣٥]، وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ يتضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع، ويعبر عن ذلك بالالهام، وعن مثله عبر النبي ﷺ حيث قال: « إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما

إلى) ثلاثة أقسام. **(بليد)** جامد الطبع غير فطن **(لا يفهم)** ما يلقى إليه **(بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من التعليم، وإلى ذكي)** يتوقد ذهنه ذكاء **(يفهم بأدنى رمز و)** أقرب **(اشارة)** من غير تعب في مراجعته، **(وإلى كامل)** مهذب **(تنبعث من نفسه حقائق الأمور)** وتتفجر دقائقها **(دون التعليم)** وفي مثله قال الله تعالى: **﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ [النور: ٣٥] وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ تتضح لهم في باطنهم)** المقدس **(أمور غامضة من غير تعلم وسماع)** من ملك وغيره، وقال ابن عرفة: هذا مثل ضربه الله لرسوله ﷺ يقول: يكاد منظره، وإن لم يتل قرآناً وأنشد في المعنى لعبدالله بن رواحة:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تغنيك بالخبرِ

(ويعبر عن ذلك بالالهام) وهو إلقاء الشيء في الروع بطريق الفيض، ويختص بما كان من جهة الله تعالى، أو من جهة الملأ الأعلى، وقيل: هو ايقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر يخص الله به بعض أصفيائه. **(وعن مثله عبّر رسول الله ﷺ حيث قال: « إن روح القدس »)** المراد به جبريل عليه السلام وقيل: هو الله تعالى **(نفث)** أي ألقى وهو مجاز من النفخ، وقيل: معناه أوحى إلى ذلك **(في روعي »)** أي نفسي ويعبر عن ذلك بلمة الملك أيضاً. وبقية هذا الحديث أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فأجلوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية، عن أبي أمامة الباهلي. ورواه ابن أبي الدنيا والحاكم، عن ابن مسعود. وقال البيهقي في الداخل: انه منقطع، وسيأتي بيان الحديث حيث ذكره المصنف في الباب الأول من آداب الكسب والمعاش.

وأخرج الطبراني في الصغير والأوسط من طريق أهل البيت من رواية حسن بن الحسين بن زيد العلوي عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال لي جبريل عليه السلام: « يا محمد: **(أحبب من أحببت فإنك مفارقه)** ورواية الطبراني من شئت بدل من أحببت **(وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به »)** وعند الطبراني؛ فإنك ملاقيه

شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزىٍ به». وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن، ومشاهدة الملك بحاسة البصر، ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروع، ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة، بل هو من علم المكاشفة. ولا تظنن أن معرفة

وفيه تقديم هذه الجملة على الثانية، وفي آخره وقال رسول الله ﷺ: «أوجز لي جبريل في الخطبة» قال: ولا يروى عن علي إلا بهذا الاسناد، وقد روي هذا الحديث عن سهل بن سعد، وسياق المصنف أشبه به إلا أن فيه تقديماً وتأخيراً، وزيادة في الآخر أخرجه الطبراني أيضاً في الأوسط من رواية زافر بن سليمان، عن محمد بن عيينة، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به واحبب من شئت فإنك مفارقه»، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس، وراويه عن زافر تابعه محمد بن حميد الرازي وتابعه عليه إسماعيل بن توبة فيما رواه الشيرازي في الألقاب، إلا أنه قال: واجمع ما شئت فإنك تاركه بدل واعمل ما شئت.

(وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء) عليهم السلام **(يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر، ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروع)**، وظاهره يؤذن باختصاصه بالأنبياء إذ جعله من أقسام الوحي، ولكن صرح الشيخ الأكبر قدس سره بأنه يقع للأولياء أيضاً. وعبارته: العلوم ثلاث مراتب علم العقل وهو كل علم يحصل ضرورة أو عقب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل. الثاني: علم الأحوال ولا سبيل له إلا بالذوق فلا يمكن العاقل وجدانه ولا إقامة دليل على معرفته كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والوجد والشوق، فهذه علوم لا يعلمها إلا من يتصف بها ويذوقها. الثالث: علم الأسرار وهو فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروع ويختص به النبي والولي وهو نوعان. والعالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها وليس أصحاب تلك العلوم كذلك اهـ.

(ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة، بل هو من علم المكاشفة). اعلم أن الله تعالى جعل أقسام كلامه مع عباده ثلاثة وحياً بلا واسطة كما أخبر عن حال النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم: ١٠] وكلاماً من وراء حجاب كما أخبر عن حال موسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ [النساء: ١٦٤] والذي يدل على انه كلمه من وراء حجاب قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿قال رب أرني أنظر إليك﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي ارفع الحجاب عني أنظر إليك وارسال الرسول وهو جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة يرسلهم إلى الرسل عليهم السلام، ثم جعل أصناف الوحي ثلاثة وحيا للعجماء وهو بالاجراء والتسخير. كما أخبر عن حال النحل بقوله: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً﴾ [النحل: ٦٨] الآية. ووحيا للأولياء

درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة، ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة، وإن كان خالياً عنها، فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر، فلا كل من عرف النبوّة والولاية كان نبياً ولا ولياً، ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقياً، وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضاً ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيوناً، وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس، وذلك لاختلاف جواهر

وهو بالالهام كما قال تعالى: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين﴾ [المائدة: ١١١] ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ [القصص: ٧] ووحيا للأنبياء وذلك تارة بواسطة وتارة بغير واسطة في النوم، فمن الأول نزل به الروح الأمين على قلبك ومن الثاني أني أرى في المنام أني أذبحك. وقال ﷺ: «نوم الأنبياء وحي» ومن أصناف هذا الوحي ما يبدو في اليقظة فيسمع صوتاً أو يرى ضوءٍ، ومنها ما يرى ملكاً فيكلمه كما وقع في غار حراء، ومنها ما يظهر الملك في أفق الملائكة، ومنه حديث البخاري «زملوني زملوني»، ومنها ما ينفث الملك في الروع، وتقدم شاهده ومنها ما نزل جبريل به على قلبه، ومنها ما يلقيه الله تعالى في القلب من غير واسطة جبريل، كالذي ورد في الأحاديث القدسية، ومنها ما يأتي به جبريل متمثلاً في صورة إنسان كدحية والأعرابي، ومنها ما يأتي به غيره من الملائكة كما جاء في بعض الأحاديث، ومنها ما كان سراً بين الله وبين رسوله فلم يحدث به أحداً، ومنها ما يحدث الناس، وذلك على صنفين فمنه ما كان مأموراً بكتابته قرآناً ومنه ما لم يكن مأموراً بكتابته قرآناً، فلم يكن من القرآن، وقال الرافعي: واحتج بالحديث المتقدم الشافعي على أن من الوحي ما يتلى قرآناً ومنه غيره كما هنا وله نظائر، فهذه درجات الوحي التي أشار المصنف إلى أنه من علوم المكاشفة. (**ولا تظنن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي**) كلاّ والله، (**إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة**) ومعرفة القوى التي باعتدالها تدرك الصحة، (**و**) يعرف (**المعلم الفاسق درجات العدالة**) والتزكية (**وإن كان**) الفاسق (**خالياً عنها**) أي عن درجات العدالة لفسقه، (**فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر**) ولا يلزم من وجود العلم بشيء وجود ذلك المعلوم، (**ولا كل من عرف النبوة والولاية**) بدرجاتها ومراتبها (**كان نبياً ولا ولياً**) وأنى له ذلك (**ولا كل من عرف التقوى**) وحقيقته وشروطه وثمراته، (**و**) عرف (**الورع ودقائقه كان تقياً**) ورعاً، (**وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم**) بنور من الله تعالى، (**وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم**) وإرشاد، (**وإلى من لا ينفعه التعليم أيضاً ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى ما يجتمع فيها الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيوناً**) تجري على الأرض فتنتفع بها المزارع والمنابت وسائر الحيوانات، (**وإلى ما يحتاج إلى الحفر**) بالآلات (**فيخرج في القنوات**) أي الجداول،

الأرض في صفاتها، فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل. ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي أن عبدالله بن سلام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش، وأن الملائكة قالت: «يا ربنا هل خلقت شيئاً أعظم من العرش؟ قال: نعم العقل، قالوا: وما بلغ من قدره؟ قال: هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل؟ قالوا: لا. قال الله عز وجل: فإني خلقت العقل أصنافاً شتى كعدد الرمل، فمن الناس من أعطى حبة، ومنهم من أعطي حبتين، ومنهم من أعطي الثلاث والأربع، ومنهم من اعطي فرقاً، ومنهم من اعطي وسقاً، ومنهم من أعطي أكثر من ذلك».

فإن قلت: فما بال أقوام من المتصوّفة يذمون العقل والمعقول؟ فاعلم أن السبب فيه

لكنه بسبب قوى مخرج، (**وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس**) المستحجر يكدي حافره ويتعب نابطه، (**وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها**) وكذلك الاختلاف في سائر الجواهر على هذه الصفة، (**فكذلك هذا الاختلاف في النفوس وغريزة العقل**) على ما عرفت.

(**ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي أن ابن سلام**) هو عبدالله بن سلام بن الحرث الإسرائيلي أبو يوسف حليف القوافلة من الأنصار. أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وشهد له بالجنة. وشهد مع عمر فتح ببيت المقدس والجابية. مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين (**سأل رسول الله ﷺ في حديث طويل في آخره: وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يا رب: هل خلقت شيئاً أعظم من العرش؟ قال: «نعم العقل. قالوا: وما بلغ من قدره؟ قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل؟ قالوا: لا قال تعالى: فإني خلقت العقل أصنافاً شتى كعدد الرمل، فمن الناس من أعطي حبة، ومنهم من أعطي حبتين، ومنهم من أعطي الثلاث والأربع، ومنهم من أعطي فرقاً، ومنهم من أعطي وسقاً، ومنهم أكثر من ذلك»**) قال العراقي: رواه داود بن المحبر في كتاب العقل فقال: حدثنا ميسرة، عن موسى بن جابان، عن أنس بن مالك فذكره، مع اختلاف يسير ورواه الترمذي الحكيم في النوادر مختصراً فقال: حدثنا مهدي، حدثنا الحسن، عن منصور، عن موسى بن خالد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق العقل أكثر من عدد الرمل فمن الناس من أعطي حبة من ذلك، ومنهم من أعطي حبتين، ومنهم من أعطي مداً، ومنهم من أعطي صاعاً، ومنهم من أعطي فرقاً وبعضهم وسقاً» فقال ابن سلام: من هم يا رسول الله؟ قال: «العمال بطاعة الله على قدر عقولهم ويقينهم وجدهم والنور الذي في قلوبهم» اهـ.

(**فإن قلت: فما بال أقوام من المتصوفة**) والعباد (**يذمون العقل والمعقول**) ويتمسكون

أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام، فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم انكم أخطأتم في التسمية، إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب، فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم، فإما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصوّر ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه، وإن ذم فما الذي بعده يحمد ؟ فإن كان المحمود هو الشرع فبمَ علم صحة الشرع، فإن علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضاً مذموماً ولا يلتفت إلى من يقول: أنه يدرك بعين

في ذلك بالنقول فهل لذمهم إياه من سبب ؟ **(فاعلم أن السبب)** الباعث لذمهم **(فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات)** مع الخصوم **(والإلزامات)** عليهم **(وهو صنعة الكلام)** الذي يأتي بيان ذمه في الكتاب الذي يليه، **(فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم)** يثبتوا **(إنكم أخطأتم في التسمية)** هذه **(إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم)** ولا يزول بوجه من الوجوه **(بعد تداول الالسنة)** وتلقى الخلف عن السلف، **(فذموا العقل والمعقول وهو المسمى عندهم)**، فهم يذمون غير مذمم، **(فأما نور البصيرة الباطنة)** في القلب **(التي بها يعرف الله ويعرف صدق رسله)** عليهم السلام، **(فكيف)** يكون مذموماً أم كيف **(يتصور ذمه، وقد أثني الله تعالى عليه)** في عدة مواضع في كتابه العزيز فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وما يعقلها إلا العَالِمونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] **(وإن ذم)** أي أريد به إياه **(فما الذي يحمد)** في الدنيا، **(فإن كان المحمود هو الشرع)** الذي جاء به النبي ﷺ **(فبم علم صحة الشرع؟ فإن)** قال: **(علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به)** ولا يعبأ **(فيكون الشرع أيضاً مذموماً)**، فإن ما توقف عليه صحة شيء إذا كان واهياً فالمتوقف عليه نفسه واه. كذلك وقد عقد لذلك صاحب الذريعة باباً فقال: **تعذر إدراك العلوم النبوية على من لم يتهدب في الأمور العقلية.**

أعلم أن المعقولات تجري مجرى الأدوية الجالبة للصحة، والشرعيات تجري مجرى الأغذية الحافظة، وكما أن الجسم متى كان مريضاً لم ينتفع بالأغذية بل يستضر بها، كذلك من كان مريض النفس لم ينتفع بسماع القرآن الذي هو موضوع الشرعيات، بل صار ذلك ضاراً مضرة الغذاء للمريض، وأيضاً فالجهل بالمعقولات جار مجرى ستر مرخى على البصر، وغشاء على القلب، ووقر في الأذن، والقرآن لا يدرك خفياته إلا من كشف غطاؤه ورفع غشاؤه وأزيل وقره، وأيضاً فالمعقولات كالحياة التي بها الأبصار والإسماع، والقرآن كالمدرك بالسمع والبصر، وكما أنه من المحال أن يسمع ويبصر الميت قبل أن يجعل الله فيه الروح ويجعل له السمع والبصر، كذلك من المحال أن يدرك من لم يحصل المعقولات حقائق الشرعيات اهـ.

(ولا يلتفت إلى من يقول أنه) أي الشرع **(يدرك بعين اليقين ونور الإيمان)** وصفائه

اليقين ونور الإيمان لا بالعقل، فإنا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الإيمان، وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور. وأكثر هذه التخبيطات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط إصطلاحات الناس في الألفاظ، فهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم.

تمّ كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنّه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء. يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد وحده أوّلاً وآخراً.

(لا بالعقل)، كما ذهب إليه بعض الصوفية، **(فإنا نريد بالعقل ما نريده بعين اليقين ونور الإيمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها)** بتلك الصفة **(حقائق الأمور)** وشاهد عرائس الستور فقولهم انه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان صحيح، وقوله: لا بالعقل غير صحيح. وهذا الذي أنكر عليهم الشيخ.

(وأكثر هذه التخبيطات) والتعسفات **(إنما تأثرت)** وحصلت **(من جهل أقوام طلبوا الحقائق)** المعنوية **(من)** ظاهر **(الألفاظ فتخبطوا)** تخبطاً واسعاً **(لتخبط اصطلاحات الناس في الألفاظ)** لكون كلهم تكلم في الحقائق على مشربه وذوقه الذي أدركه فنزلها في قوالب الألفاظ، كابن عربي والقاشاني. تراهما يفسران الألفاظ بحسب ما عندهم، فقد يكون مطابقاً لما عند غيره، وقد يكون مخالفاً. وهذا الحراني، وابن الكمال تكلما في حدود الألفاظ وحقائقها فترى هذا يشرق وهذا يغرب ومن أحاط بكلامهم وجد ذلك فيه. **(وهذا القدر)** الذي ذكرته **(كاف في بيان العقل)** وشرفه وجلالته وثمرته **(والله أعلم)** وبه تم كتاب العلم.

تتمات ختم بها الشارح كتاب العلم:

وهنا مهمات هي للباب متمات لم يشر إليها المصنف أردت أن أختم بها الباب.

الأولى: بيان منازل العقل واختلاف أسبابها بحسبها: اعلم أن العقل اسم عام لما يكون بالقوة وبالفعل ولما يكون غريزياً ومكتسباً، كما تقدم ذلك وهو في اللغة قيد البعير لئلا يندو سمي هذا الجوهرية تشبيهاً على عادتهم في استعارة أسماء المحسوسات للمعقولات ويخص بناء المصدر به لما كان يستعمل مرة للحدث ومرة للفاعل نحو: عدل وصوم وزور، ومرة للمفعول نحو: خلق وأمر، لكن يتصور منه كونه سبباً ليتقيد الإنسان به، وكونه مقيداً له عن تعاطي ما لا يجمل، وكونه مقيداً به من بين الحيوان وأشار ابن الهمام في التحرير أنه مأخوذ من المعقل وهو الملجأ لالتجاء صاحبه إليه، والنهي في الأصل جمع نهية إسم مفرد نحو: جعل وصرد أو وصف نحو: دليل ختع وسائق حطم، وجعل إسماً للعقل الذي انتهى من المحسوسات إلى معرفة ما فيه من المعقولات، ولهذا أحيل أربابه على تدبر معاني المحسوسات في قوله: ﴿أو لم يهد لهم كم أهلكنا﴾ [السجدة:

....

٢٦] الآية. وقال: ﴿وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾ إلى قوله: ﴿لأولي النهي﴾ [طه: ١٢٨] والحجر أصله من الحجر أي المنع وهو اسم لما يلزم الإنسان من خطر الشرع والدخول في أحكامه وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ [الفجر: ٥] وسمي العقل حجاً من حجاه أي قطعه سمي بذلك لكونه للإنسان قاطعاً عما يقبح: وأما اللب فهو الذي خلص من عوارض الشبه وترشح لاستفادة الحقائق من دون المفزع إلى الحواس، ولذلك علق الله في كل موضع ذكره بحقائق المعقولات دون الأمور المحسوسة، ومن أسمائه القلب لأنه لما كان مبدأ تأثير الروحانيات والفضائل سمي به، ولذلك عظم الله أمره لاختصاصه بما قد أوجد الله لاجله وقال تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ص: ٣٧] فنبه أن القلب إنما يكون في الحقيقة قلباً إذا كان متخصصاً بما أوجد لأجله وما أوجد لأجله هو المعارف الحقيقية، ولما كان أشرف المعارف هو ما يتخصص به القلب قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] فخصه بالذكر. ومن أسمائه النور والروح وقد تقدم ذكرهما والماء في قوله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾ على قول بعض المفسرين.

الثانية: أشار المصنف إلى فضائل العقل الكثيرة فما يقول في حديث «أكثر أهل الجنة البله» وهو جمع أبله من لا عقل له، فكيف يكون من لا عقل له من أكثر أهل الجنة؛ والجواب عنه بوجوه. **الأول:** أن المراد بالبله الجاهلون بأمر الدنيا العالمون بأمر الآخرة، **الثاني:** أن من عبدالله للجنة فهو أبله في جنب من يعبده لكونه رباً مالكاً. **الثالث:** المراد بهم أهل المعاصي الذين عفا الله عنهم، وأما العقلاء المطيعون فهم أهل الدرجات العلى.

الثالثة: العقل المكتسب ضربان: أحدهما التجارب الدنيوية، والثاني المعارف الإلهية، وطريقاهما متنافيان. ومن تصور اختلاف الطريقين لم تعترض له الشبهة التي اعترضت لقوم، وقالوا: لو أن ما هنا حق لما جهله الذين لا يلحق شأوهم في تدبير الدنيا ودقائق الصناعات ووضعوا الحكم والسياسات، وذلك أنه كما من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما لا يوجد إلا في طريق المغرب، أو يظفر سالك طريق المغرب بما لا يوجد إلا في طريق المشرق، كذلك من المحال أن يظفر سالك طريق معارف الدنيا بمعارف طريق الآخرة، ولا يكاد يجمع بين معرفة طريق الدنيا والآخرة معاً على التحقيق والتصديق إلا من وشحهم الله لتهذيب الناس في أمور معاشهم ومعادهم كالأنبياء جميعاً وبعض الحكماء.

الرابعة: المعقول اختلف فيه هل هو مصدر أو صفة، فالأول ظاهر سياق اللغويين يقولون: عقل الرجل عقلاً ومعقولاً، ويقولون ذهب طولاً وعدم معقولاً وما لفلان منقول ولا معقول وأنشد ابن بري:

فقد أفادت لهم حلماء موعظة ... لمن يكون له إرب، ومعقولُ

....

وأنكر سيبويه ذلك وقال: هو صفة، وكان يقول أن المصدر لا يأتي على بناء مفعول ألبتة ويتأول المعقول فيقول: كأنه عقل له شيء أي حبس عليه عقله وأيد وسدد. قال: ويستغنى بهذا عن الفعل الذي يكون مصدراً كما في الصحاح والعباب.

الخامسة: في بيان منازعة الهوى للعقل. اعلم أن مثل الإنسان في بدنه كمثل وال في بلدة وقواه وجوارحه بمنزلة صناع وعملة والعقل له كمشير ناصح عالم والشهوة فيه كعبد سوء جالب للميرة والحمية له كصاحب شرطة، والعبد الجالب للميرة خبيث ماكر يتمثل للوالي بصورة الناصح وفي نصحه دبيب العقرب ويعارض الوزير في تدبيره ولا يغفل ساعة عن منازعته ومعارضته، وكما أن الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته وزيره دون هذا العبد الخبيث وأدب صاحب شرطته وجعله مؤتمراً لوزيره وسلطة على هذا العبد وتباعه حتى يكون هذا العبد مسوساً لا سائساً ومدبراً لا مدبراً استقام أمر بلده. كذا النفس متى استعانت بالعقل في التدبير وأدبت الحمية وسلطتها على الشهوة وقوتها استتب أمرها، وإلاّ فسدت، ولهذا حذرنا الله تعالى غاية الحذر من اتباع الهوى: فقال: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾[ص: ٢٦] وقال في ذم من اتبعه: ﴿أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم﴾ [ص: ٢٦] وقال تعالى: ﴿أخلدا إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب﴾ [الأعراف:١٧٦] وقال في مدح من عصاه: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى★ فإنّ الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] والعقل وإن كان أشرف القوى وبه صار الإنسان خليفة الله في العالم فليس دأبه إلا الإشارة الى الصواب كطبيب يشير إلى المريض بما يرى فيه برأه فإن قبل منه وإلا سكت عنه ولذلك جعل له الحمية لتكون نائبة عنه في المدافعة ولهذا لا تتبين فضيلة العقل لمن لا حمية له وبهذا النظر قيل: المهين من لا سفيه له. وقال الشاعر:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له   وتتقي مربض المستأسد الحامي

وأيضاً مثل النفس في البدن مثل المجاهد بعث إلى ثغر لكي يرعى أحواله وعقله خليفة مولاه ضم إليه ليسدده ويرشده ويشهد له وعليه فيما يفعله إذا عاد إلى حضرة الملك، وبدنه بمنزلة فرس دفع إليه ليركبه وشهوته كسائس حيث ضم إليه ليتفقد فرسه ولا قدر لهذا السائس عند المولى والقرآن بمنزلة كتاب أتاه من مولاه وقد ضمن كل ما يحتاج إليه عاجلاً وآجلاً والنبي ﷺ آتاه الكتاب وبين له ما يشكل عليه مما يقرؤه من الكتاب ويقبح أن ينسى هذا الولي مولاه ويهمل خليفته فلا يراجعه فيما يبرمه وما ينقضه ويصرف همه كله إل تفقد فرسه وسائسه ويقيم سائس فرسه مقام خليفة ربه ومن وجه آخر، إن الإنسان من حيثما جعله الله عالماً صغيراً وجعل بدنه كمدينة والعقل كملك مدبر فيها وقواه من الفكرة والخيال والحواس كجنده وأعوانه والأعضاء كرعيته والشهوة كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته صار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط، فإن جاهد عدوه فهزمه فأسره وقهره على ما يجب وكما يجب جد أثره إذا

....

عاد إلى حضرته، وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره إذا عاد إليه، كما جاء في الحديث «إن الله تعالى يقول للكافر يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك». وأيضاً مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه، فمتى كان الفارس حاذقاً وفرسه مروضاً وكلبه معلماً فقمين بإدراك حاجته من الصيد، ومتى كان أخرق وفرسه جموحاً أو حروناً وكلبه عقوراً، فلا فرسه ينبعث تحته منقاداً أو لا كلبه يستكين معه مطيعاً، فهو قمن أن يعطب، فضلاً عن ان يدرك ما طلب. وهذه الأمثلة ما عدا الثاني ستأتي للمصنف في شرح عجائب القلب وللإنسان مع هواه ثلاثة أحوال. **الأولى:** أن يغلبه الهوى فيهلكه، **الثانية:** أن يغالبه فيقهرها مرة وتقهره مرة. **الثالثة:** أن يغلب هواه ككثير من الأنبياء وبعض صفوة الأولياء. وهذا المعنى قصد بقوله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾ [النازعات: ٤٠] الآية. وقصد النبي ﷺ بقوله: «ما من أحد إلا وله شيطان وأن الله قد أعانني على شيطاني حتى ملكته» فإن الشيطان يتسلط على الإنسان بحسب وجود الهوى فيه.

السادسة: في الفرق بين ما يسومه العقل وما يسومه الهوى. اعلم أن من شأن العقل أن يرى ويختار أبداً الأفضل والأصلح في العواقب، وإن كان على النفس في المبدأ مؤنة ومشقة والهوى على الضد من ذلك، فإنه يؤثر ما يدفع به المؤذى في الوقت، وإن كان يعقبه مضرة من غير نظر منه في العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر أكل الحلوات واللعب في الشمس على أكل الهليلج والحجامة، ولهذا قال ﷺ «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» وأيضاً فإن العقل يرى صاحبه ما له وما عليه، والهوى يريه ما له دون ما عليه ويعمي عليه ما يعقبه من المكروه، ولهذا قال ﷺ: «حبك للشيء يعمي ويصم» ولذلك ينبغي للعاقل أن يتهم رأيه أبداً في الأشياء التي هي له لا عليه، ويظن أنه هوى لا عقل، ويلزمه أن يستقصي النظر فيه قبل إمضاء العزيمة، وحتى: قيل: إذا عرض لك أمران فلم تدر أيهما أصوب، فعليك بما تكرهه لا بما تهواه، فأكثر الخير في الكراهة، قال الله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ [البقرة: ٢١٦] وقال: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ [النساء: ١٩] وأيضاً فإن ما يرى العقل يتقوى عليه إذا فزع فيه إلى الله عز وجل بالاستخارة، وتساعد عليه العقول الصحيحة إذا فزع إليها بالاستشارة وتنشرح له الصدور إذا استعين فيه بالعبادة وما يشير به الهوى، فبالضد من ذلك. وأيضاً فإن العقل يرى ما يرى بحجة وعذر، والهوى يرى ما يرى بشهوة وميل، وربما تشبه الهوى بالعقل فيتعلق بشبهة مزخرفة ومعذرة مموهة، كالعاشق إذا سئل عن عشقه، والمتناول لطعام رديء إذا سئل عن فعله. قال بعض العلماء: إذا مال العقل نحو مؤلم جميل، والهوى نحو ملل قبيح فتنازعا بحسب عرضيهما وتحاكما إلى القوة المدبرة بادر نور الله إلى نصرة العقل، ووساوس الشيطان إلى نصرة الهوى. كما قال الله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم

....

الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ [البقرة: ٢٥٧] فمن كانت القوة المدبرة فيه من أولياء الشيطان ومحبيه لم تر نور الحق فعميت عن نفع الآجل واغترت بلذة العاجل فجنحت إلى الهوى، كما قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ الآية [الجاثية: ٢٣] ومتى كانت من حزب الله وأوليائه اهتدت بنوره واستهانت بلذة العاجل وطلبت الآجل، كما قال تعالى: ﴿وإما ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم★ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف﴾ [الأعراف: ٢٠٠، ٢٠١] الآية. ومما نبه على فساد الهوى قوله تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ [المؤمنون: ٧١] أي لو أعطي كل إنسان ما يهواه مع أن كل واحد يهوى أن يكون أغنى الناس وأعلاهم منزلة، وأن ينال في الدنيا الخير الأبدي بلا مزاولة ولا تعلم لكان في ذلك فساد العالم وقيل في قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ [إبراهيم: ٢٤] الآية. ضرب الله الشجرة الطيبة مثلاً للعقل والخبيثة مثلاً للهوى ففرع الطيبة النور والإسلام وفرع الخبيثة الكفر والضلال. إن قيل: ما الفرق بين الشهوة والهوى؟ قيل: الشهوة ضربان محمودة ومذمومة، فالمحمودة من فعل الله تعالى وهي قوة جعلت في الإنسان لينبعث بها النفس لنيل ما يظن فيه صلاح البدن، والمذمومة من فعل البشر وهي استجابة النفس لما فيه لذتها البدنية، والهوى هو هذه الشهوة الغالبة إذا استتبعت الفكرة، وذاك أن الفكرة بين العقل والشهوة والعقل فوقها، والشهوة تحتها فمتى ارتفعت الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة، فولدت المحاسن، وإذا اتضعت ومالت نحو الهوى والشهوة صارت وضيعة فولدت القبائح، والنفس قد تريد ما تريد بمشورة العقل تارة وبمشورة الهوى تارة، ولهذا قد تسمى الهوى إرادة.

السابعة: قال بعض الحكماء خير ما أعطي الانسان عقل يردعه، فإن لم يكن فحياء يمنعه فإن لم يكن فخوف يقمعه، فإن لم يكن فمال يستره، فإن لم يكن فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد. وتحقيقه: أن البواعث على فعل الخيرات الدنيوية ثلاث. أدناها: الترغيب والترهيب ممن يرجى نفعه ويخشى ضره، والثاني: رجاء الحمد وخوف الذم ممن يعتد بحمده وذمه، والثالث: تحري الخير وطلب الفضيلة، وكذلك البواعث إلى الخيرات الأخروية ثلاث: **الأولى:** الرغبة في ثواب الله والمخافة من عقابه وتلك منازل العامة. **والثانية:** رجاء حمده ومخافة ذمه وتلك منزلة الصالحين، **والثالثة:** طلب مرضاة الله في المتحريات وتلك منزلة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهي أعزها وجوداً، ولذلك قيل لرابعة: ألا تسألين في دعائك الجنة؟ فقالت: الجار قبل الدار، وبهذا النظر قال بعضهم: من عبد الله بعوض فهو لئيم.

الثامنة: أورد المصنف في فضل العقل أحاديث غالبها من كتاب داود بن المحبر، وقد تقدم ما يتعلق به وبكتابه وبقيت عليه أحاديث من الكتاب المذكور ومن غيره لم يوردها.

فمن ذلك ما رواه المذكور في كتابه، حدثنا عباد عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبي سعيد

....

مرفوعاً « قسم الله العقل ثلاثة أجزاء فمن كن فيه كمل عقله ومن لم يكن فيه فلا عقل له. حسن المعرفة بالله وحسن الطاعة لله وحسن الصبر على أمر الله » وهكذا أخرجه الحرث في مسنده من طريقه، ورواه أبو نعيم من طريقين: إحداهما: من رواية سليمان بن عيسى، عن ابن جريج به، والثانية: من رواية عبد العزيز بن أبي رجاء حدثنا ابن جريج به. وأخرجه الترمذي الحكيم في نوادره عن مهدي بن ميمون، حدثنا الحسن بن منصور، عن ابن جريج به وفي طرق الكل مقال.

وقال داود أيضاً: حدثنا ميسرة، عن موسى بن جابان، عن لقمان، عن عامر، عن أبي الدرداء مرفوعاً « إن الجاهل لا تكشفه إلا عن سوأة. وإن كان حصيناً ظريفاً عند الناس، والعاقل لا تكشفه إلا عن فضل وإن كان عيباً مهيناً عند الناس» موضوع آفته ميسرة. وقد تقدم التعريف بحاله.

وقال داود أيضاً: حدثنا ميسرة، عن موسى بن عبيدة عن الزهري، عن أنس رفعه « من كانت له سجية من عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه شيئاً قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: لأنه كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب توبة تمحو ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة فالعقل نجاة للعاقل بطاعة الله وحجة على أهل معصية الله». موضوع آفته ميسرة. وأخرجه العقيلي في الضعفاء من طريقه، وأخرجه الترمذي الحكيم في النوادر، عن مهدي بن عامر، حدثنا الحسن بن حازم، عن منصور، عن الربذي وهو موسى بن عبيدة به، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية سليمان ابن عيسى. حدثنا مالك، عن ابن شهاب، عن أنس قال قلت يا رسول الله: ما تقول في القليل العمل الكثير الذنوب؟ فقال: « كل ابن آدم خطاء فمن كانت له سجية عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه شيئاً وذكر بقية الحديث. قال أبو نعيم: تفرد به سليمان بن عيسى وهو السنجري، وفيه ضعف.

قلت: وقد تقدم التعريف بحاله.

وقال داود أيضاً في كتابه: حدثنا عباد بن كثير، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس أنه دخل على عائشة فقال: أم المؤمنين: الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب إليك؟ فقالت سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال « أحسنهما عقلاً » فقلت يا رسول الله، أسألك عن عبادتهما. فقال « يا عائشة إنما يسألان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة ».

وقال داود أيضاً في كتابه: حدثنا عباد بن كثير، عن أبي إدريس، عن وهب بن منبه « إني وجدت في بعض ما أنزل الله تعالى على أنبيائه أن الشيطان لم يكابد شيئاً أشد عليه من مؤمن عاقل، وأنه يكابد مائة ألف جاهل فيشدهم حتى يركب رقابهم فينقادون له حيث شاء، ويكابد المؤمن العاقل فيصعب عليه حتى ينال منه شيئاً من صاحبه » وبهذا الإسناد قال وهب أيضاً لإزالة الجبل صخرة صخرة وحجراً حجراً أيسر على الشيطان من مكايدة المؤمن العاقل لأنه إذا كان

مؤمناً عاقلاً ذا بصيرة، فلهو أثقل على الشيطان من الجبال، وأصعب من الحديد وأنه ليزاوله بكل حيلة، فإذا لم يقدر على أن يستزلّـه قال: يا ويله ما له، ولهذا لا حاجة لي بهذا ولا طاقة لي بهذا فيرفضه ويتحول إلى الجاهل فيستأسره ويتمكن من قياده حتى يسلمه إلى الفضائح التي يتعجل بها في عاجل الدنيا وإن الرجلين ليستويان في أعمال البر فيكون بينهما كما بين المشرق والمغرب أو أبعد إذا كان أحدهما أعقل من الآخر أخرجه أبو نعيم في الحلية هكذا من طريق الحرث بن أبي أسامة عن داود المذكور.

وأما من غير كتاب داود فأخرج الخطيب من رواية أبي سمعان عن الزهري والطبراني من رواية منبه بن عثمان: حدثني عمر بن محمد بن زيد كلاهما، عن سالم، عن أبيه عن عمر مرفوعاً «إن لكل شيء معدناً ومعدن التقوى قلوب العارفين».

وأخرج الخطيب أيضاً من رواية عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر رفعه «إن الرجل ليكون من أهل الجهاد ومن أهل الصلاة والصيام ومن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر وما يجزى يوم القيامة إلا على قدر عقله».

وأخرج الخطيب أيضاً من رواية إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة، عن نافع، عن ابن عمر رفعه «لا تعجبوا بإسلام امرىء حتى تعرفوا عقدة عقله».

وأخرج البيهقي في الشعب من رواية خليد بن دعلج، عن معاوية بن قرة رفعه «الناس يعملون بالخير وإنما يعطون أجورهم على قدر عقولهم» خليد ضعيف.

وأخرج ابن عدي من رواية الربيع الجيزي، حدثنا محمد بن وهب الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا مالك بن أنس، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رفعه «أكمل الناس عقلاً أطوعهم لله وأعملهم بطاعته، وأنقص الناس عقلاً أطوعهم للشيطان وأعملهم بطاعته» قال ابن عدي: هو باطل منكر.

وأخرج البيهقي، وابن عدي من رواية أحمد بن بشير، حدثنا الأعمش، عن سلمة بن كهيل، عن عطاء، عن جابر بن عبدالله رفعه «تعبد رجل في صومعته فمطرت السماء واعشبت الأرض فرأى حماراً له يرعى فقال يا رب: لو كان لك حمار رعيته مع حماري فبلغ ذلك نبياً من أنبياء بني إسرائيل، فأراد أن يدعو عليه فأوحى الله تعالى إليه إنما أجازي العباد على قدر عقولهم» قال البيهقي: تفرد به أحمد بن بشير، وقد رُويَ من وجه آخر موقوفاً على جابر، وهو الأشبه وقد ورد في فضل العقل غير ما حديث وهذا الذي ذكرت فيه كفاية.

التاسعة: قال الزين العراقي: وهذه الأحاديث التي ذكرها المصنف في العقل كلها ضعيفة، وتعبير المصنف في بعضها بصيغة الجزم مما ينكر عليه، وبالجملة فقد قال غير واحد من الحفاظ: انه لا يصح في العقل حديث ذكره عمر بن بدر الموصلي في كتاب له سماه:

....

المغني عن الحفظ، والكتاب بقولهم لم يصح شيء في هذا الباب، وبعض ما ذكره فيه منتقض. وقد ورد في العقل أحاديث صححها بعض الأئمة والله أعلم إلى هنا انتهى بنا الكلام على شرح كتاب العلم من إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام الغزالي قدس الله سره ونفع به، وأرجو من فضل الله وحسن توفيقه ومعونته أن يعينني على إتمام شرح باقي الكتاب إنه جواد مفضال وهاب، والحمد لله رب العالمين على نعمائه، والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه وسائر أوليائه. نجز ذلك في يوم الجمعة بعد الصلاة لخمس بقين من محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وتسعين ومائة، وألف على يد مؤلفه أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني أفاض الله عليه حامداً لله ومصلياً ومسلماً ومستغفراً

(تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني أوله كتاب قواعد العقائد)

فهرس الجزء الأول
من إتحاف السادة المتقين

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة